التفسير الكبير للرازي
من سورة الأنفال
إلى آخر هود

محمد بن عمر بن الحسن الغُخر الرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يسئلونك عن الانفال اعلم ان قوله يسئلونك عن الانفال يقتضي البحث عن اربعة اشياء السائل والمسئول وصيغة الفعل ودلك السؤال عن اي الاحكام كان اما البحث الاول وهو السائل من كان فنقول ان قوله يسئلونك اخبار عمن لم يسبق ذكره وحسن ذلك ههنا لان حالة النزول دان السائل

عن هذا

السؤال معلوما معينا فانصرف هذا اللفظ اليهم ولا شك انهم كانوا انواعا لهم تعلق بالغنائم والانفال وهم اقوام من الصحابة واما البحث الثاني وهو ان المسئول من كان فلا شك انه هو النبي عليه السلام واما البحث الثالث وهو ان الانفال ما هي فنقول قال الازهري النفل والنافلة ما كان زيادة على الاصل وسميت الغنائم انفالا لان المسلمين مخصوصا بها على سائر الامم الذين لم تحل الغنائم لهم وصلاة التطوع نافلة لانها زائدة على الفرض الذي هو الاصل وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سأل واما البحث الرابع وهو ان هذا السؤال كان واقعا عن ذلك المعنى ونطعن قوله تعالى يسئلونك عن المحيض ويسئلونك عن النساء في المحيض فعلم منه انه سؤال عن حكم المحيض والنساء وذلك كله غير معين الا ان الجواب كان معينا لان الله تعالى قال في المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض فدل هذا الجواب انه لا سؤال كان سؤالا عن مجانبة النساء في المحيض وقال في النساء قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم اي في الدين يدل هذا الجواب المعين على ان ذلك السؤال كان واقعا عن التصرف في مالهم بمخالطتهم في المواكلة وانما قال تعالى ويسئلونك عن الروح وليس فيه ما يدل على ان ذلك السؤال عن اي الاحكام كان انه قال في الجواب قل الروح من امر ربي فدل هذا الجواب انه لا سؤال كان عن حكوث الروح محدثا او قديما فكذلك ههنا انما قال في جواب السؤال كان عن حكوث الروح محدثا او قديما فكذلك ههنا انما قال في جواب السؤال عن الانفال قل الانفال لله والرسول دل هذا على انهم سألوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها والقول الثاني ان قوله يسئلونك عن الانفال

كان منسوبا فما نازعه ومخاصمه واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون المراد من الانفال
شأ سوى الغنائم وعلى هذا التقدير ففي تفسير الانفال اقوال احدها
قال ابن عباس في بعض روايات المراد من الانفال ما عن المسلمين
من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو اليه يضعه حيث يشاء وانتهى الانفال
بالخمس الذي جعله لاهل الخمس وهو قول مجاهد قال فالقوم انما سألوه عن الخمس فبين الله
الآية وبالجملة ان الانفال هي الشيء وهو الذي يدفع الى الغازي زائدا على سهمه من غنيمة
له في القتال كما اذا قال الامام من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم
فهو لكم او يقول فلكم ربعه او ثلثه او ربعه والا الخمس البعد وعن سعد بن
ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد العاص واخذت
سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله شفى صدري
من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هو لي ولا لك اطرحه في الموضع الذي
وضعنا العنائم فيه فطرحته وفي نفسي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي
فما جاوزت الا قليلا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال
فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه قال العاضي وكل
هذه الوجوه يحتمل الآية وليس فيها دلالة ترجح بعضها على البعض فان صح ما في
الاخبار من انه تعالى انما خص به والا فالكل محتمل وكما ان كل واحد منها
جائز فعند كل ارادة الجميع جائز فانه لا تناقض بينهما والاقرب ان يكون المراد
من الآية ما دله عليه السلام ان ينفل عن من جعله الغنيمة قبل حضورها لان الله
مسوغ له تحريضا على الجهاد وتقويه للمنهوس نحو ما كان ينفل واحدا في ابتداء
المحاربة لتبالغ في الحرب او عند الرجعة او لعطية سلب القاتل او رضخ لبعض الحاضرين
الحاضرين او جعله في الخمس الذي كان عليه السلام يخص به وعلى هذا التقدير
فيكون حكمه حكم الله تعالى والرسول المراد منه الامر الدال على ما كان مسبقا
للمجاهدين اما قوله تعالى قل الانفال لله والرسول وبعده ما حكاه
الحسن الاول المراد منه ان حكمها مختص بالله يأمر الله بقسمها على من يعينه
ورسوله

مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل وهذا حجوا بهذه الآية من وجهين الاول ان قولهم زادهم
ايمانا وهم يتبسرون يدل على ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان الايمان عبارة عن المعرفة والاقرار
لما قبل الزيادة الثاني انه تعالى لما ذكر الامور قال في الموصوفين بها اولئك هم المؤمنون حقا وذلك
يدل على ان كل تلك الخصال داخلة في مسمى الايمان وروى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحياء شعبة من الايمان

واجيبوا عن هذه الآية على ان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلاثة فقالوا
لان الآية صريحة في ان الايمان يقبل الزيادة والمعرفة والاقرار لا يقبلان التفاوت
فوجب ان يكون الايمان عبارة عن مجموع الاقرار والاعتقاد والعمل حتى ان
يتسنى التفاوت في العمل يعمل التفاوت في الايمان المسئلة الثالثة قوله
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ظاهره مشعر بان تلك الآيات توجب هذه الزيادة في
المعرفة والتصديق الصفة الثالثة للمؤمنين قوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون
واعلم ان صفة المؤمن ان يكون واثقا بصدق الله تعالى في وعده ووعيده وان
يقول صدق الله ورسوله وان لا يكون قوله كقول المنافقين حيث قالوا نعلم انك لرسوله
والله يعلم انك لرسوله ثم انهم لا يتوكلون لا على ربهم بل يسعون في الاغترار بالناس
وهذه الحالة مرتفعة عالية درجة شريفة وهي الحالة التي يصير بحيث لا يسعى
له اعتماد في امر من الامور الا على الله واعلم ان هذه الصفات الثلاث مرتبة على احسن
وجه لان المرتبة الاولى هي الوصول من عباد الله تعالى والمرتبة الثانية هي الانقطاع
بالمعاد بالكلية عن الله والمرتبة الثالثة هي الاعراض بالكلية عما سوى الله والاعتماد
بالكلية على فضل الله ثم الغناء بالكلية عما سوى الله الصفة الرابعة والخامسة
قوله الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون واعلم ان الآيات الثلاثة المتقدمة احوال
معتبرة في القلوب والسرائر ثم عقل منها الى اعمال الظاهر واشرف الطاعات
المعتبرة في الظاهر وهي تشبه بذل النفس في الصلاة وبذل المال في مرضاة الله ويدخل
فيه الزكوات والصدقات والصلاة يدخل فيها الانفاق في الجهاد ويدخل فيه الانفاق
على المساجد والرباطات الصفة الخامسة المعتبرة له انه تعالى مدح من يسعى لاقامة الصلوات

الله

اما مؤمن فكانه مدح نفسه باعظم المدائح فوجب ان يقول ان شاء الله لتصديق هذا استثناء
لحصول الانكسار في القلب وزوال العجب وروى ان اباحنيفه قال لعباده لم تستثني
في ايمانك فقال اتباعا لابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفه هذا اقتداء به في قوله اولم تؤمن قال بلى قال فهو لاجل
رجاء المغفرة قال لعباده اراجعت ونعم انه بعد ان قال بلى قال ولكن ليطمئن قلبي فطلب مزيد
الطمانينه وهذا يدل على انه لا بد من قوله ان شاء الله لما بين انه تعالى ذكر
في هذه الاية ان الرجل لا يكون مؤمنا الا اذا كان موصوفا بالصفات الخمسة
وهي الخوف من الله والاخلاص في دين الله والتوكل على الله والايمان بالصلاة
والزكاة لوجه الله وذكروا في اول الاية ما يدل على الحصر وهو قوله انما
المؤمنون الذين هم كذا وكذا وعلمنا ان بعد الحصر ذكر في اخر الاية اولئك
هم المؤمنون حقا وهذا ايضا يفيد الحصر فلما دلت هذه الاية على هذا المعنى
ثبت ان الانسان لا يمكنه القطع على نفسه بحصول هذه الصفات الخمس لاجل
ذلك كان الاولى ان يقول ان شاء الله وروى ان الحسن سأله رجل فقال المؤمن انت
فقال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن قوله انا المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم فوالله لا ادري اكذلك منهم ام لا واما الثاني ان القوم
العظيم دل على ان كل من كان مؤمنا كان من اهل الجنة فالقطع بكونه
مؤمنا يوجب القطع بكونه من اهل الجنة وقد لا سئل الله فضلا هذا
نقل عن الثوري رحمه الله انه قال لمن زعم انه مؤمن بالله حقا انك لم استهدانا من
اهل الجنة فغدا من نصف لايه والمقصود انه كما لا سئل الى القطع بانه من اهل
الجنة وكذلك لا سئل الى القطع بانه مؤمن الى هنا بعد ان الايمان عبارة عن التصديق
بالقلب وعن المعرفة فعلى هذا الرجل انما يكون مؤمنا في الحقيقة عند ما يكون
هذا التصديق وهذه المعرفة حاصلة في الحال حاضرة في الخاطر فاما عند زوال هذا
المعنى فهو انما يكون مؤمنا بحسب حكم الله فاما في نفس الامر فلا اذ المعرفة
هذا لم معنى ان يقول المراد من قوله ان شاء الله عائد الى استدامة مسمى الايمان والاستصحاب

حصول الفرق بعد الجمع وعن الثاني انه تعالى حكم على الموصوفين بالصفات
المذكورة بكونهم موصوفين حقا وذلك الشرط مسكوك فيه والشك في الشرط يوجب
الشك في المشروط فهذا تعرض من هذه الحكم بما له حكام التي اثبتها الله للموصوفين
بالصفات الخمس قوله تعالى لهم درجات عند ربهم فالمعنى لهم مراتب بعضها
اعلى من بعض واعلم ان الصفات المذكورة قسمان احدهما الصفات القلبية وهي حلول
الروح باشعة الاله حلة ص والتوكل والله تبيان الله حران مراد الله عمال الظاهرة
والشك ان لهذه الاعمال والله حلة صفات تاثيرات في تصفية القلب وفي تنويره
الاولى هي الصفات الثلاثة والاخير
والايمان الحيران هي الاعمال الظاهرة ولا شك ان لهذه الاعمال والله اخلاقها تاثيرات
في تصفية القلب وفي تنوير بالمعارف الالهية ولا شك ان المؤثر لما كان اقوى
كانت الاثار اقوى ولما كانت هذه الاخلاق والاعمال الجاذبة درجات متفاوتة
كانت المعارف ولها ايضا درجات ودلالة هو المراد من قوله لهم درجات عند ربهم
والثواب الحاصل في الجنة ايضا متفاوت بهذا الاعتبار فان الاحوال شتى ان مراتب السعادات
الروحانية قبل الموت وبعد الموت ومراتب السعادات الحاصلة في الجنة كثيرة
ومختلفة فهذا المعنى قال لهم درجات عند ربهم فان النسران المفضول اذا
علم حصول الدرجات العالية للفاضل وحرمانه عنها فانه سالم قلبه ويبغض عليه
غلبته ودلالة هو يحول الثواب رزقا كريما والجواب ان استعراف كل احد في
سعادته الخاصة به منعه من حصول الحسد والحسد وبالجملة فاحوال الاخرة
لا تناسب احوال الدنيا لفظا بالاسم الحكم الثالث والرابع قوله تعالى ومغفرة
ورزق كريم والمراد من المغفرة ان يتجاوز الله عن سيئاتهم ومن الرزق الكريم نعيم
الجنة قال المتكلمون انما كونه رزقا فهو اشارة الى كونه منفعة واما كونه
كريما فهو اشارة الى كون تلك المنافع خالصة دائمة مقرونة بالاكرام
والتعظيم ومجموع هذا هو حد الثواب وقال العارفون المراد من المغفرة
ازالة الظلمانية الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله ومن الرزق الكريم
الانوار الحاصلة بسبب الاشتغال في معرفة الله ومحبته قال الواحدي قال
اهل اللغة الكريم اسم جامع لكل ما يحمد وينحس والكريم المحمود فيما
يحاج اليه فالله سبحانه موصوف بانه كريم والقرآن موصوف بانه كريم قال تعالى

انى القى فيك كريما وقال تعالى من دل روح ربهم وقال ويدخلكم يدخلا كريما وقال
تعالى وقل لهما قولا كريما قالوا الكريم هو الشريف الفاضل الحسن وقال هسام
بن عروة يعنى ما اعد الله لهم فى الجنة من لذيذ المآكل والمشارب وهى العسل قال
مولانا رحمه الله الداعى الله يحتمل ههنا ان يكون اللذات الروحانية
ويدل لها هذا المعنى على هذا التقدير فى مواضع كثيرة وعند هذا يظهر ان المراد
اللذات الروحانية وهى معرفة الله تعالى ومحبته والانس بالله تعالى وقد يدل
قاله مالك ظاهر الآية يدل على ان الموصوف بالامور الخمسة محكوم عليه
بالنجاة من النار وبالفوز بالثواب وذلك يقتضى ان لا يكون على العبد فيما سوى هذه
الخمسة ودلك باطل باطل باجماع المسلمين لان الصور اذا سائر الواجبات فلا
اشعار بقوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
وجميع الكمالية داخل تحت هذه الكلمات لان الله تعالى خص من الصفات الباطنة
التوكل بالذكر على النعمة ومن الاعمال الظاهرة الصلوة والزكاة على النعمة
سيما على الترقى الاحوال الباطنة التوكل والترقى الاحوال الظاهرة الصلوة والزكاة

قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك الى قوله وهم ينظرون ٥ فى الآية مسائل

المسئلة الاولى تحل قوله كما اخرجك يقتضى تشبيه شئ بهذا الاخراج ذكروا
فيه وجوها الاول ان النبى عليه السلام لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة
المؤمنين قال من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا وذلك
لغيرهم فى القتال فلما انهزم المشركون قال السعد عبادة يا رسول الله ان غنائمنا من
اصحابك وقوتنا انفسهم ولم يتأخروا عن القتال جبنا ولا لخلاصة لك تحتهم ولكنهم
اشتغلوا عليك من ان يقتلوك فمتى صولا يا ما يجب لهم التى جعلت من المسلمين لعين شئ جاز الله
يعلمك بسلوك ان الاموال لله والرسول يضع بها ما شاء فاسلك المسلمون
نحو الله وفى نفس بعضهم شئ من الكراهة والناصح خرج النبى عليه السلام الى القتال
يوم بدر كانوا كارهين لذلك المقاتلة على ما سنشرح حال الكراهة فلما قال تعالى قل
الانفال لله والرسول كانا لقد سلموا هذا الامر وخوا هذا الكلام فى الانفال وان كانوا كارهين
له وهذا الوجه احسن الوجوه الاولى فى هذا الموضع الثانى ان يكون التقدير يسئلونك

العدو وقام عند غضب نبي الله ابو بكر وعمر واحسنا ثم قام سعد بن عباده وقال امض
ما امرك الله به فوالله لو سرت الى عدو ما تخلف عنك منا رجل ولا نكره ان تلقى بنا عدونا غدا
انا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
فسر بنا فوالله لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
ما نكره ان تلقى عدونا غدا انا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء فامض بنا على بركة الله
فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله ابشروا فان الله قد وعدني
احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وبالغ في الاخبار عن ذلك
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمع من سعد وقوي قلبه بما قال ثم قال سيروا
على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم
ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من بدر فقال بعضهم لبعض ما
ندري ما يصنع محمد ان كان يقاتل فما بنا قوة على قتال العدو وان كان يريد المال
فسنصيب منه فبينما هم كذلك اذ دنا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما بلغني عنكم فقالوا والله لقد بلغك الذي بلغك فقال ان الله قد وعدني احدى
الطائفتين اما العير واما النفير فقلت لهم ما ترون فقالوا قد بلغك ما بلغك فقال
ان القوم قد نفروا غضابا لله ولرسوله ليمنعوا حريمهم وعيرهم فان كانوا هم
فهذا ابو جهل قد طلع عليكم

قوله تعالى هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم وان في موضع نصب لانه مفعول له وقيل ايضا
لولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم ان تطوهم ان في موضع رفع بدلا
والطائفتان الصبر والنصر وغيرذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا الاربعون فارسا
والشوكة لا تكون في العير وذات الشوكة العير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من حد
السيف يقال سيف ذو شوكة اذا كان قاطعا ومنها سمي السلاح اي عسى ان يكون
لكم الغير لانها الطائفة التي لا حد لها ولا شوكة ولا يريدون الطائفة الاخرى
ولكن الله يريد التوجه الى الطائفة الاخرى ليحق الحق بكلماته وقد سوال
السوال الاول ليس ان قوله يريد الله ليحق الحق بكلماته هو قوله
بعد ذلك ليحق الحق ويبطل الجواب ليس ههنا تكرير لان المراد بالاول
تثبيت ما وعده في هذه الواقعة من النصر والظفر بالعدا والمراد بالثاني تقوية
القران والدين ونصره هذه الشريعة لان الذي وقع من الحوادث يوم بدر بالخارق
كان سببا لعز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويمحق الباطل الذي
هو الشرك وذلك في معاملة الحق الذي هو الدين والايمان السوال الثاني
الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته وما سبب التي لاجله فانه يمتنع حصوله بجعل جاعل
وفعل فاعل فما المراد من جعل الحق وابطال الباطل والجواب المراد من
جعل الحق حقا واظهاره كون دلائله باطلا
بخلق الجهل وابطال الباطل اظهار كون دلائله جهلا واظهار كون دلائل الباطل
باطلا ودلائل الباطل يكون باظهار الدلائل والبينات وتارة بتقويه رؤساء الحق
وتهجير رؤساء الباطل واعلم ان اصحابنا تمسكوا في مسئلة خلق الافعال بقوله تعالى
ليحق الحق ويبطل الباطل وتمسكوا بقوله والجواب ليس الا الدين والاعتقاد فدل
هذا على ان العقائد يجب ان يكون خلقا لله واعادة ولا بد على جعل
يحصل الحق على اظهار ان لا دليل الا ظهور حصل بفعل العبد اسمع ايضا
اضافة دلائل الله تعالى وايجاب ان يكون المراد من اظهارها وضع الدلائل عليها
لان هذا المعنى يحصل بالنسبة الى الكافر والى المسلم وقد هذا الواقعة وبعدها
فلا يتخصص هذه الواقعة بهذا المعنى فاما اصل واعلم ان المعتزلة
اتمسكوا في نفي هذه الآية على صحة مذهبهم قالوا هذه الآية تدل على انه لا يريد

يحق الباطل ويبطل الباطل ليحق الحق والبته بل انه تعالى اذا اراد يحق الحق ويبطل
الباطل فعل ذلك سواء قال ذلك او لم يقل وهذا قول من يقول انه لا باطل ولا كافر الا والله تعالى مريد له
واحاب اصحابنا بانه مدح والمدح لا يصح الا في الفعل الواقع بالقصد واحتج الفقهاء ان المفرد المحلى بالالف واللام
يفيد العموم بقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
والمعهود السابق وهو الامر فدل على ان المراد بقوله تعالى ارادة يحق الحق ويبطل
الباطل وهذا فاسد فلم قلتم ان المراد ذلك في جميع الصور بل قد يكون المراد بعض الصور
فنحن اما نقول ويقطع دابر الكافرين والمراد اهلاك الكافرين والمراد بقطع دابره
القطاء والقطع الدابر عبارة عن الاستيصال والمراد انكم تريدون العير المقرونة بالسلاح
وانا الله تعالى يريد ان يوجدها الى المدينة ليعظم بها الدين الحق ويستأصل الكافرين
قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الى قوله العزيز الحكيم
اعلم ان الله تعالى لما بين في الآية الاولى انه يحق الحق ويبطل الباطل بين ان الله تعالى يصنع
عند الاستغاثة وفيه مسائل المسئلة الاولى يحوز ان يكون العامل في اذ هو
قوله ويبطل الباطل فيكون الكل متصلة بما قبلها ويحوز ان يكون الا
مستأنفة على تقدير ما ذكرنا اذ تستغيثون المسئلة الثانية في قوله اذ تستغيثون
دلت الآية على ان هذه الاستغاثة كانت من الرسول عليه السلام قال ابن عباس
رضي الله عنهما كما قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف وال اصحابه وهم بضعة وثلثمائة ونيف استقبل
القبلة ومد يديه وهو يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه وروده ابو بكر
ثم التزمه من ورائه ثم قال يا نبي الله مناشدتك ربك الا ما سبق لك ما وعدك فانزل الله
تعالى الآية ولما اصطفت القوم قال ابو جهل اللهم انصر اعلى الدينين واحب الفئتين
وافضل الحزبين فانزل الله تعالى هذه الآية فثبت ان الرسول عليه السلام كان طالبا
من الله تعالى ما وعده به من الدعاء المذكور وقال ابو بكر الاصم لا يجوز ان يكون
الرسول عليه السلام في حال عدم الموسن كان يقول ذلك لانه كان عالما بان الله تعالى
لا يخلف الميعاد فكيف يليق به ان يقول ما يعلم انه لا يكون بل كان ذلك
منهم على سبيل التضرع والابتهال والعرض كانوا يتوسلون على دعائه بالنبي لهم في الدعاء في امرهم فعلم
ما ذكرنا ولان الله تعالى امر رسوله بالدعاء بقوله ادعوني استجب لكم فلم يمتثل
امر ربه فكيف يليق به ان يترك الدعاء مع هذا الامر المؤكد بالوعد الصادق بالاجابة

بين الروايات المختلفة في هذا الباب المسئلة الثالثة قوله ادا استغيثوا
اى يطلبون الاغاثة لقول الواقع في بليه اغثني اى فرج عني
واعلم انه تعالى لما حكى عنهم الاستغاثة بين انه تعالى اجابهم
وقال اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وفي مسئل المسئلة الاولى قوله اني ممدكم الصلة باني ممدكم محذوف
كما روى عليه استحاب فبعضهم حمله وعن ابي عمرو اراد فوائي ممدكم بالتشديد على ارادة القول
او على اجراء استحاب مجرى اجاب قال الاخفش استحابه من القول المسئلة الثالثة قرا
نافع وابو بكر عن عاصم مردفين بفتح الدال والباقون بكسرها قال الفراء امام ردفني
اى متابعين ياتي بعضهم في اثر بعض كالقوم الذين يردفون على الدواب
ومردفين اى فعلى هذا يعود ذلك ومعناه انه تعالى ارداف المسلمين بهم وامدادهم بهم المسئلة
الثالثة قد احتلفوا في ان الملائكة هل قاتلوا يوم بدر فعال يوم بدر لم
جبريل عليه السلام في جمعه ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل
بحمعه على الميسرة وفيها علي يزلط الله في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وقاتلوا
وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي حهل انه
قال لابن مسعود من اين كان الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من
الملائكة فقال ابو حهل هم غلبونا لا انتم وروى ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد
في اثر رجل من المشركين اذ سمع ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك وقد خر
مستلقيا وسيفه ذاك من مدد السماء وقال اخرون لم يقاتلوا وانما قاتلوا يكثرون السواد
ويثبتون المومنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل
اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلكهم ولم يدفعوه يوم صالح الصيحة
واحدة والكلام في كيفيه هذا الامداد مذكور في سورة ال عمران
ما الاستفهام والذي يدل على ان الملائكة ما قاتلوا قوله تعالى وما
جعله الله الا بشرى لكم قال الفراء الصمير عائد الى الاردف والتقدير وما
جعل الله الارداف الا بشرى وقال الزجاج وما جعل الله المدد الا بشرى
وهذا اولى لانا لامداد بالملائكة حصل للسرور ما روى عباس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم

الله عليه وسلم يوم بدر وهو في العريش فاعد الدعوا وقال ابو بكر فاعد اعلى بعضه ليس
معه غيره فحقق رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ثم ضرب بيمينه على الحد
الى بكر فقال ابشر ينصر الله قد رايت اثار جبريل على ثناياه يقدم الخيل وهذا يدل على انه لا عرض من
امر النصر الا حصول البشرى وذلك سعى واذارهم على المسارعة وما
النصر الا من عند الله والمقصود العشية على الملائكة وان كانوا قد رضوا في
مواعدة الموحدين الا ان الواحد على الوسيلة لا يعتمد على الدليل حتى ان يكون اعتماده
على اعانة الله ونصره وهذا اشد وكفاية وحتى ان الله هو العزيز الغالب الذي لا
يغلب والقاهر الذي لا يقهر اعلم مما تقول من النصرة بصنعها في موضعها
قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس امنة منه ومنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به الى قوله شديد العقاب فيه مسائل المسئلة الاولى قال الزجاج اذ يصلح ان
يكون البدل من اذ الاولى ويجوز ان يكون البدل من اذ الثانية ويجوز ان يكون
نصب على معنى واذكروا حين يغشاكم النعاس ويجوز ان يكون نصبا على معنى
اذ يغشاكم النعاس امنة منه المسئلة الثانية قرأ يغشاكم النعاس بالنصب الباقون
بضم الياء وسكون الغين وتخفيف السين النعاس بالرفع وهي قراءة ابي عمرو وابن كثير النعاس
وفتح الياء وسكون الغين النعاس بالنصب الباقون يغشاكم النعاس بالنصب على
الباقون يغشاكم بتشديد الشين وضم الياء من التغشية النعاس بالنصب على ما مر قرأ عاصم
قال الواحدي القراءة الاولى من اغشى والثانية من غشي والمعنى واحد وقرأ عاصم
وحمزة قوله امنة نعاسا بضم النون والباقون بفتحها فالضم على الاصل والفتح على
النعاس كذلك في هذه الاية ومن قرأ يغشيكم ويغشكم فالمعنى واحد وقد حاء التنزيل
بهما في قوله فاغشيناهم وهم لا يبصرون وقال يغشاها ما غشى وقال اغشيته وجوههم
وعلى هذا فالقول مسند الى الله المسئلة الثالثة انه تعالى لما ذكر انه استجاب دعاءهم
وعدهم بالنصر قال وما النصر الا من عند الله ذكر عقيبه وجوها الاول قوله نعاسا
النعاس امنة منه اي من صنع الله واعلم ان كل نوم ونعاس فانه لا يحصل الا من قبل
الله تعالى فما خصص هذا النعاس بانه من الله تعالى لما بينا ان كل نعاس فانه من الله
وجوها الاول ان الكافر اذا خاف من عدوه الخوف الشديد دل على انه الخوف وجعل الامن
يحل النوم فصار حصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على ان الله الخوف وجعل الامن

وبالها الهم خافوا من جهات كثيرة واحدها قوله المسلمين ولكن الكفار
وبالها لكن الاهبة والعدة للكافرين وبالها العطش الشديد فلو
لا حصول هذا التعاسن وحصول الاستراحة حتى تملئوا في اليوم الثاني من العمال
لماء الطهر والوجه في بيان كون هذا التعاسن نعمة في حقهم انهم لما ناموا بتلك الماء واستمكن
العدو من بعضهم فصفهم لما كان هذا التعاسا لحصل لهم زوال الاعياء والكلال
مع انهم كانوا محتاجين لصلابتهم العدو لعرفوا ولقدروا على دفعه
والوجه الرابع انه عشيهم هذا التعاس دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول
وحصول الجمع العظيم في الخوف الشديد امر خارج العادة فهذا السبب قبل ان ذلك
التعاس كان في حكم المعجز فان قيل اذا كان التعاس في حكم المعجز فهل فان كان
تعريفه كما اذا علموا فلم خافوا بعد ذلك قلنا لان المعلوم ان الله تعالى انما جعل
هذا الاسلام مظفرا منصورا وذلك لا يمنع من ان يصيروا قوم منهم مغلوبين فان قيل
اذا اقرئ بعشاكم بالتخفيف والتشديد وصف التعاس والصمير لله عز وجل وامنة مفعول
له اما اذا اقرئ بعشاكم بالتخفيف جعل قوله امنة مفعولا له مع ان المفعول له وجبان
يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل وقوله بعشاكم وان كان في الظاهر مسندا
الى التعاس الا انه في الحقيقة مسند الى التعاس لان الله في الحقيقة هو الله تعالى فصح هذا
التعليل نظرا الى المعنى قال صاحب الكشاف وقرئ امنة ليسكون الميم ونظيره
امن امنة حتى حياة ونظير امن امنة رحمة قال ابن عباس التعاس في القتال امنة
من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان ﴿النوع الثاني من انواع نعم الله
تعالى المذكورة في هذا الموضع قوله تعالى وينزل من السماء ماء ليطهركم به ويذهب
عنكم رجز الشيطان ولا شبهة ان المراد منه المطر وفي الخبر ان القوم اذا استقوا
الى موضع الماء واستولوا عليه وطمعوا لهذا السبب ان يكون لهم العلبة وعطش
المؤمنون وخافوا واعوزتهم الماء للشرب والطهارة واحتلموا ووقعوا في الجنابة
واضاف الهم ان ذلك الموضع كان رملا تغوص فيه الارجل وربما اثار الكثير
وكان الخوف حاصلا لسبب كثرة العدو وسبب كثرة العدو وسبب كثرة الانبهم
واداتهم فلما انزل الله تعالى ذلك المطر صار ذلك دليلا على حصول النصر والظفر

وعظمه

وعظمت النعمة من وجهات احدها زوال العطش فقد روا انهم حفروا موضعا
في الرمل فصار كالحوض الكبير اجتمع فيه الماء حتى شربوا منه وتطهروا وتزودوا
وبانهم اغتسلوا من دال الماء وزالت الجنابة عنهم وقد علم بالعادة ان الموضع لا يستقر فيه الماء اذا كان جبلا وبغتة اذا المطر لا يستمر فيه لاجل هذا
السبب فلا جرم عد تعالى وبدر عليهم من جملة نعمه وبانهم
عطشوا ولم يجدوا الماء ثم وجدوا الماء حتى اجتمع فاحتاجوا الى الماء فان المطر نزل
وزال عنهم ذلك البلاء والجهد وحصل المقصود وفي مثل هذه الحالة قد يستدل به على
زوال العسر وحصول اليسر والفرج اما قوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان
فيه وجوه الاول ان المراد منه الاحتلام لان ذلك من وساوس الشيطان الثاني
ان الكفار لما نزلوا على الماء وسوس الشيطان لهم وجوههم من الهلاك فلما نزل المطر زال
ذلك الوسوسة وروى انهم لما ناموا واحتلموا انتصاعفت حاجتهم الى الماء فان المطر نزل
وزال عنهم ذلك البلاء والجهد وحصل المقصود وفي مثل هذه الحالة قد يستدل به على
زوال العسر وحصول اليسر والفرج اما قوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان
فيه وجوه الاول ان المراد منه الاحتلام لان ذلك من وساوس الشيطان الثاني
ان الكفار لما نزلوا على الماء وسوس الشيطان لهم وجوههم من الهلاك فلما نزل المطر زال
ذلك الوسوسة رو

لعلم الله بسببه ان لا يكون صلة لان دلالته على هذا الاستعلاء فالمعنى ان العلو امتلك
من دلال الربط حتى كانه على عليها وارتفع فوقها والنوع الرابع الملزوم
دلالها قوله تعالى وبدت الاقدام وذكر القدم وجوفا احدها ان دلال المطر
لبد الرمل وصيرهم بحيث لا تغوص ارجلهم فيه فقدروا على المشي عليه لما اراد وا
ولولا هذا المطر ما قدروا عليه وعلى هذا التقدير فالضمير في قوله عايد الى المطر
والثاني ان المراد ان يربط قلوبهم اوجب ذلك اقدامهم لان من كان قلبه ضعيفا
قد يقع فلما قوى الله تعالى قلوبهم ثبتت اقدامهم وعلى هذا التقدير فالضمير في قوله
عايد الى الربط والثالث وهو ان اثر المطر حصل للكافر ضد ما حصل للمؤمن
ودلالة الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب والوحل فلما نزل المطر
عظم الوحل فصار دلالتها لهم من المشي كيف ما اراد وا فقوله وينزل عليكم
يدل دلالة المفهوم على زوال الاعذار كان علاوة دلالة النوع الخامس
من النعم المذكورة ههنا قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم وقد كان
الاول قال الزجاج اذ في موضع نصب والتقدير ولربط على قلوبكم وتثبيتها اذكر
حال ما اوحى الى الملائكة بعضا او كلا ويحتمل على بعد اذكروا الثاني اذ قوله
اني معكم فيه وجهان الاول ان يكون المراد انه تعالى اوحى الى الملائكة بانه تعالى
معهم اي مع الملائكة حال ما ارسلهم وقد المسلمين الثاني ان يكون المراد
اوحى الى الملائكة اني مع المؤمنين فانصروهم وبشروهم وهذا التاويل اولى لان
المقصود من الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يحاربون الكفار
انما كانوا يقاتلون هم المسلمون ثم قال فثبتوا الذين امنوا واختلفوا في تفسير هذا
التثبيت على وجوه الاول انهم عرفوا الرسول عليه السلام ان الله ناصر المؤمنين والرسول
عرف المؤمنين ذلك فهذا هو التثبيت والثاني ان الشيطان يمكنه القاء الوسوسة
الى الانسان وعند الملك يمكنه القاء الالهام الله فهذا هو التثبيت من هذا
الباب الثالث ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال من معارفهم وكانوا
يعدونهم بالنصر والعون والطفر النوع السادس من النعم المذكورة في
هذه الاية قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وهذا من النعم الجليلة
وذلك لان امر النفس هو العدد فلما امر الله تعالى انه يربط قلوب المؤمنين بمعنى انه

فواها

بين بعد ذلك صفة عقابه وانه قد يكون موجعا في الدنيا وقد يكون موجعا في الآخرة
وشبه بقوله ذلك ذوقوه وهو المحل من القتل والاسر على ان ذلك
يسمى بالاضافة الى الموجل لهم في الآخرة ولذلك سماه ذوقا
لان الذوق لا يكون الا بعرف الطعم ليعرف به حال الشيء
ليحل لهم ما حصل لهم من الالام العظيمة في الدنيا كالرد والقتل بالنسبة الى الامر العظيم المعلوم
ان الذوق يحصل بطريق اخر سوى ادراك المطعوم المخصوصة وهو لقوله تعالى
ذوقا ملائما العور البحر وكان عليه السلام يقول ايت عبدي فطعمني وسقني
فهذا يدل على اثبات الذوق والاكل والشرب بطريق روحاني مغاير للمطعوم والجسماني
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الى قوله ومثل الحصر
في الآية مسائل المسئلة الاولى قال الازهري اصل الزحف الصبي وهو ان يجبو
على استه قبل ان يقوم وشبه بزحف الصبي مشي الطائفتين اللتين تدهدى كل واحدة
منهما الى صاحبتها للقتال فيمشي كل فئة منهما رويدا الى الفئة الاخرى قبل التداني
للضراب قال ابن عباس الزحف المشي وذلك قليلا قليلا الى الشيء ومنه الزحاف في الشعر
وهي ان تسقط مما بعد حرف من حروف حرفا حتى تصيرها الى الاخرى اذا تحركت هذا
معقول لقوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا اي مزاحفين يضعف على اقبال ويجوز
ان يكون حالا للمخاطبين وهم المؤمنون والزحف مصدر موصوف به كالعدل والرضى
ولذلك جمع والمعنى اذا صادفتموهم لهم للقتال فلا تهربوا ومعنى ولا تولوهم
الادبار اي لا تجعلوا الظهور لهم بما يليهم بعد انه تعالى لما نهى عن هذا الانهزام
بين ان هذا الانهزام محرم لا في حالين احدهما ان يكون متحرفا للقتال والمراد منه
انه يحمل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو احد ابواب خدع الحرب ومكايدها
يقال حرف واحرف اذا مال فرجعه الاستواء والباسه قوله او متحيزا الى فئة
قال ابو عبيدة التحيز التحيي وهو بعد ان التحيز والتحوز قال ابو اسحاق واصل هذا من
الحوز وهو الجمع يقال حزته فانحاز وتحوز وتحيز اذا انضم واجتمع ثم سمي التحيي
تحيزا لان المتحيي عن جانب منفصل عنه ويجتمع الى من ادا فرقة هذا قول اهل اللغة
الجماعة فاذا كان هذا المتحيي كالمنفرد وفي الاصل كان عرضة وعلى طول حال
المنفرد انه ان يتنقل من عجز فاذا كان يتحيز الى جمع كان ذا حيا الخلاص وطامعا في

في العدو الكثرة فربما وجب عليه التحيز الى هذه الفئة فصلا عن ان يكون
جايزا والحاصل ان الاجرام من العدو حرام الا في هاتين الحالتين
فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير المسئله
الثامنه احتج القاضي بهذه الاية على القطع بوعيد الفساق من اهل الصلوة و
لان الاية دلت على ان من ينهزم الا في هاتين الحالتين استوجب غضب الله ومأواه جهنم والله
وليس للرجيه ان يحملوا هذه الاية على الكفار دون اهل الصلوة كما صنعوه في سائر ايات الوعيد لان هذا
الوعيد مختص باهل الصلوة واعلم ان هذه المسئله قد ذكرناها على الاستقصاء في سورة البقرة
وذكرنا ان الاسئلة لاجل هذه الظواهر لا تعد الا الطعن وذكرنا انها انما معارضة
بعمومات الوعد وذكرنا ان الترجيح لخاص عمومات الوعد من الوجوه الكثيرة
فلا معاد لها في الاعادة والله اعلم المسئله الثالثة احتلفوا المفسرون في ان هذا الحكم
هل هو مختص يوم بدر او هو حاصل على الاطلاق فنقل عن ابي سعيد الخدري والحسن
وقتاده والضحاك ان هذا الحكم مختص بمن كان بهذه يوم بدر قالوا والاستثناء لاجتماع
يوم بدر بهذا الحكم امور احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا
يوم بدر ومع حضوره لا يعد عنه فاما لاجل انه لا ساوى سايرا لامة في امور
واعلامن الكل والما لاجل ان الله تعالى وعدهم النصر والظفر فلم يكن لهم التحيز الى فئة
اخرى وثانيها انه تعالى شدد الامر على اهل بدر لانه كان اول الجهاد
ولو التفت المسلمون الى الغنام فيه لزم منه الخلل العظيم فلهذا السبب منع الله في
ذلك اليوم من هذا القدر من الاسر والقتل وثالثها ان الحكم المذكور في هذه
الاية كان ثابتا في جميع الحروب بدليل ان قوله تعالى ايها الذين امنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا عام فتناول جميع الصور الا ما قضى ما في الاية انه يدل في واقعة
بدر ليكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب المسئله الرابعة احتلفوا في ان
جواز التحيز الى فئة هل يختص اذا كان العسكر عظيما فقال اما اذا كان في العسكر
خفة قال بعضهم اذا عظم العسكر فليس لهم هذا التحيز وقال بعضهم بل الكل
سواء وهذا الذي بالظاهر لانه لم يفصل قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم
وفيه مسائل المسئله الاولى قال الجاحظ احتلفوا في قوم بدر تعالى هذا انما

في اول الاخرة وقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم

لاي للدسا وقد يكون موجلا في الاجل
الفتل والاسر على ان دلك
الاخره ولدلك سماه ذوقا
سعر به حال الكثير
ر والعدل بالنسبة الى الامر العظم المعلوم
موصه وهو قوله تعالى
سعول ابن عبد ربي فطهري وسعي
يق وحاني معابر لدلي يوم الحساب
روا زحفا الى قوله وبئس المصير
اصل الزحف للصبي وهو ان يجر
فانعين الليل تذهب كل واحد
ويدا الى العنه الاخرى قيل للذاني
للشيء ومنه الزحاف في الشعر
لا الاخر اذا عرفت هذا
من احتمل نصب على الحال ويجوز
بدر موصوف به كالعدل والرضى
يهم يوا ومعقف ولا يولهم
حال الما هي عن هذا الا ينهزم
ون محرفا للقتال والمراد منه
يوا حدع الحرب ومكايدها
سه قوله او متحيزا الى فئة
ل ابو مسلم واصل هذا من
ي اذا انضم واجتمع ومنه سمي السجن
اذا عرفت هذا فقول العنه
الجماعة كثيرة وعلى هذا طول ذلك
كان ذا حبا الخلاص وطامعا في

قلت وقال الاخرانا قلت فاين الله تعالى هذه الآية يعني ان الكسب لم يحصل
وانما حصل المعجز الله روى انه لما طلعت قريش قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال خذ قبضة من التراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال تعالى اعطى
قبضة من التراب فان رميتها حصبا الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا اشتغل بعينه فانهزموا قالوا صاحب الكساف الغاني قوله فلم تقتلوهم حواب سر
تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت اذ رميت يعني ان القبضة من الحصبا التي رميتها
فانك ما رميتهم في الحقيقة لان رميك لا يبلغ ان يملا اعين الجماعة كثيرة من سائر البشر ولكن الله
رماها حيث وقع اثيرها الى التراب وايصالها الى عيونهم فصور الرمي صادرة من الرسول
عليه السلام وانها انما صدرت من الله تعالى فهذا المعنى صح منه النفي والاثبات
المسئلة الثانية اجمع اصحابنا على ان فعال العباد مخلوقة لله تعالى
وجه الاستدلال ان الله تعالى قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومن المعلوم انهم حرجوا لقتل
هذا على ان جميع تلك الافعال انما حصلت من الله تعالى وانما قوله وما رميت اذ رميت
اثبت كونه عليه السلام راميا ونفى عنه كونه راميا فوجب حمله على انه رماه كما
وان ما رماه خلقا فان ما فوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وصفه وجوه
الاول ان قتل الكفار انما يسمى بقتل الله ونصره وبايده فصح هذا الاضافة الثاني
اخرج كانهم واخراج الروح كان الى الله تعالى والتقدير فلم تميتوهم ولكن الله اماتهم
اما قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال القاضي فعل فيه اشياء منها ان الرامي
الواحد لا يوجد وصول التراب الى عيونهم وكان ايصالها جميع التراب الى عيونهم على الاتصال
الله تعالى ومنها ان التراب الى عيونهم ليس الا ايصال الله ومنها ان التراب
الذي رماه كان قليلا فمنع وصول قليل التراب الى عيون الكل فدل على ان الله تعالى هو الذي
ساير اجزاء التراب واوصلها الى عيونهم ومنها ان عند رمية النبي الله الرعب في قلوبهم
وكان المراد من قوله ولكن الله رمى هو ان الله تعالى ملأ قلوبهم بذلك الرعب وهذه
ان كل هذه وجوه عدول عن الظاهر والاصل في الكلام الحقيقة فان قالوا الدلائل
العقلية منعت من القول بان فعل العبد مخلوق الله تعالى فنقول شبهات

فان

فان الدلايل العقليه سمع من القول بان فعال العبد مخلوق لله تعالى فرضول
من جانبنا والبراهين العقليه قايمه على صحة دعوانا فلا علينا ان تعدلوا عن الظاهر الى المجاز والله اعلم
المسئلة الثالثه قرى والكل الدرى والكل الدرى بتخفيف لكن ورفع ما بعده المسئلة الرابعه فى سبب نزول الآيه
قول الاكثر المفسرين انها نزلت يوم بدر والمراد انه عليه السلام اخذ قبضة من الحصى
ورمى بها وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه وفمه شىء من تلك
الحصيات وكانت تلك الرمية سببا للهزيمه وفيه نزلت هذه الآيه والمراد انها نزلت يوم حنين
روى انه عليه السلام اخذ قوسا وهو على بغلته البيضاء ورمى بسهام فاقبل السهام حتى ملأ العين
الجفنين وهو على فرسه فانهزم الله ومازال منهزما ومتتابعا ومن الناس من قال انها نزلت
يوم احد وهو قول ابن عباس رضى الله عنه انى النبى عليه السلام بعظم رميم وقال يا محمد
من يحيى هذا وهى رميم فقال الله عليه السلام نعم يحييه الله ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار فانزل
الله هذه الآيه فلما اقبل رسول الله على قتلى بدر فلما اعلمها كل يوم فوقا من ذلك فاقبل
عليها فقال عليه السلام بل انا قتلتكم ايتها الله فاعرض له رجال من المسلمين فجعل
يقاتلهم فقال عليه السلام استاخروا ورماه بحفنة فملأ عين كل انسان من اصحابه فجعل الناس يفرون
فذلك قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والاصح ان هذه الآيه نزلت فى يوم بدر والاحتمال فى اسناد العصمه
كلام اجنبى عنها وقال لا يلتبس بل الاسعد ان يدخل تحته سائر الوقايع لان العبره
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اما قوله تعالى وليبلى المومنين منه بلاء حسنا
هذا معطوف على قوله وليغيظ الكافرين والمراد من هذا البلاء الانعام او يسمى عليهم بنعمه
عظيمه بالنصر والغنيمه والاجر والثواب قال القاضى ولولا ان المعتبرين اتفقوا
على حمل الملاهصا على النعمه والا كان يحتمل المحنه بالتكليف فيما يجب من الجهاد حتى يعاد
لان المراد جعله تعالى يوم بدر كالسبب فى حصول الخلف لما وقع عليهم فيما بعد خلال من الغزوات
فراده تعالى بختم هذا بقوله ان الله سميع عليم اى سميع لدعائكم عليم باحوالكم ولولم يرد هذا
بحرى مجرى التحذير والترهيب لئلا يعتمد العبد على ظواهر الامور ويعلم ان الله تعالى
مطلع على ما فى الضمايروالقلوب قوله تعالى ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين
قوله وان الله مع المومنين فى اكثر مسايل المسئله الاولى قرا نافع وابن كثير
وابو عمرو موهن بتشديد الهاء من الوهن كثيرا ما نصب وقرا حفص وعاصم موهن

ده الايه يعنى ان الكسر لم يحصل
س قال رسول الله صلى
لايها وفخرها بالدنيون رسول
كس الزراب فاخبرها فلما التقى الجمعان قال لهم اعطى
هاى وجوههم وقال شاهت الوجوه
ح الكساف الهاى قوله فلم يبق منهم حواس ولا يخلو
ى يعنى ان العصمة من الحصبا التى رمى بها
ا تعلقت فى سائر البر ولله على الله
وهم فصوب الرمى حتى صارت مثل الرسول
بعض صح فيه النفى والاثبات
تعالى العباد مخلوقه لله تعالى
له فيقدر ومن المعلوم انهم حرجوا لقد
وا انصافه ومازال مسافرا حتى
ا فوجعله على ان رماه حتى
م ولكن الله قتلهم وفيه وجوه
ح فصحت هذه الاضافه الى
ر ولم يقتلوهم ولكن الله اماتهم
اضى فى قوله اسنامها الى نفسه
احوا العراب الى نفوسهم لما ان العباد
صال الله وهى ان العراب
كل مرل على ان الله تعالى هم الميتا
سند رمته الى الله الرعب فى قلوبهم
الى محى قلوبهم بدلا للرعب امنا وجوابا
كلام الحقيقه فان قالوا الدلايل
ه تعالى فقول هيهات

فان

لبدا بالاضافه والباقون بالتخفيف كيد النصب ومسله قوله كاسفات ضنى بالسوء
وبالاضافه المسله الباسله الكلام فى دلهم ومحله من الاعراب
كما فى قوله دلهم فذوقوا المسله الرابعه قوله هى الله لبدهم باشيا
باطلاع المومنين على عوراتهم والقاء الرعب فى قلوبهم وبقربهم وبعض ما امروا فيه قال
ابن عباس مهى يسول الله ويقولان فدا وهب لبد عدول حتى قتلت خيارهم واسرت
اشرافهم اما قوله ان يستفتحوا فقد حاكم الفتح فيه قولان الاول وهو قول الحسن
وقتاده ومجاهد والسدى انه خطاب للكفار روى ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم انصر
افضل الدينين واحقه بالنصر وروى انه قال اللهم ايانا كان اقطع للرحم واتانا بما لا نعرفه
فاحنه الغداه وقال السدى ان المشركين لما اراد والخروج الى بدر اخذوا باستار الكعبه
قالوا اللهم انصر على احدى الجندين واهدى العسكرين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله
تعالى فيهم الايه والمعنى ان يستفتحوا ان يستنصروا واهدى العسكرين بعد
حاكم النصر وقال اخرون ان يستفتحوا فقد حاكم القضاء والقول الثانى انه خطاب
للمومنين روى انه عليه السلام راى المشركين وكثرتهم وعددهم استغاث
بالله وكان الله يجابه وطلب ما وعد الله به من احدى الطائفتين فقال تعالى ان
تطلبوا النصر على اعدائكم فقد جاءكم النصر الذى تقدم بها الوعد فقد
جاءكم الفتح الذى وعدتم فانتهوا عن ذكر الله والرسول واطاعته قال القاضى وهذا
القول اولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمومنين لانا لو حملنا الفتح على الحاكم
والحكم والفصل لم يمتنع ان يراد به الكفار واما قوله وان تنتهوا فهو خير لكم
فيتسير هذه الايه سريع على ما ذكرنا من ان قوله ان يستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب
للكفار او للمومنين على ما قلنا ان قوله ان تنتهوا عن قتال الرسول وعداوته وتكذيبه فهو خير لكم
اما فى الدين فبالخلاص عن العقاب والفوز بالثواب واما فى الدنيا فبالخلاص
من القتل والاسر والهزيمه فان وان يعودوا لعداوتك يعودوا الى العمل بعداوتك وتسليطه
عليكم فقد شاهدتم ذلك يوم بدر وعرفتم ما نصر الله المومنين ولن تغنى فئتكم شيئا
ولو كثرت عددكم ثم قال تعالى يوم بدر واما ان قلنا ان قوله ان تستفتحوا خطاب للمومنين كما ذكرنا وتلك

هذه

هذه الآية ان ينتهوا عن المنازعة في امر القتال والانفاق وينهوا عن طلب الفدا
على الاسير بعد ان وقع منهم نزاع يوم بدر في هذه الاشياء حتى عاتبهم الله تعالى
بقوله لولا امر من الله سبق وقال تعالى ان ينتهوا عن مثله فهو خير لهم وان يعودوا
الى مثل المنازعة بعد ان تبين لهم ان الوعد بالنصر لهم مشروط بشرط استمرارهم على الطاعة وترك
المخالفة لم يسلم العصمة والامن فان لا يكون الا مع المومنين الذين لا يرتكبون
الذنوب واعلم ان اكثر المفسرين حملوا قوله ان ينتهوا على ارتجاع الكفار
واحتجوا بقوله تعالى بعده وان يعودوا نقد مضوا ان ذلك لا يليق بالقتال
وهي قد سبق ان دل كتم اجله على ما ذكرناه من اقوال المومنين فسقط هذا الترجيح ⑤ واما
قوله وان الله مع المومنين فقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ان الله بفتح الف في
ان العالمة قوي بكسرها اما الفتح فعلى تعليل الامر وان الله مع المومنين وما هو معطوف
على قوله ان الله هو ولي محمد الكسائي وابو بكر على الاستيناف **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله الى قوله لا تعقلون وهم معرضون ① اعلم انه تعالى
لما حاطبهم اولا بقوله وان ينتهوا فهو خير لكم وان يعودوا نعد ولن تغني عنكم
فئتكم شيئا ولو كثرت عادوا نعد ثم قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه
وانتم تسمعون ولم يرد بهم اذا ان الكلام لم يزل الا الى هذا الموضع
فلما كان الخطاب في الجهاد على الكفار وانتم تسمعون دعاه الى الجهاد فان الجهاد اشتمل
على امور احدها ما يحتاج فيه الى المخالطة بالنفس والثاني الغور الى العدو والثالث مقاساة الخاطر بالنفس
شاقة شديدة على كل واحد وكان ترك القتال بعد القدرة على اعدائه شاقا شديدا لا جرم
بالغ الله تعالى في الامر بالقتال في هذا الباب فقال اطيعوا الله ورسوله في الجهاد وفي الاجابة
الى كل الاحوال اذا امر الله بشيء كان هو المقصود من ما ذكرناه في قوله تعالى قل الانفال لله والرسول
فان عمل بما قال والا تولوا عنه فجعل الطاعة واجبة مع انه تعالى جعل الله ورسوله
قال الله تعالى امر برضا الله وطاعة رسوله ثم قال ولا تولوا عنه فان المولى انما يصح
في حق الرسول ان ينهى عنه وفي قبول قوله وفي معونته في الجهاد ثم قال بعد كل ذلك
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون في المعنى الا ان لسان الحال يشبه ان يعمل
المكلف ولا يلزمه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ومنه

هل

قوله سمع الله لمن حمده والمعنى لم تكونوا كالذين يقولون بألسنتهم آنا قبلنا
تكاليف الله منهم انهم يعلمون انهم لا يقبلون وهو صفة المنافقين كما اخبر الله تعالى
عنهم بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم قال
تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون واختلفوا في الدواب
فقيل شبههم بالدواب لخلقهم وعدمهم عن الانتفاع بما يقولون وقيل لهم ولذلك
وصفهم بالصمم والبكم وبانهم لا يعقلون وقيل بل هم من الدواب لانه اسم لما يدب
على الارض ولم يدع في معرض التشبيه بل وصفهم بصفة لتنفيرهم على طريقة الذم كما
تعالى لا يعلم الكلام هو سمع وحسد وطال على جهة الذم تبرأ قال ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والمعنى ان كل ما كان حاصلا فانه يجب ان
يعلمه فعدم علم الله بوجوده يدل على انه لا وجود له وعدم حسن المخبر عن علمه في نفسه
بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل خير لهم لاسمعهم الله الحق والمواعظ سماع
تفهيم وتعليم ولو اسمعهم بعد ان علم انه لا خير فيهم لاستمروا على ما كانوا عليه ولتولوا وهم معرضون
قيل ان الكفار سألوا الرسول عليه السلام ان يحيي لهم قصي ابن كلاب وعدد من
اسوائهم ليخبرهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم منهم خيرا وهو اتباعهم لقول
هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم انهم
لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت ولو اسمعهم الله ذلك لهم
لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه وفي هذا دليل على ان المسألة الاولى
انه تعالى حكم عليهم بالتولي عن الدلائل والاعراض عن الحق فانهم لا يعلمونه
البتة ولا ينتفعون به البتة وقوله وحينئذ يكون صدور الايمان منهم
محالا لانه لو صدر الايمان لكان اما ان يصدر لذات الايمان مع تعاقب الحدث
صدقا او مع انعدامه كذبا والاول محال لان وجود الايمان مع ان الاصل عدم
الايمان يكون صدقا جمعا بين النقيضين وهو محال لاستمرار الزمان المتعاقب وهذه
القول في انعدام علم الله جهلا وتقولوا بسوء مزاج المسألة الثالثة القائلون بالطبع
علمه لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره واذا قلت لو جئتني اكرمتك
افاد انه ما حصل المجيء وما حصل الاكرام ومن المعتزلة من قال انه لا يعلم الا على الاستقبال

فاما الاسماع الاجل اسماع الغير فلا يفيد هذا اللفظ والدليل عليه الاية والخبر
اما الاية وهي هذه ونعرف ان الحلمة لو لو افادت ما ذكروه لكان قوله ولو
علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعصي انه تعالى ما علم فيهم خيرا وما اسمعهم ثم
قال ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فعلوم معناه انهما اسمعهم وانهم ما تولوا لكن علم الله من حيث
من الخبر فاول الكلام يعصي نفي الخير واخره يعصي حصول الشر وذلك مناقض فثبت ان
القول بان الحلمة لو يفيد اسماع الغير يوجب هذا التناقض فوجب القطع بانه لا يفيد واما
الخبر فقوله عليه السلام نعم الرجل صهيب لو خاف الله لم يعصه فلو كان الخوف يفيد
ما ذكروه لصار المعنى انه خاف الله وعصاه وذلك مناقض فثبت ان علمه لو لا يفيد
اسماع التي لا سماع عنه وانما يفيد مجرد الاستدلال واعلم ان هذا الدليل حسن
الا انه على خلاف قول جمهور الامة في المسئلة الثالثة اعلم ان معلومات الله تعالى
على اربعة اقسام احدها الموجودات والثاني جملة المعدومات والثالث ان
كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله والرابع ان كل واحد من
المعدومات لو كان موجودا فكيف يكون حاله والقسمان الاولان علم بالواقع والقسمان
الثانيان علم بالمقدر الذي هو غير واقع وقول ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم من
القسم الثاني وهو العلم بالمقدرات فالبس من اقسام العلم بالواقعات ونظير قوله
تعالى احظه عن المنافقين لو خرجتم فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا ضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة
قوله لم يسمعكم وقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا ينصرون فعلم تعالى في المعدومين انه لو كان موجودا كيف يكون حاله
والتقدير قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالمعنى في المعدومين انه لو كان موجودا كيف يكون حاله
حكم بغير ما يكون حاله **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا
دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ❁ في الاية مسائل
المسئلة الاولى قال ابو مسلم والحاج استجيبوا معناه اسمعوا واسرعوا
حول العتوى ❁ ولم يسمه عبد الله ❁ المسئلة الثانية
اكثر العلماء على ان ظاهر الامر للوجوب وتمسكوا بهذه الاية على ما هو مذهب من وجهين
الاول ان كل من امر الله بفعل فقد دعاه الى ذلك الفعل وهذه الاية تدل على انه

لايدس الاجابه فى كل ما دعاه الله فاقول قوله استجيبوا
لله امر فلم ابه يدل على الوجوب وهل البراع الافيه فنرجع حاصل
الحاذع الى اثبات ان الامر للوجوب بنا على ان هذا الامر يفيد الوجوب وهو يعصى ايسات السنى نفسه
والجواب ان من المعلوم بالضرورة ان كل ما امر الله به وهو مرغب فيه مندوب
اليه فلو حملنا قوله استجيبوا لله وللرسول على المعنى كان جاريا
مجرى ايضاح الواضحات وانه عيث فوجب حمله على فائدة زائدة وهو الوجوب صونا
لهذا النص عن التعطيل وبناء على هذا ان قوله تعالى يعلم ان الله
يحول بين المرء وقلبه وانه اليه يحشرون اخبار مجرى التهديد والوعيد ولذلك لا
يليق الا بالاحاد الوجوه الباقى فى الاستدلال بهذه الاية على ثبوت
هذا المطلوب ما روى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على بابى لهب
فناداه وهو فى الصلاة فلم يجبه فلما انصرف قال ما منعك عن اجابتى فقال كنت اصلى فقال الم تعلم
الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول فقال لا جرم لا ادعونى الا اجبتنى
والاستدلال بهذا الخبر على ما قلنا من وجوه الاول ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاه فلم يجبه لامه على ترك الاجابة
وتمسك فى تقرير هذا اللزوم بهذه الاية فلولا دلالة هذه الاية على الوجوب والا لما
صح دلالة الاستدلال بها وهو ان من يقول مسئلة ان الامر هل يفيد الوجوب مسئلة
قطعية ولا يجوز التمسك بها فى الاحكام الواجبة لان الضعف لا يليق بالقطعى
ونحن نسلم ان مسئلة
الامر يفيد الوجوب مسئلة قطعية لكن هى عندنا مسئلة ظنية لان المقصود منها
العمل والدليل الظنى كاف فى المطالب العملية فان قالوا ان الله تعالى ما امرنا
بالاجابة على الاطلاق بل بشرط خاص وهو قوله اذا دعاكم لما يحييكم فلم قلتم ان هذا
الشرط حاصل فى جميع الاوامر قلنا هذا ما ذكره ابن الحاجب يدل على ان هذا الحكم
عام وعلى هذا الشرط معنى والضابط فيه ان كل ما هو سبب لحصول الحياة
لان احياء الحى محال فوجب حمله على امر اخر وهو الفوز بالثواب وكل ما دعى الله اليه
ورغب فيه فهو مشتمل على ثواب وكان هذا الحكم عاما فى جميع الاوامر وطلب
تعميم المطلوب المسئلة الثالثة ذكروا فى قوله اذا دعاكم لما يحييكم وجوها
قال السدى هو الايمان والاسلام فيه احياء لان الايمان خير من العدم والكفر موته

ويدل عليه قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قيل المؤمن من
الكافر الثاني قال قتادة يعني القرآن اي احيوه الى ما في القرآن فقد احيوه
والجهاد والعصمة وانما سمي القرآن يحيوه لان القرآن يستلزم العلم والعلم يستلزم
حياة فحاران سمي سبب الحياة يحيوه الثالث قال الاكثرون المراد الجهاد يحيوه الاول
وهي احدى العددين حيوه للعدد الثاني فامر المسلمين اما بقوى وبعظم سبب
الجهاد مع الكفار وثانيها ان الجهاد سبب لحصول الشهادة وهي توجب الحياة الدائمة
قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
وقالت ان الجهاد قد يسمى بالعمل والعمل يوصل الى الدار الاخرة والدار
الاخرة معدن الحياة قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحياة الدائمة
والقول الرابع لما يحييكم اي يكمل حقوقه وواجباته وعلى هذا التقدير فقد دخل فيه القرآن
والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد من قوله لما يحييكم الحياة
الطيبة الدائمة كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة فلسلة الرابعة
قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يحتمل ان يحتمل العالم
بمجي الخبر والتقدير اعلموا العاقلون بالخبر معاملوا لما اجرى حكايته عن بعض احوال العجائب
يحول الله بين المرء والكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته والسعيد من سعد الله
والشقي من اضله الله والعقول سد الله تعالى لكم عقلا شاذا اراد الكافر ان يؤمن
والله تعالى لا يريد ايمانه يحول بينه وبين قلبه واذا اراد المؤمن ان يكفر والله
لا يريد كفره حال بينه وبين قلبه قال مولانا العلامة خاتم المحققين
قد دللنا بالبراهين القطعية على ان الشرك لله ودلالة ان الاحوال القلبية
اما العقائد واما الارادات والدواعي اما العقائد فهي اما العلم واما
الجهل اما العلم فيمتنع ان يقصد العالم الى تحصيله الا اذا علم كونه علما وليس العلم
ذلك الا اذا علم كونه دالا على معقوده مطابقا للمعلوم ولا يعلم دلالة الا اذا اسس علمه
بالمعلوم ودال يوصلونا الى علم نفسه واما الجهل فالانسان ليس له الامكان والارادة
الا اذا طن ان دالا لا معقود علم والا فحصل هذا الظن لا يستوجب جهل احد دلالة الصانع توجب
توقفا اسي على نفسه واما الدواعي والارادات فحصولها ان لم يكن لعاقل يلزم الكفر

لا عن محدث وان كان الفاعل فعل الفاعل اما العبد واما الله تعالى والاول
باطل والا لزم القصد على قصد اخر وهو محال فتعين ان يكون فاعل
الاعتقادات والارادات هو الله فنص القرآن على ان احوال القلوب من الله تعالى بالدلائل
العقلية دلت على ان مذهب اهل الحق هو الذي ذهبوا اليه القائلون بالقدر فقالوا لا يجوز ان
يكون المراد من هذه الآية ما ذكرتم وما شابهه من وجوه الاول قال الجبائي ان من
حال الله بينه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز سقط لو جاز ذلك لجاز ان يأمر الله
بصعود السماء وقد اجمعوا على ان الزمن لا يؤمر بالصلاة فاما ما علم انه يكون فقد دل على
ان الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال في المطاهر فمن لم يستطع فالطعام
ستين مسكينا فاسقط فرض الصوم عمن لا يستطيعه الوجه الثالث
ان الله تعالى امر بالاستجابة لله وللرسول وذكر هذا الكلام في معرض الزجر
والتحذير عن ترك الاجابة ولو كان المراد ما ذكروه لكان هذا امرا قويا في ترك
الاجابة فلا يكون زجرا عن ترك الاجابة الوجه الرابع ان الله تعالى امر القرآن
ليكون حجة للرسول على الكفار لا ليكون حجة الكفار على الرسول ولو كان
المعنى ما ذكرتم لصارت هذه الآية اقوى الدلائل للكفار على الرسول ولعلموا
ان الله تعالى لما منعنا من الايمان بعد ما امرنا به فقد بطل هذا الوجه لانه لا يمكن
حمل الآية على ما قاله اهل الحق قالوا ويدل عليه في الآية وجوه الاول
ان الله تعالى يحول بين المرء وبين الاستماع بعد ان سمع الموت يعني ان الكفار
بادروا الى الاستجابة قبل الموت لعلمهم بالجهاد وعند قبل ان يأتيكم الموت الذي لا بد
منه ويحول بينكم وبين الطاعة والتوبة قال العاصي والله تعالى
عصمه ما يدل عليه وهو قوله وانكم اليه تحشرون والمقصود من هذه الآية
الحث على الطاعة قبل نزول الموت الذي يمنع منها الوجه الثاني في الجواب انه
تعالى يحول بين المرء وهو ما يتمناه ويريد بقلبه قال الاخطل يحول دون الباطل
وكأنه يقول بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على ما تسمعون فلو لم
من موقع طول التفاوت للدعي يتوقع به واعلم حسن الطائي لعوط العلب
على الهجاني ايحاصله في العلسان لسمعه للشي باسم طرفه جابر كعوثم سال الوادي

الذين ظلموا خاصة والمراد منه المبالغة في عدم الاختصاص على سبيل الاستعارة ثم قال
واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة خوفا من
عقاب الله قال وهل حصل الجزم في الآية بان الله تعالى يحوجهم من عذاب لو نزل لعم المذنب
وغيره وكيف يليق برحمة الرحيم الحكيم ان يوصل الفتنة والعذاب الى من لم يذنب قلت
انه تعالى قدر الموت والعمى والزمانة بعضه ابتداء اما لانه يحسن منه تعالى
ذلك لحكم لا يعلمها او لانه تعالى علم استمرار المكلف على نوع من انواع القبائح
على اختلاف المذهبين واذا جاز ذلك لاحدهما جاز للوجهين فلهذا ذكرناه هنا

قوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان
يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون
اعلم ان الله تعالى لما امرهم بطاعة الله وطاعة رسوله ثم امرهم بالتقوى المعصية
اكد ذلك الامر بتكليف آخر وهو ذكر الآلاء لانه تعالى بين انهم كانوا قبل ظهور الرسول
في غاية القلة والذلة وبعد ظهوره صاروا في غاية العز والرفعة وذلك يوجب
عليهم الطاعة وترك المخالفة فاما بيان الاحوال التي كانوا عليها قبل ظهور محمد
فمن وجوه الاول انهم كانوا قليلين في العدد وبانهم كانوا
مستضعفين والمراد ان غيرهم يستضعفهم والمراد من هذا الاستضعاف
ما كانوا يخافون ان يتخطفهم العرب لانهم كانوا يخافون مكر العرب
لقوتهم منهم وشدة عداوتهم لهم ثم بين تعالى انهم بعد ان كانوا بحيث لكثرة تلك
الاحوال بالسعادات والخيرات فاولها انه اذاهم والمراد منه الله تعالى بضمهم
الى المدينة مصاقبا امنين من شر الكفار وبانها قوله وايدكم بنصره
والمراد منه وجوه النصر في يوم بدر والثالث قوله ورزقكم من الطيبات وهو انه
تعالى احل لهم الغنائم بعد ان كانت محرمة على من كان قبل هذه الامة ثم قال
لعلكم تشكرون اي بعلم من السبب الى الرجاء ومن الرجاء الى القطع والا لاجل ان تشكروا
بالتذكر والطاعة وليغلب ظنكم ان استعلوا بالمبارزة والمخاصمة لسبب
الاموال **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم ○ واعلم انه

تعالى لما ذكر انه رزقهم من الطيبات نهاهم عن الخيانة وفي الآية مسائل

المسئلة الاولى اختلفوا في المراد بسلك الخيانة على أقوال قال ابن عباس نزلت
هذه الآية في ابي لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قريظة لما حاصرهم
فقال اهله وولده فعلوا واما ترى لنا ان ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار
ابو لبابة الى حلقه اي انه الذبح فلا تفعلوا وكان ذلك خيانة لله ورسوله الثاني
قال السدي كانوا سمعون النبي من النبي عليه وسلم يفشونه ويلقونه الى
المشركين فعاتبهم الله من ذلك وقال الزجاج نهاهم الله ان يخونوا فيما صح
المنافقون به ظهور الايمان وسروا الكفر الرابع عن جابر بن عبد الله ان ابا
سفيان خرج من مكة حتى اتى النبي عليه السلام في بيته وعرض على الدخول اليه
فكتب رجل من المنافقين الا ان محمدا يريدكم فمن واجدكم فليضرب عنقه فكتب الذي
لحاطب فقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل
مكة لما عزم النبي صلى الله عليه وسلم على فتح مكة حكاه الاصم السادس قال الاصم
الغابي اذا قرب اوجبانه الله عن خيانة رسوله وخيانة الرسول عن خيانة الامانة
لان العطف يقتضي المغايرة اذا عرفت هذا فقوله انه تعالى امرهم
ان لا يخونوا العامة وجعل الخيانة خيانة الله خيانة الامانة لان العطف
يقتضي المغايرة اذا عرفت هذا فقول انه تعالى خص خيانة الرسول لان الصبيه
قد جعلها الله امانة في ايدي العالمين والظاهر ان الناس لا يتساهلون لانفسهم فيها شيئا
فصارت وديعة والوديعة امانة فيد المودع فمن خان منهم فيها فقد خان امانة
الناس اما الخيانة في هذا الامانة فلا يحتمل ان يريد بالامانة كل ما يتعبد به وعلى
هذا التقدير يدخل فيه العبادة وغيرها فكان معنى الآية لا تخونوا الله في الواجبات
باسرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص ولا اخلال واما الوجه الذي لاجله
في سبيله دون الآية فهي داخلة فيها لكن لما خص قصر الخيانة عليها لان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف ومعنى
الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انقصه حقه اسعمل
في ضد الامانة الوفاء الاهل اذا خان الرجل في شيء قد عهد عليه النقصان المسئلة الثالثة
في قوله وتخونوا اماناتكم وجوه التقدير ولا تخونوا اماناتكم والدليل عليه

الاول

ناس على سبيل الاستعارة ثم قال
على لزوم الاستقامة خوفا عن
نحوهم من عذاب لو نزل العم المذنب
تنه والعذاب الى من لم يذنب قلت
تدا اما الآية تحتمل ما تقدم
ل على نوع من انواع العلاج
حص وعدد ذلك هنا
تعثون في الارض تخافون ان
من الطيبات لعلكم تشكرون
ه رسوله ثم امرهم بانتفاء المعصية
ين انهم كانوا مثل ذلك فقال الرسول
ه العهد والرفعة ود لذلك يجب
تى كانوا عليها فصل ذلك بقوله
عدد وبانهم انهم كانوا
والمراد من هذا الاستضعاف
م كانوا يخافون مشركي العرب
ذا ان كانوا يحذرون الكفار تلك
والمراد منه ان الله تعالى يعلمهم
ما قوله وانكم بصدد
له وورثكم من الكفار فهو انه
فعل هذه الاشياء ثم قال
ن الله الى النعماء والا لا يحق يسلبوا
بالمبارعة والمخاصة بسبب
وا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
والله عنده اجر عظيم ثم اعلم انه

ما روى في حرف عبد الله ولا تخونوا امانتكم الى السادس ولا تخونوا
الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم امانتكم والعرب قد تذكر الجواب
تارة بالفاء واخرى بالواو وبعضهم ينكر ذلك واما قوله تعالى وانتم تعلمون فمعناه وانتم من اولوا العلم
انكم تخونون يعني ان الخيانة توصد منكم عن تعمد لا عن سهو وانتم عالمون علما
حسن الحسن وقبح القبيح اعلم ان الداعي الى الاقدام على الخيانة هو حب
الاموال والاولاد ثم ان الله تعالى انما حث على العاقل ان يحترز عن الضرر المتولد من ذلك
الحب فقال انما اموالكم واولادكم فتنة لانها تشغل القلب بالدنيا وتصرفه عما هو
خير منها في الآخرة وقال ابن عباس رضي الله عنه اجر عظيم تنبيها على ان سعادات الآخرة
خير من سعادات الدنيا لانها اعظم في الشرف واعظم في الهول والمدة لانها
تنقطع لا نهاية لها هذا هو المراد من وصف الله الآجر الذي عنده بالعظم
ويمكن ان يتمسك بهذه الآية في بيان ان الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال
بالنوافل افضل بالنكاح لان الاشتغال بالنوافل يفيد الاجر العظيم عند الله
والاشتغال بالنكاح يفيد الولد ويفيد الحاجة الى المال ودفع الفتنة ومعلوم
ان ما افضى الى الاجر العظيم عند الله هو خير مما افضى الى الفتنة **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم
والله ذو الفضل العظيم ● واعلم انه تعالى لما حذر عن الفتنة بالاموال والاولاد
ورغب في التقوى الذي يوجب ترك الميل والهوى في محبة الاموال والاولاد وفي الآية
مسائل المسئلة الاولى تقابل ان يقول ادخال الشرط في الحكم اعني حسن وحق
من كان حاصلا بعد ما امر وندب الله تعالى بالجواب ان قوله
ان كان كذا لا يفيد الا بشرط مسلما الجواب فاما ان وقوع الشرط مشكوك
او معلوم فذلك غير مستفاد من هذا اللفظ سلمنا انه يفيد هذا المعنى لكنا نقول
تعالى يعامل العباد في اجراء معاملة الشاك وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولنبلونكم حتى
نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين المسئلة الثانية هذه الفضيلة مشروطة
بشيء واحد وهو تقوى الله ودل سائر الادلة على ان جميع الكبائر يزول عقابها باجتناب
الكبائر لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم

محملنا التقوى على تقوى الكبائر وحملنا السيئات على الصغائر ليطابق الوعد الوعيد من الشرط والجزا
واما الحق المرتب على هذا الشرط فامور بلفظه الاول قوله عز اسمه نكفر عنكم سيئاتكم والعرب
تعبر عن عدمهم ومن الكفار وحصول هذا الغفران اما ان يعتبر في احوال الدنيا او في احوال
العامة اما في احوال الدنيا فاما ان يعتبر في احوال القلوب وهي الاحوال الباطنة او في
الاحوال الظاهرة اما في احوال القلوب فامور احدها انه يحصل المومن الهداية
والمعرفة وبالجملة ان يحصل قلوبهم وصدورهم الانشراح كما قال افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه وثانيها انه يزول الغل والحقد والحسد عن قلوبهم
ويزيل الكبر والخداع عن صدورهم مع ان المنافق والكافر يكون قلبه مملوا من هذه
الاحوال الخسيسة والاخلاق الدميمة والسبب في حصول هذه الامور ان العلم اذا صار
مشرقا باطاعة الله تعالى زال عنه كل ظلمات الجهل عرفه الله نور وهذه الاخلاق ظلمات
واذا ظهر النور فلا بد من زوال الظلمة واما في الاحوال الظاهرة فان الله تعالى يحصل المومنين
العلو والفتح والظفر والنصر كما قال ولله العزة ولرسوله وللمومنين وكما قال ليظهره
على الدين كله ولو كره الكافرون وامر الكافرين فيها بالعكس من ذلك واما في
احوال الاخرة فالثواب والمنافع الدائمة والتنعيم من الله ومن الملائكة وكل هذه
الاحوال داخلة في الغفران والنوع الثاني من الامور المرتبة على التقوى قوله
ونكفر عنكم سيئاتكم يقول ان حملنا قوله ان تتقوا الله على الاحتراز عن الكفر
كان المراد بقوله ونكفر عنكم سيئاتكم جميع السيئات التي وجدت قبل الكفر وان
حملناه على الاحتراز من الكبائر كان المراد من هذا التكفير الصغائر والنوع الثالث
قوله ويغفر لكم واعلم ان المراد من تكفير السيئات سترها في الدنيا والمغفرة
ازالتها في العاقبة ليلائم الكرم ثم قال والله ذو الفضل العظيم ومن كان
كذلك فانه يزيد على ما يستحق به وانما قلنا ان افضال الله اعظم من افضال غيره لوجوه
الاول ان داعي كل ما سوى الحق سبحانه وتعالى لا يحصل الا اذا كان في فعله
داعية الانتفاع والاحسان وذلك الداعية عند ذلك لا يحصل الا بخلق الله تعالى وعند
هذا سكتنا ان المحصل ليس الا الله تعالى الذي خلق ذلك الداعية الموجب للفعل

المال او دار يعصل فاما يتفضل السيد عبده نوعا من انواع العمال اما عوضا في المال
او عوضا في المدح او الثنا او عوضا من نوع اخر وهو دفع الالم الحاصل في القلب
بسبب الرقة الجنسية والله تعالى يعلم ويتعصل ولا يلزمه شيا من الاعراض
لانه كامل لذاته وما كان حاصلا للغير لذاته امتنع ان يستفيد من غيره
الثالث ان قول من يعصل على الغير فان المتعصل عليه يصير ممنونا منه ذليلا للمتفضل
وذلك منفر الما الحق سبحانه وتعالى فهو الموجد لذاته كل احد وجميع صفاته فلا يحصل
الاستكاف من قبول احسانه الرابع ان كل من يتفضل على غيره فانه لا يسمع
المتعصل عليه كل المتعصل اذا دعته له عنى ناصره وان يسامعه ومعونته حتى
يسمع بذلك الاحسان وعند هذا ظهر ان المتفضل هو الله تعالى وفي الحقيقة
ثبت بهذه البراهين صحة قوله والله ذو الفضل العظيم **قوله تعالى** واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله
خير الماكرين اعلم انه تعالى لما ذكر المومنين نعمه عليهم بقوله واذكروا
اذ انتم قليل ذكر رسوله بنعمه عليه وهو دفع كيد المشركين ومكرهم عنه
وهذه السورة مدنية قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين ان مشركي
قريش تعاهدوا في دار الندوة فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وذكر انه من اهل
نجد فقال لبعضهم فيم تشاورتم يا معشر المشيخة فقال ابليس لا مصلحة فيه
لانه يخشى ان قوم فيسفك فيه الدما وقال بعضهم اخرجوه عنكم لعمري لحسن
اذا اخذ لكم فقال ابليس لا مصلحة فيه لانه سيجمع طائفة على نفسه ويقاتلكم بهم وقال
ابو جهل الراي ان يجتمع من كل قبيلة رجل فيضربونه باسيافهم ضربة واحدة
فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل ولا تقوى بنو هاشم على محاربة قريش كلها
فيرضون بالدية فقال ابليس هذا هو الراي الصواب فاوحى الله تعالى الى نبيه
بذلك واذن له في الخروج الى المدينة وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة
وامر عليا ان يبيت في مضجعه وقال انه سيرد اليّ وديعتي فانه لا يصل اليه امر يكرهه
وباتوا منتظرين متى يثب عليه فيقتلوه فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله
سعيهم وقوله ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك وقتادة وكل من شد فقد

تحدى العرب بالمعارضه فلم يتواصاوا هذا الشان الى انه اتى سلك المعارضه وذلك بوجب
سقوط الدليل المعول عليه والجواب ان كلمة لو تفيد انتفاء الشي لانتفاء غيره فقولنا
لو شاء لعلمنا مثل هذا يدل على انه ما شاء ذلك القول وما قال ان القرآن الخ فانه
ما اتى بالمعارضه وانما اخبر انه لو شاء ها لاتى بها وهذا ضعيف لان المقصود انما حصل
لو اتوا بالمعارضه اما مجرد هذا القول فلا فائدة فيه والشبهة الثانية لهم قولهم
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم حكاه الله عن الكفار وهذا كلام
وهو من جملة نظم القرآن فقد جعلتم المعارضة في هذا القدر واصاحكم عنهم انهم
قالوا في يوسف بني اسرائيل انهم قالوا لن نؤمن لاخ حتى نجد لباس الاذخر يوسفا وذلك
ايضا كلام الكفار فقد حصل من كلامهم ما شبه نظم القرآن ومعارضته وذلك
يدل على حصول المعارضة الثالثة ان كفار قريش كانوا معترفين بوجود الاله
وقدرته وحكمته وكانوا قد سمعوا التهديد الكثير من محمد عليه السلام في نزول
العذاب فلو كان نزول القرآن معجزا لعرفوا كونه معجزا لانهم ارباب الفصاحة
والبلاغة ولو عرفوا ذلك لكان اقل الاحوال ان يقصدوا سائر في نبي محمد عليه السلام
ولو كانوا كذلك لبادروا الى قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء لان الموقف السائل لا يحاسر على مثل هذه المبالغة وحيث
انوا بهذه المبالغة علمنا انه ما لاح لهم في القرآن وجه من وجوه المعجزة والجواب
عن الاول ان اكثر هذا القدر من الكلام لا معنى له في حصول المعارضة لان هذا
المقدار كلام قليل لا يظهر فيه وجوه الفصاحة والبلاغة وهذا الجواب لا يمشي
الا اذا ملأ المتحدي ما وقع به التحدي وانما وقع التحدي بالسور الطويلة التي يظهر
فيها وجوه الكلام والجواب عن الثاني هب انه لم يظهر لهم الوجه في كون القرآن
معجزا الا انه لما كان معجزا في نفسه صح ورود الدلالة عليه اولم يعرفوا
فانه لا يتفاوت الحال في هذه المسئلة الثالثة قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من

عندك

عدل قال الرجاج القراء مصالحين على الجر كان وجه الكلام هو المنصل ولا يوضع لها

فان فيهم امانا من الله تعالى والاستغفار اما النبي صلى الله عليه وسلم واما الاستغفار فهو باق
الى يوم القيمة ثم قال تعالى وما لهم ان لا يعذبهم الله واعلم ان قوله تعالى لهم له الابد الاول انه لا
يعذبهم ما دام الرسول فيهم وذكر في هذا الابد انه تعالى لم يعذبهم وكان المعنى انه تعالى لا يعذبهم
اذا خرج الرسول من بينهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقال بعضهم لحقهم هذا العذاب
المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة وقال ابن عباس هذا العذاب هو عذاب الآخرة
والعذاب الذي نفى عنهم هو عذاب الدنيا ثم بين تعالى ما لاجله لا يعذبهم فقال وهم يصدون
عن المسجد الحرام وقد طعن في الاخبار بحيث يصدوا عنها عام الحديبية وفيه على انهم
اولياؤه ثم بين بطلان هذه الدعوى بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون الذين
يحترزون عن المنكرات كالذي كانوا يفعلون عند البيت وهذا السبب كالعلة وما
كان صلوتهم عند البيت الا مكا وتصديه المقصود بيان ان من كان هذا حاله
لم يكن وليا للمسجد الحرام وهم اذ اهلوا ان يعلوا بالسيف وحاربوا فعذبهم الله يوم بدر
واعلم ان الاستدلال بهذه الآية على ما تقدم ترجمه قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت
الا مكا وتصديه ثم قال تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اعلم انه تعالى لما قال
في حق الكفار انهم ما كانوا اولياء البيت الحرام قال ان اولياؤه الا المتقون بين بعد
ما انه يجوز ان يكونوا اولياء البيت وهو ان يصلوا عند البيت ويعمروه وعبادتهم
انما كان بالمكا والتصدية فاصل المكاء الصفير قال الليث المكاء فعال يوزن الصفاء والدعاء
من مكا يمكو اذا صفر والمكا الصفير ومنه المكاء وهو طائر يالف الماء ويجمع
المكا كي سمي بذلك لكثرة مكائه واما التصدية فهي المصدر بمعنى الصدى يقال صدى يصدى
لصدية اذا اصفق يديه وفي اصله قولان الاول انها من الصدى وهو الصوت الذي يرجع
من الجبل اليك قال ابو مسلم اصلها تصددة فابدلت الياء من الدال ومنه قوله اذا قومك
منه يصدون اي يعرضون وانكر بعضهم هذا الكلام وقال الزهري صح قول ابي عبيد وقال
صدى اصله صدد وكثر في الدلالات فقلت احدى الياءات اذا عرفت هذا فنقول قال ابن عباس
كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كانوا يعارضون
النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوات ويستهزؤون به ويصفرون ويخلطون عليه صلوته
وقال مقاتل كان اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد تقوموا عن يمينه

وشماله

ولسانه بالصفير والتصفيق ليخلطوا عليه صلاته تعالى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية
نوع عبادة لهم وعلى قول مجاهد وغيره كان ابدا المشي عليه السلام والاول اقرب لقوله تعالى
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فان صلاتهم ماهية من جنس
الصلاة فلم يجز اسنادها الى الصلوة فلما فيه وجوه الاول انهم سموا العبادة
المكاء والتصدية من جنس الصلاة فخرج هذا الاستثناء على حسب معتقدهم الثاني ان
هذا كقولك لمن دفن الامر فعل فلان سلة اى اقام الخافي مقام المصلة ولذي هنا
الثالث العرب منه ان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له كما تقول العرب
ما للعلان عمل الا التحابب فمن كان السحاب عمله فلا عمل له ثم قال تعالى فذوقوا
اى عذاب السيف يوم بدر وقيل لهم في الاخرة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الى قوله اولئك هم
الخاسرون ● واعلم انه تعالى لما شرح احوال الكفار هو لاء الكفار في الطاعات
البدنية اتبعها بشرح احوالهم في الطاعات المالية قال مقاتل والكلبي نزلت في
المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من كبار قريش وقال السدي وعكرمة ومجاهد
نزلت في ابي سفيان وانفاقه المال على حرب محمد يوم احد وكان قد استاجر الفين من
الاحابيش سوى من استجاش من العرب واستعد لهم اربعين اوقية والاوقية اربعون مثقالا فهكذا قاله صاحب الكشاف ثم من تعالى انهم انما ينفقون هذا المال ليصدوا
عن سبيل الله اى كان عزمهم في الانفاق ليصدوا عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن
ذلك مقصودهم لانهم لم يستفتوهم بل كانوا يعلمون حسن امره في نفسه ولكنهم
عاندوه الحسرة لتذهب المال ولا تحصل المقصود ثم بين ان مصيرهم الى ان يكونوا
مغلوبين فقال والذين كفروا الى جهنم يحشرون وقد بينا ان اولئك
اذا دخل على الجمع يحشرون لانه كان منهم من اسلم فلا جرم ان الذين ثبتوا على الكفر
يحشرون الى النار والظاهر قوله ان جهنم يحشرون يفيد انه لا يقول حشرهم
الا الى جهنم لان تقديم الخبر يفيد الحصر واعلم ان المقصود من هذا الكلام
انهم لا يستفيدون من بذل اموالهم في تلك الانفاقات الا الحسرة والخيبة في الدنيا والعذاب
الشديد في الاخرة وقد تقدم وجه الرحم العظيم في تلك الانفاقات وقوله الحمد لله الحسن الطيب

ليميز الخبيث بعضه على بعض ويضم الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين ويجعل الخبيث
لخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا وهو عبارة عن تراكم الصم حتى تراكموا
كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم او لكل اساءه الى الفريق
الخبيث من الكافر بعضه والقول الثاني المراد بالخبيث هو الكافر وعلى عداوة محمد عليه السلام
والطيب بعضه المؤمن في حق الكفار كلهم فابو بكر وعثمان في نصرة الرسول فيضم
تعالى كل الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه في جهنم وبعدهم بها كقوله تعالى
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم والام في قوله ليميز الله الخبيث متعلق بالقول الاول
متعلق بمحذوف وفي المعنى ليميز الله الفريق الخبيث من الفريق الطيب
وعلى القول الثاني متعلق بقوله ثم يكون عليهم حسرة ثم قال اولئك هم الخاسرون
وهو اشارة الى الذين كفروا **قوله تعالى** قل للذين كفروا ان ينتهوا عن كفرهم
ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين ○ واعلم انه تعالى لما بين حال الكفار في
عداوتهم الدينة وعباداتهم المالية ارشدهم الى طريق الصواب فقال قل للذين كفروا
وفيه مسائل المسئلة الاولى قال اصحاب الكسائي قل للذين كفروا اي قل لاصلب
هذا القول وهو ان ينتهوا يغفر لكم وقرا ابن مسعود هكذا المسئلة الثانية
المعنى ان يهود بني قريظة والكفار ان ينتهوا عن الكفر وعداوة الرسول ويطلوا في الاسلام
والهجرة يستأنف الله عفوا لهم ما قد سلف من كفرهم وعداوتهم الرسول وان
عادوا اليه واصروا عليه فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاقت بهم مكروهم
يوم بدر الثالثة في قد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على اسلافهم من الامم قد مروا
فلتقوا مثل ذلك لم ينتهوا المسئلة الثالثة معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر
واسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وان مضت سنة الاولين وهي قوله
كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون المسئلة الرابعة اختلف العلماء في ان توبة
الزنديق هل تقبل ام لا والصحيح انها مقبولة لوجوب الاول من الاية قال
قوله قل للذين كفروا عام والجمع في قوله الكفر وقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف فان قيل الزنديق لا يعلم من حاله انه متى انتهى من زندقته لم يعلم
قلنا احكام الشرع مبنية على الظواهر كما قال عليه السلام نحن نحكم
بالظاهر

بالطاهر فلما رجع رجعوا قوله فيه الثاني لا سبيل له بحكم الاجماع ولا طريق له السبيل
الاول التوبة معلوم بعقلا لزم تكليف ما لا يطاق الثالث قوله تعالى هو الذي
يقبل التوبة عن عباده وعفوا عن السيات المسئلة الرابعة اجمع اصحابنا ابي
حنيفة رحمه الله على ان الكفار لو اسلموا بعاطين بغروج على الشرايع قالوا لانهم لو
كانوا مخاطبين بها مع الكفر فالامر بها باطل بالاجماع والتالي باطل لان هذا الامر دال
على المؤمن الكافر بعد الاسلام لا يوجب شيئا مما مر عليه في زمان الكفر واجاب
قضاء تلك العبادات ما في ظاهر الآية المسئلة الخامسة اجمع ابو حنيفة
رضي الله عنه بهذه الآية على ان المرتد اذا اسلم لا يلزمه قضاء العبادات التي تركها
في حال الردة وتمسكها وجه الدلالة ظاهر المسئلة السادسة الاسلام يحب ما قبله
واذا اسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وما كان له
من حياة على نفس او مال فهو معفو عنه وهو ساعة اسلامه فيعوم ولد زنا اسلم
وقال يحيى بن معاذ الرازي في هذه الآية ان توحيد ساعة يكفر سبعين سنة
وتوحيد سبعين سنة لا يبقى على هدم ساعة **قوله تعالى** وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان
تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير اعلم انه تعالى لما بين ان حال الكفار
ان انتهوا عن كفرهم حصل لهم المغفرة وان عادوا فانهم موعودون بسيرة الاولين
امته بان امرهم بالقتال اذا اصروا وامتنعوا وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال
عروة ابن الزبير كان المؤمنون يفتنون عن دينهم في بداية الدعوة فاما المسلم
يعذبهم واما رسول الله ان يخرجوا من الحبشة وعنه نابه وهي انه لما بالغ الكفار
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العقبة وامرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن
عن دينهم فاما ان المؤمن يعذب بعذاب هو المراد من الفتنة فامر الله تعالى
بقتالهم بعضا لهم حتى يزول هذه الفتنة وجه اخر وهو ان ما يلقاه الناس في
صفح اديانهم اشد من ما يصيبهم في ديارهم واموالهم فالكفار ابدا يسعون باعظم
وجوه السعي في ايذاء المؤمنين وفي القاء الشبهات في قلوبهم وفي تقاعدهم عن وجوه المحبة
والمنفعة فاذا وقع المقاتلة وزال الكفر وظهر الاسلام زالت تلك الاحوال الفتن
بالكلية قال القاضي انه تعالى امر بقتالهم من اجل العلة التي هي اوجب قتالهم حتى لا
تكون فتنة ويخلص الدين الذي هو دين الله من سائر الاديان فاما لحصول المقصود

اذا زال الكفر بالكلية اذا عرفت هذا فنقول اما ان يكون المراد من
الآية وقاتلوهم لاجل ان يحصل هذا المعنى او يكون المراد وقاتلوهم لغرض ان يحصل لهم هذا
المعنى فان كان المراد من الآية هو الاول وجب ان يحصل هذا المعنى من كل الوجوه
فوجب ان يكون المراد ويكون الدين كله لله في ارض مكة وسائر البلاد
هذا المقصود حاصل هكذا قال عليه السلام لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ولا يحمل
حمله على جميع البلاد اذ لو كان مراده ما بقي الكفر فيها مع حصول العمال الذي
امر الله به واما ان كان المراد من الآية هو الثاني وهو قوله فالملوهم لغرض
ان يكون الدين كله لله فعلى هذا التقدير لم يجمع حمله على ازالة الكفر
عن جميع العالم لانه ليس كلما كان غرضا للانسان فانه يحصل فكان المراد
الامر بالعمال لحصول هذا الغرض سواء حصل في نفس الامر او لم يحصل ثم قال
فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير والمعنى فان انتهوا عن الكفر وسائر المعاصي
والتوبة والايمان فان الله بما يعملون عالم لا يخفى عليه فيوصل اليهم ثوابهم وان
تولوا يعني عن التوبة والايمان فاعلموا ان الله مولاكم اي وليكم الذي يحفظكم
ويدفع البلاء عنكم ثم بين انه تعالى نعم المولى ونعم النصير وعلل من كان
في حمايته هذا القول وفي ضمانه وكفايته كان امنا من الآفات مصونا عن المخافات

قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى
الآية اعلم انه تعالى لما امر بالمقاتلة في قوله وقاتلوهم وكان من
المعلوم ان بعد المقاتلة قد يحصل الغنيمة ولا جرم دل الله تعالى حكم الغنيمة
وفي الآية مسائل

المسألة الاولى الغنم الفوز بالشيء يقال غنم يغنم غنما
وهو عام والغنيمة والمغرم ما دخلت في ايدي المسلمين من اموال المشركين
على سبيل القهر بالحمل والركاب

المسألة الثانية قال صاحب الكشاف
ما في قوله ما غنمتم موصولة ومن شيء لبيان ما يعني من اي شيء كان حتى الخيط
والمخيط وان الله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه
وروى الضحاك عن ابن عمر فان لله بالكسر بعد ان قال في قراءة الضحاك فلله خمسه
والمشهور اكد والسلام للاختصاص كانه قيل فلله من بين الخمس فيه ولا يستبعد
الى الاصلاح به وقال لانه اذا اضاف الخمس واجتمل وجوها اخر ه من المصارف يجعل

نايرة اخر

ما بقي واحد حتى لا يلزم كان اصوب كما حياه بن انس على واحد وروى حمسته بالسلوب المسلمة
الثالثة وفي نسخة قسمة الغنائم على ان صنف الآية يعطى ان وجد خمسها
وفي كسيفة قسمة ذلك الخمس وان احدهما وهو المشهور ان ذلك الخمس يوزع
احدهما وهو المشهور ان ذلك الخمس عمن سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم
لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روى عن عثمان
وجبير رضي الله عنهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك من بني هاشم لا ننكر فضلهم لموضعك
منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم منزلة واحدة فقال
عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء
واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم للسامى والمساكين وابن السبيل واما بعد وفاة
الرسول فعند الشافعي انها تقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الدروع والسلاح
وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للمصالح
للملائة وهم السامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو حنيفة ان بعد وفاة الرسول عليه
السلام سهمه ساقط بسبب موته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فقط
اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياءهم فيقسم على السامى والمساكين وابن السبيل
وقال مالك الامر مفوض الى اجتهاد الامام فله ذلك واعلم ان ظاهر الآية مطابق لقول
الشافعي وصريح فيه ولا يكون العدول عنه الا لدليل منفصل اقوى وكيف
وقال تعالى في آخر الآية ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم امنتم بالله فاعلموا هذه
القسمة وهو مدل على انه متى لم يحصل العلم بهذه القسمة لم يحصل الايمان بالله والقول
الثاني وهو قول ابي العالية ان خمس الغنيمة يقسم على ستة اقسام واحد منها
لله وواحد منها لرسول الله والثالث لذوي القربى والرابع لليتامى والخامس للمساكين
وابن السبيل والدليل عليه انه تعالى جعل خمس الغنيمة لله ثم للمصالح والخمس
هم العاملون بهذا القول منهم من قال يصرف سهم الله الى رسول الله ومنهم من قال يصرف الى عمارة
الكعبة وقال بعضهم انه عليه السلام كان يصرف سهمه في هذا الخمس فاقتضى عليه
بان جعله للمصالح وهو الذي سمي لله والعاملون بالقول الاول احتاطوا فجعله

غايته واجبر

بان قوله يده الملك ومنه اثبات نصيب لله فان اشتاكها ملك الله وانما المقصود منه
افتتاح الكلام بذكر الله على سبيل التعظيم كما في قوله قل الانفال لله والرسول واصح
التعليل على صحة هذا القول ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لهم في غنائم
خيبر مالي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وقوله ما لي الا الخمس يدل
على ان سهم الله وسهم الرسول واحد والاصار سهمه السدس فالخمس اذا قسم على
خمسة اسهم يكون للرسول صار سهمه اربعة من الخمس وهذا هو الكلام في قسمة خمس الغنيمة
واما الباقي وهو اربعة اخماس الغنيمة فهي للغانمين لانهم الذين حازوها واحتووا
عليها بخيلهم الا ما لا بد للناس والطبرا لاصطياد والعنها استنبطوا من
هذه الاية مسايل كلها مذكورة في كتب الفقه المسئلة الرابعة دلت الاية
على ان يجوز قسمة الغنائم في دار الحرب كما هو قول الشافعي والدليل ان قوله
فان لله خمسه وللرسول لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل يقتضي ان
الملك هو لا في الغنيمة واذا حصل الملك لهم فيه وجب جواز القسمة لانه لا معنى
للقسمة على هذا التقدير الا صرف الملك الى المالك وذلك جايز بالاتفاق المسئلة
الخامسة اختلفوا في ذوي القربى من هم بنو هاشم وقال الشافعي
رضي الله عنه هم بنو هاشم وبنو المطلب واحتج بالخبر الذي رويناه وقال ابو
علي وعقيل وابن عباس وولد الطبري انه بنو المطلب وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه
المسئلة السادسة حكى صاحب الكشاف عن الحسن البصري انه قال
بدر وقال الواقدي دار الخمس في عمره بضعا وعشرين بعد بدر بشهر وقتله امام المتصر
من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ثم قال تعالى ان كنتم امنتم بالله والمعنى
ان خمس الغنيمة مصروف الى هذه الوجوه الخمسة فاقطعوا اطماعكم واقنعوا بالاخماس
الاربعة ان كنتم امنتم بالله ثم ان لم تمتثلوا بالله والمراد على عبدنا يوم الفرقان يوم
بدر والمعنى ان يعلم من المسلمين والكافرين والمراد منه ما انزلنا عليه من الايات
والنصر في ذلك اليوم والله على كل شئ قدير على ان يقدر على نصركم وانتم قليلون ذليلون

قوله تعالى اذا انتم بالعدوة الدنيا منهم العدوة القصوى الى قوله وان الله سميع عليم

وفي الاية مسايل المسئلة الاولى في قوله اذا انتم بالعدوة الدنيا قولان احدهما

هلك عن بينة اشارة الى هذا المعنى وهو ان الذين هلكوا انما هلكوا بعد مشاهدة
هذه المعجزة والمؤمنون الذين بقوا في الحياة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة والمراد
من البينة هذه المعجزة القاهرة المسئلة الثانية اللام في قوله ليقضي الله امرا
وفي قوله ليهلك من هلك عن بينة لام العرض وظاهره يقتضي تعليل افعال الله واحكامه
بالاغراض والمصالح الا انا نصرف هذا الكلام عن ظاهره بالدلايل العقلية المشهورة
المسئلة الثالثة قوله ليهلك من هلك عن بينة ظاهره يقتضي انه تعالى اراد من
الكل العلم والمعرفة والصلاح والخير وقد دللنا بغير قول اصحابنا انه تعالى
اراد الكفر من الكافر لكنا نذكر هذا الظاهر بالدلايل المعلومة ٥ المسئلة
الرابعة قوله وبحيى من حي عن بينة قرا نافع وابو بكر عن عاصم والبزي عن
ابن كثير وقنبل عن ابن عباس من حي بالظهار الباقون وابو عمرو وابن كثير في رواية
القواس وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي بامتداده على الادغام واما
الادغام فللزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى ردوا له في المصحف مكتوب بياء
واحدة واما الاظهار فلامتناع الادغام في مضارعه من يحيى فجرى على مشاكلته
واجاز بعض الكوفيين الادغام بحيى بهذا الله تعالى ختم الاية بقوله وان
الله لسميع عليم اي يسمع دعاءكم ويعلم حاجتكم وضعفكم فاصلح بينكم
قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم
ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ٥ واعلم ان هذا هو
النوع الثاني من النعم التي انعم الله بها على اهل بدر وهو مسلسل المسئلة
الاولى اذ يريكهم الله منصوب باضمار اذكر وهو قول اكثر المفسرين يوم الفرقان
او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح ويعلمهم في اعينهم ٥ المسئلة
الثانية قال بعضهم هذا راى الله النبي عليه السلام كعادة فرئيت في منامه
قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رويا النبي حق القوم قليل فصار ذلك سببا
لجراءتهم وقوتهم عليهم قال وهذا رديء العليل كثيرا على ان فيه نحو من
الله تعالى ان يفعل ذلك بل الحامد هنا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وانما العلة تعالى الله عنها البعض دون البعض فحكم الرسول عليه السلام على اولئك الذين

فصبر ذكر شبهاتهم ثم قال والى الله ترجع الامور والغرض منه التسلية
على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منه ما يصلح ان يكون
زادا لليوم المعاد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا الاية
والله بما تعملون محيط ● اعلم انه تعالى لما ذكر انواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين
يوم بدر علمهم ايام اذا التقوا فيه وبين انحاءه من المحاربين نوع من الادب الاول
الثبات وهو ان يوطنوا انفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي والثاني ان
يكثروا الله كثيرا وفي تفسير هذا الذكر قولان احدهما ان يعلموا
يعلموهم ذاكرون الله وما انتم ذاكرين الله تعالى قال ابن عباس اذكروا الله
في شدائدكم الهم سها على ان الانسان لا يجوز ان يحلوا قلبه وانسانه عن ذكر الله
ولو ان رجلا اقبل من المشرق الى المغرب وشق الصوان سخاء وابرز من المغرب
الى المشرق ثم ضرب بسيفه في سبيل الله كان الذاكر الله اعظم اجرا والقول
الثاني ان المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر لان ذلك لا يحصل الا بمعونة الله
تعالى يقوي قال تعالى لعلكم تفلحون وذلك لان معاملة ان كفار ان
كانت لاجل طاعة الله تعالى فهي الجهاد بالمعنى بذل الروح في طلب مرضاة الله
وهذا هو اعظم مقامات العبودية فاز بالثواب والعصمة
وان صار مغلوبا فاز بالشهادة والدرجات العالية اما ان كانت المعاملة
لله بل لاجل الثناء في الدنيا وطلب المال لم يفرح لك وسيلة الى الفلاح فان
قيل فهذا الامر يوجب الثبات على كل حال وهذا يوهم انها ناسخة لاية التحرف
والتحيز قلنا هذه الاية لا توجب الثبات في الجملة والمراد من الثبات الجد
في المحاربة وآلة التحرف والتحيز لا يقدح في حصول الثبات في المحاربة كل كان
الثبات في هذا المقصود لا يحصل الا بالتحرف والتحيز قال تعالى
من بعد الذل واطيعوا الله ورسوله فيما امرا به لان الجبان لا ينفع الجمع النفس
لسماع الطاعات وقوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وفيه
مسائل المسئلة الاولى من تعالى ان النزاع يوجب امرين احدهما انه يوجب
حصول الفشل والضعف والثاني قوله وتذهب ريحكم وفيه قولان الاول المراد بالريح

الدولة شبهت الدولة بالريح وقد تعاد هذا وتشبه بالريح وهبوبها تقبل هبت رياح فلان
اذا اقبلت الدولة وتغدا من الغاني اعلم لي قط نصر الخريجي سعيها الله تعالى في الكدية
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والقول الاول اقوى لانه تعالى جعل ريحا عليهم
موثرا في ذهاب الريح ومعلوم ان احلافهم لا موثر في هبوب الصبا قال مجاهد
وتذهب ريحكم اي نصركم وذهبت ريح اصحاب محمد حين نازعوه يوم احد ◉
المسئلة الباشة احتج بعضهم العباس بهذه الآية فقالوا العقود بالعباس
يفضي الى المنازعة والمنازعة محرمة فهذه الجملة توجب ان يكون العمل بالعباس حراما
بيان الملازمة ان المتعاقدين فانا نرى ان الدنيا صارت مملوة من الاختلافات بسبب
العباسات وبيان ان المنازعات قد تكون محرمة بقوله ولا تنازعوا فتفشلوا وايضا
العقلاء يقولون ان الصلح عقد يحصل به العباس يمسكوا عن الايذاء وقالوا قوله
واطيعوا الله ورسوله صريح في وجوب طاعة الله ورسوله في كل ما امر عليهم اتباعه
بالقال ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ومعلوم ان من يمسك بالعباس
المحمض للنص فقد ترك طاعة الله وطاعة رسوله ويمسك بالعباس المبيح للسارع
والغش وكل ذلك حرام وصنفوا العباس انواعا من الحيل بانه لم يكن عباس
فانه يوجب المنازعة وقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين والمقصود
ان تحمل امر الجهاد على الصبر وامرتم بالصبر كما قال تعالى في اية اخرى اصبروا
وصابروا ورابطوا ومنى الله تعالى مع الصابرين ولا شبهة ان المراد بهذه المعية المعونة
ثم قال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورياء الناس ويصدون عن
سبيل الله قال المفسرون المراد قريش حين خرجوا من مكة لحفظ العير فلما وردوا الجحفة
بعث ابو سفيان الى قريش وكان قد نجا بالعير فلما اتاه كتابه وان ابا سفيان قد نجا
بعيره فارجعوا فكتب اليه ابو جهل لا والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنشرب فيها
الخمور وتعزف علينا القيان بدر اموسم من مواسم العرب وسوق من اسواقها حتى يسمع العرب

بهذه الواقعة قال المفسرون فوردوا بدرا وسقوا كونس المسايا مكان الحمر وباتت
وعليهم الخوارج مكان العيدان واعلم انه تعالى وصفهم بثلاثة اشياء الاول البطر الطغيان
في النعمة والتحقيق ان العلم اذا كثرت من الله تعالى فذاك هو الشكر واما ان
توسل بها الى المفاخرة واما ان يتوسل بها الى على الاقران والمكاثرة على اهل الايمان
فذاك هو البطر والثاني قوله ورياء الناس والرياء عبارة عن القصد الى اظهار الجميل مع
ان باطنه يكون مملوا من الغدر والمكر بينه وبين النفاق ان النفاق اظهار الايمان
مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية او ان رسول الله
عليه وسلم لما راهم في موقف بدر قال اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلن تعبد
فبيك ومحاربة رسولك والثالث قوله ويصدون عن سبيل الله والمراد كونهم مانعين
من قبول دين محمد عليه السلام واعلم ان قوله بطرا ورئاء الناس مصدر وقوله
ويصدون عن سبيل الله فعل مضارع وعطف الفعل على الاسم غير حسن وهذا الواحدي
نبه بلا نزاع على وجه الاول ان يكون قوله ويصدون بمعنى وصادين والثاني ان يكون
قوله بطرا ورئاء الناس حالا على تاويل بطرين مرائين ويكون قوله ويصدون بمعنى
وصادين والثالث ان يكون قوله بطرا ورئاء بمنزلة بطرين ومراءين قال
مولانا رضي الله عنه ان سائر هذه الوجوه لم تشف الغليل لحصول ان تعلم الاسم مقام
الفعل وان تعلم الفعل مقام الاسم ليصح له كون الكلمة معطوفة على جنسها
وكان من الواجب ان يذكر السبب الذي لاجله عدل عن الاول بالمصدر وعن الثالث
بالفعل فالذي عندي ان الشيء عند الظاهر الخارجي اذا كان الاسم يدل على
الممكن والاستقرار والفعل على التجدد قال ومنه قوله في الاسم قوله تعالى
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ودليل العضي كونه دالا على الحالة باسطة ذراعيه
ومثاله في الفعل قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض فدل الفعل على
ان الله تعالى يرسل المطر في اليوم ساعة فساعة هذا ما ذكره الشيخ عند الظاهر اداء في
هذا المقام واما ان الجهل وربط وشيعه كانوا يحولون على البطر والمفاخرة
والتجبر واما صدهم عن سبيل الله فانما يحصل في الزمان الذي ادعى محمد عليه السلام
النبوة وهذا السبب ذكر البطر والرياء بصيغة الاسم وذكر الصد عن سبيل الله بصيغة الفعل

والله اعلم وحاصل الكلام انه تعالى امرهم عند لقاء العدو بالثبات والاستعانة بذكر الله تعالى ومنعهم من ان يكون الحامل لهم على ذلك الثبات النظر الى الناس او الحسد عليهم بان يكون الحامل لهم عليه طلب عبودية الله وطلب مرضاته والحامل المؤمن من هذا الاستعانة بالحق وامرهم بالعناد في طريق عبودية الله مع المعصية مع الانكسار اقرب الى الاخلاص من الطاعة مع الافتخار ثم ختم هذه الآية بقوله والله بما تعملون محيط والمقصود ان الانسان ربما اظهر من نفسه ان الحامل له والداعي الى الفعل المخصوص هو طلب مرضاة الله مع انه لا يكون عالما بذلك لدقة الخفية من كمائن القلب فقال تعالى كونه عالما بها فيه اعظم الزواجر عن الرياء والتصنع

قوله تعالى ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الى قوله ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

واعلم ان هذا من جملة النعم التي خص الله اهل بدر بها وفيه مسائل

المسألة الاولى

ان العامل اذا ذمه وحمق فقال بعد ان اذكر ان زين وفعل هو عطف على ما تعلم من بدل المعنى وتقدير واذ مكروا واذ زين لهم وقيل هو عطف على قوله خرجوا بطرا ورئاء الناس وتقدير لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس اذ زين لهم الشيطان اعمالهم المسألة الثانية في كيفية هذا التزيين وجهان الاول ان الشيطان يتصور من صور الحيوانات في صورة انسان وهو قول الحسن والاصم والثاني انه يظهر في صورة الانسان قالوا ان المشركين حين ارادوا المسير الى بدر خافوا من بني بكر بن كنانة لانهم كانوا قد اغاروا منهم واحدا فلما سمعوا ان الذي جاءهم من قبل بني بكر رأوا الشيطان تصور لهم بصورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو من بني مدلج بن كنانة وكان من اشرافهم في جند من الشياطين ومعه راية وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما رأى الملائكة تنصر على عدو الله ونكص على عقبه وقال اني ارى ما لا ترون وذهب في صدر الحرث وابن ربيعة وفي هذه القصة سؤالات

السؤال الاول ما العامل في اذ زين وصورة الكلام ان سراقة والشيطان لم يقولا ذلك

والجواب انه محرف عظيم للرسول عليه السلام وللاسلام وكيف يقر الشيطان على ان يقول انه جار لهؤلاء المشركين فقالوا لهم الناس سراقة فقال تعالى حكاية عنه انه قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فعند ذلك علموا ان ذلك الصوت انما كان صوت الشيطان

...س المسايا مكان الخبيث ونا...
...ذا سببا الاول البطر الطعام...
...ذا ك هو السكر واما ان...
...ار والمكاسرة على اهل الايمان...
...ي العصد الى الاظهار الخبيث مع...
...ق ان النفاق اظهار الايمان...
...ي المعصية او ذا امر صلى الله...
...قبلت لنخرها وتخيلا بها المعارضة...
...الله والمراد كونهم مانعين...
...راورئا الناس مصدر وقوله...
...سم عرجون وهو الواحد...
...سي وصادين والباقي ان يكون...
...عون قوله ويصدون بمعنى...
...سطرون ومراؤن فان...
...خليل لجعله مانعا لعتم الاسم مقام...
...كله معطوفة على جنسها...
...لين بالمصدر وعن الثاني...
...ح كرار الاسم يدل على...
...الله في الاسم قوله تعالى...
...ن يدل الخالق باسمه واسجه...
...لسماوات الارض وقد يدل على...
...ي للشخص عند العاهر اداء...
...يحولين على البطر والمفاخرة...
...والذي ادعى محمد عليه السلام...
...ذا الصدد عن رسل الله صلى الله عليه...

فان قيل فاذا حضر الناس محاربة المؤمنين ومعلوم انه في غاية العون فلم لم يحضروا حضور
المسلمين قلنا لانه راى في مجلس المسلمين جبريل مع العشر الملائكة فلهذا السبب
حاف وحضر فان قيل لعلى هذا الطريق وجب ان يحضر جميع جيوش المسلمين لانه يشبه
بصوت البشر وحضور بعض جمع الكفار دونهم جموع المسلمين واذا لم يقدر عليه فكيف
اصعتم الله هذا العلم في واقعة بدر الجواب لعله تعالى انما غير صورته الى صوت البشر
في تلك الواقعة دون سائر الوقايع ولا نعلم دليل البتة السؤال الثاني انه تعالى
لما غير صورته الى صورة البشر فما نفى شيطانا بل نفى شرا الجواب ان الانسان ايضا
كان انسانا محضا بعينه الطاعة وليس الشيطان مخالفا لصوت البشر فلم يلزم من تغير
الصوت تغير المصوت وهذا الباب احد الدلائل السمعية على ان الانسان ليس بجسم بنية
الطاعن وصورته المحسوسة السؤال الثالث ما معنى قول الشيطان اني اخاف الله رب
العالمين من الناس وما الفائدة في هذا الكلام مع انهم كانوا كثيرين عالمين الجواب انهم وان
كانوا كثيرين في العدد الا انهم كانوا اساهرون قتلة محمد عليه السلام كل يوم في
الترقي والتزايد لان محمدا كل ما اخرعنه معدد ومعه ركانوا هذا السبب اخاف من يوم محمد
عليه السلام فذكر الناس هذا الكلام ازالة للخوف عن قلوبهم ويحتمل ان يكون المراد
انه كان يوهمهم من تكثير نفسه حضورا وقد تصور بصوت بعضهم وقال
اني جار لكم فلم يعلم احد من الناس ومعنى جار هاهنا الدافع عن صاحبه الواقع الضرر
كما يدفع الجار عن جاره والعرب تقول اجارك الله من فلان اي حافظك الله من معرته فالاصل الملك
منه محروم ثم قال تعالى فلما تراءت الفئتان اي التقى الجمعان يحتمل ان يكون راجعا الى
الكلام على نفسه والتلوص الى احجام عن الشيء والمعنى رجع وقال اني ارى ما لا ترون وفيه
وجوه الاول انه اوحى الى قراى الملائكة يحافهم فسل يا جبريل سيفي من غمدي
في النبي صلى الله عليه وسلم وصار راى العاص الملائكة مردفين النبي صلى الله عليه وسلم
اثر النصر والظفر وحول النبي صلى الله عليه وسلم فعلم انه لو وقف لعرف عليه بنية
فقال اني اخاف الله والله شديد العقاب وقيل اراد اني ارى ما لا ترون وكذب في
قوله اني اخاف الله وقيل لما راى جبريل خافه وقيل لما راى الملائكة نزلوا من
السماء

المسئلة الرابعة الملائكة رفعها الفعل واضربوا حال من هم ويجوز ان يكون في قوله
ضمير الله تعالى والملائكة مرفوع بالابتداء واضربوا خبر المسئلة الخامسة
هذا الوجه معنى سوق الذين كفروا يتصورون ارواحهم على اسوء حالها وهذا يدل
على ان الانسان شيء مغاير لهذا الجسد وانه هو الروح فقط لان قوله سوق الذين
كفروا يدل على انهم استوفوا الذات الكافرة وذلك يدل على ان الذات الكافرة
هي التي استوفت من هذا الجسد وعلى هذا فالضمير في قوله "مغايرة"
لهذا الجسد وقوله يضربون وجوههم وادبارهم قال ابن عباس كان المشركون اذا
اقبلوا وجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلا
جرم قال الله تعالى في وقت نزع الروح قال مولانا رضي الله عنه فيه معنى اخر الطف
منه وهو ان روح الكافر اذا خرج من جسده فهو معرض عن عالم الدنيا مقبل على
الاخرة وهو لا يعرف من لا يشاهد في عالم الاخرة الا الظلمات وهو لشدة حبه للجسمانيات
ومعارفه لها لا يمال من مباعدته الا الام الخراب بسبب مفارقته لعالم الدنيا الا الام
وبسبب اقباله الى الاخرة مع عدم النور والمعرفة ينتقل من ظلمات الى ظلمات فهاتان
الجهتان هما المراد من قوله يضربون وجوههم وادبارهم ثم قال تعالى وذوقوا عذاب
الحريق وفيه اضمار والمقدر وتقول لهم ذوقوا عذاب الحريق مطلقا في القرآن كثير
قال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اي وهو يقولان
ربنا تقبل منا وكذا قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
ربنا ابصرنا وسمعنا اي يقولون ربنا قال ابن عباس ومع الملائكة لهم دروا عذاب
الحريق اما صح لانه كان مع الملائكة مقامع فلما ضربوا التهب النار في الاجزاء
والانبعاث يدل قوله وذوقوا عذاب الحريق على الواحد والصحيح ان هذا من قول
الملائكة لهم في الحشر قال مولانا رضي الله عنه اما العذاب الجسماني
فحق صدق واما الروحاني فحق وايضا الدلالة للمعتزلة عليه ودلالة اهل السنة ان الحاصل
اذا فارق الدنيا حصل له الخزي الشديد بسبب تراكم الظلمات انه لم في عالم الطرف
والخوف كلاهما موجبان للخزي فالروح اذا به الروح قال الله تعالى ولو ترى اذ
يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وقال قبل هذا اخبارا عن قول الملائكة وفيه مسائل المسئلة الاولى

قال الواحدي

قال الواحدي يجوز ان يعالج الله عبدا من غير ما قدمتايديكم ويجوز ان يكون جزاء وافق العمل
دلت هذه الآية على ان لم يعاقبكم بما قدمتايديكم المسئلة الثانية المراد من قوله فجزاؤه
هو عذاب جهنم حصل بسبب ما قدمتايديكم وذكرنا في قوله الم ذلك الكتاب ان هذا يدل
المسئلة الثالثة ظاهر قوله بما قدمتايديكم يقتضي ان عمل هذا العمل هو المؤثر
ودل ذلك على امور من وجوه الاول ان هذا العذاب انما وصل اليهم بسبب كفرهم فمحل الكفر
هو العلة الثاني ان العلة لما كانت هي المعرفة والعلم فلا وجه البتة لتخلف
عليها فلم يمكن انفصال العذاب عنها ووجب حمل اليد ههنا على القدرة وسبب حسن هذا
المجاز ان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فحسن جعل اليد كناية عن القدرة
واعلم ان التحقيق ان الانسان جوهر واحد وهو الفعال وهو المدرك وهو المؤمن
وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصي وهذه الاعضاء آلات له وادوات له في الفعال
فلهذا السبب صح اضافة الفعل في الظاهر الى الآلة وهو في الحقيقة مضاف الى جوهر ذات الانسان
المسئلة الرابعة قوله ذلك بما قدمتايديكم يقتضي ان ذلك العقاب كان لاجل المولد من
الفعل الذي صدر عنه وقد بينا ان العقاب انما يحسن على المعاقبة الباطلة التي يختص بها
الانسان دون الملائكة التي يختص بها الانسان فكان هذا الكلام ايضا مبطلا لقول المعتزلة في قولهم
ان الله تعالى لو عذب الكافر لكان ظالما للعبد وفيه مسائل
المسئلة الاولى في محل ان وجهان الاول انه نصب على اسقاط حرف الخافض يعني ان الله ليس
بظلام للعبيد لان جعلتان في محل رفع جعلتا في موضع رفع ايضا يعني ذلك بان الله ليس
بظلام والكسائي ولو شرت الفعل على الابتداء كان صوابا وعلى هذا التقدير يكون هذا
كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله المسئلة الثانية قال المعتزلة لو كان
تعالى يخلق الكفر في الكافر ثم يعذبه عليه لم يكن عادلا وانما دل بما قدمتايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد على انه تعالى انما عذبهم لاجل ما صدر عنهم من الكفر والمعاصي
أما لو كان هو الذي خلق فيهم الكفر ثم عذبهم عليه لكان ظالما في هذا العذاب بل لو كان الموجد للكفر والمعصية هو العبد لوجب
ان يكون الله ظالما في تعذيب العبد على كفره تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والجواب
منه ان الظالم كان في التصرف في ملك غيره والله تعالى خالق العالم فكيف يكون ظالما
واعلم ان هذه المسئلة قد سبق ذكرها

قال الواحدي

على الاستقصاء في سورة آل عمران والانفال والاعادة **قوله تعالى** كدأب آل فرعون
والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب الى قوله وكل
كانوا ظالمين ففيه وجوه **المسألة** الاولى انه تعالى لما بين ما انزله باهل
بدر من الكفار عاجلا واجلا فسر ذلك اسعة ان من اصر على طريقته وسيرته
في الكفر فعال عذاب آل فرعون والمعنى عادته هو لاء في كفرهم كعادة آل فرعون
في كفرهم فجوزي هو لاء بالقتل والسبي كما جوزوا ولذلك لا غرابة والدأب
في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا اي يداوم عليه ويواظب وتعب دأبه
ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يدوم على عادته ويواظب عليها ثم قال تعالى
ان الله قوي شديد العقاب والغرض منه البسه على انهم عذبوا بمثل ما عذب به
من العقاب العاجل بمجرد كفرهم بما يجري مجرى العلة في العقاب الذي نزل بهم فعال ذلك
بان الله لم يكن مغيرا انعمه انعم على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وفيه مسائل
المسألة الاولى قوله لم يكن اكثر النحويين يقولون انما حذف النون لانه تشبه
العين المحضة اذا شبعت حركة اللين وقعت طرفا فحذفت تشبيها لها كما تقول
لم يدع ولم يرم وقال الواحدي وهذا ساقط يقولهم لم ينز ولم يحن ولم يسع
حذف النون ههنا واجب على قياس عليه ان كان وكون لم الا فعال
من اجل ان كل فعل بعد حصل فيه معنى كان يقولها ضرب معناه كان
ضربا ويضرب يكون ضربا وهذا بعد القول في الفعل فسبحان من هذه الكلمة ام
الافعال فاصبحت الاستعمال في اكثر الاوقات فاحتملت هذا الحذف
بخلاف قولهم لم يجز ولم يزن فانه لا حاجة الى ذكرها كثيرا فظهر الفرق **المسألة** الثانية
قال القاضي معنى الآية ان الله تعالى انعم عليهم بالفضل والعدل
وازاله الموانع وسهل السبل والمقصود ان يستعملوا النعماء والآلاء
ويتعدلوا عن الكفر فاذا صرفوا هذه الامور الى الكفر والفسق فقد غيروا
نعم الله على انفسهم ولاجرم استحقوا بمثل النعم بالنقم والمنح بالمحن قال وهذا
من اوكد ما يدل على انه تعالى لا يريد الا حسنا لا العذاب والمضرة وان كل ذي يفعله
لا يكون الا جزاء على معاصي سلفت فلو كان تعالى خلقهم وخلق حسابهم وعقوبتهم
لكان

ابتداء للنار كما يقوله القوم لما صح ذلك قال اصحابنا ظاهر الآية مشعر بما قاله القاضي
الامام الا انا لو حملنا الآية عليه لزم ان يكون ضعف الله تعالى معللا بفعل الانسان
وذلك لان حكم الله بذلك العذاب وارادته لذلك لا تحصل الا عند ما يأتي الانسان بذلك الفعل
فلو لم تحصل عند ذلك الفعل لم تحصل لله تعالى ذلك الحكم وذلك الارادة فحينئذ يكون
فعل الانسان موثرا فيما وذلك محال في بديهة العقل فبيانه لا يمكن حمل الاعلام
على ظاهرها لان الحق ان ضعف الله غالبا على سائر المخلوقات فلو لا ضعفه وقصاوره
اولا واولا لما امكن للعبد ان يأتي بشيء من الافعال والاقوال المسئلة الثالثة
انه تعالى ذكر في اخرى قوله تعالى كدأب ال فرعون وفيه وجوه الاول
ان العلام الثاني يجري مجرى التفصيل للعلام الاول لان العلام الاول فيه
ذكر احدهم وفي الثاني ذكر غيرهم وذلك يدل على التفصيل والثاني انه اريد بالاول
ما نزل بهم من الخسوفة في حال الموت وبالثاني ما نزل بهم في القبر والاخرة ان قيل
ان العلام الاول هو قوله كفروا بايات الله فالعلام الثاني هو قوله
بايات ربهم فالاول اشارة الى انهم انكروا دلائل التوحيد والثاني اشارة الى
انهم سجانه وتعالى ربهم وانعم عليهم بالوجوه الكثيرة فانكروا دلائل الرسالة
والاحسان مع كثرتها وقوتها عليهم وكان الامر اللازم من الاول هو
الحد والامر اللازم من الثاني هو الاهلاك والاغراق وذلك يدل على ان
الثاني اعظم في حصول الهلاك في التواريخ قوله تعالى العلام الاول قوله وكل
كانوا ظالمين والمراد منه انهم كانوا ظالمين لانفسهم بالكفر والمعصية وظالمين
سائر الناس بسبب الاضلال والاغواء والله اعلم قال القاضي نجز الله في هذا المقام الاخير اهلاك الظالمين وطهر وجه
الارض منهم فقد عظمت فسادهم وكثر شرهم ولا تقدر احد على دفعهم الا الله
فادفع ما فهارا جبارا ما سعر قوله تعالى ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في
كل مرة وهم لا يتقون اعلم ان الله تعالى لما وصف اهل الكفار بقوله وكل
كانوا ظالمين امر نبيه في قتلهم بمنزلة في الشر والفساد وقال ان شر الدواب عند الله

قوله تعالى كدأب ال فرعون

اي في حكمه وعلمه من حصلت له صفتان الصفة الاولى الكفار الذي يكون مستمرا على كفره ومصرا عليه لا يتغير
الى ان يكون ناقضا للعهد على الدوام بقوله الذين عاهدتهم بدل من قوله الذين كفروا
هم شر الدواب وقوله منهم للتبعيض وان المعاهدة انما تكون مع اسرافهم وقوله
ثم يقضون عهدهم في كل مرة قال اهل المعاني اما عطف المستقبل على الماضي لبيان
ان من شانهم نقض العهد من بعد من قال عباس منهم قريظة فانهم نقضوا عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعانوا المشركين بالسلاح يوم بدر ثم قالوا اخطانا فعاهدهم
مرة اخرى فنقضوه يوم الخندق وقوله وهم لا يتقون معناه ان عادة من هو
الى هذا وهم ازيد في نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويتقون بكلامه فكيف
تعالى ان من جمع بين الكفر الدائم وبين نقض العهد على هذا الوجه يكون شر الدواب
قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلهم يذكرون اما تحافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين اعلم ان الله تعالى لما امر رسله
وسوله الى الرفق واللطف في الامر كما في قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقوله فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في
الامر وامر رسله الى الغلظ والشدة كما في هذه الاية ودلالة الاية تعالى
لما ذكر الذين ينقضون عهدهم في كل مرة بين بالبحث ان معاملته معهم
معهم في الحرب قال الليث يقال ثقفت فلانا في موضع كذا اي اصبته وظفرت به
والتشريد فعل يزول مع الاضطراب يقال شرد شرد شرودا وشردته
تشريدا فمعنى الاية اكلما ظفرت في الحرب بهؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد
فافعل بهم فعلا تعرف به من خلفهم قال ابن عطا اخزهم بالقتل حتى يحافظ عليهم
وقيل نكل بهم تكيلا تشرد عنهم من يقتضي العهد لعلهم يذكرون فعلك بالكفار
فيمنعهم ذلك عن نقض العهد وقرا ابن مسعود فشرد بالدال المنقطعة من
فوق معنى فرق كانه مقلوب شدد بدر وقرا الوحوة من خلفهم والمعنى
فسرد بتشريدك المشبه بهم من خلفهم لان احد العسكرين اذا كسروا الثاني فالكاسرون
يعدون خلف المنكسرين فامر رسول الله ان يشردهم في ذلك الوقت واما قوله
واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونقضا فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد
على

على سواء على طريق مستوٍ ظاهر وذلك ان يظهر لهم نبذ العهد على سواء
ويحربهم اصلا ممكنوا فانبذ اليك فتطمئن انت وهم في الحرب وهم على بقا العهد فيكون ذلك خيانة منك والله لا يحب الخائنين في العهود وحاصل الكلام في الآية ان الله تعالى امره بفعل من نقض العهد على اقبح الوجوه وامره بان يسلك في اتمام الوجوه من يحتمل ان يتهم بكل العهد وبنقضه قال اهل العلم اذا ظن نقض العهد اذا ظهر فاما اذا تيقن ظهورا محتملا او ظهورا مقطوعا به فان كان الاول وجب الاعلام عليه على ما هو مذكور في هذه الآية ودلالة الآية تربط عاهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم اما بنو الاشعث ومن معه من المشركين الذين ظاهروهم على رسول الله عليه السلام فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم خوف لغدرهم وما صحابه فهنا يجب على الامام ان يعلمهم على سواء ويؤذنهم بالحرب اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فهنا لا حاجة الى نبذ العهد بل يجوز قتالهم في حق النبي عليه السلام وحل لهم حليس رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة الطهران ودلالة على اربعة فوائد

قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون في الآية مسائل

المسألة الاولى اعلم انه تعالى لما بين ما يفعله الرسول في حق من علم في الحرب وما يمكن منه وذكر انه اما ان يفعله فيمن ظهر منه نقض العهد او ان يصالحه من غير ان يفعل به شيئا من ذلك بين في هذه الآية ان من ظهر منه نقض العهد لم يفته الرسول عليه السلام بل يقدر عليه ويعاقبه على ما فعل وهم الذين كفروا سبقوا والمعنى انهم لما سبقوا ولم يقدر عليهم ازالة ما استحقوه بهم ثم ههنا قولان الاول ان المراد ولا يحسبن انهم لما خلصوا من الاسر والقتل خلصوا من عقاب الله ومن عذاب الله في الآخرة انهم لا يعجزون اي انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم والمقصود تسلية الرسول عليه السلام فيمن فاته ولم يتمكن من السعي في الانتقام منه

المسألة الثانية قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم لا يحسبن بالياء المنقطة من تحت وفي بعض مصاحف اهل الشام وقرأ الباقون بالتاء المنقطة من فوق

المسألة الثالثة قرأ نافع وابن عامر ولا يحسبن الذين كفروا انهم سبقونا بكسر الالف على الاستئناف وهي قراءة ابي جعفر وشيبة واما الباقون فقرأوا بالفتح على تقدير لا يحسبن انهم سبقونا واذا كان الامر كذلك فالمعنى في قوله تعالى حسبنا الله ونعم الوكيل وحسبك الله ونعم الوكيل

لنبرا الى القرآن قال الله تعالى قل امر ربي بالقسط وهو المعنى الثاني
ان يضمر عاملا للحسبان ويجعل الذين كفروا المفعول الاول والتقدير ولا تحسبن
الذين كفروا انفسهم سبقوا واما اكثر القراء قرأوا ولا يحسبن الذين بالتاء
المنقطة من فوق على مخاطبة النبي عليه السلام والذين كفروا تاء الفعل المسلة
الباقون اعني القراء على كسر ان في قوله انهم لا يعجزون وهو الوجه لانه
ابتداء كلام غير متصل بالاول كقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا
تم الكلام ثم قال ساء ما يحكمون كما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع من الجملة
التي قبلها عند ان قوله انهم لا يعجزون قرأ ابن عامر انهم بفتح الالف جعله
متعلقا بالجملة الاولى وفيه وجهان الاول التقدير لا تحسبنهم سبقوا
لانهم لا يقولون انهم يعجزون على تخفيف الثاني قال ابو عبيد فجعل الاسلة
والتقدير لا تحسبن انهم لا يعجزون **قوله تعالى** واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون اعلم انه تعالى لما اوجب
على رسوله ان يشرع من بعد ما نقض العهد وان يبدأ بالعهد الى من خاف
منه الغدر امر في هذه الآية بالاعداد لهؤلاء الكفار وقيل انه لما انتهى الحال
للنبي في قصة بدر ان قصدوا الكفار بالله ولاعلاء امر الله تعالى ان
لا يعودوا للمثلة وان يعدوا للكفار ما يمكنهم من الله وقوة وعلى والمراد
بالقوة ها هنا ما يكون سببا لحصول القوة وذلك يدخل فيه وجوها الاول
المراد من القوة انواع الاسلحة التي روي انه صلى الله عليه وسلم مر اهل
الابه على المنبر وقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الثاني قال بعضهم القوة
هي الحصون الرابع قال اصحاب المعاني الاولى ان يقال هذا عام في كل ما
يتقوى به على الكر مع العدو وكل ما هو آلة الغزو والجهاد وهو من جملة القوة
وقوله عليه السلام القوة هو الرمي لا ينفي كون غير الرمي معتبرا كما
انه عليه السلام لما عرفه والندم توبة لا ينفي اعتبار غيره بل اراد على ان هذا
المذكور اشرف من المقصود وحكما فصلا وهذا لا يبعد على ان المستعد
للجهاد

للجهاد بالعمل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي وبعضه الاداة من ذوي الاعمات
وقوله ومن رباط الخيل الرباط المرابطة والجمع ربط افعال وفعيل والاشك
ان ربط الخيل من اقوى الات الجهاد ويدعى ان الخلاف الذي بين ابن سيرين والحلال الوسي
ثلث ماله للخصوص معنا لان ابن سيرين يشتري به الخيل فيربط في سبيل الله ويغزى
عليها فقال الحلال اوصى للخصوص معنا اي الخيل لما سمع قول السائل

واخذ تلميذ على محيي الدين الى الخصوص الخيل لامدد القوي

قال بعضهم ومن رباط الخيل الاناث وهو قول الغزالي وحده هذا القول العرب
يسمي اذا ربطت في الحبسة وعلفت ربطا واحدها ربط وجمع الربط رباط وهو جمع
الجمع فمعنى الرباط ههنا الخيل المربوطة في سبيل الله وفسر بالاناث لانها اولى ما
يربط لنسلها فانها باولادها فان ربطها اولى من ارباط الفحول هذا ما
ذكره الواحدي وقابل ان يقول ليحمل هذا اللفظ على الفحول اولى لان المقصود
من رباط الخيل الجهاد عليها ولا شك ان الفحول اولى لان المقصود من رباط الخيل
الجهاد فحملها اسهل فوجب تخصيص هذا اللفظ بها ولما تعارض هذا الترجيح
وحمل اللفظ على معهوده الاصلي وهو كونه حلالا مربوطا سوى كان من الفحول
او من الاناث ثم ان الله تعالى لما امرهم باعداد هذه الاشياء قال مرهبون
بعدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا كون المسلمين مباهين
للجهاد مستعدين له مستكملين لجميع اسلحة والالات خافوهم وذلك
الخوف يعد امورا كثيرة اولها انهم لا يقصدون دخول دار الاسلام وثانيها
انه اذا استدعوهم فربما الزموا من عدم العزم حربه وثالثها انه ربما صار ذلك
داعيا لهم الى الايمان وراابعها انهم لا يحبون سائر الكفار وخامسها
انه يصير ذلك سببا لمزيد الرتبة في دار الاسلام ثم قال واخرين من دونهم
لا تعلمونهم الله يعلمهم وللمراد بهم الاناث الجهاد وادخلها كما ترهب
الاعداء الذين تعلم عدوهم اعداء كذلك ترهب الاعداء الذين تعلم عدوهم لا تعلم من
حالهم انهم اعداء منه وهو الاصح انهم هم المنافقون والمعنى
ان يكثر اسباب الغزو كما توجد هذه الاسباب فكذلك توجد هذه المانعين

للجهاد

قال فصل المنافقون لا يخافون القتال فكيف يوجب ما ذكر قوة الارهاب قلنا
هذا الارهاب من وجهين الاول انهم اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرتهم الا تهم
زادوا فانهم انقطع طمعهم من ان يصيروا مغلوبين دليل يحملهم على ان يتركوا الكفر
في قلوبهم ونواطنهم ويصيروا مخلصين في الايمان والثاني ان المنافق من عادته
ان يتربص طهور الافات ويحتال في ايقاع الاختلاف والتحريف فيما بين المسلمين
في غايبة القوة خافوهم وتركوا هذه الاشغال المذمومة والقول الثاني
في هذا الباب ما رواه ابن جريج عن سليمان بن موسى قال المراد الكفار من الجن روى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم فقال انهم
الجن ثم قال الشيطان لا يحل لاحد في داره فرس عتيق عن الحسن انه قال
صهيل الفرس من هذا الجن وهذا القول مشكل لان تكثير الآلات والسلاح
لا يعقل بانه ارهاب الجن والقول الثالث ان المسلم كما يعاديه
الكافر فقد لك يعاديه الكافر فقد لك يعاديه المسلم ايضا فلما كان قوي الحال
كثير السلاح وكما يخافه اعداؤه من الكفار فكذلك يخافه كل من يعاديه مسلما
كان او كافرا فائدة قوله تعالى قل ما يفعل من شيء في سبيل الله هو عام في الجهاد
وفي سائر وجوه الخيرات ووجوه بوقف المسلم قال ابن عباس يوف للمسلم اجره اي لا يضيع
في الاخرة اجره ويعجل الله عوضه في الدنيا وانتم لا تظلمون اي لا ينقصون من الثواب
وقد ذكرنا عن ابن عباس هذا المعنى عند قوله تعالى انت اكلها ولم تظلم منه شيئا

قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم
واعلم ان تعالى لما بين ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار بين بعده انهم عند الارهاب
اذا جنحوا اي مالوا الى المصالحة فاحكم بقبول الصلح قال البصريون جنح الرجل الى فلان وجنح
اذا مال نحوه وجنح له والمعنى ان مالوا الى الصلح فمل اليه واثبتها في لها لانه قصدها
قصد المفعول له والجنوح الميل لقوله ان بلال من بعدها لعفو ورحيم اراد من بعد علمهم
قال صاحب الكشاف السلم بوزن باب نقيضها وهو الحرب قال السلم لحلومها
ما دامت منه والحرب لعلكم من اعادتها حرع ٥ وقرأ ابو بكر عن عاصم للسلم بفتح
السين وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان فائدة هذه الآية منسوخة بقوله واقتلوا

المشركين

المشركين حيث وعدهم وقوله قالوا الذين لا يؤمنون بالله وقال بعضهم الآية غير منسوخة لكنها متضمنة الامر بالصلح اذا كان الصلاح فيه فاذا راى مصالحهم بالجور بها خمسين كاملة واذا طاشا لفوه للمشركين جاز مهادنتهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هادن اهل مكة عشر سنين ثم ابرهم نقضوا العهد قبل ذلك اما قوله وتوكل على الله المعنى فوض الامر فيما عوذته معهم الى الله ليكون عونا له على السلامة ولا تخش مضرتهم عليهم اذا انقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء ولدلك قال انه هو السميع العليم مشيرا لك على الزجر عن نقض الصلح لانه عالم بما تضمره العباد وسامع لما يقولون قال الحاكم الآية نزلت في قريظة والنضير وبرد لها فهم لا يمنع من اجرائها على ظاهر عمومها **قوله تعالى** وان يريدوا ان يخدعوك الآية ۞ اعلم انه تعالى لما امر بالصلح في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية حكما من احكام الصلح وهو انهم ان ضاقوا على سبيل المخادعة وجب قبول الصلح لان الحكم مبني على الظاهر لان الصلح لا يكون اقوى حالا من الايمان فلما بنينا امر الايمان على الظاهر لا على الباطن فههنا اولى ولدلك قال ان يريدوا والمراد من يعلم ذلك منه بقوله وان يخدعوك المسلم فان الله تعالى اما خافن من قوم خيانة فاسبذ اليهم اي اظهر نقض ذلك العهد وهذا ناقض لما ذكر في هذه الآية قوله والما خافن من قوم خيانة محمول على ما اذا ما كان ذلك الخوف بامارات تقوية دالة على ذلك وحمل هذه المخادعة على ما اذا حصل في قلوبهم نوع نفاق وتزوير لانا نعلم بعلامات مرارات على كونهم قاصدين للشر وان الغلبة لو كانت للظاهر من اخوانهم الثبات على المسالمة وترك المنازعة فانه تعالى لما ذكر ذلك قال فان حسبك الله اي الله يكفيك وهو حسبك وسوف تعلك ذلك ايضا يكفيني وهذا حسبي هو الذي ايدك بنصره قال المفسرون يريد قوله واعانك بصر قوم يريد قوله وبالمؤمنين قال العلامة هذا العقد حصل لان امر النبي عليه السلام من اول حياته الى وقت وفاته ساعة فساعة كان امرا عاليا وقدرا غاليا وما احتاج في حق نفسه مدة حياته وبالمؤمنين يعني الانصار فان قيل لما قال هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين حتى قال وبالمؤمنين فلما ليس النصر الا بكثرة على قسمين احدهما ما تحصل من غير واسطة اسباب معلومة معتادة والثاني ما تحصل بواسطة اسباب

التأييد

بواسطة السعادة فالاول هو المراد بقوله ادرك والثاني هو المراد بقوله وما المومنين تراه
تعالى من كمال ذاته بالمومنين فقال والذين قلوبهم لواقعة ما في الارض جميعا ما افتدوا به
ولكن الله الف بينهم وفيه مسائل المسئلة الاولى ان النبي عليه السلام بعثه الله قوم
اعتقدهم شديدين وحميتهم عظيمة حتى لو لطم رجل من قبيلة لطم قاتل عنه قبيلة حتى يدركوا
ثاره عم اتهم اغلبوا على ملكه الى ان قاتل الرجل اخاه وابنه واعتقوا على الطاعة
وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وصاهم الوثن والطرح فان الخصومة كانت
بينهم شديدة والمحاربة بينهم دائمة الصغار وحصلت الالفة والمحبة وازالة الله الاحداث
الشديدة وبدلها المحبة القوية والمحافظة الدائمة مما لا يقدر عليه الا الله
تعالى وصار ذلك معجزة ظاهرة على صدق محمد عليه السلام المسئلة الثانية
اختلفوا اصحابنا هذه الآية على ان احوال العلوم من العقائد والارادات والكراهات
كلها من خلق الله تعالى ودلت هذه الآية على ان الالفة والمودة والمحبة الشديدة انما
حصلت بسبب الايمان ومتابعة الرسول عليه السلام فلو كان الايمان فعلا
للعبد لكان فعلا لله تعالى لكانت المحبة المترتبة عليه فعلا للعبد لا فعلا
لله ودلت على خلاف صريح الآية قالت المعتزلة الطاف الله تعالى
ساعة مساعة مما حصلت هذه الاحوال فاصبغ هذا المحال الى الله تعالى
على هذا الدليل ونطوع انه لما حصل علم العبد واداه الى انه لاجل العلم حصل
ذلك الامر المعين الا به وترتيبه فوجد العلم والحوادث كلما فكر فيه
عدو الى الظاهر وحمل الكلام على المجاز واقول هذا الطاف الله تعالى
حاصلة في حق الكفار مثل حصولها في حق المومنين فلو لم يحصل هناك
شيء سوى الالطاف لم يتحصل الومن بهذه المعاني فاذن ايضا فالبرهان
العقلي معنا في هذا الظاهر وذلك لان القلب يصح ان يصير موصوفا بالرغبة بدلا عن
النفور وبالعكس وجواز احد الطرفين على الاخر لا بد له من مرجح فان كان ذلك
المرجح هو العبد عاد التقسيم وان كان هو الله تعالى فهو المقصود فعلم ان المدرج
هذه الآية متاكد بصريح البرهان العقلي فلما وجه الى ما ذكره الغاضي في هذا الباب
المسئلة الثالثة دلت هذه الآية على ان القوم كانوا في نهاية شرورهم في الاسلام

ومتابعة الرسول في الخصومة الدائمة والمجاهدة الشديدة بعضهم بعضا وبعضهم
على البعض فلما امنوا الله ورسوله والبوم الاخر زالت الخصومات وارتفعت الكدورات
وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة واعلم ان التحقيق في هذا الباب ان المحبة
لا تحصل الا عند تصور حضور الخير وكمال المحبة حاله معللة بهذا التصور الخصوص
فمتى كان هذا التصور حاصلا كانت المحبة حاصلة ومتى حصل تصور الشر والنقصان
كانت البغضة حاصلة لان الحيوان ما دام حيا لا تخلو نفسه احد هذين الخواطر والخيالات
الدائمة الدائمة عن تخيلات الخير والشر لغاية ما وهو الخيالات البغضة والشر الذاتية
وهي الكمالات الجسمانية والسعادات الدنيوية فاذا سمعه البغض والشر
كان متى سمع من حال الى حال فالانسان يتصور ان له في صحبة زيد ما لا عظيما فيحبه
ثم يخطر بباله ان ذلك المال لا يحصل مع صحبته وذلك مثل ان العاشق والمعشوق
ربما خطط الرصد والغرض منهما في اليوم الواحد مرارا لان المعشوق انما يريد
العاشق لماله والعاشق انما يريد المعشوق لاجل اللذات الجسمانية وهذان الامران
مستعدان للتغير والانتقال فلا جرم كانت المحبة الحاصلة بينهما والعداوة الحاصلة
بينهما عرضة لان كانت سريعة الزوال والانتقال اذا عرفت هذا فنقول الموجب
للمحبة والمودة ان كان طلب الخيرات الدنيوية والسعادات الجسمانية كانت تلك المحبة
سريعة الزوال والانتقال لان تلك المحبة تابعة لتصور الكمال وتصور الكمال
تابع لحصول ذلك الكمال فاذا كان ذلك الكمال سريع الزوال والانتقال كان معلولها
سريع الحدوث والزوال وان كان الموجب للمحبة تصور الكمالات الدائمة المقدسة
عن التغير والزوال كانت تلك المحبة ايضا دائمة امينة من التغير لان حال المعلول في البقاء
والثبات تابع للعلة وهذا هو المراد من قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين اذا عرفت هذا فنقول العرب كانوا قبل مبعث الرسول عليه السلام
طالبين للمال والجاه والمفاخرة وكانت محبتهم معللة بهذه العلة ولا جرم كانت تلك المحبة
سريعة الزوال وكانوا بادنى سبب يقعون في الحرب والقتل فلما جاء الرسول عليه السلام
ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والخصومة
بينهم وعادوا واخوانا متوافقين بعد ان كانوا متخاصمين فلا جرم عدد الله عليهم انواع النعم

ولو هو الى ما كانوا عليه من محاربة بعضهم بعضا ومقاتلة بعضهم مع بعض فهذا
هو السبب الحقيقي لهذا الباب بيد انه تعالى ختم هذه الآية بقوله انه عزيز حكيم
اي قادر قاهر يمكنه التصرف في العلوب ونقلها من العداوة الى الصداقة ومن البغض
الى الرغبة حكيم على ما يقوله على وجه الاتقان والاحكام او مطابقا للمصلحة والصواب
على اختلاف القولين في الجبر والقدر ٥ قوله تعالى يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين الى قوله لا يفقهون ٥ اعلم انه تعالى لما وعد بالنصر
عند محاربة الاعداء وعدهم النصر والظفر في هذه الآية مطلقا على جميع التقديرات
وعلى هذا الوجه لا يلزم حصول التكرار لان المعنى في الآية الاولى ان اراد هذا
احدا على حسبك الله امر يتم والمعنى في هذه الآية الاولى ان اراد احدا على حسبك
الله امر يتم والمعنى في هذه الآية علم في كل ما يحتاج اليه في الدين والدنيا وهذه الآية نزلت
بالمدينة في غزوة بدر قبل القتال والمراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الخ انصار وعن
ابن عباس رضي الله عنه في اسلام عمر قال اسعد بن خيثمة اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم بالامه وليتوب
رجلا وستين بسوق بني اسلم عمر فنزلت هذه الآية قال المفسرون فعلى هذا القول هذه
الآية مكية لكنها في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله فتوكل
القول الثاني بقدر الله وكفاك وكافي لك ومن اتبعك من المؤمنين وقال الفراء الكاف في
حسبك خفض وهي في موضع نصب والمعنى يكفيك الله ويكفي من اتبعك ٥

قال الشاعر ٥

اذا كان الهجا والتقى العصا فحسبك والضحاك سيف مهند

قال وليس يكفيهم ان يقولوا حسبك والضحاك بل المعتاد ان يقال حسبك
وحسب الضحاك فالباء اذن تكون المعنى يكفيك الله ويكفيك اتباعك من المؤمنين قال
الفراء هو احد الوجهين اي ويكفي اتباعك من المؤمنين فعلى القول الاول يكون من باب الله ناصرا ومتبع
ان يزداد حاله او يستقل بنصرة غير الله وانما استوى الكل الى المجموع يوهم
ان الواحد من ذلك المجموع لا يغني وحصول ذلك الوهم ويتعالى الله عنه ولا يمكن
ان يحاربه احد من الخلق من اول الامر ما حصل الجزاء على الاسباب
المالوفة المعتادة ومتى حصل الجزاء على الاسباب المالوفة المعتادة فهذا الفرق

اعتبر نصره المومنين لمراده تعالى وان يجعل نصره ونصر المومنين وليس من الواجب
ان يكل على دال الا بشرط ان يحرض المومنين على القتال فانه تعالى انما حكم بالكفاية
بشرط ان يحصل منهم بذل النفس والمال في المجاهدة فقال يا ايها النبي حرض المومنين على
القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكر الزجاج في اشتقاقه
وجهين احدهما اخذ بعضهم من قولهم حرضه المرض اذا اثر في بدنه والثاني ان التحريض
مشتق من لعط الحارض وهو الذي يحرض في الارض ليثير الارض ويهيجها للحرث
ومنه التحريض على القتال لان المحرض يهيج الناس ويحثهم على القتال ثم قال ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين والمراد منه الخبر لان المراد منه الامر كما قال ان يكن منكم عشرون
فليصابروا وليجاهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين وانما يدل على انه ليس المراد من هذا
الكلام الخبر وجوه الاول انا لو كان المراد منه الخبر لزم ان يقال انه لم يغلب
قط مائتان من الكفار عشرين من المومنين وهو معلوم البطلان والثاني انه قال الآن
خفف الله عنكم والناسخ انما يرد على المنسوخ بالخبر والثالث قوله من بعد والله مع الصابرين وذلك
يرغب في القتال على الجهاد فدل ان المراد من هذا الكلام هو الامر وان كان وارد اللفظ
الخبر وهو كقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلثة قروء الثاني قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يدل على انه تعالى
ما اوجب هذا الحكم الا بشرط كونهم صابرا قادرا على الدفع اما لحصول هذا الشرط عند
حصول امتاميها ان يكون عددهم الاضعاف قواهم احدها ان يكون قوى العقل
شجاعا غير جبان وثالثها ان يكون عارفا بوجوه القتال ومكره والحيلة فيه قال الله
تعالى استثنى هاهنا الكافر في الآية المتقدمة فعند حصول هذه الشرائط كان
الواجب على الواحد ان يثبت للعشرة واعلم ان هذا التكليف انما حسن لانه مسبوق
بقوله حسبك الله ومن اتبعك من المومنين فلما وعد المومنين بالكفاية والنصرة
كان هذا التكليف سهلا لان من يكفل الله نصره فان اهل العالم لا يقدرون على
ايذائه المسئلة الثانية قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولم يقل
منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا وحاصله وجوب ثباتا لواحد في مقابلة العشرة

قابلة بعضهم مع بعض فهذا
الآية قوله انه عزيز حكيم
لعدل ان الصداقة ومل الثقة
تام او مطابقا للمصلحة والصواب
عالى يا ايها النبي حسبك
علم انه تعالى لما وعد بالنصر
الآية مطلعا على جميع المقدرات
على احد الاولين ان اراد هذا
ان اراد واصدا على كفاك
الدين والدنيا وهذه الآية نزلت
من المومنين الى انصار وعن
صلى الله عليه وسلم بالامر وليس
ور وعلى هذا القول هذه
عليه وسلم وفي الآية وجوه ب
قال القراء الكفاية حتى
وكفى من اسلم

سيف مهند
ل المعتمد ان يعاد حسبك
عاك اياك من المومنين قال
ن مرحبا الله ناصرا ومسع
سناد الحكم الى المجموع وهم
الى الله ضده وان يمكن
حصل لك ناصرا على الاسباب
نما معاذه فهذا الفرق

فما الفايده في العدول عن هذه اللفظه الوجيزه الى تلك الكلمات الطويله وجوابه
ان هذا الكلام انما ورد على وفق الواقعه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث السرايا
والغالب ان تلك السرايا ما كان ينقص عددها عن العشر وما كان يزيد المايه
فلهذا ذكر الله هذين العددين في المسئله الرابعه فرارا من الكسر وارشادا على ان
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وقرا ابو عمرو الاول والثاني
بالياء والباقون بالتاء فيهما المسئله الخامسه انه تعالى بين العله وهو قوله بانهم قوم
لا يفقهون وتقرير هذا الجواب من وجوه الاول ان من لا يؤمن بالله ولا يؤمن بالمعاد
فان غايه السعاده والنجاه عنده ليست الا هذه الحياه الدنيويه ومن كان هذا معتقده
فانه يشح بهذه الحياه ولا يعرضها للزوال اما من اعتقد انه لا سعاده في هذه الحياه
وان السعاده لا تحصل الا في الدار الاخرى فانه لا يبالي بهذه الحياه الدنيا
ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح ومتى كان الامر كذلك
كان الواحد من هذا الباب يعادل العدد الكثير من اصحاب الاوثان الوجه
الثاني ان الكفار انما يقاتلون على قومهم وشوكتهم والمسلمون يستعينون
لهم بالدعا والتضرع ومن كان هذا حاله كان النصر والظفر به الق واولى الوجه
الثالث وهو وجه لا يعرفه الا اصحاب الرياضات والمكاشفات
وهو كل قلب اختص بالعلم والمعرفه كان صاحبه مهيبا عند الخلق والدليل اذا حضر الرجل
العالم عند عالم من الناس اقوياء اشداء الجهال فان اولئك الاقوياء الاشداء
يهابونه ويحترمونه ويحترمونه بل يقول ان السبع القويه اذا رات الادمي
هابته وانحرفت عنه وما ذاك الا ان الادمي لشرف ما فيه من نور العقل يكون
مهيبا وايضا الرجل الحكيم اذا استولى على قلبه نور معرفه الله تعالى فانه يقوى
اعضاءه ويشتد جوارحه وربما قوي عند ظهور التجلي في قلبه على اعمال يتحير
عندها عقول العقلاء واعرف ذلك فالمومن اذا اقدم على الجهاد فكانه
بذل نفسه وماله في طلب رضوان الله فكان في هذه الحاله شاهد نور جلال الله
ويقوي قلبه ويجعل روحه ويقدر على ما لا يقدر عليه عند فقد هذه احوال من ابواب
المكاشفات تدل على ان المومن يجب ان يكون اقوى منه من الكافر فان لم يحصل فلان

ان الجمهور هذا النحو لا يحصل الا بالجد والعزم بعد العزم قوله تعالى الان خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين فى هذه الآية مسائل ١ المسألة الاولى
روى انه عليه السلام كان بعث العشرين الى وجه المائتين بعث عمر وبلغه انهم كانوا قليلين
الى قوم وفيهم اولو جلد فى القتال واراد ان يقاتلهم فجمعهم جميعا وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى بن خالد بن سعيد بن العاص فاتاه فاخبره فاسترجع عمر وقال
يا رسول الله صفة لى فعال الكماة اراه ذكرنا السيف وجلدا شديدا وشعرا وحدثه الشعر وروى
انه جمع الى فاخرج اليه واصله قال فخرجت نحو عباد بن صامت وحدثه الشعر وروى
فعال فى مثل هذا فعلت له من العرب سمعت بكرة وتحمل ومشيت معه حتى اذا انتهى
منه فعلته بالسيف واسرعت الى رسول الله ولا ادرى ما فعل واعطانى عصا وقال
امسكها فانها آية بينى وبينك يوم القيامة ثم ان هذا التكليف شق على المسلمين
فانزل الله عنهم هذه الآية قال عباس لما نزل التكليف الاول بحيث المهاجرون وقالوا
ما لنا نحن صابرنا وعدونا يثبت وهو يخزيه وعدونا فى اهلهم وهو قد اخرجنا من ديارنا
واموالنا وعدونا اليس كذلك فقال الانصار تعلمنا نعرفها واسنا اخواننا فى
البخت فقال عليه السلام اما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة فحالما كان
المسلمون قليلين فلما كثروا اضعف الله ذلك عنهم وهذا قال عباس لما نزل فرح
من ذلك فلم نعد فان قيل من اين وقعت هذه الزيادة والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الان خفف الله
عنكم ناسخ لانه المتقدمة وانكر ابو مسلم ذلك فعال فى الآية ادلة ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين فهذا يدل على ان هذا الامر كان مشروطا بكون العشرين
قادرين على الصبر فى مقابلة المائتين قوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم
ضعفا يدل على ان ذلك الشرط زال عند حاصل فى حق هؤلاء فصار حاصل الكلام ان الآية الاولى
دلت على ثبوت حكم عند شرط مخصوص وهذه الآية دلت على ان ذلك الشرط مفقود فى حق هذه
الجماعة والحكم لم ينسخ ذلك الحكم وعلى هذا التقدير فلم يحصل النسخ البتة فان قالوا قوله الان
خفف عنكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين معناه لعل العشرين صابرون فى مقابلة المائتين وعلى

هذا التقدير [illegible] كرم فلنا لم لا يجوز ان يقال المراد من الآية ان حصل عشرون صابرون
حتى يعادلة المائتين يستعملوا بحماد هم والحاصل ان لفظ الآية ورد على هذين الخبرين المتعارضين
هذا الظاهر وحملناه على الخبر الدال في زعانه الشرط فقد بركناه على ظاهره والمعنى
ان حصل منكم عشرون موصوفون بالصبر على مقاومة المائتين فليستعملوا مقاومتهم
وعلى هذا التقدير فلا نسخ فان قالوا قوله الآن خفف الله عنكم يشعر بان هذا التكليف
كان متوجها عليهم قبل هذا التكليف قلنا لا نسلم ان لفظ الآن يدل
على حصول الشغل قبله لان عادة العرب الرخصة مثل هذا الكلام كقوله تعالى
عند الرخصة للحرمي في تعاطي الامة لمن لا يستطيع نكاح الحرائر فعند اهضار يعتق
هذا الكلام ان هؤلاء العشرين كانوا في محل ان يقال ان دلائل الشرط حاصلة
فيهم وكان دلائل التكليف لازمة عليهم فلما علم الله تعالى ان دلائل الشرط غير حاصلة
فيهم وانه تعالى علم انهم سيعجزون على دلائل تعذر عليهم امر دلائل الخروج فسح الحال
خفف الله عنه وهذا دليل على عدم النسخ ان تعالى ذكر هذه الحجة مقارنة للاولى وجعل
المانع مقارنا للممنوع يجوز ان قالوا المقارن في المانع والممنوع بالزوال دون البقاء
لجواز البقاء وانها قد سلم وقد يناظر الامر كذلك المانع مقدم على الممنوع
قلنا ما كان كون المانع مقارنا للممنوع امرا جائزا في الوجود وصبان لا
يكون جائزا في الذكر المحل الدليل ظاهر وانتم ما ادعيتم ذلك واما قوله في علة
الوفاء المانع معلم على الممنوع فنقول ان ما سلم ذكر كل انواع السبر في القرآن
وكيف يمكن الزام هذا الكلام عليه فهذا تقرير قول من سلم سبر كل انواع النسخ
في القرآن فان قال المصنف الداعي الى الله ان ما اجماع الامة على الاطلاق سبل الى سلم
على حصول هذا النسخ فالكلام عليه الان لم يحصل الا هذا الاجماع القاطع نقول
قول من سلم صحيح حسن المسلك الثاني احتج هشام على قوله ان الله تعالى لا
يعلم احوال الاحمد وقوعها بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان معنى
الآية الآن علم الله ان فيكم ضعفا وهذا يقتضي ان علمه بضعفهم ما حصل
الا في هذا الوقت والمتكلمون اجابوا بان معنى الآية انه تعالى قبل حدوث الشيء يعلمه
واقعا حادثا فقوله الآن علم الله ان فيكم ضعفا معناه الآن حصل العلم

بوقوعه وحصوله وقال ذلك فعركان الحاصل هو العلم بانه سيقع او سيحدث والله اعلم

المسئلة الثالثة قرأ عاصم وحمزة علم ان لكم ضعفا بفتح الضاد وفي الروم مثله والباقون بينهما بالضم وهما لغتان صحيحتان الضعف والضعف كالفقر والفقر وحكى الفراء في هذا الحرف وجها ثالثا بالضم وقال ما حالفت عاصما في شيء من القرآن الا في هذا الحرف

المسئلة الرابعة استدل الكعبي بقوله يعلم ان فيكم ضعفا على ان كل مسلم بالغ مكلف وقف بازاء المشركين عددا كان واجبا فاقهرهم بسلبه بحربه ما دام معه سلاح وقتاله وان لم يقع معه سلاح فله ان يهرب وان قاتله بلا سلاح جاز له الهزيمة والصبر احسن وهو ابو حنيفة في البسط اه وقف حبس بوبه وبهم بلا سلاح الف وامر وبهم على القتال فيه جاز به ثم جمع فرأى طالب ثم عبد الله من رواحه ما بين الفين من المشركين ومايه الف من الروم ومايه الف من المشتعربة وهم لخم وجذام المسئلة الخامسة قوله باذن الله قال ابو بكر لا يقع العلم الا باذن الله والاذن ههنا هو الارادة وذلك يدل على قولنا في مسئلة خلق الاعمال وارادة الكائنات واعلم انه تعالى ختم الآية بقوله والله مع الصابرين والمراد ما ذكره في الآية الاولى من قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فبين في آخر هذه الآية ان الله مع الصابرين والمعنى ان العشرين لو صبروا وقاتلوا ان يصيروا معهم وهو في مقابلة المهم وذلك يدل على تحقق نصرهم وهو ان ذلك الحكم ما صار منسوخا بل هو ثابت كما كان فان العشرين ان صبروا قدروا على مصابرة المائتين فبهذا الحكم وان لم يقدروا على مصابرتهم فالحكم المذكور هناك زائل

قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى قوله عفو رحيم اعلم ان المقصود من هذه الآية تعظيم حكم اخذ الفداء بحكام العزو والجهاد وفي النبي عليه السلام وفي الكل مسائل

المسئلة الاولى قرأ ابو عمرو ويكون بالياء والباقون بالتاء اما من قرأ بالتاء فعلى لفظ الاسرى لان الاسرى وان كان المراد منه الذكور والرجال فهو في اللفظ واما من قرأ بالياء فلان الفعل متقدم والاسرى مذكورون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل بفعل واحد من هذه الثلاثة اذا الفرد اوجب تذكير الفعل كقولك جاء الرجال وحضر قتلك وحصول الفاعل في امراة فلذا اصبح عنه الاشارة كان التذكير اولى وهذا صاحب الكشاف قوى المنع على التعريف فاسارى وفي بالتشديد

المسئلة الثامنة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه
وعقيل ابن ابو طالب واستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك فقام عمر فقال كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب
اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء فاسلم يومئذ من عقل وحمزة من العباس
ومكنى من علي لانسيب له فضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب اقوام حتى
تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلي كمثل عيسى
في قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثل موسى حيث قال ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قول ابي بكر يقول له قال
يعمر يا ابا حفص وجدك اولا كناه امرني ان اقتل العباس فحمل عمر يقول ويل عمر
ثكلته امه وروى ان عبد الله بن رواحة اشار بان يضرم عليهم نارا فقال الخطب
فقال له العباس قطعت رحمك وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يفرجن احد منهم
الا بفداء او ضرب العنق فقال ابن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام
فسكت رسول الله وقال خوفني يومئذ من بعد الا سهيل بيضاء وعنه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم ان شئتم فلكم وان شئتم فادوهم
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا يوم احد فكان قدر الاسارى
عشرين اوقية وعلى بعضهم كان فداؤهم مائة الف اوقية والاوقية اربعون
درهما وستة دنانير وروى انهم لما اخذوا الفداء انزلت هذه الآية فدخل عمر على رسول الله
فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني انت وصاحبك وان لم اجد
باكيا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة منه ولو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
المسئلة
التاسعة قال الاعمش في الارض اجبال هذا هو الكلام في سبب نزول هذه الآية
المسئلة
العاشرة تمسك الواصلون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية من وجوه
الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى صريح في ان هذا المعنى منهي عنه

وممنوع

ومجموع هذه من قبل الله تعالى تعرف هذا المعنى قد حصل ودل عليه وجهان الاول
قوله تعالى بعد هذه الآية يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم
فقد دلت على انه عليه ما قبل اولئك الاقوام اسرهم فكان الذنب لاجل ما اخذ من هذا
الوجه الثاني انه تعالى امر النبي عليه السلام وجميع قومه بان يقتل
الكفار وهو قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وظاهر الامر
الوجوب فلما لم يقتلوا بل اسروا كان الاسر معصية فدل على ان النبي عليه وسلم
حكم باخذ الفداء وعلى انه اخذ الفداء معصية فدل على وجهان الاول قوله
تعالى يريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واجمع المفسرون على ان المراد من عرض
الدنيا هاهنا هو اخذ الفداء والثاني قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم واجمعوا على ان المراد بقوله اخذتم اخذ الفداء الثالث
ان النبي عليه السلام وابا بكر وعمر وصوح النبي صلى الله عليه وسلم بانه انما يليق
انه حكم باخذ الفداء ودل ذلك على انه ذنب الخامس ان النبي عليه السلام قال
ان العذاب قد نزل ولو نزل لما نجى منه الا عمر ودل ذلك الصائد على الذنب فهذا جملة
وجوه تمسك القوم بهذه الآية والجواب عن الوجه الذي ذكروه
اولا ان قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض يدل على انه يكون الاسر
مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان في الارض والمراد بالاثخان هو القتل والتخويف
الشديد والاسر الصحابة فلو اقدموا عليه قبل الاثخان فقد اقدموا على امر غير مشروع
قيل جمع الناس لم يقدر على الكثير اسروا جماعة والآية تدل على ان بعد الاثخاب
في الارض قتل جميع الناس لم يقدروا بعد القتل الكثير اسروا جماعة والآية تدل
على ان بعد الاثخان يجوز الاسر فصارت هذه الآية منسوخة على ان ذلك الاسر كان جائزا
بحكم هذه الآية وضعف بحكم تمسك بهذه الآية في ان ذلك الاسر كان جائزا ومعصية
وتمام تحقيق هذا الكلام بقوله تعالى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد
واما فداء فان قالوا فعلى ما ترجمون دلت الآية على ان ذلك الاسر كان جائزا والاثخان
هو الجائز المشروع لا لما يترتب على ذلك الاسر بعد ما دل على العتاب
نقول الوجه فيه ان الاثخان في الارض ليس مضبوطا بضابط معلوم معين
بل المقصود منه اكثار القتل بحيث يوجب وقوع الرعب في قلوب الكافرين وان هذا

كاوردوا بمحاربة المومنين والوجه العقل الى هذا الجواب المعين لا شك انه يكون
مفوضا الى الاجتهاد فلعله عليه السلام اراد بقوله ذلك القدر من القتل
الذي يقدم لكفي في حصول هذا المقصود ومعلوم ان الامر كذلك وكان هذا خطا
واقعا في الاجتهاد في صورة لا يبعد فيها نصر وحسنات الابرار سيئات المقربين فحسن
توبيخ العتاب على دليل هذا الكلام لهذا السبب مع ان دليله لا يكون الا سنة دساولا
معصية والجواب عن الوجه الذي ذكروه ان قوله ان ظاهر قوله فاضربوا
فوق الاعناق ان هذا الخطاب انما كان مع الصحابة لاجماع المسلمين على انه عليه السلام
ما كان مامورا ان يباشر قتل الكفار بنفسه واذا كان هذا الخطاب مختصا
بالصحابة فهم لما تركوا القتل واقدموا على الاسر كان الذنب عائدا منهم لا عن
الرسول ونقول ان الصحابة لما هزموا الكفار وصلوا منهم جمعا عظيما والكفار
وراءهم الصحابة خلفهم وما عدوا عن الرسول واسروا اولئك الاقوام ولم يعلم
الرسول بانهم على الاسر فزال هذا السوال فان قالوا ان الامر كذلك
لما حملوا الاساري الى حضرته فلم يامرهم بقتلهم فيما لا لقوله تعالى فاضربوا فوق
الاعناق قلنا ان قوله فاضربوا تكليف محض بحال الحرب عند اشتغال
الكفار بالحرب فاما بعد انقضاء الحرب فهذا التكليف ما كان ثابتا ولا له
والدليل القاطع عليه انه عليه السلام استشار الصحابة في انه عليه السلام
ماذا يعاملهم ولو كان النص متناولا لتلك الحالة لما كان مع قيام النص القاطع تاركا
لحكمه وتابعا وطالبا لذلك الحكم من متناولي الصحابة وذلك محال وانضاف
فاضربوا فوق الاعناق امر لا يفيد الا مرة واحدة فسقط الاجماع ان هذا المعنى كان
واجبا حال المحاربة فوجب ان يبقى عليه الدلالة على ما مر اذ قد انقضت المحاربة وهذا
الجواب شاف والجواب عما ذكروه ثانيا وهو قولهم انه عليه السلام خير بين
اخذ الفدا وبين قتلهم فنقول لا نسلم ان اخذ الفدا محرم واما قوله تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة فنقول هذا لا يدل على تحريم ما به من وجهين الاول ان
المراد من هذه الاية حصول العتاب على الاسر لعرض اخذ الفدا وذلك لا يدل على
ان اخذ الفدا محرم مطلقا الثاني ان ابا بكر رضي الله عنه قال الاولى ان ياخذ الفدا

وقال

ولان كثرة القتل يوهن قوة الرعب وشدة المهابة وذلك يمنع من الحراءة ومن
الاقدام على ما لا يطيق فهذا السبب امر الله تعالى بذلك المحتشم الثاني
ان كلمة حتى لانتهاء الغاية بمقتضى ما مر وكان لقائل ان يقول انه اسرى حتى يحكم في الارض
يدل على ان بعد حصول الاثخان في الارض فله ان يقدم على الاسر اما حولنا
نريد ونعرض الدنيا فالمراد منه الفداء واما سمي متاع الدنيا ومتاعها عرضا
لانه لا ثبات له ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول وكذلك سمي المكلون الاعراض
اعراضا لانه لا ثبات لها كثبات الاجسام لانها تطرأ على الاجسام وتزول عنها مع
كون الاجسام باقية ثم قال والله يريد الاخرة يعني انه تعالى لا يريد ما يفضي الى
السعادات الدنيوية التي تعرض وتزول واما يريد ما يفضي الى السعادات الاخروية
الباقية الدائمة المصونة عن التبدل والزوال واحتج الطاعن والعاصي بهذه الآية على
فساد قول من يقول لا كان من العبد الا والله يريد منه هذا الامر ومع هذا لم يحصل
ونص الله على انه لا يريد بل يريد منهم ما يودي الى ثواب الاخرة وهو الطاعة دون ما يلزم
فيه عصاة ولعاة اهل السنة عنه بان قالوا انه تعالى لما اراد ان يكون
هذا الامر منهم طاعة وعلم انه لا يراد ونا لا يلزم من نفي ارادته كون هذا الامر طاعة
نفي كونه مرادا الوجود واما الحكماء فانهم يقولون الامر مرادا لغيره مكروها لذاته
ثم قال والله عزيز حكيم والمراد ان طلبتم الاخذ لم يغلبكم عدوكم لان الله عزيز
لا يقهر ولا يغلب حكيم في تدبير مصالح العالم فلا يرضى بهذا الحكم اما كان
يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي سلطانهم انزل الله تعالى
بعد ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء
وقال الداعي الى الله تعالى ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما
فداء امر بهذا الحكم الذي نحن بصدد تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلمتي الاسر سواء
فان كانتا مامورا بهما على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده احد الامرين قال
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم واعلم انه كثيرا ما ذكرنا ان الباب
في تفسير هذا الكتاب السابق وتخيل بكريها وبدلها ما فيها من المباحثات والعقول
العقول وهو قول سعيد بن جبير وقتادة لولا كتاب الله من الله سبق لنا محمد على العالم

لكن لا يمتنع لم العذاب وهو متكل لان تحليل العذاب والعذاب حاصلا في ذلك
الوقت او ما كان حاصلا فان كان ذلك التحليل والاذن حاصلا في ذلك الوقت امتنع
انزال العذاب عليه لان ما كان مباحا وجائزا من قبل الشرع لم يحصل العقاب على فعله
وان قلنا ان الاذن ما كان حاصلا في ذلك الوقت فان قلنا ان الفعل حراما في ذلك الوقت
اقتضى ما في الباب انه كان في علم الله انه سيحكم بحله بعد ذلك فلا يحسن
في حكمته حراما في ذلك الوقت فان قالوا ان كونه حيث سيصير بعد ذلك حلالا
يوجب تحسين العقاب قلنا فاذا كان الامر كذلك امتنع انزال العذاب بسببه
وذلك يمنع من التحريف سبب ذلك العقاب بالقول الثاني قال ابو محمد اسحق لولا
كتاب من الله سبق انى لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبكم فيما صنعتم وانه تعالى
ما نهاهم عن اخذ الفداء وهذا الدعاء ضعيف لانا نقول احد هذا القول انه ما ورد
دليل يدل على توجيه حرمة ذلك الفداء فحال حصول ذلك الفعل يقتضي حرمته ام لا فان قلنا
انه حاصل فيكون الله تعالى قد حرمه واشتغله ذلك الدليل الفعلي فلا يمكن
ان يقال انه تعالى لم يمنع من ذلك الحرمة وان قلنا انه ليس في العقل ولا في الشرع ما
يقتضي المنع فحينئذ امتنع ان يكون المنع حاصلا والا لكان تكليف الا يطاق
واذا لم يكن المنع حاصلا كان الاذن حاصلا واذا كان الاذن حاصلا وجب ان
لا يستحق العقاب على فعله القول الثالث قال قوم وقد سبق حكم الله بانه العذاب
احد امرين اما ان يشاوروا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ايضا مشكل لانه يقتضي ان يكون
يقال لهم ما منعوا من الكفر والمعاصي فالرضا بالمحرم وما هدد وانه سبحانه العقاب
على هذه القبائح وذلك يوجب سقوط التكاليف عنهم ولا يقوله عاقل واما قولهم صاروا
كذلك فكيف واصلهم الله تعالى في ذلك الموضع لعنه في ذلك الواقعة بعينها وكيف
وجه عليهم العقاب القوي القول الرابع لولا حاب من الله سبق في ان من اتى
كبيرا يحبط ثوابه لاستحقوا بهم العذاب وهذا من جنس ما سبق واعلم ان الناس
اختلفوا في هذا الباب فمنهم من يقول لما علم الله تعالى انه سيحصل ذلك
الكبائر فقوله لولا كتاب من الله سبق لولا انه تعالى حكم في الازل بالعفو عن
هذه الواقعة عليهم عذاب عظيم وهذا هو المراد من قوله لمسكم فيما اخذتم

ومن قوله سبحانه وتعالى يعصي واما قول المعتزلة انهم لا يجوز ون العفو عن الكبير
لان من قولهم ان الله سبق في ان من اجتنب من الكبائر صار ان صغائره معفوة والا
يلزمهم عذاب عظيم وهذا الحكم وان كان ثابتا في حق جميع المسلمين الا ان طاعات اهل بدر كا
عظيمة وهو قتلهم الاسلام وانقاذهم للجهد واموالهم على مقاتلة الكفار من غير سلاح
واهبة فلا بعد ان يقال ان الثواب الذي يستحقونه على هذه الطاعات كان اكثر من العقاب
الذي استحقوه على هذا الذنب فلا يلزم صيرورة هذا الذنب معفوا ولو قدر صدوره هذا الذنب
من سائر المسلمين لما صار معفوا فبسبب هذا القدر من التفاوت حصل لاهل بدر
الاختصاص ثم قال تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روي انهم اسرعوا في الغنائم
ولم يمدوا ايديهم الى الفداء فنزل هذه الاية وهل هو اباحة للغداء فان قيل ما معنى الفاء
في قوله فكلوا قلنا التقدير قد اتحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
وحلالا انتصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله ان الله
غفور رحيم والمعنى فاتقوا الله ولا تعودوا الى المعاصي بعد ذلك فاعلموا ان الله غفر
ما اذنتم عليه في الماضي من ان له ورحم ما اسلم من الحرام والمعصية بفعله واتقوا الله
اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى احواله الماضية
فقوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم قال ابن زيد واحاديث كثيرة
الله من قتل فامكن منهم والله غفور رحيم عزيز حكيم واعلم ان الرسول عليه السلام
لما اخذ الفداء من الاسارى وسوقا خذوا اموالهم سنهم عليهم ذكر الله هذه الاية
استمالة لهم فقال يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى قال ابن عباس نزلت
في العباس وعقيل ابن ابي طالب ونوفل الحرث وكان العباس اسر يوم بدر وهو
عشرون اوقية من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين
ضمنوا الطعام لهذا بدر فلم يجد الاوقية حتى سرق قال العباس لقد سلمنا
الدانيم الرسول فقال عليه السلام ان لم ما قد كنت حقا فالله يجزيك واما ظاهر امرك
فقد كان علينا قال العباس فحملني رسول الله ان يترك لي الذهب التي وقال
اما شيء رجته به لستعين علينا ولا قال وكلفني الرسول قدا ان اخذ عقيل ابن ابي طالب

عشرين اوقية

عشرين الى قبيه وقد انزل الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اكفن وبسا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله سيغنيك وضعه دفعه الى ام الفضل وقالت
حرمك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصنع فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله
ولعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس
فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والله لا يطلع عليه احد
الا الله ولقد دفعته الي سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني
بذلك فلا ريب قال العباس فاعلم الله خيرا من فداء الي عشرين عبدا وان
ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني مزمزم ما احب ان لي بها جميع اموال مكة
وانا انتظر المغفرة من ربي قال وحدثني عكرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المال
بما نوى الغازي فصلى لصلاة الظهر وما صلى صلى في فرقه وامر العباس ان يأخذ منه
واخذ ما قدر على حمله وقال يقول هذا خير مما اخذ مني واني ارجو المغفرة واخلف
المفسرون في الآية نازلة في العباس خاصة او في حقه والاسارى قال قوم
انه قال العباس خاصة وقال اخرون انها نزلت في الكل وهذا اولى لان ظاهر الآية
يقتضي العموم من جهة اوجه احدها قوله قل لمن في ايديكم من الاسارى ◉
وثانيها قوله في قلوبكم وثالثها قوله لكم خيرا ورابعها قوله
مما اخذ منكم وسادسها قوله ويغفر لكم فلما دلت هذه الالفاظ البينة
على العموم فالموجب للتخصيص اقتضى ما في الباب ان يقال سبب نزول الآية هو العباس
الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لما قوله ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا وهذه مسائل المسئلة الاولى يجب ان يكون المراد من هذا الخير الايمان
والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وفي جميع
المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة على محاربته المسئلة الثانية
احتج هشام ابن الحكم على قوله تعالى لا يعلم التي لا يعلم حدوثه بهذه الآية
لان قوله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا فعل كما وكلما شرط وجزا والشرط هو
حصول العلم والشرط واجب الحصول والمجازي المستقبل وذلك يوجب حدوث
علم الله تعالى والجواب ان ظاهر اللفظ وان كان يقتضي ما ذكرتم الا انه لما دل

الدليل على ان علم الله يسع ان يكون محدثا وحبان يعالى ذكر العلم وارادته المعلوم من حيث يدل
حصول العلم على حصول المعلوم اما قوله لعلكم تتقون او لكم خيرا مما احدثتم ولعلكم تعقلون
فيه مسئلتان المسئلة الاولى قال صاحب الكشاف قال الحسن ما احدثتم
على انا للعامل المسئلة الثانية المعتزلة في هذا الخبر اقوال الاول
المراد الحلف بالحدثهم في الدنيا قال القاضي لانه تعالى علق عليه الثواب الاخروي ولعلكم
تتقون تقدم بحيث يكون المراد منه منافع الدنيا والعامل ان يقول قوله ولعلكم
المراد منه ازالة العقاب وعلى هذا التقدير لم يبعد ان يكون المراد من هذا الخبر ثواب الاخرة
فان قوله ولعلكم المراد منه في الاخرة والخبر الذي تقدمه يجب ان يكون ايضا في
الاخرة والقول الثالث محمول على الكل فان قيل اذا حملتم الخبر على خيرات الدنيا فهلا
يقولون ان كل من اخلص من الاسارى فداه الله خيرا مما احدثه فلم يجب كذب
بحيث يكون يعلم لا محالة ما لا يعلم من اخلص قلبه حتى ينوبه على ما فعله السوال ولانه
يعلم الصامت اذا فداه الله وقد علمنا ان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا مع
الكفر ثم قال والله غفور رحيم اما قوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من
قبل فامكن منهم فيه مسائل المسئلة الاولى في تفسير هذه الخيانة وجوه
الاول ان المراد منه الخيانة في الدين وهو الكفر يعني ان كفروا بك فقد خانوا
الله من قبل الثاني ان المراد من الخيانة منع ما صنعوا من العهد الثالث روي انه
عليه السلام لما اطلعهم من الاشر عهد معهم الا يعودوا الى محاربته والى معاونة
المشركين وهذا هو العادة فمن وطن من الخلق والشر معال تعالى وان يريدوا
نكث هذا العهد فقد خانوا الله من قبل والمراد انهم كانوا يقولون انزل الحسام
هذا لنكون من الشاكرين فلما اصابوا الحالة كانوا من الشاكرين فلما اذا
وصلوا الى النعمة وتخلصوا من المحنة نكثوا العهد ونقضوا الميثاق ولا
يمتنع دخول الكل فيه وان كان الاظهر هذا الاخير قوله فامكن منهم قال الازهري يقال امكنني الامر يمكنني فهو ممكن ومفعول الامكان
محذوف والمعنى فامكن المؤمنين منهم والمعنى انهم خانوا الله فيما عزموا عليه
من محاربة الرسول عليه السلام نوبدر فامكن الله منهم قتلا واسرا ودلالة
الاية

الامكان والطاقة فيه الله عليهم ذاقوا وبال ما فعلوه فان عادوا الى مثله امكن التمكين منهم تاما حاصلا وفيه بشارة للرسول عليه السلام بانه يمكن من كل من يحاربه ويسعى في عجزه ثم قال والله عليم اي بواطنهم وضمائرهم حكيم يجازيهم باعمالهم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبل الله الى اخر السورة اعلم انه قسم المومنين في زمان الرسول الى اربعة اقسام وذكر حكم كل واحد منهم وتقرير هذه القسمة انه عليه السلام لما ظهرت نبوته ودعا الناس هذا كل الى الدين بعد ما انتقل من مكة الى المدينة فمنهم من اجابه في تلك الهجرة ومنهم من لم يوافقه فيها بل بقي هناك اما القسم الاول وهم المهاجرون الاولون وقد وصفهم الله بقوله ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبل الله واما فضلهم ان المراد منهم المهاجرون الاولون لانه تعالى قال في اخر الاية والذين اووا ونصروا امنوا من بعد وهاجروا واذا ثبت هذا فظهر ان هولاء موصوفون بهذه الصفات الاربعة اولها انهم امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وقبلوا جميع التكاليف التي بلغها محمد عليه السلام ثم شرح وافعاله بقوله ان الذين امنوا الى هذا المعنى والصفة الثانية قوله وهاجروا يعني انه فارق الاوطان وبركوا الاقارب والحيوان وطلب مرضاة الله وتحمل هذه الحالة الشديدة قال تعالى اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم جعل مفارقة الاوطان معادلة لقتل النفس وهو في المرتبة الاولى تركوا الاديان الحقة لطلب مرضاة الله تعالى وفي المرتبة الثانية تركوا الاقارب والاخلاء والاوطان والخيرات لمرضاة الله تعالى والصفة الثالثة قوله وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالمال فلانهم فارقوا الاوطان وقد صاغت عقاريهم ومساكنهم وصناعهم ومزارعهم وبقيت في يد الاعداء وانفصالها فقد احتاجوا الى الانفاق الكثير لتسكين العورة والفقراء كانوا معتمدين اموالهم على تلك الغزوات واما المجاهدة بالنفس فلانهم كانوا اقدموا على محاربة من عمر الله ولا اهله ولحقهم مع الاعداء الموصوفين بالعدة والشدة وذلك يدل على انهم ازالوا الهامهم عن الحياة وبذلوا انفسهم في سبيل الله واما الصفة الرابعة فهي انهم كانوا اول الناس اقداما على هذه الافعال والمراد بهذه الاحوال وهذه المسابقة اثر عظيم في تقوية الدين قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح

وقال اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا
عنه وانما كان السبق موجبا للفضيلة لان اقدامهم على هذه الافعال يوجب
اقتداء غيرهم بهم فيصير ذلك سببا للقوة والكمال ولهذا المعنى قال تعالى ومن احياها
فكانما احيى الناس جميعا وقال عليه السلام من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها الى يوم القيامة ومن عادات الناس ان دواعيهم تقوى بما يرون من امالهم
في احوال الدين والدنيا كما ان المحن تخف على قلوبهم بالمشاركة فبهذا قلنا ان حصول
هذه الصفات الاربعة للمهاجرين الاولين يدل على غاية الفضيلة ونهاية المنقبة
وانما لم نوجب لاعتراف بكونهم رؤسا المسلمين وساداتهم ولقبهم واما القسم
الثاني من المؤمنين الموجودين في زمان محمد عليه السلام وهم الانصار وذلك لانه
عليه السلام لما هاجر اليهم مع طائفة من اصحابه فلولا ايواؤهم ونصرتهم
وبذلوا النفس والمال في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح مهمات
اصحابه لما تم المقصود البتة وجب ان يكون حال المهاجرين اعلى في الفضيلة
من حال الانصار لوجوه اولها انهم هم السابقون في الايمان الذي هو رئيس الفضائل
وعنوان المناقب وثانيها انهم تحملوا العناء والمشقة دهرا ورمانا
مديدا من كفار قريش وصبروا عليه وهذه الحالة ما حصلت للانصار
وثالثها انهم تحملوا المضار الشديدة من مفارقة الاوطان والاهل والاموال
ولم يحصل هذا للانصار ورابعها ان نصرة الدين والشريعة من الرسول
عليه السلام اما حصل من المهاجرين والانصار اقتداؤهم وتشبهوا بهم وقد
ذكرنا ان قوله عليه السلام من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى
يوم القيامة فوجب ان يكون المقتدى به مختصا بهذه الاحوال يوجب تقدم المجاهدين
الاولين على الانصار في الفضل والدرجة والمنقبة فهذا تمام ما ذكره الله تعالى
في هذين الفريقين وقدم المهاجرين على الانصار وعلى هذا الترتيب ورد ذكرهما في هذه الآية
واعلم ان الله تعالى لما ذكر هذين القسمين في هذه الآية قال اولئك بعضهم اولى
بعض واختلفوا في المراد من هذه الآية قال الواحدي عن ابن عباس والمفسرين كلهم

ان

ان المراد في الميراث وقالوا اجعل الله سبب الارث الهجرة والنصرة دون القرابة وذكر القريب الذي
امن ولم يهاجر ولم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر فاعلم ان لفظ الولاية يسمى بهذا المعنى
لان اللفظ مشعر بالقرب على ما قررناه في مواضع من هذا الكتاب وقال السلطان فلان من ولي
له ولا يفيد الارث وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولا يفيد الارث فثبت ان الولاية
تفيد القرب فيمكن حمله على عدم الارث ويكون بعضهم معطوفا على المعنى منهما بشانه مخصوصا
بمعاونته ومناصرته والمقصود ان يكونوا يدا واحدة على الاعداء وان يكون حال كل واحد
لغيره جاريا مجرى حاله لنفسه واذا كان اللفظ محتملا لهذا المعنى كان حمله على الارث
تخصيصا للفظ لا سيما وهم يقولون ان ذلك الحكم صار منسوخا بقوله تعالى في آخر
هذه الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فاحتجنا على اجل اللفظ على معنى لا
اشعار له لذلك اللفظ به ثم الحكم بانه صار منسوخا بآية مذكورة معه هذا في غاية البعد
اللهم الا اذا حصل اجماع المفسرين على ان المراد ذلك فحينئذ يجب المصير اليه اما دعوى
الاجماع بعيد فان العسم الذين اخبر عن اسلامهم مومني زمان الرسول عليه السلام وهم
المومنون الذين ماداموا اتقوا الرسول في الحرم وتوفي مكة وهم المعنيون بقوله والذين امنوا
ولم يهاجروا فنفى تعالى حكمهم وهو من وجهين الاول قوله ما لكم من ولايتهم من شيء
حتى يهاجروا وفيه مسائل المسئلة الاولى اعلم ان الولاية المنفية في هذه الصورة
هي الولاية المثبتة في القسم الذي تقدم ممن حمل لفظ الولاية ههنا على الارث وههنا
واجب اذا هو ان المراد من هذه الولاية الارث بان قالوا لا يجوز ان يكون
المراد منها الولاية بمعنى النصرة والدليل عليه انه تعالى عطف عليه قوله وان استنصروكم
في الدين عليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والدين والمعطوف مغاير
للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد بالولاية المذكورة امرا مغايرا لمعنى
النصرة وهذا الاستدلال ضعيف لانا لو حملنا لفظ الولاية على التعظيم والاكرام
وهو امر مغاير للنصرة الا ترى ان الانسان قد ينصر بعض اهل الذمة في بعض المهمات
مع انه لا تولية لمعنى التعظيم والاجلال وقد ينصر عدو ولده معنى الاعانة
مع انه لا تولية بمعنى التعظيم والاجلال فسقط هذا الدليل المسئلة الثانية

قوله حتى يهاجروا مع رسول الله سقطت ولايتهم بعضهم بعضا فازال الله هذا الوهم بقوله مالكم
من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا يعني اذا لم يهاجروا العادت تلك الولاية وعادت على اكمل
الوجوه ولا شك ان هذا اصعب من مساله في المهاجرة والمقصود من المهاجرة لهم المسلمين
واستمدادهم واعانة بعضهم لبعض وحصول الالفة والمودة وعلم الفرقة المسئلة
الثالثة قراجرة من ولايتهم بكسر الواو والمامون بالفتح قال الزجاج من فرح جعلها
من الفرحة والسبب قال والولاية التي بمعنى الامانة مكسورة لتفصل بين المعنيين
وقد يجوز كسر الولاية لان في تولي بعض القوم قوما حسا من الصناعة كالعصارة
والخياطة وهي مكسورة وقال ابو علي الفارسي الفتح اجود لان الولاية هنا من الدين
والكسر في السلطان الحكم الثاني من احكام هذا القسم الثالث قوله تعالى وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر اعلم انه تعالى لما بين في الحكم وقطع الولاية بين تلك الطائفة من المومنين
بين انه ليس المراد منه المقاطعة التامة كما في حق الكفار بل هو لا المومنون الذين لم يهاجروا
لو استنصروكم فانصروهم ولا تخذلوهم روى انه لما نزل قوله تعالى مالكم من ولايتهم من شئ
حتى يهاجروا قام الزبير وقال فعل بعضهم على امراة استعانوا بنا فهل لنا ان نستنصرهم فقال
تعالى الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى انه لا يجوز لكم نصرهم عليهم اذا كان
مانع من ذلك ثم قال تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض فيه مسائل
المسئلة الاولى اعلم ان هذا الترتيب الذي اعتبره الله تعالى في هذه الآية في غاية الحسن
لانه ذكر ههنا اقساما ثلثة والحق المومنون من المهاجرين والانصار وهم افضل الناس
وبين انه يجب ان يوالي بعضهم بعضا والقسم الثاني المومنون الذين لم يهاجروا
فهؤلاء لم يسبقوا اخوانهم فضل وكرامة وبسبب ترك الهجرة لهم حالة نازلة فوجب
ان يكون حكمهم حكما متوسطا وذلك هو ان الولاية المثبتة للقسم الاول تكون
منتفية عن هذا القسم الا انهم يكونون بحيث لو استنصروا المومنين واستعانوا بهم
نصروهم ولعانوهم فهذا الحكم متوسط بين الاحكام الاولة واما الكفار فليس
لهم البتة ما يوجب شيئا من اسباب الفضيلة فوجب كون المسلمين منقطعين عنهم
في كل الوجوه ولا يكون بينهم ولاية ولا امتزاج بوجه من الوجوه وظهر ان هذا الترتيب
في غاية الحسن المسئلة الثانية قال بعض العلماء قوله والذين كفروا بعضهم اولياء

يعضهم على ان الكفار في المواريث مع اختلاف ملهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث اليهودي
والنصراني يرث المجوسي لان الله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض واعلم ان
هذا الكلام انما يستقيم اذا حملنا الولاية على الارث وقد سبق القول منا بل المجوز ان يقال
ان الكفار قريش كانوا في غاية العداوة لليهود فلما ظهرت دعوة محمد عليه السلام ما ظهروا
ونعاونوا على المدابرة ومحاربته وكان المراد من ولايته ذلك وتمام التحقيق فيه ان الخشبة
عادة الضم وشبهه التي ينحدر اليه والمشركون واليهود والنصارى لما اتركوا في
عداوة محمد عليه السلام صارت هذه الجهة موجبة لانضمام بعضهم الى بعض وذلك
يدل على انهم ما اقدموا على تلك العداوة لاجل الدين لان كل واحد منهم كان في بقائه
الا ان كان له من صاحبه بل كان الدليل الدليل على ان تلك العداوة لمحض الحسد
والبغي والعناد ثم انه تعالى لما نهى عن هذه الاحكام قال الا تفعلوه تكن فتنة في الارض
وفساد كبير والمعنى الا تفعلوا ما امرتكم به من هذه التفاصيل المعدة المذكورة
تحصل فتنة في الارض وفساد عظيم وبيان هذا المعنى من وجوه الاول
ان المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضعف المسلمين وقلة عددهم وزمان قلة
الكفار وكثرة عددهم وعلى هذا التقدير تلك المخالطة سبب لاقدام الكافر
على قتل المسلم اذا كانوا اكثر فتن لم يظهر منهم جمع عظيم فحينئذ تلك
تسبب لجراءة الكفار عليهم الثاني انه اذا كان جمع المسلمين كل يوم في
الهيبة في القلوب والعدة صار ذلك سببا لمزيد رعبهم فيهم وزعمه المخالف
في الانتخاب بهم واعلم انه تعالى لما ذكر حكم هذا القسم الثالث عاد الى ذكر القسم
الاول الثاني من اخوة فقال والذين امنوا وهاجروا في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم اعلم ان هذا التكرار لانه تعالى
ذكر هم اولا لبيان حكمهم هو ولايته بعضهم بعض ثم ذكر هم ههنا لبيان
تعظيم شانهم وعلو درجتهم وبيان من وجهين الاول ان العادة مستمرة على ان الاهتمام
بحالهم ودلالة على التعظيم والثاني امر تعالى ان يقول ههنا من بلغه الوحي
اولها مولاه اولئك هم المؤمنون حقا ولهم المؤمنون بعد الحصر وهو
حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين واللام في الحقه

ه هذا الوهم بقوله مالكم
الولاية وعادت على اصل
ودين المهاجرة لهم المسلمين
وعدم التفرقة المسئلة
قال الحجاج من هم جعلنا
له لتفصل بين المحسن
الصناعة كالعصابة
ود لان الولاية هي سبب الدين
الثالث قوله تعالى وان استنصروكم
ه من بلك الطائفة من المؤمنين
سولا المؤمنون الذين لم يهاجروا
تعالى ما لكم من ولايتهم من شيء
يا ما لم يهاجروا استنصروكم
لم نصرهم عليهم اذا لميثاق
ولنا بعض هذه مسائل
في هذه الآية في غاية الحسن
والانصار وهم افضل الناس
المؤمنون الذين لم يهاجروا
لهم حالة ما له عوض
للعلم الحول تكون
المؤمنين واستعانوا بهم
له ذلك واما الكفار فليس
مسلمين منقطعين عنهم
وجوه وظهر ان هذا الترتيب
من كفروا بعضهم اولياء

كذلك لان من لم يكن مختفيا في بيته لم يحل تركه الاوطان السالفة ولم يفارق الاصل والوطن
ولم يبذل النفس والمال ولم يكن في هذه الاحوال من المسارعين في المسابقين وبالجملة معنى
وتكرير لفظ المعنى يدل على الكمال كما ان التنكير في قوله لنحدثهم احرص الناس على
حياة يدل على كمال تلك الحياة والمعنى لهم معنى تامة كاملة عن جميع الذنوب والتبعات
وبالجملة قوله ورزق كريم والمراد منه الثواب الرفيع الشريف الحاصل انه تعالى
شرح حالهم في الدنيا والاخرة والمقصود اما دفع العقاب واما جلب الثواب
اما دفع العقاب فهو المراد بقوله ورزق كريم وهذه السعادات العالية
انما حصلت لانهم اعرضوا عن المذات الجسمانية فتركوا الاهل والوطن وبذلوا
النفس والمال وذلك يدل على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن
هذه الجسمانيات القسم الرابع من مومني زمان محمد عليه السلام هم الذين
لم يوافقوا الرسول في الهجرة الى الحبشة بعد ذلك هاجروا اليه وهو المراد من قوله تعالى
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وفيه مسائل
المسئلة الاولى اختلفوا في المراد بقوله تعالى بعد الاربعين بعد الحديبية وهي
الهجرة الثانية وقيل بعد نزول هذه الاية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين
هاجروا بعد الهجرة الاولى وهو لاء هم التابعون باحسان كما قال والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه المسئلة الثانية الصحيح ان الهجرة غير منقطعة عبر
ابدا واما قوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح فالمراد الهجرة المخصوصة فانها
انقطعت بالفتح وبقوة الاسلام اما الهجرة في بعض الازمان بخوف المومن في بلد
وفي عدد يهم فلم يحصل للكفار بسبب كونهم معهم شوكة وان هاجروا المسلمين
تلك البلاد واسكنوا الى بلاد اخر ضعفت شوكة الكفار بهذا السبب لهم الهجرة
من مكة الى المدينة المسئلة الثالثة قوله فاولئكم بدل على ان مرتبة
هولاء دون مرتبة المهاجرين السابقين لانه الحق هولاء وجعلهم منهم في بعض
الشريعة لو لا حتمل الاول الشرف والاكمل صحة هذا المعنى فهذا شرح هذه الاقسام
الاربعة التي ذكرها الله تعالى وهذه الاية مرقال واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في حاشيته وفيه مسائل المسئلة الاولى الذين قالوا المراد من قوله

الصحيح

قوله تعالى اولى لبعضهم اولى ببعض ولا يبقى الميراث فالواجب ان لا يجعله ما يجب
بين ان الارث كان لسبب النصرة والهجرة والان فقد صار ذلك منسوخا ولا يحصل الارث
الا لسبب القرابة وقوله وذوا الله المراد السهام المذكورة في سورة النساء
واما الذين عقدوا لهم الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فالواجب ان لهم الولاية لما انه
يحتمله الولاية سبب الميراث بين الله تعالى في هذه الاية ان ولاية الارث انما تحصل
لسبب القرابة الا ما خصه الدليل فيكون المعقود من هذا الكلام اذا لم يدل الوهم
وهذا اولى لان ترك كثير النسخ من غير ضرورة ولا حاجة لا يجوز المسلة الثانية
تمسك محمد بن عبد الله بن الحسن الحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم في كتابه الى جعفر
المنصور هذه الاية في ان الامام بعد رسول الله هو علي بن ابي طالب فقال قوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يدل على ثبوت الاولوية وليس في هذه الاية ما
يدل على ثبوت هذه الاولوية فوجب حمله على العلل الا ما خصه الدليل وحينئذ يندرج فيه
الامامة ولا يجوز ان يقال ان المراد من اولي الارحام لما قال ابو عليه السلام اعطاه
سورة براءة ليسلمها الى القوم ثم رجعت عليا خلفه وامر ان يكون المبلغ هو على
وقال لا يؤدي هذا الا رجل مني ودل هذا على ان ابا بكر ما كان منه فهذا توجيه
الاستدلال بهذه الاية والجواب ان صحة هذه الدلالة كان العباس اولى بالامامة
لانه كان اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي وبهذا الوجه احتج ابو جعفر
المنصور على المسلة الثانية تمسك اصحابنا ابي حنيفة بهذه الاية في توريث
ذوي الارحام واجاب اصحابنا عنه بان قوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض جاز في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله كل
معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاية معينة بالاحكام
التي بينها الله تعالى في كتابه وتلك الاحكام ليست الا ميراث العصبات فوجب
ان يكون المراد من هذا المجمل هو ذلك فقط فلا معنى لرد الى توريث ذوي الارحام
ثم قال في ختام السورة ان الله بكل شيء عليم والمراد ان هذه الاحكام
التي ذكرناها ومصلحها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها شيء من العبث
والباطل لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب ونظير ان الملائكة
لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال انبيائهم اني اعلم ما لا تعلمون

يعني اما علم كونه عالما بكل المعلومات فاعلموا ان حكمي يكون منزها عن الغلط كذا فهما
ثم تفسير هذه السورة بحمد الله
وعونه وحسن توفيقه وصونه

تفسير سورة التوبة

قال صاحب الكشاف وهي مائة وثلاثون اية
ولها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المثيرة المحفرة
الفاضحة المنقرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب
قال ابن عباس التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر
عن اسرار المنافقين بحث عنها وتبرئ عنها وتحفر عنها وتفضحهم وتحللهم
وتسير فيهم وتحرجهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمون سورة التوبة
والله ما ترك منا احدا الا نالت منه وعن ابن عباس في هذه السورة قال لها الفاضحة
ما زالت تنزل فيهم حتى خشينا انها لا تدع احدا وسورة الانفال نزلت في بدر
وسورة الحشر نزلت في بني النضير فان قيل ما السبب في اسقاط البسملة
من اولها قلنا ذكروا فيه وجوها الاول روى ابن عباس قال قلت
لعثمان رضي الله عنه ما حملكم على ان عمدتم الى سورة براءة وهي من المثاني والى سورة
الانفال وهي من المئين فقرنتم بينهما وما فصلتم بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم فقال
كان النبي صلى الله عليه وسلم مما تنزل عليه سورة تقول ضعوها في موضع كذا وكان
براءة من اخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما ولم
يبين لنا انها منها ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم بعدها
فلهذا السبب لم يكن في هذه السورة بسملة الوجه الثاني لان الانفال اول القرآن
مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله على الوجه الذي يتلى ولو جوزنا في بعض
السور ان لا يكون مرتبها من الله على مثل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور
وفي ايات السورة الواحدة ويكون شطر قرآن ما نقوله الحمامية من جواز الزيادة
والنقصان في القرآن ولا يخرج عن كونه حجة بل الصحيح انه عليه السلام
امر بوضع هذه السورة بعد سورة الانفال وحينئذ فانه عليه السلام حذف

بسم الله الرحمن الرحيم عن ابن عباس السورة وحيا الوجه الثاني في هذا الباب
عن ابن الزبير كعبد الله قال انما تو هموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود
فوضعت احداهما بجنب الاخرى ولم يكتب بينهما ولا سطر هذا الوجه انما بين اذا
اذا قلنا انهم انما وضعوا هذه السورة بعد الانفال من قبل انفسهم لهذه العلة
والوجه الثالث ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وبراءة التوبة سورة
واحدة ام سورتان فمنهم من قال بعضهم سورة واحدة لان كلتيهما نزلت في القتال ومحتوى عليها
في السورة السابعة من الطول وبني بسم ومابعدها المثاني وهذا قول ظاهر
لانهما معا ما بين ست آيات وهما عندكم له سورة واحدة ومنهم من قال سورتان فلما
ظهر الاختلاف من الصحابة في هذا الباب تركوا بينهما فرجحه على قول من يقول هما
سورتان ولما كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم بينهما على قول من يقول هما سورة واحدة
وعلى هذا قول القول لا خلاف متجوز مذهب الامامية ودليل لانه لما وقع الاشتباه
في هذا المعنى بين الصحابة لم يقطعوا احد القولين وعلامة دليل على ان هذا الاشتباه
كان حاصلا فلما لم يسامحوا هذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين
في ضبط القرآن عن التحريف والتغيير ودليل يبطل قول الامامية الوجه الرابع
في هذا الباب انه تعالى ختم سورة الانفال بايجاب موالاة المؤمنين بعضهم بعضا
وان يكونوا منقطعين عن الكفار وبالكلية ثم انه تعالى صرح بهذا المعنى
في قوله براءة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتاكيدا له وتقريرا له
لزم وقوع الفاصل بينهما وكان ابقاء الفصل بينهما على حالهما سورتين متغايرتين
وتركه بسم الله سببا على ان هذا المعنى هو عين ذلك المعنى الوجه الخامس
قال عباس رضي الله عنهما لم نكتب بسم الله الرحمن الرحيم بينهما فانه
لا بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة بالسيف وليس العهد وليس فيها امان
وهذا لان سفيان عيينة ذكر هذا المعنى واكد دليل بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلم لست مؤمنا فجعل له السلام النبي عليه السلام كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم فلما حاصر عسفان ذلك انذر منه بدعوتهم الى الله
تعالى ولم يبدا بهم عند هم الاغارة قال في آخر الجواب والسلام على من اتبع الهدى

واما هذه السورة فقد اشتملت على المقالة وسبب العهد فظهر الفرق والوجه السادس
والاصحاء انا لعل الله تعالى لما علم من بعض الناس انهم سيأتون في يحول بسم الله الرحمن الرحيم
من القرآن امر بان لا يكتب ههنا ليدل على كونه آية من كل سورة فانها لما
لم تكن آية من هذه السورة وجب كونها آية من كل سورة **قوله تعالى**
براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين سيحوا في الارض اربعة اشهر
واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين وفي الآية مسائل
المسألة الاولى معنى البراءة انقطاع العصمة يقال بريء من الدين وفي رفع
قوله براءة قولان الاول انه خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة قال الفراء ونظيره
قولك اذا نظرت الى رحل جميل والله يريد هذا رجل والله وقوله من الله ابتداء الغاية
والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين كما يقول
كتاب من فلان الى فلان الثاني ان يكون قوله براءة مبتدأ وقوله من الله ورسوله
صفتهما وقوله الى الذين عاهدتم هو الخبر كما تقول رجل من بني تميم في الدار
فان قيل ما السبب في ان نسب البراءة الى الله ورسوله ونسب المعاهدة الى المشركين
قلنا قد اذن الله تعالى في معاهدة المشركين ما تقول المسلمون مع رسول الله صلعم
وعاهدوهم ثم ان هؤلاء المشركين نقضوا العهد فاوجب الله البراءة المهم محو ظاهر المسلمون
عما يحدث من الخلل وصل لهم علموا ان الله ورسوله قد بريا مما عاهدتم من المشركين
المسألة الثانية روي ان النبي عليه السلام لما خرج الى تبوك وتخلف المنافقون
وارجفوا الاراجيف جعل المشركون ينقضون العهد المهم فان قيل لم يجوز
ان ينقض النبي عليه السلام العهد قلنا لا يجوز ان ينقض العهد الا على دلالة
وجه احدها ان يظهر له منهم خيانة مستورة وخافة ضررهم فسد العهد المهم حتى
استووا في معرفته قطع العهد بقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء
وقال الضحاك نقضوا عهدهم في خمسة اشياء الاول ان يكون قد شرط لهم لبعضهم في وقت
العهد ان ينصرهم بما اوجب الله فلما امر الله تعالى بقطع العهد منهم قطع ذلك الشرط
والثالث ان يكون موحدا فسقض الله وسقض العهد ويكون الغرض من اظهار
البراءة ان يظهر لهم انه لا يعود الى العهد وانه على عزم المحاربة والمعاملة فاما فيما

وراهذه الاحوال الثلاثة لا يجوز نقض العهد البتة لانه يجري مجرى الحدود وخلاف
القول والله ورسوله برآن وهذا المعنى قال الله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقال
اكثر المشركين بنقضوا العهد الا ناسا منهم وبهم بنو ضمرة وبنو كنانة المسئلة الثالثة
روى ان فتح مكة كان سنة ثمان وكان الامر فيها على ما بينا سنة تسع وبرول هذه السورة
سنة تسع وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر سنة تسع ان يكون على الموسم
فلما برلت هذه السورة امر عليا ان يذهب الى اهل الموسم ليقرأها عليهم وفعل له لو
بعثت بها الى ابي بكر يقال الصديق عنى الا رجل مني فدعا ني علي سمعا ابو بكر الرغا
فوقف وقال هذا رغا ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال ما مور
ثم سارا فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم من مناسكهم وقام
على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم
فقالوا اما هذا فقد اعلم بلثغة لسانه وعن مجاهد بلثغة اتته سمر
قال امرت باربع ان لا يقرب هذا البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مومنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقال يا علي ابلغ ان عمك
اما قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا بطعن بالرماح وضرب
بالسيوف واخلعوا في السبيل الذي لا حله امر علينا فقراه هذه السورة عليهم
وبلغ هذه الرسالة اليهم فقيل السبب فيه ان عادة العرب الا تحل العقود
العهد ونقض العهد الا رجل من احد اقارب فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا
خلاف ما نعرف فيما من نقض العهود فربما لم يقبلوا فاراد ان يقطع عليهم بتوليه ذلك
عليا رضي الله عنه وقيل لما خص ابا بكر رضي الله عنه بتوليه امر الموسم
وبعث عليا خلفه ليبلغ هذه الرسالة حتى يصل عليا خلفا الى بكر ويكون حال
جاريا مجرى يشد على اثره الى بكر والله اعلم وقيل راعى في هذا المعنى
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثا بكرا اميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث
عليا يقرأ على الناس اوائل سورة براءة فكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه الخطيب

وعلى المسجع وكان ابو بكر الرافع بالموسم والسابق لهم والامير لهم فلم يكن ذلك لعلي ❁ واما
قوله عليه السلام لا يبلغ عني الا رجل مني فهذا لا يدل على ان علي افضل من ابي بكر
وانما هو عامل الغرض على ما سقناه بوجه فيما تقدم وكان السيد الكبير منهم اذا عقد
احدهم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد والعقد الا هو او رجل من اقاربه الغرض
منه كاح او عم فلهذا المعنى قال النبي عليه السلام ذلك القول واما قوله فسيحوا
في الارض اربعة اشهر فيه ايجاز الاول اصل السياحة الضرب في الارض والابتعاد
في السير والبعد عن المدن وموضع العمار مع الاعتدال من الطعام والشراب يقال
للصائم سايح لانه يشبه السايح لتركه المطعم والمشرب قال المفسرون فسيحوا
في الارض يعني اذهبوا امنين حيث شئتم وليس ذلك من باب الامر المقصود لاباحته
والاطلاق والاعلام بحصول الامان وازالة الخوف يعني انتم امنون من القتل والقتال
في هذه المدة الثاني قال المفسرون هذا تاجيل من الله تعالى للمشركين
اربعة اشهر حطه الى الاربعة ومن كانت مدته اقل من اربعة اشهر رفعه الى الاربعة
والمقصود من هذا الاعلام امور الاول ان يفكروا لانفسهم ويحتاطوا
في هذا الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة اما الاسلام
او قبول الجزية او السيف مصمم للحاق الملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والثاني
للا ينسب المسلمون الى نقض العهد والثالث ان يعلم الله جميع المشركين بالجهاد
فيعم الكل بالبراة واجلهم اربعة اشهر وذلك لقوة الاسلام وتخويف الكفار ولا يصح
ذلك الا بقطع العهود والرابع اراد النبي عليه السلام ان يحج في السنة الاتية
فامر باظهار هذه البراة لئلا تشاهد العراة ❁ البحث الثالث قال ابن
الانباري قوله فسيحوا القود مصدر والتقدير فعل لهم سيحوا ويكون
هذا وجوبا من الجملة الى الخصوص كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا اي ان
هذا كان لهم جزاء ❁ البحث الرابع اختلفوا في هذه الاشهر الاربعة على اربعة
ان براة نزلت في شوال وهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل
هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر واما سميت
حرما لان الاشهر الحرم اما سميت حرما لانها كان المحرم فيها القتل والقتال فهذه الاشهر

الحرم

الحرم لما حرم القتال فيها كانت حراما وقيل انما سمي حراما لان احرامهم
الله من الاشهر الحرم وقيل انما كان ذلك لمدة كانت من عشرين الى العقد الى عشر من شهر
ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت بسبب النسي الذي كان منهم فصار في
السنة الثانية من ذي الحجة وهي حجة الوداع والدليل عليه السلام ان الزمان
قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والارض اما قوله واعلموا انكم غير معجزي الله
معناه اعلموا ان هذا الامهال لكم لا يعجز الله بل لطف لنتوبوا من ذنوبكم وقيل
تعذبون فسيحوا عالمين انكم لا تعجزون الله وحاق بالمعبود اي امهلتكم واطلعتكم
فافعلوا كلما امكنكم فعله من اعداد الالات والادوات فانكم لا تعجزون الله
بل الله يعجزكم ويقهركم وقيل اعلموا ان هذا الامهال لاجل انه لا يخاف الفوت لانكم
حيث كنتم فانتم في ملك الله وسلطانه وقوله ان الله مخزي الكافرين قال ابن عباس بالقتل
في الدنيا والعذاب في الاخرة وقال الزجاج هذا اعلام من الله عز وجل نصره المؤمنين على
الكافرين وايجاب الادلال مع اظهار الغضيحة والعار والخزي لهم قال
العاصي ٥ قوله تعالى واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر الى قوله
بعذاب اليم ٥ اعلم ان قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين جملة تامة
مخصوصة بالمشركين وقوله واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر
جملة اخرى تامة معطوفة على الجملة وهي عامة في جميع الناس لان الدلائل يعرفه
المؤمن والمشرك من حيث كان الحكم المتعلق بالسلطان مما حتما محمد على المؤمن ان يوقعوا
الوقت الذي فيه العمال من الوقت الذي يحرم فيه بامر تعالى بصلا الاعلام يوم الحج
الاكبر وهو الحج الاعظم ليصل دلك الخبر الى الكل ويشتهر وفيه مسائل المسئلة الاولى
الاذان الاعلام قال الازهري يقال اذنته او ذنه فالاذان اسم ليوم مقام الاذان
وهو المصدر الحقيقي ومعناه ان الصلاة وقوله من الله ورسوله الى الناس اي اذان
صادر من الله ورسوله واصل الى الناس كقولك اعلام صادر من فلان الى فلان المسئلة
الثانية اختلفوا في يوم الحج الاكبر فقال ابن عباس في رواية عكرمة انه يوم عرفة
وهو قول عمر وسعد بن المسيب وابن الزبير وعطا وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن
علي وروايه المنصور بالله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قال خطبنا رسول الله

صلى الله عليه

عشيه عرفه فقال اما بعد فقال ان هذا يوم الحج الاكبر يوم النحر وهو قول السعدي والضحاك والسدي واخرجه الرواسه عن علي وقول المغيره ابن شعبة وسعيد بن جبير والموالك ما رواه ابن جريج عن مجاهد انه قال نعم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو مذهب سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها يوم صفين ويوم الجمل يريد به الحين كلها يوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرف من هذه الحروف ايام كثيره وحجه من قال انه يوم عرفه قوله عليه السلام الحج عرفه ولان اعظم اعمال الحج هو الوقوف بعرفه لان مواد ركه فقد ادرك الحج ولذلك يحصل في هذا اليوم وحجه من قال انه يوم النحر هي ان اعمال الحج اتمامها في هذا اليوم وهي الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي انه حلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر فقال يوم هذا خلق عن ابي وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوفه يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر واما قول من قال المراد مجموع ايام الحج فضعيف لانه يقتضي تعسير اليوم بالحاج الكفرة وهو خلاف الظاهر فان قيل لم سمي ذلك الحج الاكبر قلنا منه وجهان الاول انه هذا هو الحج الاكبر لان العمرة سميت الحج الاصغر الثاني انه جعل الوقوف بعرفه هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وله لك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر لاجتماع المشركين والمسلمين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك بعده فعظم ذلك اليوم في قلوب المومنين وكافر طعن الاصم في هذا الوجه وقال اعياد الكفار فيه يحط هذا الطعن ضعيف لان المراد ان اليوم يوم استغطه جميع الطوائف وكان من وصفه بالاكبر ذلك والرابع سمي بذلك لان المسلمين والمشركين حجوا في ذلك الخامس الحج الاكبر الوقوف بعرفه والاصغر النحر وهو قول مجاهد وعطا السادس الحج الاكبر القران والاصغر الافراد وهو منقول عن مجاهد قوله تعالى ان الله بريء من المشركين ورسوله وقد يختار الحجه الاول لقائل ان يقول لا فرق بين قوله براءه من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بريء من المشركين ورسوله فما الفائدة في هذا التكرار والجواب عنه من وجوه الاول ان المقصود من الكلام الاول البراءه من العهد ومن الكلام الثاني البراءه التي هي بعض

الموالاة الحارة مجرى الرجز والوعيد والذي يدل على حصول هذا الفرق ان في البراءة الاولى
برئ لهم وفي الثانية برئ منهم والمقصود انه تعالى امر في آخر سورة الانفال المسلمين بان
تعالى لعصمهم ويخصاوبه على انه يجب عليهم ان يوالوا الكفار وان يبروا اليهم فهاهنا
بين انه تعالى ما يتولى المؤمن فهو يبرأ عن المشركين وبدينهم ولعنهم ودلت الرسول
ودلت الاسعة تذكر التوبة المنزلة للبراءة والوجه الثالث في الفرق انه تعالى في الجلام
الاول اظهر البراءة عن المشركين الذين عهدوا وتعضوا دل العهد ودل العهد في هذه
الاية اظهر البراءة عن المشركين من غير ان يوصفهم بوصف معين بنبها على ان الموجب لهذه البراءة
كفرهم وشركهم البحث الثاني قوله ان الله برئ من المشركين فيه حذف والتقدير
واذان من الله ورسوله ان الله برئ من المشركين لان الله لا يكون مذنبا والكلام عليه
واعلم ان في رفع قوله ورسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمر
والتقدير ورسوله انضا برئ والخبر عن الله دل على الخبر عن الرسول الثاني انه عطف
على المنوي في برئ فان التقدير برئ الله ورسوله من المشركين الثالث قولها ان الله رفع
بالابتداء وقوله برئ خبره وقوله ورسوله على المبتدأ الاول قال صاحب الكشاف
وقد قرئ بالنصب عطفا على اسم ان ولان الواو بمعنى مع اي برئ هو ورسوله منهم بالجر على
الجوار وقيل على القسم التقدير ان الله تعالى برئ من المشركين وحق رسوله ثم قال فان
تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وذلك توبة من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك
الموجب لغضب الله ورسوله موصوفين بالبراءة منه وان تولتم اي اعرضتم عن التوبة عن
الشرك واعلموا انكم غير معجزي الله وذلك وعيد عظيم لان هذا الكلام يدل على ان الله قادر
على انزال اشد العذاب بهم ثم قال وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة لكملا
يظن ان عذاب الدنيا هو الذي وعد عليه من العذاب بل العذاب الشديد معرله يوم
القيامة ولفظ البشارة ههنا ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال لمحتهم الشريف
واكرامهم البشم قوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين الى قوله ان الله يحب المتقين
هذا الاستثناء الى اي شيء عاد فيه وجهان الاول قال الزجاج انه عائد الى قوله براءة من الله ورسوله الى المشركين الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد والثاني قال
صاحب الكشاف وخصهم ان يكون استثناء من قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر خطاب

المسلمين والمعذر براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يقولوا لهم سيحوا في الارض
الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا والاقرب ان يكون
المراد من الدول وان يقدموا على المحاربة بانفسهم ومن المباني ان يسيحوا اقواما اخرين
ونصرتهم وعيونهم في الحرب ثم قال فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم فالمعنى ان الذين
ما عذروا ومن عذر من الوحشي فاتموا اليهم عهدهم اي اتموا دوا اليهم اما كاملا قال
ابن عباس يعني الحي من كنانة تسعة اشهر من عهدهم وامر اليهم عهدهم الى الله عز المتقين
يعني ان قصة التقوى لا تسوى بين العصاة او يكون المراد ان هذه الطايفة لما اتقوا
النقض وتمكث العهد استحقوا من الله ان تصان عهدهم ايضا عن النقض والكث
وروى انه عذر بكر على خزاعة في حال غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهروهم
قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد

لاهم اني ناشد محمدا ۞ حلف ابينا وابيك الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ۞ ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ۞ وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه السلام نصرت يا عمرو بن سالم ثم قال انهم ليصدقون ما الضاد المعجمة اي لم ينقضوا
عهدكم **قوله تعالى** فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
الى قوله غفور رحيم ۞ في الاية مسائل **المسئلة** الاولى قال الليث يقال انسلخ الشهر
اذا خرج منه وانسلخ الصبي من هذا المعنى يقال اهللنا هلال الشهر كذا
اي دخلنا فيه استهل الصبي يستهل استهلالا اذا صاح عند الولادة ثم يسمى كل
كلمة مستهل وانشد ۞

اذا ما سلخ الشهر اهللت مثله كفى قائلا سلخ الشهور واهلالي

واقول تمام البيان في هذا الزمان محيط بالشيء وظرف له كما ان المكان يحيط به ويظرفه
ومكان الشيء عبارة عن السطح الباطن من الجسم المحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم
المحوى فاذا انسلخ الشيء من حيزه فقد انفصل عن السطح الباطن من ذلك الحيز وذلك
السطح هو مكانه المعين فجعل انصلاحه عبارة عن زمانه المعين لما بين المكان

فالزمان

والزمان من المناسبة التامة الشديدة واما الاشهر الحرم بعد فسرها في قوله فسيحوا
في الارض اربعة اشهر وهي يوم النحر الى العاشر من ربيع الاخر والمراد من تحريمها حرمانا
ان الله حرم القتال فيها فرفعه بقوله تعالى عقيبها فاقتلوهم الاشهر الحرم اذن في اربعة
اشياء اولا قوله فاقتلوهم حيث وجدتموهم ودل الامر بقتلهم على الاطلاق في اي
وقت واي مكان كان وبقوله وخذوهم اي بالاسر والاخذ الاسر وبالبقية
قوله واحصروهم وسعوا الحصر المنع من الخروج من محيطه قال ابن عباس يريد ان يحصروا واحصروهم
وقال الفراء احصروهم امنعوا من المشي الحرام ورابعها قوله واقعدوا لهم كل مرصد
والمرصد الموضع الذي يرقب منه العدو ومن قولهم رصدت فلانا اذا رقبته قال
المبرد والمعنى اقعدوا لهم على كل طريق يحدون منه السبيل الى الصحراء والى النجاة وقال
الاخفش في الكلام محذوف والتقدير وا قعدوا لهم على كل مرصد فان
تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وفيه مسائل المسئلة الاولى
اجمع السامع رضي الله عنهم بعد الاية على ان زوال الصلوة يحل قتال الله تعالى اباح دماء الكفار
مطلقا بجميع الطرق ثم حرمها بعد مجموع هذه الثلاثة وهي التوبة عن الكفر واقامة
الصلاة واما الزكاة فعند ما لم توجد هذا المجموع وجب بقي اباحة الدم على الاصل قال
والعالم لا يجوز ان يكون الامر بهما والمنع عنهما والدليل عليه ان ترك الزكاة
لاهل احياء ابو امنه بان ما ذكر من عدد من الظاهر وما ما في تارك الزكاة
فقد حمله التخصيص قال قالوا لم كان عمل التخصيص اولى من حمل الكلام على اعمه
وجوب الصلاة والزكاة قلنا لانه ثبت في اصول الفقه انه متى ما وقع التعارض
بين المجاز وبين التخصيص فان التخصيص اولى لتحمل المسئلة الثانية نقل عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في مانعي الزكاة لا افرق بين ما جمع الله ولعل مراده
كان هذه الاية لما تعالى لم يامر بتخليه سبيلهم الا حتى يأتوا بالصلوة والزكاة
وجب مقاتلة اهل الردة لما امتنعوا من الزكاة وهذا يدل ان تحدوا وجوبها الا ان
اقروا بوجوبها وامتنعوا من الدفع اليه خاصة فمن انكر انه كان يذهب الى وجوب
معالمهم من حيث انهم امتنعوا من دفع الزكاة الى الامام وقد كان يرى انه ان دلت
معلوم من حال الرسول عليه السلام ما يعلم سائر الشرائع الظاهرة والله اعلم

المسئلة الثالثة قد تكلمنا في حقيقة التوبة في سورة النحل في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وروى الحسن ان سيرا ادى بحيث يسمع الرسول اتوسأل الله ولا اتوسأل بحق لنا ولا بحق غيرنا فعال عليه السلام عرفت الحق لاهله فارسلوه المسئلة الرابعة قوله فاجره حتى يسمع قيل الى البيت الحرام وقيل الى المعرفة في بهائم ان الله غفور رحيم لمن تاب وآمن وعمل بطاعته وهو انه تعالى ضيق عليهم جميع المخارج العاجلة في جميع الاوقات ثم بين لهم لو تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة واتوا الزكاة وعظموا امر الله والكعبة وحجوا من دخل البيت الحرام وفضل الله ان يكون الكل في الصالحين العامة فالتوبة عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل والصلوة والزكاة عبارة عن تطهير القوة البطرية عن الجهل عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي وذلك يدل على ان كمال السعادة منوط بهذا المعنى قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه دلك بانهم قوم لا يعلمون وفيه مسائل المسئلة الاولى في تفسير وجه النظم يقال عن ابن عباس ان الله قال ان رجلا من المشركين قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ان اردنا ان نأتي الرسول بعد انقضاء هذا الموسم ليسمع كلام الله او لحاجة اخرى فهل يقتل فعال علي رضي الله عنه لا لان الله تعالى لما اوجب السلاح الاشهر الحرم قبل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكر من الرسول فقد دل من انواع الدلائل والبينات ما يكفي في ازاحة عذرهم وعلتهم ودل ان يعصى الصادر من المشركين لو طلب الدليل والحجة ان لا يقتل لانه بل طالبا اما بالاسلام واما بالعدل فلما كان هذا الكلام واقعا في القلب لاجرم ذكر الله هذه الآية ازاله لهذه الشبهة والمقصود منه بيان ان الكافر اذا جاء طالبا للحجة والدليل او جاء طالبا لاستماع القرآن فانه يجب اسماعه ويحرم قتله ويجب ايصاله الى مامنه وهذا يدل على ان المقصود من شرع القتل قبول الدين والانقياد بالتوحيد ويدل ايضا على النظر في حق الله اعلا المقامات واعلا الدرجات فان الكافر اذا صار دمه مهدرا لما اطهر من نفسه كونه طالبا النظر والاستدلال دل ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مامنه المسئلة الثالثة احد من ترفع بفعل مصدر يفرغ الظاهر وتقدر وان استجارك احد ولا يجوز ان يرتفع بالابتداء لان من عوامل القول لا يدخل على

عنه

عين فان قيل لما كان المقدر مما ذكرتم فما الحكمة في ترك هذا الترتيب الحقيقي قلنا
الحكمة فيما ذكر سبونه وهو انهم يعدون الاهم والاولى هم بشانه اعني وقدسيا هنا الظاهر
الدليل يعني الحاجة دم المشركين وقدم ذكرهن ليدل ذلك على مزيد العناية بصون دمه
عما اليه هذا ان قال الزجاج المعنى ان طلبه منك احد منهم ان يحس من العقل الا ليسمع كلام الله
فاجره المسئلة الثالثة قالت المعتزلة هذه الاية تدل على ان كلام الله سمعه الكافر
والمؤمن والزنديق والصديق والذي يسمعه جمهور الحشوية ليس الا هذه الحروف والاصوات
قالوا دلت على ان كلام الله ليس الا هذه الحروف والاصوات ثم من المعلوم بالضرورة
ان الحروف والاصوات لا تكون قديمة لان تكلم الله بهذه الحروف اما ان يكون معا
او على الترتيب فان تكلم بها معا لم يحصل منه هذا الكلام المنظوم لان الكلام
لا يحصل منظوما الا عند وجود هذه الحروف في الوجود على التعاقب فلو حصلت معا
لا متعاقبة لما حصل الانتظام فلم يحصل الكلام واما ان حصلت متعاقبة لزم ان
يكون المتقدم قد حدث المتاخر وذلك يوجب الحدوث فدل هذا على ان كلام الله محدث
قالوا فان قلتم ان كلام الله شيء يخالف هذه الحروف والاصوات فهو باطل لان الرسول
عليه السلام ما كان يشير بقوله كلام الله الا الى هذه الحروف والاصوات واما
الحشوية والجمع من الناس فقالوا انه يصح ان يكون كلام الله ليس الا هذه الحروف
والاصوات وبيان ان كلام الله قديم يوجب القول بقدم الحروف والاصوات واعلم
ان الاستاذ ابا بكر بن فورك رحمه الله لما سمعنا هذه الحروف والاصوات علمنا بعد سماعها ذلك
كلام الله تعالى واما سائر الاصحاب فقد ذكروا في ابطال هذا القول وجوها كثيرة
احدها الاعلام القديم اما ان يكون نفس هذه الحروف والاصوات واما ان يكون
شيئا اخر مغايرا لها والاول هو قول الزعاع والحشوية وذلك باطل بالعقل
واما الثاني فباطل لان على هذا التقدير لما سمعنا هذه الحروف والاصوات فقد سمعنا
شيئا اخر مخالفا ماهيته هذه الحروف والاصوات لكنا نعلم بالضرورة ان بعد سماع
هذه الحروف والاصوات لم نسمع شيئا اخر سوى هذه ولم يدرك باحد السمع ابدا اخر
مغايرا لها فسقط هذا الكلام والجواب الصحيح عن كلام المعتزلة ان يقول
هذا الذي سمعه ليس عين كلام الله على مذهبكم لان كلام الله ليس الا الحروف والاصوا

التي خلقها اولا لذلك الحرف والاصوات التي تعضد وهذه التي سمعها حروف واصوات
فعلها هذا الانسان فما السر متوه علينا فهو لازم عليكم واعلم ان اباءك الجهال
لغوه هذا الالزام ركبوه مذهبا عجيبا فقال كلام الله هي مغاير للحروف والاصوات وهو باق
مع قراءة كل قارئ وقد اطبق المعتزله على سقوط هذا المذهب المسئله الرابعة اعلم ان
هذه الاية تدل على ان التقليد غير كاف في الدين وانه لابد من النظر والاستدلال ودلالة انه
لو كان التقليد كافيا لوجب ان يقبل هذا الكافر قول القائل له اما ان تؤمن واما ان نقتلك
فلما لم يقبل ذلك بل امهلناه وازلنا الخوف عنه ووجب علينا ان نبلغه مامنه علمنا ان
حالنا ما كان لاجل ان التقليد في الدين غير كاف بل لابد من الحجة والدليل فامهلناه
واخبرناه ليحصل له مهلة النظر والاستدلال اذا ثبت هذا فنقول لقائل ان يقول
على ان مقدار هذه المهلة كم تكون ولعله لا يعرف مقدار الا بالعرف فمتى ظهر
على دلائل المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك
ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق واعظم الزمان بالاسكات بما لم يبلغ البته
المسئله الخامسة المذكور في هذه الاية كونه طالبا لسماع القرآن منقول
وبالتحري كونه طالبا لسماع الدلائل وكونه طالبا للجواب عن الشبهات والدليل
عليه انه تعالى علل وجوب ذلك لاجل انه يكون عن علم لانه قال ذلك بانهم قوم لا يعلمون
وكان المعنى والله اعلم ليكونوا طالبا للعلم مسترشدا للحق وكل من حصلت فيه هذه العلة
وجب حمايته المسئله السادسة في قوله حتى يسمع كلام الله وجهان قيل اراد سماع
جميع القرآن لان تمام الدلائل والبينات فيه وقيل اراد سماع سورة لانها
مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين وقيل اراد كل الدلائل وانما خص القرآن
بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم الدلائل في قوله ثم ابلغه مامنه معناه اوصله
الى دار قومه التي يامنون فيها على انفسهم واموالهم من بعد ذلك لكي يخوفهم ويخالفهم
المسئلة السابعة قال العلماء الكافر الحربي اذا دخل دار الاسلام كان معصوما
مع ماله الا ان يدخل مستخبرا للعورات بشرع كاستماع كلام الله وجاء الاسلام او دخل
ليجاور فان دخل بامان صبي او مجنون فاله ايهما شهد امان صحيح بلغه مامنه
وهو ان يبلغ محروسا في نفسه وماله الى مكانه الذي هو مامن له ومن دخل منهم

دار الاسلام

دار الاسلام كان معصوما ما معه ماله الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسوله فالرسالة امان ومن دخل لباخذ
ماله له فدار الاسلام وله ماله امان فامان ماله امان له **قوله تعالى** كيف يكون
للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الى قوله المتقين ه قوله كيف استفهام معناه الانكار
كانه قال استغنى مشلك اى لا ينبغى ان يستغنى وفى الامر محذوف تقديره كيف يكون للمشركين
عهد مع اصرارهم على الغدر وما وقع من العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام لانهم ما
نكثوا وما تغيروا فاتموا اليهم عهدهم فانه وعد محترم فاثر عوبهم ولا تعاملوهم فما استقاموا
لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعنى من اتقى الله فوفى بعهده
لمن عاهده **قوله تعالى** كيف وان يظهروا عليكم الى قوله انهم ساء ما كانوا يعملون
واولئك هم المعتدون ه اعلم ان قوله تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحدوث العهد
لكونه معلوما اى كيف يكون لهم عهد وحالهم هذا وان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم
من تاكيد الايمان والمواثيق لم يرقبوا فى حلف ولا عهدا ولم يفوا عليكم هذا هو المعنى
ولابد من تفسير الالفاظ المذكورة فى الاية فالظهور على فلان اذا علوته وظهرت على
السطح اذا صرت فوقه قال الليث الظهور الظفر بالشئ واظهره الله المسلمين على المشركين
اى اعلاكم وسمه قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين وقوله ليظهره على الدين كله اى
ليعليه ويحقق القوائم من علا عن حصلت له كمال ومن كان كذلك ظهر نفسه ومن
صار معلوما صار كالناقص والناقص يعسر وبخفى بعضائه فصار الظهور كناية عن العلم
لكونه من لوازمه فقوله ان يظهروا عليكم يريد ان يعلموا عليكم وقوله لا يرقبون
قال الليث رقب الانسان يرقبه رقبة ورقوبا هو ان ينتظر ورقب القوم حاربهم وقوله
ولم يرقبوا فولى اى لم يحفظوه اما الاول فمعناه قولان احدهما انه للعهد لانه يذكر بمعنى العهد ه
الثانى قال الفراء الالّ القرابة قال حسان ه

لعمرك ان الك من قريش كما تسقو الى الماء التمام

يعنى قرابة الثالث الحلف قال اوس ه

لولا بنو مالك والالّ ترفده ومالدهم الا الالّ والشرف

يعنى الشرف والرابع الالّ هو الله عز وجل وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه لما سمع
بامان مسيلمة قال ان هذا الكلام لم يخرج من الّ وطعن الرماح وهذا القول لان اسما الله تعالى

معلومه من القرآن والاخبار ولم يسمع احد يقول انّ الخامس مالك الحاج حقيقه الا
عند من عاب ما يوجبه اللغه تحديد النبي فمن قال الاله الخريته وادن مواليه فالاول يخرج
في جميع ما فسر من العهد والقرابه السادس قال الازهري يدل من اسما الله عز وجل
بالعبادة فجاز ان يكون عزب فعل الّ السابع قال الجعفي الاله ما عود من
قولهم ال يؤول اذا صاح وطبع ومد اذا له لمعا بصاوادن مواليه مشبهه بالحربه في تحديدها
وله الليل اذا ابس رفع به صوته ودعت وليلها اذا اولولت فالعهد سمي الّ لظهوره وجابه
من شاب العذر ولان القوم اذا تراقعوا بحالفوا به اجوابهم وسهروا واما قوله
ولا ذمه فالذمه العهد وجمعها ذمم وذيام وهو كل امر لزمك وكان بحسابه وصيغته
لزمتك مذمه وقال ابو عبد الله الذمه ما يذم منه يعني ما يحدث به الذم نحو يحوب
وتائم ويحرج اما قوله تعالى برضونكم بافواههم وتابى قلوبهم اي يقولون بالسنتهم
كلاما حلوا طعما والذي في قلوبهم بخلافه لا يصدقون الا السر والابدا
ان قدروا عليه واكثرهم فاسقون ومنه سؤال الحول الرابع الموصوفين بهذه
الصفه كفار والكفر افحش واجنب من الفسق وكيف يحسن وصفهم بالفسق في معرض
المبالغه في الذم والسؤال الثاني ان الكفار كلهم فاسقون فلا يبقى لقوله
فامل واكثرهم فاسقون والجواب عن الاول ان الكافر قد يكون عدلا في دينه
وقد يكون فاسقا حيث البعض فرد منه فالمراد ههنا ان هؤلاء الكفار الذين عاهدتم
نقضوا العهود واكثرهم فاسقون في دينهم وافعالهم وقد يوصف المبالغه في الذم
والجواب عن الثاني عن ما تقدم لان الكافر قد يكون محترزا عن الكذب
ونقض العهد والمكر والخديعه وقد يكون موصوفا بذلك ومثل هذا التخصيص
يكون مذموما عند جميع الناس وفي جميع الاديان فالمراد بقوله واكثرهم فاسقون
ان اكثرهم موصوفون بهذه الصفات المذمومة وانصافا قال ابن عباس لا يبعد ان يكون
بعضهم ولد الكفار قد اسلم وتاب فهذا السبب قال واكثرهم فاسقون لخروج
عن هذا الحكم اولئك الذين دخلوا في الاسلام اما قوله اشتروا بايات الله ثمنا
قليلا فاعلم ان سئل فيه قولان الاول المراد منه المشركون قال مجاهد هذا اطعم
ابو سفيان حزب حلفاءه ومن حلفا النبي صلى الله عليه وسلم منعوا العهد الذي كان

سلم

بينهم بسبب ذلك الا ذكله الذي لا بعد ان يكون طائفة من اليهود عاندوا المسلمين على نقض
تلك العهود وكان المراد من هذه الآية ذمهم ولذلك اليهود وهذا اللفظ في القرآن
كالامر المختص باليهود ونقول هذا الوجه بما ان الله تعالى اعاد قوله تعالى
لا يزالون في كل مرة الا قليلا منهم ولو كان المراد منه المشركون لكان هذا الامر مختصا
ولو كان المراد منه المشركون لكان هذا تكريرا محضا ولو كان المراد منه اليهود لم يكن
تكريرا فكان ذلك اولى ثم قال واولئك هم المعتدون يعني بعد ذلك ما حكم الله
في حقهم وما يوجب العهد والعقد **قوله تعالى** فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة فاخوانكم في الدين الى قوله لعلهم ينتهون واعلم انه تعالى لما بين حال من لا
يرقب في الله الا ولا ذمة وبين نقض العهد وسطوه على النقاض وسعيه في ما حله من بعد
اتبعه ان اقاموا الصلاة واتوا الزكاة لتعلم حكمهم فحل التي واخوانكم في الدين
وهو يفيد حكم احكام الايمان ولنشرح اقوال فان في المعلق على التي تحكم ان
علم عدم دال التي فهذا يقتضي انه اذا لم يوجد هذه الملازمة لا يحصل الاخوة في
الدين وهو مشكل لانه ربما كان مقرا او كان غسا ولكن قبل انقضاء الحول لا
يلزمه الزكاة قلنا قد مر في تفسير قوله تعالى ان يكفروا كما ترى انهم يعنون عنه ان
المعلق على التي تحكم ان لا يلزمه عدم دلك التي وذلك هذا السؤال ومن الناس من قال
المعلق على التي تحكم ان علم عدم عدم خلل التي ههنا قال المواخاة بالاسلام من
الاسلام موقوفة على فعل الصلوة والزكاة فان الله شرطها في اثبات المواخاة ومن لم
يكن اهلا لوجوب الزكاة عليه ان يعلم بها فاذا اقر بهذا الحكم دخل في الشرط الذي به
تحب الاخوة وكان ابن مسعود يقول رحم الله ابا بكر ما افقهه في الدين الا انه ما ذكر
ابو بكر في حق مانعي الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني
في قوله فاخوانكم في الدين يحتمل النصب على الاول قوله فاخوانكم قال الفراء
معناه وهم اخوانكم الثاني قال ابو حاتم قال اهل البصرة اجمعوا الاخوة في النسب
والاخوان في الصداقة وهذا غلط يعالى للاصدقاء وغير الاصدقاء اخوة واخوان قال الله تعالى
انما المؤمنون اخوة ولم يعن النسب وقال تعالى او بيوتا اخوانكم وهذا في النسب قال
ابن عباس حرمت هذه الآية وما اهل العلم قال ونفصل الآيات لقوم يعلمون

قال صاحب الكشاف وهذا اعتراض وقع بين الكلامين والمقصود النعي والتوبيخ على ما
ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى الحاق وصله عليها بقوله وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون
شبّه حبط الصوف بعد ابرامه ومنه قوله تعالى من بعد انكاثا والايمان جمع يمين بمعنى
الحلف والقسم وقيل المحلوف بمن وهو اسم الله لانهم كانوا يسطون ايمانهم اذا حلفوا
او يحالفوا وقيل سمي القسم يمينا لتمرة الرفد بقوله وان نكثوا ايمانهم من
اي نقضوا عهودهم وفيه قولان الاول وهو قول الاكثرين ان المراد بهم اهل
الله عليه وسلم والدليل على ان المراد حمل العهد على الاسلام بعد الايمان ولان القراء
بعضهم وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم والاول اولى لان القراءة المشهورة وان
الاية وردت في ناقضي العهد لانه تعالى صنفهم صنفين واذا امر منهم من بايع سو
منهم الامر اقام على بعض عهده وقوله وطعنوا في دينكم تعالى طعنه بالرمح
يطعنه وطعن بالقول التي يطعن قال الليث وبعضهم يقول يطعن بالرمح ويطعن
بالقول بفرق بينهما والمعنى انهم عابوا دينكم وقدحوا فيه ثم قال فقاتلوا ائمة الكفر
اي متى فعلوا ذلك فقاتلوا هل وفيه مسائل المسئلة الاولى قرأ ابن عامر وابن كثير
وابو عمرو ائمة بهمزة واحدة وكذلك الباقون بهمزتين على التحقيق قال الزجاج الاصل
في ائمة الائمة لانها جمع امام مثل امام ومثله لكعب المهموز اذا جمعا اذ عمل الاول
في الباقية والعين حركتها على الهمزة صارت ائمة فاذا من الهمزة المفتوحة الفا للزائدة
اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة هذا هو الاختيار عند جميع النحويين اذا عرفت هذا فنقول
قال صاحب الكشاف لعل ابقاء همزة بعدها همزة وبين والمراد من مخرج الهمزة والفا اما يحس
الهمزتين بعد ان مشهورتان وان لم يكن مقبولة عند النحويين واما النصر عن الياء فليس بقوي
ولا يحوز ابدال الواو ومن صرح بها فلاجل مجرد في المسئلة الثانية قوله فقاتلوا ائمة
الكفر معناه قاتلوا الكفار ياسرهم الله تعالى بحض الائمة واستأده
منهم بالذكر لانهم هم الذين يخوضون في الاصغاء على هذه الاعمال الباطلة
المسئلة الثالثة قال الزجاج هذه الاية توجب قتل الذمي اذا اظهر الطعن في
الاسلام لان عهده مشروط بان لا يطعن بعد ذلك واستدل عليهم بقوله تعالى انهم لا

امان لهم قرأ ابن عامر لا امان لهم بكسر الالف انما وجهان احدهما لا امان لهم اى لا يوجد
فيكون مصدرا من الامان الذى هو ضد الاخافة والثانى انهم كفروا امانهم اى لا تصدق
ولا تدين لهم والباقون بفتح الهمزة وهو جمع يمين ومعناه لا امان لهم فى انعقادها ولا يمين لهم
يوفى بها لكونها يمين كفر وليس لكافر ان يكون يمينا وعند الشافعى منهم من هو معصوم
الدم بعقد الجزية لما بينا فصارت امانهم كالعدم فالمستأمن امان والدليل على ان امانهم امان انه تعالى
وصفها بالسلب وهو العدم بتأويل وهو متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اى كفروا
فى معاهدتهم بعدما وجد منهم ما وجد من العظائم ان يكون لهم امان بسبب ما فى ايمانهم عما هم عليه
من الكفر وهذا فى غاية كرم الله وفضله على الانسان قوله تعالى الا تقاتلون قوما
نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول منهم بدأوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان
كنتم مؤمنين اعلم الله تعالى انهم قد قاتلوا ائمة الكفر اسعد الله بدر السبب الذى سعهم
على معاتلتهم فقال الا تقاتلون قوما نكثوا واعلم ان الله تعالى انما ذكر بلاغة اشتمل كل
واحد منها على موجب معاتلتهم اذا العرف فكيف بها حال الاجتماع احدها انهم نقضوا العهد وكل
المفسرين حملوه على نقض العهد قال الزجاج والسدى والكلبى برئت فى كفار مكة
نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعة وهذا يدل على ان
قال انما كفرت اولئك من قتال عمر منهم من الكفار ليكون ذلك حاملا لغيرهم الباقى
وهو اخراج الرسول فان هذا امر اوكد ما يحب العمال لاجله فاجتمعوا فيه فقال
بعضهم المراد اخراجه من مكة حين هاجر وقال بعضهم بل المراد من المدينة لما
اقدموا عليه من المشورة والاجتماع على قتله بالعمل وقال اخرون بل هو ما اراده
من همتهم فان هموا على ما يدعون الى الخروج وهو نقض العهد فانه اعلمهم فاصبحوا
الخراج توسعا ومنعهم من الامور الداعية الله وقوله وهو اخراج
الرسول لما العمل واما العزم عليه وان لم يوجد لان العمال بما مامه والباقى
قوله وهم بدأوكم اول مرة يعنى بالعمال يوم بدر لانهم حين سمع العير قالوا لا نرجع
حتى نستأصل محمدا ومن معه والقول الباقى انهم قاتلوا حلفاء خزاعة مذا واما نقض العهد
وهذا قول الاكثرين واما قال بدأوكم تنبيها على ان البادى اظلم وما شرح تعالى هذه
الوجوه الثلاثة زاد فيها فعال اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين وهذا

الكلام بتوجه داعية العقل من وجوه الاول التعدية الموجبات التقوير وتفصيلها ما تتوجه
هذه الداعية والثاني اذا قلت للرجل اضربني ضربا خفيفا كان ذلك رد كما سيجيء فهذا مستكف
ان يكون ضربا من جنسه والثالث ان قوله فالله احق ان يخشوه و
يخشوه يفيد ذلك كانه قيل اتركت تخشى احدا فالله احق ان يخشوه ويعامله بالعدل
والكبرياء والجلال والضرب الموقع مهم غايته العقل اما الموقع من الله العقاب الشديد
في القيامة واللوم اللازم في الدنيا والرابع ان قوله ان كنتم مؤمنين معناه ان كنتم
ان كنتم موصوفين بالايمان وحب علينا ان نعدوا على هذه المعاملة ومعناه الم ان لم نعدوا
عليها وجب ان لا يكونوا موصوفين وسئل عن هذا الكلام استعمل في سبعة انواع
من الامور على ما قاله الكفار الماضين للعهد يعني في الجواب الاول
حكى الواحدي عن اهل المعاني انهم قالوا اذا قلت لا تفعل كذا فانما استعمل ذلب
في فعل يقدر على وجوده اذا قلت لست تفعل فانما تقول ذلك في فعل يحقق وجوده
والفرق بينهما ان لا تفعل هي المستقبل فاذا دخلت عليها الالف صارت مختصة
على فعل ما يستقبل وليست بما استعمل في الحال فاذا دخلت عليها الالف صارت تختص
بحال التكلم ثم نعد عن ابن عباس انه قال قوله الا يبلون قوما نكثوا العاتهم وعهدهم يعني
قوله شاحرا عانوا بني الدليل يكثر على جزاعة حلفا الرسول عليه السلام فامن بسر بن سوله
ان يسير اليهم فسير جزاعة فعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واغار الناس
بمكة وابو سفيان عند هرقل بالروم فرجع وقدم المدينة ودخل على فاطمة فلم يقعد الرسول
ليجلس بها فاتت وقال اخلد لا نبيها الحسن والحسين فانا جاطب الكريم خاطب عمد
فتشهد ثم جاطب علما فلم يحد فاسجار بالصاحبي فجار مصافاله فاجاز واطار الرسول
عليه السلام لاجارته وجاء سئله فقال العباس يا رسول الله اني اباسفيان فيه ايمنه
فاجعل له شيئا فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن فعدا ابو سفيان الى مكة ونادى من دخل
داره فهو امن فقاموا الله ورفعوا رؤسهم فاشتد بذا وفصل الفتح عند ذلك فهذا ما قاله
ابن عباس وقال الحسن لا يجوز ان يكون المراد منه ذلك لان رسول الله لم يزل يعد حتى مكة
ومن جوز هذا الكلام من اهل اللغة قال الاستفهام الحسن قال ابو بكر
الاصم دلت هذه الاية على انهم كفروا هذا العتال لقوله تعالى لم تعلم القتال

وهو زجر لهم فامنهم الله تعالى بهذه الآيات قال العامري انه تعالى قد حث على فعل الواجب من حيث كون كذلك وهو مقتضى ما قاله فان اراد مثل هذا التحريض على الجهاد لا يقع الا وهذا كذلك للعقل لم يصح ايضا لانه يحسن ان يقول تعالى بهذا الحكم على الجهاد لكملا الذي لولا هذا التحريض كان يقع الخ الرابع دلت الآية على ان المؤمن يسعى ان يحيى ربه ولا يحيى احدا سواه ﴿ قوله عز وجل ﴿ والمؤمن يعذبهم الله بايديكم الى قوله والله عليم حكيم ﴿ اعلم انه تعالى قال في الآية الاولى وتوب الله على من يشاء الا يعالمون وذكر عقيبه سبعة اسئلة ولقد مر انا نوجب اقدام هم على العمال بعلمه تعالى في هذه الآية اعادة الامر بالعمال وذكر في ذلك العمال خمسة انواع من الفوائد كل واحد منها يعظم موقعه اذا انفرد فكيف بها اذا اجتمعت فاولها قوله يعذبهم بايديكم وفيه مباحث الاول انه تعالى سمى ذلك عذابا وهو حق فان الله معذب الكافر في الدنيا وان شاء اخره الى الآخرة والبحث الثاني ان المراد من هذا التعذيب العمال بان والاسر اخزى واعظم الاموال فدخل فيه كل ما ذكرنا فان قالوا انه ليس تعالى قال وما كان الله ليعذبهم وانت فهمت عذاب الاستيصال والمراد من قوله يعذبهم الله بايديكم عذاب العمال والحرب والجواب من الله ان عذاب الاستيصال قد يعذب به الكافر ان كان وكان في جملته سبب المزيد الثواب اما عذاب العمال فالظاهر انه يبقى مقصورا على المذنب البحث الثالث اجمعوا اصحابنا على قولهم بان فعل العبد مخلوق لله تعالى بقوله يعذبهم الله بايديكم فان المراد من هذا التعذيب العمال الامر وظاهر النص يدل على ان ذلك العمال الامر فعل الله تعالى الا انه تعالى يدخله في الوجود على ايدي العباد وهو صريح قولنا ومذهبنا احتج الخصم عليه فقال لو جاز ان يقال انه تعالى يعذب المؤمن بايدي الكفار وجاز ان يقال انه يعذبهم بايديهم على السنة الكفار ولغى المؤمنين على السنتهم لقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فلما لم يجز ذلك عند المحترز علمنا انه تعالى لم يخلق اعمال العباد وانما نسب ما ذكرناه الى نفسه على سبيل التوسع من حيث انه تحصل الامر والطاعة بالتصف جميع الطاعات الله هذا التعذيب واحتج اصحابنا عليه ان الذي ذكرتموه علينا فالامر عندكم لا يدل الا على ان العبد يقول ما يعلم الله تعالى هو الخالق لجميع الاجسام اما الاقوال الخالق الاصوات والحركات وما يكون الخاص والاماكن بعد اتفقنا وانتفوا معنا على ان الرياح والمواطئ وسائر المفاتيح انما تحصل باقدار الله

تعالى وبسببه فلا يجوز الا لدليل والدليل القاهر من حالنا وان المعجل لا يصدر الا عند
الداعية الخالصة وحصول تلك الداعية ليس الا من الله تعالى وبهذا قوله وبحريهم
ومعناه ما يزول بهم من الارزاق والاموال حتى يتفرغوا لعبادة الله تعالى وبهذا قوله
ويطمس على اموالهم اى يعدمها قبلكم اياهم وهذا دليل على ان هذا الاخبار
وقع بهم في الدنيا وهذا ضعيف لانا بينا ان الاخبار حاصل في الدنيا والاخرة وبهذا قوله
ونصركم عليهم والمعنى انه لما حصل الخوف لهم بسبب خوفهم منهم وان بعد حصل
النصر للمسلمين بسبب خوفهم قاهرين فان قالوا الامكان حصول ذلك الخبر
مستلزم لحصوله هذا عان اراده بالذكر عبثا نقول ليس الامر
كذلك لانه من المحتمل ان يحصل الخبر لهم من وجه المومنين الا ان المومنين تحصل
لهم الجنة بسببه فلما قال ونصركم عليهم دل على انه سيحصل هذا النصر والعز والظفر
وبهذا قوله ويشف صدور قوم مومنين قد ذكرنا ان خزاعة اسلموا فاعان وبكر
بنى بكر عليهم حتى نكثوا وساعدهم صلى الله صدورهم من بنى بكر ومن المعلوم
ان من طال باذيته من غيره ثم مكنه الله منه على احسن الوجوه فانه يعظم سروره
به ويصير ذلك سببا لعود الغيظ وثبات العزيمة وبهذا قوله ويذهب غيظ قلوبهم
ولقائل ان يقول قوله ويشف صدور قوم مومنين معناه ان يشفي من الم الغيظ وهذا هو
عين ما ذهاب الغيظ فما قوله ويذهب غيظ قلوبهم تكرار فالجواب انه تعالى وعد بهم
بحصول هذا الغيظ فكانوا في وجه الانتظار كما قيل الانتظار موت الاحمر فشفى صدورهم
من وجه الانتظار وعلى هذا الوجه يظهر العرق بين قوله ويشف صدور قوم مومنين
وبين قوله ويذهب غيظ قلوبهم فهذه من الدفائع الحسنة التي ذكرناها في هذا الكتاب
وكلها رجع الى تسكين الدعاة في المباشرة من القوم المعصية وهي الشفي ودرك
الثار وازالة الغيظ ولم يذكر تعالى فيها وجدان الاموال والفوز بالمطاعم والمشارب
وذلك لان العرب قوم جبلوا على المحبة والانفة فرغبهم في هذه المعاني لكونها لا يقتضي
بطباعهم في هذا المحل الحث على الحصول هذه الاوصاف فناسب لطف الله
بالذي جرى مجرى الواقعة مشاكل لهذه الاحوال ولهذه المعاني جاز ان يقال
الحديد وارد وقد الحق الثاني الآية دالة على المحق بحول الله تعالى احتج على حصول

هذه الاحوال وقد وقعت موافقة لهذه الاخبار عن العدو الاخبار عن العيب معجز
الحشر الثالث هذه الاية تدل على ان العصاة مومنون في علم الله تعالى الى الممات
حتى قيل انها تدل على ان قلوبهم كانت ملوثة من العصبية على الكفار ومن الحمية لاجل
الدين ومن الرغبة الشديدة في علو دين الاسلام وهذه الاحوال قد تحصل الا في قلوب
المومنين واعلم ان وصف الله تعالى الكفار بكونهم موصوفين بالرافة والرحمة
فانه تعالى قال في وصفهم انه على المومنين اعزة على الكافرين وقال انها اشداء
على الكفار رحماء بينهم ثم قال وتوبه الله على من يشاء قال القراء الرجاء هذا مذكور على
سبيل الاستئناف وابعد عن ان يكون جوابا لقوله قاتلوهم لان قوله وتوب الله
على من يشاء يمكن جعله جزاء لمعاملتهم مع الكفار قالوا فنقطع فان يشاء الله كم
على فلك وتم الكلام هيهنا ثم استانف فقال وتحمدوا الله الباطل ومراد الناس من قال يمكن
حمل هذه التوبة على التوبة من الكفر وجوابه من وجوه الاول انه تعالى لما امرهم
بالمقاتلة فربما شق ذلك على بعضهم على ما ذهب اليه الاصم فاذا اقدموا على المقاتلة وجاز
ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن ذلك الكفر اهمال الثاني ان حصول النصر والظفر انعام
عظيم والعبد اذا شاهد مولاه يعم الله عليه بعد ان صدر ذلك داعيا الى التوبة عن جميع الذنوب
الثالث ان حصول النصر والظفر والفتح وكثرة الاموال والنعم وكانت قد تحصل
بالطريق الحرام فان عند حصول المال والجاه يمكن تحصيلها بطريق الحلال فحصول المال
والجاه داعيا الى التوبة من هذا الوجه الرابع قال بعضهم ان النصر سبب للميل
الى الدنيا ولذاتها واذا انفتح ابواب الدنيا على الانسان واراد الله به خيرا عرف انها
حقيرة لسيرة فحينئذ تصير الدنيا جميعها في عينه فيصير ذلك سببا لانصراف النفس عن الدنيا
وهذا هو احد الوجوه المذكورة في تفسير قوله حكاية عن سليمان انه قال انى احببت حب الخير
عن ذكر ربي يعني ان بعد حصول هذا الملك لا يبقى للنفس اشتغال بطلب الدنيا بل يعرف ان
بعد حصول هذا الملك الذي هو اعظم الممالك لا حاصل للدنيا ولا لذائذ في ولذاتها وطيباتها
فحينئذ يقوى العلم بحقارة الدنيا ولا تميل النفس اليها وربما قيل حصول المعاملة بمعنى المبايعة
المذكورة في تلك الصائغ خصوصا يوجب التوبة وكتاب التوبة متعلقة بملك المعاملة وانما
قال على من يشاء لان وجدان الدنيا والفتح انوابها على الانسان قد تصير سببا لاعراض القلب

عن الاسناد ذكر في حق من اراد به الخير وقد يصير سببا لاستغراق فيها وبها لذة عليها والعطاء
بسببها عن سبيل الله فلما اختلف الامر على الوجه الذي ذكرناه فهذا قال وتتوب الله على من
يشاء قال ابو الله عليم حكيم بما يعمل وبما يفعل وبما يكون وبما كان عليم بمصالح وباحكامه
وامثاله **قوله تعالى** ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ولجة والله خبير بما تعملون ❁ واعلم
ان الايات المتقدمة كانت مرتبة في الجهاد والمقصود من هذه الآية من بين تلك الترتيب
وهذه مسايل المسئلة الاولى قال الفراء قوله ام من الاستفهام الذي موضع
الكلام ولو اريد به الاستفهام لكان بالالف او تحمل المسئلة الثانية قال ابو عبيدة
قال ابو عبيدة كل شيء ادخلته في شيء ليس منه وهو ولجة واصله من الولوج فالداخل
الذي يكون في القوم وليس منهم ولجة فعلة من ولج كالدخلة من دخل
قال الواحدي يعلم هو ويحتمل ان يراد الجمع المسئلة الثالثة المقصود من الآية
بيان المكلف في هذه الواقعة لا يخلص عن العقاب الا بعد حصول امرين الاول
ان يعلم الله الذين جاهدوا منهم وذكر العلم والمراد منه المعلوم والمراد ان يصدر
الجهاد عنهم لاداء انما كان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لاحتمال جعل علم
الله بوجوده كناية عن وجوده واجمع هشام بن الحكم هذه الامة ان الله تعالى
لا يعلم الشيء الا حال وجوده واعلم ان ظاهر الآية وان كان يوهم ما ذكرناه
المقصود شيء اخر بقي قوله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ولجة والمقصود
من ذكر هذا الشرط ان المجاهد قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه خلاف
ظاهره وهو الذي يتخذ الولجة من دون الله ورسوله والمؤمنين فبين انه لا يترك
الا اذا اتوا بالجهاد مع الاخلاص خالصا عن النفاق والرياء والتردد الى الكفار
وارباب اما مخالفة طريقة الدين والمقصود بيان انه ليس الغرض من اخبار القتال بعض الاموال
فقط بل الغرض ان يوفي بالقتال امر الله وحكمه وتتحمله لتظهر به بذل النفس والمال
في طلب رضوان الله فحينئذ تحصل به الاشياء واما الاقدام على القتال لسائر الاغراض فليس
بما لا بعد اصلا ام قال والله خبير بما يعملون اي عالم بنياتهم واغراضهم يطلع على مهما
شيء فيجب على الانسان ان يبالغ في امر الله وفي عبادته العلم قال ابن عباس ان الله لا يترك من يقول

الباطن خلاف الظاهر ولا الظاهر خلاف الباطن وامر بذلك من خلقه الاستقامة كما قال
اليه من قال ربنا الله ثم استقاموا قال ولما فرق تعالى بين المنافق من عبده وتميز
من يعلم الموحد ممن يعاديهم **قوله تعالى** ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله قوله
من المهتدين ۝ اعلم انه تعالى بعد ان ذكر البراءة عن الكفار وبالغ في ايجاب جملة ذكر
من انواع قضائحهم وفضائحهم ما يوجب تلك البراءة بين انه تعالى حكى عنهم شبهة احتجوا
بها في ابطال هذه البراءة فبين جوابه وانه يجب ان تكون المخالطة والمناصرة محاصلة عاد لها
ما ذكر في هذه الاية وذلك لانهم ذكروا انهم موصوفون بصفات حسنة وخصال
مرضية وهي توجب مخالطتهم ومعاونتهم ومناصرتهم فبين تعالى ان تلك الصفات كونهم
عامرين للمسجد الحرام قال ابن عباس لما اسر العباس يوم بدر قيل عليه المسلمون فعيروه
بكفره بالله وقطيعة الرحم واغلظ له على الكلام فقال العباس ما بالكم تقعون المسجد الحرام
ونحج البيت ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى رداً على العباس ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله المسئلة الثانية عمران المسجد مستمر امرارها
وكثر ما اتانها يقال فلان يعمر مجلس فلان اذا كثر غشيانه اياه واما العمران
المعروف في الناس فان كان المراد هو الثاني كان المعنى انه ليس للكافر ان يعمر
على ما مر مساجد وانما لم يحرم الكافر دخول المسجد موضع العبادة يجب ان يكون
معظما والكافر مهين ولا يعظمه وايضا الكافر نجس في الحكم لقوله تعالى
انما المشركون نجس ونطهير المسجد واجب لقوله تعالى طهرا بيتي وانما الكافر
لا يحترز من النجاسة فدخوله المسجد يلوث المسجد وذلك قد يؤدي الى فساد
غيره من المسلمين وايضا اقدامه على دخول المسجد يجري مجرى الاستعلاء على المسلمين
ولا يجوز ان يصير الكافر صاحبا لله على المسلمين المسئلة الثالثة قرا ابن كثير
وابو عمرو ان يعمر وامساجد الله على الواحد والباقون مساجد الله على الجمع حجة من كثر
واي عمر وقوله عمار المسجد وحجة من قرا على الاصل الجمع وهو الاولى
ان يراد المسجد الحرام وانما قال مساجد لانه قبلة المساجد كلها واما منها
فعامر صالحا من مسجد جمع المسجد والباني ان يقوا ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله

فقال ابو بكر ما
ولا تذكرون محا
تعالى على

واذا كان الامر كذلك فاولى ان لا يمكنوا من عمارة المسجد الحرام الذى هو اشرف المساجد واعظمها
الثالث قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان يخالس
الملوك مع انه لا يخالس الا مع ملك واحد الرابع ان المسجد موضع السجود وكل
بقعة من المسجد الحرام فهو مسجد المسئلة الرابعة قال الواحدى دلت الآية على ان
الكفار ممنوعون من عمارة مساجد المسلمين ولو اوصى بها لم تصح وبه
ومنع من دخول المساجد وان دخل بغير اذن مسلم استحق التعزير وان دخل باذن لم
يعزروا الاولى تعظيم المساجد ومنعهم منها وقد اذن الله وقد لعنهم فى المسجد وهم
كفار وسد رسول الله ابواب الصحابة غير بابه من سوارى المسجد وهو كافر
اما قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا فى الآية قولان
الاول وهو الاصح انهم لم يقروا على انفسهم بالكفر ولا يمكنهم
وتكذيب القرآن وان كان نبوة محمد عليه السلام وكل من كفر فمن شهد على نفسه
بهذه الاشياء فقد شهد على نفسه بالكفر وليس الامر بمعنى الخبر بل امرهم بشهدوا
على انفسهم بما هو كفر وليس الامر وليس المراد امرهم بشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين الثانى قال السدى شهادتهم على انفسهم بالكفر هو قولهم
اذا قيل له ما انت فيقول نصرانى او يهودى وعابد الوثن وهذا الوجه
انما يستقيم بما ذكرناه فى الوجه الاول الثالث ان العلماء كانوا يقولون كفرنا
بدين محمد بالقرآن فالمراد دلالة اقوالهم كانوا يعاونهم ويقولون لا نطوف
عليها ثنتان عيسى الله فيها وكنا طائفين عريانين بالاصنام فهذا شهادتهم
على انفسهم بالشرك الخامس انهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو
لك تملكه وما ملك الخ السادس عن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على
الرسول بالكفر قال واما مجاز هذا التفسير لقوله تعالى بعد حاكم رسول من انفسكم
قال القاضى هذا الوجه عدول عن الحقيقة واما مجاز المصير اليه لو بعد واحد اللفظ على
حقيقته اما ما نقل ان الحائض لم تحز المصير الى هذا المجاز قال مولانا
الكتاب رضى الله عنه لم اقر احدا من السلف شاهدا على انفسهم بالكفر من مولانا
زيد العابس وعمرو البائس منه فصح هذا الوجه من غير عدول عن الظاهر هو قال

اولئك جميعا اعلمهم المراد منه هو المفصل لحق في هذا الكتاب وهو انه اذا كان احد منهم
عمل من اعمال البر مثل اكرام الوالدين وبناء الرباطات واطعام الجائع واكرام الضيف
وكل ذلك باطل اذ عقاب كفرهم زايد على ثواب هذه الاشياء فلا يبقى لشيء منها
اثر واستحقاق الثواب والتعظيم مع الكفر فاما الكلام في الاحباط فقد تقدم
في هذا الباب مرارا واستقصينا ما نصفه الا انه على اقوال العاصي اهل الصلاة لا يبقى في
النار مخلدا من وجهين الاول ان قوله تعالى في النار هم خالدون بعد الحصر الذي تقدم فيها
حال العذاب عليهم ولما كان هذا الكلام وارادا في حق الكفار بنسبان الخلود لا يحصل الا
للكفار الثاني انه تعالى جعل الخلود في النار جزاء للكفار على كفرهم ولو كان
هذا الحكم ثابتا لغير الكفار لما صح تهديد الكافر به كما انه تعالى لما بين ان الكافر
ليس له ان يشتغل بعمارة المسجد بين ان المستحق بهذا العمل بحسبان يكون موصوفا
بصفات اربع فقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى
الزكاة ولم يخش الا الله واما قوله انه لا بد من الايمان بالله لان المسجد عبارة
عن الموضع الذي يعبد الله فيه فما لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يبنى موضعا يعبد الله
فيه واما قوله لا بد وان يكون مؤمنا باليوم الاخر وان لا يشتغل بعمارة الله
تعالى انما يعبد في العادة ممن انكر العادة لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن
لعبادة الله فان قيل لم لم يذكر الايمان برسول الله عليه السلام قلنا
فيه وجوه الاول ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى لرسالة الله طلبا
للرياسة والملك فهاهنا ذكر الايمان بالله واليوم الاخر وترك ذكر النبوة كانه
يقول مطلوبي من جميع الرياسة ليس الا الايمان بالمبدأ والمعاد وذكر المقصود الاصلي
ويدخل ذكر النبوة فيها لان الكفار على انه لا مطلوب له من الرسالة الا هذا القدر
الثاني انه انما ذكر الصلاة والصلاة اتم الاذكار والاقامة والمشهد وهذه
الاسامي مشتملة على ذكر النبوة فكان ذكرا للكل الثالث انه ذكر الصلاة والمفرد
المحلى بالالف واللام ينصرف الى المعهود السابق والمعهود السابق عند المسلمين الاعمال
التي كان يأتي بها محمد عليه السلام وكان ذكر الصلاة دليلا على النبوة من هذا الوجه
الرابع الناس قوله واقام الصلاة معناه ان المقصود الاعظم من بناء المساجد

اولئك

اقامة الصلوات والانسان عالم لكن يقرا بوجوب الصلوات امتنع العدم على بنا المساجد الصفة
الثالثة قوله واتى الزكاة في عمار المسجد كانه يدل على ان المراد من عمار المسجد
الخضوع فيه ويدل لان الانسان اذا كان معظما للصلاة فانه يحضر في المسجد طوائف
الفقراء والمساكين لطلب اخذ الزكاة فيحصل عمار المسجد به واما ان يحمل العمار على
اصلاح البنا فاما الزكاة فمعتبر في هذا الباب لان ايتا الزكاة واجب وبنا المسجد
نافلة والانسان اذا لم يقدر على الواجب لا يشتغل بالنافلة والظاهر ان الانسان اذا
لم يكن موديا للزكاة لم يشتغل ببنا المساجد الصفة السادسة قوله ولم يخش
الا الله وفيه وعن الاول ان ابا بكر رضي الله عنه بنى في اول الاسلام على باب
دار مسجدا وكان يصلي فيه ويقرا القرآن فكان يجتمع عنده نساء مشركون
المراد منه هو ذلك لانه يحتمل ان يكون
ولا يحتاجهم ولكنه بنى المسجد للخوف من الله تعالى الثاني يحتمل ان يكون
المراد منه انه بنى المسجد لاجل الرياء والسمعة وان تعالى ربما بنى مسجدا ولكنه
يفعله لطلب رضوان الله ولمجرد تقوية دين الله فان مثل هذا لا يخشى الا
الله والمؤمن قد يخاف الظلمة والمفسدة قلت المراد من هذه الخشية الخوف
والتقوى في باب الدين وان لا يحتاج على ما ذكره رضي عنه واعلم انه تعالى قال
انما يعمر مساجد الله من كان موصوفا بهذه الصفات الاربع وكلمة انما تفيد الحصر
وفيه دلالة على ان المسجد يجب صونه عن عمار العبادة فيدخل فيه فضول الحادث واصلاح
مهمات الدنيا وعن النبي عليه السلام يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد
فيجلسون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة
وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش قال
عليه السلام يقول الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها
طوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه
عليه السلام من الغا المسجد لغا الله عنه عليه السلام اذا رايتم الرجل يعتاد
المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن النبي عليه السلام من اسرج في مسجد سراجا
لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء وهذا الاحاد

نقلها صاحب الكشاف ثم انه تعالى لما ذكر هذه الاوصاف قال فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين وهذه وحق الاولى قال المفسرون عسى من الله واجب لكونه متعالياً عن الشك
والمردد والمانى قالوا ومسلم عسى هاهنا راجع الى العباد وهو بعيد لان كان المعنى
ان الذين يجوز ان يأتوا بهذه الطاعات انما يأتون بها على رجاء القبول واما هؤلاء
يعبدون بهم حتى قاطعون فيه ان العبد يجب الاتيان بهذه الاعمال لا لتقلع بالقبول
بالثواب لانه يجوز من فضله انه قد حاصل العبد من القبول المعين وحصول القبول والثالث
وهو احسن الوجوه ما ذكره صاحب الكشاف وهو ان المراد منه تعيد المشركين عن مواصلة
الاهتداء وجمع اطماعهم واسماعهم باعمالهم الى ان استعطفوها وامحوها فانه تعالى
بين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعمل بالمسرائع وجعلوا اليها الحسنة من الله فهو
صار حصول الاهتداء الجمع كذا بين لعل وعسى فما هو لاء المشركين يعلمون بانهم
مهتدون ويحكمون بقولهم بالجزم من عند الله وهذا الكلام وحق الطف الموصل
في ترجيح الخشية على الرجاء ﴿ قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا
يهدي القوم الظالمين ﴾ وفيه مسائل المسئلة الاولى اكثر المفسرين والعوام
على ان نزول الآية في العباس وفي بعض الروايات عنه انه لما اسلم الكلام للعباس
قال العباس ان كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد
الحرام ونسقي الحاج فمالت هذه الآية وقال اكثر المفسرين قالوا لما نهوا عن
سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام فنحن افضل من امنه محمد واصحابه فقال الله تعالى
ايهم افضل وقال ان عليا قال للعباس رضي الله عنهما بعد اسلامه الا تهاجر
الا تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البيت في افضل من الهجرة اسقي الحاج
واعمر البيت الحرام فما ترى هذه الآية قال ما اراني الا اراك بسقاتا معا عليه السلام
اقعدوا عملا سقاتكم قالوا نعم فما ظنكم فيما خيرا وقيل افتخر طلحة بن شيبة والعباس
وعلي فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اردت بت فيه فقال العباس انا
صاحب السقاية وانا قائم عليها فماذا على انا صاحب الحجابة فقال الله بهذه الآية قال
المصنف رضي الله عنه حاصل الكلام انه يحتمل ان يقال هذه الآية معارضة جرت بين المسلمين

وتحتمل المهاجرة بين المسلمين والكافرين لما الذين قالوا انما هاجرت بين المسلمين وهذا احتجوا
بقوله تعالى بعد هذه الآية وحتى المؤمنين المهاجرين اولئك اعظم درجة عند الله وهذا
يقتضي ان يكون المرجوح درجة عند الله ودلالة لا تليق الا بالمؤمنين وسيحث عن هذا الكلام
اذا انتهينا اليه واما الذين قالوا انما هاجرت بين المسلمين والكافرين فقد احتجوا
على صحة قولهم بقوله تعالى كمن امن بالله وهذا يدل على ان هذه المفاضلة انما وقعت
بين من آمن بالله وبين من امن بالله وهذا هو الاقرب عندي وتقرير الكلام ان يقول
انا قد علمنا في تفسير قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله ان العباس احتج
على فضل نفسه بانه عمر المسجد الحرام وسقى الحاج واجاب الله عنه وحصر
الاولى ما بين في الآية الاولى ان عمارة المسجد الحرام توجب الفضيلة اذا كانت
اذا كانت صادرة عن المؤمن اما اذا كانت صادرة عن الكافر فلا فضيلة
البتة والوجه الثاني من الجواب ما ذكرناه في هذه الآية وهو ان نقول سلمنا ان
عمارة المسجد الحرام وسقي الحاج توجب نوعا من انواع الفضيلة لانها بالنسبة الى الايمان
بالله والجهاد خطأ لانه يقتضي مقابلة الخطأ التي الشريفة الرفيعة حظا بالشيء الحقير
التافه حقا وانه باطل فهذا هو الوجه في شرح هذه الآية وهذا الطريق يحصل
المقصود الصحيح من هذه الآية ما قبلها المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف السقاية
والعمارة مصدران من سقى وعمر كالضيافة والولاية واعلم ان السقاية والعمارة فعل
وقوله من امن بالله اشارة الى الفاعل وظاهر اللفظ يقتضي تنسيه الفعل بالفاعل
والصفة بالذات وانه محال فلا بد من التاويل وهو من وجهين الاول ان نقول التقدير
اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله وجاهد فراه عند الله
ان الذي يستحق سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام والثاني ان يقول التقدير اجعلتم
الحاج كامن امن بالله وطرح قوله تعالى لعمر الله ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من امن بالله المسئلة الثالثة قال الحسن رضي الله عنه كانت
السقاية نبيذ زبيب وعن عمر انه وجد نبيذ السقاية من الزبيب شديدا فكسره
منه بالماء ثلاثا وقال اذا اشتد علينا فاكسرنا منه بالماء واما عمارة المسجد الحرام
فالمراد بها حسن صونه وحسن جدرانه ولما ذكر تعالى وصف الفريقين قال لا يستوون

ولما

ولما كان نفي المساواة بينهما لا يفيد ان الراجح من هو منبئة على ان الراجح بقوله والله لا
يهدي القوم الظالمين فبين ان الكافرين ظالمون لانفسهم فانهم خلقوا للايمان وهم
رضوا بالكفر وتحابوا ظالمين لان الطباع عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه والصنا
ملوا المسجد الحرام فانه تعالى خلقه ليكون موضعا لعبادة الله تعالى فجعلوه
موضعا لعبادة الاوثان وكان هذا ظلما **قوله تعالى** الذين امنوا وهاجروا
في سبيل الله باموالهم وانفسهم الى قوله اجر عظيم ۞ واعلم انه تعالى اذكر ترجيح الايمان
والجهاد على السقاية وعمارة المسجد الحرام على طريق الرمز ثم اتبعه بذكر هذا الترجيح
على سبيل الترجيح على سبيل التصريح وهذه الآية تدل على ان مراتب الصفات
الاربع كما ان اعظمها درجة عند الله هو الايمان فالسقاية والعمارة وكذلك الصفات الاربعة
هي هذه فاولها الايمان وثانيها الهجرة وثالثها الجهاد في سبيل الله بالمال ۞
ورابعها الجهاد بالنفس واما فضل الموصوف بهذه الصفات الاربع في غاية
اجلاله والرفعة ان الانسان مبين له الى مجموع امور بلثة الروح والبدن والمال
امر الروح فلما زال عنه الكفر وحصل فيه الايمان فقد وصل الى مراتب السعادات
الاخيرة هذا واما البدن والمال فنسبة الهجرة وهي التي تقتضي نسبة الاستعمال
بالجهاد صارا معرضين للهلاك والبطلان ولا شك ان النفس والمال محبوبان للانسان
والانسان اذا حرم عن محبوبه لاجل غيره يحبوبا اجل من الاول فعلوا ان طلب
الرضوان اثر عندهم من النفس والمال والاهل ولهذا جاء الاجر على حاب النفس والمال
ولما رضوا باهدار النفس والمال لطلب رضاه الله تعالى صاروا عند حصول الصفات
الاربعة صار الانسان واصلا الى اعلى درجات التشريف واول مراتب الملكية
واي مناسبة من هذه الدرجة وبين الاقدام على السقاية والعمارة مجردا لاقدام الاباء
والاسلاف وطلبا لهما والسمعة فبين هذا البرهان القطعي صحة قوله تعالى الذين امنوا
وهاجروا الآية واعلم انه تعالى لم يجعل اعظم درجة من المشتغلين بالسقاية والعمارة
لهم لو عمر لهم او هم ان فضلهم انما حصلت بسبب نسبه اليهم ولما ذكر المرجوح
دل ذلك على انهم افضل من كل من سواهم على الاطلاق لانه لا يجعل حصوله سعادة
وفضيلة للانسان اعلا واكمل من هذه الصفات واعلم ان في قوله عند الله دليل على ان

ترك ك

حرمتين المسلمين هذا احتجوا
لك اعظم درجة عند الله وهذا
المومنين وسمحت عن هذا الكلام
والكافرين فهذا احتجوا
على ان هذه المفاضلة انما وقعت
ري وتقرير الكلام ان يقول
من بالله ان العباس احتج
اجاب الله عنه بوجهين
حرام توجب الفضيلة اذا كانت
عن الكافر وقد قال هذا فضلا
لا به وهو ان يقال سلمنا ان
الفضيلة الا انها بالنسبة الى الايمان
الشريفة الرفيعة جدا بالنسبة الى الجهاد
الاية وهذا الطريق يحصل
ه قال صاحب الكشاف السقاية
اعلم ان السقاية والعمارة فعل
تقتضي بنسبته العمل بالعامل
وجهين الاول ان يقول التقدير
من بالله وليوم الآخر واهل سقاية
يقول التقدير واهل سقاية
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
ه قال الحسن رضي الله عنه كانت
سقاية من الزبيب تشدد فتسقى
نبذ بالماء ۞ واما عمارة المسجد الحرام
وضع القرنفل قال الله تعالى
ولما

ومن يكون العبد عند الله المستغرق في عبوديته وطاعته وليس المراد منه العندية
بحسب الجهة والمكان وعند هذا يلوح ان الملائكة كما حصلت لهم معنى العندية
في قوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته فكذلك الارواح المقدسة البشرية
اذا انطرف عن دنس الاوطان المدنسة وانعاد وراث الحسد انه اشرقت بانوار
الجلال وتحلى منها اصوا عالم الكمال ونرقت من العبدية الى العندية بل كانه لا كمال الا
مستفاد من حضرة العبدية ولهذا قال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فان قيل
لما اخبرتم ان هذه الصفات كانت بين المسلمين والكافرين فلم قال في وصفهم اعظم
درجة مع انه ليس للكفار درجة فلك الجواب عنه من وجوه الاول
ان هذا ورد على حسب ما كانوا يقدرون لانفسهم من الدرجة والفضيلة عند الله ونظيره
قوله تعالى قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون وقوله اذا جاءتهم آية لم يؤمنوا ام سبحت الرقوم الثاني
ان يكون المراد ان اولئك اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بهذه الصفات بينها
على انهم لما كانوا افضل من المؤمنين الذين ما كانوا موصوفين بهذه الصفات فان
لا يقاسوا الى الكفار اولى الثالث ان يكون المراد ان المؤمن المجاهد
افضل ممن على السقاية والعمارة والمراد منه ترجيح تلك الاعمال على هذه الاعمال
ولا سك ان السقاية والعمارة من اعمال الخير واما تفضيل الكاهما الثواب في حق
الكفار لان قيام الكفر الذي هو اعظم الخطايات مع من طهور تلك الامور اعلم
ان تعالى لما بين ان الموصوفين بالايمان والهجرة اعظم درجة عند الله بين تعالى انهم هم
الفائزون بالدرجة العالية الرفيعة المقدسة التي وقعت الاشارة اليها بقوله
تعالى عندهم وهي درجة العندية وذلك لان من امن بالله وعرفه فقد سعى وبلغ
ملتقطا الى الدنيا عند هذا الحال الى ازاله هذه العندية عن جوهر الروح وازاله
حب الدنيا لا يتم الا بالتفريق بين النفس وبين لذات الدنيا فاذا دام ذلك التفريق
واستصحب ملاحظة الدنيا فهذا التفريق والبعض يحصلان بالهجرة فهو انما يتبعد
من استحقار الدنيا والوقوف على معايبها وضرورها وعن العقل بحيث يوجب
على النفس تركها وقصدها وذلك انما يتم بالجهاد لانه تعرض للنفس والمال للهلاك
والبوار ولولا انها تستحقر الدنيا والا لما فعل ذلك وعند هذا يتم ما قاله بعض المحققين

وهو

وهو الاعراض مسدى من تعريف ونقص وترك ورفض من عند حصول هذه الحالة بصير
العقل مستعلا الى النظر الى صفات الجلال والاكرام وفي مشاهدتها يحصل بدل النفس
والمال فيصير الانسان شهيدا مشاهدا العالم الجلال مكاشفا نور الجلال مسرورا
له بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا واعلم ان
هذه الاشياء اسمائه على انواع من الدرجات العالية والله تعالى اعلم فيما
هو اشرف فالاشرف نارة الى الالفاظ وتارة الى المعنى ونحن نفسرها بان على طهور المسلمين
واخرى على طريقة العارفين اما الاول فقوله المرتبة الاولى منها وهي
اعلاها واشرفها كون ذلك الشيء حاصلا من ربهم بالرحمة والرضوان وهذا
هو التعظيم والاجلال من قبل الله وقوله وجنات لهم اشارة الى حصول
المنافع العظيمة وقوله فيها نعيم اشارة الى كون المنافع خالصة من
الكدورات لان النعيم مبالغة في النعمة ولا معنى للمبالغة في النعمة الا طهورها
عن مبارحة الكدورات وقوله مقيم عبارة عن كونها دائمة غير منقطعة
فهذه ثلاث عبارات اولها معنى وثانيها حالة من فيها
وثالثها قوله ابدا فحصل من مجموع ما ذكرناه ان الله تعالى يبشر هؤلاء المؤمنين
المجاهدين المهاجرين بصفة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والاجلال وهذا هو الثواب والله
يخصص هؤلاء المؤمنين بكون هذا الثواب كاملا لدرجة عالية
المرتبة بحسب كل واحد من هذه القيود الاربعة ومن المفسرين من قال قوله يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان المراد جنات الدنيا وقوله ورضوان لهم المراد منه كونه
تعالى راضيا عنهم حال كونهم في الجنة الدنيا وقوله وجنات لهم المراد منها المنافع
وقوله لهم فيها نعيم مقيم المراد من ذلك النعيم خالصة وقوله مقيم خالدين
فيها ابدا المراد منه دوامها وقوله ان الله عنده اجر عظيم المراد منه الاجلال
في التعظيم الذي يحصلهما في الثواب واما تفسيرهم الآية على طريقة العارفين
المحسن المشاهدين فيقول المرتبة الاولى من الامور المذكورة في هذه الآية قوله
يبشرهم ربهم واعلم ان الفرح بالنعمة نعم على قسمين احدهما ان يفرح بالنعمة
لانها نعمة والثاني ان يفرح بها لان فيها شيئا هي من جنس المنعم خصها وشرفها بها

وهو

دان يحرز ذلك عن الوصول الى الرق من الغير فمثل فيما اذا كان العبد واقفا في خدمة
السلطان الاعظم وسائر العبيد كذلك واقفون في خدمته فاذا رمى احد السلطان بفاكهة
الى احدا دونه كان العبد اعظم فرحة بها ودلك الفرح العظيم ما حصل بسبب حصول تلك
الفاكهة الا بسبب ان ذلك السلطان خصه بها فهذا دليل عقلي سليم يحرم بان ذلك الفرح
ما حصل بسبب حصول تلك الفاكهة الا الاكرام فكذلك هيهنا مولاه لهم برحمة
منه ورضوان لهم من كان فرحه بسبب العفو عنه لاجل الرحمة وانما حصل من مولاه
حصة تلك الرحمة وحينئذ يكون فرحه لاجل الرحمة من اعطى الرحمة فان هذا
المقام يحصل فيه الفرح بما تحصل من يكون فرحه بالراعي لا بالرحم ومنهم
من يتوصل في الحلو من يبلى الرحمة ولا يكون فرحه الا بالمولى لا غير وذلك
لان العبد ما دام مشغولا بالحق من حيث انه راحم فهو غير مستغرق في الحق بالكلية
الحق وبالحق مع الخلق فما دام الموحد قاطعا عن الخلق وغرقا في بحر نور الحق وعلى الجملة
والجملة والبقعة والبقعة والملا والملا فالمحققون المحققون ينفون عند قوله
بشرهم ربهم فكان اشتياقهم هذا وسرورهم به وبعودهم عليه وقد وقع عليه ومنهم
من لم يصل الى تلك الدرجة العالية فلا تقع نفسه الا لمجموع قوله بشرهم ربهم
برحمة ولا يعرف الا لاستثناء سماع قوله ربهم كيف يكون كل ما يستبشرون
بمجموع كونه مبشرا بالرحمة والمرتبة الثالثة هي ان يكون استثناء
بالرحمة وهذه المرتبة هي المرتبة النازلة عند المحققين واللطيفة الملتمسة
لهذا التفصيل انه تعالى ما بشرهم بهم بل بشرهم بالرحمة
والكرامة لعلمها ان البشارة لا تكون الا بالرحمة والاحسان والسبب
ان بشارة كل احد بحسب ما يقع بحاله فلما كان المبشر بهما هو عدم
الاكوان ومحال ان يكون البشارة عبارة عن العقول عن وصفها وسماعها
الافهام عن فهمها والله تعالى سمى نفسه فصلا بالرب وهو مشتق
من التربية كما قيل الدين رباني في الدنيا بالنعم التي لا حد لها ولا حصر لها
بشرهم بخيرات عالية وسعادات عالية والى هذا اشار الله تعالى قال لهم قاصرات
نفسه اليهم وما اضافهم الى نفسه ولكن سمى الله تعالى قدم ذكرهم على ذكر

نفسه

وهي قوله تعالى حاكيا عن ابراهيم ولو كان الخلود بعد الناسد لكان ذلك الناسد بعد ذكر
الخلود مكررا وانه لا يجوز **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم
الآية واعلم ان المقصود من هذه الآية ان يكون حوابا عن شبهة اخرى ذكروها
في ان البراءة عن الكفار غير ممكنة وذلك الشبهة انهم قالوا ان الرجل المسلم ان يكون
ابوه كافرا والرجل الكافر ان يكون ابنه او اخوه مسلما وحصول المقاطعة التامة من
الرجل وابنه واخيه كالمتعذر الممتنع واذا كان الامر كذلك كانت تلك البراءة
التي امر الله تعالى كالشاق المتعذر الممتنع فذكر الله تعالى هذه الآية ليزيل هذه الشبهة
ونقل الواحدي عن ابن عباس انه تعالى لما امر المومنين بالهجرة قبل فتح مكة قال لهم اخبروا
لم يعجل الله امانه حتى يحاسب اباءنا وابناءنا ان كانوا كفارا قال
المصنف رضي الله عنه هذا مشكل لان الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح
مكة فكيف يحمل هذا على ما ذكره والاقرب عندي ان يكون محمولا على ما ذكرته
وهو انه تعالى لما امر المومنين بالبراءة عن المشركين وبالغ في ايجابه قالوا كيف يمكننا
هذه المقاطعة التامة من الرجل وبين الابن او امه او اخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع
عن الآباء والاولاد والاخوان واجب بسبب الكفر وهو قوله ان استحبوا الكفر
على الايمان والاستحباب طلب المحبة يقال استجاب له بمعنى اجابه كانه طلب محبته
بموافقته **قوله تعالى** بعد ان نهى عن محالطتهم وكان اعظم النهي يحتمل ان يكون
نهي تحريم وان يكون نهي تحريم ذكر ما يدل الشبهة فقال ومن يتولهم منكم فاولئك هم
الظالمون قال ابن عباس يريد مشركا مثلهم لانه رضي بشركه والرضى بالكفر كفر
كما ان الرضى بالفسق فسق **قوله تعالى** الخامس هذا النهي لا يمنع من ان تبر المراة
اباها فزمن الدنيا كما لا يمنع من قضاء دين الكافر ومن استعماله في الاعمال ۞
قوله تعالى قل ان كان اباؤكم الآية قوله لا يهدي القوم الفاسقين ۞
اعلم ان هذه الآية هي الجواب الذي دل في الآية الاولى وهو الدليل على ان مجاهدة المومنين
قالوا يا رسول الله وكيف نصنع بالبراءة منهم بالكلية وان هذه البراءة توجب القطيعة
عن اباءنا واخواننا وعشائرنا وذهب بجارتنا وهلكتنا فاوحى الله تعالى اليه
نبيه تعالى انه يجب تحمل جميع هذه المصائب في الدنيا لسعي الدين وسلمنا وذلك انه ان كان

وعايه

رعايته هذه المصالح الدنيا وبه عندكم اولى من طاعة الله وطاعة الرسول ومن المجاهدة في
فصبروا عما يحبون حتى يأتي الله بأمره اي يعقوبه اجله او عجله والمقصود منه الوعيد
ثم قال والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الخارجين عن طاعة الله الا بمعصيته وهذا
وهذا ايضا تهديد وهذه الآية تدل على انه اذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح
الدين وبين جميع مهمات الدنيا وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا قال الواحدي قوله
وعشيرتكم عشيرة الرجل اهله الادنون وهم آله وعترته ونده وقرأ الوبكر
عن عاصم وعشيراتكم بالجمع والباقون على الواحد اما من قرأ بالجمع فلان كل واحد
من المخاطبين له عشيرة فاذا جمعت وعشيراتكم ومن أفرد قال العشيرة واقعة على الجمع واستغنى
عن جمعها وتقول في المال الاحقف قال الاخفش كاد العرب تجمع عشيرة على عشيرات تماما
تجمعه عشائر **قوله** واموال اقترفتموها الاقتراف الاكتساب واعلم انه تعالى
ذكر الامور الداعية الى المخالطة الكفار وهي امور اربعة اولها محالطة الاقارب
وذكرهم اربعة اصناف على التفصيل وهم الآباء والابناء الاخوان والازواج ثم ذكر
التقسيم لمخالطة اصحاب المكاسب وهم العشيرة وباقي وهو المال الى
امساك الاموال المكتسبة وبالجملة الرغبة في تحصيل الاموال بالتجارة وبالجملة الرغبة
في المساكن وهذا الترتيب حق فان اعظم الاسباب الداعية
الى المخالطة القرابة ثم ان يتوسل بالمخالطة الى المكاسب الاموال التي عدد ما صلة قوي
اخر المراتب الرغبة في التعالي الاوطان والديار التي يستلاحل السكنى يذكر تعالى هذا الاساس
على هذا الترتيب الواجب ومن بالحري ان يعاينه الذين حصروا رعايته جملة هذه الامور **قوله تعالى**
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الى قوله والله غفور رحيم ○ وفيه مسائل
المسئلة الاولى اعلم تعالى ذكر في الآية السابقة مقامات الاعراض عن مخالطة الآباء والابناء
والاخوان والعشيرة وعن الاموال والتجارات والمساكن رعايته لمصالح الدين وعلم تعالى
ان هذا الشيء صداع النفوس والعلوق ذكر ما يدل على ان ترك الدنيا لاجل الدين فانه تعالى وصله
الى مطلوبه من الدنيا فنصر وضرب لهذا مثلا وهو ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين كانوا في غاية الكثرة والعدد فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين
في حال لا يهتم لهم فلما تضرعوا الى الله مواهم به حتى هزموا عسكر الكفار وهذا يدل على ان

الانسان متى اعتمد على الدنيا فانه الدين والدنيا ومتى اطاع الله ورجح الدين على الدنيا اتاه الله
الدين والدنيا على احسن الوجوه وكان ذكر هذا السبب لاولئك الذين امرهم بمقاطعة الاباء
والابناء والاموال والمساكن لاجل مصلحة الدين وصبرهم عليها ووعدهم على سبيل الالهام
بانهم ان فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم الى اقاربهم واموالهم ومساكنهم على احسن الوجوه
فهذا تقرير النظم وغاية الحسن المسئلة الثانية قال الواحدي النصر المعونة على
العدو خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر وعلى هذا
موطن حاماتها ومواقعها وامتناعها من الصرف لانه جمع على صيغة لم تأت عليها واحد
والمواطن الكثيرة هي مواقف رسول الله ويقال انها ثمانون موطنا فاعلمها الله تعالى
هو الذي تولى نصر المؤمنين من نصر ولا غالب لهم فقال ويوم حنين واذكروا
يوم حنين من جملة تلك المواطن حاملا اياكم على تذكر هذه المسئلة الثالثة لما افتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بقيت الام من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال
هوازن وثقيف واحلفوا في عدد عسكر رسول الله عليه وسلم فقال عطاء عن ابن عباس
كانوا اثنا عشر الفا وقال قتادة كانوا اثني عشر الفا عشرة الاف الذين حضروا
مكة والفان من الطلقاء وقال الكلبي كانوا عشرة الاف فما تحلها وكانوا اعدادا
كثيرين وكان هوازن وثقيف اربعة الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب
اليوم من قلة فهذا الكلمة ساءت رسول الله وهي المراد من قوله اذ اعجبتكم كثرتكم
وقال انه قالها رسول الله وقيل قالها ابو بكر واسناد هذه الكلمة الى رسول الله
بعيد لانه كان في اكثر الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا قاصدا
واسبابها ثم قال تعالى فلم تغن عنكم شيئا ومعنى الاغناء اغاثة مافيه
الحاجة معوله فلم تغن عنكم شيئا اي لم يحصل شيء مما قصدتم بحاصلكم وهو المقصود
من هذا الكلام او الله تعالى اعلمهم انهم لا يغلبون لكثرتهم وانما يغلبون بنصر الله
فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا مهزومين قوله وضاقت عليكم الارض رحبت
يقال ارض رحبة ورحبة ورحاب بمعنى رحبتها ومعناه مع
رحبها وما هنا مع الفعل بمنزلة المصدر وما المعنى الم تشاهدوا بالحكم من الخوف
ضاقت عليكم الارض فلم تجدوا فيها موضعا يصلح لفراركم من عدوكم ثم قال ثم ولّيتم مدبرين

كانت هوازن زماة فلما حملنا عليهم انكشفوا واكببنا عليهم والغنائم فاستقبلنا بالسهام وانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس ابن عبد المطلب وابو سفيان بن الحارث قال البراء والذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله دبره فعقر دابته وابو سفيان آخذ بلجام البغلة فلما رآه كذا نزل العباس عن البغلة وهو يقول

انا النبي لا كذب ٭ انا ابن عبد المطلب ٭ فطفق يركض بغلته نحو الكفار ولا تالوا وكانت بغلته شهباء فنزل العباس باد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فجعل ينادي باعباد الله يا اصحاب السمرة فجاء المسلمون فجعلوا يصرفون عنقا واحدا واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنا من الحصباء فرماهم بها وقال انهزمت الوجوه فما زال امرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله ولم يسق منهم احد يومئذ الا وقد امتلات عيناه من تلك التراب فذلك قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين واعلم انه تعالى لما بين ان الكثرة لا تنفع وان الذي اوجب النصر هو ان الله تعالى انزل امورا ثلثة

احدها انزال السكينة وهي ما يسكن اليه القلب والنصر يوجب الامن والطمانينة واطلق وجه الاستعانة فيه ان الانسان اذا خاف امرا وجاءه متحركا واذا امن سكن وسكن فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظه للسكينة كناية عن الامن واعلم ان قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يدل على ان النصر موقوف على الداعي ويدل على ان حصول الداعي ليس الا من فضل الله اما اسار الاول فهو ان حال الهزام القوم لم تحصل داعية السكون والثبات في قلوبهم فلا جرم لم تحصل السكون والثبات بل فر القوم وانهزموا فلما حصلت السكينة التي هي عبارة عن داعية السكون والثبات تبدلوا الفرار برسول الله وبسكنوا فدل هذا على ان حصول الفعل موقوف على حصول الداعية واما اسار الثاني وهو ان حصول تلك الداعية من الله تعالى فهو صريح قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله والعقل ايضا دال عليه وهو انه لو كان حصول داعي الداعي في القلب من جهة العبد لتوقف على حصول داعي داعي آخر ولزم التسلسل وهو محال بقي قوله وانزل جنودا لم تروها واعلم ان هذا هو الاسر الثاني الذي فعله الله في ذلك اليوم ولا سلاف ان المراد

ان الملائكة وليس في الظاهر ما يدل على عدد الملائكة كما هو مذكور في قصة هلاك
سعيد بن جبير ان الله سبحانه وتعالى خمسة آلاف من الملائكة لعله انما ذكر هذا العدد قياسا على
يوم بدر وقال سعد المسيب حتى جاء ذلك في المرسل يوم حنين قال لما التقى
المسلمون والكفار جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء حال
بيننا الجيوش حتى ما نقدر واشاهت الوجوه وجوههم فانهزموا وركبوا اكتافنا
وايضا اختلفوا ان الملائكة هل قاتلوا ذلك اليوم فالذي دلت عليه الاخبار التي بعثناها عن
سعيد المسيب على انهم قاتلوا ومنهم من قال الملائكة ما قاتلوا الا يوم
بدر واما فائدة نزولهم في هذا اليوم فهو ما ذكرناه للتواطر الحسية في قلوب المؤمنين
ثم قال تعالى وعذب الذين كفروا وهذا هو الضرب الثاني الذي فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم والمراد من هذا التعذيب قتلهم واسرهم واخذ اموالهم
وسبي ذراريهم والاصح اصحابنا هذا على ان فعل العبد خلق الله تعالى لان المراد من
هذا التعذيب ليس الا الاخذ والاسر وهو تعالى نسبه الى الاستيلاء على نفسه وعدد ذلك
قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وهذا يدل على ان وقوع هذين الفعلين في زمان
بدا اما في هذه المسئلة وقالت المعتزلة انما نسب تعالى الى نفسه لانه حصل بامره
وقد حصل سبق جماعة عن مرة ثم قال وذلك جزاء الكافرين والمراد ان ذلك
التعذيب هو جزاء الكافرين واعلم ان الحنفية تمسكوا في مسئلة الخلد مع التعريف بقوله
الدائمة والزاني فاجلدوا قالوا العائد الى كون الخلد جزاء واجزاء اسم الكافي
وكون الخلد كافيا يمنع كون غيره مشروعا معه فنقول في الجواب عنه
الجزاء ليس اسما للكافي وذلك لان الله تعالى سمى هذا التعذيب جزاء مع ان المسلمين
اجمعوا على ان العقوبة الدائمة في القاتل مدخرة لهم فدلت هذه الآية على ان الجزاء
ليس اسما لما تقع به الكفاية ثم قال تعالى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
يعني ان مع كل ما جرى عليهم من الخذلان قال الله تعالى قد يتوب عليهم قال اصحابنا انه تعالى
قد يتوب على بعضهم بان يدخل على قلبه الخوف فيحقق عند الاسلام قال القاضي
معناه انهم بعد ان جرى عليهم بعد ما جرى اذا اسلموا او تابوا فان الله يقبل توبتهم
وهذا ضعيف لان قوله ثم يتوب الله ظاهره يدل على ان بعد التوبة انما يحصل من الله تعالى

وتمام الكلام في هذا المعنى مذكور في سورة التوبة بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا
يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
ان الله عليم حكيم ۞ وفي الآية مسائل المسئلة الاولى اعلم ان هذا هو
الشبهة الثالثة من الشبه التي وقعت في قلوب القوم وذلك لانه عليه السلام امر عليا ان
يقرأ على مشركي مكة اول سورة براءة وبعث اليهم محمد بن ابي بكر وامره ان يقول لهم
انا رسول من الله اليكم بعهدكم هذا ولو بعث اليهم ابا بكر لما انقطع السؤال وتعذر الجواب لان
لهم ان يقولوا لعل هذا ما بعثه الله لانه لا يعرف الا بالوحي فلهذه الشبهة ولهذا
قال الله تعالى عقيبها بقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله فهذا وجه النظم وهو حسن موافق للمسئلة الثانية قال الاخفشي
لغط المشركين بهذا وامثاله في القرآن وقال قوم بل هذا واجب الاعتبار وقد سقط هذه المسئلة
وصححنا هذا القول بالدليل الكتاب والذي يخصه ههنا التمسك بقوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك معلوم انه داخل المسئلة الثالثة
قال صاحب الكشاف النجس مصدر نجس نجسا وقدر قدرا ومعناه دو نجس وقال
الليث النجس الشيء القذر من الناس وغيرهم كل شيء حالف نجس وقوم اخاس ورجل
واختلفوا في كون المشرك نجسا نقل صاحب الكشاف عن ابن عباس ان اعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وعن الحسن رضي الله عنه مشركا نجسا وهذا هو القول الثاني
الهادي وابنه الزيدية واما العترة فعندهم على طهارة ابدانهم واعلم ان
ظاهر القرآن يدل على كونهم انجاسا فلا يرجع عنه الا لدليل منفصل ولا يمكن دعوى الاجماع
فيه لما بينا ان الاختلاف فيه حاصل وايضا فكان جسمه نجسا لما سبق ان الكافر لا يسبق الاسلام
والقائلون بالقول الاول احتجوا عليه بان القرآن اقوى من خبر الواحد وايضا
لو كان جسمه نجسا لما ساغ له ذلك بسبب الاسلام والقائلون بالقول الثاني
ان يعتقد ان جل الشرك من اباهم كان معفوا عنه على ما دل عليه الآية وسائر من وجب الاولى
ان هذه السورة من اواخر ما نزل من القرآن وايضا كان المخالطة مع الكفار جائزة
فحرمها الله تعالى لما علم ان معها ضررا يعم حاصله فانا لها الله فلا بعد ان يقال

ايضا الشرب من اوانيهم كان جايزا فحمه الله الشافعي ان الاصل حل الشرب من اواني الكفار وكان
فلو قلنا انه حرم بحكم الاصل ثم حل بحكم الخبر فقد حصل نسخان اما لو قلنا انه لو حرم
كان حلا لاجل حكم الاصل والرسول ما ورد الا بتقرير حكم الاصل فهو حال الخبر هو بحكم هذه
الآية لم يحصل النسخ الا مرة واحدة فوجب ان يكون هذا اولى واما قول القاضي
لو كان الكافر نجس العين لما تبدل النجاسة بالطهارة بسبب الاسلام فهو ان
انه قياس في معارضة النص الصريح وايضا ان اصحاب هذا المذهب يقولون الكافر
اذا اسلم وجب عليه الاغتسال ازالة للنجاسة الحاصلة بحكم الكفر فهذا تقرير
هذا القول واما جمهور الفقهاء فانهم قد حكموا بكون الكافر طاهرا في جسمه
ثم اختلفوا في تاويل هذه الآية على وجوه الاول قال عطاء وقتادة معناه
انهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يتوقون من الحدث الثاني المراد انهم منزلة
في النجس في وجوب التنفر عنهم الثالث ان كفرهم الذي هو صفة لهم يمنع الحالة
المتصفة بالشيء واعلم ان هذا الوجه عدول عن الظاهر بغير دليل المسلك الرابع
قال ابو حنيفة واصحابه اعضاء المحدث نجسة نجاسة حكمية ونوا عليه ان الماء
المستعمل في الوضوء والجنابة نجس تفرد روى ابو يوسف عنه انه نجس نجاسة غليظة
وروى محمد بن الحسن ان حكم الماء طاهر واعلم ان قوله تعالى انما المشركون نجس
يدل على فساد هذا القول لان كلمة انما للحصر وهو يقتضي ان لا نجس الا المشرك
فالقول باعضاء المحدث نجسة مخالف لهذا النص والعجب في ان هذا النص صريح
في ان المشرك نجس وفي ان المؤمن ليس بنجس ثم ان قوما قلبوا القضية وقالوا المشرك
طاهر والمؤمن حال كونه محدثا او جنبا نجس ويعنون ان المياه التي نستعملها اكثر
الاوقات في اعضائهم نجس نجاسة غليظة وهذا من العجائب وبما يوكد القول
بطهارة اعضاء المسلم قوله عليه السلام المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا فصار هذا
الخبر مطابقا للقرآن ثم الاعضاء التي لاقت جملة طاهرة القرآن والاخبار في هذا الباب
لان المسلمين اجمعوا على ان انسانا لو حمل محدثا في صلوته لم تبطل صلاته ولو كانت
يده رطبة فوصلت الى يد محدث لم ينجس يده ولو عرق المحدث ووصلت تلك البلة الى
ثوبه لم ينجس فثبت ان القرآن والخبر والاجماع تطابقت على القول بطهارة اعضاء

المحدث فكيف يكون حالة وشبهه المخالفان الوضوء بنبيذ الطهارة والطهارة لا
تحصل بنبيذ التمر وهذا ضعيف لان الطهارة قد تستعمل في ازالة الاوزار ويدل
قال الله تعالى في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وليس هذا الطهارة الا عن الاثام والاوزار وقال تعالى في صفة مريم ان الله
اصطفاك وطهرك والمراد تطهيرها عن المعصية الفاسدة واذا ثبت هذا فقوله
حاثا لاخبار الصحيحة في ان الوضوء يطهر الاعضاء من الاثام والاوزار فلما ثبت
الشارع كون الوضوء طهارة بهذا المعنى مما الذي حملنا على تخصيصه والذهاب
الى شيء يبطل القرآن والاخبار والاحكام الاخاصية المسئلة الرابعة قال
الشافعي رضي الله عنه الكفار ممنوعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك ممنوعون
من كل المساجد وعندي حنفة لا ممنوعون من المسجد الحرام ولا من سائر المساجد
والآية ممنوعة يبطل قولي حنفة ومفهومه يبطل قول مالك والاصل
عدم المنع في الكل خالفناه في المسجد الحرام لهذا النص الصريح العاضد فوجب ان يبقى
في حق على ما هو الاصل المسئلة الخامسة اختلفوا في ان المراد من المسجد الحرام
نفس الحرم والمراد منه جميع الحرم والاقرب هو هذا الثاني والدليل عليه قوله
تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وذلك لان موضع الحاجات
ليس هو نفس المسجد فلو كان المقصود من هذا الامر المنع من المسجد خاصة لما خافوا
بسبب هذا المنع من العيلة واما لما كان المقصود منعهم من جميع الاسواق
والمواسم وهذا الاستدلال حسن من الآية ويتأكد هذا القول بقوله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى مع انهم اجمعوا على انه اما وقع
الرسول من بيت ام هاني وانطبانا كما روي عن النبي عليه السلام قال لا يحمل دمان
في جزيرة العرب واعلم ان اصحابنا قالوا الحرم حرام على المشركين ولو كان الامام بعثه
فجاء رسول المشركين فليخرج الى الحل لاستماع الرسالة وان دخل مشرك الحرم متجارا فعمر
فيه اخر جناه من بيعه وان مات ودفن لم نعلم بشتناه واخرجنا عظامه فاذا المدعى
المسئلة السادسة الشبهة في ان المراد بقوله بعد عامهم هذا السنة التي حصل
فيها البراءة من المشركين وهي السنة التاسعة من الهجرة قال تعالى وان خفتم عيلة

قال العلة العقر يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر والمعنى ان خفتم فقر السبب
منع الكفار منوفى بعدكم الله من فضله وفيه مسئلتان المسئلة الاولى ذكروا فى
تفسير هذا الفضل وجوها الاول قال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وحمل وحملوا
الطعام الى مكة وكفاهم الله لحاجة المتابعة الكفار والثانى قال الحسن
جعل الله ما يوجد من الجزية بدلا من تجارة وقتادة اغناهم بالغيث الثالث قال
عكرمة نادر الله عليهم المطر وكثر خيرهم المسئلة الثانية قوله مسون يعنكم
الله من فضله اخبار عن عيب فى المستقبل على سبيل الحزم فى حكايته عظيمه وقد وقع
الامر بخلافه لقوله للحر وكان معجزة ثم قال تعالى ان شاء ولسائل ان يسئل
فيقول الغرض بهذا الحشو ازالة الخوف عن العيلة وهذا الشرط يسمع من افواه هذا
المقصود وجوابه من وجهين الاول لا يحصل هذا الاغناء الا على حصول
هذا المطلوب فكون الانسان ابدا متضرعا الى الله تعالى فى طلب الخيرات وفى دفع
الآفات الثانى ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم عباده الادب كما فى قوله
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله الثالث المقصود التسوية على حصول هذا
المعنى لا يكون فى كل الاوقات وفى جميع الصحة لان ابرهيم عليه السلام
قال فى دعائه وارزقه من الثمرات وكم من بعيد التعصب وفى هذا الاغناء شئا
المراد منه ذلك التعصب بقوله والله عليم حكيم اى عليم بما هو الاصلح وحكيم لا يعطى
ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **قوله تعالى** قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر الى قوله صاغرون اعلم انه تعالى لما ذكر حكم المشركين فى اظهار البراءة عن
عهدهم وفى اظهار البراءة عنهم فى انفسهم وفى وجوب معاملتهم وفى بعدهم عن المسجد
الحرام واوردوا الاشكالات التى ذكروها واجاب عنها بالجوابات الصحيحة ذكر
بعدها اهل الكتاب وهو ان يقاتلوا على ان يعطوا الجزية فحمد بعض ما هم عليه
بشرائط ويكونون عند ذلك من اهل الذمة والعهد وفى الآية مسائل
المسئلة الاولى اعلم ان الله تعالى ذكر اهل الكتاب اذا كانوا موصوفين بصفات
اربع وجب معاملتهم اما الى ان يسلموا واما الى ان يعطوا الجزية والصفة الاولى انهم
لا يؤمنون بالله واعلم ان القوم يقولون كيف يؤمن بالله الا ان يعرف الله بدلائل

اكثر اليهود مشبهة والمشبهة تزعم ان الموجود الا الجسم وما اختاره فاما
الموجود الذي لا يكون جسما ولا حالا فيه وهو منكر له وما ثبت بالدليل ان
الاله موجود ليس بجسم ولا حال في الجسم فحينئذ يكون المشبهون منكرون لوجود
الاله فثبت ان اليهود منكرون لوجود الاله فان قيل واليهود صنفان منهم
مشبهة وهم مرجئة كما ان المسلمين كذلك فهل ان المشبهة منهم منكرون لوجود
الاله قلنا قولهم في توحيد اليهود على اولين لا يكونوا داخلين تحت هذه الآية
ولكن اصحاب الجزية علموا بان مقال ثابت وجواب له على بعضهم وهذا القول به في
حق الكل مردود انه لا قائل بالفرق واما النصارى فهم يقولون بالاب والابن
وروح القدس والحلول والاتحاد وهذا دليل في الالهية فان حاصل الكلام
ان كل من وصف في صفة من صفات الله فانه منكر لوجود الله تعالى لان اكثرهم مجمعون
في صفات الله تعالى الا ترى ان اصل السنة اجتمعوا اصلا واحدا وهذا الباب فالاشعري
اثبت البعض صفة والقاضي ابو بكر وعبد الله بن سعيد اثبت جميع صفة والباقون اثبتوا
اثنتين والقاضي اثبت ادراك الطعوم فادراك الروائح وادراك الحرارة والبرودة وهي التي تسمى في حق البشر بادراك
الشم واللمس وقد اثبت الاستاذ ابو اسحق الكل والباقي اثبت السبع اصولا والسبعة معللة
بتلك الصفات وقضاه الاحوال اثبت القاضي وعبد الله بن سعيد وغيرهما الكلام الله تعالى الا ترى ان امرا
والها ونهيا واخبارا ثم صار ذلك في الازل دليلا على ان القرآن وقوم من هذه الامة اصحاب اثبتوا لله
خمس كلمات الامر والنهي والخبر والاستخبار والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا
في ان اختلاف المعلوم هل هو مقدور ام لا فثبت هذا اصول الاصلاح اصحابنا في صفات الله تعالى
من هذا الوضع الكتاب واما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق في صفات الله تعالى فاكثر
عن ان نذكرها في موضع واحد اذا ثبت هذا فنقول اما ان يكون الاختلاف في الصفات
موجبا لكونه الذات او لا يوجب ذلك فان اوجبه لزم في اكثر فرق المسلمين ان يقال
انهم انكروا الاله وان لم يوجب لم يلزم من ذهاب بعض اليهود وذهاب النصارى الى
الحلول والاتحاد كونهم منكرين للايمان بالله وانا نجد هذا النصارى اذا قيل لهم
حلف في عيسى وجنوبه المسلمون يقولون ان من قال كلام الله تعالى قال اذا لعن الله موضع
كلام الله وكلام الله تعالى مع انه صفة الله مدخل في لسان هذا القاري وفي لسان

جميع القرآن واذا كان كلام الله في جسم فقد حل كلام الله تعالى في ذلك الجسم فالنصارى اشتركوا
الحلول الاتحاد في حق عيسى واما هؤلاء الحشوية فاشتركهم الله في كل انسان قرأ القرآن
وفي كل جسم كتب فيه القرآن فان صح في حق النصارى انهم لا يؤمنون بالله بهذا السبب
وجب ان يصح في حق هؤلاء الاخرين فيه والحلولية انهم لا يؤمنون بالله وهذا تمام تقرير
هذا السؤال والجواب ان الدليل دل على ان من قال بان الله جسم فهو مشرك
لان الله تعالى دل الدلائل على ان الله العالم موجود ليس بجسم ولا حال في الجسم فاذا ثبت
ان الجسم هذا الموجود فقد اثبت وجود الله فالخلاف بين المجسم والموحد ليس في الصفة
بل في الذات فصح في المجسم انه لا يؤمن بالله اما المسائل التي جعلتموها هاهنا اصلا
في الصفة فظاهر الفرق واما الرام مذهب الحلولية والخروجية فهو يكفرهم قطعا فانه
تعالى لما كفر النصارى بسبب انهم اعتقدوا حلول كلام الله في المسيح مع ان قراءة
القرآن وفي جميع الاجسام التي كتب فيها القرآن فاذا كان القول بالحلول في حق الذات
الواحد يوجب التكفير فلان يكون القول بالحلول في حق جميع الاشخاص والاجسام
يوجبا للقول بالتكفير كان اولى واما الصفة الثانية من صفاتهم انهم لا يحرمون
بالحرام الذي علم ان المسلمون يحرمونه على اليهود والنصارى فحكاية عنهم
يميلون الى المعاشرة وطلب الدنيا واعلم ان اتباع هذا البعض بالبعض الاخر في هذه المعاداة
والمشاقات الرديئة وذلك باعث على صحة القول بما ورد به الاخبار الكثيرة
عليها الا انا مع ذلك نثبت السعادات والشقاوات لاشخاص ونعلم ان الله يجعل
اهل الجنة يحبب بعضهم بعضا ويتزاورون بالحواري يمتعون وكذلك من ذكر
الحشر والبعث الجسماني بعد ان صرح القرآن فيه فكان اليهود والنصارى منكرين
لهذا المعنى بتكذيبهم بالبعث الاخر الصفة الثالثة من صفاتهم قوله
تعالى ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ومنه وصفهم الاقوام انهم لا يحرمون ما
حرم في القرآن وسنة الرسول قال ابو روق يعلمون ما في التوراة والانجيل وهو هذا
وانواع احكام كثيرة من قتل النفس والصفة الرابعة قوله تعالى ولا يدينون
دين الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه معتقدا فمعنى قوله ولا يدينون دين الحق
اي لا يعتقدون في صفة الاسلام الذي هو الدين الحق ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات
الاربع

ان يكون المراد انه ما كان لهم زاد وراحلة وما اراد به نفس القدرة والجواب
ان يقال انا لا نعلم له بعذر في ترك الخروج فمن لا استطاعة له اولى بالعذر واما القائل
من لا استطاعة فقوله البدن دون الدواعي والصوارف اذا اريد به المال فانما اراد لانه يتعذر على
فاعله الانسان لفقد البدن ولا معنى لذكر الحقيقة من دون ذلك واما
اصحابنا فالمعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا تتقدم الا بوقت واحد فانما ان يتقدم
عليه بازمان كثيرة فذلك ممتنع فان الانسان الكائن في مكان لا يكون قادرا في
هذا الزمان ان يفعل فعلا في مكان بعيد عنه بل انما يقدر ان يفعل فعلا في المكان اللاصق
لمكانه فاذا ثبت ان القدرة عند القوم لا تتقدم الفعل الا بزمان واحد فالقوم الذين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانوا قادرين على اسول المعتزلة فعليهم من هذه
الحجة انا الزمنا علينا وعلى هذا بحسبنا وعليهم ان يحملوا الاستطاعة على الزاد والراحلة
وحينئذ يسقط الاستدلال بالمسئلة الخامسة قال الراسخون عليه السلام اخبر
عنهم انهم سيحلفون بهذا اخبار عن غيب وقع في المستقبل فالامر لما وقع كما
اخبر فكان هذا اخبارا عن الغيب **قوله تعالى** عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين
لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اعلم انه تعالى بين بقوله لو كان عرضا قريبا
وسفرا قاصدا لاتبعوك انهم تخلفوا مع التمكن من الخروج وليس فيه بيان انه لا يحل التخلف عنه
وفيه مسائل المسئلة الاولى احتج بعضهم بهذه الآية على صدور الذنب عن
بعض الرسل من وجهين الاول انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو لا يستدعي سابقه الا الذنب والثاني انه
تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام بمعنى الانكار فدل هذا على ان الاذن كان
معصية وذكروا في تلك المعاذير وجوها منهم من قال انما عاتبه الله لما فعل من
الاذن للمنافقين واحتج القائلون بالصغائر من الانبياء بما يسمعون والجواب عن
الاول لا نسلم ان قوله عفا الله عنك يوجب الذنب ولم لا يجوز ان يقال انه لما ورد
على ما لقنه الله تعالى في تعظيمه وتوقيره كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما
عفا الله عنك لم صنعت في امري وقد نهى الله عنك ما جوابك عن كلامي ودعا لك
الله لا زلت بخير ولا يقصد به ذم صاحبه فهذا الكلام لا يزيد المتحيل والمعظم

الاربع

وقال علي بن الجهم فيما عاتب به المتوكل وقد اسرع سعيد

عفا الله عنك الا حرمة تحود بها للعلا
الم تر عبدا غاطوا ومولا عفى ورشدا هوى
املني فالك من لم يزل يعتك ويصرف عنك الردى

والجواب عن المثال ان يقول لا يجوز ان يكون المراد من قوله لم اذن لهم الانكار لانا نقول اما ان يكون صدر بالرسول في هذه الواقعة او لم يصدر عنه ذنب فان قلت انه مما صدر عنه ذنب امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلت انه كان قد صدر عنه ذنب فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو عنه وبعد حصول العفو يستحيل ان يوجه الانكار عليه فيتنازل على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب سنافي قاطع وعند هذا نحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل لاسيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا المسئلة الخامسة من الناس من قال للرسول عليه السلام كان يحكم بمحض الاجتهاد في بعض الوقايع واحتج عليه بان قوله فاعتبروا يا اولي الابصار امر لاولي الابصار بالاعتبار والحكم والرسول كان سيدهم وكان داخلا تحت هذا الامر ثم اكد ذلك بقوله الا له الخلق والامر فالوا اما ان يقال انه تعالى اذن له في كل الاذن او منعه عنه او ما اذن له فيه وما منعه عنه والاول باطل والا امتنع ان يقول له لم اذنت لهم والثاني باطل ايضا لان على هذا التقدير يلزم ان يقال انه حكم بغير ما انزل الله فلزم دخوله تحت قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فاولئك هم الفاسقون فاولئك هم الظالمون وكل ذلك باطل بصريح العقل فلم يبق الا القسم الثالث وهو انه عليه السلام انما اذن في بعض الواقعة من عند نفسه فاما ان يكون ذلك مبنيا على الاجتهاد او لا يكون لو كان ذلك مبنيا على الاجتهاد لما كان عفو الله تعالى محلوبا بتعجيلهم حلفا بما قالوا الصلاة وانتفوا الشهوات فلم يبق الا انه عليه السلام اذن في بعض الواقعة بناء على الاجتهاد وذلك يدل على انه عليه السلام كان يحكم بمحض الاجتهاد فان قيل

فهذا ينزل

فهذا يدل على انه يجوز له الحكم بالاجتهاد اول الحادثة تعالى منعه من هذا الحكم بقوله لم أذنت لهم
قلنا انه تعالى ما منعه من الحكم الاذن مطلقا لانه قال حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين والحكم المحدود الى غاية يكمله حتى يجب انتهاؤه عند حصول تلك الغاية فهذا يدل
على صحة قولنا فان قالوا لم لا يجوز ان يكون المراد من الآية التي هو الذي على طريق
الوحي قلنا ما ذكرتموه محتمل الا ان على التقدير الذي ذكرتموه نصير قد علمنا ان الله
يحكم الله وان الله يصر حتى ينزل الوحي ويظهر النص فلما ترك الدال كان ذلك كبيرة وعلى
التقدير الذي ذكرناه كان ذلك الخطأ واقعا في الاجتهاد فدخل تحت قوله ومن
اجتهد فاخطأ فله اجر واحد وكان حمل الكلام عليه اولى المسألة الثالثة دلت
هذه الآية على وجوب الاحتراز عن العجلة ووجوب التثبت والتأني وترك الاعتراض على
الامور والمبالغة في التفحص حتى يمكنه ان يعامل كل فريق بما يستحقه من التعريف
او الاذلال المسألة الرابعة قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون في هذه الآية
ثم رجع في سورة النور فعال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم
المسألة الخامسة قال ابو مسلم الاصفهاني قوله لم أذنت لهم ليس فيه ما يدل على ذلك
الاذن فعاد الضمير ان يعضهم استأذن في القعود فاذن ويحتمل ان بعضهم استأذن
في الخروج فاذن مع ان ما كان خروجهم معه خوفا لاحتمال انهم كانوا عيونا للمنافقين
على المسلمين وكانوا شيوخا وذوي الفتن ويسعون الغوائل فلهذا السبب ما كان خروجهم
مع الرسول مصلحة قال القاضي هذا العتب لا يليق بهذه الآية بل يدل على وجه الذم للمتخلفين
والمدح للمجاهدين وايضا ما بعد هذه الآية يدل على ان هؤلاء القاعدين ما كان حالهم
كحال الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم ثم قوله تعالى لا
يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين
انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
فهذا يدل على ان المؤمن لا يجوز له ان يقعد عن الجهاد البتة وما بعد هذه الآية
يدل على ان القاعدين ما كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر وهذا يدل على ان قوله
لم أذنت لهم ليس فيه ما يدل على ان ذلك الاذن كان خطأ ثم ان هذا الكلام يشتمل
على ذكر المنافقين وعلى ذكر المؤمنين فالمؤمن متى امر بالخروج الى الجهاد تأخر
ولم يتوقف والمنافق يتوقف ويتلدد ويأتي بالعلل والاعذار وهذا المقصود حاصل
سواء عبر عنه بلفظ المستقبل او الماضي والمقصود انه تعالى جعل علامة النفاق
في هذا الوقت استئذان المسألة الثانية لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر

ان يجاهدوا فيه محذوف والتقدير في ان يجاهدوا في به حسن الحذف لطوله ثم هنا قولان الاول
اجرا الكلام على ظاهره من عمر اضمارا خر وعلى هذا التقدير فالمعنى انه ليس من عادة
المومنين ان يستاذنوا نبيهم في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون
لا نستاذن النبي عليه السلام في الجهاد فان ربنا ندبنا اليه مرة بعد اخرى فاي فائدة في
الاستيذان وكان يحتاج امر هم الرسول بالقعود لنبه عليهم ذلك الامر ان على ما يطالب
لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقيم في المدينة نبه عليه ذلك ولم يرض ان
قال له الرسول عليه السلام انت مني بمنزلة هارون من موسى والقول الثاني لا حذف فيها
من اضمار اخر قالوا لان استيذان الامام في الجهاد عمر جائز وهو لا يدمهم الله تعالى
في ترك هذا الاستيذان فبنا انه لا بد من الاضمار والتقدير لا يستاذنك بل هو لا في ان لا
يجاهدوا الا بر حذف حرف النفي ونظيره قوله تعالى ان الله يبين لكم ان تضلوا والدليل على
هذا المحذوف ان ما قبل الاية وما بعدها يدل على ان حصول هذا الذم انما كان على
الاستيذان في القعود والله اعلم بمراده تعالى انما يستاذنك الذين لا يومنون
بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم وهم في ريبهم يترددون وفيه مسائل المسئلة
الاولى بين ان هذا الاستيذان لا يصدر الا عند عدم الايمان بالله واليوم الاخر وهما قال
علم الايمان قد يكون لسببين احدهما الشك والريب هذا يدل على ان الشاك المرتاب غير مومن بالله وههنا
سوالات الاول ان العلم اذا كان يستدل به على الشاك كان وقوع الشك في الدليل يوجب
وقوع الشك في المدلول ووقوع الشك في مقدمة واحدة من مقدمات الدليل يكفي في حصول
الشك في صحة الدليل فهذا يقتضي ان الرجل المومن اذا وقع له سوال واشكال في مقدمة
من مقدمات دلالة ان يصير شاكا في المدلول وهذا يقتضي ان يخرج المومن عن ايمانه
في كل لحظة بسبب انه يخطر بباله سوال واشكال ومعلوم ان ذلك باطل بيقيننا
بان الايمان ليس على الدليل على التقليد كان مومنا من هذا الوجه والجواب
ان المسلم وان عرض له الشك في صحة بعض مقدمات دليل واحد الا ان سائر الدلائل
سلمت عنده من الطعن فلهذا السبب بقي ايمانه دائما مستمرا السوال الثاني
ليس ان اصحابكم يقولون ان مومن ان شاء الله وذلك يقتضي حصول الشك والجواب
انا استقصينا في تحقيق هذه المسئلة في سورة الانعام في تفسير قوله اولئك لهم الامن وهم مهتدون

المسئلة الثانية

المسئلة الثانية والثالثة الكراهية الايمان ومحو الاقرار مع انه تعالى يشهد عليهم في هذه
الآية بانهم لكاذبون من المسئلة الثالثة قوله وارتاب ملوهم يدل على ان محل الريب
هو القلب فقط ومتى كان محل الريب هو القلب كان محل المعرفة والايمان ايضا هو القلب
لان كل واحد من الضدين يجب ان يكون هو محلا للضد الاخر وهذا السؤال تعالى اولك
حكم في قلوبهم الايمان واذا كان محل المعرفة والكفر هو القلب كان المنافق والمعاند
في الحقيقة هو القلب والواقع يكون بحاله المسئلة الرابعة قوله فهم في ريبهم
يترددون معناه ان الشاك المرتاب يبقى متردد ابين النفي والاثبات غير جازم بأحد القسمين
ولا جازم بأحد المتقابلين وتعريف ان الاعتقاد اما ان يكون جازما او لا يكون
وايجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا فان كان احد
طرفيه هو العلم والا فهو اعتقاد المقلد وان كان غير جازم فان كان احد الطرفين
راجحا فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تعادل الطرفان فهو الريب والشك
وحينئذ يكون الانسان متردد ابين الطرفين بحيث لو اراد الخروج
لاعتقد انه على قوي عنده وقوي انصاف عن بكسر العين معنى اضافه واضافه قال ابن عباس
يريد من المرادة والمراد واصله لان يفرحهم بعد وفي رمان شديد وبر بكسر العين
دليل على انهم ارادوا التخلف فعاقبهم الله بان حرمهم هذا الشان الى انهم كانوا مباشرين
على تحصيل الاهبة والعدة ثم قال تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم
وفيه مسائل المسئلة الاولى الانبعاث الانطلاق في الامر تقول انبعث البعير
فانبعث وبعثته فانبعث ثم قد يستعمل في الحسي كقولك انبعث الى الصيد وانبعث الى
الشر والمعنى انه تعالى لما حرجهم مع الرسول فصرهم عنه فاذن لهم وحبسهم
عن الرسول لما ان تعالى انه كان بفسدهم او تعالى انه كان مصلحة فان علم الله كان مفسدة
فلم عاتب الرسول في اذنه اياهم بالقعود وان علم الله كان مصلحة فلم قال انه تعالى
كره انبعاثهم وحرجهم الجواب الصحيح ان خروجهم مع الرسول لما كان
مصلحة بدليل انه تعالى اجرى بعد هذه الآية وشرح بالمفاسد وهو قوله
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني ان تعالى لما كان الاصلح الاصول لا خروجوا فلم
عاتب الرسول عليه السلام في الاذن فصول قد ذكرنا عن ابي مسلم انه قال ليس في قوله

لم اذنت لهم انه عليه السلام كان قد اذن لهم في القعود بل يحتمل ان يقال انهم استاذنوه في الخروج معه فاذن لهم وعلى هذا التقدير فانه يسقط السؤال قال المرتضى والدليل على صحة ما قلنا ان هذه الآية دليل على انهم خرجوا معه كان مغضبا فوجب حمل ذلك العتاب على انه عليه السلام اذن لهم في الخروج معه وباكد دليل لسائر الآيات منها

قوله تعالى فاذا رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا ومنها انه سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى قوله بل كانوا لا يفقهون قد ادفع هذا السؤال على طريقتي المرتضى والوجه الباقي من الجواب ان يسلم ان العتاب في تولية لم اذنت لهم اما توجه لاجل انه عليه السلام اذن لهم في القعود مقول ذلك العتاب ما كان لاجل ان ذلك القعود كان مغضبا بل لاجل ان اذنه عليه السلام بذلك القعود مغضب وبيانه من وجهين الاول انه عليه السلام اذن قبل اتمام الفحص واكمال التامل والتدبر وهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين فالمانع انه عليه السلام ما كان يأذن لهم في القعود فهم كانوا يتعذرون بعذر يعلم الله منهم كذبه فلو لم يصدر ذلك القعود علامة على نفاقهم واذا ظهر نفاقهم اضر المسلمون منهم ولم ينتفعوا بتوليهم فلما اذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك القعود وفي نفاقهم صحفا فات بذلك المصلحة والثاني انهم لما استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب عليهم وقال اقعدوا مع القاعدين على سبيل الزجر كما حكاه الله في آخر هذه الآية وهو قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ثم انه تعالى لما ذكر عذرهم الذي اعتذروا به فقالوا قد اذن لنا فقال تعالى لم اذنت لهم اي لم ذكرت عذرهم هذه العلة التي يمكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم الا ترى ان الله تعالى لما ذكر عذر الذين يتولون وان اعينهم تفيض من الدمع حزنا على الا يجدوا ما ينفقون قال انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون فكذا هاهنا ذكر عذرهم ثم بين انهم لما تمكنوا من الخروج وكان الاقدام على الاجتهاد مع التمكن من الوحي جاريا مجرى الاقدام على الاجتهاد مع حضور النص كان هذا عذرا عظيما في ذلك المسئلة الباقية قال المعتزلة الآية صريحة في انه تعالى انما هو موصوف بصفة المريد من حيث انه موصوف بصفة الكاره بدليل قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم

امتناعهم قال اصحابنا معنى كون الله تعالى مريدا عدم ذلك الشيء والمانع هو العدم
لا يصلح ان يكون متعلقا وذلك لان الارادة عبارة عن صفة تخصص ترجح احد طرفي الجائز
على الاخر والعدم في محض وانتفاء العدم المستمر لا تعلق للارادة به اذ التخصيص
الحاصل محال وجعل العدم عدما محال فمتى ان يتعلق الارادة بالعدم محال فامتنع القول
بان المراد من الكراهة ارادة العدم اجاب اصحابنا بانا نغير الكراهة في
حق الله بارادة ضد ذلك الشيء فهو تعالى اراد منهم الذي يكون موقع النهي عن هذه
الارادة بحكمه تعالى كما ذهب اليه المعتزلة وجهم مع الرسول عليهم المسئلة الثالثة اجمع
اصحابنا في مسئلة القضاء والقدر بقوله تعالى فثبطهم اي فكسلهم ومنعهم عنهم في
الاتباعات وحاصل الكلام فيه لا تتم الا اذا صرحنا بالمعهود وهو امر ندب والفعل موقوف
على حصول الداعي اليه فاذا اسارت الداعية فان من حقه امتنع صدور الفعل عنه
ان يصير واجبا لذلك الداعية دائمة او فان اركانت من العدم لزم التسلسل وان كانت
العدم المستمر لزم المقصود لان تقوية الداعية ليست الا من الله ومتى حصلت تلك التقوية
لزم حصول الفعل وحينئذ يصح قولنا في مسئلة القضاء والقدر فقرانه تعالى ختم الآية
بقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين وفيه مسئلتان المسئلة الاولى المقصود منه
التنبيه على ذمهم والحاقهم بالنساء والصبيان والعاجزين الذين ناسبهم التخلف والقعود
وهم القاعدون واحتج الخوالف على ما ذكر في قوله رضوا بان الخوالف المسئلة الثانية
احتجوا في هذا القول بمن كان يحتمل ان يكون العامل لذلك هو الشيطان على
سبيل الوسوسة ويحتمل ان يكون بعضهم ذلك البعض لما اراد والاجتماع على التخلف
لان من قول الفساد يحب ان يكون ماشيا له ويحتمل ان يكون العامل هو الرسول علم
لما اذن لهم في التخلف معاتبة الله ويحتمل ان يكون العامل هو الله تعالى وعزلانه قد
كان خروجهم لافساد وكان المراد اذا لم يعلم الله تعالى على هذا
الوجه فامرهم بالقعود عن هذا الخروج الخصوص ثم بين ذلك فقال تعالى بعد ذلك لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم
والله عليم بالظالمين اعلم ان الله تعالى بين في هذه الآية انواع المفاسد الحاصلة من
خروجهم وهي لبنة الاولى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وفيه مسائل

امتناعهم

المسئلة الاولى الجدال الشر والفساد وكل شئ ومنه سمي العشة الجدل والمعتوه
بالجدل والمفسر عبارات قال ابو علي الاشر اوقال ابن الاعرابي الاشر والبطر
الصعال الاصرار وقيل اختيال الاضطراب في الراي وقال الليث هو ابن لقوم وبعض لقوم
اخر ليخلفوا ويفرق بكلمتهم المسئلة الثانية قال بعض النحويين قوله الا
حال من الاستثنا المنقطع هو ان يكون المستثنى من جنس المستثنى منه كقولك
ما زاد وكم خيرا الا حمارا وههنا المستثنى منه غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثنا
من اسم العام وهو الشئ وكان الاستثنا متصلا والتقدير ما اراد وكم الا حمارا ثم
المسئلة الثالثة قال المعتزلة انه تعالى يريد من الجميع الايمان كما امرهم به
وبين في هذه الآية انما كفر ذلك لانه تعالى يكره منهم الشر والفتنة والفساد على الاطلاق
ولا يرضى لهم بالكفر ولا يريد الا الطاعة فهذا النوع الثاني من المفاسد وقد جمعهما
قوله تعالى ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفي الاتصاف قولان يعظمها
الواحدي الاول وهو قول الاخفش اهل اللغة ان الايضاع حمل البعير على
العدو ولا يجوز ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا يقال اوضع
البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله عليه قال اهل العربية يقول وضعت
الناقة واوضع الراعي يقال للراكب انما اوضع والقول الثاني وهو قول
الاخفش اي عبدالله يجوز ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا
من غير ان يراد وضع ناقته وروى ابو عبدالله النبي عليه السلام اوضى من
عرفة وعليها السكينة واوضع وادي محسر قال لبيد

ارتاموضعين لحمهم غيب ونجى الطعام والنزاف

اراد مسرعين ولا يجوز ان يريد موضعين الابل لانه لم يرد السير في الطريق
وقال عمرو بن كلثوم

ساهن بالعرهاء ما عرفتني وعلن امرو لم اكل واضعا

قال الواحدي والذي يشهد لقول الاخفش قول ابي عبيد واعلم ان على
القولين فالمراد الاسراع بالتمام انهم يسرعون في هذا النوع المسئلة الثالثة

وهم من نافق ويسعى فى الارض بالفساد ثم ان اولئك الذين هم يحملونهم على السعى والفساد
لسبب الغاء الشبهات والا واجب لهم تعالى حتم لا بد لقوله والله لا يحب المفسدين
الذين طلبوا العسكر بسبب كفرهم وبغيهم وطلبوا عيبهم لسببهم سعوا فى الفساد
عنهم فى وجوه الافات والمخالفات **قوله تعالى** لقد ابتغوا الفتنة من قبل
وقلبوا لك الامور الى قوله محيط بالكافرين اعلم ان المذكور فى هذه الآية نوع اخر
من مكر المنافقين وخبثهم وهو قوله لقد ابتغوا الفتنة من قبل اى من قبل وقعة احد
قال ارجع هؤلاء الذين عشرة اعلام من المنافقين وتفوا على شعب الوداع لقتله العقبة ليكيدوا
بالنبى عليه السلام وقيل المراد ما فعله عبد الله بن ابى يوم احد حين انصرف عن النبى
صلى الله عليه وسلم مع اصحابه وقيل طلبوا اصحابك عن الدين ورجوعهم الى الكفر
وحملوا الناس على معصيتك وقيل هو الاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة وهو الذى طلبه
المنافقون للمسلمين فسلبهم الله منه وقوله وقلبوا لك الامور يعلب الامر
تصريفه وترديده لاصل الدبر والتامل فيه يعنى اجتهدوا فى الحيلة عليك والكيد
لك يقال للرجل المنصرف فى وجوه الحيل فلان يحول قلبه اى يتقلب فى وجوه الحيل ثم قال
تعالى حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون والمعنى ان صنع المنافقين كانوا
متواطئين على وجوه الكيد والمكر وابانة العيب وتعيير الناس عن قبول الدين
حتى جاء الحق الذى كان فى حكم المذاهب والمراد منه القرآن ودعوة محمد وظهر امر الله
الذى كان هو المشهود والمراد امر الله الاسباب التى اظهرها الله تعالى
وجعلها الله موثرة فى قهر شرع محمد عليه السلام وهم لها كارهون اى وهم
لمجىء هذا الحق ولظهور امر الله كارهون وهذه تسلية على انه لا اثر لمكرهم وكيدهم
ومساعيهم فى ابطال الشرائع بعد كانوا فى طلب هذا المكر والكيد والله تعالى
رد فى نحورهم وخيب آمالهم وابطل مقصودهم فلما كان الامر عند الله فى الماضى
وهو انه يكون فى المستقبل عبر عنه تعالى وعلم من يقول ائذن لى ولا تفتنى
يريد ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بسبب الامر بالخروج وذكر فيه وجوها الاول
لا تفتنى اى لا تقع معى فى الفتنة وهى الاثم بل ائذن لى فانك ان منعتنى من القعود
خلقت بعد اذنك فى قلبى داعية الاثم وعلى هذا التقدير فحصل الذنب فى اذنك فلا تاذن لى
وعلى سبل

المحرف والكون ان اصيادكم وعلى سبيل الحدوث فان كان المنافق منافقا كان يعلب على
ظنه كون محمد عليه السلام صادقا وان كان غير قاطع بذلك والباقي لا يغني اي لا
تغني في الهلاك وان الامان من ذلك لا طاقة لي به وقال ت لا يعني قال
ارجعت معك هلك مالي وعيالي قال ت رابع قال احمد ليس نريد علما ذهبا الى مسهرا
النساء ولا يعني بنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعلمك بما ابن كبشة وهو لا
يغني من الفتنة الا في الفتنة سقطوا والمعنى انهم يحترزون عن الوقوع في الفتنة وهم
في الحال يريدون الوقوع في الفتنة فان اعظم انواع الفتنة الكفر بالله ورسوله والتمرد
عن قبول التكليف وايصافهم يقولون الحق من المسلمين حال الغنى عن ان يعصمهم الله تعالى
وبين الايات في شرح نفاقهم وفي معجم ما يسقط الا الغيط من موجد الغيظ مجموع المعنى
قال اصل المعاني وقد يستدل على ان من عصى الله اعرض الله فانه تعالى يسلط عليه دلالة
الاترى ان القوم انما اختاروا القعود للاتقوا في الفتنة فالله تعالى بين انهم في عين
الفتنة واقعون بما قالوا بمرى ل تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين فسل
انها تحيط بهم يوم القيامة وقيل ان اسباب هلاك الاحاطة حاصلة في الحال وهي عالمهم
محيطة بها وفي احكام الاسلامية انهم كانوا محرومين عن نور معرفة الله ورسله
ورسله واليوم الاخر وما يعبدون لانفسهم وكمالاتهم وسعادة سوى الدنيا ومتاعها
من المال والجاه فهم انهم اشهر وابين الناس بالنفاق والطعن في الدين وقصد
الرسول على ما مر وكانوا يشاهدون ان دولة الاسلام ابدا في الترقي والاستعلاء
والتزايد وكانوا في اشد الخوف على انفسهم واموالهم واولادهم والحاصل انهم كانوا
محرومين عن كل السعادات الروحانية وكانوا اشد الخوف بسبب الاحوال العنصرية
والخوف الشديد مع الجهل الشديد اعظم انواع العقوبات الروحانية فصار الله عن كل
الاحوال بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين **قوله تعالى** ان تصبك حسنة تسؤهم
وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لما علم ان هذا نوع اخر من عيد المنافقين
ومرجع بواطنهم والمعنى ان تصبك في بعض الغزوات حسنة سوى كان ظفروا او كان
غنيمة او كان انقاذا لبعض مملوك الاعداء او نحو ذلك وان تصبك مصيبة من قتل رسلك

ومصيبة وكروه وفرحوا به وقولوا قد اخذنا امرنا الذى عزمنا عليه ويتولوا وهم فرحون
وهو الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ان يقع ما وقع وتولوا عن مقام التحدث
بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم مرحون مسرورون وبعل على ان عباس الحسنة فى يوم بدر
والمصيبة فى يوم احد فان يقال لم خص هذا هو المراد وحمل المصيبة عليه والاولى حمله
على كل حسنة وعلى كل مصيبة اذ المعلوم من حال المنافقين انهم فى كل حسنة
وعند كل مصيبة بالوصف الذى ذكر الله ههنا فقال قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا وقبل قوله الاول ان المعنى انه لا يصيبنا خير ولا شر ولا هو
ولا رجاء ولا شدة ولا رخاء الا وهو مقدر علينا مكتوب عند الله وكونه
مكتوبا عند الله يدل على كونه معلوما عند الله مقضيا به عند الله فان ما
سواه ممكن والممكن لا يترجح الا بمرجح الواجب والممكن باسرها منتهية الى قضائه
وقدره واعلم ان اصحابنا يمسكون بهذه الاية بان قضاء الله شامل لكل المحدثات
وان تعذر الشئ عما قضى الله به محال وتقرير هذا الكلام من وجهين احدهما ان
الموجود اما واجب واما ممكن يمتنع ان يترجح احد طرفيه على الاخر بسببه فوجودهما مع
الى يترجح الواجب لذاته وما سواه فواجب بايجاده وبالهه وتكوينه ولهذا المعنى
قال عليه السلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وبما ان الله تعالى لما علم
جميع الاحوال فى اللوح المحفوظ فقد علمها وعلم بها فلو وقع الامر بخلافها
لزم انقلاب العلم جهلا والعلم الصدق كذبا وكل ذلك محال وقد اطنبنا فى شرح هذه
المناظرة فى تفسير قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا
يومنون فان قيل انه تعالى انما ذكر هذا الكلام تسلية للرسول فى وجود
محزونه ومعارضه فاى تعلق لهذا الكلام بتلك السبب فيه قوله علم
ان علم الله فى الغد هانت عليه المصايب فانه اذا علم الانسان الذى وقع استحال ان لا
يقع زالت المنازعة عن النفس وحصل الرضا به الثانى فى التفسير
فى هذه الاية ان يحمل المعنى على ان يقال انما سلط الله لنا اى فى عاقبة امرنا من
الظهور بالعدو والاستيلاء عليهم والمقصود ان يطهر للمنافقين احوال الرسول
والمسلمين وان الناس مختلفون فى السرور بالغم الحال والعاقبة الدولة لهم والفتح والنصر

والطعن من حالتهم فيكون ذلك اعتراضا للمنافقين وردا عليهم في تلك الغنوح والقول انه
قال الزجاج المعنى انا ان صبرنا معلومين صبرا مستحقين للاجر العظيم والثواب الكثير وان
صبرنا على الغنى صبرا مستحقين للثواب في الاخرة وصبرنا بالمال الكثير والثناء الجميل في الدنيا
واذا كان الامر كذلك صارت تلك المصائب والمحن في جنب هذه الدرجات
العالية محقرة وهذا الوجه اذا كان حسنا فالاول الحق الصحيح هو الاول ثم قال
تعالى هو مولانا والمراد ما تقوله اهل الجنة يثنون به على الله سبحانه بحسن منه التصرف في اهل العالم
كيف شاء واراد لاجل انه مالكهم وخالقهم ورازقهم لا اعتراض عليهم في شيء من افعاله
فهذا الكلام ينطبق على ما تقدم اذا قلنا انه تعالى فعل ما فعل وصل الى كل عبد
انواعا من المصائب فانه يجب الرضا بها لانه تعالى مولاهم ومالك عبيده يحسن منه تعالى
ذلك التصرف لكونه مولاهم ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله ثم قال
وعلى الله فليتوكل المؤمنون معناه انه وان لم يجب لاحد من العبد شيء من الاشياء
ولا امر من الامور الا انه مع هذا عظيم الفضل والاحسان فوجب ان لا يتوكل
المؤمن الا عليه وان يقطع طمعه عن الناس فضله ورحمته لان قوله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون يفيد الحصر وهذا كالتنبيه على ان حال المنافقين بالضد من ذلك فانهم لا يتوكلون
الا على الاسباب الدنيوية والملذات العاجلة الفانية **قوله تعالى** قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين الآية اعلم ان هذا هو الجواب الثاني عن قولهم ان
مصائب المؤمنين تدل على ان المسلم اذا ذهب المال والعز وان صار مغلوبا مقهورا فان
الاسم الحسن في الدنيا والثواب العظيم المذكور عند الله للشهداء في الاخرة وصار غالبا
فاز بالدنيا بالمال الحلال والاسم الجميل وهو الرجولية والتوكد والعلو وفي الاخرة
بالثواب العظيم واما المنافق اذا قعد في بيته وما خاطر بنفسه ولا بذل ماله فانه مذموما منسوبا الى
الجبن والغشل وضعف العقلة والتباعد بالامور الخسيسة من الدنيا عاريا عن كل شيء
فيها من السوار والصيال والعار والنار من السامعين يحسنون ايذاءهم على اقبح وجه
واموالهم واولادهم بالاخرة ان ماتوا فقد انتقلوا الى العذاب الاليم الدائم في العاقبة
وان اذن الله في قتلهم وقعوا في القتل والاسر والنهب وانتقلوا من الدنيا الى عذاب النار
فالمنافق لا يتربص بالمؤمن الا احدى الحالتين الحسنيين وكل واحدة منهما في غاية الحسن

والرفعة والشرف والمسلم يوجب المنافاة احدى الحالتين المذكورتين لان المعاني الدنيا مع الخزي والذلة والهوان ثم الاشتمال على العذاب العاجل او الوقوع في الفعل والنهي مع الخزي الدنيوي وكل واحد من هاتين الحالتين في غاية الحساسة والدناءة ثم قال تعالى للمنافقين قد بينا احدى الحسنيين لكل الفريقين انا معكم متربصون وقوعكم في احدى الحالتين الحسنيين الغازين قال الواحدي يقال وكان هذا نص يعلان الدعاء اذا كان سيطر وقوع ما يكرهه وهذا مذهب الكلام فيه وقال اهل المعاني التربص الامساك عما تسطر به محبة جيدة ولذلك لا يقال تربصت بالطعام اذا امسكت به الى حين زيادة السعر والحسنى بناء الاحسن واختلفوا في تفسير قوله لعذاب من عنده الله او بايدينا ان يكون لكم من قتلكم وقوله لعذاب من عند الله بناء على عذاب الدنيا والاخرى او بايدينا القتل قال وقوله اذا كانوا منافقين لا يحل قتلهم مع علمها بهم الايمان وكيف يقول تعالى اقتلوا المراد بايدينا ان ظهر نفاقكم لان نفاقهم اذا ظهر كان كفرا كفار المرتدين في كونهم حربا للمؤمنين وقوله فتربصوا ان كان صيغة الامر الا ان المراد منها التهديد كما في قوله ذق انك انت العزيز الكريم

قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم الى قوله كافرون اعلم انه تعالى لما بين في الآية الاولى انكم كنتم قوما فاسقين اردفه بقوله ان علة المنافقين هي العذاب في الدنيا وفي الآخرة من اجلهم وان انواعا شتى من اعمال البر فانهم لا يتقربون به في الآخرة والمقصود منه ان اسباب العذاب في الدنيا والآخرة مجتمعة في حقهم وان اسباب الرحمة والخير زائلة عنهم في الدنيا وفي الآخرة وفي الآية مسائل

المسألة الاولى قرأ حمزة والكسائي كرها بالضم الكاف هاهنا وفي النساء والاحقاف وقرأ عاصم وابن عامر في الاحقاف بالضم من المشقة وفي النساء والتوبة بالفتح من الاكراه والباقون بفتح الكاف في جميع ذلك وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما اكره عليه

المسألة الثانية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في جد بن قيس حين قال ائذن لي في القعود وهذا مما لا يمسك به واعلم ان السبب وان كان خاصا الا ان الحكم عام بقوله انفقوا طوعا او كرها وان كان اللفظ لفظ الامر الا ان معناه معنى الشرط والجزاء والمعنى سواء انفقتم

طائعين او مكرهين فان تقل اذا كان كذلك فكم واعلم ان الخبر والامر متغايران فيجب ان يكون احدهما
منهما بمقام الاخر اما اقامة الامر مقام الخبر فكما هاهنا وكما في قوله استغفر لهم
او لا تستغفر لهم وفي قوله فليمدد له الرحمن مدا واما اقامة
الخبر مقام الامر فكقوله فالوالدات يرضعن اولادهن والمطلقات يتربصن بانفسهن
اسيء بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلب ؛

وقوله طوعا او كرها مصدر وقع حالا عن الفاعل وهو ائتيا طائعين او مكرهين
طائعين من غير اكراه من الله ورسوله او ملكين من ملائكة الله ورسوله وسمي الاكراه اكراها
لانهم مما يكرهون وكان اكراه الله لهاتين الاثنتين اقامتهما على ما اردتا واما
ان يكونا تقديره طائعين من غير اكراه من رسولي لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون
الاتباع على النفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم فيرد قول من يقول
منكم ويحتمل ان يكون المراد ايتا الرسول عليه السلام لا تقبل بذل الاموال
منهم ويحتمل ان يكون المراد ايتا الا نصير متقبلة عند الله تعالى يدل قوله انكم
كنتم قوما فاسقين وهذا ابتداء الى ان علم القبول معلل بكونهم فاسقين
ومعنى الفسق هو التواني والمدح اذا لم يعلل كان بعضه ذما لانه لا تواني ولا مدح
فلما علل ذلك بالفسق دل على ان الفسق يوثر في ازالة المعنى بخلاف الكفر
فانه يحبط الطاعات المشهور في هذه المسئلة وهو ان الفسق يوجب الذم والعقاب الدائم
والطاعة توجب المدح والثواب الدائم والجمع بينهما محال فيحال الجمع بين ما يوجب
استحقاقهما محال واعلم انه كان الواجب عليه ان لا يذكر هذا الا بعد
بعد ما ازال الله هذه الشبهة عن اهل الوحي وهو قوله وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وكذا ابتدى بتعالى بالتصريح بهذا اللفظ
انه لا يوثر في قبول هذه الاعمال الا الكفر وبعد هذا نص هذا الكلام من
اوضح الدلائل على ان الفسق لا يحبط الطاعات لانه تعالى قال انكم كنتم قوما
فاسقين وكان سائل سائل وقال هذا الحكم صار معللا بعموم كون تلك الاعمال
مسقطا او بخصوص تلك الاعمال بوصوفه سلك النفقة فبين تعالى انهما ازالا
هذه الشبهة وهو ان علم القبول يعلل بعموم كونه فاسقا بل بخصوص وصفه

اعلم

وهو كون الكافر فاسقا فنقول ان هذا الاستدلال باطل لوجوه الاول قوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وفيه مسائل المسئلة الاولى دلت صريح هذه الآية على انه لا مانع للفاسق من حيث انه فاسق في هذا المنع وذلك يصرح بطلان قول المعتزلة تمام الحجة وبيان المسئلة الثانية قطعا ظاهر الفظ دل على ان منع القبول معلل بمجموع الامور الثلاثة وهي الكفر بالله وبرسوله وعدم الاتيان بالصلاة الا على وجه الكسل والانفاق على سبيل الكراهة ولقائل ان يقول الكفر بالله سبب مستقل في المنع من القبول وعند حصول السبب المستقل لا يبقى لغيره اثر فلم يمكن اسناد هذا الحكم الى المجموع الثاني وجوابه ان هذا الاشكال انما يتوجه على قول المعتزلة حيث قالوا ان الكفر لكونه كفرا يوثر في هذا الحكم اما عندنا فان تأثير الافعال لا يوجب قولنا ولا يعقل بالسبب وانما هو معرف واجتماع المعرفات الكثيرة على الشيء الواحد محال بل يقول ان هذه الامور قوية الدلالة على ان هذه الافعال غير يوثر في هذه الاحكام لوجوه عائدة اليها والدليل عليه انه تعالى لما جعل هذه الامور الثلاثة في حكم شيء واحد كان كل واحد منها موجبا لهذا الحكم لزم اجتماع على الاثر الواحد اسباب مستقلة وذلك محال لان المعلول يستغني بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فلم يبق لاحتياج اليها باسرها حال استغنائه عنها باسرها وذلك محال فثبت ان القول بكون هذه الافعال موثرة في هذه الاحكام يفضي الى هذا المحال وكان القول به باطلا المسئلة الثالثة دلت هذه الآية على ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله تعالى مع الكفر فان قبل لم لا يجوز ان يقال ان الكافر اذا صار مسلما وجب ان يصير ذلك الاسلام موثرا في اسقاط العقاب دلنا الآية على ان الصلاة لازمة للكافر ولولا ذلك لظن مهم الله تعالى على فعلها على وجه الكسل فان قالوا لم لا يجوز ان يقال الموجب للذم ليس هو ترك الصلاة بل الموجب للذم هو الاتيان بها على وجه الكسل قلنا فحينئذ يصير حالهم من صام وتعود ما لا يكون مقبولا منهم على وجه الكسل مانعا من سقوط العقاب عنهم فدل ذلك على ان الواجب في صلاتهم لو وقعت منهم المسئلة الرابعة

معنى تعسر الكسالى في سورة النساء قال صاحب الكشاف كسالى بالضم والفتح جمع كسلان
نحو سكارى وعجالى وسكران وسكير ان قال المفسر فعلى هذا الكسل معناه انه ان كان
في طاعة صلى وان كان وحده لم يصل قال المصنف رضي الله عنه هذا المعنى
انما اتى في قبول الطاعات لان هذا المعنى يدل على انه لا يصلي طاعة لاجل الله وانما يصلي
حتى لا يذم من مدحه الناس وهذا القدر لا يدل على الكفر انما الذي كفرهم الله تعالى وصفهم
بالكفر دل الدليل ان العمل لما انهم كانوا يعتقدون انه غير واحد ودليل الوحدانية الكفر
واما قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون فالمعنى انهم لا ينفقون لغرض الطاعة
بل غايته المصلحة الظاهرة ودليل ذلك انهم يتعذرون الانفاق فعرفنا وسمعه سمعا وهذا يوجب
ان يكون النفس طيبة عند اداء الزكاة والانفاق في سبيل الله لان الله تعالى ذم المنافقين
بكراهتهم الانفاق وهذا معنى قوله عليه السلام اذا دفعت زكاة اموالكم طيبة بها نفوسكم
فان اداها وهو كاره لذلك من علامات الكفر والنفاق قال المصنف رضي الله عنه
حاصل هذه المباحث يدل على ان روح الطاعات الايمان بالغرض المقصود منه والانفاق
في الطاعة فانه لم يوجد هذا الغرض فلا فائدة فيه بل ربما صار وبالا على صاحبه المسئلة
الخامسة قوله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا والكسالى ان يفعل
بالباء والباقون بالتاء على التانيث وجه الاول ان النفقات في معنى الانفاق كقوله
ممن جاءه موعظة من ربه ووجه من قرأ بالتانيث ان الفعل مسند الى ضمير النفقات
فزيد لعقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان تقبل منهم نفقاتهم على اسناد الفعل
الى الله عز وجل ان قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اما يريد الله ليعذبهم
بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون اعلم انه تعالى لما قطع في الاية الاولى
برجحان المنافقين عن جميع منافع الاخرة بين ان الاشياء التي يطنون بها من باب المنافع في الدنيا
فانه تعالى جعلها اسبابا لبعدهم في الدنيا واسبابا لجمل الخزي والاهانة عليهم ومن
تامل في هذه الايات عرف انها مرتبة على احسن الوجوه فانه تعالى لما بين صلاحهم وفسادهم
وصلاح اعمالهم وما لهم في الاخرة من العذاب الشديد وما لهم في الدنيا من وجوه الخذلان
والنكبة نبه على بعد ذلك ان ما يتعلقون به من اعمال البر سبب لعذابهم وذلهم وتشديد الخذلان
عليهم وعند هذا ظهر ان النفاق حبط لجميع الاعمال في الدين والدنيا وسبطل لجميع الخيرات

في الدين والدنيا واذا وقف الانسان على هذا التربيع فانه لا يمكن ترميم الخلل على وجه
احسن من هذا ومن الله التوفيق وفيه مسائل المسئلة الاولى هذا الخطاب
وان كان مختصا في الظاهر الرسول عليه السلام الا ان المراد منه كل المومنين اي ينبغي
ان يحترموا اموال هولاء المنافقين والكافرين ولا اولادهم ولا اديانهم رحم الله عليهم
ونظير قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اذا عرفت هذا فنقول اعلم المسئلة
الثانية الاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به ومعناه عند اهل السنة ليس لغير
ما يليق به وهذا خلاف قول المعتزلة في استحقاق العبد على الله بالشيء واعتقاد عن الله فانه
بعد في حكم الله ان يزيل عن الشيء عن حد الانسان ويحصل الخير والانسان متى
كان متذكرا لهذا المعنى زال اعجابه بالشيء ولهذا قال عليه السلام ثلاث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكان عليه السلام مالك بن دينار الا ما
اكلت فافنيت ولبست فابليت وتصدقت فابقيت وقال عند ذكر عمر ورفعه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كثر ماله اشتد حسابه ومن كثر ماله اشتد حسابه
سعة لذات شياطينه ومن ازداد من السلطان قربا ازداد من الله بعدا والاخبار
المناسبة لهذا الباب كثيرة والمقصود منها الاحتراز عن الدنيا والميل اليها والله اعلم
في حسنها والافتخار بها وقال بعض المحققين الموجودات تحت العقيدة العقلية
على اربعة اقسام الاول ان يكون ازليا ابديا وهو الله جل جلاله والثاني
الذي لا يكون ازليا ولا ابديا وهو الدنيا والثالث الذي يكون ازليا ولا يكون
ابديا وهذا محال الوجود لانه ثبت بالدليل ان ما سوى الله صنع الله تعالى والرابع
الذي يكون ابديا ولا يكون ازليا وهو الجنة وجميع المكلفين يأتون الجنة اولا
ولا يخرجون منها وكذلك المكلف بموت كان مطيعا او عاصيا فلجنانه اول
ولا خراجها واذا ثبت هذا فالمناسبة الحاصلة من الانسان المكلف هي للاصح
اسد من المناسبة منه وبين الدنيا ويظهر من هذا ان حظ الانسان من الدنيا سعيه لا نفسه
عنه بالدنيا ولا يميل قلبه اليها فان المقصد الاصلي له هو الاخرى لا الدنيا اما قوله
اما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وفيه مسائل المسئلة الاولى قال
النحويون في الآية محذوف كانه قيل انما يريد الله ان يملي لهم فيها ليعذبهم ويجوز ايضا

ان يكون هذه اللام معنى ان كقوله يريد الله ليبين لكم اى يعلمكم المسئلة الثانية
قال مجاهد والسدى وقتادة فى الآية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة قال القاضى
ههنا سؤال وهو ان يقال المال والولد لا بد وان يكونا نعمة لما ثبت فى علم الكلام
ان منع الله تعالى عن عباده فضل هذا النوع هو التعذيب والتاخير لا ان هذا
الالتزام لا يدفع هذا السؤال لانه تعالى يعذبهم بهذا التعذيب والتاخير وكيف
يكون المال والولد عذابا فلا بد لهم من تقدير حذف فى الكلام بان يقولوا اراد
التعذيب بهما حيث دلنا سببا للعذاب واذا كانا سببا للعذاب
والتاخير لانه يصح ان يقال يريد ليعذبهم بهما فى الدنيا حيث كانا سببا للعذاب
والعاقل لا يحمل امواله ولا اولاده فى الحياة الدنيا الا لمن له الرياسة
فاما غيره فانه يعلم ان الاعجاب بالمال والولد لا يكون الا فى الدنيا وليس كذلك
حال العذاب فانها تكون فى الدنيا كما تكون فى الاخرة فثبت ان القول بهذا التقدير
والتاخير ليس بشئ المسئلة الثانية الاموال والاولاد يحتمل ان يكون سببا
للعذاب فى الآخرة اما كونه سببا للعذاب فى الدنيا فوجوه الاول ان كل من كان
حبه للشئ اشد واقوى كان حزنه والمه فقده على قدر ذلك واصعب وكان خوفه على
فواته اشد واصعب والذين حصلت لهم الاموال الكثيرة والاولاد اذا حاربتهم تلك الاشياء
فانه عليهم كانوا فى الم الخوف الشديد من فواتها وان فاتته وعدمت كانوا فى الم الحزن
الشديد بسبب فواتها فثبت ان موجبات السعادات الجسمانية لا تنفك عن الم العذاب
اما سبب حصول فواتها واما بسبب حزن من وقوع فواتها الثانى ان هذا النوع
فى اكتسابها وتحصيلها الى تعب شديد ومشقة عظيمة ثم عند حصولها يحتاج الى
مما هو اشد واشق واعظم واصعب فى حفظها فان حفظ المال بعد حصوله اصعب
من اكتسابه فالمسعود بالمال والولد ابدا يكون فى تعب الحفظ والخوف من الهلاك
ثم انه لا ينفع الا القليل من تلك الاموال فالتعب الكثير والنفع القليل اذا قابلت
ان الانسان اذا اعطى حبة لهذه الاموال والاولاد فاما ان ينفع عليه هذا المال والولد
الى آخر عمره او لا ينفع بل يهلك ويبطل فان كان الاول فعند الموت تعظم حسرته

لان مفارقه المحبوب شديدة وترك المحبوب على المحب اشد واشق وان كان الباقي وهو زهده
الاشياء اتهالك ومطلق حال حياة الانسان عظم اسفه عليها وتشدد الم قلبه بسببها
فثبت ان حصول الاموال والاولاد سبب لحصول العذاب في الدنيا الرابع ان الدنيا
حلوة خضرة فالحواس مائلة اليها فاذا كثرت تعلقات النفس بها وتعودت فيها واتصلت بها
فصار ذلك سببا لشدة الم الموت فثبت ان حب الدنيا مما يحصل في قلبه نوع مسوء وهو وزر وكلما
كان المال والجاه اكثر كانت تلك العقوبة اقوى واليه الاشارة بقوله تعالى ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى وظهر ان كثرة الاموال والاولاد سبب قوي في زوال
حب الله وحصول الحجاب عن الله وفي حصول حب الدنيا وسهولتها في القلب بعد الموت
كان الانسان معذبا من السماء الى السجن ومن مجالسة الاقربا والاحبا الى الوضع
العهد والكرة فيعظم الله وتقوى حزنه يوم عرض الخلائق للحساب وعلى هذا التقدير
فثبت ان كثرة الاموال والاولاد سبب لحصول العذاب في الدنيا والدين فان قيل
هذا المعنى حاصل للاقل فما الفائدة في تخصيص هؤلاء المنافقين بهذا العذاب قلنا
المراد من هؤلاء مجموعون من هاهنا في هذا الباب احدها ان الرجل اذا امن بالله وباليوم
الاخر علم ان حظ الانسان للدنيا فهذا المعلم يفرح به الدنيا واما المنافق لما اعتقد انه لا
سعادة له الا في هذه الخيرات العاجلة عظم رغبته فيها واشتد حبه لها وكانت
الآلام الحاصلة بسبب فواتها اكثر في وجعه وتقوى عند قرب الموت وظهور علامات
هذا النوع من العذاب حاصل لهم في الدنيا بسبب الاموال والاولاد وثانيها
ان النبي عليه السلام كان يكلفهم انفاق تلك الاموال في وجوه الخيرات ويعلم
ارسال اموالهم الى الجهاد والغزو وذلك كله صعب عليهم ثقيل ولانهم لبعدهم عن العقل والعلم كانوا
يعتقدون ان انفاق تلك الاموال يضع لهامن عمر مالك وان يعرضها لحاجة للقتل
التزام هذا المكروه الشديد من غير مالك ولا شك ان هذا شاق على العاقل جدا فهذه
الباقي من التعذيب كالحاصل المتقدم والمعنى انهم كانوا بحيث لو علموا حقيقة
فعلهم كانوا يحاسبون انفسهم على اموالهم واولادهم ويتوسلون في خلاصها للعقل
هذه حالة شاقة شديدة وانما نصروا امثال سائر اهل الحرب من الكفار
وظهروا عليهم وكثروهم ظهورا تاما نصروا امثال سائر اهل الحرب من الكفار
وحسد معرض الرسول لهم القتل وسبي الاولاد ونهب الاموال وكلما نزلت اية
خافوا

خافوا ان الله رسوله وقعد عن الجهاد مع رسوله وخشيتهم وكل ذلك مما يوجب الم العذاب
بالعذاب وجاء سببا ان كثرة اموال المنافقين واولادهم اتما تحظى ان يراد عامر
عسكره الملائكة وعبد الله وعبد الله بن ابي شهيد بدرا وكان من الله مكان ان يهم ولو لم
مرارا وزعن النفاق وهم كانوا يبرقون اظهر انهم في النفاق ويعدون منهم وبعد حصول
عليهم والامر اذا صار هكذا وقع في علم بادي الامر بعد استحكامه منه فصار حصول
ذلك الاولاد سببا لعذابهم وسببا ان اعز الصحابة وضعفاءهم كانوا يجدون
في خدمة الرسول عليه السلام الى الغزوات ويرجعون مع الجيش الرهيب والبأس العظيم
والفوز بالغنائم وهؤلاء المنافقون مع الاموال الكثيرة والاولاد الاقوياء كانوا
كانوا يقعدون في بادية سوء تهم استباه الرهبة والضعفاء من الناس بمرأى اعلى سطوة
اليهم بعين المقت والاذراء واسمية النفاق وكان كثرة الاموال والاولاد تصير
سببا لحصول هذه الاحوال فثبت بهذا الوجه ان كثرة اموالهم واولادهم صار
سببا لمزيد العذاب في الدنيا وفي حشرهم المسألة الرابعة عشرة المسيح اصحابنا والبا
ان كل ما دخل في الوجود فهو مراد الله بقوله وهو بكل شيء عليم وهم كافرون قالوا
لان معنى لا يريد الله تعالى لم يرد ازهاق انفسهم مع الكفر ولما اراد ذلك بعد ان اراد
الكفر احتج الخصم بما حكي عنه فقال معنى لا يريد الله تعالى ان يريد ازهاق انفسهم
حالما كانوا كافرين وهذا لا يقتضي نفي كونه تعالى مريدا للكفر منهم في الحالة الاخرى ان المريض قد
يقول الطبيب لا يريد ان يتطبب حتى يأكل ويشرب ويقصد بقوله الطبيب لا يريد ان يتطبب حتى يأكل
الحراجة وقد يقول السلطان لعسكره اقتلوا العدو حال اقدامهم على الحرب
وهذا لا يدل على كونه مريدا للحراب فكذا ههنا والجواب ان الذي
قاله غير معقول وذلك لان جميع الامثلة التي ذكرها حاصلها يرجع الى حرف واحد وهو انه
يريد ازالة ذلك الشيء واذا قال المريض للطبيب لا يريد ان يدخل علي وقت مرضي كان معناه
ان يريد ان يسعى في ازالة المرض واذا قال له لا يريد ان يتطبب حتى يأكل كان معناه ان يريد
ان يزيل عني هذه الحراجة واذا قال السلطان اقتلوا العدو حال اقدامهم على الحرب
كان معناه طلب ازالة تلك المحاربة وابطالها واعدامها فثبت ان كل هذه الامثلة

حافوا

المراد والمطلوب اعلام ذلك الشئ وازالة منع ان يكون وجوده مرادا لحلق هذه
الاجسام ولذلك لا ارهاق نفس الكافر ابن عباس عن ازالة الكفر وليس ايمانه مستلزما به
للملك الاراده لهما امران متباينان لا منافاة بينهما البتة فلما ذكر الله في هذه الاجسام انه
اراد ارهاق بعضهم حال كونهم كافرين وجب ان يكون يريد لكونهم كافرين
حال حصول الارهاق كما انه يراد ان يعالج ويداوي المريض ولا يحال كونه في
الدار فانه يقتضي ان يكون قد اراد كونه في الدار وتمام التقرير في هذا التقدير
ان الارهاق في حال الكفر منع حصوله الاحال حصول الكفر ومريد الشئ مريد ما هو
من ضرورته فلما اراد الله الارهاق حال الكفر وشئ الارهاق حال الكفر
يمنع حصوله الا عند حصول الكفر وثبت ان من اراد شيئا فقد اراد جميع ما هو
من ضرورته لزم كونه تعالى مريدا لذلك الكفر فهذا الاصل التي تعود اليها
الجبائي محض التمويه **قوله تعالى** ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم
ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ﴿٥٧﴾
اعلم انه تعالى لما بين كونهم منحرفين عن الحق مصرين على مضار الدين والدنيا ساعين
عن جميع منافع الدين والدنيا عاد الى ذكر قبائحهم فمنها اقدامهم على الايمان
الكاذبة فقال ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم
م قال تعالى وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون الفعل فاظهروا
الايمان ليتوسلوا النفاق وهو كقوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون والفرق الخوف ومنه تعالى يحذر
فروقه وهو الشديد الخوف ومنها انهم لو وجدوا ما فروا يحمحون فيه اي
على اعسهم بكم لفروا اليه والملجأ قوم لا تطمئن الا موافقتهم اياكم في الدين
والمغار حيث من الغلبة مفعوله لو يجدون ملجأ الملجأ المكان الذي يحصن فيه ومثله
(وسكون الجيم) الملجأ معصور ومهموز فاصله من لجأ الى كذا لجأ فاجتمع الفان وصلة الفا
والهاء الى كذا اي عجلته وصطرا اليه وهو منها او مغارات هي جمع مغار
وهو الموضع الذي يغور الانسان فيه اي يستتر قال ابو عبيد كل شئ غرت فيه
فغبت فهو مغار ومنه غار الماء في الارض وغارت العين وقوله مدخلا قال الزجاج

اصله

اصله مدخلا والتاء بدل من الدال لقولهم ادكر ادكارا لان الادكار هو ان يذكر
واحدا وهو مختص بالدخول كالمقابل من الولوج وهما من المسائل التي يختص بالدخول
فيه قال الكلبي فان يريد بهما المكان والمعنى ادخلوا مدخلا واحدا من
هذه الابواب التي تدخل منها ليس الامر كما ظننتم لو اوا اليه اي صعدوا اليه يقال زل الله
بفلان اذا انزل به ما يكره وقوله عن اذا صرفه وقوله وهم يحزنون اي يسرعون اسراعا
لا يرد وجوههم شيء ومن هذا يقال حمحم الفرس وهو فرس حموح وهو الذي اذا
جاء لم يرده اللجام والمراد من الآية انهم من شدة بأسهم من الرسول ومن المسلمين صاروا يهربون
اجالة واعلم انه تعالى ذكر لشدة اشاوي الملجأ والمغارات والمدخل والاغرب
ان كل واحد منها على غير ما عمل الاخر عليه فالملجأ عمل المحفوز والمغارات
الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كجحر الابار قال صاحب الكشاف
فوزن مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل وهو مفعال يدخل فيه العسكر وقرأ
ابن كثير مدخلا وقرأ الباقون مدخلا اي لادخلوا اليه وقرأ السري يجمزون
منسل عنه مقال يجمزون ويجمزون سندوان واحد والله عز وجل اعلم ⑤

قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات الى قوله انا الى الله راغبون ⑤ اعلم ان المقصود
من هذا شرح نوع اخر من صنائعهم وقبائحهم وهو طعنهم في الرسول بسبب قسمة الصدقات
من الاغنياء وتقول انا نعلم ان كثيرا من الناس قاربه واهل يونه ويتهمونه الى انه لا
يراعي العدل وفي الآية مسائل المسئلة الاولى قال ابو سعيد الخدري بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقسم ما لا اذ جاءه ذو الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير
اصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل قد خبت وخسرت ان
لا يكن العدل عندي قال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لرسول الله زعم ما ان الله
امرك ان تاخذ الصدقات من اغنيائنا وتقسمها في فقرائنا فقال رسول الله
لا ما الله امرني بهذا بل امرني ان اخذ من اغنيائكم فاردها في فقرائكم فقال عليه السلام احدروا
هذا واصحابه فانهم عباد يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وروى ابو بكر الاصم في تفسيره ان عليا عليه السلام
اخذ ذوا هذا واصحابه فاذا هم منافقون وروى ابو بكر قال الرجل ذا اصحابه ما عملك
صلاتك فقال ما لي به علم الا انك تدسه في المجلس وتحرك له العطاء فقال عليه السلام انك منافق

اصله

اداريه عن نفاقه ولخاف ان يفسد على غيره فقال لواعطيته فلانا بعض ما يعطيه فعال
عليه السلام انه مؤمن اكلمه اماناه واما هذا فمنافق اداريه خوف فساد المسلمين
الباب ـــ قوله يلمزك هو كذلك قال الليث اللمز كالغمز في الوجه تقول رجل لمزة
يغمزك في وجهه ورجل همزة يغتابك بالعيب وقال الزجاج يقال للرجل المؤمن اذا
المم اذا فسد والهمز اللمز الذي يغتاب الناس بعضهم وهذا يدل على ان الهاء
لم تعرف من الهمز واللمز قال الازهري واصل الهمز والمز الدفع كما ان الغمز
واخواته ومنه
اذا دفعته وقرأ ابو بكر الهمز بينهما فقال اللمز ان يشير الى صاحبه بعيب
بلسانه والعيان يكسر عينه على جليسه الى صاحبه اذا عرف ـــ هذا اصول
قال ابن عباس يلمزك يعيبك وقال مجاهد يطعن عليك وقال العلبي يعيبك في
امرها ولا تعاون من هذه الروايات الحق لا تعارض قال الواحدي لا تعارض هاهنا
محذوف والتقدير يعيبك في تفريق الصدقات قال ـــ ومن ذهب العلامة
الداعي الى الله لقط الغرا في وهو قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات لهذا دليل على ان
ذلك اللمز كان لهذا السبب لا ان الروايات التي ذكرناها تدل على ان سبب اللمز هو ذلك
ولو لا هذه الروايات لكان يحتمل وجوها اخر سواها احدها ان يقولوا
احد الرجلين مطلقا غير جائز لان النزاع لسبب الانسان من يدعي غير جائز فصح
ما في الباب ان يقال يلمزها لبعضها الى العقد الا ان الجهال منهم كانوا يقولون
ان الله تعالى اعطى لاجل غنيا فوجب ان يكون هو المتكفل بمصالح عسكره والفقرا
واما ان يامر بالمال فهو غير معقول وهذا هو الذي حكاه الله عن بعض اليهود
وهو انهم قالوا ان الله معنا ويحنا اغنيا وباسبب ـــ ان يقولوا هب انك اعطيت الرجل
الف الف الذي يأخذ كثير فوجب لا يمنع ما قبل من ذلك وبالسبب ـــ ان يقول هب
انك اعطيت الرجل الف الف الا انك تصرفه الى غير مصرفه وهذا هو الذي دل الاخبار
على ان القوم ارادوا ذلك قال اهل المعاني هذه الاية يدل على ان حاكاه احلاف
اولئك المنافقين وذناه طباعهم وذلك لانه لشدة حرصهم الى احد الصدقات عانوا
الرسول وسعوا الى الجور في القسمة مع انه كان ابعد خلق الله عن الميل الى الدنيا
قال الصحاك كان رسول الله يقسم بينهم ما اتاه الله من قليل المال وكثيره وكان المؤمنون

رسول

يرضون ما اعطوا ويحمدون الله عليه واما المنافقون فانهم اذا اعطوا كثيرا فرحوا وان اعطوا
قليلا سخطوا وذلك يدل على ان رضاهم وسخطهم لطلب النصيب لاجل الدين وقيل
ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم كان استعطف قلوب اهل مكة بعد ما فعل بهم وبغى الغنائم
عليهم وحجروا المنافقون وقولهم اذا هم يسخطون عليه اذا لم يعطوا منها فاجابهم الله تعالى
ولو انهم رضوا ما اتاهم الله الآية والمعنى
ولو انهم رضوا بما اعطاهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وطابت به نفوسهم
وان قل قالوا حسبنا الله اي كفانا الله ذلك سيرزقنا الله عن فضله اخرى فيعطينا رسول الله
اكثر مما اعطانا اليوم انا الى الطاعة الله وامضاله فاحسابه لنا راغبون
واعلم ان جواب لو محذوف والتقدير لو كان خيرا لهم واعود عليهم وذلك
لان عليهم الامان ولم يخف في قلوبهم شيء وعلموا على الله حق توكله وترك الجواب
في هذا الموضع دال على التعظيم والتهويل وهو كقولك للرجل لو حسنام لاكرمك
الجواب اي لو فعلت لك لرايت امرا عظيما المسئلة الثالثة الآية تدل على
ان من طلب الدنيا للدنيا ان من مر الدين الى النفاق واما من طلب الدنيا بقدر ما اذن
الله فيه وكان عرضه من الدنيا ان يتوسل الى اصلاح الدين فهذا هو الطريق الحق
والاصل في هذا الباب ان يكون راضيا بقضاء الله آخذا بما قال ولو اتهم رضوا ما
اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
مدح الله به من اربعة اوجه احدها الرضا بما اتاهم الله ورسوله لعلمه بانه تعالى حكيم
منزه عن العبث واعطا او حكم بمعنى انه عليم بعواقب الامور وكما كان
حكيما له وقضاء كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه والمرتبة الثانية ان يظهر
انا ردنا الرضا على لسانهم وهو قوله وقالوا حسبنا الله يعني ان عمرا احدوا
المال ولكن لما رضينا بحكم الله وقضائه نعذر في بعض المرتبة العليا في العبودية
حسبنا الله والمرتبة الثالثة وهي ان الانسان اذا ملك الدرجة العالية
التي عندها يقول حسبنا الله سيرتينا الله من فضله اخرى وهو ان يقولوا سيوتينا
الله من فضله ورسوله اما في الدنيا ان اقتضاه التقدير والا في الآخرة وهو اولى
واعلى المرتبة الرابعة ان يقولوا انا الى الله راغبون فهي لا تطلب

من الامام او الطاعة احد الاموال او العور بالمناسب في الدنيا واما المراد اما الحسنات
سعادات الاخرى واما الاستغراق في العبودية على ما دل الغط الاية عليه فانه قال
انا الى الله راغبون ولم تقل انا الى ثواب الله راغبون ولعل ان عيسى عليه السلام مدح
بقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله تعالى
اصنتم ثم مدح على قوم اخرين يذكرون الله فقال ما الذي يحملكم عليه فقالوا الرغبة
في الثواب فقال اصبتم ومدح على قوم ثالث مستغلين بالذكر حسبهم فقالوا لا نذكر
للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذله المعبود وعزه
الربوبية وشرفه لتعلق بمعرفته وشرف اللسان بالاشتغال بالذكر الذاكر على صفات
قدسه وعزته فقال ايتم المحبون المحققون **قوله تعالى** اما الصدقات
الفقراء الى قوله والله عليم حليم ﴿ اعلم ان لما فعل لما ملزوا الرسول في الصدقات
بين لهم ان مصرف الصدقات هو لا ولا تعلق لهم بها ولا اخذ لهم في بعضها منها
فلم يبق لهم طعن في الرسول بسبب اخذ الصدقات وهاهنا معاملان المقام الاول
بيان الحكمة في اخذ القليل من اموال الاغنياء وصرفه الى المحتاجين من الناس المقام
الثاني بيان حال هؤلاء الاصناف الثمانية المذكورين في هذه الاية اما المقام الاول
فمقول الحكمة في ايجاب الزكاة امور بعضها مصالح عائدة الى معطي الزكاة
وبعضها عائدة الى اخذ الزكاة واما القسم الاول فهو امور الاول
المال محبوب بالطبع والسبب فيه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال
محبوبة لذاتها وبعضها لا لغيرها لانه لا معنى ان يقال ان علما ما هو محبوب
لمعنى اخر والا لزم اما التسلسل واما الدور وهما محالان فوجب الانتهاء الى
الاشياء المحبوبة الى ما يكون محبوبا لذاته والكمال المحبوب لذاته والنقصان
مكروه لذاته فلما كانت القدرة صفة كمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها كانت
القدرة محبوبة لذاتها والمال سبب لحصول هذه القدرة ولكمالها في حق البشر
فكان اقوى اسباب القدرة في حق البشر هو المال والذي يتوقف عليه المحبوب
محبوب الا ان الاستغراق في حب هذا العالم عن حب الله وعن الباعث للاخرة
فاقتضت حكمة الشرع تكليف ما المال الخراج طائفة منه من يد لصرف ذلك

الخراج

الاحوال كسر امن شدة الميل الى المال وسعا من انصاب النفس بالكلية اليها
ونسيانها على سعادة الانسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال فاما فضل
بانفاق المال وطلب مرضاة الله فاجابا لزكاة علاج متعين والامر حب الدنيا عن
الحلب فانه سبحانه اوجب الزكاة لهذه الحكمة وهو المراد من قوله حذين اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اى تطهرهم وتزكيهم عن الاستغراق في طلب الدنيا
الوجه الثاني وهو ان عشق المال يوجب تشتت الهموم وكمال العقل وتزايد المال
يوجب تزايد العقل وتزايد العقل يوجب تزايد الجد والجد سلم العقل وتزايد تلك
الملذات يدعوا الانسان الى ان يسعى في تحصيل المال الذي صار سببا لحصول هذه الذات
المتزايدة وهذا الطريق يصير المسئلة مسئلة الدور لانه اذا بالغ في السعي ازداد
المال وذلك يوجب ازدياد العقل وهو يوجب ازدياد اللذة وهو يحمل الانسان على
ان يزيد في طلب المال ولما صارت المسئلة مسئلة الدور لم تطهر لها مقطع ولا حد
فاثبت الشرع لها مقطعا وحدا وهو ان اوجب على صاحبه صرف طائفة من
تلك الاموال الى الانفاق في طلب مرضاة الله تعالى ليصرف النفس عن ذلك الطريق
الظلماني الذي لا آخر له وتتوجه الى عالم عبودية الله وطلب رضوانه الوجه
الثالث ان عشق المال يسبب حصول الطغيان والصوت في العلم وسببه
ما ذكرنا من ان عشق المال يسبب لحصول العقل والعقل المحبوبة لذاتها بالعاشق
اذا وصل الى معشوقه استغرق فيه والانسان يصير غرقا في طلب المال فاذا عرض
له مانع يمنعه عن طلبه استعان بماله وقدرته على دفع ذلك المانع وهذا هو المراد
بالطغيان والية الانسان بقوله سبحانه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فيحتاج
الزكاة تعلل الطغيان وترد الطغيان وترد العلل الى طلب رضوان الرحمن
الوجه الرابع ان النفس لما طمعت لها قوتان نظريه وعمليه والقوة النظرية
كمالها في المعطم لامر الله والقوة العملية كمالها في الشفقة على خلق الله فاوجب
الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال وهو اضافة وجوده محسنا الى الاعلى
ساعيا في ايصال الخيرات اليهم دافعا للاحقات عنهم ولهذا السر قال عليه
السلام تخلقوا باخلاق الله الوجه الخامس ان الخلق اذا علموا في انسان كونه

كونه ساعيا في ايصال الخيرات اليهم ودفع الآفات عنهم حصوص بالطبع ومالت
نفوسهم اليه لا محالة على ما قال عليه السلام جبلت القلوب على حب من احسن اليها
وبغض من اساء اليها فالعقل اذا علموا ان الرجل انما يصرف اليهم طائفة من ماله
وانه كلما كان ماله اكثر كان الذي يصرفه اليهم من المال اكثر امدوه بالدعاء
والهمة وللغلوب بار وللارواح جواذب فصارت تلك الدعوات سببا لتعادل
الانسان في الخير والمحبة واليه الاشارة بقوله تعالى واما ما ينفع الناس فيمكث
في الارض وبقوله عليه السلام حصنوا اموالكم بالزكاة والوجه السادس
ان الاستغناء عن الشيء اعظم من الاستغناء بالشيء فان الاستغناء بالشيء يوجب
الاحتياج اليه الا انه يتوسل به الى الاستغناء عن غيره فاما الاستغناء عن الشيء وهو
الغنى التام والملك فان الاستغناء هو الغنى التام عن الشيء صفة اعني والاستغناء
بالشيء صفة الخلق والله سبحانه لما اعطى عبده اموالا كثيرة وقدره فيه نصابا وافيا
من المال لاستغنائه بالشيء فاذا امر بالزكاة كان المقصود لم يسلبه من درجة
الاستغناء بالشيء الى المقام الذي هو اعلا منه واشرف منه وهو الاستغناء عن
الشيء الوجه السابع المال سمي مالا لكونه ميالا الى كل احد وهو عاد
وراح وهو سريع الزوال والمشرف على التفرق جادا سعى في بدن كان كالمشرف
على الهلاك والتفرق فاذا انفقه الانسان في وجوه البر والخير والصلاح بقي نفعا
لا يمكن زواله فانه يوجب المدح الدائم في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة وسمع
واحد القول الانسان لا يعتد بما يذهب الى الغير فقلت بل يمكنه فاذا
انفقه في طلب الرضوان الاكبر فقد ذهب به الى الغير والعامة والوجه
الثامن وهو ان بذل المال يشبه بالملائكة والانسان امساكه يشبه بالشياطين
المذمومين وكان البذل اولى الوجه التاسع ان افاضة الخير والرحمة من صفات
الحق سبحانه وتعالى والسعي في تحصيل هذه الصفة بقدر الوسع يحلي بحلي الله
وذلك سيرة مخالفة لانسانية والوجه العاشر ان الانسان لما سئل الا بلسانه
استنار الروح والبدن والمال فاذا امر بالايمان فقد صار جوهر الروح مستغرقا وفي هذا
التكليف فاذا امر بالصلاة فقد صار اللسان مستغرقا بالذكر والقراءة والبدن مستغرقا

في الملك

في ذلك لان المال يعني المال بلوم لصرف المال مصروفا الى وجوه البر والخير لم يكن شيء من الانسان
ماله فوق بحته بروحه وبدنه وذلك جهل لان مراتب السعادات ثلثة اولها السعادات
الروحانية واعلاها السعادات البدنية وهي المرتبة الوسطى والثالثة السعادات
الخارجية وهي المال والجاه فهذه المراتب بجري مجرى خادم السعادات النفسانية
فاذا صار الروح مخدوما وفي مقام المعبود به لم يحصل الشح ببذل المال لم جعل
خادم الخادم في مرتبة اعلى من المخدوم لاصلي وذلك جهل فبذا يحصل معنى العاقل
بذل المال في طلب رضاء الله للوجه الحادي عشر ان العلماء قالوا شكر
النعمة عبارة عن صرفها الى طلب رضا المنعم والركاة شكر النعمة فوجب القول
بوجوبها والمقدمتان ظاهرتان بحكم المنع واما الوجه الثاني عشر ان ايجاب الركاة
يوجب حصول الالفة بين الموحدين من المسلمين وزوال الحقد والحسد بينهم وكل ذلك مهما
حصل وجب ان يكون معتبرا في بيان الحكمة الباعثة من ايجاب الركاة العاشر ان شرط الركاة
واما المصالح العائدة من ايجاب الركاة فالامر فيها ظاهر الركاة وهي لسببين اولهما
تعالى خلق الاموال وليس المطلوب منها اعيانها وذواتها فان الذهب والفضة لا يمكن
الانتفاع بهما في اعيانهما الا في الامر القليل المقصود من خلقهما ان يتوسل بهما الى
تحصيل المنافع ودفع المفاسد فالانسان اذا حصل له من المال بقدر حاجته كان
هو اولى بامساكه لانه يشارك سائر المحتاجين في ضعف الحاجة وهو ممتاز عنهم
بكونه ساعيا في تحصيل ذلك المال وكان اختصاصه بذلك المال اولى من اختصاص
غيره به اما اذا فضل المال على قدر الحاجة وفضل انسان اخر يحتاج فهناك حصل
سببان كل واحد منهما موجب لملك المال اما في حق انواع الحاجة واما في حق
الفقير فاحتاجه الى ذلك المال يوجب تعلقه فلما وجد هذان السببان المقتضيان
انصب تكليف الله تعالى عباده دل واحد من السببين بقدر الامكان فبهذا حصل للمالك
حق الامساك وحق تعلق فيه وجعل للفقير حق الاحتياج فوجب صاحب المال
والعمل عليه الكسر وصرفا الى الفقير حرا لسير امنه توفيقا بين الدلائل بقدر
الامكان فثبت ان المال الفاضل عن الحاجات الاصلية اذا امسكه انسان
في بيته بقي معطلا معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال وقد سعى في المنع

من ظهور كلام الله تعالى وهو غير جائز فامر الله بصرف طائفة منهم الى الفقر حتى لا تصير تلك الحكمة معطلة بالكلية الى آخره ان الفقر اعيا الله لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والاغنياء حمار الله لان الاموال التي في ايديهم اموال الله ولولا ان الله تعالى اعطاها في ايديهم والا لما ملكوا منها حبة واحدة فكم من عاقل كيس يسعى اشد السعي ولا يملك الا قوت يومه وكم من ابله جلف تاته الدنيا عفوا صفوا اذا تبت هذا فليس يستبعد ان يقول الملك لخازنه اصرف طائفة مما في بيت الخزانة الى الطائفة من عسكري الوجه الرابع ان يقال المال بالكلية في هذا العالم مع انه عرض محتاج اليه وانما جاب الفقر العاجز عن الكسب بالكلية لا يليق بحكمة الحليم الرحيم فوجب ان يحب على الغني صرف طائفة من المال الى الفقير الوجه الخامس ان السرعة لما انفق في هذا الزمان اكثر من المال وصرف الى الفقير منه جزء قليلا لم يمكن المال الذي صار مالا للفقراء سببا لبحر فما بقي في يد مولاه المال وبحر وبزوال المال للفقراء انما الفقير ليس له شيء اصلا فلو لم يصرف اليه طائفة من اموال الاغنياء لبقي بعطلا وليس له ما يحمل فكان المال في الوجه السادس ان الاغنياء لو لم يتموا بهما نا الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة ومضرة المسكنة على الالحاق باعداء المسلمين او على الاقدام على الافعال المنكرة كالسرقة وغيرها فكان ايجاب الزكاة لاجل هذه الفائدة فوجب القول بوجوبها الوجه السابع قال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر والمال محبوب للطبع فوجد انه يوجد الشكر وفقدانه يوجب الصبر وعليه قيل انها الغنى اعطتك المال فشكرت وضرتك الفقر فصبرت فاخرج من مالك نصيبا منه حتى تصير على فقدانه من الصابرين فيصير نسبته من الصابرين وانها الفقر ما اعطتك الاموال الكثيرة فصرت من الصابرين ولكني اوجب على الغني ان يصرف لذلك طائفة من المال حتى اذا وجد الفقر والملك شكر حتى يصير من الشاكرين وقال اصحاب الرياء سبعة في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله موصوف من وصفه الصبر والشكر معا والوجه الثامن كما انه سبحانه

لقول

لقوله للعقيق اكبت شعرك الاموال للمكثرين ولكني جعلت لغني يدعوا من مالك
وان كنت قد اعطيت العشر اموالا لكنني لاني كلفته ان يعد اطفالك وان يفرغ
الكل حتى ياخذ الك العقد منه فيكون كالمنع عليه ان حلسته من النار وقال الاعشى
فذا انعمت عليك بهذا الدنيا وقال ايضا العقيق الا المنع عليك حتى حلصناك من
من الدم والعار ومن الاحن من عذاب النار فهذا حكمه من الوجوب وفي حكمه اجاب الزكاة بعضها
بعضه وبعضها ببعض والعالم باسرار علم الله وحكمته ابين لخلق الله المعلم الثاني
في تفسير هذه الآية ومنه مسئلة المسئلة الاولى قوله انما الصدقات للعقرا الآية
يدل على انه لا حق في الصدقات لاحد الا هذه الاصناف الثمانية وقال بمجموعه وانصا
فلفظه انما يفيد الحصر ويدل عليه وجوه الاول ان كلمة انما مركبة من ان وما وكلمة
ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما وجب تعارضهما على هذا المفهوم فوجب
الرجوع عند سقوط المذكور وعدم معارض الثاني ان ابن عباس تمسك في نفي ربا الفضل بقوله
عليه السلام انما الربوا في النسيئة ولولا ان هذا اللفظ يفيد الحصر والا لما دل الامر
كذلك وايضا تمسك بعض الصحابة في ان الاكسال لا يوجب الاغتسال بقوله عليه السلام
انما الماء من الماء ولولا ان كلمة انما تفيد الحصر والا لما دل كذلك وقال الله تعالى انما الله اله
واحد والمقصود منه ان نفي الالهية للعرو الثالث الشعر قال الاعشى

ولست لاكرمهم حصي وانما العدد المكاثر

وقال الفرزدق

انا الذائد الحامي الذمار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي

فثبت بهذه الوجوه ان حكمه انما للحصر وقد دل على ان الصدقات لا تصرف الا الى هذه الاصناف
الثمانية فلنتكلم فيها فنقول الفقير هو المحتاج وقال الاخفش الصدقة لغني ولا يدل
من سوى المسئلة الثانية اعلم انه تعالى لما اخبر عن المنافقين انهم يلمزون الرسول عليه السلام
في احد الصدقات بين تعالى انه انما اخذها فهو لا الاصناف الثمانية ولا اجدها لنفسه
ولا قرابته ومصلحته وقد سبق ان احد الجلسين من الغني للصرف الغني وقد مر حاجته
هو الكفاية المعيشة والمصلحة اللائقة واذا كان الامر كذلك فهم المنافقين ولمزهم عن السعة
واتيانهم لو كان عليه السلام يقول لا اوتيكم شيئا ولا امنعكم اما اذا كان الواضع حتما موضع

المسئلة الثالثة مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف
فقط وهو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وابي العالية والنخعي من سعيد
بن جبير ونظرتا اهل بيت من المسلمين فقراء ضعفاء فمن ايهم ما كان احسن وقال الشافعي
لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول مالك والزهري وعمر بن عبد العزيز
واحتج عليه بانه تعالى اضاف هذه الصدقات اليهم في نص الكتاب بلام الملك
فريضة من الله قال والملك في كل صنف من هذه الاصناف لان اهل الجمع يملكه فاذا دفع سهم
العقد الى فقير من صنف يصير الثالث وهو ثلث سهم العقد الى لا بد من التسوية
بين اصناف هذه الاصناف الثمانية مثل انا اذا وجدنا خمسة اصناف وللمال الصدقة
عشرة دراهم جعلنا العشرة خمسة اسهم على سهم درهمان ولا يجوز المفاضلة بينهم لان ذلك
ان يدفع الى كل صنف درهمين واقل عددهم ثلثة ولا يمكن التسوية بينهم وللمال يعطى
فقيرا درهما وفقيرا خمسة اسداس وفقيرا سدس درهم هذا صفة قسمة الصدقات
على مذهب الشافعي رضي الله عنه قال المصنف الداعي الى الله تعالى الاية
دالة فيها على قول الشافعي لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الاصناف الثمانية
وذلك يقتضي قسمة كل واحدة منها بعينها ان يكون بجملة هؤلاء الاصناف الثمانية والدليل
عليه النقل والعقل اما النقل فقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان
لله خمسه والرسول فاثبت خمس الغنيمة لهؤلاء الطوائف الخمس ثم لم ينقل احد
كل شيء غنم بعينه فانه يخمس فدل على هذه الطوائف الخمس على ان المراد
اثبات مجموع الغنيمة لا ثبات هؤلاء الاصناف واما ان يكون كل خمس من اخماس
الغنيمة موزعا على كل هؤلاء فلا يعتبر هنا مجموع الاصناف الثمانية
بملك مجموع هذه الاصناف الثمانية واما ان يعطى الصدقة بعينها يجوز بعينها
على هذه الاصناف الثمانية فالنقط لا يدل عليه لانه اما العقل فهو ان
الحكم الثابت في المجموع لا بد وان يثبت في كل جزء من اجزاء ذلك المجموع والا يلزم الا
شيء من الكل وهي الجزء وقد بينا ذكرنا ان النقط الا يدل على ما ذكروه
والذي يدل على صحة قولنا وجوه الاول ان الرجل الذي لا يملك الا عشرين درهما
انه يجب عليه اخراج نصف درهم ولو اعطاه ان يجعله على اربع وعشرين جزءا فصار كل

ان محو
قول
يقتض
الاد
اخبا
عن

واحد من تلك الاقسام فيبقى جميعها غير منتفع به في مهم معتبر والثاني ان هذا الدفع لو كان اولى الناس برعايته اكابر الصحابة ولو كان كذلك لكان قد وصل هذا الخبر الى عمر الخطاب والى ابن عباس وجابر بن عبد الله وسائر الاكابر ولو كان الامر كذلك لاحتج العوام به وحيث لم نعلم شيئا من ذلك علمنا انه غير معتبر الثالث وهو ان الشافعي بنى على احتماله جواز نقل الصدقات تاما لم تنقل احد وجوه نقل الصدقات قال لان الانسان اذا قال في بعض القرى ولا يكون هناك مكاتب ولا محتاج عادي ولا عامل ولا احد من المؤلفة ولا امر به احد من الغزاة والقوابه لم يحضر في تلك القرية من كان مذكورا وكشف عن جميع ما فيها فان قلنا اوجب عليه ان يسافر بها وجب عليه من الزكاة اهل البلد عدد هذه الاصناف فان ذلك قول لم يقل به احد وان اسقطنا عنه ذلك لم يصح قولنا فصار ما يتولد في هذا الباب المسلة الرابعة في تعريف الاصناف الثمانية فالاول والثاني هم الفقراء والمساكين واختلف الناس في هذين الاسمين هل هما اسمان لمسمى واحد او لمسميين مختلفين فقال ابو حنيفة هما اسمان لمسمى واحد وهو كل من لا يملك شيئا البتة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه هما اسمان لمسميين مختلفين ثم اختلفوا بعد ذلك فقال الداعي الى الله تعالى الاسم الذي يكون اشد حالا هو الفقير وهو قول الشافعي واصحابه وقال الجوني الذي يكون اشد حالا هو المسكين وهو قول ابي حنيفة واصحابه من الناس من قال لا فرق بين الفقراء والمساكين والله تعالى وصفهم بصفتين احدهما الفقر والثانية الضعف والمقصود شيء واحد وهو قول ابي يوسف ومحمد واحتجوا على الحساب فائدة يظهر في هذه المسلة وهو ان الواجب لعطاء الفقراء والمساكين والعاملين قالوا الفقراء غير المساكين والعاملين قالوا لفظان للثلث والدين قالوا الفقراء هم المسلمون قالوا لفظان للصنف وقال الحساب الله تعالى ذكرهم باسمين فوجب عند ذلك في الصدقات لانهم هم الاصول في الاصناف الثمانية وايضا العامل قد يعرف انهم من الصدقات لانهم لا كسب لهم واما المكاتب فانه لا يعلم هذا الا حال لا يظهر في تعريف الصدقات وامام يظهر من الوصايا وهو ان يحال لو قال اوصيت للفقراء بماله والمساكين بمحسن وجب دفع المال عند الشافعي الى من كان له مسكن حاجة وعند ابي حنيفة الى من كان له اقل حاجة وهذا الشافعي وجوب الاول انه تعالى انما اضاف الصدقات الى الاصناف دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم وهذا يدل على ان الذي وقع به الاسم اولى من يكون اشد حاجة لان الظاهر وجوب تعليم اللام على المهم الا ترى انه تعالى لو قال لزيد وعمرو ثلث مالي فان ثلثي بين عثمان

وعلى ومن فضل علما يقول على وعثمان اشد عمر قول الساعر ٥

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ٥ فعال هلا عدم الاسلام

على الشيب لما وقع لانتذاكر العقر او خشان يكون حاصلهم اشد من حاصل المسالك
الماني قال احمد بن عبيد العقر اشد حالا من المسكنة لان العقر اصله في اللغة الفقور
الذي يرعشه من فتار طعن مصروع من مفقور الفقر كما قيل مطعوح وطبيح
وبجروح وجريح فقيل ان العقر انما سمي عقرا لانه مع حاجة شديدة وسعة
الرمانة من التقلب في الكسب ومعلوم انه لا حال في الاحوال اشد من هذه الحال
واشد الشدائد الشديد ٥

لما راى لبيد المشورة تطارت في قوائم كالعقر العزل

قال الاعرابي في هذا البيت المذكور العقار نصرها سلا لعلم معرفة بالعرب
وجوه في الامور ومما يدل على اشعار لفظ العقر بالشدة العظيمة قوله تعالى يوم كان يوما عسيرا
تطير اذ يفعل بها فاقرن لفظ العاقر كناية عن اعظم انواع الشر والبلاء
الوجه الثالث ما روي انه عليه السلام كان يتعوذ من العقر وحال اعادي
العقر ان يكون عجوزا قال اللهم متى مسعنا واحشرني في زمرة
المساكين واحشرني في زمرة المساكين فلو كان المسكين اسوأ حالا من العقر لتناقض
الحديثان لانه يتعوذ من العقر ثم يسأل حالا اسوأ منه اما اذا اعلمت العقر
اشد حالا من المسكنة فلا تناقض البتة الوجه الرابع ان لو يرد مسكينا
لابنائي كونه مالكا للمال يدل قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين توصف
موصوف بالمسكنة مع انه سفينة من سفن البحر فساوى جملة من الدنانير والدراهم على ان الله
ما يدل على الانسان يسمى قولا مع انه على شيا فان قالوا الدليل عليه قوله تعالى
والله العني واهم العقر اموصف الكل بالفقر مع انهم ملكوا اشياء فلنا هذا
بالصدارة الى الله تعالى وصفهم بكونهم فقرا الى الله تعالى فصح قولنا
منه او شجاعا الوجه الخامس قوله تعالى اواطعم في يوم ذي مسغبة يتيما ذا متربة والمراد
من المسكين ذي المتربة العقر الذي قد لصق بالتراب من شدة العقر فثبت المسكين بهذا
التقدير على انه قد يحصل مسكين حال عدم وصفه بكونه ذا متربة وانما يكون كذلك

يقدر ان يملك شيأ فهذا يدل على نحو مسكنة الانبياء في كونه مالكا لبعض الاشياء
الوجه السادس من الوجوه التي العقر هو المحتاج الذي لا يجد شيأ قال نبي اهل
الصفة صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نحو اربعمائة رجل لا
منزل لهم فمن كان عنده من المسلمين فضل اباهم به اذا امسوا والمساكين هم الطوافون
الذين يسألون الناس وجه الاستدلال ان هذا نعت اهل الصفة معلوم بالتواتر
ولما فسر ابن عباس العقير بهم وفسر المسألة بالطوافين ثبت ان احوال المحتاج
الذي لا يسأل احدا شيأ من احوال من يحتاج ويسأل الناس ويطوف عليهم طمعا ان يعطوه
العقير يجب ان يكون اشد حالا من المسكين الوجه السابع ان المسكنة
لفظ ماخوذ من السكون فالعقير اذا سأل الناس وتضرع اليهم وعلم انه متى يتضرع اليهم اعطوه شيأ فقد سكن قلبه وزالت عنه الخوف والقلق ويحتمل ان يقال
سمي بهذا الاسم لانه اذا صار بالرد ومسكين ولم يضطرب واعاد السؤال فهذا السبب
يحمل المسكين كما ذكرنا عن السؤال فهذا السبب المقتضي عند العقير ويقال مسكين
الرجل اذا لان وتواضع ومنه قوله عليه السلام للمصلي بالليل وتمسكين يريد تواضع
وتخشع فدل هذا على ان المسكين هو السائل اذا ثبت هذا نقول انه تعالى قال
في آية اخرى وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم فلما بينا ما ذكرناه ههنا
ان المسكين هو السائل وجب ان يكون المحروم العقير اشد حالا من المسكين
الوجه الثامن انه عليه السلام قال اللهم احيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني
انه تعالى اجاب دعاءه فاماته مسكينا وهو عليه السلام حين بعث كان على تلك
الشاكلة وهذا يدل على هذا على ان كونه مسكينا لا ينافي كونه مالكا
لبعض الاشياء اما العقير فانه يدل على الحاجة الشديدة لقوله عليه السلام
كاد العقر ان يكون كفرا فثبت ان العقير اشد حالا من المسكين
الوجه التاسع ان الناس اتفقوا على ان العقر والغنى ضدان فمن كان
منهما في احد الجانبين فانه يعد الناس منهم منزلا لهم جانبا منهم منزلا لهم
ساكتا عن حوائجهم منصرفا اليهم قالوا ان فلانا ما ظهر الذل والمسكنة وقالوا
انه مسكين على وجه واما العقير فمعلوم عيانا عن ضد الغنى وعلى هذا فقد
يصفون الرجل الغني بكونه مسكينا اذا كان يظهر من نفسه الخضوع والطاعة

وترك المعارضة وقد يصفون الرجل الفقير بكونه متواضعا عن التواضع والمسكنة
فلبيان الفقر عبارة عن عدم المال والمسكنة عبارة عن اظهار التواضع والاول
ما في حصول المال والثاني لا ما في حصوله الوجه العاشر قوله عليه
السلام لمعاذ في الزكاة خذها من اغنيائهم وردها على فقرائهم ولو كانت
الحاجة في المساكين اشد لوجب ان يقول وردها على مساكينهم لان دلالة
الاسم اولى فهذه الوجوه التي تدل على ان الفقر اشد حالا من المسكنة
واحتج العالمون بان المسكين اشد حالا من الفقير بوجوه الاول احتجوا
بقوله تعالى اومسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وذلك يدل على
نهاية الضر والبؤس وايضا انه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا شك
انه اعظم من الحاجة الى ازالة الجوع الثاني احتجوا بقول الراعي

اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبدا

سماه فقيرا وله حلوبة الثالث قالوا المسكين هو الذي يسكن حيث يحضر
لاجل انه ليس له بيت يسكن فيه وذلك يدل على نهاية الضر والبؤس والرابع
نقلوا عن الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء انه قال الفقير الذي له ما ياكل والمسكين
الذي لا شيء له وقال يونس الفقير قد يكون له بعض ما يكفيه والمسكين هو الذي لا شيء
له وقلت لاعرابي افقيرات قال لا والله المسكين والجواب عن تمسكهم بالآيات
بما ذكرناه الآن صحيح لما قاله لما قيد المسكين المذكور ههنا بكونه ذا متربة دل
على انه قد يوجد مسكين لا يكون كذلك والاصل في هذا العدد قوله
انه ضرب الاطعام في الكفارات الثلاثة فلما بينا ان المراد بالمسكين
المعدم بقي ان يكون ذا متربة وهذا يدل على انه اوجب الصرف الى مطلق المسكين
والجواب عن الاستدلال بالبيت السابع انه ذكر ان هذا الذي هو الان موصوف
بكونه فقيرا فقد كانت له حلوبة ثم لم يبق له سبد فلا يجوز ان يقال كانت
ثم لما لم يبق له وصف بكونه فقيرا والجواب عن قولهم المسكين هو الذي
يسكن حيث يحضر لانه ليس له بيت قلنا المسكين هو الطواف على الناس الذي
يديم التردد على السؤال وسمي مسكينا اما لسكونه عند ما يبهر ونه ويزجرونه
واما لسكون قلبه لست علمه ان الناس لا يصبعونه مع كثرة سؤاله انا نم

واما الروايات التي ذكرها عن ابي عمرو ويونس فهذا معارض لقول الشافعي
واما الاسناد الى ابن ابي ليلى فانه نقل العقال في بعض من جابر بن عبد الله انه قال العقال فقراء
المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا وعن الحسن العقال الحالفين وعبيد والمسكين
الذي يسع وعن مجاهد العقال الذي لا سيال والمسكين الذي يسال وعن الزهري
العقال هم المتعففون الذين لا يخرجون والمساكين الذين يسالون قال
مولانا الداعي الى الله هذه الاقوال كلها متوافقة على ان العقال لا تسال
والمسكين يسال ومن يسال وجد فكان المسكين اسهل واقل حاجة والله اعلم
الصنف الثالث قوله تعالى والعاملين عليها وهم السعاة بجبايه
الصدقة وهؤلاء يعطون من الصدقات بعد ان جبوا اموالها وطهروا الشافعي
وقول عبد الله بن عمر وابن زيد وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات
وظاهر اللفظ مع مجاهد لان الشافعي يقول هذا اجر العمل فيقدر العمل
والصحيح الهاشمي ان المطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما له منها
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يبعث ابا رافع على الصدقات وقال
اما علمت ان مولى القوم منهم واما قال والعاملين عليها لان كلا على بعد
الولاية كما يقال فلان على بلد عدا اذا كان والياً عليه الصنف الرابع
قوله تعالى والمؤلفة قلوبهم قال ابن عباس هم قوم اشراف من العرب اعطاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا ابو سفيان والاقرع
ابن حابس وعيينة بن حصن وحويطب العوى وسهيل ابن عمرو ومن بني عامر والحرث
بن هشام وسهيل عمرو والحميري وابو السنابل وكليم بن حزام ومالك بن عوف وصفوان
ابن امية وعبد الرحمن بن يربوع وحدير قيس وعمرو بن مرداس والعلاء بن الحرث اعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مائة من الابل ورغبهم في الاسلام
الا احمد الرحمن ابن يربوع اعطاه خمسين من الابل واعطا حليم بن حزام سبعين
من الابل فقال يا رسول الله ما كنت ارى احدا من الناس احق بعطاء مني فزاده
عشرين بعد ما سأله فزاد عشرين وهذا حتى بلغ مائة ثم قال احلم يا رسول الله
اعطيت الاولى التي رغبت فيها فما بال هذه التي تعطاها على عليه السلام

مل التي رغب عنها فعال والله لا اجد غيرها فعل ما ترى حكم وهو اكثر قريش مالا وس
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العطايا الذي بالفهم بذلك فال
المصنف رضي الله عنه هذه العطايا انما كانت يوم حنين ولا تعلق لها بالصدقا
ولا ادري لاي سبب ذكر ابن عباس هذه القصة في تفسير هذه الاية ولعل المراد
ما ذكره انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المولفة فاما ان يحمل ذلك لغير الصرف
للزكاة اليهم فلا يليق بابن عباس ومثل العمال رحمه الله ان ابا بكر رضي الله عنه
اعطى عدي حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه اتم الرده وقال المقصود
ان يسمعه الامام هم على استخراج الصدقات من الملال فال الواحدي
ان الله تعالى اغنى المسلمين عن تالف قلوب المشركين فان راى الامام ان يولف قلوب
قوم لبعض المصالح التي يعود نفعها على المسلمين اذا كانوا مسلمين جاز ان
لا يكون صرفها شيء من زكوات الاموال المشركين فاما المولفة من المشركين
فانما يعطون من مال الغني لا من مال الصدقات فال رضي الله عنه
ان قوله الواحدي ان الله اغنى المسلمين عن تالف قلوب المشركين يدل على انه ربما توهم انه عليه السلم
وعلمنا من اموال الزكاة اليهم لكنا بينا ان هذا لم يحصل البتة وايضا فلس في الاية
ما يدل على كون المولفة مشركين باقوال المولفة قلوبهم وهذا امام في المسلم وعدم والصحيح
ان هذا الحكم غير منسوخ وان للامام ان يتالف قوما على هذا الوصف ويدفع اليهم سهم المولفة
لانه لا دليل على صحة السبب الصنف الخامس قوله وفي الرقاب قال ابو جعفر
فيه محذوف والتقدير وفي فك الرقاب وقد مضى الاستقصاء في تفسيره في سورة البقرة في قوله
والسائلين في الرقاب هم في تفسير الرقاب اقوال الاول سهم الرقاب موضوع في المكاتبين
ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي واحمد واسحاق كما روي عن ابن عباس
انه قال قوله وفي الرقاب يريد المكاتبين واحتجوا بهذا بقوله تعالى والذين يبتغون
الكتاب مما ملكت ايمانكم والقول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحاق انه موضوع لفك الرقاب
لشتري به عبيد فيعتقون والقول الثالث وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وثوبان
سعيد بن جبير والنخعي انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولا عن يعطى منها في رقبته
ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل ودلالة في

عوه

كونه ما فيه والعوا[ملين] الرابع قول الزهري وابن السبيل هم الغزاة فيعطون سهم الصدقات
وهو قول الشافعي رحمه الله قال وهم صنفان صنف غزوا وصنف قعدوا فلهم
اصحابنا والاحتياط في سهم الرقاب دفعه الى السيد اذا كان المكاتب والدليل
تعالى انما الصدقات للاصناف الاربعة الذين تقدم ذكرهم بلام التمليك وهو قوله انما
الصدقات للفقراء والمذكور الرقاب اضافة اللام تعرف في اللام تعرف في تعالى وفي الرقاب علامة
فاذا لهذا الصرف وذلك العامل في الاصناف الاربعة المتقدمة مع السهم
نصيبهم من الصدقات حتى يتصرفوا فيها كما شاؤا واما الرقاب فموضع نصيبهم
في خلاص رقابهم عن الرق ولا يمكنون من التصرف في المال ليتسبب
كسبه سادا ليوضع في الرقاب بان يؤدي عنهم وكذا المولى في العارم يتصرف
المال المقتضاد ديونهم وفي الغازي يصرف المال الى اعداد ما يحتاجون اليه في الغزو وفي
ابن السبيل كذلك فالحاصل ان في الاصناف الاربعة الاولى يصرف اليهم حتى يتصرفوا
فيه كما شاؤا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف اليهم بل يصرفها اصحاب الحاجات
المعتبرة في الصنفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكاة الصنف السابع
والغارم قال الزجاج اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق والغرام العذاب اللازم
وسمي العشق غراما لكونه امرا شاقا ولازما له ولان صاحبه يلزم النساء اذا اذاب
مولاهن وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان ولازما له فالمراد بالغارمين
المديونون ويقول الدين الذي حصل بسبب معصية لا يدخل في الاية بل المقصود
من صرف المال المذكور في الاية الاعانة والمعصية لا يستوجب الاعانة ولو حصل
لا بسبب معصية فهو صنفان دين حصل بسبب نفقة نفسه وعياله في مصلحة ودين
حصل بسبب جناية واصلاح ذات بين والقياس احتمل ما ذكرنا يعني الاجمع ويدل
ان النبي عليه السلام لما قضى بالغرم في الحمالة والقتيل للعاقلة لا محالة الغرم يا رسول الله
جعل المحمل ما الى ان الشائعة اعلم بغرم من صدقاتهم وكان حمل على الصدقة بوسيلة
الصنف السابع وفي سبيل الله قال المفسرون يعني الغزاة قال الشافعي
رضي الله عنه يجوز له ان يأخذ من مال الزكاة وان كان غنيا وهو مذهب مالك
واحمد واسحق ولي عندنا وقال ابو حنيفة وصاحباه لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا

واعلم ان ظاهر اللفظ في قوله وفي سبيل الله لا يوجب القصر على كل الغزاة فلهذا المعنى يعلل العقال في نفسه عن بعض العقها انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المسجد لان

هو الذي نصبه الامام لاجل الزكوات تدل هذه الفصل ان الامام هو الذي يأخذ هذه الزكوات
ويأكد هذا النص بقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج الزكاة
الباطنة سقوط له بما يعارضه بدليل اخر ومحال ان يمسك في يمناه بقوله تعالى وفي اموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم وحسبان يجود بعد فعه للبائد الحكم الثالث نص القرآن
يدل على ان هذا العامل له في مال الزكاة حق واختلفوا في ان الامام هل له منه حق
فمنهم من اثبته قال لان العامل انما قدر على ذلك العمل بمعونته وتأديبه فالعامل في الحقيقة
هو الامام ومنهم من منعه وقال الاية دلت على حصر مال الزكاة في هؤلاء الثمانية
والامام خارج عنهم فلا يصرف اليه هذا المال الحكم الرابع اختلفوا في ان هذا
العامل هل يأخذ اذا كان غنيا قال الحسن لا يأخذ الا مع الحاجة وقال الباقون يأخذ
وان كان غنيا لانه ما حد اجرى على العمل بل اجلوا قالوا لعلهم انما بعثوهم العامل وفي الزكاة
الفرائض والله تعالى قسم الزكاة على ما بيناه اصناف فوجب ان يحصل له الثمن كما ان
من اوصى بما للمتاجيه الثمن حصل لكل واحد منهم ثمنه وقال الاكثرون بل جعله بعدد
موتى عند الحاجة والجمع الحكم الخامس اتفقوا على ان مال الزكاة لا يخرج من هذه
الثمانية واختلفوا في انه هل يجوز وضعه في بعض الاصناف وقد سبق ذكره دلائلهما
المسلمين الا انا اذا علمنا جواز وضعه في بعض الاصناف فقط فهذا الجائز في عدد
العامل فاما وضعه بالكلية في العامل فذلك غير جائز بالاتفاق الحكم السادس
ان العامل والمؤلفة مفقودان في هذا الزمان بعد الاصناف الستة الاولى من الزكاة
الى هذه الاصناف الستة على ما يقوله الشافعي رضي الله عنه لانه الغاية في الاحتياط
اما اذا لم نعط ذلك اجراه على ما سماه الحكم السابع عموم قوله للفقراء والمساكين
يتناول الكافر والمسلم الا ان الاخبار دلت على انه لا يجوز صرف الزكاة الى الفقراء
والمساكين وغيرهم الا اذا كانوا مسلمين واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الاصناف
الثمانية وشرح احوالهم قال فريضة من الله قال الزجاج منصوب على المصدر كقوله
لان قوله انما الصدقات لهؤلاء جار مجرى قوله فرض الله الصدقات لهؤلاء فريضة
وذكر الكرخي في مختصره هذا الطاهر وعن النبي عليه السلام انه قال ان الله تعالى
لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه والمقصود من هذه

هو

من هذه المكيدات تحويل اخراج الزكاة من هذه الاصناف ثم قال
والله عليم حكيم والمصلح الحكيم لا يشرع الا ما هو الاصوب والاصلح **قوله تعالى**
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
ورحمة للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ۝ اعلم ان هذا نوع
اخر من جهالات المنافقين وهو انهم كانوا يقولون في رسول الله انه اذن على
وجه الطعن والذم وفي الاية مسائل المسئلة الاولى قراءاصم في روايته
الاعشى والرحمي عن ابي بكر عنه اذن خير مرفوعا منونين على تقدير ان كانوا
يقولون انه اذن فاذن خير لكم يعمل منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم
والباقون اذن خير لكم بالاضافة اي هو اذن خير لا اذن شر وقرا نافع اذن
ساكنة الذال في كل القرآن والباقون بالضم وهما لغتان مثل عنق وطنف المسئلة
الثانية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل المنافقون ذكروا النبي عليه السلام بما لا
ينبغي من القول فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان بلغه ما تقولون فنقال
الجلاس بل نقول ما شئنا ثم نذهب اليه ونحلف اما ما قلنا فعل قوله فانما
نحاكي له وننقل حديثه فنزلت هذه الاية وقال الحسن كان المنافقون يقولون ما هذا
الرجل الا اذن من شاء ره حتى شا لا عزيمة له وروى الاصم ان رجلا منهم
قال لقومه ان كان ما يقوله محمد حقا فهي شر من الحمير فسمعها فقال
والله انه لحق وما انه لشر من حمارك فبلغ النبي عليه السلام فقال لبعضهم اما
محمد اذن ولئن لقيته وحلفت له لتصدقك فنزلت الاية على وفق قوله فقال
العائل يا رسول الله لم اسلم قط مثل اليوم وان هذا لعلام لعظيم الم على والله
لا شكونه فقال الاصم اظهر الله عز المنافقين وحوشي كفوهم الى ان كانوا
يسرون بها ليكون حجة للرسول وليس حرفا فقال ومنهم من يقال في الصدقات
ومنهم الذين يؤذون النبي قال ومنهم من عاهد الله الى قوله ذلك من الاخبار
عن الغيوب يدل على كل ذلك على كونه معجزا من عند الله المسئلة
الثالثة اعلم الله تعالى حكى ان المنافقين من جملة ايذاء النبي لهم وشرورهم
الا بدا فانهم يقولون النبي انه اذن وغرضهم منه انه لسرعة قبوله لا يعد عدوا بل هو
سليم القلب سريع الاعتذار يقبل ما يسمع ولهذا السبب سموه بانه اذن كما ان

الحاسوس

الحاسوس يسمى بالعبرانى جعل فلان لنا عينا اى جاسوسا متجسسا عن الامور فكذا
هاهنا امر الله تعالى اجاب عنه بقوله قل اذن خير لكم والتقدير هو انه
اذن الى حد اذن خير لكم مثل ما يقال فلان اذن صدق فيشاهد عدلهم من كونه
اذن خير فليس كصيغة افعل هذا معنى قولنا للذى الخيرية اما الاذن فهو
اذن خير فليس كصيغة افعل هذا معنى قولنا للذى الخيرية اما الاذن فهو
قوله يؤمن بالله فكان من كان يؤمن بالله كان حاصلا من الله والحاصل من الله لا عدم
قوله يؤمن بالله فكان من كان يؤمن بالله كان حاصلا من الله والحاصل من الله لا عدم
على الاحتمال الباطل واما الثانى وهو قوله يؤمن للمؤمنين فالمعنى انه يسلم للمؤمنين
قولهم والمعنى انهم اذا قالوا قولا او فعلوا فعلا واحد يسلم لهم ذلك القول وهذا بيان
كونه سلم العلة سريع الاعتراض لان قوله تعالى يدعوكم لكى يغفر لكم ذنوبكم
والى المؤمنين باللام فلم لا قال الايمان للمعدى الى الله المراد منه التصديق
الذى هو نقيض الكفر فعدى بالباء والايمان المعدى الى المؤمنين معناه الاسماع
منهم والتسليم لقولهم فعدى باللام كما فى قوله وما انت بمؤمن لنا وقوله فما آمن
لموسى الا ذرية من قومه وقوله انؤمن لك واتبعك الارذلون وقوله اتمنكم له
قبل ان اذن لكم واما قوله ورحمة الذين اسوا منكم فهذه اشارة الى توجيه
الخيرية لانه يجرى امركم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش عن بواطنكم ولا يسعى فى هتك
استاركم فمتى كان على واحد من هذه الاوصاف الثلاث يوجب كونه اذن اذن
خير اذن ولما كان سبب اللعن والرحمة من اذن على مراداه استوجب العذاب الاليم
لانه اذا كان يسعى فى ايصال الخير والرحمة اليهم مع كونهم فى غاية الجرى والجسارة
على ايذائه فكيف لا

فكيف جعلتم هذه الصفة طعنا في حقه الوجه الثالث وهو وجه متكلف ذكره صاحب
النظم فقال ادن وان كان دنوا بالاسدا في الطاهر لكنه موضعه نصبا على الحال وتأويله
قل هو اذا خير لكم اي اذا كان لدنا فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم وتطيب
وهو خير حافظا اي هو حال كونه حافظا خير لكم الا انه لما كان محدودا وضع
الحال مكان المبتدا هو حافظ خير لكم احتمال وفي القرآن كثير وقال يعالى ستقول
ثلاثة رابعهم كلبهم وعدا الواو عند البكليف ولو كان قد سحسنه الواو في
المسئلة الخامسة قرأ حمزة ورحمةٍ بالجر على ضمير كانه قيل اذن خير ورحمة
ان يستمع كلام يكون سببا للخير والرحمة فان قيل ولم ذكر رحمة خيرا في حادي في
ذكر الرحمة عقيبه قلنا لان اشرف اجسام الخير هو الرحمة فلهذا ذكر
الرحمة عقيب ذكر الخير كما في قوله وملائكته وجبريل وميكائيل وقال
ابو عبيد هذه القراءة بعيدة لانه ناعد المعطوف فمن المعطوف عليه قال ابو علي الفارسي
البعد لا يمنع من صحة العطف الا ترى ان من قرأ وصلة بارب انما تحمله على قوله
وعند علم الساعة والتقدير وعند صلة فان قيل ما وجه قراءة ان اذن عطفه
ورحمة بالنصب قلنا هي على معناها محذوف والتقدير ورحم اخر بادن
الا انه حذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه قوله تعالى يحلفون بالله لكم
ليرضوكم والله احق ان يرضوه ان كانوا مومنين اعلم ان هذا نوع اخر من قبائح
افعال المنافقين وهو اقدامهم على اليمين الكاذبة قيل هذا يدل على ان عدم بعض
الوجود من النبي وبعض القول منهم حلفوا لكم وقيل نزلت في رهط من
المنافقين حلفوا عن عروض قول فيما وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
اتوه واعتذروا وحلفوا فقبل منهم برأيه الجد والمعنى انهم حلفوا اما فالوا اما حكى عنهم ليرضوا
المومنين بسببهم وكان من الواجب ان يرضوا الله بالاخلاص في التوبة لا باطلها والمسرور
خلافه وتظهر لك قوله واذا قالوا الذين امنوا قالوا امنا اما قوله يرضوه
بعد تقدم ذكر الله وذكر الرسول بعده وجوها احدها ان الله تعالى انما ذكر
مع عمير بالذكر المجمل يجب ان يعود بالذكر المفصل والثاني ان المقصود من جميع
الطاعات والعبادات هو الله تعالى فعند ذكر اي موضع ورد ان واحد من العبادات

رفع

وقع صونة قال ان اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فسمع الرسول ذلك وقال اضع اعنق فراهله
الى آخره يجوز ان يكون المراد من هو ما قالته في بدل الواحد كقوله نحن بما عندنا
ما عندك راض والامر مختلف والمراد ان العالم بالاسرار والخفايا هو الله تعالى
واما من العلماء لا يعلمه الا الله فلهذا السبب حسن تعالى نفسه بالذكر الخ خامس لما
وجب ان يكون رضى الرسول مطابقا لرضى الله وامتنع المخالفة بينهما وقع الامتحان
بهذا اصحابنا حاجة بقال احسان زيد واحاله نفع وتعالى الى آخره القدير والله جل
اثره جمع ورسوله كذلك وقوله ان كنتم مومنين فيه قولان الاول ان كنتم مومنين
على ما ادعيتم والثاني ان كنتم كاملين عالمين بصحة دين الرسول الذي هم اعرف واعلم الكفر
حسدا وعنادا فلهذا المعنى قال تعالى ان كنتم مومنين وهو الاية دلالة على ان محبة الله لا
تحصل باظهار الايمان ما لم تعرف به التصديق بالقلب خلافا لقول الكرامية الذين
زعموا ان الايمان هو القول باللسان **قوله تعالى** الم يعلموا انه من يحادد الله
ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم اعلم ان المقصود من هذه الاية
ايضاح شرح احوال المنافقين الذين يحلفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرضون
وفيه مسائل المسئلة الاولى في المعنى قوله الم يعلم خطاب لمن يعلم حال الانسان
تعليم مدة وبالغ في ذلك التعليم ولم يعلم تعالى الم يعلم الساعاتا الظاهر والله الدين
لانه حال من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثر معاجزه للتحذير عن
معصيته والترغيب في طاعة الله والضمير في قوله انه من يحاد والله ورسوله ضمير
الامر والشان والمعنى ان الامر والشان كذا وكذا والفائدة في هذا الضمير هو انه
لو ذكر بعد كلمة ان الكلام المستدا والخبر لم تكن له كثرة مع ما اذا جاء الامر والشان
لو ذكر بعد كلمة ان الكلام المستدا والخبر **قوله** من يحاد الله
كذا وكذا ورحمه مريد التعظيم وتعويل الكلام على قوله من يحاد الله
قال الليث حاده اي خالفه والمحاداة المخاصمة والمعاداة والمخالفة واشتقاقه من
الحد ومعنى حاد فلان ولانا اي صار في حد غير حدنا كقولك شاقه اي صار في شق غير شقه
ومعنى يحاد الله اي يصير في حد وفي غير حدود الله فالمحاد في الحقيقة هو مسلم المحاده
ما حوده من الحدود حديدا السلاح ثم للغير بين هذا ما لات قال عباس يحالف
الله ورسوله يعادي الله ورسوله وقيل يعادي الله ثم قال تعالى ذلك الخزي ثم ان جهنم

وفيه وجوه الاول القدر فحق بان لهم جهنم الثاني معناه فله نار جهنم الثالث معناه فله نار
جهنم وان تكرر للتوكيد والثالث ان يقوم جواب من محذوف والتقدير الم يعلموا انه
من يحاد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم قال الزجاج ويجوز كسر ان على الاستئناف بعد
الفاء والفتحة ما اعتمد وتقل الكعبي في نفسير ان المراد بالكفر موجودة قال
ابو مسلم جهنم من اسماء النار واهل اللغة حكوا عن العرب ان البئر البعيدة القعر تسمى
للجهنام فلهذا جائز في جهنم ان تكون ماخوذة من هذا اللفظ ومعنى بعد قعرها
انه لا احر اعذابها والحال الدائم والحزي قد يكون بمعنى الذم ومعنى الاستخفاف
والذم ههنا اولى لقوله تعالى واسروا الندامة لما راوا العذاب والله اعلم
قوله تعالى يحذر المنافقون ان ينزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا
ان الله مخرج ما تحذرون ﴿ اعلم انهم كانوا يقولون سوف نرى سوء الحادثة جعلت
عما في قلوب المنافقين قال الحسن اجتمع اثنا عشر رجلا من المنافقين على امر من النفاق
فاخبر جبريل الرسول باسمائهم وقال عليه السلام ان ناسا اجتمعوا على كيت وكيت فلتقوموا
ولتعاتبوا ولتستغفروا ربهم حتى استغفر لهم فلم يقوموا فقال عليه السلام بعد
ذلك قم يا فلان وقم يا فلان حتى اتى على عليهم كلهم قاموا واعترفوا واستغفر فقال الان اما كنت
في اول الامر اطلب بهذا السعاية والله تعالى اسرع في الاجابة اخرجوا عني اخرجوا عني
فلم يزل يقول حتى خرجوا الكلهم وقال الاصم ان عبد رجوع الرسول عليه السلام
من تبوك وتفوه على العقبة اثنا عشر رجلا للغتكوا به فمر جبريل وكانوا
مسلمين فاخبره بمكيدتهم وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فانهزم جدا بغتة
بذلك فمر بها حتى نجاهم ثم قال من عرف من القوم فقال لم اعرف منهم احدا فاخبره
النبي عليه السلام باسمائهم وعدد عليه وقال ان جبريل اخبرني بذلك فقال حذيفة
الاتبعث اليهم لتقتلوا فقال اكره ان يقول العرب بعد ما ظفر باصحابه حتى اذا ظفر بهم عاد ينقتلهم
بل يكفيناهم الله بالدبيلة فقال ومن لها قال منهم سراج فيها فاذا هو يخرج نار تاجج في كتفه
حتى تبلغ فؤاده فقال حذيفة فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فاخبر
عليه السلام بذلك وقال ابو مسلم هذا احد ما طعن المنافقون
على وجه الاستهزاء بما رأوا الرسول عليه السلام يدور على حي ويدعي انه عن الوحي
وكان المنافقون يحذرون بذلك فضائحهم فاخبر الله تعالى رسوله بذلك وامره ان

ان يعلمهم انه مطلع على جميع ما يضمرونه وفي قوله استهزءوا دلالة على ما قلناه
في السابق ان القوم وان كانوا كافرين بالرسول الا انهم شاهدوا الرسول عليه السلام
كما عرفهم بالمعجزة وبه وعلموا قطعا التحريم ومع الحذر والخوف في قلوبهم الا انهم
قالوا لاجلهم انما كنا نخوض ونلعب دون قوله رسول الله ساد ما من عبد الله تعالى الا انهم عرفوا
به حسدا وعنادا قال القاضي الى الله عذا عند بعيد لان الحسد اذا قوي في القلب صار
بحيث يبادر الى المحسوسات الى ابعد معنى الحذر الا من بالحذر الى الحذر والمنافقون
كذلك لان اسرارهم كانوا شاكين في صحة نبوته وما كانوا قاطعين بفسادها
وانما كان يخاف هذا السبب فانه ان اطلع عليهم مجانين بها بفضيحتهم فكان الخوف
الصادر في قلوبهم وشهم الموضع في قوله في قلوبهم المنافقون يجوز ان يكون
الضمائر كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معايبهم وهي بانه عليهم ومعنى
شهم ما في قلوبهم ان السورة كانها تقول الهم في قلوبهم كيت وكيت يعني انها تدبع
اسرارهم اذا نقطة طاهرة وكانها تحيي بهم عن قال استهزءوا امروا بهوا من بعد بقوله
وقل ايجلوا ان الله مخرج ما تحذرون الخ لله الذي تحذرونه فان الله يحرجه الى الوجود
قال الشيخ اذا حصل بعد عدمه كان فاعله ادخله من العدم الى الوجود قوله تعالى
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله دخل في هذه مسئلة المسئلة الاولى
ذكروا في سبب نزول الاية امورا الاول روى عمر بن الخطاب قال لما غزونا تبوك
رأينا رجلا سئل هؤلاء القراء اعرفوا بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال عوف كذبت ولكنك منافق
ثم ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه فجاء الرجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان قد ركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نلعب ونتحدث بحديث
الركب نقطع به الطريق كان يقول انما كنا نخوض ونلعب فقال رسول الله اباالله وايانه
كنتم تستهزءون ما يلتفت اليه ولا يرد عليه الباقي قال الحسن وقتادة لما سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى تبوك قال المنافقون بعضهم لبعض ارأيتم هذا الرجل يريد ان يفتح
قصورها وحصونها هيهات هيهات فعند ذلك اطلع الله نبيه على ذلك فقال لهم
فقالوا انما كان ذلك الحديث خوضا منا ولعبا انما كنا نخوض ونلعب لنقطع به الطريق
المخلفون عن الرسول سيلوا عما كانوا يصنعون فعن سبب تخلفهم فقالوا

قوله ان
ذكروه وجوده قال
ان الذر التعلق التي تسمى
ذا اللفظ ومعنى بعد تغيرها
عنى الدم ومعنى الاسفا
او العذاب والله اعلم
ما في قلوبهم قل استهزءوا
ون براءة سورة الحاوي حفرت
لما قعد على امر المنافق
فعوا على ان ليس فعلوه
سوا فقال عليه السلام بعد
استغفر فقال الاني امرت
على الاجابة امروا عمي اخرجوا عمي
وع الرسول عليه السلام
هم جبريل وكانوا
وحين رواحلهم وامر جلد ناقته
لم اعرف منهم احدا بعد
صبي لله تعالى حديثه
صحابه حتى اذا طلعت عمار يعلم
عيب بحذر رسول الوحي على الرسول
سلم هذا احدا اطلع المنافقون
ر على شيء ويدعي انه على الوحي
ر الله تعالى رسوله بذلك وامر

هذا القول الرابع حكي عن ابي مسلم الله قال في تفسير قوله تحدر المنافقون ان ينزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ان القوم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء
فان تعالى في هذه الآية انه اذا قيل لهم لم فعلتم ذلك فانهم يقولون انما فعلنا ذلك
لا لاجل انا كنا نخوض ونلعب كما مر اعلم انه لا حاجة في تعريفه هذه الآية
الى هذه الروايات فانهم يدل على انهم ذكروا كلاما فاسدا على سبيل الطعن والاستهزاء
فلما اخبرهم الرسول عليه السلام بانهم قالوا ذلك حلفوا واعتذروا عنه فاما ان
قلنا ذلك على وجه اللعب على سبيل الجد ودل قولهم انما كنا نخوض ونلعب على
ما دللنا ذلك لاجل اللعب وهذا يدل على ان كلمة انما تفيد الحصر اذ لو لم تكن
كذلك لم يلزم من كونهم لاعبين انهم لا يكونوا مستهزئين فحينئذ لا يتم الجواب
والجواب قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مايع مثل الماء والطين
ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه بلوث وادى والمعنى انا كنا نخوض
في الساحل من الكلام كما نخوض الركب لقطع الطريق فاجابهم الرسول صلى الله
عليه وسلم بقوله بالله وآياته كنتم تستهزؤن وفيه مسائل المسئلة الاولى
فرق بين قولك استهزئ بالله وبين قولك بالله يستهزئ فالاول يقتضي الاقتصار
على ايقاع الاستهزاء في الله كانه يقول هذا لك فاعلم على الاستهزاء ولكن
كيف اقدمت على ايقاع الاستهزاء في الله وبطش قوله تعالى لا تعتذروا المقصود
ليس نفي القبول بل نفي الوقوع كقوله لا تحلفوا المسئلة الثالثة ادل الله تعالى
على انهم انما يستهزؤن بالله وآياته ورسوله ومعلوم ان الاستهزاء بالله يحبط الايمان
له من تاول وجهه وجعل الحوالة المراد من الاستهزاء بالله هو الاستهزاء بتكاليف الله
الثاني يحتمل ان يكون المراد الاستهزاء بذكر الله قال اسما الله قد يشهر اد
الكافر بها كما ان المؤمن يعظمها ويمجدها وقال عليه السلام تعالى سبح اسم ربك
فامر المؤمن بتعظيم اسم الله وقال ولله الاسماء الحسنى فادعون بها وذروا الذين
يلحدون في اسمائه ولا يمتنع ان يقال انا بالله وبدلائل الله البالغة لعل
المنافقين لما قالوا الوف يقدر محمد على اخذ حصون الشام ومقصورها قال بعض المسلمين
ان الله لعينه على ذلك وبشره عليه فان بعض الجهال من المنافقين ذكر ذلك اما مستهزئا
بالفتح

بالفتح في قدره الله كما هو عادة الجهال والطغام وكان المراد ذلك واما قوله
والمراد به القرآن وسائر ما نزل على النبي وقوله
وقوله معلوم وذلك لان على العموم
اذا ذكروا على سبيل الاستهزاء وقال تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
ومنه مسائل المسئلة الاولى نقل الواحدي عن اهل اللغة في لفظ الاعتذار
قولين الاول انه عبارة عن محو الذنب من قولهم عذرت المنازل اذا درست
يقال امرؤ قيس بمنزل معتذر والاعتذار هو الدروس والعذار الاثر فعلى المعتذر
يجاول ازالة اثر ذنبه والقول الثاني حكى عن ابن الاعرابي ان الاعتذار هو القطع
ومنه يقال للجلعة عذار لانها تقطع وعذار الجارية سمي بذلك لانها تعذر
اي تقطع ويقال اعتذرت المياه اذا انقطعت فالعذار لما كان سببا لقطع اللوم سمي
عذارا قال الواحدي والقولان متقاربان لان محو اثر الذنب وقطع اللوم متقاربان
المسئلة الثانية انه تعالى بين ان الذين استهزءوا كانوا كفارا والعمل يقتضي ان
الاقدام على الكفر لاجل اللعب حرام فثبت ان قولهم انما كنا نخوض ونلعب ما كان
عذرا صحيحا في الاقدام على ذلك الاستهزاء فلما لم يكن عذرا في نفسه بين الله تعالى ان
لا يعتذروا به لان المنع عن الكلام الباطل واجب فقال لا تعتذروا اي لا تذكروا
هذا العذر وفي رفع هذا الحرف المسئلة الثالثة قوله قد كفرتم بعد ايمانكم يدل على
احكام الحكم الاول الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله ودليل ان
الاستهزاء يدل على الاستخفاف فما لعله الكبرى في ايمان بعظم الله تعالى
ما يقتضي الامكان والجمع بينهما محال الحكم الثاني انه يدل على بطلان قول من
يقول ان الكفر لا يدخل في اعمال القلوب الحكم الثالث يدل على ان قولهم
الذي صدر منهم كفر في الحقيقة وان كانوا منافقين من قبل وان الكفر الذي
يمكن ان يعتذر منه الكافر فرضا لا محالة الحكم الرابع يدل على ان الكفر انما حدث
بعد ان كانوا مؤمنين فلعل ان يقول ان القوم لما كانوا منافقين فكيف
يصح منهم ذلك قلنا اذا حكم بكفرهم بعد ايمان الذي اظهروه وفعال الصوف
ظهر كفرهم للموصوف بعد ان كتم عنه مسلمهم والجواب ان متقاربان بمعنى قال تعالى
ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وحد مسائل المسئلة الاولى اعلم

قوله بعد المنادقون ان يدل
على سبيل الاستهزاء
والم تعال لا على سبيل القطع
جاسه في معرفه هذه الآيه
على سبيل القطع والاستهزاء
واعتذروا عنه بانا انما
انما كنا نخوض ونلعب اي
ما بعد الحصر اذ لو لم يكن
شهر من حلبل لا يسهد العدو
قول في مايع مثل الماء والعلس
دي والمعنى انا كنا نخوض
ريق واحاديثهم الرسول صلى الله
سائل المسئلة الاولى
والاول يقتضي الاستحقار
لم على الاستهزاء ولكن
تعالى لانها قول المقصود
لمسئلة الثانية اذا تعالى
ان الاستهزاء بالله تعالى فلا بد
هو الاستهزاء بكتابه فان الله
الله فان اسما الله قد يشهزاء
السلام تعالى ستحاسبكم ربكم
فادعوني نعلمكم ودوا الذين
بدل الله البالغة لعل
لم ومقصودها قال بعض المسلمين
من المنافقين ذكر الله اما منعدا
بالفتح

ان يعفو نعذب بالنون وكسر الذال وطائفة بالنصب والمعنى انه تعالى حكى عن نبيه انه يقول
ان يعف عن طائفة بالذكر ونعذب طائفة بالتاء وحسن حذفها لدلالة الكشاف عن مجاهد ان يعف
عن طائفة على البناء للمفعول مع التاء على ما لم يسم فاعله الوجه الذكير لان السند اليه
الطرق كما يقول سير بالدابة ولا يقول سيرت الدابة واما تاويل قراءته وهو ان مجاهدا
لعله ذهب الى المعنى كانه قيل ان يرحم طائفة منكم فذلك هو غرضنا والحمد لله قراءة
العامة ان يعف عن طائفة بالذكر ونعذب طائفة بالتاء لانث المسئلة الثانية
ذكر المفسرون ان الطائفة كانوا اثنتي عشر رجلا وقال المفسرون كان دين الصاحك الضحوك حرم
الخمر على نفسه وحرضهم على الخمر فاغلظ فلان حرم ما عفى الله عنهما قال القاضي هذا يدل على ان الله تعالى
حكم على الطائفة بالعفو وانه تعالى لا يعفو عن الكافر الا بعد التوبة والرجوع
الى الاسلام وانما لا يعذب الكافر الا بعد اصراره على الكفر اما التائب عنه
فيرجع الى الاسلام فانه لا يعذبه فلذلك قوله تعالى انه يعفو عن طائفة ويعذب
الاخرى كان فيه اضمار ان الطائفة التي اخبر انه يعفو عنهم بالتوبة عن الكفر
ورجعوا الى الاسلام ولعل ولكل الواحد لما لم يبالغ في الطعن وكم بواقي العموم
في الذكر حذف بكفر الله تعالى وفقه للايمان والخروج عن الكفر ودل الدليل
على ان من خاض في عمل باطل فليجتهد في العمل فانه يرجى له ان يحكم الله تعالى ان
يتوب الله عليه في الكل المسئلة الثالثة قالوا الذي دل على ان الطائفة
كانوا ثلثة فوجهان يكون احدى الطائفة انسانا واحدا قال الزجاج
والطائفة في اللغة اصلها الجماعة لانها المقدار الذي يمكنها ان يطيف بالنبي
ثم يجوز ان يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
واقله واحد فما فوقه وفي جواز ان يسمى بعض الواحد بالطائفة وجهان الاول
ان من اخبار مدحها ونصرته فانه لا بد ان يعود نفعا عنه بالخير او كانه يطوف
عليه فتذب عنه من كل الجوانب فلا بعد ان يسمى كل الواحد طائفة فهذا اسد المالي
قال ابو اسحاق العرب توقع لفظ الجمع على الواحد وعلى خرج واحد الى ثلثة على الجمع
والله تعالى يقول الذين قال لهم الناس يعني نعيم مسعود المالث لعلهم يحذرون
الطائفة

الطائفة اذا اريد بها الواحد كون اصلها طائفا فزاد هل التاء عليه للمبالغة فمراده
تعالى علل كونه معذبا الطائفة الباقية بانهم كانوا مجرمين واعلم ان الطائفتين
لما اشتركا في الكفر وتعذيبهما اشتركا في الجرم والتعذيب يحسن بعدي الطائفة وتعليل
الحكم الخاص بالعلة العامة لا يجوز وايضا التعذيب حكم حاصل في الحال وقوله
كانوا مجرمين يدل على صدور الجرم عنهم في الزمان الماضي وتعليل الحكم الحاصل في الحال
بالعلة المتقدمة لا يجوز بل كان الاولى ان يقال انهم مجرمون واعلم ان الجواب
عنه ان هذا انما يلزم على ان يكون الطائفة الثانية كانت مخطئة واتوا من جنس الطائفة الاولى
موقع التعليل بذلك الجرم المخلط واضافته بعضهم على ان ذلك الجرم وان اشتهر ولم يزل
فاوجب التعذيب **قوله تعالى** المنافقون والمنافقات الى قوله هم الفاسقون
اعلم ان هذا اشرح نوع اخر من انواع قضايحهم وفضايحهم والمعصود بيان ان
اباءهم كذلك وهم في باب الاعمال المكتسبة والاخلاق المذمومة والمنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض اي في صفة النفاق كما يقول الانسان انا مني وابا مثل ابي او واحد
لامتناسبة فيه وبما ذكرنا في هذا الكلام ذكر بعض صيله فعال المامورون بالمعروف يدخل فيه كل
فيجب ان لا يخطر ببالك ههنا تخطئة الرسول وقوله وبهون عن المعروف يدخل فيه كل حسن
الا ان الاعظم هاهنا الايمان بالرسول والمعصوم لهم فلما عن كل ضد وقيل عن
كل خير واصل من زكاة وصدقة وانفاق في سبيل الله وهذا اقرب لانه تعالى
لابد بهم الامر بالواجب وندب الى فيه ترك الانفاق في الجهاد وفيه دلالة على تخلفهم
عن الجهاد والاصل في هذا ان المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء فجعل المنع
منع وبخل وقد نص عليهم فقال تعالى نسوا الله فنسيهم واعلم ان هذا الكلام
لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا اذا حملناه على النسيان على الحقيقة لما استحقوا
عليه ذما لان النسيان ليس في وسع البشر وايضا هو في حق الله محال فلا بد من
التاويل وهو من وجهين الاول معناه انهم تركوا امر حتى صار بمنزلة المنسي
فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وجاء هذا على مزاوجة الكلام
كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الثاني النسيان ضد الذكر فلما ترك
ذكر الله تعالى اياهم بالتعذيب والثناء عليه ترك الله اياهم بالرحمة والاحسان واما جيش

جعل النسيان كناية عن ترك الذكر لان من نسي شيأ لم يذكره فجعل اسم الملزوم كناية عن اللازم
ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون اي الكاملون في الفسق **قوله تعالى** وعد الله
المنافقين والمنافقات الى قوله واولئك هم الخاسرون ● اعلم انه تعالى لما بين من حال الكافرين
والمنافقات انه نصيبهم اي جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله اعقد هذا الوعيد
وضم المنافقين الى الكفار فقال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
حال كونهم فيها ولا شك ان النار المخلدة من اعظم العقوبات ثم قال هي حسبهم والمعنى
تلك العقوبات كافيتهم ولا اشتي ابلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها ثم قال ولعنهم
اي الحق عليهم تلك العقوبة الشديدة الاهانة والذم واللعن ثم قال ولهم عذاب مقيم
ولقائل ان يقول معنى العذاب مقيما وكونه خالدا واحد فكان هذا تكريرا
والجواب ليس ذلك تكريرا وبيان الفرق من وجهين الاول ان لهم
نوعا اخر من العذاب المقيم الدائم سوى العذاب بالنار والخلود المذكور اولا
يدل على ان العذاب النار دائم وقوله ولهم عذاب مقيم يدل على ان لهم مع خلود نوعا
اخر من العذاب ولقائل ان يقول هذا التاويل مستحيل لانه قال في النار المخلدة
وهي حسبهم وكونها حسبا مبني من ضم شيء الى شيء وحسبهم انها حسبهم
في الاعلام والاصعاد ومع ذلك فيضم اليه نوع اخر يأتي في بعدهم والذي ان المراد
بقوله ولهم عذاب مقيم العذاب العاجل الذي لا سفلي منهم وهو نار القاسوند من بعد
النفاق والخوف من اطلاع الرسول على خواطرهم وما يحذرونه ابدا من انواع الفضائح
ثم قال تعالى كالذين من قبلكم واعلم ان هذا رجوع من العبة الى الخطاب
وهذه الكاف المشبه وهو محل في وجهها الاول قال الفراء تقديره انتم كالذين
الذين من قبلكم والذين والمعنى انه تعالى شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا
قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات ثم انه تعالى
وصف اولئك الكفار بانهم كانوا اشد قوة من هؤلاء المنافقين في الاموال
والاولاد فاستمتعوا بحظهم من الدنيا ثم هلكوا وبادوا فانتم ايضا استمتعوا بحظكم من الدنيا
الدائم وانتم مع ضعفكم وقلة خيرات الدنيا عندكم اولى ان تكونوا هالكين
والوجه الثاني انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله تعالى لاجل

طلبا لذات الدنيا من قبلهم من الكفار ثم وصفهم تعالى بكثرة الاموال والاولاد بانهم
استمتعوا بحظوظهم واخلاقهم النصيب وهو ما طلق للانسان اى قدر له من خير كما
قيل قسم لانه قسم ونصيب لانه نصيب لانه ذكر تعالى انهم استمتعوا بحظوظهم وانتم
ايها المنافقون استمتعتم بخلاقكم كما استمتع اولئك بخلاقهم فان قيل ما الفائدة
في ذكر الاستمتاع باخلاق في حق الاولين ثم حكم ذكر في حق المنافقين بانهم دخلوا في حق
الاولين بما فعلتم العائد منه انه تعالى انما ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا
من خطوط الدنيا والاخرة بسبب استغراقهم في تلك الخطوط العاجلة فاشار تعالى
هذا الذم بعادته حال المنافقين بحالهم ويكون تلك حجة في المبالغة ويحتمل
ان يراد ان بعض الخلطة على وجه يقول انه مثل ما يكون بحال يحسن ذمهم
ويحذر من مثل موجب وان يفعل مثل ما فعلوه وبالجملة فالتكرير وجه الفائدة
والمراد بقوله تعالى استمتاعهم قول المنافقين لاولئك استمتعتم في خلاقكم في الدنيا وفي الاخرة
حتى تخلصوا من عذاب الاخرة بين حصول المشابهة بين الفريقين في تعذيب الاسماء وفي المكث
والطريقة والغدر بهم فقال وخضتم كالذي خاضوا قال الفراء يريد الخوض منهم
الذي خاضوا فالذي صفة مصدر محذوف دل عليه الفعل ثم قال تعالى
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اى بطلت حسابهم في الدنيا بسبب الموت والعقر
والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وفي الاخرة بسبب انهم لا يثابون
بل يعاقبون اشد العقاب اولئك هم الخاسرون حيث اعطوا نعيمهم في الرد على
الانبياء والرسل فاوجد فامنة الاقوى للخسران في الدنيا والاخرة والاعظم العقاب
في الدنيا والاخرة والمقصود انه تعالى شبه حال اولئك المنافقين بحال الكفار
من اهل الكتاب لتحصل لهم الاحباط الاعمال والالحاق والخسران ومعلوم ان كانوا
اقوى من هؤلاء المنافقين واكثر اموالا واولادا منهم فهؤلاء المنافقون المشاركون
لهم في هذه الاعمال القبيحة اولى ان يكونوا واقعين في عذاب الدنيا والاخرة محرومين
من خيرات الدنيا والاخرة قوله تعالى الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم الى قوله كانوا انفسهم
يظلمون اعلم ان الله تعالى لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في الرعد
في الدنيا وفي تعذيب الاخرة والمبالغة في ايذائهم بين اولئك الكفار من هم فذكر هؤلاء

قوله تعالى وعد الله

قال لهم قوم نوح والله اهلكهم بالاغراق وبهم عاد والله تعالى اهلكهم بارسال الريح
العقيم عليهم وبالثمود والله اهلكهم ارسال الصيحة والصاعقة
ودابرهم تولى امرهم اهلكهم الله بسببها معه عنهم ولا نه يروى فى الاخبار انه
تعالى سلط البعوضة على دملج نمرود وحسامهم قوم شعيب هم اصحاب
مدين وتعالى انهم من ولد مدين ابراهيم والله تعالى اهلكهم بعذاب يوم الظلة
والمؤتفكات قوم لوط اهلكهم الله بان جعل عالى ارضهم سافلها تعالى
افكه فاسفك الى قلبه فانقلب وعلى هذا القياس فالموتفكة جاءت صفة الارض
وقيل ابنا كهم تعالى بالحجارة من الخسف الشر اولا واعلم ان الله تعالى ما ذكر فى الآية
الا ما تهم بنا الذين من قبلهم وذكر هذه الطوائف الستة وانما ذكر لانه انا بهم
ناهولا ان سمعوا اخبارهم الاخبار من اخلق وتارة لاجل ان بلادهم الطوائف
وهى بلاد الشام فربما من بلاد العرب وقد بعثنا انا بهم مساكنهم وقوله الم
انا بهم وان كان فى صفة الاستفهام الا ان المراد هو التقرير اى انا بهم ناهولا
الاقوام ثم قال فهولا انهم رسلهم وهو راجع الى هولا الطوائف ثم قال انهم
رسلهم بالبينات اى بالمعجزات ولا بد من اضمار فى الكلام والتقدير وكذبوا
فعجل الله هلاكهم ثم قال فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
والمعنى ان العذاب انما وصله الله اليهم ما كان ظلما من الله لانهم
استحقوه بسبب فعالهم القبيحة وما بعثهم فى تعذيب اسلافهم لكانوا
ظلموا انفسهم قال المعتزلة دل هذه الآية على انه تعالى لا يصح منه فعل الظلم
والا لما حسن التمدح به ودل على انه لا يظلم البتة ودل ايضا على انه تعالى
لا يخلق الجور فى الكافر ثم يعذبه عليه ودل على ان فاعل الظلم هو العبد وهو
قوله ولكن كانوا انفسهم يظلمون وهذا الكلام قد مر ذكره فى هذا الكتاب
مرارا فلا حاجة الى الاعادة **قوله تعالى** والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعمرون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون
الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ٥ اعلم انه تعالى لما بالغ فى وصف
المنافقين وفى الاعمال القبيحة والافعال الخسيسة تردف ذلك بصفة انواع الوعد

فرع

من حيثهم في الدنيا والاخرة ذكر بعد هذه الاية كون المومنين موصوفين بصفات الخير واعمال
البر على ضد صفات المنافقين ثم ذكر بعد هذه الاية انواع ما اعد الله لهم من الثواب
الدائم والنعيم المقيم فاما صفات المومنين فهي قوله والمومنون والمومنات بعضهم
اولياء بعض فان قيل ما العائد في انه تعالى قال في صفة المنافقين والمنافقات بعضهم
من بعض وههنا قال في صفة المومنين والمومنات بعضهم اولياء بعض
ولم يذكر في المنافقين لفظة من وفي المومنين لفظة اولياء قلنا قوله في صفة
المنافقين بعضهم من بعض يدل على ان نفاقهم لاتباع وكفرهم حصل بسبب التقليد
لاجل ذلك ذكر بروسبب مقتضي الهوى والطبيعة والعادة اما الموافقة
الحاصلة بين المومنين فما حصلت بسبب الميل والعادة بل بسبب المشاركة في الدلائل
والتوفيق والهداية ولهذا السبب قال تعالى في المنافقين بعضهم من بعض وفي
المومنين بعضهم اولياء بعض واعلم ان الولاية ضد العداوة وقد ذكرنا فيما تقدم
ان الاصل في الولاية القرب وتاكده ان ضد الولاية هو العداوة والبغضة
العداوة مما خودة من عدا الشيء اذا جاوزه واعلم انه تعالى لما وصف المومنين
بكون بعضهم اولياء بعض ذكر بعد ذلك ما هو المفسر والشرح له فقال يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله فذكر
هذه الامور الخمسة التي هي ضد امور المومنين من المنافق على ما وصفه الله تعالى
في الاية المتقدمة يامر بالمنكر وينهى عن المعروف والمومن بالضد منه والمنافق يبخل
لا يقوم الى الصلاة الا مع نوع من الكسل والمومن بالضد منه والمنافق يبخل
بالزكاة وسائر الواجبات كما قال ويمنعون الماعون والمومنون يوتون الزكاة
والمنافق اذا امر برسوله بالمسارعة الى الجهاد فانه يحلف بنفسه ويشط صريح
جاء وسنه الله بذلك والمومنون بالضد منهم وهو المراد بقوله في هذه الاية ويطيعون
الله ورسوله بعد لما ذكر صفات المومنين بين انه كما وعد المنافقين بالاخزاء وعد
المومنين بالرحمة المستعملة على ثواب الاخرة فقال سيرحمهم الله وذكر حرف السين
في قوله سيرحمهم الله للتوكيد والمبالغة كما تؤكد الوعد في قولك سافعل
مثل يوما تعني ايذانا بوعد وان بطاء ذلك ونظيره قوله ستجعل لهم الرحمن ودا

ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يعطيهما جوزيهم ثم قال ان الله عز وجل ولذلك توجب
المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمنع من يريده في عباده من رحمة او
عقوبة والحكيم هو المدبر امر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب **قوله تعالى**
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم اعلم انه تعالى
لما ذكر الوعيد في الآية الاولى على سبيل الاجمال ذكر في هذه الآية على سبيل
ذلك لانه تعالى وعد بالرحمة المؤمنين وفي هذه الآية ان الله لم يرحمه في هذه الآية
قال لها قوله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها والاقرب انه تعالى
اراد بها البساتين التي تشاهد لها المناظر لانه تعالى قال بعده ومساكن طيبة
في جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه ويكون
مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين وتكون قائمة وصفها
بانها عدن انها تجري مجرى الدار التي يسكنها الانسان واما الجنان الاخرى وهي
جارية مجرى البساتين التي قد ذهب الانسان انها لاجل البرد وملاقات الاحباب
وابهما قوله ومساكن طيبة في جنات عدن قد كثر كلام اصحاب الاثار
في صفة جنات عدن قال الحسن سالت عمران بن الحصين وابا هريرة عن قوله ومساكن
طيبة فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قصر من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء كل دار سبعون بيتا من زمرد
خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش
سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة
في غداة واحدة ما يأتي على ذلك اجمع وعن ابن عباس انها دار الله التي لم ترها عين ولم
تخطر على قلب بشر وقول لعل ابن عباس انها دار المتعبدين عند الله فانه كان
اعلم الناس بذلك وعن ابي هريرة قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها
قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها الدر والياقوت
وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبوس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وقال
ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة قال الاوزاعي بطنانها وسطها وبطنان الجزيرة

المواضع التي يسمع فيها المسئل ليجدها بطل وقال عطا عن ابن عباس هي وسط الجنة
وسقفها عرش الرحمن ومنها المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وائمة الهدى وسائر
الحسان حولها ومنها عين التسنيم ومنها قصور الدر والياقوت والذهب مهب ريح
طيبة من تحت العرش فيدخل عليه فتأتي المسك الاذفر فيقال لعبد الله بن عمرو بن العاص
الحمد فصار اسمه العدن حولها الروح وله خمسة آلاف باب على كل باب
خمسة الوصيف لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وقول ملخص الكلام
ان في جنات عدن قولين احدهما انه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذا هو الاختيار
والآثار التي ذكرناها تقوي هذا القول فاصاحب الكشاف وعدن علم لدليل
قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب والقول الثاني انه صفة
للجنة قال الازهري العدن ما جود من قولك عدن بالمكان اذا اقام به تعدن
عدونا وتيعدن تعدنا ان يكون عدن اسما وهو ان يلزم المكان
فيما لغة ولا ينزح وسمي المعدن معدنا لانه كالذي يعلق الجواهر فيها اي يلزمها
فيها ويسقيها فيها والعاملون بها الا ستعانة لجنات عدن
والوعد الثالث من المواعيد التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية قوله
ورضوان من الله اكبر والمعنى ان رضوان الله اكبر من كل ما سلف ذكره
واعلم ان هذا هو البرهان القاطع على ان السعادات الروحانية اشرف
واصفى من السعادات الجسمانية وليس
الامر كذلك بل عليه بطلانه واصفى الابتهاج والسعادة لذاته من غير
ان يتوسل به الى مطلوب اخر والدليل على بطلان ما ذكره وسيلة الى شيء لا يكون
لذاته مرادا لذي المقصود فلو كان المقصود من رضوان الله ان يتوسل به الى
اللذات الجسمانية لكان ما عدها الله في الجنة من اللذات الجسمانية والمشارب
اشياء حاصلة الوسيلة ولكانت الابتهاج بسبب اللذات اشياء بالمقصود
وقد ذكرنا ان الابتهاج بالوسيلة لا يمكن ان يكون اكمل حالا من الابتهاج بالمقصود
وحينئذ يكون رضوان الله اقل حالا ودون مرتبة من الفوز بالجنات والمساكن
الطيبة لكن الامر ليس كذلك لقوله تعالى نص على ان الفوز برضوان اعلى

واعظم وجل واكثر وجود الدليل قاطع على ان السعادات الروحانية اكمل واشرف من
السعادات الجسمانية واعلم ان المذهب الصحيح الحق وجوب الاقرار بهما معا جميع الله
بينهما في هذه الآية وبما ذكر الله تعالى هنا لامور الثلاثة قال الله هو الفوز العظيم
وفيه وجهان الاول ان الانسان مخلوق من جوهرين لطيف علوي روحاني وكثيف
سفلي جسماني وانضم الى هذا حصول سعادة وسفاوة فاذا حصلت الحالة الجسمانية
وانضم اليها حصول السعادات الروحانية كان الروح فائزا بالسعادات الثلاثة
بحاوالجسد مائلا الى السعادات الثلاثة بحاوذا لك هو الفوز العظيم
الثاني اي انه تعالى من وصفة المنافقين انهم لشهوا بالكفار الذين كانوا
قبلهم في التنعم بالدنيا وطيباتها فبين انه تعالى وصف في هذه الآية ثواب المؤمنين
ثم قال ذلك هو الفوز العظيم والمعنى ان هذا هو الفوز العظيم لا ما
يطلبه المنافقون والكفار من التنعم بطيبات الدنيا وهو ويروى انه
تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم يعط احدا من خلقك فيقول اما اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من
ذلك قال ادخل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا واعلم ان قوله هذا الحديث
على ان السعادات الروحانية افضل من الجسمانية لدلالة الآية وقد يعلم بقرينة
على الوجه الكامل ۞ قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ۞ واعلم انا ذكرنا انه تعالى لما
وصف المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بانواع العقاب وكان ربما ظن ظان
ان تعالى في هذا الكتاب الكريم حيث ما ذكر الوعد مع الوعيد لاجرم ذكر
عقيبه وصف المؤمنين بالصفات الاربعة الظاهرة الطيبة ووعدهم بالثواب
الرفيع والدرجات العالية عاد بعد ذلك الى شرح احوال الكفار والمنافقين
في هذه الآية فقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين وفي الآية سؤالان
وهو ان الآية تدل على مجاهدة المنافقين وذلك غير جائز فان المنافق هو الذي
يستر كفره ويكتم بلسانه ومتى كان الامر كذلك لم يجز محاربته ومجاهدته
واعلم ان الناس ذكروا اقوالا لاستيعاب هذا الاشكال فالقول الاول ان

الجهاد مع الكفار وتغليظ القول مع المنافقين وهو قول الصحاك وهو بعد لان ظاهر
قوله واغلظ عليهم راجع الى الفريقين القول الثاني انه تعالى لما امر الرسول
عليه السلام بامور بان يحكم بالظاهر وقال له السلام نحن نحكم بالظاهر والقوم كانوا
يظهرون الاسلام ويضمرون الكفر وكانت المحاربة معهم ممتنعة وان اموالهم
وهو الصحيح ان الجهاد مباح عن عمل الجهد والمس في اللغة ما يدرك على ان دلك الجهاد
بالسيف او باللسان او بطريق اخر فنقول ان الاية تدل على وجوب الجهاد
مع الفريقين فاما كيفية ذلك الجهاد فلعل الاية لا تدل عليها بل اما تعرف من دليل
اخر واذا ثبت هذا فنقول دلالة الاية المنفصلة على ان الجهاد مع الكفار
يجب ان يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة كان ويترك الرفق بهم بالاغلاظ
ثانيا قال عبد الله في قوله جاهد الكفار والمنافقين ان الله يقاتل الكفار باليد وان
لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبالقلب وحمل الحسن جهاد المنافقين على
اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها قال القاضي هذا ليس بشيء لان اقامة
الحدود واجبة على من ليس بمنافق ثم قال واما قال ذلك الحسن لاحد امرين اما لان عمل فاعل
منافق وليما لاجل ان الغالب ممن يعلم عليه الحد وهو من الرسول عليه السلام بما كانوا يسافقون
قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا الاية قوله من وال ولا نصير اعلم ان هذه الاية تدل
على ان قوما من المنافقين قالوا كلمات فاسدة ثم لما قيل لهم انكم ذكرتم هذه
الكلمات حلفوا وحلفوا انهم ما قالوا والمفسرون ذكروا في اسباب النزول وجوها
الاول انه عليه السلام لما رجع من غزوة تبوك سمع عن جلسائه الذين كانوا يعيبون عليه
المنافقين المجلس فقال الجلاس لئن كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعها عامر بن قيس الانصاري
فحلفا عليهم وقال بلى والله ان محمدا لصادق وانكم لشر من الحمار وبلغ ذلك الرسول فاستحضر الجلاس فحلف بالله ما قاله فبرأه عامر بذلك فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك
تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت هذه الاية فقال الجلاس انه ذكر الله التوبة
في هذه الاية ولعله ظلت هذا الكلام وصدق عامر فقام الجلاس وجاء الى رسول الله وحلف
انه ما قال ما نقل عنه وعبد الله يرى ما قال ثم رجع الى المدينة فخرج الاعرج الى الاول

واراده الرسول عليه السلام فسمع زيد ارقم ذلك وبلغه الى رؤس الله فهم عمر بقتل الذين
ان ابن ابي يا عبد الله وحلفا انه لم يقل فنزلت هذه الآية الى آخرها روى قتادة ان رجلين
اقتتلا احدهما من جهينة والآخر من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله
ابن ابي يا لبني الحوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قيل سمن كلبك يأكلك
فذكروه للرسول صلى الله عليه وسلم فانكر عبد الله وجعل يحلف فقال العاصي بعد ان
يكون المراد من الآية هذه الوقايع وذلك لان قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر الى آخر الآية كلها صيغ الجموع وحمل صيغة الجمع على الواحد
خلاف الاصل فان قيل العلة ذلك الواحد فالشيء محتمل ورضي بعد القول ولا
هذا ايضا خلاف الظاهر لان اسناد القول الى من سمعه ورضي بعد خلاف الظاهر
ع وقال بل الاولى ان يحمل هذا الجمع على ما روي ان المنافقين هموا بقتله عند رجوعه
من تبوك وهم خمسة عشر رجلا تعاهدوا ان يدفعوه عن راحلته في العقبة الوادي اذا سلم
النبي ﷺ بالليل وكان عمار ان ياسر اخذ بخطام راحلته وحذيفة خلفها يسوقها
فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح والمغفر فاذا قوم متلثمون
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا والظاهر انهم لما اجتمعوا لذلك العزم
فقد طعنوا في نبوته وسعوا الى الحد بعد التضلع في ادعاء الرسالة وذلك هو موجب
كلمة الكفر وهذا القول هو اختيار الزجاج فاما قوله ولقد قالوا بعد اسلامهم
ولقائل ان يقول انهما اسلموا فكيف يليق بهم هذا الكلام والجواب
من وجهين الاول المراد من الاسلام الذي هو ضد الكفر بالله لما ما قالوا فقد اظهروا
الاسلام وجيئوا اليه فاذا جاهروا بالحرب فحينئذ يظهر والباطن انهم اظهروا الكفر
بعد ان اظهروا الاسلام واما قوله وهموا بما لم ينالوا فالذي اظهروا على العلانية
بالرسول عليه السلام والله تعالى اخبر الرسول عليه السلام اصرارهم ولم يصلوا الى مقصودهم
واما قوله وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فعند بعضهم
الصحيح الاول لان هذا الفعل وهو ان هؤلاء المنافقين كانوا
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا
يحرزون الغنيمة ولا عدة ولا سلاح فلما قدم النبي ﷺ المدينة لاحت لهم الغنائم وفازوا بالاموال ووجدوا الدولة

ولذلك

وذلك يوجب عليهم ان يجتهدوا في ان يحتملوا من ذلك الامر والمال لاجله والمعنى انه قبل للحلاس من معك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدينه اني عثرت الفاء فاسعى على البحث المعنى ان قوله وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله نتيجة على انه ليس هناك شيء يسمونه منه وهذا كقول الشاعر

وما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون اذ غضبوا

وكقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

احاليس فيهم عيب ما لا تعالى ان يتوبوا يك خيرا لهم والمراد استعطافهم وحثهم بعد ما صدرت الخيانة العظيمة منهم وليس في الظاهر الا انهم ان يتوبوا فازوا بالخيرين فاما انهم تابوا فليس لاحد ان يقدح في توبتهم الحلاس عن ما لا وان تولوا عن التوبة بعدهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة فمعلوم واما العذاب في الدنيا فقيل المراد به ما ظهر عنهم عن الناس صار دائما مثل اصل العرب فصل فيما لهم وعيالهم وسبي اولادهم وازواجهم واقسام اموالهم وقيل انما سلبهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل المراد عذاب القبر وما لهم في الارض من ولي ولا نصير يعني ان عذاب الله اذا حق لم يمنعه ولي ولا نصير **قوله تعالى** ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين لما مر له وان الله علم العموم اعلم ان هذه السورة اكثر ها في شرح احوال المنافقين ولاسلافهم اضاف واقسام بعضهم السبب كرهم على التفصيل ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من يلمزك في الصدقات ومنهم من يعود ان يحلف بالله لكم ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله قال بعضهم ان الذي يعلنه ربط اعنه بالسلام ملحقه بسلف محلف بالله وهو واجب معصوم عن البر الا قضا الى ان اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين والمشهور في سبب نزول هذه الاية ما روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا منها فجعل

فجعل يصلي الظهر وترك ما بقي ثم تمادى حتى ترك الصلوات الا الجمعة ثم ترك
الجمعة وطفق يلقى الركبان يسئل عن الاخبار وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه فاخبر بحين مقالته وما يرجى تقلبه وبما قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها فبعث اليه وطهره وقال مرة اخرى تقبله مني صدقته فقال انما انا
الجزية او اخت الجزية فلم يدفع الصدقة فانزل الله ومنهم من عاهد الله فتقبل له فانزل
الله فلك بحذا وبحذا فاتى الرسول عليه السلام رسالة ان يقبل صدقته فقال
ان الله منعني من قبول صدقتك فجعل يحثي على راسه التراب فقال عليه السلام فهذا
لك بما اطعتني فرجع الى منزله وقبض رسول الله ثم اتى ابا بكر بصدقته فلم يقبلها
ابتدا الرسول عليه السلام فلم يقبلها عمر اقتدا بابي بكر ثم لم يقبلها عثمان
لعمر وهلك ثعلبة في خلافة عثمان فان قيل ان الله تعالى امر باخراج الصدقة
كيف يجوز من الرسول عليه السلام ان لا يقبلها منه قلنا لا يبعد ان يعلم
الله تعالى منع الرسول عليه السلام من قبول الصدقة منه على سبيل الاهانة
بل يعتبر غيره به ولا يمنع عن اداء الصدقة ولا يبعد انه انما اتى بتلك الصدقة
على سبيل الرياء على وجه الاخلاص واعلم الله الرسول عليه السلام ذلك فلم يقبل
تلك الصدقة لهذا السبب ويحتمل ايضا ان الله تعالى لما قال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم وكان هذا امرا حاصلا في ثعلبة مع بقائه فهذا السبب امتنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اخذ تلك الصدقة المسلة الباقية ظاهرا لانه دال على بعض
المنافقين عاهد الله في انه لو اتاه الله مالا لصرفت بعضه الى مصارف الخيرات فبين انه
تعالى اتاه المال وخذل الانسان ما وفى بذلك العهد وههنا سؤالان السؤال
الاول المنافق كافر والكافر لم يعاهد الله والجواب المنافق قد
يكون عارفا بالله الا انه كان مكذبا نبوة محمد عليه السلام فلكونه عارفا
بالله يمكنه ان يعاهد الله ولكونه منكرا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
كان كافرا ولقائل ان يقول ذاك واكثر اهل العلم مقرون بوجود الصانع العالم
القادر ويقال في اصناف الكفار من يكون ذاكرا لكل معترفا بانه تعالى
هو الذي يقدر على الانسان ابواب الخير ويعلم انه يمكن التقرب اليه بالطاعات

فاعمال البر

ك الصلوات الا الجمعة ثم ترك
ال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ن اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
ته وعدد الخصال فيها ما هي
سهم من عاهد الله لئن فعل له لنصدقن
وسأله ان يجعل صدقته مقبولة
ثواب فقال عليه السلام قد قبلت
ا بكر تصدقه فلم تقبلها
ذا آتاني بكر ثم لم تقبلها عثمان
ا ان الله تعالى امرني باخراج الصدقة
سه قلت لا بعد ان يعاد
صدقته منه على سبيل الاهانة
د سمعنا انه انما اتى بقليل الصدقة
سول عليه السلام حتى علم ان يعمل
ا فاخذ من اموالهم صدقة تطهرهم
ه هذا السبب اسمع رسول الله
ه ظاهر الآية يدل على ان بعض
صفه الى مصارف الخيرات بعد انه
وهما سوالا ان السوال
الله والحرمان المنافي قد
يه السلام فلكونه عارفا
سوء محمد صلى الله عليه وسلم
ما مقرون بوجود الصانع العالم
كل مبعبرون بانه تعالى
عن التقرب اليه بالطاعات

واعمال البر والاحسان الى الخلق فهذه امور متفق عليها من الكتابيين والمسلمين فعاهد
حين عاهد الله بهذا العهد صار منافقا فلفظ الآية مشعر بما ذكرناه حيث قال
فاعقبهم نفاقا فالسوال الثاني هل من شرط هذه المعاهدة ان يحصل اللفظ
بها باللسان او لا حاجة الى اللفظ حتى لو نواه بقلبه دخل تحت هذه المعاهدة الجواب
منهم من قال كل ما دل باللسان او لم يدل ولكن نواه بقلبه فهو داخل في هذا
العهد روى عن المعتمر بن سليمان قال اصابنا ريح شديدة في البحر فجعل قوم منا ينوعا
من النذور ونعتنا ناسا وما تكلمنا به فلما قدمنا البصرة سالت اياس معاوية حتى
قد به وقال اصحاب هذا القول ان قوله ومنهم من عاهد الله لئن كان شيا نووه في
انفسهم الا ترى انه تعالى قال الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وقال
المحققون هذه المعاهدة مقيدة بما اذا حصل اللفظ بها باللسان والدليل
عليه انه عليه السلام انه قال ان الله قد عفى عن امتي ما حدثت به نفوسهم ولم يتكلموا
به لفظ هذا معناه وايضا نقول قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله
اخبار عن تكلم هذا القول وظاهر يشعر بالقول باللسان ليتوال الثاني
قوله لنصدقن المراد منه اخراج مال ثم ان اخراج المال على قسمين قد يكون واجبا
وقد يكون غير واجب فالواجب قسمان قسم وجب بالزام الشرع ابتداء كاخراج
الزكاة الواجبة واخراج النفقات الواجبة وقسم لم يجب الا اذا الزمه العبد على نفسه
نفسه مثل النذور وما اشبهها وهذه الاقسام اللاثة تقول فلنصدقن
هل يتناول الاقسام اللاثة وليس الامر كذلك والجواب فلما اعطاهم من فضله
التي لا تكون واجبة فعرفنا حاله بهذه الآية والدليل على انه تعالى وصفه
لقوله فلما اتاهم من فضله عبارة عن ايتاء الواجبة ايضا انه تعالى ذمهم
هذا البخل وتارك المندوب لا يستحق الذم والعصيان الثاني وهو الذي يجب بالزام
الشرع وهو داخل تحت الآية لما قلنا وهو مثل الزكوات والمال الذي يحتاج
اليه في النفقات الواجبة معنى يعقل هل يدل هذه الآية على ان ذلك القائل كان
قد الزم اخراج مال على سبيل النذر فالاظهر ان اللفظ لا يدل عليه لان الذكور
في اللفظ ليس الا قوله لئن اتانا من فضله لنصدقن وهذا اشعار بالنذر فان الرجل

قد تعاهدوه في ان يقوموا بما لزمه من الحقوق الواجبة ان وسع الله عليه فزاهدا
على ان الذي لزمهم انما لزمهم بسبب هذا الالتزام والرعاية لا لزم بسبب هذا الالتزام
وانما لزم بسبب حال الغياب وطول الحول على ما قوله الصدقة لمن وجبت عليهم يعطون
ذلك على الفور لان هذا اخبار عن ايتاء هذا الفعل في المستقبل وهذا المقدر
لا يوجب الفور كما انهم قالوا الصدقة في وقته كما قالوا والمعنى من الصالحين
اي في اوقات لزم الصلاة فخرج من التقرير الذي ذكرنا ان الداخل تحت هذا العهد اخراج
الاموال التي يخاطب اخراجها مقتضى الزام الشرع ابتداء وتما يجد ذلك بما روينا ان
هذه الاية انما نزلت في حق من امتنع من اداء الزكاة وكما انه تعالى بين من حال
هؤلاء المنافقين انهم كما انا نقول الرسول من المؤمنين وبعد ذلك ما نصوا بهم
فيما تعاهدوه عليه ولا يفون بما تقولوا في العهد رض منه المبالغة في
وصفهم بالنفاق واعتبر هذه الفصول من كلام العاصمي رحمه الله عليه
السؤال الرابع ما المراد من الفضل في قوله لئن اتانا من فضله فالجواب
المراد انه اتانا المال اي طريق كان بطريق التجارة او بطريق الاستغنام او بغيرها
السؤال الخامس كيف استحق لتصدقن الجواب قال الزجاج
الاصل لنتصدقن فادغمت النون في الصاد لقربها منها قال الليث
المصدق المعطي والمتصدق السائل قال الاصمعي والفراء هذا خطأ فالمتصدق
هو المعطي والله تعالى يتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين السؤال السادس
ما المراد بقوله ولنكونن من الصالحين الجواب الصالح ضد المفسد للعمل
عبارة عن كل ما لزمه في التكليف قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ثعلبة قد عاهد الله
تعالى لئن صح عليه ابوال الحنطة ليصدقن ولنحجن واقول هذا التعهد لا دليل
عليه الا قوله لنصدقن فانه اشارة الى اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن
من الصالحين اشارة الى اخراج كل ما يجب اخراجه على الاطلاق ثم قال تعالى
فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون وهذا يدل على ان الله تعالى وصفهم
بصفات يلزمه الصفة الاولى البخل بما ان عن منع الحق والصفة الثانية
التولي عن العهد والصفة الثالثة الاعراض عن طاعة الله وامر ثم قال

فاعقبهم

فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه وفيه مسايل المسئلة الاولى ان قوله
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم لا بد من اسناده الى شيء يعقل وكل ما يعقل فكل
والمعاهدة والصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض ولا يجوز اسناد
اعقابهم النفاق الى المعاهدة والصدق والصلاح لان هذه الثلاثة اعمال الخير ولا
يجوز معللها موثرة في حصول النفاق بيان ان المعروف هو حصول او ترك الواجب
لا يجوز ان يكون موثرا في حصول الجهل في العلم اما اولا فلان ترك الواجب
عدم والجهل وجود والعدم لا يكون موثرا في الوجود واما ثانيا فلان هذا البخل
والتولي والاعراض قد يوجد في حق كثير من النفاق مع انه لا يحصل معه
النفاق واما الثالث فلان هذا الترك لو اوجب حصول الكفر في العلم لكان وجه
سببا كان هذا الترك حابرا شرعا او كان محرما شرعا لان سبب اخلاف الحكام
الشرعية لا يخرج المؤثر عن كونه مؤثرا واما الرابع فلانه تعالى قال بعد هذه
الاية بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلو كان فعل الاعمال
مستندا الى البخل والتولي والاعراض لصار تعذيرا الاية فاعقبهم نفاقا
واعراضهم نفاقا في قلوبهم بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
وذلك لا يجوز لانه مروي بالتواتر وحصول النفاق في القلب لسبب التولي
ومعلوم انه كلام باطل فثبت بهذا ان الوجه انه لا يجوز اسناد هذا الاعقاب
الى شيء من الاشياء التي تقدم ذكرها الا الى الله سبحانه فوجب اسناده الى الله فصار المعنى
ان الله تعالى هو الذي يعقب النفاق في قلوبهم وذلك يدل على ان خالق الكفر في العلوب
هو الله تعالى وهذا هو الذي قاله الحاج ان معناه انهم لما اخلفوا في الماضي وهو تعالى
اعلم بما يكون في المستقبل والذي يوكد القول بان قوله فاعقبهم نفاقا مسند الى الله
جل ذكره انه قال الى يوم يلقونه والضمير في قوله تعالى يلقونه عائد الى الله تعالى
قال القاضي المراد من قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فاعقبهم العقوبة
على النفاق وتلك العقوبة هي حدوث الختم في قلوبهم وضيق الصدر وما سالهم من
الذل والغم ويدفع ذلك بهم الى الكفر قلنا هذا بعيد لانه عدول عن الظاهر
من غير حجة والاشبه فاردان الدلائل العقلية دلت على ان الله تعالى لا يخلق الكفر

قال المناد لا يلبهم بدلا جل عقلك لو وضعت على الجبال الراسيات لاندكت المسئلة الثالثة
قال الليث يقال اعقبت ولا ندامة اذا صرت عاقبة امرك الهذلي
اودى بني واعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة لا تقلع
ويقال اكل فلان اكله اعقبه سقما واعقبه الله خيرا وحاصل الكلام فيه انه
اذا حصل بعد عقيب شيء اخر يقال اعقبه الله المسئلة الثالثة ظاهر هذه
الاية تدل على ان بمجرد العهد وحلف الوعد يورث النفاق فيحتج على المسلم ان يبالغ
في الاحتراز عنه فاذا عاهد الله امرا فليجتهد في الوفاء به وذهب الحسن البصري
انه لو حصل النفاق لا محالة وتمسك فيه بهذه الاية وبقوله عليه السلام ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مومن اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا ائتمن خان وعن النبي عليه السلام لعن الله اربعا الفسل لعنهم
الله اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا ائتمنتم فلا تخونوا
وكفوا ايديكم وابصاركم وفروجكم عن الحرام وفروجكم عن الحرام وفروجكم عن الزنا قال عطا ابن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله انه صلى الله
عليه وسلم انما ذكر قوله ثلاث من كن فيه فهو منافق في المنافق خاصة الذين حدثوا
النبي فكذبوهم وائتمنهم على سر فخانوه ووعدوا ان يرجعوا معه فاخلفوه وبقول
ابن عمر بن عبيد في شرح الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى رسوله
واذا وعد اخلف كما فعل الله بهم عاهدوا الله واذا ائتمن على دينه لله خان والسر
وخان قلبه على خلاف لسانه ويقال ان واصل عطا ورابي الحسن يخالفان له
ان اولاد يعقوب كذبوا في قولهم اكله الذئب وكذبوا ووعدوا في قولهم
وانا له لحافظون واخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل يحل بكونهم
منافقين قيل هو موقوف الحسن فمذهبه المسئلة الرابعة قوله الى يوم يلقونه
يدل على ان الله تعالى اهدمات منافقا وهذا ظاهر ومع هذا ظاهر مطابقا له فانه روي
ان بعضهم اتى النبي عليه السلام تصدق فقال الله منعني ان اقبل صدقتك
وبعضهم بل الحالة وما قبل صدقته حتى مات فدل على ان مجرد هذا الخبر وقع موافقا
فكان اخبارا عن الغيب فكان معجزا المسئلة الخامسة قال الجباي ان المشبهة
لم يرضوا

والناجي بما بدهم مع علمهم بانه تعالى يعلم دلك من حالهم كما يعلم الظاهر وانه تعالى عليه
كما يعاقب على الظاهر ثم قال والله علام الغيوب والعلام مبالغة في العلم
والغيب ما كان غائبا عن الخلق والمراد انه تعالى لذاته يقتضي العلم بجميع الاشيا
موجبا ان يحصل له العلم بجميع المعلومات فيجب كونه عالما بالصمائر والسرائر
وبعض من لا يحسن الاحتفاظ منه وبطن علام الغيوب بهمزة قول على عليه السلام
انكل امرئ على ما فاته من علام الغيوب عاما وصفه الله بالعلامة فانه كون لانه مبالغ موضوع لكثير
فيما يعلم والذي كلفه في حق الله محال **قوله تعالى** الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم
ولهم عذاب اليم اعلم ان هذا نوع اخر من اعمالهم القبيحة وهو انهم من بأبى الصدقات
طوعا وطبعا قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم
وحث على ان يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال
امسكت لعيالي وهذه الاربعة الاف اقرضتها لربي فقال بارك الله لك فيما اعطيت
وفيما امسكت فبلغ الله دعا الرسول فبقي صالحت امرأته ملخرمة بن نوفل على ثمانين الفا
وجاء عمر بنحو ذلك وجاء عاصم بن عدي الانصاري بسبعين وسقا من تمر الصدقة وجاء عثمان
وجاء بنحو ذلك وجاء عاصم بن عدي الانصاري بسبعين وسقا من تمر الصدقة وجاء عثمان
ان عثمان تصدق بعطية وجاء ابو عقيل بصاع من تمر وقال اجرت الليلة الماضية بنصي من الماء
لارسال الماء الى نخله فاخذت صاعين من تمر فلسبعتا احدهما لعيالي واقرضت الاخر
لربي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فقال المنافقون على وجه الطعن
ما جاء ابو عقيل بصدقتهم الا رياء وسمعة واما ابو عقيل فانما جاء بصاعه لبدل مع سائر
الاكابر والله غني عن صاعه فانزل الله تعالى هذه الاية والكلام في لمز المطوعين
معين عند قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات والمطوعون المتطوعون والتطوع الفعل
وهو الطاعة لله تعالى مما ليس بواجب وسمي الدعاء الى الطاعة قربة والجهد
قال الليث الجهد بالضم لغة اهل الحجاز والفتح اهل نجد وعلى ابن السكيت عكسه العرف فيهما
قال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح اهل نجد وعلى ابن السكيت عكسه العرف فيهما
فقال الجهد الطاقة يقول هذا جهدي اي طاقتي فلي الفتح اذا عرفت هذا فالمراد بالمطوعين

في

في الصدقات ولكن الاعمال الذين اتوا بالصدقات الكثيرة وبقوله والذين لا يجدون الا
جهدهم ابو عقيل حيث جاء بالصاع من التمر ثم على هذا المنافقون انهم لم يسخروا منهم
ثم بين ان الله سخر منهم واعلم ان احراج المال لطلب رضاء الله قد يكون واجبا كما
في الزكوات وسائر الانفاقات الواجبات وقد يكون نافلة وهو المراد من هذه الاية
في الكفارات وسائر الانفاقات النافلة وقد يكون عاما في الكثير كعبد الرحمن بن عوف وعثمان
ثم الاتي بالصدقة العاقلة وقد يكون عاما في القليل وهو هذا المقل ولا تعارض بين الامرين في استحقاق اللوم
لان المقصود من الاعمال الطاعة لغيبة النفس واعتبار حال الدواعي والصوارف
وقد يكون القليل الذي يأتي به الفقير اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي
يأتي به الغني لم ان لك الجهال من المنافقين ما كان يتحاوز نظرهم عن ظواهر الامور
معنى واذا لك المخلص الذي جاء بالصدقة القليلة وذلك المغني يحمل وجوها الاول
ان يقولوا انه لفقره يحتاج اليه وكيف يصدق به الا ليعود من وجهات الفضله
كما قال تعالى اويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وثانيها ان يقولوا
اي اثر لهذا القليل وهذا الصاع هل لان هذا الرجل لما لم يقدر الا على هذا القدر
فقد بذل كل ما يقدر عليه فهو اعظم وقعا عند الله من عمل غني لانه قليل على قلة
عما كان في يده من الدنيا واكتفى بالتوكل على الله والثالث ان يقولوا ان هذا
الفقير انما جاء بهذا القليل ليعلم نفسه الى الاكابر من الناس في هذا المنصب وهو
انما يحاول هذا القليل ليعلم نفسه الى اهل الخير والدين حيلة من لا يسعى
في ان يصير من اهل الكسل والبطالة واما قوله سخر الله منهم فقد عرفت المعاني
في هذا الباب وقال الاصم المراد انه تعالى مثل من هو لا المنافقين ما اظهروه من اعمال
البر مع انه تعالى مثل من هو لا المنافقين لا سبيل عليها فان ذلك كالسخرية **قوله تعالى**
استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية في الانه مسائل **المسألة** قال عباس رضي الله عنهما
ان عبد رؤس المنافقين قال يا رسول الله استغفر لي فانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساستغفر لكم وانتهل لا استغفار ما امرك هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا استغفار امرت بهذه الاية وقال الحسن كانوا يقولون رسول الله صعد رب الله
ويقولون الرد يا الا الحسنى وما اردنا الا احسانا وتوفيقا فرد الله هذه الاية وروى

العلم الظاهر وانه يعاقب عليه
والعلام مبالغة في العلم
يقتضي العلم بجميع الاشياء
عالما بالضمائر والاسرار
ما نقول على عليه السلام
يجوز لانه مستمر سوغ تكليف
الذين يلمزون المطوعين
منهم فلسفون ومنهم بخلاء
وهو يلمزهم من بابي الصدقات
عليه وسلم خطب ذات يوم
ربيعة الاقدمين وقال
ما ان يارسول الله انما اعطيت
ظهر بعير ربع التمر على ثماني الغنا
من ثمر الصدقة وجاء ثمان
بعرت الليلة الماضية يعني من ابل
طعما العمال واقرضت الاخر
قال المنافقون على وجه الطعن
جاء بصاعه ليدل مع سائر
به والكلام في تفسير اللمز
ون المتطوعون والطوع التنفل
لنا في الطاعة قربة المحترز
لجهدهم وهو بالضم والفتح
ر السلعة العرف فيهما
ضعوف اذا عرفت هذا فالمراد بالمطوعين

ان كان عبد الله ابن ابي سلول اذا خطب الرسول قام وقال هذا رسول الله اكرمكم وعزه ونصره
فلما قام ذلك المقام بعد احد قال يا عمر اجلس يا عدو الله فقد اظهر لعزك وحمية الناس من
كل وجه فخرج من المسجد ولم يصل فلقيه رجل من قومه فقال له ما صرفك عن الصلاة
فقال ان رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لي فقال له ما اراك تستغفر او
لم يستغفر لك ما اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم وحاق
المنافقون بعد احد يعتذرون ويحلفون بالباطل ليستغفر لهم سبعين من قبل يعني الله
لهم وروى الشعبي قال دعا عبد الله بن ابي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احسان اليه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما انت قال ابن الخطاب يا عبد الله قال اما ابن عبد الله يا محمد
ان الحاب هو الشيطان ثم قرأ هذه الآية ظاهر قوله ان تستغفر لهم او لا تستغفر لهم
كالدلالة على طلب القوم منه الاستغفار وقد صح ما روي فيه من الاخبار فالاعرب
في تعلق هذه الآية بما قبلها ما ذكره ابن عباس ان الذين كانوا لهم وبهم الذين كانوا
طلبوا الاستغفار نزلت هذه الآية المسئلة الثالثة من الناس من قال ان التخصيص
بالعدد المعين يدل على ان الحال فيما وراءه بخلافه وهو مذهب العامة والدليل
لحطاب قالوا والدليل عليه انه لما نزل قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم فقال عليه السلام والله لازيدن على السبعين فلم يغفر وعد حتى نزل
قوله استغفرت لهم لانه علق عفوه تعالى ان يقول هذا الاستدلال بالعلى اولى لانه
نفى الناس الرسول عليه السلام انه لا يغفر لهم البتة ان الحال فيما وراء العدد
المذكور مساوي للحال في العدد المذكور وذلك يدل على ان التعبد بالعدد
لا يوجبان يحكم بحكم فيما وراءه بخلافه المسئلة الثالثة من الناس من قال
ان الرسول عليه السلام انما فعل الاستغفار لقوم فنعه الله منه ومنهم من قال
ان الماء حتى طلبوا من الرسول عليه السلام ان يستغفر لهم فابى الله تعالى ذلك منه والذي
عن الشيء لا يدل على كون المنهي معذبا على ذلك الفعل وانما علمنا انه عليه السلام
ما استغفر لهم لوجوه الاول ان المنافق كافر وقد علم من حاله
عليه السلام ان الاستغفار للكافر لا يجوز ولهذا الشيء امر الله تعالى
رسوله بالاعراض عنهم عليه السلام الثاني ان ابراهيم عليه السلام لما استغفر لابيه
كان

قال الناصح

كان هذا مشهورا في الشرع وكلمة نحو لا تقدم عليه الشافعي ان استغفار الغير
للغير لا ينفعه اذا كان ذلك الغير مصرا على الشرك والمعصية ان الله تعالى
علق الاستغفار للمنافقين بمجرد علمه بالاقدام على الشرك بالله تعالى
اذا كان لا محبة اليه بل دعا الرسول مردودا الى الله وذلك يوجب مقاربة المعصية
الخامس ان هذا الدعاء وان كان مقبولا من الرسول لاجل ايمانه فليس مثل ذلك حاصلا
حصول الاجابة فثبت ان المقصود من هذا الكلام ان القوم لما طلبوا منه ان يستغفر
لهم سبعين مرة فليس المقصود من ذكر هذا العدد تحديد المنع بل هو كما تقول
القائل لمن يسأله اياك ان اسألك سبعين مرة فلم اقضها اليوم لا تريد بذلك انك اذا زدت
على قضائها سبعا فعند ذلك تقضيها والدليل على صحة ذلك قوله تعالى في آية اخرى انهم كفروا بالله
فزال العلة التي لاجلها لا يغفر لهم استغفار الرسول وان بلغ سبعين مرة هي
كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين فهذا التعليل
شاهد بان المراد ان الله لا يغفر لهم وان بلغ استغفار الرسول مع اصرارهم على
كفرهم ويؤكد ايضا قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين والمعنى
ان فسقهم مانع من الهداية فثبت ان الحق ما ذكرناه المسئلة السابعة
قال المتأخرون من اهل التفسير السبعون عند العرب غاية مستقصاة لانهم
عبروا عن جمع السبعة عشر مرات والسبعة عدد شريف لان بها خلق الله السموات والارض
والاقاليم والبحار والنجوم والاعضاء فهو هذا العدد وقال بعضهم هذا العدد
انما خص بالذكر ههنا لانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر على جمزة
سبعين تكبيرة فكانه قيل ان يستغفر لهم سبعين مرة فلا اصلوا لك على جمزة وهذا
الاصل فيه قوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الى قوله
بما كانوا يكسبون اعلم ان هذا نوع اخر من قبائح افعال المنافقين وهو وجوه بالعهود
وكراهتهم للجهاد قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد من المخلفين الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة
تبوك والمخلف المتروك خلف من مضى قال وهم اثنا عشر رجلا احتالوا حتى تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون والحواب من وجوه
ان الرسول عليه وسلم منعوا اما من الخروج معه لعلمه بانهم يفسدون ويثبطون

فعولا كانوا المخلفين والذين اذا ولكل المخلفين جاروا المخلفين في الايه التي بعدهن الاية وهي
قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا فلما منعهم الله تعالى من الخروج معه صاروا بهذا السبب متخلفين الثالث
ان من تخلف عن الرسول عليه السلام بعد ما خصوصه الى الجهاد مع المومنين يوصف بانه تخلف
من حيث انه لم يهتم بنهي واقام وقوله مقعدهم قال ابن عباس يريد المدينة فعلى هذا
المقعد اسم المكان وقال معاذ يقعدهم بقعودهم وعلى هذا هو اسم المصدر
وقوله خلاف رسول الله فيه قولان الاول وهو قول اكثر المفسرين والمبرد والزجاج
يعني بمخالفته لرسول الله حين سار وقام قالوا وهو منصوب لانه مفعول له
والمعنى ان قعدوا لمخالفة رسول الله عليه السلام والثاني قال الاخفش اخلاف
بمعنى خلف وان يونس رواه عن عيسى بن عمر ومعناه بعد رسول الله ويقوي هذا الوجه
قراءة من قرا خلفه رسول الله وعلى هذا القول اخلاف اسم للجهة المعينة كالخلف والشق
فيه ان الانسان متوجه الى قدامه فجعل خلفه مخالفة لجهة قدامه في كونها
جهة متوجها الها وخلاف بمعنى خلف مستعمل السدا نوعا من الاخوان

عقبى لوسع خلافهم وكانما بسطا الشواطئ بينهن حصيرا

وقوله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الذهاب الى الغزو واعلم ان الخروج
بالاقامة دليل على كراهة الذهاب لانه اعاده للتاكيد وايضا لعل المراد انه
ما اطبعه الى الاقامة لاجل الغة الملك الملك واستيناسه باهله وولده وكره
الخروج للخوف ولانه يعرض للمال والنفس للعدو والاهدار وايضا ما سهم
من الخروج سد الحر في وقت خروج رسول الله وهو المراد من قوله لا تنفروا
في الحر فاجابه الله تعالى عن هذا السبب لاخير بقوله قل نار جهنم اشد حرا
لو كانوا يفقهون ان بعد هذه الدار دارا اخرى وان بعد هذه الحياة حياة
اخرى وايضا هذه مشقة منقضية وتلك مشقة باقية وروى صاحب
الكشاف في بعضها

مسير اصحابه ثلثين بعدها مسافة يوم او نصف شهر الصباب

مكتوب

فكيف ان يلقى ستون ساعة وراء تقضي ساعة احقاب ؟؟
ثم قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان
معناه الاخبار بانه سيحصل هذه الحالة والدليل عليه قوله تعالى بعد ذلك جزاء
بما كانوا يكسبون ومعنى الآية انهم وان فرحوا وضحكوا في كل عمرهم وهو قليل
لان الدنيا بأسرها قليلة فاما فرحهم وضحكهم في الآخرة فكيف لا يعد عما قريب
منقطع والمنقطع بالنسبة الى الدائم قليل فهذا المعنى قالوا فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا قال الزجاج وقوله جزاء مفعول له المعنى وليبكوا هذا الجزاء وقوله
بما كانوا يكسبون اي في الدنيا من النفاق واستدلال المعتزلة بهذه الآية
على كون العبد موجدا لافعاله وعلى انه تعالى اوصل الضرر اليهم ابتداء لا
بواسطة كسبهم لكان ظاهر النهي عن الاعادة

قوله تعالى

فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله مع الخالفين واعلم انه تعالى لما بين مجاري
المنافقين وسوء طريقتهم من بعد ما نهاه عن حزنه الرسول لان الصلاح ان لا يستصحبهم
في غزواته لان خروجهم معه يوجب انواعا من الفساد فقال فان رجعك الله الى
طائفة منهم اي من المنافقين فعاد الى الخروج معي ابدا فقوله ان رجعك الله يريد
ان رد الله الى المدينة ومعنى الرجع هو الشيء الى المكان الذي كان فيه تعالى
بحسبه رجعا كقوله ثم رددناه ردا وقوله الى طائفة منهم انما خصص
لان جميع من اقام بالمدينة ما كانوا منافقين بل كان بعضهم مخلصين معذورين
وقوله فاستاذنوك للخروج الى الغزو معك فقل لن تخرجوا معي ابدا الى قوله وهذا
جزاء مجرى الذم والغرض منهم وجزاء لاظهارنفاقهم وذمهم والآن نرجع الى تفسير
في الجهاد امر معلوم بالضرورة من دين محمد عليه السلام فهو هؤلاء اذا منعوا الخروج
الى الغزو بعد اقدامهم على الاستيذان كان ذلك المنع جاريا كونهم خارجين عن الاسلام
موصوفين بالكفر والخداع اذ عليه السلام انما منعهم من الخروج حذرا من
مكرهم وكيدهم وخداعهم فساد هذا المعنى من هذا الوجه ظاهر بقي
اللعن والطرد ونظم قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم
الى قوله قل لن تتبعونا ان الله تعالى علل المنع بقوله انكم رضيتم بالقعود

اولين والمراد به المعهود عن عزوة تبوك يعني ان الحاجة في المرة الاولى الى اموالكم كانت اشد وبعد ذلك زالت الحاجة فلما كانت عند مسيس الحاجة الى حضوركم فتعلقه ذلك لا تعلقكم ولا تلتفتا لكم وفي الكشاف بحث ذكي صاحب الكشاف وهو ان قوله من قبل من اول من وضعت موضع المراد بها شيء فلعل الاولى ان يقال هذا واحد من الوجهين ان الاولى ان يقال ان الاولى واجاب عنه بان اكثر المفسرين ان يقال هذا اكبر اشتباه لا يقال هذا كبير كما تسامحوا قال تعالى فاقعدوا مع الخالفين وفي بعضها الخالفوا الاولى قال الاصمعي والوعند الخالفون جمع وامديهم خالف وهو من يخلف الرجل في قومه ومعناه مع الخالفين من الرجال الذين يخلفون في البيت فلا يرحلون والاولى الثاني ان الخالفين مفسر بالخالفة قال الفراء يقال عند خالف وصاحب خالفة اذا كان خالفا وقال الاخفش ولان خالفة اهله اذا كان يخالفهم وقال الليث يقال هذا الرجل خالفة اي مخالفة كثيرة الخلاف وقوم خالفون اذا جاءت فتاة الخالفون والاولى الثالث الخالف هو الفاسد قال الاصمعي يقال خلف فلان عن كل صفة يخلف خلوفا فسد وخلف اللبن فطفا السمن اذا فسد فاذا عرفت هذه الوجوه الثلاثة فلا يبعد ان اللفظ يصلح حمله على كل واحد منها لان اولئك المنافقين كانوا موصوفين بجميع هذه الصفات واعلم ان هذه الاية تدل على ان الرجل اذا اظهر له من بعض مصلحته مكروه وخداع وكيد وراه مشددا فيه مالم يغيره موجبا له فانه يجب عليه ان يقطع العلقة بينه وبينه وان يحترز عن مصاحبته **قوله تعالى** ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون اعلم انه تعالى امر رسوله ان يسعى في تحذيرهم واهانتهم وازدلالهم فالذي سبق ذكره في الاية الاولى هو سعيهم من الخروج معه الى الغزوات فسبق ذكر من اسباب ازدلالهم واهانتهم وهذا الذي ذكر في هذه الاية وهو منع الرسول من ان يصلي على من مات منهم سبب اخر قوي في ازدلالهم وتحذيرهم وعن ابن عباس انه لما استشهد عبد الله بن ابي سلول جاء ابنه عبد الله وطلب ان يصلي عليه اذا مات

ونعم على ومن ثم انه ارسل الى الرسول عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفن فيه
فارسل اليه القميص الموقاني ورده وطلب الذي يلي جسده ليكفن فيه فعال عمر
اليعطى قميصه الذي يلي جسده السلام ان قميصي لا يغني عنه من الله شيئا
ولعل الله يدخل بهذا القميص منه رجوا ان يسلم بذلك الف فلما مات جاء
ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله
ليصلي عليه اخذ عمر بثوبه وقال اليس قد نهاك ربك ان تصلي على احد منهم مات ابدا
ولا تقم على قبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني ربي فقال
استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
واعلم ان هذا دليل على ان عطيه من مناقب عمر وذلك لان الوحي نزل على وفق قوله
في آيات كثيرة منها انه اخذ الفداء من اسارى بدر وقد سبق ذكره ومنها انه حرم
الخمر ومنها انه حول القبلة ومنها انه امر النساء بالاحتجاب وغير ذلك
من الآيات فصار نزول الوحي على وفق قول عمر مصاحبا لها وورد انه رضي الله عنه
فلهذا اقام عليه السلام في حقه لو لم اعف عنهم فان فعل لم يجز ان يعال الرسول
رغب في ان يصلي عليه بعد ان علم كونه كافرا وقد منع من ذلك بقوله ولا تصل
تحرى بحرى الاجلال والتعظيم له وانما اذا صلى عليه فقد دعا له وقد امر بخلوه لانه
تعالى اعلمه انه لا ينفعه الكفار الله وانصاد فع القميص الله ورجا عن ابن الجواب
لعل السبب فيه ان لما طلب من الرسول ان يرسل الله قميصه الذي من جلده لعله يوفقه بعمل على
ظن الرسول عليه السلام انه اسئل الى الايمان لان ذلك الوقت وقت سؤال الخير ونوع من
فيه الكافر فلما راى منه اظهار الاسلام وشاهد منه الامارات التي دلت على دخوله
في الاسلام عليه على ظنه انه صار مسلما فسأل على هذا الظن ربه في الصلاة عليه فلما ظهر له
عليه السلام ولحق بابائه ماتت على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه واما دفع القميص اليه
فلكونه وافيا وجوها الاول ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا
ببدر لم يجد ما له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله قميصه فالباقي ان القدر الذي
كان على بدن عبد الله يوم الحساب اما الاستغناء لمجد ولكنا نقول لعله تعالى اراد ان يجازي ابن ابي على
حسنة شكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك والثالث ان الله تعالى امر بالاسراد

سائلا يقوله واما السائل فلانه هو الذي طلب القميص منه لهذا المعنى الرابع ان منع القميص لا
يليق باهل الكرم الخامس ان ابنه عبد الله لما رأى كان من الصالحين والرسول
اكرمه لما كان ابنه السادس لعل الله تعالى اوحى اليه انك اذا دفعت قميصك
اليه صار ذلك حاملا لالف نفر من المنافقين على الدخول في الاسلام فتفعل لذلك
لهذا الغرض ووحي انهم لما شاهدوا ذلك اسلم الف من المنافقين السابع ان الرحمة
والرقة كانت غالبة عليه كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال فبما رحمة من الله
لنت لهم فامتنع من الصلاة عليه رعاية لامر الله تعالى ودفع اليه قميصا لاظهار الرأفة
والرحمة اذا عرفت هذا فقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا قال
الواحدي مات في موضع جر لانه صفة للمنعوت كانه صلى على احد منهم ميت
وقوله ابدا متعلق بقوله احد والتقدير ولا تصل ابدا على احد منهم واعلم
ان قوله ولا تصل ابدا يحتمل ابتداء النهي ويحتمل نفي الماضي والمقصود سعد من ان يصلي
على احد منهم منعا كليا دائما قال ولا تقم على قبره وفيه وجهان الاول
قال الرجاج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع
ههنا من هذا قال الكلبي لانه يقوم باصلاح مهمات قبره وهو من قولهم قام فلان
بامر فلان اذا كفاه امره وتولاه فنهاه الله تعالى عن المنع من الصلوة عليه والقيام
على قبره بقوله انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وفيه سؤالات
السؤال الاول الفسق اذا كان حالا من الكفر والمذكور في تعليل هذا النهي
كونه كافرا فما الفائدة في وصفه بعد ذلك بكونه فاسقا والجواب
ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه حسنا ممنوعا
عند قومه بالكذب والخداع والمكر والكيد امر مستقبح في جميع الاديان
فالمنافقون لما كانوا موصوفين بهذه الصفات وصفهم الله تعالى بالفسق بعد ان
وصفهم بالكفر بينها على ان طريقة النفاق طريقة مذمومة عند كل اهل العالم
السؤال الثاني ليس للمنافق صلوة حتى يصلي عليه اذا الطفل لا يمان مع فقد العمر
فيه والجواب انه انما يصلي على الظاهر بما علمه السلام نحن نحكم
بالظاهر والله يتولى السرائر السؤال الثالث قوله انهم كفروا بالله صريح

يكون ذلك الشيء معللا لانتفاء العلة وذلك يقتضي تعليل حكم الله تعالى وهو محال لان حكم
الله قديم وهذه العلة محدثة وتعليل القديم بالمحدث محال والجواب الكلام
في ان تعليل حكم الله بالمصالح هل يجوز ام لا بحث طويل ولا شك ان هذا الظاهر يدل على هم

قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وترهق
انفسهم وهم كافرون اعلم ان هذه الآية قد سبق ذكرها نفسها في هذه السورة
وذكرها ههنا وقد حصل التفاوت بينهما في الغاية ما وقعا ان في الآية
المتقدمة قال لا تعجبك بالعاء وههنا قال ولا تعجبك بالواو وبينهما فرق قال
هناك اموالهم ولا اولادهم وههنا كلمة لا محذوفة وبالمثبتة اما قال
هناك انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا وههنا حذف اللام وابدلها بكلمة ان
وزاد بعدها انه قال هناك في اعجابه وههنا حذف فاعطا احداهما وقال في الدنيا بعد
حصل التفاوت بين هاتين الآيتين من هذه الوجوه الاربعة فوجب علينا ان نذكر فوائد
هذه الوجوه الاربعة في التفاوت ثم نذكر فائدة هذا التكرار اما المقام الاول
فمقول اما النوع الاول من التفاوت وهو انه تعالى ذكر قوله ولا تعجبك بالعاء
في الآية الاولى وبالواو في الثانية فالسبب ان في الآية الاولى ان في الآية الاولى
انما ذكر هذه الآية بعد قوله ولا يقولون الا وهم كاذبون بعضهم بعضهم كاذبين
لا نفاق وانما كره هواء لك لا نفاق لا يجوز ان يعجبه محمد بكثرة تلك الاموال على هذا المعنى
بناء على ذلك الاعجاب بينما التعقيب فعال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واما
هنهنا فلا تتعلق هذا الكلام بما قبله فجاء في العاء واما النوع الثاني
وهو انه تعالى قال في الآية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فالسبب فيه ان
مثل هذا الترتيب مستعمل بالاد دون من هو في المنزلة الاشرف فلا يجوز ان يقال لا يعجبني ابن الامير ولا امر
الوزير وهذا يدل على انه كان اعجابا اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم
باموالهم وفي هذه الآية يدل على عدم التفاوت في الامرين عليهم واما النوع
الثالث وهو انه تعالى قال انما يريد الله ليعذبهم وههنا قال انما يريد
الله ان يعذبهم فالمعنى فيه السببية على ان التعليل في احكام الله محال لانه انما
ورد حرف التعليل بمعناه ان كقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وما امروا

الايمان بعبدوا الله واما النوع الرابع وهو انه ذكر في الآية الاولى في احياء الدنيا
وههنا ذكر في الدنيا واسقط لفظ الحياء سببها على ان الحياة الدنيا لما غلب في الخسة على انها
لا تستحق ان يسمى حياة بل يجب ان يقتصر عند ذكرها على لفظ الدنيا سببها على كمال
دناتها فهذه وجوه في الفرق بين هذه الالفاظ والعالم يحقائق القرآن هو الله واما المقام
الثاني وهو بيان حكمها المذكورين وهو ان اشد الاشياء حبا للعلوي وحبا للخواطر
الى الاستعانة بالدنيا هو الاستعانة بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب
التحذير عنه من بعد اخرى لانه لما كان اشد الاشياء في المطلوبية والمرغوبية
للرجل المؤمن هو معرفة الله لا جرم لما كان قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء في سورة النساء مرتين وبالجملة فالتحذير يكون لاجل البالغة
فيها المبالغة للتحذير فرأيته المعنى في المبالغة في التحذير وقيل انها انما
كررها هذا المعنى لانه اراد بالآية الاولى قوما من المنافقين لهم اموال واولاد في وقت
نزولها واراد بهذه الآية قوما آخرين والكلام اذا صح الى الان مع اقوام في اوقات
مختلفة لم يكن في جمع بعضهم بعض غرض الى مع آخرين قوله تعالى واذا انزلت
سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله الآية ◉ واعلم انه تعالى بين في الآيات المتقدمة
ان المنافقين احتالوا في رخصة التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود
عن الغزو وفي هذه الآية زاد درجة اخرى وهي انه متى نزلت آية مشتملة على الامر
بالايمان وعلى الامر بالجهاد مع الرسول استأذن الاولوا الثروة والقدرة منهم في التخلف
عن الغزو وقالوا لرسول الله ذرنا نكن مع القاعدين اي مع الضعفاء من الناس
والمساكين في البلد اما قوله واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله
فهذه الحالة الاولى انه يجوز ان يراد بالسورة مسماها وان يراد بعضها كما
كما يتبع القرآن والكتاب على كله وبعضه وقيل المراد بالسورة سورة براءة
لان فيها الامر بالجهاد والايمان الحالة الثانية ان قوله ان آمنوا بالله فعل
الواحدي موضع ان نصب بحذف حرف الجر والتقدير بان آمنوا اي بالايمان الحالة
الثالثة لقائل ان يقول لم قيل امر المؤمن بالايمان فان ذلك لا يعقل الا مر بحصول الحاصل
وهو محال اجابوا عنه بان معنى امر المؤمن بالايمان الدوام عليه والتمسك

ه في المستقبل وأقول لا حاجة لإعادة الجواب فإن الأمر متوجه عليهم وإنما قدم الأمر
بالإيمان على الأمر بالجهاد لأن القعود كأنه قيل للمنافقين الإقدام على الإيمان على الجهاد
قبل الإيمان لا يعتد فأنتم أصلا فالواجب عليكم أن يؤمنوا أولا ثم يشتغلوا
بالجهاد يا ساحتي بعيدكم اشتغالكم بالجهاد فاسد في الدين ثم حكى تعالى أن محمدا وأصحابه
هذه الآية ما داموا يقولون فما الاستئذان أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
وفي أولي الطول قولان الأول قال ابن عباس والحسن المراد أهل السعة في المال
والثاني قال الأصم معنى الرؤساء الكبراء الذين لهم في السفر والجهاد والثاني
الذكور قولان الأول أن الذم لهم لأنهم لم يخلصوا عزمهم قادرين على السفر والجهاد والثاني
الله تعالى ذكر أولي الطول لأن من لا مال له ولا قدرة له على السفر لا يحتاج إلى الاستئذان
قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وذكروا الكلام المستقصى في الخالف
في قوله فاقعدوا مع الخالفين وههنا مسائل وحسبان الأول قال الفراء الخوالف عبارة
عن النساء اللواتي يخلفن في البيت ولا يخرجن والمعنى رضوا بأن يكونوا في بيوتهن عن
الجهاد كالنساء اللاتي يجوز أن يقال إنهن خلف العسكر في حال والخالفة الذي هو
غير محمود قال الفراء ولم يأت فاعل صفة جمعه على فواعل إلا حرفان فارس وفوارس وهالك
وهوالك والقول الأول أولى لأنه دال على العلة والعلة قال المفسرون وكان الصحابة على
المنافقين لتثبيطهم بالخوالف قوله تعالى وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون وقد
عرفت أن الطبع والختم عبارة عن حصول الداعية القوية للكفر المانعة من
حصول الإيمان ودللنا أن الفعل يجب بالداعي فلما كان الحال عند حصول الداعية
الراسخة القوية للكفر صار العبد كالمطبوع على الكفر عند حصول تلك الداعية
أن كان من العبد لزم التسلسل وإن كان من الله فالمقصود حاصل وقال الحسن
الطبع عبارة عن إزاغة العبد والمنع في الكفر الذي كانه مات عن الإيمان
وعند المعتزلة هذه عبارة عن علامة تحصل في العبد والاستقصاء مذكور في سورة
البقرة في قوله ختم الله على قلوبهم وقوله فهم لا يفقهون أي لا يتفكرون استدلوا
بحكمه الله في الأمر بالجهاد قوله تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا
بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار

خالدين فيها وذلك الفوز العظيم واعلم انه تعالى لما شرح حال المنافقين في القرار
عن الجهاد بين حال الرسول عليه السلام والذين معه بالصدق حيث بذلوا النفس
والمال في طلب رضوان الله والتقرب اليه وقوله لكن فيه قولان وهي الى البعد
انه ان تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد توصلوا بهم بر هو خير منهم واطهر منه
واعتقدوا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها
بكافرين فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون وفيها وصفهم بالمسارعة
الى الجهاد ذكر ما حصل لهم من العواقب وهو انواع اولها قوله اولئك
لهم الخيرات واعلم ان لفظ الخيرات تتناول منافع الدارين لان اللفظ مطلق وحمل
الخيرات الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وثانيها قوله واولئك هم المفلحون
المراد منه الخلاص من العقاب والعذاب وثالثها قوله اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وحمله ان يكون غير الجنات كالتعشر للخيرات
والفلاح ويحتمل ان يحمل تلك الخيرات والفلاح على منافع الدنيا مثل العز والكرامة
والروح والقدرة والغلبة ويحمل الجنات على ثواب الآخرة والفوز العظيم عبارة
عن كون ذلك الثواب موصوفا برفعة ودرجة عالية **قوله تعالى** وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم اعلم انه تعالى لما شرح احوال المنافقين من الاعراب
وكانوا في المدينة استأذنوا من هذا الوجه بشرح احوال المنافقين من الاعراب وفي قوله
وجاء المعذرون قال ابو عبيدة المعذر من عذر في امره اذا لم يحكمه وقال الليث
والمعذر بالتشديد الذي يعتذر اليه فلا عذر واما اصل المعذر فهو المجتهد
المبالغ في العذر ومنه قولهم قد اعذر من انذر وعلى هذا المعنى لا بد ان الله
تعالى فصل بين اصحاب العذر وبين الكاذبين فالمعذرون هم الذين اتوا بالعذر
قتل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف
وقيل هم رهط عامر الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب على بلادنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وغزا محمد بغير من غفار والذين قراءا والمعذرون بالتشديد
وهو قراءة العامة وله وجهان من العربية الاول ما ذكره الفراء والزجاج وابن
الانباري

وابن الانباري وهو الاصل في هذا اللفظ المعذرون فحولت فتحة الذال الى العين وادغمت
الذال بعدها واجتمع في الذال التي بعدها فصار ذالا مشددة والاعتذار قد يكون
بالعذر كما في قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم فمن كون هذا الاعتذار
فاسدا بقوله ولا اعتذار واو قد يكون الصدق كما في قوله لسيد

ومن يك حولا كاملا فقد اعتذرا ... وقد قدحا ان يعذر بهم الوجه الثاني

ان يكون المعذرون على وزن قولها مفعلون من العذر الذي هو التقصير تقال
عذر بعذر اذا قصر ولم يبالغ تقال قام فلان يقام بعذر اذا استخفه فلم يمد
في قعوده فان احدا بقراءة التخفيف كان المعذرون كاذبين واما ان احدا
بقراءة التخفيف المشدد وفسرها بالمعتذرين فعلى هذا التقدير يحمل انهم كانوا
صادقين وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال المعذرون كانوا صادقين
بدليل انه تعالى بادكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما ميز بعضهم
عن الكاذبين دل على انهم ليسوا كاذبين وروى الواحدي باسناده عن ابي عمرو
انه لما قيل له هذا الكلام قال انما قالوا ما يكلفوا عذرا باطلا فهم الذين عاتبهم
الله بقوله وجاء المعذرون وتحلي الجوزي لا عذر ولا شبهة عذر وحمله على
الله تعالى فهم المرادون بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله والذي قاله
ابو عمرو يحتمل الا ان الاول اظهر وقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاءوا وما اعتذروا وطعنوا في الدين كذبوا الله
ورسوله فاما دعاءهم الايمان وقرائي كذبوا الله بالتشديد سيصيب الذين
كفروا منهم عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار واما قال منهم لانه
تعالى كان عالما بان بعضهم سيتوبة وتخلص من هذا العقاب عذر بلفظ من الدلالة
على التبعيض قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون الى قوله ان كنتم تعلمون اعلم انه تعالى لما بين الوعيد في حق من
يوهم العذر مع انه لا عذر له ذكر اصحاب الاعذار الحقيقية وبين ان يكلفهم
الله تعالى بالجهاد والغزو وعنهم ساقط وهم اقسام الاول الضعيف وبدنه
الضعيف مثل الشيوخ ومن خلق في اصل الفطرة ضعيفا نحيفا وهو لا يتم المرادون

الضعفا والدليل عليه انه عطف ضعفا عليهم المرضى والمعطوف مباين للمعطوف
عليه فحالم يحمل الضعفا على الذين ذكرناهم لم يتمر فاعل المرضى فاما المرضى فدخل فيهم اصحاب
العمى والعرج والزمانه ومن كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربه والعسيم
الثالث الذين لا يجدون الاهبة والزاد والراحله وهم الذين لا يجدون ما ينفقون لان
حصول في الغزو اما مع اذا قدر على الانفاق على نفسه اما من مال نفسه او من مال
نفسه او من مال انسان اخر يجب عليه فان لم يحصل هذا القدر صار عاجزا وبالا على
المجاهدين وسعهم عن الاشتغال بالمقصود فهذا معنى قوله تعالى لما ذكر هذه الاقسام
الثلاثه قال ليس على هؤلا حرج والمراد انه يحق لهم ان يتخلفوا عن الغزو وليس في
الاية بيان انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلا لو خرج لنصرة المجاهدين
معذورا القدر الذي لا يحفظ ما معهم او يكثر سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه
كلا وبالا عليهم كان خارجا للطاعه فقوله تعالى شرط في جواز هذا
الخبر شرطا معنيا وهو قوله اذا نصحوا لله ورسوله ومعناه انهم اذا اقاموا
في البلد احترزوا عن القا الارجافات وعن اتاة الغير وسعوا في ايصال
الخير الى المجاهدين الذين سافروا اما بان يقوموا باصلاح مهمات سوبهم واما
بان يسعوا في ايصال الاخبار السارة من سوبهم اليهم فان جمله هذه الامور صار به
محريا للاعانه على الجهاد فهو قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل وقد اقعوا
على انه دخل تحت قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل هو انه لا اثم عليه بسبب
القعود عن الجهاد واجمعوا في اهل هذا العموم في كل الوجوه بعضهم
من زعم ان اللفظ مخصوص على هذا المعنى لان هذه الاية نزلت فيهم وبعضهم
من زعم وقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمحسن هو الاتي بالاحسان
وراس ابواب الاحسان ونفسها هو قول لا اله الا الله وعمل من قال هذه الكلمه
واعمالها كان من المسلمين وقوله ما على المحسنين من سبيل يعني بعد جميع
السبل هذا العموم يدل على ان الاصل في نفسه حرمه العمل لان الدليل مفصل
والاصل في ماله حرمه الاخذ الا ان الدليل مفصل وان لم نوجه عليه سبيل من الكلام
الا الدليل مفصل ويصير هذه الاية بعد الطريق اصلا معتبرا في الشريعه في
تقرير

تقرير الاصل براءة الذمة فان ورد نص خاص عمل عليه وحرم حكم خاص وما فقد نص
فحكمه بذلك النص الخاص فقد عما الخاص على العام والاعتداد النص كما في تقرير البراءة
الاصلية ومن الناس من يحتج بهذا على نفي القياس فانه يقول هذا النص دل على ان الاصل
هو براءة الذمة وعدم الالزام والتكليف فالقياس اما ان يدل على براءة الذمة او على شغل الذمة
والاول باطل لان براءة الذمة ثابت بمقتضى هذا النص فكان اثباته بالقياس عبثا والثاني
ايضا باطل لان على هذا التقدير نصير دلائل القياس مخصصا لعموم هذا النص وانه لا يجوز
لما بيان ان النص اقوى من القياس قالوا وهذا الطريق نصير الشريعة منضبطة معلومة
ملخصة بعيدة عن الاضطراب والاختلافات التي لا نهاية لها وقد دل القرآن على ان السلطان اذا بعث
واحدا من عماله الى سياسة ذلك فقال انما الرجل يكليني على قتله وعلى اهل المملكة
كدا وكدا وعد عليهم مائة انواع من التكاليف ثم قال وبعد هذه التكاليف
فليس لاحد عليهم سبيل كان هذا تنصيصا منه على انه لا تكليف عليهم فما وراء الاقسام
المذكورة ولو انه كلفه السلطان ان يقوم على ما يتوقى بكل مائة التي على سبيل التفصيل
كان ذلك محالا لان باب النفي لا نهاية له بل يكفيه في النفي ان يقول ليس لاحد على احد سبيل
الا فيما ذكرت وفصلت فكذا ههنا قال تعالى قل ما على المحسنين من سبيل وهذا يقتضي
ان لا يتوجه على احد سبيل لقوله تعالى ذكر في القرآن الف تكليف واقل او اكثر
كان قد نص على ان التكاليف محصورة في ذلك الالف المذكورة وان ما وراءه
وليس لله على الخلق تكليف وامر وهي وهذا الطريق نصير الشريعة منضبطة سهلة
المؤنة كثيرة المعونة وتكون القرآن وافيا بسان التكاليف والاحكام ويكون قوله
اليوم اكملت لكم دينكم حقا ونصير قوله لتبين للناس ما نزل اليهم حقا ولا حاجة
الى التمسك بالقياس في حكم من الاحكام اصلا فهذا ما ذهب اليه اصحاب الظواهر
مثل داود الاصفهاني واصحابه في تقرير هذا الباب واعلم انه تعالى لما ذكر الصغائر
والمرضى والفقر ابين انه يجوز لهم التخلف عن الجهاد بشرط ان يكونوا ناصحين لله ورسوله
وبين كونهم محسنين وانه ليس لاحد عليهم سبيل وذكر معه ان العاجز المعذور من فعال
وبين كونهم محسنين وانه ليس لاحد عليهم سبيل وذكر معه ان العاجز المعذور من فعال
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض
من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون فما العلة في اعادتها ولما كان الذين لا يجدون

ما يقتلونهم الغزاة الذين ليس معهم دول للنفقة الا انهم لم يحدوا المشركون والمغزون
ذكروا في سبب نزول هذه الآية وجوها الاول قال المجاهدون لما شاهدوا من
وسوسة والنعال معهم مقرنين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يحملهم على الخيل فقال لا اجد ما
والنعال المخصوصة فقال عليه السلام لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون
والثاني قال الحسن لما قال موسى الاشعري واصحابه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتحملونه وواثوا له فحلف عليه السلام لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون
ما احملكم عليه فتولوا ينتظرون دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطائهم
رودا عن البدري فقالا لموسى استحلفه يا رسول الله فقال اما انا ان شاء الله لا
احلف يمينا فارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني
والرواية الثالثة قال ابن عباس سألوه ان يحملهم على الدواب فقال عليه السلام
لا احد ما احملكم عليه لان الشفقة بعيد والرجل يحتاج الى البعير ان يعثر بركبه
ويعثر بحمل ماله وزاد قال صاحب الكشاف قوله يعثر من الدمع لقوله تعالى
دمعا وهو ابلغ من تعثر دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فانظر
قوله تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء الى قوله فسيرى الله عملكم
ورسوله ثم في الآية مسائل المسألة الاولى انه تعالى لما قال في الآية الاولى ما
على المحسنين من سبيل قال في هذه الآية انما السبيل على الذين هم اغنياء وكذا امر الدين قالوا
في الجملة الاولى اذا دخل على المحسنين من سبيل في امر العذر والجهاد فان نفي السبيل في تلك
الآية هذا الحكم قالوا السبيل الذي نفاه عن المحسنين هو الذي اثبته في هؤلاء
المنافقين والذي نفاه عنهم ليس الا ما خص بالجهاد وجب ان يكون الذي اثبته
في هؤلاء والمنافقين هو الذي يخص بالجهاد والمعنى ان هؤلاء الاغنياء الذين يستأذنون
في التخلف يسبل الله عليهم لائم وتكليفه عليهم بالذهاب الى الغزو متوجهة ولا عذر
لهم البتة في التخلف فان قيل قوله رضوا ما موقعه قلنا هو استئناف كأنه
قيل ما بالهم استأذنوك وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والاستظهار
وجملة اخوالف وطبع الله على قلوبهم معناه ان السبب في تعريضهم عن الجهاد هو ان الله تعالى
طبع على قلوبهم ولهذا قال الا يطبع لا تعلمون ما في الجهاد من الدين والدنيا ثم قال
يعتذرون

يعتذروا اليكم اذا رجعتم اليهم فلا تعتذروا لن نؤمن لكم علة المنع من الاعتذار لان
عرض المعتذر ان يصير عذره مقبولا فاذا اعلم ان القوم يكذبونه فيه وجب عليه
تركه وقوله قد نبأنا الله من اخباركم عله لانتفاء التصديق وقوله تعالى لما
اطلع رسوله على ما في ضمايرهم من الخبث والمكر والنفاق امتنع ان يصدقهم الرسول
عليه السلام وبالجملة الاعذار ثم قال وسيرى الله عملكم ورسوله والمعنى
انهم كانوا يظهرون من انفسهم عند تقرير ذلك المعاذير لرجاء الرسول وشفاعته
عليهم ورعبته في نصرتهم وقال الله تعالى وسيرى الله عملكم اذكروا هل يعول بعد
ذلك على هذه الحالة التي تعلم ويعلم من الصدق والصفا او لا يعول عليها ثم قال
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فانبئكم لما قال وسيرى الله عملكم ولم
يقل ثم ترددون ولما اضافة في قوله تردون الى عالم الغيب والشهادة ملكا في
وصفه تعالى بكونه عالم الغيب والشهادة دليل على كونه مطلعا على بواطنهم
الخبيثة وضمايرهم المملوة من الكذب والكذب وفيه تخويف شديد وزجر عظيم
لهم قوله تعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الى قوله لا يرضى عن القوم
الفاسقين اعلم انه تعالى في الآية الاولى لما حكى عنهم انهم يعتذرون عن
ذكر في هذه الآية انهم كانوا يؤكدون الاعتذار بالحلف الكاذب اما قوله
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعلم ان هذا الكلام يدل على
انهم حلفوا بالله ولم يدل على انهم على اي شيء حلفوا فقيل انهم حلفوا على انهم ما اقدروا على
الخروج وانما حلفوا على ذلك لتعرضوا عنهم الى ان يصفحوا عنهم ولتعرضوا عن ذمهم
ثم قال تعالى فاعرضوا عنهم قال ابن عباس يريد ترك الكلام والسلام قال مقاتل
قال النبي عليه السلام حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني
هو لاء طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة في وجوب الاعراض
عنهم فقال انهم رجس والمعنى ان خبث باطنهم رجس روحاني وعالم الآخرة لا يقرب
الا الطاهر فوجب الاحتراز عن الارجاس الروحانية لئلا يجر حبها الى الانسان
وحذرا من ان يميل طبع الانسان الى مثل الاعمال ثم قال وماواهم جهنم جزاء بما كانوا
يكسبون ومعناه ظاهر ولما بين في الآية انهم يحلفون بالله ليعرض المسلمون عن

امداهم ثم ايضا انهم يحلفون لترضوا المسلمون عنهم ثم ان الله تعالى نهى المسلمين عن ان يرضوا
عنهم حيث قال فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين والمعنى انكم
ان رضيتم عنهم مع ان الله لا يرضى عنهم كانت ارادتكم مخالفة لارادة الله وان ذلك
لا يجوز والقول ان هذه المعانى يذكرون فى الاية للمبالغة وقد اعادها
الله ههنا مرة اخرى واظن ان الاول خطاب مع المنافقين الذين كانوا فى المدينة وهذا
خطاب مع المنافقين من الاعراب واصحاب البوادى ولما كانت طرق المنافقين متقاربة
سوى كانوا من اهل الحضر او من اهل البدو لا جرم كان الاعلام معهم على نهج متقاربة

قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الى قوله والله سميع عليم اعلم
ان هذه الاية تدل على صحة ما ذكرنا من انه تعالى انما اعاد هذا الحكم لان المقصود
منها مخاطبة منافقى الاعراب وقد اشتمل هذا السياق على بيان كفرهم ونفاقهم وجهلهم
بحدود ما انزل الله تعالى وفى هذه المسائل المسئلة الاولى قال اهل العلم انما انزل الله
تعالى كلامه بلغة العرب واذا كان نبينا فى العرب وجعل العرب كما تعالى بحوسى وقصودى ثم بحدود
كما النسبة فى الجمع فقال المجوس واليهود ورجل اعرابى اذا كان بدويا نظر مساقط
الغيث والكلا سوى كان من العرب او من غيرهم وجمع الاعرابى على الاعراب
والاعارب قال الاعرابى اذا قيل له يا عربى مرح والعربى اذا قيل له يا اعرابى غضب ثم اسوطن
القرى العربية فهم عرب ومن سكن البادية فهم اعراب والدليل على الفرق قوله الاول
الله عليه السلام قال جبريل الايمان واما الاعراب فعددهم فى هذه الاية
والمعنى انه لا يجوز ان يقال المهاجرون والانصار اعراب لانهم عرب وهم متعبدون فى مراتب
الدين على الاعراب وان عليه السلام لا يومن امراءه وعلماءه وقاضيه معرضا والاعرابى ما حضرا
المسئلة الثانية قيل انما سمى العرب عربا لان اولاد اسمعيل لما نشؤا بعربة وهى مرتهامة
فسموا الى بلدهم وكل من نسل من العرب يطلق لسانهم بعربيتهم لانهم انما تولدوا من
اولاد اسمعيل وقيل سموا بالعرب لان لسانهم عربية جاءت صافية من كل ما يشين اللسان
العربى محض من انواع من الفصاحة ولكن الله لا يوجد فى سائر الالسنة وانما يوجد لكن
عن بعض كما انه قال حكمة لقمان فى ادمغتهم وذلك لانهم يعدون على البركسان
العجمية وحكمة الصدى فى اوعيتهم وحكمة الضان فى اقدامهم وذلك لانه ما لهم من

قرئ بفتح السين وضمه قال الفراء فتح السين هو الوجه لانه مصدر قولك سوءة سوأ ومساءة
ومن ضم السين جعله اسما كقولك عليهم دائرة البلاء والعذاب ولا يجوز ضم السين في قوله
ما كانوا يقول امرء سوءى ولا قوله وطمسنا على اموالهم واشدد على قلوبهم لما كان ليوجب
امرأ سوء عذاب وطمسنا على العذاب ومعلوم انه لا يجوز قال الاخفش وابو عبيد من
فتح السين فهو كقولك رجل سوء وامرأة سوء ومن ضم السين تقول رجل السوء
والسوء الاخفش ٥

وكسلمة السوء لما رأى دما يفاجئه يوما الحال على الدم

ومن ضم السين اراد السوء الضر والشر والبلاء والمكروه كأنه قيل عليهم دائرة الضر
والمكروه وبهم يحيط ذلك قال ابو علي العارسي لم يضف الدائرة الى السوء والسوء وان معناهما
الشر لان دائرة الدهر قد تستعمل الا في المكروه اذا عرفت هذا فقول المعنى
يدور عليهم البلاء والحرب فلا يرون في محمد وصحبه الا ما يسوءهم قال تعالى والله سميع لقولهم
عليم بما يسرهم **قوله تعالى** ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الى قوله قال الله
غفور رحيم ٥ اعلم انه تعالى لما بين انه حصل في الاعراب من يجد نفاقه في سبيل الله
معهم بين انه حصل فيهم قوما موسومين بصالحين مجاهدين مخلصين وانما فعلوا في سبيل الله معها
واعلم انه تعالى وصف هذه الفرقة بوصفين الاول كونهم مؤمنين بالله واليوم الآخر
والمقصود المنسبة على انه لا يعتد في جميع الطاعات من عدم الايمان وفي الحقيقة انها
كذلك والثاني كونها محتسبة سمعته قربات عند الله وصلوات عند الرسول
وفيه بحثان البحث الاول قال الزجاج يجوز في القربات ثلثة اوجه ضم الراء
واسكانها وضمها الثاني قال صاحب الكشاف قربات مفعول ثان لتجد
والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله تعالى وصلوات الرسول له والرسول
كان يدعو للمتصدق بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد وعلى آل ابي اوفى قال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لحصول القربات
والصلوات قيل انه عين ما ينفق قربات وصلوات ثم قال تعالى الا انها قربة
لهم وهذا شهادة من الله تعالى للمتصدق بصحة ما انفقه من كون نفقته قربات
وصلوات وقد اكد تعالى هذه الشهادة بحرف التنبيه وهو قوله الا وبحرف التحقيق

وهو قوله

وهو قوله انها تزداد في المائدة فقال سيدنا رضي الله عنه في رحمته وقد ذكرنا ان ذلك هذا
الشريف حيث يزيد الله تعالى ﴿ ان الله عفو لسيئاتهم رحيم بهم حسنة ومنهم
لهذه الطاعات وقرئ انا نفع انها قريبة بضم الراء وهو للاتباع كحسن بحسن ورسل
وارسل والاصل هو الضم والاسكان تخفيف **قوله تعالى** فالسابقون الاولون
الى قوله دار الخلود العظيم ك واعلم ان الله تعالى لما ذكر فضائل الانصار ان الذين يتحدثون
ما يفعلون فرجات عند الله وما اعد لهم من الثواب بين ان فوق مرتبتهم منازل اعلى واعظم
منها وهي منازل السابقين الاولين وفي الاية مسائل المسئلة الاولى اختلفوا في ان
السابقين الاولين من هم فحكى والانصار منهم وذكرنا وجوها الاول قال ابن عباس
هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبي هم الذين بايعوا بيعة الرضوان
والتحقيق عندي ان السابقون في الهجرة والنصرة والذي يدل عليه انه ذكر اولا هم سابقين
ولم يذكر بعدهم سابقون فما دام في اللفظ محلا الى انه وصفهم بكونهم مهاجرين والانصار
موجب صرف ذلك اللفظ الى ما به صاروا مهاجرين وانصارا وهو الهجرة والنصرة فوجب
ان يكون المراد منه السابقون الاولون في الهجرة وفي النصرة اذا لم الحمل عن اللفظ
وانصافا لسبق الى الهجرة طاعة عظيمة من حيث ان الهجرة فعل شاق وعلى البعد ومخالف
للطبع فمن فعل عليها ولا صار قدوة لغيره في هذه الطاعة وكان له مثوبة
لعمل الرسول عليه السلام سنة ماضية والاقتداء غير خاطر وللسابق في
النصرة فان النبي عليه السلام لما قدم المدينة فلا شك ان الذين سبقوا الى النصرة
واكرامه فازوا بمنصب عظيم فلهذا الوجه يجب ان يكون المراد والسابقون
الاولون في الهجرة فاذا ثبت هذا فنقول ان السبق الى الهجرة هو انه لما
هموا لانه كان في حكم الرسول عليه السلام ومصاحبه في كل مسكن
وموضع وكان نصيبه من هذا المنصب اعلى وانصب وعلى ابي طالب وارفع من
المهاجرين الاولين الا انه انما هاجر بعد هجرة الرسول عليه السلام والاكد
انه انما بقي في المدينة لمهمات الرسول الا ان السبق الى الهجرة انما حصل لابي بكر
وكان يصلي بكونه من هذه الخصلة اولى فاذا ثبت هذا صار ابو بكر بانه
محكوما عليه بانه رضي الله عنه ورضي هو عن الله تعالى وذلك في اعلا الدرجات

وهو قوله

من الفضل واذا ثبت هذا وجب ان يكون اماما حقا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان
امامته باطلة لاستحق المعز والمقت وذلك ينافي حصول مثل هذا العلم فصارت هذه
من ادل الدلايل على فضل ابي بكر وعمر وعلى صحة امامتهما فان قيل لم لا يجوز ان
يكون المراد من تقدم موته بعد الاسلام من السهل ان عمر بهم على ما قاله ابو مسلم ويقول
لم لا يجوز ان يكون المراد من سبق الى الاسلام من المهاجرين والانصار لان هؤلاء
امنوا وقوي عدد المسلمين في مكة والمدينة فله وضعف بقوي الاسلام بسببهم
وكثر عدد المسلمين بسبب اسلامهم وقوي قلب الرسول بسبب دخولهم في الاسلام
وافتدى بهم عمن بعدهم فكان حالهم فيما ذكرنا من سن سنة حسنة فيكون له اجرها
واجر من عمل بها الى يوم القيامة ثم يقول هب ان ابا بكر دخل تحت هذا الا انه لم يعلم كونه
اول المهاجرين لكن لم قلتم ان ذلك يدل على علو الحالة ولم لا يجوز ان يقال انه تخلف عن تلك الحالة
وذلك يمنع من كمال الفضيلة بسبب تقدم غيره عليه في الامامة والجواب عن الاول
ان اصل السابقين على السابقين في الموت يعلم لا دليل عليه لان لفظ السابق مطلق
فلم يكن حمله على السبق في الموت اولى من حمله على السبق في سائر الامور وعن سائر
ان حمله على السبق في الهجرة اولى قوله المراد منه السبق في الاسلام لا نسلم
السبق في الهجرة وذلك لان لفظ السبق في الهجرة اولى ان يصلح لما يحمل السبق على
السبق في الايمان لانا نقول قوله والسابقون الاولون صيغة جمع وحملها
حمله على جماعة فوجب ان يدخل فيه علي وعمر وهب ان الناس احلفوا في ايمان ابي بكر
اسبق ام ايمان علي لكنهم اتفقوا على ان ابا بكر من السابقين الاولين واتفق اهل
الحديث على ان اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن
الموالي زيد فعلى هذا التقدير يكون ابو بكر من السابقين الاولين واذا ثبت ان
السبق في الاسلام انما اوجب الفضل العظيم من جنسه سبق به قبل الرسول
وصبر هو قد وجد بعينه وهذا المعنى في حق ابي بكر اتم وادل لانه حين اسلم كان
رجلا كبير السن مشهورا فمن الناس واقتدى به جماعة من اكابر الصحابة
فانه نقل انه كان بحا اسلم دعى طلحة والزبير وعثمان وسعدا وعمر الاسلام
فلما اسلموا جاءوا بهم الى الرسول عليه وسلم واسلموا على يد الرسول فظاهر انه دخل

بسبب

بسبب دخولهم في الاسلام نوه الاسلام وصار هذا قدرة لغيره ومن المعاني ما حصلت
في على لانه في ذلك الوقت كان صغير السن وكان جاريا مجرى سبي في داخل البيت فما كان
يحصل باسلامه في ذلك الوقت مزيد رفعة للاسلام وما صار قدوة في ذلك الوقت لغيره
فثبت ان الراس والرئيس في قوله والسابقون الاولون من المهاجرين هو الصديق ابو بكر
رضي الله عنه ثم قلنا انه بقي موصوفا بهذه الصفة لغيره فقد قام الدليل على طلب الامامة فلما
قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه ساق جميع الاحوال والاوقات بدليل انه لا
يقيد بحال دون حال الا وهو يستثنيه عنه فيقال رضي الله عنه الا في طلب الامامة
ومقتضى الاستثناء ما تولاه لدخل تحت اللفظ او نقول الله سبحانه وتعالى وصفهم بكونهم
سابقين مهاجرين وذلك يقتضي ان يكونوا سابقين في المحبة فوجب ان يكونوا كذلك
الله تعالى ما اوجب التعظيم وهو قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه والسبق في المحبة ثم
لما وصفهم بهذا الوصف اثبت لهم ما اوجب التعظيم ووصف مناسب التعظيم وذكر الحكم
عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فهذا يدل على ان
التعظيم انما حصل من قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه معللا بكونهم سابقين في المحبة
والعلة ما دامت موجودة وجب ترتب المعلول عليها وكونهم سابقين وصفة لهم في جميع
الزمان وجودهم فوجب ان يكون ذلك الرضوان حاصلا في جميع الزمان وجودهم ونقول
ان الله تعالى قال واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار وذلك يقتضي انه تعالى
قد اعد لكل الجنات وعينها لهم وذلك يقتضي دوامهم على تلك الصفة التي لاجلها صاروا مستحقين
لتلك الجنات وليس لاحد ان يقول المراد انه تعالى اعدها لهم لو بقوا على صفة الايمان
لانا نقول هذا زيادة اضمار وهو خلاف الظاهر وايضا فعلى هذا التقدير لا يبقى بين هؤلاء
المذكورين في هذا المدح وبين جميع فرق الامة تعالى اعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار
لغيرهم وهذا محال ولان كل احد يعلم ان هذا باطل وايضا فمعلوم انه تعالى انما ذكر
هذا الكلام في معرض المدح العظيم والثناء الكامل وحمله على ما ذكروه يوجب بطلان
هذا المدح والثناء فسقط هذا السؤال فظهر ان هذه الاية دالة على فضل ابي بكر
ابي بكر وعلى صحة القول بامامته قطعا المسئلة الثانية اختلفوا في ان المدح
الحاصل في هذه الاية هل يتناول جميع الصحابة ام يتناول بعضهم وعلى الوجه انه يتناول

تناول الذين سبقوا في الهجرة والنصرة وعلى هذا فهو لا يتناول الا قدماء الصحابة لان
كلهم من بعيد استحق ومنهم من قال بل يتناول جميع الصحابة لان جملة الصحابة
موصوفون بكونهم سابقين اولين بالنسبة الى سائر المسلمين وكلمة من في قوله من المهاجرين
والانصار لبيان المستحق للتشريف اي والسابقون الموصوفون بوصفهم
مهاجرين وانصارا كما في قوله تعالى واجتنبوا الرجس من الاوثان والرجس من الاوثان وهو
المراد هذا القول روى عن حمنه ابن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تحدثني عن
اصحاب الرسول عليه السلام فما كان بينهم وارث العن فقال ان الله تعالى قد عفى عنهم
اجمعين واوجب لهم الحسنى فقال سبحان الله الا تقرا قوله والسابقون الاولون
من المهاجرين الى آخر الآية فاوجب الله لجميع اصحاب النبي عليه السلام الجنة والرضوان
وشرط على التابعين شرطا شرطه عليهم قلت وما دليل الشرط قال اشترط عليهم
ان يتبعوهم باحسان وهو ان يعتقدوا بهم في اعمالهم الحسنة ولا يعتقدوا بهم في عمر دليل
وقال المراد ان يتبعوهم باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا وان لا
يوجهوا الطعن فيما اقدموا عليه قال احمد ربك فعسى ما قرات هذه الآية فظ
المسئلة الثالثة روى ان عمر الخطاب رضي الله عنه كان يقرا والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان فكان يعطف قوله والانصار
على قوله والسابقون وكان يحذف الواو من قوله والذين اتبعوهم باحسان ويجعله
وصفا للانصار وروى ان عمر رضي الله عنه كان يقرا هذه الآية على هذا الوجه
قال اي والله لقد اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الوجه وانا لسمع
القوط يوعدون بفتح المدينة فما زال عمر يصدقنا بهديهم وغنائهم ورغبتم وشغلنا ولم يشتبه
ليقولن نحن اوثق وانصر منا وروى انه حرق هذه المصاحف من عمر ومن زيد ثابت هي
الله عنهما واستشهد زيد ثابت ابن كعب والنعمان على قراءة عمر ويجوز النصب الحاصل
من قوله والسابقون الاولون بحسب ما المهاجرين وروى ابيا احتج على قراءة المرفوع
باحد الاقوال وهو قوله والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فدل المهاجرين
والانصار في الآية الاولى وما وسط سوى الاخرين وهو قوله والذين جاءوا من بعدهم

الاصليه من غير حدوث تغير فيه البتّه وذلك هو الملاسة اذا عرفت اصل اللفظ
نقول قوله مردوا على النفاق اى ثبتوا واستمروا فيه ولم يتوبوا عنه ثم قال
تعالى لا تعلمهم وهو كقوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمعنى انهم مردوا فى الكفر والنفاق
وما صاروا فيها استمروا فيه ولجوا الى حيث لا تعلم انت نفاقهم مع قوة خاطرك
وصفاء حدسك ونفاذ فراستك ثم قال سنعذبهم مرتين وقد ذكروا فى تفسير المرتين
وجوها كثيرة الاول قال ابن عباس يريد الامراض فى الدنيا وعذاب الاخرة
ودلك ان مرض المؤمن يغفر به السيات ومرض الكافر يفقد به حسنات
زيادة الكفر وكفران النعم المانع روى السدى عن ابى مالك النبى عليه السلام
قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج من المسجد ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثانى عذاب القبر
والوجع الثالث قال المجاهد فى الدنيا بالقتل والسبى وبعد ذلك عذاب
القبر والسرابع قال قتادة بالدبيلة وعذاب القبر وروى ان النبى عليه السلام
اسرى به ليلة اسرى عشر صلاة المنافقين ستة بعلهم بالدبيلة سراج من نار
يأخذ فيهم حتى يخرج من صدورهم وهم يقولون موبا والخامس قال
الحسن يأخذ الزكاة من اموالهم وعذاب القبر والسادس قال المجدر اسحق
هو ما يدخل عليهم من غم الاسلام ودخولهم فيه مع ما يرجونه من عذابهم والقبور
والسابع احد العذابين عرفت الدبيلة الوجع والدبار والضرع عذاب القبر
يوكل بهم عوض النار والاول ان يقال مرتين اشارة الى حياته ملتبسة حياة الدنيا وحياة القبر
وحياة القيامة فقوله سنعذبهم مرتين المراد منه عذاب الدنيا بجميع انواعه
وعذاب القبر وقوله ثم يردون الى عذاب عظيم المراد منه العذاب فى الحياة
الثالثة ثم قال تعالى فى آخر الآية ثم يردون الى عذاب عظيم يعنى الماء الخالد الدائم

قوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الى قوله والله سميع عليم فى الآية مسائل

المسألة الاولى واخرون اعترفوا بذنوبهم هم قوم آخرون من المنافقين
لما فعلوا ما فعلوا من النفاق والمراد انهم قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك
لا للكفر والنفاق لكن للكسل يريد مواظبتهم على ما تعلموا ثم ما واظبوا حتى الغالبون

بالقول الاول لان قوله واخرون معطوف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف
يوجب التشريك الا انه تعالى وصفهم حتى يأتي واخر ذكر الفريق الاول لما دل على النفاق وبين
والطعان فيه ووصف هذه الفرقة بالتوبة والاقلاع عن النفاق بالمسئلة الثالثة
روى انهم كانوا ثلثة ابو لبابة ومرداس بن عبد المنذر وثعلبة بن وديعة بن
حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بالسواري
المتخلفين فلما سمعوا الملك نادوا انفسهم على سواري المسجد فلما مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودخل المسجد فصلى ركعتين وكان من عادته فلما قدم من سفر
فراهم موثقين فسأل عنهم فذكروا له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا اطلقهم حتى اومر
فيهم فنزلت هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا
وانما تخلفنا عنك لاجلها فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم
شيئا فنزل قوله خذ من اموالهم الآية المسئلة الثالثة قوله اعترفوا بذنوبهم
قال اهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء عن معرفة ومعناه انهم اقروا
بذنبهم وفيه دقيقة كانه قيل لم يعتذروا حتى يجعل ذنبهم بالاعتذار المطلق رجما
ولم يعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا او طهروا النداسة وذموا انفسهم
على ذلك التخلف فان قيل الاعتراف بالذنب هل يكون توبة ام لا قلنا
ربما كان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاما اذا اقترن به الندم على الماضي والعزم
على ترك مثله في المستقبل وكان هذا الندم والتوبة لاجل كونه منهيا عنه من قبل الله
كان هذا المجموع توبة الا انه الدليل على ان هؤلاء قد تابوا بدليل قوله تعالى
عسى الله ان يتوب عليهم والمغفرة فالوا ان عسى من الله تعالى يدل على الوجوب
من قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وفيه بحثان الاول
في هذا العمل الصالح وجهان الاول العمل الصالح هو الاعتراف بالذنب والندامة
عليه والتوبة منه والثاني هو التخلف عن الغزو والباقي العمل الصالح حزنهم
مع الرسول الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عن غزوة تبوك والبحث الثاني
هذه الآية ان نزلت في حق المسلمين كان العمل الصالح اقدامهم على اعمالهم التي صدرت

عنهم البحث الثاني لعالم ان يقول قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا
فما المخلوط به والجواب ان اختلاط عبارة عن الجمع المطلق واما قوله
خلطته فانما يحصل في الموضع الذي يمكن حل واحد منهما بالاخر ومعنى كل
واحد منهما بسبب المخالطة عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء
بالخل والطاعة سميت بوجه المدح والثواب والمعصية سميت بوجه الذم والعقاب
فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فنبه به على ان نفي القول بالمخالطة
وانه ينفي كل واحد منهما كما كان من حيث ان تمايز احدهما بالاخر ومما يعين هذا
الامر على نفي القول بالمخابطة انه تعالى وصف العمل الصالح والعمل السيئ بالمخالطة والمخالطة
لابد وان يكونا قبل حال اختلاطهما لان الاختلاط صفة للمختلطين وحصول الصفة
حال عدم الموصوف بها دال على بقاء العلم حال الاختلاط فعرفت بهذا ان قوله تعالى
عسى الله ان يتوب عليهم وعد ما بحث البحث الاول هذا سؤال وجوابه كلمة
عسى من الله واجب والدليل عليه قوله عسى الله ان يأتي بالفتح وقال في حق
القوم فعسى الله ان يأتي بالفتح على عرفان الناس في الاعلام والسلطان العظيم اذا التمس المحتاج
منه شيئا فانه لا يحب الا الجزم بسبيل ومع كلمة عسى وبعلها منها على انه
ليس لاحد ان يلزمني شيئا وان يكلفني بل كان انا افعله على سبيل التفضل والطول
فذكر كلمة عسى الغالبة فيه هذا المعنى مع انه بعد القطع بالاجابة الوجه
الثاني في الجواب المقصود منه سان ايجاب ان يكون المكلف على الطوع والاشفاق
لانه اقرب من الامكان والاهمال البحث الثالث قال اصحابنا قوله عسى الله ان يتوب
عليهم صريح في ان التوبة لا تحصل الا من جملة الله والعقل ايضا دل عليه لان الاصل
في التوبة الندم والندم لا يحصل باختيار العبد لان ارادة الفعل او الترك لا يكون
فعلا للعبد لا كسبا في فعلها الى ارادة اخرى والصاعد الانسان قد يكون عظيم
الرغبة في فعل معين ويصير عظيم الندامة عليه وحال كونه راغبا فيه لا يمكنه
دفع تلك الندامة عن القلب فدل هذا على انه لا قدرة للعبد على تحصيل الندامة وعلى تحصيل
الرغبة فالمعين له المراد من قوله يتوب الله انه يفعل توبته واجاب القاضي

عن الظاهر اما بحسب اداء الدليل انه لا على اجراء اللفظ اما ههنا فثبت بالدليل العقلي
انه لا بد من اجراء اللفظ على ظاهره وكشف عن الباطل الوجه الثالث قوله
عسى الله ان يتوب عليهم يقتضي ارهان التوبة انما حصل في المستقبل وقوله
واعترفوا بذنوبهم دل على ان الاعتراف حصل في الماضي فلا بد على ان ذلك
الاعتراف كان بعض التوبة حتى كان متقدما للتوبة وان التوبة انما حصل بعدها ثم
قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وفيه مسائل هي
المسألة الاولى اختلفوا في المراد بقوله من اموالهم هذا راجع الى الاموال التي
تابوا وندموا على ما اخذوا منها فاوجب الله تعالى احدها وصار ذلك تيسيرا
في كيفية توبتهم ليكون كفارة في حقهم بحرى الكفارات وهذا قول الحسن وكان يقول
ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارات الذنب التي صدرت منه
والقول الثاني ان الزكوات كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الجهاد وجس
اسلحتهم وبذلوا الزكوات امر الله رسوله ان يأخذها منهم والقول الثالث وهو
الذي نختاره ان الكلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب اخذ الزكوات من الاغنياء على الفقراء
العقيب اذا استدلوا بهذه الآية في ايجاب الزكوات وقالوا في الزكاة انها طهرة
اما الغالبون بالقول الاول بعد اصحابنا على صحة قولهم بان الامام لا يجوز ان يكون
متطلعا مناسبا فلو حملنا فاعل الزكوات الواجبة اسداء لم يتوجه الامر بتعلق
ما قبلها وما بعدها وصارت كلمة احسه ودلك لا يليق بكلام الله تعالى
واما الغالبون بان المراد منه اخذ الزكوات الواجبة قالوا المناسب حاصله اقصاء
على هذا التعديد ورد الآية بهم لما اظهروا التوبة والندامة عن تخلفهم عن غزوة تبوك
وهم اقروا بان الذنب الموجب لهذا التخلف حصل لاموالهم وشاحهم بها على نفوسهم
عن الاعفاء وعجائبه قبل ان ما يظهر صحة قولكم في ادعاء هذه التوبة والندامة
لو اتوا بتمام الزكاة ولم يفعلوا فيها فكان الدعوى لا يفيد الا المعنى وعند
الامتحان يكرم الرجل او يهان فان اخذ والد الزكوات عن طيبة النفس ظهر
كونهم صادقين في هذه التوبة والطاعة والا فهم كاذبون مزورون بهذا
الطريق فامكن حمل هذه الآية على التكليف باخراج الزكوات الواجبة مع انه سعى

نظم هذه الآيات سليمًا ويدل على أن المراد الصدقات الواجبة قوله تطهرهم وتزكيهم
بها والمعنى تطهرهم عن الذنوب بسبب تلك الصدقات وهذا إنما يصح لو فعلنا أن لم يجب
تلك الصدقة فحصل الذنب ودللنا إنما يصح حمله على الصدقات الواجبة وأما الغالبون
بالقول الأول فإنهم قالوا إنه عليه السلام لما عدد أولئك الماسين وأطلقهم قالوا يا رسول
الله هذه أموالنا التي بسببها تخلفنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا
فقال عليه السلام ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم ولم يعتد بحلفهم وعفا عن بعضهم فاعلم أن هذه
الرواية لا تمنع القول الذي اخترناه لأنه قيل لهم إنكم لما رضيتم بإخراج الصدقة
التي هي غير واجبة فلأن ترضوا بإخراج الواجبات أولى المسألة الثانية
هذه الآية تدل على كثير من أحكام الزكاة فالأول في قوله خذ من أموالهم دل على
أن القدر المأخوذ بعض تلك الأموال لا كلها ثم إن بعد ذلك البعض عين
مذكورا ههنا بصريح اللفظ بل المذكور ههنا قوله صدقة ويعلم منه
أن المراد منه القدر الذي يكفي لإغناء الفقير حتى إن كان في غاية الغلاء
مثل المجاعة الواجب من الحنطة لشبع الجمع الكثير حتى إن الرجل الموسر جدا يكون المراد
منه صدقة معلومة الصفة والكيفية والكمية عندهم حتى يكون قوله
خذ من أموالهم صدقة أمرا لآحاد تلك الصدقة ليست إلا الصدقات التي وضعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كيفيتها والصدقات التي بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم صفتها هي أنه أمر بأن يؤخذ في خمسة وعشرين من الإبل شاة وفي ست
وثلثين بنت لبون إلى غير ذلك من المراتب فكان قوله خذ من أموالهم صدقة أمرا لآحاد
تلك الأشخاص المخصوصة وظاهر الأمر للوجوب فدل هذا النص على أن أخذها
واجب وذلك يدل على أن النية لا تكون شرطا فيه على ما هو قول الشافعي رحمه الله
المسألة الثالثة الآية تدل على أن يؤخذ من أموالهم صدقة تنقص أن يكون المال
ما لا لهم ومتى كان كذلك لم يكن المقدر شركا لهما لا في النصاب
وحينئذ يلزم أن يكون الزكاة متعلقة بالذمة وأن لا يكون لها تعلق
بالنصاب حتى لو هلك ما كان نصابا لم يسقط الحول كما كان يقول أبو حنيفة رحمه

دال الوجوب بعد هلال النصاب كما كان وهذا هو قول الشافعي رضي الله عنه الحكم الثالث
ظاهر هذا العموم يوجب الزكاة في مال المديون وفي مال الصغار وهو ظاهر
الحكم الثاني الخ اعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الزكاة انما وجبت طهرة للانام
فلا جرم لا تطهر عن الانام وكونها طهرة عن الانام لا معنى له الا حصول الخلاص
حصول الخلاص وذلك لا يعقل الا في حق المالك فوجب ان لا تجب الزكاة
الا في حق المالك فهذا هو قول ابي حنيفة رحمه الله الا ان الشافعي رحمه الله يحتج
ويقول ان الآية تدل على ان احد الصدقة من اموالهم مستلزم لوقوعها طهرة
فلما علمنا ان اخذ الزكاة من اموال الصبي والمجنون يجب كونه طهرة لانه لا
يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا المسألة الثالثة في قوله تطهرهم
وتزكيهم الاول ان يكون المقدر احد اشياء من اموالهم صدقة فالمطهر هم
والثاني ان يكون تطهيرهم متعلقا بالصدقة والمقدر احد من اموالهم
صدقة مطهرة وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما انها اذا صدقة او ساخ
الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ فكان اندفاعها سببا
لمحو المطهر واعلم ان على هذا القول يوجبان يقول ان قوله وتزكيهم
يكون منقطعا عن الاول ويكون المقدر احد اشياء من اموالهم صدقة
تطهرهم بها الصدقة وتزكيهم اثبات بها والقول الثاني ان الكاف تجعل التاء
في تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب فيكون المعنى تطهرهم انت ايها الاحد
باخذها منهم وتزكيهم بواسطة اخذ الصدقة المسألة الرابعة قال
صاحب الكشاف قرئ تطهرهم من الطهر يعني تطهرهم وتطهرهم بالجزم
جوابا للامر ولم تقرأ وتزكيهم الا بالرفع قال تعالى وتزكيهم
واعلم ان التزكية لما كانت معطوفة على التطهير وجب حصول المغايرة
فجعل الزجاج ما سألته في التطهير وجعل التزكية بمعنى الانماء والمعنى انه
تعالى يجعل المعصية الحاصلة بسبب اخراج قدر الزكاة سببا للانماء وجعل
الصدقة تطهرهم من نجاسة الذنب المعصية والرسول يزكيهم ويعظم شانهم
ويثني عليهم عند اخراجها الى الفقراء قال تعالى وصل عليهم ان صلوتك تسكن لهم

وفيه مسائل المسئلة الاولى قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم صلاتك بغير واو وفتح
الآء على التوحيد والمراد به الجنس وقرأ في سورة هود اصلاتك امرك بغير واو وعلى التوحيد والباقون
صلواتك وكذلك في هود على الجمع قال الواحدي قراءة الاولى اولى لان الصلاة اكثر اذ يجمع انه
قال ابو بكر بن الانباري صلاتك مكان على لابنه والصلوات جمع فلم يقل لعل صلوات تدخل صلوات
قال ابو بكر ايضا هذا غلط لان هذا الصلوات تفسر العلة لانه تعالى قال لعلها اعلمت ظلمات الله ولم يرد
العلل وقال بعضهم في الغريبات امنون وقال ان المسلمين والمسلمات المسئلة الثانية اجتمع
مانعو الزكاة في زمان ابي بكر بعد رسول الله وقالوا انه تعالى امر الرسول باخذ الصدقات منا من
بان يصلي علينا وقد زال صلاته سكن لنفوسنا وكان وجوب الزكاة مشروطا بحصول ذلك السكن
ومعلوم ان غير الرسول لا يقوم مقامه في حصول ذلك السكن فوجب ان لا يجب دفع الزكاة
الى احد غير الرسول عليه السلام واعلم ان ضعف هذا ظاهر لان سائر الآيات دلت على ان الزكاة
انما وجبت دفعا لحاجة الفقراء كما في قوله انما الصدقات للفقراء وكما في قوله وفي اموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم المسئلة الثالثة لا شك ان الصلاة في اصل اللغة عبارة
عن الدعاء فاذا قلنا صلى فلان فقد دعا بحسب اللغة الا اصلية الا انه صار بحسب العرف
بعد ان قال اللهم صل عليه فلهذا السبب خلط المفسرون فجعلوا عن ابن عباس قال
معناه ادع لهم قال الشافعي رضي الله عنه والسنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو
للمتصدق ويقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال الاخرون معناه
ان يقول اللهم صل على فلان ونقل عن النبي عليه السلام ان آل ابي اوفى لما اتوه بالصدقة
قال اللهم صل على آل ابي اوفى ونقل القاضي في تفسيره عن الكعبي في تفسير عن ابي قال
على العمرة وهو مسحي عليه السلام علك ومن الناس من انكر ذلك ونقل عن ابن عباس انه قال
لا يسمى احد بالصلاة على احد الا في حق النبي عليه السلام المسئلة الرابعة ان
اصحابنا ممنوعون من قولهم صلوات الله عليه وعليه السلام الا في حق الرسول والشيعة
مكثرون منه في علي واولاده واحتجوا عليه بان نص القرآن دل على هذا الذكر
جائز في حق من يودي الزكاة فكيف يمنع ذكره في حق علي والحسن والحسين وبالجملة
بعضهم قال البس ان الرجل اذا قال السلام عليك فقال وعليك السلام فقد اهدا على انه قد سلم
هذا الغلط جائز في حق جميع المسلمين فكيف يمنع ذكره في حق اهل بيت الرسول قال القاضي
انه

انه جاء في بعض الروايات عليه السلام والدليل عليه انهم قالوا يا رسول الله قد عرفنا السلام عليك
فكيف الصلاة عليك فقال على وجه التعليم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وآل ابراهيم ومعلوم انه ليس المراد تحديد مساواة على ذلك كما يجوز مثله في آل ابراهيم
المسئلة الخامسة كنت قد ذكرت لطائفة في قول مصنفهم لبعض سلام عليك ومحي
منزلته هذا الموضع الذي رأيت ان اكتبها ههنا لئلا تضيع فقلت اذا قال
الرجل لغيره سلام عليك فقوله سلام مبتدأ وهو نكرة وزعموا ان جعل النكرة مبتدأ لا
يجوز قالوا هذا لان الاخبار انما تعد اذا اصدر عن المعلوم بامر غير معلوم لانهم قالوا اللام
اذا كانت موصوفة حسن جعلها مبتدأ كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
اذا عرف هذا فها هنا وجهان الاول ان التنكير دل على الكمال الا ترى الى قوله تعالى
ولتجدنهم احرص الناس على حياة والمعنى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ذاعة كامله عشر
مستطعة اذا عرف هذا فقوله سلام امنطه مسكوت فكان المراد منه سلام
كامل تام وعلى هذا التقدير فقد صار نكرة الكونه موصوفة فصح جعلها مبتدأ
واذا كان ذلك فحينئذ يحتمل الخبر هو قوله والتقدير سلام كامل تام عليكم والثاني ان يجعل قوله
عليكم صفة لقوله سلام فيكون مجموع قوله سلام عليكم مبتدأ وقوله خبرا والتقدير سلام
عليكم واقع كائن حاصل ورجحان حذف الخبر اولى على الهويل والتخييم اذا عرف
هذا فنقول انه عند الجواب يقابل هذا التنكير بمثله فيقال وعليكم السلام والسر فيه ما قاله سيبويه
انهم يتعوذون لانفسهم والدعاء هو الشائع فيما بينهم فلما قال وعليكم السلام دل على الاهتمام بهذا المعنى
فشارك المقال المقال في التنكير كاملا وايضا فقوله وعليكم السلام لفظ يفيد الحصر فكانه يقول
انت قد اوصلت السلام الي فانا ازيد عليه واجعل السلام مختصا بك محصورا فيك
امتثالا لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها والطائفة قوله سلام
عليكم اتم من قوله السلام عليكم وذلك لان قوله سلام عليكم معناه سلام كامل تام يترتب
ويتبع عليكم واما قوله السلام عليكم فالسلام لفظ مفرد محلى بالالف واللام واذا لفظ
الاصل الماهية واللفظ الدال على اصل الماهية لا يتعارضه ما لا حوال العارضة
للماهية وبكمالات الماهية فكان قوله سلام عليكم اكمل من قوله السلام عليكم ومما
يؤكد هذا المعنى انه انما جاء لفظ السلام من الله ورد على سبيل التكلم بقوله واذا حاك

عن عاصم صلاتك بغير واو ونح
امرك بغير واو على التوحيد والباقون
ان الصلاة اكثر لانهم يرون انه
ات صلوات وجمع صلوات
بالما اعلمت ظنا انه ولم يرد
ت المسئلة الثانية احتج
سول اما حذف الصدقات فلم امر
مر وما حصول ذلك السكن
كن بوجبار لا يجب دفع الزكاة
ان سائر الاديان دلت على الزكاة
لمفعول كما في قوله وفي اموالهم
ل ان الصلاة في اصل اللغة عبارة
اصليه الا انه صار بحسب العرف
لمعروف نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
م اذا اصل الصدقة ازيد عنوا
عت وقال الحسن معناه
ك لك اوفي لما انوه بالصدقة
عن الكعبي في تفسيره انه قال
كور ذلك ونقل عن ابن عباس انه قال
يم المسئلة الرابعة ان
سلام اذ في حق الرسول اذا سمعه
غير ذلك على ان هذا الذكر
ى على الحسن والحسين ورأيت
م وعلى السلام فدل هذا على ان ذكر
في حق اهل بيت الرسول في الماضي

الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وقوله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وفي القرآن
من هذا الجنس كثير وأما لفظ السلام بالألف واللام فإنما جاء من الأنبياء لهم السلام
كقول موسى قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى وأما في سائر الرسل
فلما ذكر الله يحيى عليه السلام قال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
وقال في عيسى عليه السلام قال والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا فبين
الله تعالى في قصة عيسى عليه السلام أن قوله سلام علي أكمل من قوله السلام علي وهذا السر خفي
فلم يتفطن له الوجود إن قوله سلام عليك أكمل من قوله السلام عليك وهذا السر خفي
الشافعي في قراءة التشهد قوله سلام عليك أيها النبي على سبيل التكرير ومن لطائف
السلام أنه لا يسلك أن هذا العالم معدن الشرور والآفات والمحن والمخافات وأخلف
العلماء الباحثون عن أسرار الأخلاق أن الأصل في جبلة الحيوان الخبث والشر فمن
من قال الأصل فيها الشر قال وهذا كالإجماع المنعقد من الناس بل يبعد وجود
أنه كالإجماع المنعقد من جميع الحيوانات والدليل عليه أن كل إنسان يرى إنسانا
يعتدوا إليه مع أنه لا يعرفه فإن الطبع يحمله على الاحتراز عنه وإلى هذا ذهب معه ولولا
أن طبعه تشهد بأن الأصل في الإنسان الشر والأذى وخرق قطع العقل إلى هذا
لم يكن شر ذلك الساعي إليه بل ولو هذا المعنى حاصل في كل الحيوانات فإن كل حيوان
عدا إليه حيوان آخر فسرد ذلك الأول واحترز عنه فلو تعذر في طبعه أن الأصل في
هذا الواصل الخير لوجب أن يقف أن الأصل في الطبيعة يحمله على الدفع في وجدان
الخير ولو كان الأصل في طبع الحيوان أن يكون شرا وضرا على السعادي والمساوي
وجب أن يكون الفرار والوقوف متعذرا لئن فلما لم يدل الأمر كذلك كان كل حيوان
توجه إليه حيوان مجهول الصفة عند الأول فإن دل الأول يحترز عنه بحكم فطرته
الأصلية على أن الأصل في الحيوان هو الشر إذا تقرر هذا فنقول
دفع الشر أهم من جلب الخير ودل عليه وجوه الأول أن دفع الشر يعصي إبقاء
ما كان على ما كان من تحصيل الزيادة والثاني أن إبصال الخير إلى كل أحد ليس في الوسع
أما كف الشر عن كل أحد داخل في الوسع لأن الأول فعل والثاني ترك وفعل ما لا نهاية
له غير ممكن أما ترك ما لا نهاية له ممكن والثالث أنه إذا لم يحصل دفع الشر فقد حصل
الشرور لذلك يوجب حصول الألم والحزن وهو في غاية المشقة وأما إذا لم يحصل إيصال

الخير

الفاضلة منها ويقوى روحه بمدد الكمال لفضل على ادراك المعارف والعلوم اذا عرفت
هذا فاذا قال الجن سلام عليكم حدث بسببهما تعلق بتلك الروح بسبب المناسبة بما طبق
الارواح ومعانسة الانوار ولنكشف هذا العذر في هذا الباب عاما فقد ذكرنا ان هذا
الفعل اجنبي عن هذا المكان المسئلة السادسة قوله ان صلاتك سلم لهم قال
الواحدي السلم في اللغة ما سلمت اليه والمعنى ان صلوا عليهم يوجب سلوتهم
اليها والمفسرون عبارات قال ابن عباس رضي الله عنهما رحمتهم وقال مقاتل وفقهم
وقال الكلبي طاعة لهم وقال العوفي اذا استغفرت لهم سكنت نفوسهم الى ان الله تعالى
قبل توبتهم واصل ان روح محمد عليه السلام كان مدبرا وحاقوته مدبرة صاحبه
فاعلم فاذا دعا محمد لهم ودلهم بالحق فاستنارت قوة الروح حاسة على ارواحهم
فاشرقت بهذا السبب ارواحهم وصفت اسرارهم واسعلوا من الظلمة الى النور
ومن الحسابية الى الروحانية وبقرن ما بعده في المسئلة الخامسة قال والله سميع
لقولهم عليم بندامتهم قوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن
عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم واعلم انه تعالى حكى عن القوم
الذين تعلم دكيهم انهم ما تابوا عن ذنوبهم وانهم ما تصدقوا وهما لم يذكر الا قوله على الله
ان يتوب عليهم وما ذاد الله صريحا في قبول توبتهم ذكر في هذه الآية انه يقبل التوبة وانه
يأخذ الصدقات والمقصود ترغيب من لم يتب في التوبة وترغيب كل العصاة في الطاعة
وفي الآية مسائل المسئلة الاولى قال ابو مسلم قوله الم يعلموا وارد بصيغة
الاستفهام الا ان المقصود منه التقرير في النفس ومن عادة العرب في افهام المخاطب
وازالة الشك عنه ان يقول الما علمتان من عملك كذا حسنا اما علمتان من
احسن اليك وصنع لك كذا فكيف تكون فسر الله هؤلاء الناس بقوله توبتهم وصدقاتهم بمراده
تأكيدا لقوله وهو التواب الرحيم المسئلة الثانية قال صاحب الكشاف قرئ
الم يعلموا بالياء والتاء وتسمى وجهان الاولى ان يكون المراد من هذه الآية هؤلاء
الذين تابوا يعني الم يعلموا ان يتوب عليهم ويقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة عن عباده
الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية والثاني ان يكون المراد
من هذه الآية عموم الناس يرغبهم في التوبة ويحثهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علم بعضهم

توبتهم

توبتهم قال الذين لم تتوبوا هؤلاء الذين يأتون كانوا يأتون بما لا يليق معنا لا تكملوا ولا تحاسبوهم
فتزلت هذه الآية المسئلة الثالثة قوله هو يقبل التوبة عنه فوائد الفائدة الأولى
انه تعالى سمى نفسه باسم الله تعالى عنه هو يقبل التوبة وفيه نفسه على أن كونه
الها يوجب قبول التوبة وذلك لان الاله هو الذي يمنع فطرق الزيادة والنقصان اليه فيمنع
أن يزداد حاله في الطاعة المطيع ولا ينقص حاله بمعصية المذنب ويمنع الصالح أن يكون
لهم هو الى الطاعة ويعرض المعصية حتى يعالج ربه وعصيه يحمله على الاستقامة والمعصوم
من الله هو عن المعصية والترغيب في الطاعة هو الذي يدعى العلم الاعلى ومنازل السعداء
وينهاه عن الاشتغال بالخسائس الباطلة يعني العبادة والعمل الخير والطريق الصالح وكل ما كان
بالضد منه وهو المعصية والعمل الباطل والمذموم لا يضر الا نفسه والمطيع لا ينفع الا نفسه
كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا كان الاله رحيما حكيما
كريما ولم يكن عصيه على الله بحيث انه يضره بمعصيته فاذا اقبل العبد من المعصية الى الطاعة
كان ذلك مما يوجب له قبول توبته فثبت بما ذكرنا ان لفظ التواب عند الاطلاق يفيد
وقوع الاستعفا المطلق ممن يصح الحصول العفو كان قبول التوبة من العبد كالجمع الاسباب
اخر مفصل ومعارض بسائر الدلائل المسئلة الثانية في هذا التخصيص هو ان قبول التوبة
ليس الا لرسول الله عليه السلام اما الله تعالى هو الذي يقبل التوبة بان يوفقها حتى يقصدوا
الله بها ويحصولها اليه وقيل لهؤلاء الناس اعملوا ما شئتم لا يخفى على الله شيء
كان اوشك المسئلة الرابعة قال المعتزلة قبول التوبة واجب عقلا على الله تعالى
وقال اصحابنا قبول التوبة واجب بحكم الوعد والفضل والاحسان اما عقلا فلا وتحقيقه
اصحابنا على عدم وجوب قبول التوبة وجوه الاول ان الوجوب لا يتقرر معنا الا
اذا كان بحيث لو لم يفعله الفاعل استحق اللوم فلو وجب قبول التوبة على الله تعالى
لكان بحيث لو لم يفعله لصار مستحقا اللوم وهذا محال لان من كان بحيث لا يليق به ان يكون
مستكملا بفعل الفعول والمستكمل بالغير ناقص لذاته وذلك في حق الله تعالى محال الثاني
ان اللوم انما يتبع من الفعل اذا كان بحيث يدرى عن سماع ذلك اللوم وسرعة طبع ويطهر
له نفسه نقصا حالا ما من كان سمعا للناس الهم والنقص وازالته والنقصان لم يتحقق
يتحقق الوجوب ويحقق هذا المعنى ان الله تعالى يمدح بقبول التوبة في هذه الآية

ولو كان ذلك لما مدح على ادا الواجب لانه لا يستحق المدح والثنا العظيم المسئلة
الخامسة عن في قوله عن عباده فيه وجهان احدهما انه بمعنى من لانه لا فرق بين قوله عن
عباده وبين قوله من عباده يقال اخذت هذا منك واخذت هذا عنك والثاني
قال القاضي لعل عن عباده ابلغ لانه مبني على القبول مع تسهيل مسئلة الى اللوبة
التي سلكت واقول انه لم يمتنع دلالة لفظه على هذا المعنى والذي اقوله
ان كلمة عن وكلمة من يتعاوران الا ان كلمة عن لبعيد البعد فاذا قال جلس فلان عن
يمين الامير افاد انه جلس فلان عن يمين الامير في حد الجانب ولكن مع صرير من البعد
قوله عن عباده يفيد ان المانع بعيد في نفسه انه صار بعيدا عن قبول
الله تعالى بسبب ان الذنوب حصل له انكسار العبد الذي طرده مولاه وبعده عن
حضرة نفسه فلفظة عن دالة على انه لا بد من حصول هذا المعنى للتائب
المسئلة السادسة قوله وياخذ الصدقات فيه سوال وهو ان ظاهر هذه
الاية يدل على ان الاخذ هو الله وقول حكموا انهم صدقة يدل على ان الاخذ
هو الرسول عليه السلام وقال عليه السلام لمعاذ خذ من اغنيائهم يدل على ان اخذ
تلك الصدقات هو معاذ واذا وقعت الصدقة الى الفقير والمسكين يصدق ان اخذها هو
الفقير وكيف الجمع بين هذه الالفاظ والجواب من وجهين الاول انه تعالى
لما بين في قوله خذ من اموالهم صدقة ان الاخذ هو الرسول تمدح في هذه الاية ان الاخذ
هو الله كان المقصود منه ان اخذ الرسول قائم مقام اخذ الله والمقصود منه
التنبيه على تعظيم شان الرسول عليه السلام من حيث ان اخذه للصدقة جار مجرى
ان ياخذها الله ونظيره قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقوله
ان الذين يؤذون الله والمراد منه ايذاء الرسول عليه السلام والجواب الثاني انه
اضيف الى الرسول بمعنى انه تارة ياخذها وتارة يعلم الله في هذه الواقعة ان المانع
واضيف الى الفقير بمعنى انه هو الذي ياخذ اخذ الاصدقة ونظيره انه اضاف التوفي الى نفسه
بقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم واضافه الى ملك الموت وهو قوله تعالى قل يتوفاكم
ملك الموت واضافه الى الملائكة الذين هم اعوان ملك الموت وهو قوله حتى اذا جاء
احدكم الموت توفته رسلنا فاضيف الى الله تارة والى ملك الموت تارة والى رسله في هذا النوع
من الفعل

من العمل والى اتباع ملك الموت يعني انهم هم الذين يتولون الاعمال التي يعدها لهم الموت
فعدا هما اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى خذ الصدقات تدل على ان نوعا عظيما لهذه
الطاعة والاخبار كثيرة عن النبي عليه السلام انه قال ان الله يقبل الصدقة ولا يقبل
منها الا طيبا وانه يقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم مهره او فصيله
حتى ان اللقمة تكون عند الله اعظم من احد وقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده
ما من عبد مسلم تصدق بصدقة فتقبل الا الذي يتصدق بها عليه حتى يضعها في كف الله
ولما روى الحسن هذا عن الحسن قال وعمر الله وكرمه ووصفه لا يوصف ليس مثله
شيء واعلم ان اعطاء الغير والكف عن التعدي قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى
الله عملكم ورسوله مسائل المسألة الاولى اعلم ان هذا الكلام جامع للترغيب
والترهيب والمراد من المعبود اذا كان قد يعلم افعال العباد لم ينفع العبد بفعله
وهذا استفهام انكار هم عليه السلام لانه لم يعلم ما لا ينفع ولا يضر ولا يعني عنك
وقلت في بعض المجالس ليس المقصود من هذه الحجة التي ذكرها ابراهيم عليه السلام القدح
في الهيئة الصنم بل كل احد يعلم بالضرورة انه حجر وخشب وانه محل للضرر والمضرة فلم
نشاجره ومن يتاكره ومن كان كذلك لم ينفع وهم الحامل كونه الها بل المقصود ان الحجر
بعيد الاصنام كانوا في زمان ابراهيم عليه السلام اتباع الفلاسفة القائلين بان الله العالم
موجب الذات وليس بموجد بالمشيئة والاختيار فعال الموجب بالذات قد يكون عالما بالجزئيات
ولم يكونوا على اعلى الاطوار ولا سمعوا دعاء المحتاجين والا ترى ان ضرع المساكين مما يزيد
عباده فكان المقصود من دليل ابراهيم عليه السلام القطع في قولين بقولنا الله العالم
موجب بالذات اما اذا كان عالما مختارا وكان عالما بالجزئيات فحينئذ يحصل للمعبود به
الفوائد العظيمة وذلك لان العبد اذا اطاع علم المعبود طاعته وقدر على ايصال الخير
الله في الدنيا والاخرة وان عصاه علم المعبود ذلك وقدر على ايصال العقاب اليه في
الدنيا والاخرة بقوله قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وعد عظيم لمطيعين ووعيد
عظيم للمذنبين فكانه قال ان جهدوا في المستقبل فان يعلم في الدنيا حكما وفي الاخرة حكما
اما حكمه في الدنيا فهو ان يراه الله ورسوله والمسلمون فان كان طاعة حصل
منها ثناء عظيم في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة وان كان معصية حصل منه الذم
العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الاخرة فثبت بهذا الدليل الواضح جامعة

لجميع ما يحتاج المرء اليه في دينه ودنياه ومعاشه ومعاده المسئلة الثالثة دلت
الآية على مسايل اصولية الحكم الاول انها تدل على كونه تعالى راسا للمبصرات لان الرؤية
للمعداة الى مفعول واحد هي الابصار والمعداة الى مفعولين هي العلم كما يقال
رات زيدا فعلها وههنا الرؤية معداة الى مفعول واحد فكون بمعنى الابصار ودلت
ايضا على كونه مبصرا وراسا للابصار ومما يقوي ان الرؤية لا يمكن حملها على
العلم انه تعالى وصف نفسه بالعلم بعد هذه الآية بقوله عالم الغيب
والشهادة ولو كانت هذه الرؤية بمعنى العلم لم يحصل التكرير الخالي عن الفائدة
وهو باطل الحكم الثاني مذهب اصحابنا ان كل موجود فانه يصح رؤيته واحتجوا
عليه بهذه الآية والواقد دلت على الرؤية المذكورة في هذه الآية معداة الى مفعول
واحد والقوانين اللغوية شاهدة بان الرؤية المعداة الى المفعول الواحد معناها
الابصار فكانت هذه الرؤية معناها الابصار ثم انه تعالى عدى هذه الرؤية
الى عملهم والعمل ينقسم الى القلوب كالارادات والكراهات والاعتقادات والى اعمال
الجوارح كالحركات والسكنات فوجب كونه تعالى راسا للكل وقد دل على ان
هذه الاشياء كلها مرئية لله تعالى واما الحساي فانه كان يحتج بهذه الآية على كونه
تعالى راسا للحركات والسكنات والاجتماعات والافتراقات فلما قيل له ان صح
هذا الاستدلال فلم لا يكون تعالى راسا لاعمال القلوب فاجاب عنه
انه تعالى عطف عليه قوله ورسوله والمومنون وهم امامنا وقد اعمال الجوارح فلما
تقدمت هذه الرؤية باعمال الجوارح في حق المعطوف وجب اعادتها بهذا العقد في
حق المعطوف عليه وهذا بعيد لان العطف لا يفيد الا اصل التشريك واما التسوية
في كل الامور فغير واجب فدخول التخصيص في المعطوف لا يوجب دخول التخصيص
في المعطوف عليه وذكر الجواب عن اصل الاستدلال فقال وقد الله تعالى
حاصله في الحال والمعنى الذي يدل عليه لفظ الآية وهو قوله فسيرى الله عملكم
امر غير حاصل في الحال لان التسيير مختص بالاستقبال فثبت ان المراد من قوله
فسيرى الله ليس هو الرؤية بل المراد منه اطلاع على الاعمال تقول فسيرى الله
عملكم اي سيوصل الله جزاء اعمالكم والحبيب ان يحسب عنه بان اتصال الجزاء بالعمل

مذكور

مذكور بقوله فسيرى الله عملكم ورسوله فلو حملناها على اتصال الجزاء بالمذكور
فانه غير جائز المسئلة الثالثة في قوله فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون سؤال
وهو ان عملهم لا يراه كل احد فما معنى هذا الكلام والجواب معناه وصول
خبر ذلك العمل الى الرسول فالرسول عليه السلام لو ان رجلا عمل في بعض الاماكن شيئا ولم يكن خرج عمله
الى الناس فانما كان فان قيل فما الفائدة في ذكر الرسول والمؤمنين بعد ذكر الله تعالى
انهم لا يرون اعمال هؤلاء الناس قلنا فيه وجهان الاول ان احدا ما يدعوا الله تعالى
الى العمل الصالح الا لما يحصل له من المدح والتعظيم والعز الذي يلحقه عند ذلك فاذا علم
انه اذا علم الله اذا فعل ذلك العمل عظمه الرسول والمؤمنون عظم بوجه ذلك وقوي
رغبته فيه وحامله على هذه الطريقة انه تعالى اوجب ذكر عقيبها رؤية
الرسول عليه السلام والمؤمنين وكانه قيل ان كنتم من المحبين للمحقين في عبوديته
الطريق اعمال الصالحة لله تعالى وان كنتم من الصعقا المتعوذين بالحق فاعملوا
الاعمال الصالحة لتفوزوا بان افعال الله وهو الرسول والمؤمنون الوجه الثاني
في الجواب ما ذكره ابو مسلم ان المؤمنين يشهد الله يوم القيامة بما قال وكذلك ملائكته
امناء وسيطا والرسول يشهد لامته كما قال فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا فثبت ان الرسول والمؤمنون يشهدون الله يوم القيامة والشهادة
لا تصح الا بعد الرؤية فدل الله ان الرسول والمؤمنين يرون اعمالهم والمعصود انه
على انهم يشهدون بها يوم القيامة عند حضور الاولين والآخرين بانهم اهل الصدق والصلاح
والعفاف والزهاد وهو قوله وستردون الى عالم الغيب والشهادة وهو مسائل
المسئلة الاولى قال عباس عالم ما يشهد الشهادة ما يظهرونه وانوار
لا بعد ان يكون الغيب ما حصل وعلمهم من الدواعي والصوارف والشهادة الافعال
التي تظهر على جوارحهم وانوار المسئلة هذه حكما الاسلام الموجودات
الغائبة عن الحواس عن علل او دلائل تدل الموجودات المحسوسة وعندنا ان العلم
بالعلة علة للعلم بالمعلول موجبة كون العالم بالغيب قادرا على العلم بالشهادة
فهذا السبب ما حاصل هذا الكلام وفي القرآن كان الغيب مقدما على الشهادة هم
المسئلة الثالثة اذا حملنا قوله تعالى فسيرى الله عملكم ورسوله على الرؤية فحينئذ
يظهر ان معناه مغاير لمعنى قوله وستردون الى عالم الغيب والشهادة جاريا مجرى

التعسير لقوله صبرى الله عليكم معناه اظهار المدح والثناء والاخبار في الدنيا
او اظهارا لاضدادها وقوله وستردون الى عالم الغيب والشهادة معناه ما يظهر
في القيامة من احوال الثواب والعقاب وقوله فينبئكم بما كنتم تعملون والمعنى
انه يعرفكم احوال اعمالكم بحازيكم عليها لان المجازاة من الله تعالى لا تحصل في الدنيا
الا بعد التعريف ليعرف كل احد ان الذي وصل اليه عدل الله تعالى ملوكان من اهل الثواب
كان فرحه وسعادته اكثر وان كان من اهل العقاب كان غمه وحسرته اكثر وقال
حكما الاسلام المراد من قوله تعالى صبرى الله عليكم اشارة الى الثواب الروحاني وذلك
لان العبد اذا تحمل انواعا من المشاق في الامور التي امره بها مولاه فاذا علم العبد ان
مولاه يرى مستحملا لتلك المشاق عظم فرحه بها وقوى اشتياقه بها وكان ذلك الذي عنده
من اطلع الغيبية والاموال العظيمة واما قوله وستردون الى عالم الغيب والشهادة
فالمراد منه تعريف عقاب الخزي والفضيحة ومثاله ان العبد الذي جفا السلطان
بالوجوه الكثيرة في الاحسان اذا اتى بانواع كثيرة من المعاصي فاذا حضر ذلك
العبد عند ذلك السلطان وعد عليه انواع فضائحه وقبائحه قوي خزيه وعظم غمه
وكملت فضيحته وهذا نوع من العذاب الروحاني وهو اشد العقاب
الجسماني حذرنا منه والمقصود من هذا انه تعريف هذا النوع من العقاب الروحاني
نسال الله العصمة عنها وعن سائر انواع العذاب قوله تعالى واخرون مرجون
لامر الله اما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم وفيه مسائل
المسئلة الاولى قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم مرجون بغير همز
والباقون بالهمز وهما لغتان ارجأت الامر وارجيته بالهمز وبغيره اذا اخرته وسبب
المرجية بهذا الاسم لانهم لا يجزمون القول بعفو الله تعالى ولكن يرجون ويرجأ الى
مشيئة الله تعالى وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل عن الايمان المسئلة
الثانية اعلم الله تعالى ختم المتخلفين عن غزوة تبوك اقساما اولهم المنافقون الذين مردوا على
النفاق والثاني المائتون ذكرهم المراد من قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم ومن يعالى
الله فضل توبتهم والقسم الثالث الذين يقوا موقوفين وهم المذكورون في
هذه الآية والغالب على الظن ان هذا القسم الثالث اولئك الذين سارعوا الى التوبة

وهو الا

وهو لا لهنا زعموا انها وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في كعب مالك ومرارة بن الربيع وهلال
ابن امية فقال كعب لامرأته اهل المدينة فما فتئت ان جاء رسول فاخبرنا ان الله وليس
بعد ما من اللحاق به فقدم على صنعه ولذا اضاحياه فلما قدم رسول الله قبل لكعب اعتذر
اليه من صنعك فقال لا والله حتى نزل عذرني واما صاحباه فاعتذرا الله عليه السلام
فقال ما طفقا كما هي قال لا عذر لنا الا الخطة فمن قوله تعالى واخرون مرجون
لامر الله فوقفهم الرسول بعد نزول هذه الآية ونهى الناس عن محادثتهم وامرهم باعتزالهم
نسائهم وارسالهم الى اهاليهم فجاءت امرأة هلال فقالت ان زوجي شيخ
كبير فاذن لها في الخدمة وجاء رسول الله من الشام الى كعب رعبه في الطعام
بهم فقال كعب لقد طمع من حظيتي ان طمع في المشركون قال فصاقت على الارض بما رحبت
وكنا هلال رامسة حتى جعل على بصره فلما مضى خمسون يوما من توبتهم حتى خفق على بصره فكلما
لقوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وقال الحسن يعني تولاه واخرون من حول نوما من
المنافقين اراهم رسول الله عن حضره وقال الاصم يعني بالمنافقين وصويلة مولاه
ومن حولكم من الاعراب اراهم الله فلم يحذرهم ما علمهم ومضى بهم على الآية
ان لم يتوبوا ان يرى فيهم قراءتهم قال اما الجهنم واما توب عليهم وهذه مسائل
المسئلة الاولى لقائل ان يقول لان علمه اما واما للشك والله تعالى منزه عنه
وجوابه المراد منه ليحل امرهم على اكثر فعل الرجاء فجعل اما بمعنى لعلهم
اذا لم يعذبهم الله عذبهم واخرون يقولون يعني الله ان يغفر لهم المسئلة الثانية
ان القوم كانوا مأمورين على تأخيرهم عن الغزو وعلى هجرهم عن الرسول عليه السلام فما الذي
لم يحكم لكونهم بالتوبة بل قال اما يعذبهم واما يتوب عليهم ودل هذا على ان الندم وحده
لا يكون كافيا في صحة التوبة قلنا قبل ظاهر الشرائط على ما علم حالهم من
امر الرسول بالذنب اوحاموا من الخيانة والمعصية وعلى هذا التقدير فتوبتهم غير صحيحة
ولا مقبولة ما سيمر علم قبول التوبة الى ان يعلم احوال الخلق في مدحهم وذمهم
عليهم بعد ذلك بدوا على المعصية ليعرفوا بها معصية وعند ذلك صحت
توبتهم المسئلة الثالثة احتج الحسن بهذه الآية على انه تعالى لم يعفوا عن
صغير الناس وقال الله تعالى الذي يجتنبون هذه الآية في حق هؤلاء المذنبين اما يعذبهم واما يتوب عليهم وذلك

وذلك يدل على ان الحكم الا احد هذين الامرين وهو اما التعذيب واما التوبة اما العفو
عن الذنب من غير التوبة فهو قسم ثالث فلما اهمل الله تعالى ذكره دل على انه باطل
وهو عين معنى الجواب ـــ انا لا نقطع بحصول العفو عن جميع المذنبين
بل نقطع بحصول العفو في الجملة واما في حق كل واحد فلا نقطع بذلك لانا نرى انه تعالى
قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقد قطع بغفران ما سوى الشرك لكن لم يقطع في حق كل احد
بل في حق من يشاء فلم يلزم من عدم القطع في حق كل احد عدم القطع بالعفو في بعض الاحاد
وايضا فعدم الذكر لا يدل على العدم الا ترى انه تعالى قال في حق يوسف انه من صالحيه
مستثنى منهم المؤمنون وهم المؤمنون ومع هذا لم يذكر عليها عدة ترهبها فمن اين لكم العفو
العين فيما هنا المذكور وانما المؤمنون فاما الكافرون فهم ان عدم ذكر
القسم الثالث لم يدل عند الخصم على نفيه فكذا ههنا واما قوله والله عليم
حكيم اي عليم بما في قلوب هؤلاء المرجئين حكيم فيما حكم فيهم ولعصى عليهم

قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الى قوله والله ليشهد انهم لكاذبون
اعلم انه تعالى لما ذكر اصناف المنافقين وهم انهم المخلفة قال والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا وكفرا وفيه مسائل المسئلة الاولى قرا نافع وابن عامر الذين اتخذوا
بغير واو وكذلك في مصاحف اهل المدينة والشام قرؤا بالواو وكذلك في مصاحف مكة
والعراق فالاولون على انه بدل من قوله واخرون موصوفون والثانون على ان التقدير
ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا المسئلة الثانية قال الواحدي قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير الذين اتخذوا مسجدا كانوا اثني عشر
رجلا من المنافقين بنوا مسجدا اضارو به مسجد قبا واما قوله تعالى في صفة
بنيانهم اربع الصفة الاولى ضرارا والضرار يحاول به الضرر كما ان الشقاق يحاول به
ما يشق قال الزجاج وانتصب قوله ضرارا لانه مفعول له والمعنى اتخذوه للضرار
ولسائر الامور المذكورة بعده فلما حذفت اعطى الفعل منصبه قال وجائز ان
يكون مصدرا محمولا على المعنى والتقدير اتخذوا مسجدا ضروا به ضرارا
والصفة الثانية قوله وكفرا قال ابن عباس يريد به ضرارا للمؤمنين
وكفروا النبي عليه السلام وما جاء به وقال عمر اتخذوا بكفرهم
بالطعن على النبي عليه السلام والاسلام والصفة الثالثة قوله وتفريقا

بين المؤمنين اي يفرق بينهم بعاقبة من المؤمنين بعد اسلمته ورد كيده والمنافقين فالوا اتبنى مسجدا
ليصلي فيه ولا يحضر حلف محمد فان اباه بنى سلمى معه وفرقا منه ومن الذين يصلون
في مسجده فسودي الى احلاف الكلمة وتطلل الالفة والصحبة الرابعة
وارصادا لمن حارب الله ورسوله قالوا المراد ابو عامر الراهب الذي حنظلة
الذي غسلته الملائكة قالوا وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان
قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم علاه
لانه زالت رياسته وقال لا اجد قومًا مثلوني الا قاتلتك معهم ولم يزل يقاتله الى يوم حنين
فلما انهزم هوازن خرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من
قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب من عند قيصر بجند فاخرج محمدا واصحابه
فسواهد المسجد وانظر وا متى اجيء اصلي لكم فيه فذلك المسجد الذي قال الله تعالى لا تقم فيه ابدا
لاسطار وقال فيه لا رصادا لاسطار مع العدو وقال لا كثرون
الارصاد لاعداد قال تعالى ان ربك لبالمرصاد وقوله من قبل يعني من قبل بناء
مسجد الضرار يعلم انه تعالى لما وصف هذا المسجد بهذه الصفات الاربع قال ولنحلفن ان
اردنا الا الحسنى اي ليحلفن ما اردنا ببنائه الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين في
التوسعة على اهل الضعف والعلة والعجز عن المصير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورد الله عليهم بقوله والله يشهد انهم لكاذبون والمعنى ان الله تعالى اطلع الرسول
الشاهد بقوله تعالى يشهد انهم لكاذبون واعلم ان قوله لا تقم فيه ابدا مع علي الحمد وصلى
عليه السلام على انهم طعنوا جاهدين واعلم ان قوله لمسجد اسس على التقوى الى
محمد وقوله ومن حاربا الله **قوله تعالى** لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى الى
قوله والله عليم حكيم ۞ قال المفسرون ان المنافقين لما اراد ذلك المسجد للذي الاعراض
الغائبة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قالوا يا رسول الله بنا
مسجدا لذي العلة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه ودعوا لنا
بالبركة فقال عليه السلام اني على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما
قدم من غزوة تبوك سألوه اتيانا المسجد فعرف انه اتخذ مسجد ضرار فدعا بعض القوم وقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا متعجلين وذلك انهم كانوا قد

ب وامّا التوبة اما العفو
تعالى ذكره دل على انه ما طلب
ا العفو عن جميع المذنبين
آل يتكون الا ترى انه تعالى
لترك العفو في حق احد
م العفو وهو على الاطلاق
ل حق يوجد يسقط بعفو صاحبه
لعفو فيها قد حاول لهم العفو
امرون بهذا عند دكه
ا وامّا قوله والله عليم
صالحهم فيهم ويعفي عليهم
ه والله يشهد انهم لكاذبون
خلفه قال والذين اتخذوا
ي قوله ما نفع وابو عامر الذي اعدوا
ما قالوا وكذلك الذي في مصاحف مكة
والذي ان يكون القدير
اسكة في قالوا الواسدي قال
عدوا مسجدا كانوا اتى عشر
قوله الله تعالى صفة
ولما الضرار ان الشقاق يحاوله
ه والمعنى اتخذوه للضرار
صل فيه قال وجابر ان
مسجد اضر وا به ضرارا ۞
اس يريد به ضرارا المؤمنين
ن اتخذوا المعصوم وفيه
ها الله قوله لا تقم فيها

تلقى فيها الجيفة او العذرة فقال الحسن هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يذهب الى ذلك
المسجد فيأتي جبريل فلا تعرفه ابدا اذا اعرف هذا يقول قوله لا تعرفه
فيه نهي له صلى الله عليه وسلم عن ان يقوم فيه قال ابن حبيب فمن دخل من امام فدلك المسجد
يوم الجمعة فصلوا فيه ذلك اليوم ويوم السبت والاحد والاثنين في يوم الاثنين قوله تعالى
بين العلة في هذا الوجه للنهي وهو ان احد المسجدين لما كان مساعا على التقوى من اول
اليوم وكان الصلاة في ساحة اكثر جمع من الصلوة في مسجد التقوى كان من المعلوم
الصرف ان يجمع من الصلوة في المسجد الثاني فان قيل فهل لقوله ان احد المسجدين كان اوجب
المنع من اقامة الصلوة في المسجد الثاني قلنا التعليل مع مجموع الامرين اعني
كون مسجد الضرار سببا لمفاسد الاربع المذكورة ومسجد التقوى مشتمل على
الخيرات الكثيرة ومن الواضح من قول الله تعالى ان المسجد الذي سس من
اول الامر على التقوى احق بالاقامة فيه من المسجد الذي لا يكون كذلك وان علمنا
ما كفر بالله طرفة عين فوجب ان يكون اولى بالقيام بالامامة ممن كان
الكفر بالله في اول امره وحوابنا ان التعليل مع مجموع الامور المذكورة
فزال هذا السؤال واجمعوا على ان مسجد التقوى ما هو مفضل الا مسجد
قبا وكان عليه السلام يأتيه في كل سبت فصلى فيه والاخبار على انه مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد المسيب المسجد الذي اسس على التقوى
مسجد الرسول عليه السلام وذكر ان رجلين اختلفا فيه فقال احدهما مسجد الرسول
وقال الاخر مسجد صاحبه السلام عليه السلام فقال هو مسجدي هذا وقال
العاصي لا يمنع دخولها جمعا تحت هذا الدليل ان قوله لمسجد اسس على التقوى هو
كقول القائل لرجل صالح احق ان يسكنه فلا يكون ذلك معصورا على واحد
فان قيل لم قال احق ان يقوم فيه مع انه لا يجوز قيامه في الاخر قلنا
المعنى انه لو كان في الحاضر الثاني هذا اولى لسبب المذكور قال الله تعالى فيه
رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وفيه مباحث البحث الاول
انه تعالى رجح مسجد التقوى بامرين احدهما انه بني على التقوى وهو الذي لعدم نفاقه
والثاني ان فيه رجالا يحبون ان يتطهروا وفي تفسير هذه الطهارة قولان الاول

المراد من التطهير من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهير من
الذنوب هو المؤثر في القرب من الله واستحقاق ثوابه ومدحه قال الله تعالى في صفة اصحاب
مسجد الضرار لمساجد المسلمين والكفر بالله والتفريق بين المسلمين كفر وهو لا بالضد
من صفاتهم وعاداتهم الا كونهم مبرئين عن الكفر والمعاصي قال ان طهارة الظاهر
انما تحصل لها اثر عند الله لو حصلت طهارة الباطن من الكفر والمعاصي ولم تحصل
نظافة الظاهر كان طهارة الباطن اولى الثاني الرابع روى صاحب الكشاف انه لما دخلت
هذه الاية مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده المهاجرون حتى وقف على باب مسجد
قبا فاذا الانصار حلوس فقال اتومنون ايتم فسكت القوم ثم اعادها ثلثا فقال عمر
يا رسول الله انهم لمومنون وانا معهم فقال عليه السلام ازضون بالقضاء قالوا نعم
قال عليه السلام مومنون فى رواية للكعبة فقال يا معشر الانصار ان الله اثنى عليكم
فما الذى تصنعون فى الوضوء قالوا نتبع الماء الحجر فقال النبى صلى الله عليه وسلم رجال يحبون
ان يتطهروا والقول الثانى ان المراد منه الطهارة بالماء بعد التخلى وهو قول
اكثر المفسرين من اهل الاحاد والقول الثالث انه محمول على كل الامرين وهو
سوال وهو ان ربط الطهارة وهو عفة فى الطهارة عن النجاسات العينية ومجانبة الزنا
عن المعاصي والذنوب واستعمال اللفظ الواحد بالاعتبارين الواحد فى الحقيقة والمجاز
معا لا يجوز والجواب ان لفظ التطهر اسم للمتعدد وهو القدر المشترك
مشترك فيه بين المعنيين وعلى هذا التقدير فانه يزول السوال ثم قال لاعلى التاسيس
الاول وهو ان المسجد مبنى على التقوى معناه ان اسس بناءه على تقوى من الله ورضوانه
خير ام اسس بناءه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم وفيه مباحث النحو الاول
البنيان مصدر كالعقران والمراد هاهنا المبنى واطلق لفظ المصدر على المفعول
مجاز مشهور يقال هذا ضرب الامير وبنى زيد والمراد مضروبه ومبنوه قال الواحدى
ويجوز ان يكون البنيان جمع بناءة اذا جعلته اسما للابنية قال ابو اسحاق فى الواحدة
البنى الثانى قرا نافع وابن عامر اسس على بنى ما لم يسم فاعله وقرا
قوله ام من اسس بناءه والباقون اسس على اسناد الفعل الى فاعله وقال الفاعل
هو الباني والتاسيس اما قوله على تقوى من الله ورضوان اى لخوف من عقاب الله تعالى
والرغبة فى ثوابه وقال ابن الخطيب لانه لا يكون طاعة الا عند هذه الرهبة والرغبة وحاصل

الكلام ان الذي لما ذكر انه لا وجه الله والرهبة من عقابه والرغبة في ثوابه كان الملائم
اتصل به ما يجري مجرى الدواء لمن به الداء الثاني ازالة تلك الكفر بالله والاضرار لعباد الله اما قوله
ام من استن بناءه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم وفيه مباحث النحو
الاول قرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم جرف بسكون الراء والباقون بضم الراء وهما لغتان
جرف وجرف كشغل وشغل وعنق وعنق البحث الثاني قال ابو عبيدة الشفا
هو الشفير وشفا البئر حرفه ومنه يقال استوى على كرسيه اذا دنا منه والجرف هو ما اذا سال
السيل والجفر الوادي وسمي طرف البئر طرفا لانه مشرف على السقوط ساعة فساعة
فذلك الذي هو الجرف بقوله هار قال الليث الهور المصدر من هار الجرف يهور اذا
انصدع من جلفه وهو بائت بعد في مكانه وهو جرف هار هار فاذا سقط فقد
انهار وهو ورادا عرفت هذه الالفاظ فنقول المعنى افمن اسس بنيانه على قاعدة
قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس على قاعدة هي
اضعف القواعد واقلها ثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار
من اودية جهنم فالمكون شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف
جهنم فان اذا انهار فانما انهار في نفس جهنم ولا ترى في العالم مثالا اجنس مطابقة لامر
المنافقين من هذا المثال وحاصل الكلام ان اصل النفاق اسس وصدر بناءه شاهد بقوله الله
ورضوانه والنفاق الثاني صدر بناءه المعصية والكفر فكان النفاق الاول شرعا
واصلا ونفاقا وكان الثاني حسيا واصل الهدم بقوله تعالى الا ان بنيانهم الذي
بنوا ريبة في قلوبهم والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم
فصار يعترف لكل المبنيان ريبة لكونه سببا للريبة وفي كونه سببا للريبة
وجوه الاول ان المنافقين علموا ضرر مسجد الضرار على امر الرسول عليه
السلام بتخريبه فعل ذلك علم وازداد بغضهم له وازداد ارتيابهم في نبوته الثاني ان
الرسول عليه السلام لما امر بتخريب المسجد طعنوا فيه اما امر بتخريبه لاجل الحسد
فارتفع امانهم عنه وعظم خوفهم منه في كل الاوقات وصار وامرتابين في انه
هل يحكم على ما بنوه فيه او يامر بقتلهم وبهدم منازلهم الثالث انهم اعتقدوا في
انهم كانوا محسنين في بناء المسجد فلما امر الرسول عليه السلام بتخريبه الرابع

لما فعل فجعل هذا سبب الاشتراء هذا معنى قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة اى الجنة وكذا قرأ عمر الخطاب والاعمش قال الحسن اسمعوا والله صفة
رابحة وكفة خاسرة بايع الله تعالى كل مؤمن والله ما على الارض مؤمن الا وقد دخل فى هذه
الصفقة وقال الصادق لس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وقوله واموالهم
يريد التى يرزقونها فى سبيل الله وعلى انفسهم واهلهم وعيالاتهم وفى الجنة لطائف
الاولى ان المشترى لا بد ان يقدم البايع وههنا البايع هو الله تعالى والمشترى
هو الله وهذا انما يصح فى حق الغنى بامر الطفل الذى لا يمكنه رعاية المصالح فى
البيع والشرى فصحة هذا البيع مشروطة برعاية الغبطة العظمى فهذا المثل
جار مجرى التنبيه على كون العبد كالطفل الذى لا يهتدى الى رعاية مصالح
نفسه والله تعالى هو المراعى لمصالحه شرط العبد بالتمام والمقصود من التنبيه
على السهولة والمسامحة والعفو عن الذنوب وترك الاستقصال الى درجات الخسران
ومراتب السعادات واللطف الثانية انه تعالى اضاف الانفس والاموال
الهم وطلب ثمنا من يعاوض له والحق فى نفسه كذلك لان الانسان عبارة عن الجوهر
الاصلى الباقى وهذا البدن يجرى مجرى البدن والادوات والمركب له ولذلك لما خلق
وسيلة الى رعاية مصالح هذا المركب فالحق سبحانه اشترى من الانسان هذا المركب
وهذا المال للحظة وهو التحقيق لان الانسان ما دام سعى مستولى العلم بمصالح عالم
الجسم المتغير المستند وهو البدن والمال المسعى وصوله الى السعادات العالية
والدرجات الشريفة فاذا انقطع اسفاره اليها وبلغ دلك الانتفاع الى الدرجات
البدن للمعلم والمال للانفاق وطلب رضوان الله بعد طمع الى حسن الهدى
على الهوى والمولى فى الدنيا والاخرى على الاولى وبعد هذا يكون من السعداء
الابرار والافاضل الاخيار فالبايع هو جوهر الروح القدسية والمشترى
هو الله واحد العوض الخسيس الفانى والمال الفانى والعوض الباقى
الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والهم والغم زايل فلهذا قال
فاستبشروا بسعيكم الذى بايعتم به ثم قال يقاتلون فى سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وقال صاحب الكشاف قوله يقاتلون فيه معنى الامر كقوله

محاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقيل جعل يقاتلون كالمفسر لما قبله والمبايعة وكلاهما
الاخر بما فيه اخرة والكسائي بعدم كونهم مفعولين على كونهم قاتلين والمقتولون بتعدد
العامل على المفعول اما لتقدم العامل على المفعول فظاهر لان المعطوف يعامل المعطوف
ولا يرجعون منهم الى ان يصير والمفعول واما لعدم المفعول على العامل والمعنى ان المبايعة
كسبب من المسلمين ان يصاروا مقتولين لهم ولذا ادعى المانع عن المقابلة ان يكون
بعد المقاتلين مع الاعداء مقابلين لهم بعد زالا مكان وهو كمقولة فاوهنوا لما اصابهم
في سبيل الله اي ما وهن من بقي منهم واجيب لعلوا في انه هل وصل بحيث لا يستقر
مجاهدة الا بعد ان يجب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ام لا فمنهم من قال هو محكم
بالجهاد بالمقابلة لانه تعالى قسم قبل المبايعة بالمقابلة بقوله تعالى قاتلوا في سبيل الله
قاتلون ويقتلون ومنهم من قال كل انواع الجهاد داخل فيه بدليل الخبر الذي رواه
عن عبد الله بن مرة واجيب ايضا بالجهاد بالحجة والدعوة الى الدلائل التوحيد كما
اشار اليه تعالى لقد اتى عليه السلام لعلي لان يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت
عليه الشمس ولان الجهاد بالمقابلة لا يحسن ابرضا الا بعد عدم الجهاد بالحجة وايضا
الجهاد بالحجة قائم غني عن الجهاد بالمقابلة ولا يحسن اثر ضا جوهر شريف حصه الله تعالى
لمزيد الاكرام في هذا العالم ولا فساد في ذاته وانما الفساد في الصفة القائمة
به وهي الكفر والجهل ومتى امكن ازالة الصفة الفاسدة مع ابقاء الذات والجوهر
كان اولى الا ترى ان جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه لا جرم
الشرع على انقاذه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به والجهاد بالحجة يجري
مجرى الجلد الدباغة وهو ابقاء الذات مع ازالة الصفة الفاسدة والجهاد بالمقابلة يجري
مجرى ابقاء الذات فكان المقام الاول اولى بان يصل بقوله تعالى وعدا عليه حقا
في التوراة والانجيل والقرآن قال الزجاج نصب وعدا على المعنى لان معنى قوله بان لهم
الجنة انه وعدهم الجنة وكان وعدا مصدر امؤكدا واعلموا ان هذا الذي
حصل في هذا الكتاب هو القول الاول وان هذا الموعد الذي وعد المجاهدين في سبيل الله
وعد ثابت قد اسسه الله في التوراة والانجيل كما اسسه في القرآن والشاني ان ايراد الله
تعالى من في التوراة والانجيل انه اشترى من امة محمد عليه السلام انفسهم واموالهم

المحبة كما بين في القرآن والثالث ان الامر بالقتال وبالجهاد موجود في جميع الشرايع
ثم قال تعالى ومن اوفى بعهده من الله والمعنى ان بعض العهود اداء والله اكبر من كل
وعد بعيد وكل الامر القتال وهي فسحة من الاحسان مع احياء النفوس فالمعنى عن كل
الحيوانات الا ان يكون مرخصا عنها وقوله ومن اوفى بعهده اي منتهاهم بمعنى الاكتساب
ايجاد او في بما وعد الله ثم قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز
العظيم واعلم ان هذه الاية مشتملة على انواع من التاكيدات اولها قوله ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم فكون المشتري هو الله المقدس عن الكذب والخلف من اجل
الدلايل على تاكيد هذا العهد والثاني انه عبر عن ايصال هذا الثواب بالبيع والشري
وذلك حق مؤكد بالتنا قوله وعدا وعد الله حق بالعهد قوله على
وكله على الوجوب وخامسها وعدا صدقا وهو التاكيد للتحقيق وسادسها
قوله في التوراة والانجيل والقرآن وذلك يجري مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية وجميع الانبيا
والرسل على هذه المبايعة وسابعها قوله ومن اوفى بعهده من الله وهو ايضا تاكيد
وثامنها قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وهو ايضا مبالغة في التاكيد وتاسعها
قوله ذلك هو الفوز العظيم وعاشرها قوله العظيم فهذا ما قال في هذه الاية على هذه
الوجوه العشرة في التاكيد والتقرير والتحقيق ثم ختم الباب بخاتمة وهي ان ايات القسم
البتة استدل بهذه الاية على انه لابد من حصول الاعواض على الام الاطفال والبهايم
قال لان الاية دلت على انه لا يجوز ايصال الم القتل واخذ الاموال الى البالغين الا بثمن هو
الجنة ولا جرم قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فوجب
ان يكون الحال كذلك في الاطفال والبهائم ولو جاز عليهم التمني لتمنوا ان الامر هكذا
اتفق حتى تحصل لهم تلك الاعواض الرفيعة الشريفة ونحن نقول لا نسلم حصول
الخبرات للاطفال والحيوانات في مقابلة هذه الالام اما الخلاف ومنع في ان ذلك
العوض عندنا غير واجب وعندكم واجب والاية ساكتة عن بيان الوجوب

قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين اعلم انه تعالى لما ذكر في
الاية الاولى انه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان اوصل لهم المؤمنين هم الموصوفون بهذه

الصفات التسع

الصفات التسع وفيه مسائل المسئلة الاولى في رفع قوله التائبون العابدون الخ قال
التائبون وحمن للاولى انه رفع على المدح والتقدير هم التائبون يعني المومنون المذكورون
في قوله اشترى من المومنين الخ قال الزجاج يجوز ان يكون قوله التائبون مبتدا
وخبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله ولا
وعد الله الحسنى وهذا وجه حسن لان هذا التقدير يصير الوعد الحسنة خاصا بالجميع
المومنين واذا حملنا قوله التائبون تابعا للاول الكلام بان الوعد الحسنة خاص بالمجاهدين
اذ لا يقال التائبون مبتدا ورفع على البدل من الضمير في قوله يقاتلون الرابع قوله
التائبون مبتدا وقوله العابدون الى اخره خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على
الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرا ابي وعبد الله التائبين بالياء الى قوله والطاعة لله
وفيه وجهان احدهما ان يكون نصبا على المدح والثاني ان يكون صفة للمومنين
المسئلة الثانية في تفسير هذه الصفات التسع فالصفة الاولى قوله التائبون
قال عباس التائبون من الشرك وقال الحسن من الشرك والنفاق وقال الاصم يقولون التائبون
من كل معصية وهذا اولى لان التوبة قد تكون توبة من الكفر وقد تكون توبة
من المعصية والتائبون صفة عموم يحتاج بالالف واللام فسائر الطاعات تخصص بالتوبة
عن الكفر محض الحكم واعلم انا بينا في شرح حقيقة التوبة في تفسير قوله
فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه واعلم ان التوبة انما تحصل
عند امور اربعة ولها اطراف العلم في الحال على صدور تلك المعصية عنه وندمه
عليها مع العزم على ترك المعاودة في المستقبل واتيانه بالتوبة على الوجه
المعتبر في الشرع وقوله العابدون قال ابن عباس هم الذين يعبدون الله تعالى وحده
ولا يشركون به شيئا وقال ابن عباس ايضا هم الذين يعبدون الله خوفا من ناره
وطمعا في جنته وقال الحسن هم الذين اتوا بالعبادة وقال ابن عباس ايضا لعل مستمعا يستمع
قول الله تعالى على امتي الوصوف في السبع فلم لا يعمل الا بعرفه الله فاخبر ان يوجب
طاعته على من اعمال الخلق حصول العلم فيجب ان يكون معه حصول مرتبة من
اقرار الملك الماهية قال الحسن العابدون هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء وقال

وقال قتادة قوم احدثوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم السائحون قوله الحامدون هم الذين يعبدون
يشكرون الله تعالى على نعمه دعاؤهم وتحميدهم اياه والحمد عادة لهم وقد ذكرنا ان التسبيح
والتحميد صفة الذين يعبدون بعد ذهاب الدنيا لانه تعالى اخبر عن اهل الجنة انهم يحمدون
الله تعالى وهو قوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وهم المراد من قوله الحامدون
والصفة الرابعة قوله السائحون وفيه اقوال الاول قال عامة المفسرين هم
الصائمون وقال ابن عباس كل ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصائم وقال
النبي عليه السلام سياحة امتي الصيام وعن الحسن انهم اصوام الفرض والنفل
هم الذين يديمون الصيام وفي المعنى الذي لاجله حسن تفسير السائح بالصائم وجهان
الاول قال الازهري قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبد
والثاني الصائم معه كان ممسكا عن الاكل والصائم ممسك عن الاكل والشرب والصائم
المراد معه كان ممسكا عن الاكل والصائم ممسك عن الاكل والشرب والثاني ان اصل السياحة
ممسك عن الاكل فلهذه المشابهة سمي الصائم سائحا والثالث ان اصل السياحة
الاستمرار على الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة
وترك المنهي وهو الاكل والشرب والوقاع وعندي فيه وجه اخر وهو ان الانسان اذا
امتنع من الاكل والشرب والوقاع وسد على نفسه ابواب الشهوات امتنع عليه
ابواب المعاصي وحينئذ له ابواب عالم الملائكة والله تعالى عليه السلام من اخلص لله
اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فصار من السائحين في عالم
جلال الله المتنقلين من مقام الى مقام ومن درجة الى درجة فحصل له سياحة
في عالم الروحانيات والقول الثالث ان المراد من السائحين طلاب العلم المتنقلون
من بلد وهو قول عكرمة عن ابن عباس انه كانت السياحة في بني اسرائيل وكان الرجل
اذا ساح اربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون فيها فساح وكدحا فالذي اربعين
سنة فلم ير شيئا قال يا نبي ما اسائي فعند ذلك اراه الله ما ارى السائحين وقيل
السياحة اشد عظيم في تحصيل العلم لانه يلقاه انواع من الضر والبؤس ولا بد له من
الصبر عليها وقد يستطيع زاده فيحتاج الى التوكل على الله وقد يلقى افاضل مخلوقات
فيستفيد من كل واحد فائدة مخصوصة وقد يلقى الاكابر من الناس فيسمع نفسه
في مقالتهم وقد يصل الى الزايات الكثيرة فيسمع بها وقد يشاهد احوالا

اهل

اهل الدنيا فسيحا خلق الله تعالى في كل طرف من الاحوال الخاصة بهم فتنوعي معرفته
وبالجملة فالسياحة لها آثار قوية في الدين والقول الكامل في هذا الباب مسلم السائحون
السابحون في الارض وهو ما حوذ من السبح حي الماء الجاري والمراد به من خرج مهاجرا
مهاجرا او تعرض له تعالى حيثما المؤمنين في الاية الاولى على الجهاد ثم ذكر
هذه الآية في بيان صفة المجاهدين فمن ان المجاهدين ينبغي ان يكونوا موصوفين
بمجموع هذه الصفات الصفة الخامسة والسادسة قوله تعالى الراكعون
الساجدون والمراد منه اقامة الصلوات قال القاضي انما جعل ذكر الركوع والسجود
كناية عن الصلوة لان سائر اشكال المصلي موافق للعبادة وهو قائم وقاعد
والذي يخرج عن العبادة وذلك هو الركوع والسجود وبه يتم الفصل بين المصلي وغير
ومعنى ان يقال العمام اول احوال التواضع لله والركوع وسطها والسجود غايتها
خص الركوع والسجود بالذكر لدلالتهما على غاية التواضع والعبودية من بين اجزاء
ان المقصود من الصلاة غاية الخشوع والتعظيم الصفة السابعة والثامنة
قوله الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر واعلم ان كتاب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر كتاب شريف مذكور في علم الاصول ولا يمكن ايراده ههنا وانه
اثنا تعالى اعلم الجهاد لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر بالله والجهاد
نوعان الزعم في الايمان والزجر عن الكفر والجهاد اصل في باب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واما دخول الواو في قوله والناهون عن المنكر فعلى وجهين الاول
ان السبعة قد تجيء بالواو احيانا وبغير الواو احيانا قال تعالى عاقر الذنب شديد
العقاب ذي الطول فجاء بعض بالواو وبعض بغير الواو والثاني ان المقصود من هذه
الاضافة الزعم في الجهاد فالله معالي ذكر الصفات الست بغير واو الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والتقدير ان الموصوفين بالصفات الستة هم الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر وقد ذكرنا ان راس الامر بالمعروف ورسه هو الجهاد والمقصود
من ادخال حرف الواو عليه التنبيه على ما ذكرنا ما قوله الحافظون لحدود الله
هو لا ود لان كل ما سبق من الصفات عبادات تعالى بها الانسان لنفسه والاعلق
لشيء منها بالغير اما النهي عن المنكر تعالى متعلقه بالغير وهذا النهي يوجب

نوال العفو وحضور الخصومة وانما اقدم ذلك المهرى على ضرب المناهى وانما جاول قتله
رعايا لما نهى عنه المكره اصعب اقسام العبادات والطاعات فاحصل عليها الواو وشبهها
على ما يحصل منها من رياء المشقة والمجتهد الصعب الساعة قوله والحاصلون
لحدود الله فالمقصود ان تكاليف الله تعالى وهى محصورة فى نوعين احدهما ما
تعلق بالعبادات والثانى ما تعلق بالمعاملات اما العبادات فهى التى امر الله بها
لاجل المصلحة مرغبة فى الدنيا بل المصالح مرغبة فى الدين وهى الصلوة والزكاة والصوم
والحج والجهاد والاعتاق والندور وسائر اعمال البر واما المعاملات فهى اما لجلب
المنافع او لدفع المضار والقسم الاول وهو ما تعلق بجلب المنافع قسمان
المنافع قسمان اما ان تكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية اما المنافع
المقصودة بالاصالة فهى المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمسة فاولها
المذوقات وتدخل فيه كتاب الاطعمة والاشربة من العتق ولما كان الطعام
قد يكون نباتا وقد يكون حيوانا والحيوان لا يمكن اكله الا بعد الذبح والله
تعالى شرط فى الذبح شرائط مخصوصة فلاجل هذا دخل فى العتق كتاب الصيد والذبائح
وكتاب الضحايا وما يتبعها الملبوسات وتدخل فيها بابا احكام الوقاء من حملها
ما يعتاد حمله وهو باب النكاح ومنه الضمانات الرضاع ومنها ما يحدث عن لوازم
النكاح مثل المهر والنفقة والمسكن ويتصل به احوال القسم والنشوز ومنها
ما هو بحث عن الاسباب المزيلة للنكاح وتدخل فيه كتاب الطلاق والخلع والايلاء
والظهار واللعان ومن الاحكام المتعلقة بالملبوسات التختم بما يحل لبسه
وبما لا يحل وبما يحل استعماله وما لا يحل كاستعمال الاوانى الذهبية والفضية
وطال كلام الفقهاء فى هذا الباب ومنها المفترات وهى باب ما يحل النظر اليه
وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل سماعه ام لا وخامسها
المشمومات وليس للفقهاء فيها مجال واما المنافع المقصودة بالتبع فهى الاموال
والبحث عنها من جملة اوجه الاول الاسباب المملكة للملك وهى اما البيع
وهى اما البيع او عين اما البيع فاما بيع الاعيان او بيع المنافع وبيع للاعيان اما
ان يكون بيع العين بالعين او بيع الدين بالعين وهو السلم او بيع العين بالدين وكلا

كما اذا اشترى ثيابا او بيع الدين بالدين وقد ابان لا يجوز لما روى ابه عليه السلام نهى عن
بيع الكالى بالكالى وانما حصل له مثال والشرع وهو تعاطى الدستور واما بيع المنفعة
سيدخل فيه كتاب الاجارات وكتاب الحوالة وكتاب عقد المضاربة واما سائر الاسباب
الموجبة للملك فهى الارث والهبة والوصية واحياء الموات واخذ المباحات
والاغنام واخذ الحطب والحشيش والاحتطاب وغيرها والطرق التى يضبط اسباب الملك الا بالاستقراء
والنوع الثانى من مباحث العقد الاسباب الموجبة لملك المنافع فى التى
وهو باب الوكالة والوديعة وغيرها والنوع الثالث الاسباب التى يسع
المالك من التصرف فى ملكه بعسته وهو الرهن والحجر والضمان وغيرها فهذا اقسام
تكاليف الله فى باب طلب المنافع واما تكاليفه فى باب دفع المضار فنقول
احكام الاضرار جملة لان الضرر اما ان يحصل فى النفوس فهى اما ان تحصل فى كل
النفس او الحكم فيه اما القصاص او الدية او الكفارة واما فى بعض من الاعضاء
البدن كقطع اليد وغيرها والواجب فيه اما القصاص او الدية او الارش واما المضار
التى تحاصله فى المال فهو اما ان يحصل على سبيل الاعلان والاظهار وهو
كتاب الغصب او على سبيل الخفية وهو كتاب السرقة واما المضار الحاصلة فى
الاديان فهى اما الكفر واما البدعة اما الكفر فيدخل فيه كتاب حكم المرتدين
واما البدعة فليس لها كتاب مفرد فى احكام المبتدعين واما المضار الحاصلة فى
الانساب فتتصل بها تحريم الزنا واللواط وسائر العقوبات المشروعة فيهما ويدخل فيه
القذف باب حد القذف وباب اللعان وهما يختلفان وهو ان كل اصل حاصله
استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بسعه لانه ربما كان ضعيفا ولا
لمنفعة البتة خصصه فلهذا السبب خصه الله الانام لتعدد الاحكام وتجاذب بلوث
للملك الامام تواب وهم الهوا والقضاء ولما لم يجز ان يكون قول الغير على الغير
مقبولا لانه حجة فالشرع انما طهار الحق حجة مخصوصة وهى الشهادة ولا بد
وان تكون للدعوى ولاقامة البينة شرائط مخصوصة فلا بد من بيان مشتمل عليها
تعاصيل هذا اصل معاقد الكتاب الله تعالى واحكامه وحدوده ولما كانت كتب الله
اما سماها فى القرآن العظيم بيان على وجه الفصل وبيان بان امر الرسول صلى سماها المكارم

لاجرم انه تعالى اردفها في هذه الآية بقوله والحافظون لحدود الله وهو شامل لجملة هذه
الزكاليف واعلم ان المفسرين اطنبوا في الدعاوى في بيان التكاليف والبراهين على ذلك
فان اعمال المكلفين بعضها من اعمال الجوارح واعمال القلوب ولما كان بعضها مشتملا على
شرح التكاليف المتعلقة باعمال الجوارح فاما التكاليف المتعلقة باعمال القلوب
فلم يحثوا عنها البتة ولم يصنفوا فيها كتابا ولا فصولا ولم يتحثوا عن دقائقها
ولا شك ان البحث عنها اهم والمبالغة في الكشف عن حقايقها اولى لان اعمال الجوارح
انما تراد لاجل تحصيل اعمال القلوب والايات الكثيرة في القرآن ناطقة بذلك
الا ان قوله سبحانه والحافظون لحدود الله مشتمل على هذه الاقسام على سبيل
الشمولية الاحاطة واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات التسع قال وبشر المؤمنين
والمقصود منه انه قال في الآية المتقدمة فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فذكر
هذه الصفات التسع ثم ذكر عقيبها قوله وبشر المؤمنين ليدل بها على ان المتصفين المذكورين
في قوله فاستبشروا هم المؤمنون الموصوفون بهذه الصفات فان قيل ما
السبب في انه تعالى ذكر هذه الصفات الثمانية على التفصيل مع انه تعالى ذكر عقيبها سائر
اقسام التكليف على سبيل الاجمال في هذه الصفة التاسعة قلنا لان التوبة
والعبادة والاستغفار بحمد الله والسياحة لطلب العلم والركوع والسجود والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر امور لا يعسر الحلف عنها في اغلب الاوقات فلهذا ذكرها
الله تعالى على سبيل التفصيل واما البقية فقد يعسر الحلف عنها في اكثر اوقاته مثل
احكام البيع والشراء ومثل معرفة احكام المحاضات فقد يعسر الحلف عنها في اكثر اوقاته
وايضا فمثل هذه الامور الثمانية اما اعمال القلوب وان كانت من اعمال الجوارح الا ان
المقصود منها ظهور احوال القلوب فقد عرفت ان غاية احوال القلوب اهم من غاية
احوال الظواهر فلهذا السبب خص هذه الاقسام على سبيل التفصيل وذكر هذا القسم
على سبيل الاجمال ❁ قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين الآية قوله ان ابراهيم لاواه حليم ان اعلم الله تعالى لما منع من ان يتولى
اهل الشرك وحبب اليهم الكفار والبراءة عن اموالهم والمفارقة من جميع الوجوه في هذه
الآية امر بمجانبة الكفار والبراءة عن اموالهم وان كانوا في غاية القرب من الانسان كالاب
والام

والام كما اوجب البراءة عن اصابهم والمقصود منه بيان وجوب مقاطعتهم على اقصى الغايات
والمنع من مواصلتهم بسبب الاسباب وفيه مسائل المسئلة الاولى ذكروا في سبب
نزول هذه الآية وجوها قال ابن عباس لما فتح الله مكة قال ابو لهب اذهب
فسل محمدا عن ابيك فان كان في النار فرجع وقال لا ادري ما قال لي سل
لي ربك فذهب اليه فقال ان ابي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل ينفعه
ذلك فقال لا فقال ويحك فاين ابوك فقال حيث مر بالنار فقال ويحك
ما هي فيه من اجل الله فاني لا اعني بمثل هذا شابا بخت رحمها والباقي رواه
ابن المسيب عن ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة قال له الرسول عليه السلام يا عم قل
لا اله الا الله اشاج لك بها عند الله فقال لولا ان تعيرني قريش وعدد الله ان ابي امنه لاقررت بها عينك
فانزل الله على نبيه عليه السلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
الآية وقال علي عليه السلام سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما ميتان فقلت له
اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال اليس قد استغفر ابراهيم لابيه وقد ذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل هذه الآية الثالثة ابو نروى ان رجلا اتى الرسول
عليه السلام فقال ان ابي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل وانه مات مشركا فقال
عليه السلام نعم مقالا وفعالا ومحضا من النار فقال الرجل ان امي قد دعاه النبي عليه السلام فقال اني
لا ادري ما ابراهيم في النار انه لم يقل يوما اعوذ بالله من النار المسئلة الثانية قوله
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين يحتمل ان يكون المعنى ما سمع لهم
ذلك ويكون كالوصف وان يكون المعطوف عليهم دالا على محذوف والواو معناه
لا يستغفروا والامر ان يستغفروا فيه وسنبين هذا الموضع ما دل الله تعالى قوله

من بعد

يستغفروا

التجمع عند نزول المطر بالماء والمقصود ان من كان موصوفا بهذه الصفة كان مثل
قلبه اذا استغفر لاحد سديدا وكانه قال ان ابراهيم مع حلمه له فلان ومع
كونه موصوفا بالاواهية والحليمية سمعه الله امر الاستغفار للكافر
فلان يكون غيره ممنوعا عن هذا المعنى كان اول المسئلة الثانية دل
الامر ان على ان ابراهيم استغفر لابيه قال تعالى حكاية عنه وانه كان من الضالين
وايضا قال الله عنه اغفر لي ولوالدي وقال تعالى حكاية عنه في سورة مريم قال سلام عليك
سأستغفر لك ربي وقال انه كان بي حفيا وتمسك الاستغفار للكافر لا يجوز فهذا يدل
على صدور هذا الذنب من ابراهيم عليه السلام واعلم انه تعالى اجاب عن هذا الاشكال بوجوه
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وفيه قولان الاول ان يكون
الواعد ابا ابراهيم والمعنى انه وعد ابا ابراهيم ان يؤمن فكان ابراهيم يستغفر لاجل ان يحصل
له هذا المعنى فلما مات على الكفر علم انه لا يؤمن فعند ذلك ترك الاستغفار الثاني ان
يكون الواعد ابراهيم عليه السلام ووعد انه ان يستغفر له رجاء اسلامه فلما مات
انه عدو لله تبرأ منه والدليل على صحة هذا التأويل قراءة الحسن وعدها اياه بالياء من
الثاني مزيدة في الجواب وعلى هذين الوجهين الاولين المراد من استغفار ابراهيم لابيه دعاؤه له
الى الايمان والاسلام وكان قوله انى حتى يخلص من العقاب ويفوز بالغفران وكان
يتضرع الى الله ان يرزقه الايمان الذي يوجب المغفرة فهذا هو الاستغفار فلما اخبر الله
تعالى في حق ابيه على الكفر ترك الدعاء والوجه الثاني في الجواب ان الناس من جعل
قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين على صلاة الحنابلة وعلى هذا الطريق فلا
اشكال في الاستغفار للكافر وتكون العلة في ذلك الاستغفار تخفيف العقاب قالوا والدليل
على ان المراد ما ذكرناه ان الله تعالى منع من الصلوة على المنافقين وهو قوله ولا تصل على احد منهم
مات ابدا وفي حق ابيه عمم هذا الحكم ومنع من الصلاة على المشركين سواء كان منافقا او كان
مظهرا لذلك الكفر وهذا قول غريب المسئلة الثالثة اختلفوا في السبب الذي لاجله
ان اباه عدو لله فقال بعضهم بالاصرار والموت وقال بعضهم بالاصرار وحده وقال آخرون
لا سعادان الله تعالى عرفه ذلك بالوحي وانه عبد ذلك بدليل قوله وما كان استغفار
ان اباه عدو لله تبرأ منه فهذه دلائل امر بكم متابعته ابراهيم في قوله واسع عليه ان ابراهيم

واعلم انه تعالى لما ذكر حال ابرهيم في هذه الواقعة قال ان ابرهيم لاواه حليم واعلم ان الاستعاذ
الاواه من قولهم الرجل عند شدة يجزع ويتأوه والسبب فيه ان الحزن يحتبس الروح الحيواني في داخل
الجلد ويستدعي خروجه والانسان يخرج خلال النفس الحار في العليل ليخفف بعض ما به هذا هو
الاصل في اشتقاقه وهذا اللفظ والمعنى ورد عبارات روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الاواه الخاشع المتضرع وعن عمر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاواه
فقال الدعاء وروي ان رجلا سمع عبدا يقول عليه السلام ما اكثر تأوهه فقال انه لحليم
عليه السلام دعا فاحا اواهة فقيل يا رسول الله وما الاواهة قال الدعاء الخاشع
المتضرع وقيل معنى كون ابرهيم عليه السلام اواها كما ذكر لنفسه تضرعا وتذكرا
له شيء من شدائد الآخرة كان يتأوه اشفاقا ومن ذلك استعطاما لما له وعن ابن عباس الاواه هو
المؤمن بالحبشية وانما وصفه بانه حليم وعلم انه معلوم واعلم انه تعالى انما وصفه بهذين الوصفين
في هذا المقام لانه تعالى وصفه بسعة الرحمة والشفقة والخوف والوجل ومن كان كذلك
فانه يعظم رحمته على امته واولاده فنبه تعالى انه مع هذه العادة من امته وعلمه
قلبه على ما ظهر له من اصرارهم على الكفر فانهم بهذا المعنى اولى بالذل وصفه انه
بالحلم لان احد اسباب الحلم رقة القلب سلمنا العطف لم لا يجوز ان يقال المراد انه كان حليما
حليما عند الغضب **قوله تعالى** وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم
ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير في اداء مسائل المسألة الاولى اعلم انه تعالى لما منع المؤمنين من ان يستغفروا
للمشركين والمسلمون كانوا قد استغفروا للمشركين قبل نزول هذه الآية فاما بعد نزول هذه
كانوا يستغفرون لاباهم وامهاتهم وسائر اقاربهم ممن مات على الكفر فلما نزلت هذه الآية
خافوا بسببها على انفسهم فصل الله الذين لا يستغفرون للمشركين وانصافا ان اقواما من المسلمين
الذين استغفروا للمشركين كانوا قد ماتوا قبل نزول هذه الآية فوقع الخوف في قلوب
المسلمين انه كيف يكون حالهم فاز الله تعالى عنهم بهذه الآية ومن الله تعالى لاحد منهم
قبل ان يعلمه ان ذلك الشيء محبط عليهم ان يعفو ويحتمل ان يقال هذا وجه حسن في التعليم
وقيل المراد من قوله وما كان الله ليضل قوما الى هذا الموضع في بيان المنع من مخالطة الكفار والمنافقين
في وجوب مسالمتهم والاجتناب عن موالاتهم وطاعتهم قبل ان الآية الرحيم الكريم كيف يليق به
هذا

هذا التشديد الشديد في حق هؤلاء الكفار والمنافقين فاجب عنه بانه تعالى لا يواخذ
اقواما بالعقوبة بعد اذ دعاهم الى الرشد حتى يتبين لهم ما يجب عليهم ان يتقوه فاما بعد
ذلك فانه يزاح العذر ويزال العلة فلذلك يواخذهم باشد انواع المواخذة والعقوبة
وفي قوله تعالى ليضل وجهان الاول المراد انه اضله عن طريق الجنة اي حرمه عنها
ومنعه من الوصول اليها والثاني قالت المعتزلة المراد من هذا الاضلال الحكم عليه بالضلال
واحتجوا بهذه الكلمة وبقوله تعالى ووجدك ضالا فهديٰ وبقوله قد اكفر وني بكلم قال ابو بكر الانباري
وهذا الباب فاسد لان العرب اذا اراد واذا اهل المعنى قالوا اضللت فلانا واضحى اهلهم
يبين الكلمة باطل لانه معلوم من قولها اكفر في الحكم صفة قولنا اصل وليس كل موضع
صح فيه فعل صح افعل الا ترى انه يجوز ان يقال كسر وقتل ولا يجوز ذلك في الرجوع
الى السماع والوجه الثالث في تفسير الاية وما كان الله ليوقع الصلالة في قلوبهم بعد
الهدى حتى يكون منهم الامن الذي يستحق العقاب بمسئلة الباب قال المعتزلة
حاصل الآية ان الله تعالى لا يواخذ احدا الا بعد ان يزيل عنه كونه فاعلا للفعل قبيحا ومنهيا
عنه وقد ثبت بالدلائل القاطعة ان الله عالم بكل المعلومات وهو قولنا ان الله بكل شيء عليم وانه قادر على كل
الممكنات وهو قولنا انه خالق السموات والارض يحيي ويميت فقالوا العقيدان من كان
عالما قادرا لم يكن محتاجا والعالم القادر الغني لا يفعل القبيح والعقاب فعل السفهاء والجهال
العذر صحيح فوجب ان لا يفعله الله فظاهر الآية انما يصح اذا فسرناها بهذا الوجه وهذا لا يقتضي
يقتضي انه يصح من الله تعالى ابتداء العقاب وانهم لا يعلمون به والجواب
ان ما ذكروه من ان الله لا يعاقب الا بعد البيان وازالة العذر وازاحة العلة وليس
مما يدل عليه تعالى لم يذكر في هذا الباب ثم قال تعالى له ملك
السموات والارض يحيي ويميت فدل على ان هذا المعنى هو الذي اوجب كونه الله تعالى
لما امر
السموات والارض وما كان هو ناصر الحكم
فهم لا يقدرون على اضرارهم وما ينالهم الا القوم من المسلمين ما لو امرهم بامر لا يستطاع
من الكفار بمحمد لامتثلوا امره ولخلطوا بانبيائهم واولادهم واحبائهم لانه رما كان الذي
منهم كافرين والمراد انهم لن يضروه ومن يضرهم وينصرهم فالله الذي هو
مالك السموات والارض والحي الذي لا يموت فكيف يمكن ان ينقطعوا عليه وقوله تعالى انه

عليم

لما امر بهذه المكالفة اساقه كانه قال وحق عليكم ان تتقوا واكملي لكم ان تكونوا لها اهلكم واكملكم
عندالي **قوله تعالى** لعذاب الله على النبي الى قوله انه بهم رؤف رحيم اعلم انه تعالى
لما استقصى في شرح احوال الغزوة شرع في شرح احوال المتخلفين عنها واطال القول
في ذلك على الترتيب الذي لخصناه وهذا التفسير عاد في هذه الاية الى شرح ما بقي من احكامها
ومن تعقيبه تلك الاحكام انه قد صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم نوع زلة جاء به
محي بركة الاولى وصدر اصغار المومنين نوع زلة قدر تعالى بفضله عليهم وتاب عليهم في
تلك البرلات فعا العذاب بالله على النبي وفي الآية مسائل المسئلة الاولى دلت
الاخبار على ان هذا السفر كان شاقا شديدا على الرسول وعلى المومنين على ما سيجي شرحها
وهذا الوصف انما يمكن تحقيقها قوله لعذاب الله على النبي والمومنين الجواب
من وجهين الاول انه صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء من باب ترك الافضل
وهو المشار اليه بقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وانما استند الزمان في هذه
العزوة الى المومنين على ما سيجي شرحها وقع في قلوبهم نوع نفور عن بذل النفس
واعادوقع في خاطر بعضهم انا لسنا نقدر على الغزو لست كعوا عليه بل اقوة وساوس
كانت تقع في قلوبهم فالله تعالى بين في آخر هذه السورة انه يعصمه عفى عنها فعا العذ
تاب الله على النبي والذين امنوا معه والوجه الثاني في الجواب ان الانسان طول
عمره لا ينفك عن زلات وهفوات اما من باب الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم
ان النبي عليه السلام وسائر المومنين لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا
على تلك الشدائد والمحن اخبر الله تعالى انه تحمل تلك الشدائد صارت كالغرامة لجميع الزلات
التي صدرت عنهم في طول العمر وصارت فائدة معاد التوبة المغفرة بالاضافة عن كل ما
فعلوا السبب قال الله تعالى لعذاب الله على النبي والمهاجرين والذين امنوا معه
والوجه الثالث في الجواب ان الذي اسند عليهم في ذلك السفر وكان الوساوس
تقع في قلوبهم فكلما وقعت وسوسة في قلب واحد منهم بادر الى الله منها وتضرع الى الله
في ازالتها عن قلبه فلما تاب الله عليهم اعدادهم على التوبة فسبب حصول تلك الوساوس عالجهم قال تعالى
لعذاب الله على النبي والذين امنوا معه والوجه الرابع لا بعد ان يكون قد صدر
عن اولئك الاقوام انواع من المعاصي فالله تعالى تاب عليهم وعفى عنهم فاولئك الاقوام تحملوا

مشايخ آل السعود ثم ان الله تعالى ختم ذكر الرسول وذكرهم بتسليمها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الدرجة التي لا يصلها غير الرسول عليه السلام المهم في قول النووية

المسألة الثانية في المراد بساعة العسرة قولان الاول انها مختصة بغزوة تبوك والمراد منها الزمان الذي صعب الامر عليه جدا في ذلك السفر والعسرة تعذر الامر وصعوبته فالجيش حصلت عسرة الظهر وعسرة الماء وعسرة الزاد اما عسرة الظهر فلان الخيل كان العشرة من المسلمين يعتقبون بعيرا واحدا يركبونه سدورا واما عسرة الزاد فروى انهم لما اشرفوا على تبوك جاعوا جوعا شديدا حتى اكلوا الخبط من شدة الجوع واما عسرة الماء فروى انهم لما ارتحلوا من تبوك عطشوا عطشا شديدا حتى ان الرجل ليخرج بعيره فيعصر فرثه فيشربه واعلم ان هذه الغزوة تسمى غزوة العسرة ومن خرج منها منهم جيش العسرة وجيش عثمان وعد من الصحابة رضي الله عنهم واما القول الثاني قال ابو مسلم يجوز ان يكون المراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات استدل به على الرسول وعلى المؤمنين حيث قال فيه عمراه الحمد وعمرها وقد ذكر الله تعالى بعضها في كتابه كقوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم لابنه والمقصود منه وصف المهاجرين والانصار بانهم اتبعوا الرسول في الاوقات الشديدة والاحوال الصعبة وذلك يفيد بحسب ما به المدح والتعظيم قال تعالى من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم وفيه مباحث

الاول في قوله يكون هو قوله قلوب وقد ذكر العلماء ان كاد قلوب فريق منهم زيغ ويجوز ان يكون هو قوله قلوب وقد ذكر العلماء ان كاد لا يدخل الا على الافعال دون الاسماء والجواب ان كاد وان كان فعلا لكنه مسلوب عن ابناء الرسول عليهما السلام في بذل المعروف عند العسرة وهذا التوبيخ الثاني قراءة حمزة وحفص عن عاصم زيغ بالياء للفصل بين الفعل والفاعل بغير المؤنث وقرأ الباقون بالتاء لان القلوب في قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم الثالث ذكر بعضهم بعد المعاريض وعظ وعدا عن بعد المعاريض مع عدم الوقوع فهذا التوبيخ الملائكة توبة عن تلك المعاريض واحتجوا في ذلك الذي وقع في قلوبهم فضل هم بعضهم عند ذلك السر العظيم ان يعارضوا الرسول عليه السلام فحقهم ان يصبروا ويحتسبوا

فلذلك قال تعالى ثم تاب عليهم لما صبروا وشاوروا ولم يتواعلى ذلك الامر اليسير وقال الاخرون لما كان ذلك
حدث العفو الذي يكون مقدمة للعزيمة فلما انهتم السكينة وقع ذلك في قلوبهم ومحا ذلك الخواطر
هذا اليسير خوفا منه ان يكون معصية فلذلك قال تعالى ثم تاب عليهم قال قتادة ذكر
التوبة في اول الاية في اخرها هما العائدة في التكرار فلتأنيثه وجوه الاول
انه تعالى اعاد ذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطمينا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر
بذكر التوبة والمقصود منه تعظيم شانهم والثاني انه اذا قبل عفي السلطان عن
عن فلان ثم عفي عنه دل ذلك على ان ذلك العفو عفو تام بليغ الغاية القصوى
في الكمال والقوة قال عليه السلام ان الله ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة
وهذا معنى قول ابن عباس في قوله ثم تاب عليهم ثم زيد ازدادهم رضا والوجه
الثالث انه قال اقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة
وهذا الترتيب يدل على ان المراد انه تعالى تاب عليهم من الوساوس التي كانت تقع على
في قلوبهم في ساعة العسرة ثم انه تعالى زاد عليه فقال من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
منهم فهذه الزيادة لغاية حصول وساوس توبة ولاجرم اعقبها تعالى بذكر
التوبة مرة اخرى لهذا السعي في خاطر احد سكن في كونهم مواظبين على تلك الوساوس ثم قال
تعالى انه بهم رؤف رحيم وهما صفتان لله تعالى ومعناهما معروف ولقائل ان يقول
انا رأفة عبارة عن السعي في ازالة الضرر والرحمة عبارة عن السعي المنفعة وقد اجدهما
للرحمة السابقة والاخرى للمستقبلة **قوله تعالى** وعلى الثلاثة الذين خلفوا
الى قوله ان الله هو التواب الرحيم • في الآية مسائل المسئلة الاولى هذا معطوف
على الآية الاولى والتقدير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في
العسرة وعلى الثلاثة الذين خلفوا والعامل في هذا العطف انا بينا ان موضع ذكر
توبة التوبة النبي عليه السلام كان لمجرد الدلالة على تعظيمه واجلاله وهذا العطف
يوجب ان يكون قبول توبة النبي عليه السلام وتوبة المهاجرين والانصار وتلك
يوجب اعلاء شانهم وكانوا مستحقين لذلك المسئلة الثانية ان هؤلاء الثلاثة هم
المذكورون في قوله تعالى واخرون مرجون لامر الله واخلفوا في المسجد الذي
لاجله وصفوا بعضهم بخلفهم وذكروا وجوها الاول انه ليس المراد ان هؤلاء

امروا بالتخلف او حصل الرضى من الرسول بذلك لما هموا كقوله احبكما ان تحلفا فلا تسمعوا
موضع كذا لا يريد انه امرهم بالتخلف لعله قد نهاهم عنه وانما يريد انه تخلف عنه وابى بهم
لا يمتنع ان يكون هؤلاء الثلاثة كانوا على عزيمة الذهاب الى الغزو فاذن لهم رسول الله
قدر ما تحمل الاثقال والاداوات وما تتزوده طهرا التوابين والكسل فسخط الله تعالى
حلفهم الرسول وبالتبعية الله جل قصة اقوام وهم المرادون بقوله واخرون اعترفوا
فالمراد من كون هؤلاء محلفين وهم موقوفون قبول التوبة عن الطائفة الاولى قال
لعباس ما المراد بهؤلاء الثلاثة قول الله تعالى وجمعنا وعلى الثلاثة الذين خلفوا
المبين من خلفنا انما هو ما حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالتسريح الى قوله واخرون
لامر الله المسئلة الثالثة قال اصحاب الكشاف فمن خلفوا اى خلفوا الغازين
بالمدينة اى اقاموا وخلفنا للدين ذهبوا الى الغزو والمراد فسدوا ما بينهم الرابعة
الغبرة وقرئ خلفوا الصلاة وجالغوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين المسئلة الرابعة
هؤلاء الثلاثة هم كعب ومرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية الذي نزلت فيه اللعان ومرارة
ابن ربيعة والباقون في هذه القصة قولان الاول انهم ذهبوا حلفا لرسول عليه السلام
قال الحسن كان ذلك بحضرة الروم بمعنى ما بلغه الخبر بهم فعاد بالرضا والعفو عن رسول
الله الا امر كذا ذهبي فاتت في سبيل الله ولا كابدن المعاون حتى اصل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفعل وكان للمباني اهل فعالها اهلاه ما حلفني عن رسول الله الا امرك
ولا كابدن المعاون حتى اصل اليه وفعل والله ما كان له مال ولا اهل فعال ما
لي سبب الا النفر بالمعاون والله لا كابدن المعاون حتى اصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلحقوا برسول الله عليه السلام قول قوله واخرون مرجون لامر الله والقول الثاني
والقول الاول اكثر وان لم يذهبوا حلفا لرسول عليه السلام قال الكعبي كان رسول الله
يحب صدقتي فلما اطلعت عنه في الخروج قال عليه السلام ما الذي حبس كعبا فلما قدم المدينة
اعتذر المنافقون بعذرهم واسفه وعلمت ان ذاهبي وزادي كان حاضرا واجلست
بين يدي واستغفر لي فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فوالله عليه السلام نهى عن
مكالمتهم هؤلاء الثلاثة وامر بمباينتهم حتى امر بذلك نساءهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت
وجاءت امرأة هلال بن امية وقالت يا رسول الله ان هلالا شيخ ضعيف على الباب حتى اذا مضى خمسون يوما

لتوبتكم

انزل الله تعالى لعد تاب الله على النبي والمهاجرين فانزل قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا فعدد لك
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وهو عبد ام سلمة فقال الله اكبر فقد نزل الله
صدر اصحابنا فلما صلى الفجر ذكر له اصحابه وبشر بهم بان الله تاب عليهم فانطلقوا الى
رسول الله وتلى عليهم ما نزل فيهم فقال الكعبي توفي الى الله تعالى اذا خرج مال صدقه
فقال لا فعلت نصفه قال لا قلت ثلثه قال نعم واعلم ان الله تعالى وصف هؤلاء الثلاثة بصفات
ثلاث الصفة الاولى قوله حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت قال المفسرون
معناه ان النبي عليه السلام حاصرهم فمنعهم ومنع المؤمنين عن مكالمتهم وامر
ازواجهم بالتحول عنهم وبقوا على هذه الحالة خمسين يوما وقيل اكثر ومعناه ضاقت
عليهم الارض بما رحبت بعدم تعهدهم في هذه الشدة والصفة الثانية قوله
وضاقت عليهم انفسهم والمراد ضيق صدورهم بسبب الهم والغم وهذه الاولى والثانية
عبر عنهم ونظر الناس اليهم لعين الاهانة والصفة الثالثة قوله وظنوا ان لا ملجأ من
الله الا اليه وتقريره معناه من قوله عليه السلام في دعائه اعوذ برضاك من سخطك
واعوذ بعفوك من عقوبتك واعوذ بك منك فمن الناس من قال معنى قوله وظنوا الى
علموا كما في قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قالوا والدليل عليه انه تعالى
ذكر هذا الوصف في حقهم وفي معرض المدح والثناء ولا يكون ذلك الا وكانوا عالمين
بانه لا ملجأ من الله الا اليه وقال اخرون لا يمتنع اجراء هذا اللفظ على ظاهره ويعزى
من وجهين الاول انه عليه السلام لما وقع بصره عليهم علم بالوحي وبسيماهم انهم
في نفاقهم قرابا مثل ما كانوا مجوزين لذلك والثاني ذهب بهم كانوا قاطعين بان الله اطلع
نبيه بالوحي وبرائتهم عن النفاق ولكنهم كانوا مجوزين ذلك على ما كان في نفاقهم
في المثلة والباطن عادلين الى تجويز تلك البراءة فصح ولما وصفهم الله بهذه الصفات
الثلاث ثم قال ثم تاب عليهم وفيه مسائل المسئلة الاولى اعلم انه لابد ههنا
من اضمار والتقدير حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا
ان لا ملجأ من الله الا اليه تاب عليهم واما حسن هذا الحذف فانه تعالى ذكر في قوله
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار والذين اتبعوه وعلى الثلاثة الذين خلفوا
فلما مر ذكرهم هناك حسن حذفه في هذا الموضع فان قيل فعلى هذا التقدير يصير

الكلام ثم بان عليهم فما الفائدة في هذا التكرير قلنا هذا التكرير حسن للمبالغة كما ان السلطان اذا اراد ان يبالغ في تقرير العفو لبعض عبيده يقول عفوت عنك عفوت عنك عفوت فان قيل ما معنى قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا قلنا قد ذكرنا من الاوجه الثلاثة اصحها المعتمد منها ان فعل العبد مخلوق لله تعالى بقوله ثم تاب عليهم يدل على ان التوبة فعل الله وقوله ليتوبوا يدل على انها فعل العبد فهذا صريح قولنا ونظيره قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم مع قوله وانه هو احمد ما لكي قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى مع قوله اذا جاءه الذين كفروا وقوله هو الذي يسيركم مع قوله قل سيروا والثاني المراد تاب الله عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل والثالث اصل التوبة الرجوع فالمراد ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم ودعائهم في الاخلاص بالمؤمنين وزوال المعاندة فسكن نفوسهم عند ذلك السابع ثم تاب عليهم ليتوبوا اي ليدوموا على التوبة ولا يرجعوا الى ما يبطلها الثامن ثم تاب عليهم ليتوبوا بالتوبة وتوفر عليهم ثوابها وهذان المعنيان لا فصل انا بعد باب عليهم ليتوبوا بالتوبة وتوفر عليهم ثوابها التاسع احتج اصحابنا بهذه الآية على ان قبول التوبة ثواب الله عليهم المسئلة الثانية احتج اصحابنا بهذه الآية على ان قبول التوبة غير واجب على الله عقلا قالوا لان شرائط التوبة كمن هو ولد فلو حصلت من ولد الكافر بواسطة عرض واجب على الله عقلا قبولها ولم يلتفت الى قولهم من حيث يوما او اكثر ولو كان قبول التوبة واجبا عقلا لما جاز ورد الاخبار الحاكية عنه بان قال تعالى ان تلك التوبة صارت مقبولة من اول الامر لكنه تعالى اراد تشديد التكليف عليهم لكيلا يتجرأ احد على الحلف عن الرسول عليه السلام فيما امر به من الجهاد وغيره واعلم ان هذا الكلام لم يكن بعضه مغايرا من كلامهم عقوبة بل كان على سبيل التشديد في التكليف قال القاضي وانما حصل الرسول عليه السلام هو لا الثلاثة هكذا التشديد لانهم اذنبوا ما يليق واعترفوا بالذنب فالذي يجري عليهم وهذا جانس ويكون في الزجر اللغ مما يجري على من يظهر العذر من المنافقين والحوائج الا انهم سكتوا بظاهر قوله تعالى ثم تاب عليهم وكلمة ثم في اللغة للتراخي فيقتضي هذا اللفظ تاخير قبول التوبة فاحتملهم دلك على ما ذكرناه فان قالوا الموجب لهذا العذاب هو ذلك عذاب ولا عن الظاهر من غير دليل فان قالوا الموجب لهذا العذاب هو ذلك

وهو الذي يقبل التوبة قيل صيغة تقبل للمستقبل فمعنى لا تعبد الثور أصلا بالاجماع
ثم انه تعالى ختم الآية بقوله ان الله هو التواب الرحيم واعلم ان ذكر الرحيم عقيب ذكر التواب
يدل على ان قبول التوبة لاجل محض الرحمة والكرم لا لاجل الوجوب وذلك يقوي قولنا
في انه لا يجب شيء على الله تعالى قبول التوبة ثم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين واعلم ان الله تعالى لما علم بقبول توبتهم ولا
اللائق بكرمه ان يكون كالمؤاخذ عن مثل هذا ما مضى وهو التخلف عن رسول الله عليه
في الجهاد فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في مخالفة امر الرسول وكونوا مع الصادقين
يعني مع النبي والصحابة في الغزوات ولا تكونوا متخلفين عنهم وبما استدل مع
المعتبر في الثبوت وفي الآية مسائل المسألة الاولى انه تعالى امر المؤمنين بالكون
مع الصادقين ومتى وجب الكون مع الصادقين فلا بد من وجود الصادقين لان الكون
مع الشيء مشروط بوجود ذلك الشيء فهذا يدل على انه لا بد من وجود الصادقين في كل وقت
وذلك يمنع من اطباق العقل على الباطل ومتى امتنع اطباق الكل على الباطل وجب
اذا اطبقوا على شيء ان يكونوا محقين فهذا يدل على ان اجماع الامة حجة فان قيل
لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله وكونوا مع الصادقين اي كونوا على طريقة الصالحين كما
ان الرجل اذا قال لغلامه كن مع الصالحين لا يفيد الا حال سلمنا ذلك لكن لم قلت ان هذا
الامر كان موجودا في زمان الرسول حتى صار هذا امرا بالكون مع الرسول فلا يدل
على وجود صادق في سائر الازمنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الصادق هو الموصوم
الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة والجواب عن الاول
ان قوله كونوا مع الصادقين امر بموافقة الصادقين وهي عين معارفهم وذلك
مشروط بوجود الصادقين وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فهذا يدل على
وجود الصادقين وقوله انه يجب حمله على ان يكون على طريقة الصادقين معدول
عن الظاهر غير دليل وقوله هذا الامر مختص بزمان الرسول
عليه السلام قلنا هذا باطل بوجوه الاول انه ثبت بالتواتر ان الطاهرين
من محمد عليه السلام ان التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين الى قيام
القيامة فكان التكليف بذلك دالا على ان الصفة مستمرة في الاوقات كلها فهذا دليل صحيح

الاستثناء

ه تعالى للمستقبل فهي لا تفيد الفور اصلا بالاجماع
التواب الرحيم واعلم ان ذكر الرحيم عقيب ذكر التواب
ة والاكرم لاجل الوجوب وذلك يقوي قولنا
لتوبة ٥ **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
٥ واعلم ان الله تعالى لما علم بعض امته توبة هو لا
على ما مضى وهو التحالف عن رسول الله عليه
الله في مخالفة امر الرسول وكونوا مع الصادقين
ولا تكونوا متخلفين عنهم وما امرهم مع
له الا ان الله تعالى امر المؤمنين بالكون
صادقين ولا بد من وجود الصادقين لان الكون
دل على انه لا بد من وجود الصادقين في كل وقت
وهي امتنع اطلاق الكل على الباطل وحب
هذا يدل على ان اجماع الامة حجة فان قيل
مع الصادقين اي كونوا على طريقة الصادقين كما
تعيد الدليل سلمنا ذلك لكن نقول ان هذا
معناه ان هذا امر بالكون مع الرسول فلا بد
سادة لكن لم يلزم ان يكون دليلا لصادق هو المعصوم
كما يقوله الشيعة والجواب عن الاول
فسه الصادقين وهي عن معارضتهم ودلك
حيا لانه ليس هو واحدا من هذه الامة على
ل على ان يكونوا على طريقة الصادقين وقوله
٥ وهذا الامر مختص بزمان الرسول
وع الاول انه ثبت بالدلائل الظاهرة ان
يكون في القرآن متوجها على المكلفين الى قيام
ل الصيحة سواء كان الاوقات كلها دليل صحة

الاستقا

قال العبد ليصدق فكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يقرب الى الفجور والفجور يقرب الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا الا ترى ان الله يقول انه صدقت وبورت وكذبت وخبت تالله قيل في قوله تعالى حكاية عن ابليس فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين انا لم نجد احدا ذكر هذا الاستثناء ولم يذكر لصار كل احد يقول ادعا انهم الكذب وكانه استثنى عن الكذب فذكر هذا الاستثناء واذا كان الكذب شيئا استثنى منه ابليس فالمسلم اولى ان يستثنى منه الى غير ذلك من فضائل الصدق وان الايمان فصد لا من سائر الطاعات ومن معائب الكذب ان الفجور منه لا من سائر الذنوب واجتمعت الناس في ان المقتضي لقبحه ما هو فقالت اصحابنا المقتضي لقبحه هو كونه مخلا لمصالح العالم ومصالح النفس وقالت المعتزلة المقتضي لقبحه هو كونه كذبا ودليلنا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين نعى الله تعالى لا تعملوا قول الفاسق فرما كان بعدا ستواء عن قبول ذلك الكذب فعلل تضيروا نادمين عليه وذلك يدل على انه تعالى انما اوجب رد ما يكون كونه كذبا لاجل كونه مفضيا الى ما ينافي المصالح فوجب ان يكون المقتضي لقبح الكذب افضاؤه الى المفاسد واحتج القاضي على قوله بان من دعا الى الطاعة بما هو معلوم او مع مصرح وامكنه الوصول الى الدعاء بان يكذب او بان يصدق فان علم بديهة العقل انه لا يجوز ان يعدل عن الصدق الى الكذب واما محمد فانه يصل الى ذلك بصدق فجاز ان يعدل من احدهما الى الاخر ولو كان الكذب يحسن لصار هو المصرح لكان حال المحال الصدق ولما لم يجز كذلك علم انه لا يكون الا صحا وانه لو جاز ان يحسن لوجب ان يكون ما امر الله به اذا كان مصلحة ولو جاز ذلك لجاز ان يفعله الله تعالى اذا كان مصلحة وذلك يؤدي الى ان يوثق بخبار هذا ما ذكره في المفسر وفعال له في الجواب عن الاول ان الانسان لما تقرر عنده من اول عمره تقبيح الكذب لاجل كونه مخلا لمصالح العالم وصار ذلك كالمنبعث عنه وكون صاله فيذلك الصون للذون اذا الفت بحكم عليها بحكم العادة الراسخة عندها بالقبح فلو فرض كون الانسان خاليا عن هذه

عن هذه الحالة وقد ضمنتم اشتمل الصدق والكذب في الاخبار الى المطلوب فعلى هذا
لم يقدر لا نسلم حصول التبيين بخبره وتعالى في الخبر عن الحجة لانا نعلم بسؤال امتناع
الكذب على الله تعالى الكذب ويصح ان يعلم صدقا وقولنا ضمن هذا المعنى امتناع صدوره
عن الله لزم الدور وهو باطل **قوله تعالى** ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله الى قوله ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اعلم انه
تعالى لما امر بعضهم وكونوا مع الساداتهم في وجوب الكون في موافقة الرسول
عليه السلام في جميع الخروج والمشاهد ذكر هذا ما يدل على النهي عن التخلف عنه
فقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله الاعراب
الذين كانوا حول المدينة مرينة وجهينة ان يتخلفوا عن رسول الله واجمع واسلم
وغفار هكذا قال ابن عباس وقيل بل هذا تنبيه لجميع الاعراب الذين كانوا
حول المدينة فان العطف العام والتخصيص يحكمهم وعلى العموم فليس لهم ان يتخلفوا عن
رسول الله ولا يطلبوا لانفسهم الخفض والدعة حالما يكون رسول الله في الجهاد والمشقة
وقوله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه تعالى رغبت بمعنى عن هذا الامر اذا زهد فيه
عنه وتركته وارغب بفلان عن هذا الامر اذا اصل به عليه ولا يرغبوا له والمعنى
ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يرضاه الرسول عليه السلام لنفسه واعلم ان
ظاهر هذه الالفاظ وجوب الحضور على كل من هو لا الا انا نقول لما الهي والصغا
والعاجزون فخصوصوا بالعقل وانصافه بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
وانصافه لليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج واما المحل عن واجب
على كل احد بعينه وهذا لا [illegible] فيكون مخصوصا من هذا العموم ويبقى
ما وراءها على العموم واعلم انه تعالى لما منع من
التخلف عن الرسول بين في الجملة نوعا من انواع المشقة الا وهو حرمان الثواب
العظيم عند الله تعالى فانه تعالى ذكر امورا عشرة اولها قوله ذلك بانهم لا يصيبهم
ظمأ وهو شدة العطش يقال ظمئ ظمأ اذا اشتد عطشه وما يب قوله ولا
نصب ومعناه الاعياء والتعب قال يب قوله ولا مخمصة في سبيل الله مرة
مخمصة شديدة يقال خمص الجوع وانشد ثعلب خمص الجوع قوله

قوله ولا يبلأون مرطا يغبط الكفار اى ولا يصيب احدا منهم نصب ولا تعب ولا يصيبهم
ما يخرج ولا يضع لهم وضع يحبه يقال رجل ذو مرط اذا كان يغبط الكفار قال الاعرابى
يقال فاطه وغطه وفاطه بمعنى واحد اى اعضه وحامى فاطه ولا
بالون من عدو نيلا اى اسرا وقتلا وهزيمة قليلا كان او كثيرا الا كتب لهم
عمل صالح اى الا كان ذلك قربة عند الله لهم وقوله لنا لا به على ان قصد طاعة الله كان قائما
ونعوذ به وشبهه وكله حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول فى طرق المعصية
فما اعظم بركة الطاعة وما اعظم شوم المعصية واختلفوا فقال قتادة هذا اعظم ما
حوض رسول الله اذا عرا نعسة فليس لاحد ان يتخلف عنه الا عذر وقال زيد هذا
حين كان المسلمون قليلين فلما كثروا نسخها الله تعالى بقوله وما كان المؤمنون
لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله اذا دعاهم او يهم
وهذا هو الصحيح لانه سوى الاحياء والطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم او يهم
غيره من الولاة والائمة اذا نابوا الا ما لوسوعنا الهند وبنا بعقا علم بعضهم بذلك بعض دون
بعض ولا ذى ذلك الى تعطيل الجهاد وقوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة
ولا يقطعون واديا والوادى كل مفرج بين جبال او اكام يكون مسلكا للسيل والجمع
الاودية الا كتب الله لهم ذلك الا ليجزيهم الله بعملهم قال تعالى ليجزيهم الله احسن
ما كانوا يعملون وفيه وجهان الاول الاحسن موصوف بعلمه وفيها الواجب والمندوب
والمباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب والمباح والثانى ان
الاحسن صفة للجزاء اى يجزيهم جزاء هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب
قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون فى
الاية مسائل المسألة الاولى اعلم انه يمكن ان يقال هذه الاية منسوخة باحد امرين
الاية قبلها والاولى ان يقال الجهاد اما ان يكون واجبا او مندوبا اما الاحتمال الاول
فهو كما يمكن ان يقال انه كان مندوبا فجعله الله واجبا وهو كما روى ان صاحب
جمل عمار بن ياسر عليه السلام كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا ما عون صاحب
عله فلما بلغ الله سبحانه فى عيوب المنافقين فى غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا يتخلف
عن شئ من الغزوات مع الرسول ولا عن سريه فلما قدم الرسول عليه السلام المدينة
وامر اسرايا الى الكفار نفروا المسلمون جميعا الى العدو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت
هذه

هذه الآية والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا كلهم الى الغزو بل الواجب ان يخرج من كل فرقة طائفة منهم الى الغزو وتبقى طائفة في خدمة الرسول وتنفر طائفة اخرى الى الغزو وذلك لان الاسلام في ذلك الوقت كان محتاجا الى الغزو والجهاد وقهر الكفار وايضا كان التكليف بحفظ الشرائع ونشرها على المسلمين حاصلة الى من يكون معهم حضرة الرسول عليه السلام فسهل لذلك الشرائع وحفظ لكل التكاليف ونقلها الى الخلق فهذا ان ذلك الوقت كان الواجب على العسكر ان يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو والجهاد والباقي يكونون معه في حضرة الرسول عليه السلام لمطالعة الاوامر الى الغزو ويكونوا بامر عن المقيمين في الغزو والطائفة المقيمة يكونون امينين عن الغازين في المقعد في المقعد وهذا الطريق تم امر الدين بهاتين الطائفتين اذا عرفت هذا فنقول على هذا القول احتمالان احدهما ان يكون الطائفة المقعدة هم الذين مقتوا في الدين بسبب انهم لا زموا خدمة الرسول عليه السلام وشاهدوا الوحي والتنزيل فعلموا كل ما نزل بكلمة حدث شرع عروض وضبطوه فاذا رجعت الطائفة الغازية من الغزو الى المقعدة سئلوهم عما تعلموه من الكلمة الشرائع وهذا التقدير لا بد في الآية من اضمار والتقدير هلا نفر من كل فرقة طائفة فاقام طائفة لمقعد المبين في الدين فليعلموا قومهم يعني الغازين الى الغزو اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله تعالى بعد ذلك التعلم والاحتمال الثاني ان يقال المقعدة الطائفة الغازية وهذا قول الحسن ومعنى الآية هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة حتى يصير هذه الطائفة معها في الدين ويدل لهذه المقعدة الزائدة انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان بعد العلل عليهم يعلمون انهم على الشرك فيحذرون ان يرد الله سبحانه وتعالى بهم ما حل بهم بالنصرة والتأييد وانه تعالى يريد اعلاء دين محمد عليه السلام ونقويه سريعته فاذا رجعوا من الغزو الى المقعدة اخبروهم بما شاهدوا وهم عاشاهدوا من الآيات والعبر والظفر لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والشرك والنفاق وهذا القول ايضا محتمل وطعن القاضي في هذا القول وقال الان هذا الحكم لا يعقل فيها في الدين من ان يحاب عشيرته بانهم اذا شاهدوا ان القوم العلل الذين ليس لهم سلاح ولا زاد يطلبون الجمع العظيم من الكفار الذين يكثر زادهم وسلاحهم وقوتهم وشوكتهم

لحمد اذا هو المقصود وهو ان هذا الامر من الله تعالى وليس من البشر اذ لو كان من
البشر لما علب القليل الكثير ولما بقي هذا الدين الى الزمان مع الصاعقة كل يوم والمنة
لله وحده على الدقائق واللطائف لا سيما انه نعم والاحتمال الثاني وهو ان يعالج هذه
الامة السفر بما احكام الجهاد لان موجبه مستدام مستعمل بعسره ويسره ان يعالج
الله تعالى الخلق بما احكام الجهاد من امر الهجرة من امر الجهاد وهما عباداتان بالسفر من اصل
عبادة المنعة من جهة الرسول له يتعلق بالسفر فقال وما كان المؤمنون كافة
لينفروا الى حضرة الرسول عليه السلام ليتفقهوا في الدين بل لكل عسر واحد ويسر جاز ولليسر حاله
كحال الجهاد منعة الذي يجب ان يخرج منه كل من لا عذر له من كل فرقة منهم طائفة
لينفعهوا في الدين ويعرفوا الحلال والحرام ويعودوا الى اوطانهم منذرين وكذلك
قومهم لكي يرجعوا عن كفرهم وعلى هذا التقدير يكون المراد وجوب الخروج الى
حضرة الرسول عليه السلام للتفقه والتعلم فان قيل اقل الاقامة سنة ووجوب
الخروج للمنعة في كل زمان فلم امنى عن المنعة الا بالسفر وجب عليه السفر
وفي زمان الرسول عليه السلام كان السفر كذلك لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كل يوم
كل يوم تنكلف بحديد وشرع جديد اما في زماننا فقد صارت الشريعة مستقرة
فاذا امكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجبا لانه لما كان لفظ الاية
دليلا على السفر لحرم واما ان العلم المأمور المشفع به لا يحصل الا في السفر
المسئلة الثالثة في تفسير الالفاظ المذكورة في هذه الاية لو اذا دخل على
الفعل فان يعني التخصيص مثل هذا واما جاز ان يكون لو ههنا بمعنى هلا لان هذه
الكلمات ان هل وهو استفهام وعرض لا تدخل الا على الفعل فان قلت
كما يحسن ان هل وهو استفهام وعرض لا تدخل الا على الفعل فان قلت
هلا فعلت كذا فما لك قلت هل وقعت بمعنى هلا لانها في هذه الصيغة
على وجوب الفعل ومنه على انه حصل الاحلال بهذا الواجب وهذا الكلام
في لو لا لان اذا قلت لو دخلت على لو اخلك عند ذكر ما ذكرناه الصاغرون واخبار عن
سرور لك به لو فعل وهذا الكلام في لو ما ومنه قوله لو ما ذا بنا ما الملالة

قيد

ثبت ان اولا وهلا ولوما الفاظ مستعارة والمقصود من الكل الترغيب في التحصيل بقوله
فلولا نفر من كل فرقة منهم الاية اي فيجب ان تعلموا ذلك المسئلة الثالثة هذه
الاية حجة قوية في ان خبر الواحد حجة وقد اطنبنا في تقريرها في كتاب المحصول من الاصول
والذي يقول ههنا ان كل لبنة فرقة وقد اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة
فالخارج من البلاد يكون اثنين او واحدا ومحال ان يكون الطائفة اما اثنين فما واحدا
لانه تعالى اوجب عليهم انذار اقوامهم لان قوله ولينذروا قومهم عبارة عن اخبارهم بقوله
لعلهم يحذرون الاخبار عن قولهم ان يعملوا باخبارهم وذلك يقتضي ان يكون خبر الواحد
او الاثنين حجة في الشرع قال القاضي هذه الاية تدل على وجوب العمل بخبر الواحد
لان الطائفة قد تكون جماعة يقع بخبرها العلم وبان قوله ولينذروا قومهم يصح
وان لم يجب القبول كما ان الشاهد الواحد يلزمه الشهادة وان لم يلزم القبول فثبت ان
الانذار يتضمن التخويف وهذا القدر لا يقتضي وجوب العمل به والجواب
اما قوله الطائفة قد تكون جماعة فجوابه انا سنبين ان كل لبنة فرقة فلما اوجب الله تعالى
ان يخرج من كل فرقة طائفة لزم كون الطائفة اما اثنين او واحدا وذلك يبطل كون
الطائفة جماعة سلمنا ان حصل العلم بخبرهم فان قوله تعالى اوجب العمل بقولهم ولم قلتم
لعلهم يعلمون في الكثير الاعم يحصل العلم بخبرهم قلنا انه تعالى اوجب على
كل طائفة ان يرجعوا الى قومهم وذلك يقتضي رجوع كل طائفة الى قوم خاص ثم اذا تعالى
اوجب العمل بقول كل الطائفة وذلك يفيد المطلوب واما قوله ان قوله ولينذروا
قومهم يصح وان لم يجب القبول فمعول انا لا نتمسك في وجوب العمل بخبر الواحد
بقوله ولينذروا قومهم بل بقوله لعلهم يحذرون فان قوله لعلهم يحذرون
لعلهم يحذرون بتخويفه تعالى فاذا حذرنا على ذلك الانذار يقتضي ايجاب العمل على
وقوع ذلك الانذار وبهذا الجواب خرج الجواب عن سؤاله الثالثة وهو قوله الانذار يتضمن
التخويف وهذا القدر لا يقتضي وجوب العمل به المسئلة الرابعة دلت الاية على ان
ان يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم
والصراط المستقيم لان الله تعالى امرهم بالتفقه في الدين ثم جعل ايجاب
انذارهم اقوامهم عند رجوعهم الى الدين الحق واولئك يحذرون من الجهل والمعصية

فلا اراه مثل الاسلام الخ عن ماله واذا اياه مال الى قوله الجهر بركة واذا اكثر العدد واحد
العالم على وفق حكم الله تعالى **قوله تعالى** واذا انزلت سورة منهم من يقول ايكم
زادته هذه ايمانا الى قوله وماتوا وهم كافرون ۞ اعلم ان الله تعالى لما ذكر احوال المنافقين وذكر
احوالهم الخصوصية شرع الان في احوالهم المشتركة بينهم وبين غيرهم وهي احوال المنافقين وذكر
فقال بعضهم يقول بعض المنافقين لبعض معروفيهم بسيماهم وهو يهم على النفاق وقال
اخرون انما قالوه لعوام المسلمين وغيرهم حيث رأوهم مع الاسلام وقالوا ذكروا
على وجه الهزء والكل محتمل ولا بد من حمله على الكل لان حكاية الحال لا تفيد العموم
ثم الله تعالى اجاب فقال انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران
وحصل للكافرين ايضا امران اما الذي حصل للمؤمنين فالاول هو انها زادتهم ايمانا
اذ لا بد عند نزولها من ان يعرفوا بها ويعترفوا بانها حق من عند الله والكلام في
نفي الايمان وتحصيله قد ذكرناه في اول سورة الانفال بما لا مزيد عليه فما حصل
ما حصل لهم الا بسبب ان بعضهم من حمله على تواب الاخرة وبعضهم من حمله على ما حصل في الدنيا
من النصر والظفر وبعضهم من حمله على الفرح والسرور الحاصل بسبب ذلك الكلام
الزائد من حيث يتوسل به الى مزيد في الثواب ثم جمع الله تعالى امرين من معالم المؤمنين
المذكورين في المؤمن وهما العلم والعمل اما العلم ففي قلوبهم مرض بمعنى المنافقين فزادهم رجسا الى
رجسهم والمراد من المرض اما العقائد الباطلة واما الاخلاق المذمومة فان كان الاول
كان المعنى انهم كانوا معتقدين بالسورة المنزلة له فلما نزلت الان صاروا معتقدين
بهذه السورة الحقة فقد انضم كفرهم الى كفرهم وان كان الثاني كان المراد انهم
كانوا ممن يحقد على المؤمنين ويستبطئ وجوه المكروه اليهم فلما نزلت هذه السورة
تلك الاخلاق المذمومة بسببها زادتهم حقدا وحسدا الثاني انهم موتى
على ايمانهم مصرون على تلك الحالة كما مر المراد بالمستنسار الذي حصل
في المؤمنين وهذه الحالة اسوأ واقبح من الحالة الاولى والمراد بالحالة الاولى عبارة
عن مداومة الكفر وعزمهم عليه واعلم ان اصحابنا تمسكوا بقوله فزادهم رجسا الى رجسهم
على ان الله تعالى قد يقصد الى الايمان ونصرته فاكدوا الله تعالى كان عالما بان سماع
السورة توجب حصول الحسد والحقد في قلوبهم وان حصول ذلك الحسد سوف

على النظر والتدبر ومن قرأ على المعاينة كان المعنى بعرض المنافقين بالاعراض عن الاعمال
عاجدة في حقهم من الامور الموجبة للاعتناء المسئلة الثانية قال الواحدي رحمه الله
قوله او لا يرون فيه الاستفهام دخلت على الواو والعطف فهو متصل بما قبله المنافقين
وهو خطاب على سبيل التنبيه قال سيبويه معنى اصله في قوله الم تر ان الله انزل من
السماء ماء المعنى بنبه ابر الى السماء فكان كذا وكذا المسئلة الثالثة
ذكروا في هذه للعقوبة وجوها الاول قال ابن عباس يمتحنون بالجوع وكل عام
مرة او مرتين ثم لا يتوبون من ذلك النفاق ولا يتعظون بذلك الضر كما يتعظ المؤمن اذا
مرض فانه يعلم ذلك بذنوب وقعت منه فيتوب الله فيزيل ذلك المرض وحتما من الله تعالى
فيه دلالة على ان ذلك ليس الا لاستحقاقه من بلاء الرحمة والرضوان من عند الله الثاني قال مجاهد
يعذبون بالقحط والجوع قال الثالث قال اصحابه يعذبون بالغزو والجهاد فانه تعالى
امر بالغزو والجهاد فهم ان يخلفوا وتعوا في المشقة الشاقة بالطعن والضرب والقتل
العسير وان ذهبوا الى الغزو ومع كونهم كافرين كانوا قد عرضوا انفسهم للقتل
واموالهم للنهب والغارة الرابع قال مقاتل يفضحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
باظهار نفاقهم وكفرهم قتل ابن كانوا يجتمعون على ذكر الرسول عليه وسلم بالطعن
فكان جبريل عليه السلام يراه عليه ويخبر بما قالوه منه فكان ذلك الخبر فضيحة لهم
ويوبخهم عليها ويعظهم فما كانوا يتعظون ولا يتوبون قوله تعالى
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم
بانهم قوم لا يفقهون اعلم ان هذا نوع اخر من مخازي المنافقين وهو انه كلما
نزلت سورة متضمنة لدلائل المنافقين وشرح فضائحهم وسمعوها بادروا من سماعها
ونظر بعضهم الى بعض نظرا مخصوصا دالا على الطعن في تلك السورة على الوجه الذي اشرنا اليها
وتحقيق ذلك انهم لا يكرهون تلك الفضائح التي تتضمنها السورة المشتملة على فضائح
المنافقين لو كانوا يستحقون المدح والثناء وكلما سمعوا سورة سرهم ذلك وابهجهم
وطمعوا ان يكونوا احق بها وادخل في الدعاء والثناء والصاحب على سبيل الطنز والهزء والسخرية
بعضهم لبعض هل يراكم احد وهذا قول الاول الثاني ان ذلك النظر دال
على ما في القلب من الامكان استبداد النفع الذي امنه فخافوا ان يراهم احد المسلمين

خلد

الهدى الى الكعبة فهذا هو المراد من الصرف وهو كلام معتبر برهاني قطعي وهو مستبعد
على هذا النص فبلغ في الوضوح الى اعلا الغايات ومما بقي من مباحث الآية ما نقل عن
محمد بن اسحق انه قال لا تقولوا اصرفنا من الصلوة فان قوما صرفوا صرف الله قلوبهم لكن
قولوا قد فتنا الصلاة وكان المقصود منه التعليم بدل هذه اللفظة الواردة في الحكاية قال تعالى
فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ثم

قوله تعالى

لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم
وفيه مسائل المسئلة الاولى اعلم انه تعالى لما امر رسوله عليه السلام ان يبلغ وهذه
السورة الى المشركين كالف ساقه شديد صعبة عسيرة محملها الا لمن حصنه الوحي التوفيق
والاكرام فختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف وهو ان هذا الرسول منكم
وكل ما يحصل لكم من العز والشرف في الدنيا فهو عائد اليكم وانصافا به بحال تشق
عليه مضرتكم ويعظم رغبته في ايصال خير الدنيا والآخرة اليكم فهو كالطبيب
المشفق لكم وكالاب الرؤف الرحيم في حقكم والطبيب المشفق بما اقدم على
علاج ثمانية عشر محملها والاب الرحيم بما تعدم على تاديبات شاقة علمنا ان هذه
ان الطبيب حق وان الاب مشفق حاذق تلك المعالجات المولمة فتحملوها وصابروا تلك
التاديبات جاريين مجرى الاحسان وكذلك هذا القرآن فتيقنوا انه رسول حق من عند الله فاقبلوا
منه هذه التكاليف لتفوزوا بكل خير فان الرسول فانا لم يعلموها فلعلهم اعرضوا
وتولوا فاسرعوا لا نلتفت اليهم وعول على الله وارجع في جميع امورك الى الله وقل حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وهذه الخاتمة لهذه السورة حالة
في غاية الحسن وبداية الكمال المسئلة الثانية اعلم انه تعالى وصف الرسول عليه
السلام في هذه الآية بخمسة انواع من الصفات الصفة الاولى قوله من انفسكم
وفي تفسير وجوه الاولى انه تعالى بشر قلوبكم لقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا
الى رجل منهم ان انذر الناس وقوله اما انا بشر مثلكم والمعجوز انه لو كان من جنس
الملائكة لكان لضعف الحس نسبته على الناس على ما مر تقريره في سورة الانعام والثاني
من انفسكم اي من العرب قال ابن عباس ليس في العرب قبيلة الا وقد ولد فيها النبي عليه السلام
احد من مضر بها وربيعتها ويمانيها والمصريون كلهم العدنانية والقحطانيون
هم الخلطاء وبطن قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من

أنفسهم والمقصود منه ترغيب العرب في نصرته والقيام بخدمته كأنه قيل لهم كل ما تحملون
له من الدولة والرفعة في الدنيا فهو سبب لعزكم ولفخركم لأنه شرف لكم وفي تسلكم والثالث
من أنفسكم خطاب لأهل الحرم ودلالة أن العرب كانوا يسمون أهل الحرم أهل الله ومحاسنه
وكانوا أعلم بهم وبالعلوم الصالح مهامهم فكأنه قيل للعرب كيف قبل وعلامة محمد المجتهدين
في خدمة الإسلام وأنابه فلم يكاسلوا في خدمته مع أنه لا سبيل له إلى الشرف والرفعة
إلى الإسلام وأنابه والقول الرابع أن المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارة
كأنه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والأمانة والعفاف والصيانة والعرب تقول
كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وإيصال الخيرات إليكم وإرساله من هذه
حالته وصفته تكون من أعظم نعم الله عليهم قرئ من أنفسكم أي من أشرفكم
وأنفسكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله
عنهن المسألة الثانية قوله عزيز عليه ما عنتم واعلم أن العزيز هو الغالب الشديد
والعزة هي الغلبة والشدة فإذا وصفت شيئا بالإنسان ثم رأيته كان عاجزا عن دفعها
إذا قدر على دفعها دل ذلك على أن ذلك الشيء ألم على الإنسان وهذا السؤال استدعى الإنسان
شيء فيما لا غرض له في هذا وأما العنت فيقال عنت الرجل يعنت عنتا إذا وقع بمشقة وشدة
لا يمكنه الخروج منه ومنه قوله تعالى لأعنتكم أي لشق عليكم وقوله لأعنتكم وقال الفراء ما
عنتم وقال الزجاج معنى قوله ما عنتم وقوعكم في المعنى عزيز عليه عنتكم فعلى هذا
عليه مضمر وعلى قول الفراء كان ما في موضع رفع والمعنى عزيز عليه عنتكم فعلى هذا
لا مضمر والثالث قوله حريص عليكم وفي الحرص وجهان أحدهما أن يكون متعلقا بدينهم
والمراد حرصه على إيصال الخيرات إليهم في الدنيا والآخرة
واعلم أن على هذا التقدير يكون قوله عزيز عليه ما عنتم معناه تنفر عن وصول
شيء من آفات الدنيا والآخرة إليهم وعلى هذا التقدير لا يحصل التكرار وقال الفراء الحريص
الصحيح ومعناه لا يحل عليكم أن تدخلوا النار وعلى هذا التقدير يكون قوله حريص عليكم
الحال عن العامل والصفة المشبهة وإن عملت عمل الفعل فإنها لا تعمل إلا إذا اعتمدت
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يا محمد من آمن بك فحريص أن يدخل الجنة ومن مات
كافرا فحريص أن يدخل النار وقوله بالمؤمنين رؤف رحيم
الرأفة أشد الرحمة والرحمة دون الرأفة وقدم الرأفة لأن رأفته تدفع المكاره
التي لا قدرة على تحملها إلا الموفق من عند الله وقد يرحم الله قلبا فقد صرنا لهذا المعنى أهل الطب

الملائق والمراد المشفق والمعنى انه انما فعل بهم ذلك حتى تحاموا من العقاب الموبق
ويفوزوا بالثواب المورد السوال الثاني لما قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
مهد العتق بوعد ان يقال رؤف بالمومنين فلم ترك هذا العتق وقال بالمومنين رؤف رحيم
عند الحسن يعني انه لا رافة ولا رحمة له الا المومنين واما الكافر فليس له عليهم
رافة ورحمة وهذا كالمتمم لعذر ما ورد في هذه السورة في التغليظ الا ترى كيف
التغليظ على الكافرين في المنافقين وامر رحيمي ورافتي مخصوصة بالمومنين فتغلظ
عليهم الدقيقة عن رد الله العتق **قوله تعالى** فان تولوا يعني حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ① اما قوله فان
تولوا يريد المشركين والمنافقين يعني قبل تولوا الى ان رجعوا عنك فقل تولوا عن طاعة الله
وتصديق الرسول عليه السلام وقبل تولوا عن قتال الكافر بالسيف الشافه المذكور
في هذه السورة وقبل تولوا عن نصرتكم في الجهاد واعلم ان المقصود من هذه
الاية بيان ان الكفار لو اعرضوا ولم يقبلوا هذه الدعاء الفاضل يدخل في قلب
الرسول حزن ولا اسف لان الله حسبه وكافيه في نصره على الاعداء وفي
ايصاله الى مقامات لا اول ولا تعالا الا هو واذا كان لا اله الا هو وحده
ان يكون لا منذ الشيء من الممكنات ولا محدث شيء من المحدثات لا هو واذا كان
هو الذي ارسلني بهذه الرسالة وامرني بهذا التبليغ كان النصرة والمعونة مرتبة
منه عز وجل عليه توكلت وهو رب العرش العظيم والسبب في تخصيصه بالذكر
انه كلما كانت الاثار اعظم والبرهان كان ظهور دلالة الموثر في الفعل والقاهر
اعظم الاجسام هو العرش كان المقصود من ذكر تعظيم جلال الله سبحانه
فان قالوا العرش غير محسوس ولا نعرف وجوده الا بعد ثبوت الشريعة وكيف
يمكن ان يكون في معرض ما عظم الله تعالى قلنا وجود العرش امر مشهور
والكفار سمعوا من اليهود والنصارى والسعداء منهم ايضا كانوا قد
سمعوا من اسلافهم ومن الناس من قرا قوله العظيم بالرفع ليكون صفة للرب سبحانه
قال ابو بكر الاصم وهذه القراءة اعجب لان جعل العظيم صفة لله تعالى
اولى من جعله صفة للعرش والصاقا قال فجعلناه صفة للعرش كان المراد من
كونه عظيما كبر جسمه وعظم حجمه واتساع خوانه على ما هو مذكور

في الاخبار وان جعلناه صفة لله تعالى كان المراد من العطية وجوب الوجود والتقدس
عن الجهة والاختراع والانتفاع كالعلم والقدرة وكونه سرمدا عن ان يتسلل اليه
الوهام او تنال الافهام وقال الجبائي هما اسمان للقرآن كالفرقان وقال الرماني
وما انزل بعدهما قرآن وقال الرماني كل سورة تعدد القرآن انما عدها اسما لان الاسم هو
قول سعد بن جبير وسماه من يقول احمد من اسماء القرآن وقوله تعالى واتقوا ومارجعون
فيه الى الله ويسئل عن جلاعه انه قال اسم من اسماء السورة بالتوبة وهي سورة العذاب
ما نزلت الا لاخذ الامان منه والله اعلم وقولهما واعلم ان هذه الروايات يكذبها
كذا الوجود ما ظلك لكان ذلك دليلا على تطرق الزيادة والنقصان الى القرآن وذلك
يخرجه عن كونه حجة ولا خفاء ان القول بهما باطل والله تعالى اعلم بمراده ۞
اخر تفسير سورة التوبة والله الموفق ۞

تفسير سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس ان هذه السورة مكية الا قوله
ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك
اعلم المفسرون انها مدنية نزلت في اليهود ۞
وفيه مسائل المسئلة الاولى قرا نافع وابن كثير وعاصم الرقم الراء
على التفخيم وقرا ابن عمرو وحمزة والكسائي ويحيى عن ابي بكر بكسر الراء على الاصالة
وروى نافع وابن عامر وحماد عن عاصم بين اللفظين والاكسر والاعلم ان هذه لغات صحيحة قال
الواحدي الاصل ترك الامالة في هذه الكلمات من نحو ما روى ان لغة السفلة
عن ابيا واما امالة حمزة فلان صار الالف اسما للحرف الموضوعة فقصد بالامالة
البنية على انها اسماء للحروف المسئلة الثانية اتفقوا على قوله الى وحي انس
انه واتفقوا على ان قوله طه وحمة انه والفرق ان قوله الر اسماء تتعاطع ادى الى
بعض بخلاف قوله طه فانه تساكل متقاطع الاخير الذي بعد المسئلة الثالثة
الكلام المستقصى في تفسير هذا النوع من الكلمات قد تقدم في اول سورة
البقرة اذا ثبت هذا فنقول اما قول عباس ان معناه انا الله ارى وصل

الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تلك آيات الكتاب الحكيم
الرحمن الرحيم قال الرازي عند قوله تعالى الرحمن الرحيم
فيه مسائل المسألة الأولى قوله الحمد لله يحتمل أن يكون إشارة إلى ما تقدم من السورة
من الآيات ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما تقدم من السور من آيات القرآن وأيضا فالكتاب
الحكيم يحتمل أن يكون المراد منه هو القرآن ويحتمل أن يكون المراد منه القرآن وهو
الكتاب المخزون المكنون عند الله الذي نسخ منه نسخ كل كتاب به قال تعالى
إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون وقال جل جلاله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وقال يمحو الله الباطل ما يشاء ويثبت وعنده
أم الكتاب إذا عرفت ما ذكرنا من الاحتمالات فعند تحصيلها هاهنا وجوه
أربعة من الاحتمالات الأول أن يقال المراد من لفظة تلك الإشارة إلى الآيات
الموجودة في هذه السورة وكان التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم الذي هو
القرآن وذلك لأنه تعالى وعد رسوله أن ينزل عليه كتابا لا يمحى الماء والمائي أن المراد
أن تلك الآيات الموجودة في هذه السورة هي آيات الكتاب المخزون المكنون عند الله تعالى
واعلم أن على هذين القولين يكون الاستثناء بقوله تلك الآيات هذه السورة وعند استعمال
وهو أن يشار بها إلى الغائب وآيات هذه السورة حاضرة فلهذا يحسن أن يشار بها إلى
الغائب وآيات هذه السورة حاضرة فلهذا يحسن أن يشار بلفظ تلك واعلم أن هذا السؤال
مع جوابه قد سبق في تفسير قوله تعالى ذلك الكتاب لا احتمال الثالث والرابع أن
يقال أن لفظ تلك إشارة إلى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمراد بها هي آيات القرآن
أعلم أو المراد بها هي آيات ذلك الكتاب المخزون المكنون عند الله وعلى الأقل هو أن أحد
أحدها أن يكون المراد من الكتاب الحكيم التوراة والإنجيل والتقدير أن الآيات
المذكورة في هذه السورة هي الآيات المذكورة في التوراة والإنجيل والمعنى أن الفصول المذكورة
في هذه السورة موافقة للفصول المذكورة في التوراة والإنجيل كقول هذه المواقفة
لا يمكن إلا إذا أخبر الله محمدا بما نزل الوحي إليه القول الثاني وهو قول أبي
مسلم أن قوله الر إشارة إلى الحروف التهجي فقوله تلك إشارة إلى تلك الآيات الكائنة بعض
أن هذه الحروف هي الأشياء التي جعلت آيات وعلامات لهذا الكتاب الذي وقع التحدي فلولا
أشار هذا الكتاب عن دلالة المائي بالوصف المعجز والإتيان بخصائصه هذا النظم دون

... سائر الباب العاشر على الملوك هذا آخر ما وجد من مسألة الباب ... في وصف الكتاب
بكونه حكيما وجوه الاول الحكيم هو ذو الحكم ومعنى اتصاف الكتاب بالحكمة
الثاني ان كون وصف الكلام بصفة من يتكلم به قال الاعشى

وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلدوها امرها لتقولا

الثالث قال الاخفش ان الحكيم بمعنى المحكم كما ان العليم بمعنى العالم
وانزل عليهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه اعلم ان من حق من
عرف حكمة الله في الامر والنهي ان يمتثل اوامره ويجتنب مناهيه وكما يحكم على احد
بانه صادق في دعوى النبوة كذلك المحق الكبير يحكم بان هذا الكتاب حق لا باطل
الرابع ان الحكيم بمعنى المحكم والاحكام معناه المنع من الفساد فمعنى المراد منه ان الكتاب المحكم
والحكمة الباب والمراد من الكتاب جنس الكتب والمراد من آياته جنس الآيات
وصف الكتاب بالحكيم لانه تعالى حكم فيه بالعدل والاحسان وامر فيه بالمعروف ونهى فيه عن المحشا
والمنكر والبغي وحكم فيه بالحمد لمن اطاعه وبالذم لمن عصاه فعلى هذا الحكيم بمعنى المحكوم
فيه الخامس ان الحكيم في اصل اللغة عبارة عن المانع يقال للمعلم الحكيم والطبيب
حكيم لانه يمنع المريض عن المضار فلما كان القرآن مانعا عن الجهل والكفر والضلال
وارشادا الى الحق والصواب جاز وصفه بالحكيم ثم قال تعالى

قوله تعالى اكان للناس عجبا الآية

اعلم ان اليهود لما سمعوا ان محمدا يدعي الرسالة ويقرأ القرآن قالوا بعضهم لبعض
ان هذا لامر عجيب فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الكافرون ان هذا لساحر مبين في هذه المسألة
مسائل المسألة الاولى ان كفار قريش تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمدا عليه السلام بالرسالة والوحي
فاكذبهم الله تعالى في ذلك التعجب ثم بين ان هذا التعجب لا وجه له البتة قوله تعالى
وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
ان هذا الا اختلاق فالمعنى ان الكفار تعجبوا من هذا التخصيص ثم وجه التعجب قوله تعالى
ءأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب
ثم انه تعالى اجاب عن شبهتهم بقوله ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب
ثم قال تعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
ثم قال تعالى وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب
ثم قال تعالى ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب
ثم قال تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق
ثم قال تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
ثم قال تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب
ثم قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار
ثم قال تعالى واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار
ثم قال تعالى هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب
ثم قال تعالى متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب
ثم قال تعالى وعندهم قاصرات الطرف اتراب
ثم قال تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب
ثم قال تعالى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد
ثم قال تعالى هذا فليذوقوه حميم وغساق واخر من شكله ازواج
ثم قال تعالى هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار
ثم قال تعالى قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار
ثم قال تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار
ثم قال تعالى وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
ثم قال تعالى اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار
ثم قال تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار
ثم قال تعالى قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار
ثم قال تعالى رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار
ثم قال تعالى قل هو نبؤا عظيم انتم عنه معرضون
ثم قال تعالى ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون
ثم قال تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين
ثم قال تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
ثم قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
ثم قال تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين
ثم قال تعالى قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
ثم قال تعالى قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين
ثم قال تعالى قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
ثم قال تعالى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
ثم قال تعالى قال فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك واممن تبعك منهم اجمعين
ثم قال تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين
ثم قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين

لعطه لعط الاستفهام ومعناه الانكار لان يكون ذلك عجبا واما وجب لكار هذا التعجب
لوجهين الاول انه تعالى اما الله الخلق وما الهم والما الله هو الذي له الامر والنهي والايجاد
والمنع ولا بد من اتصال تلك الافعال اولا الله المكلفين بواسطة بعض العباد
واذا كان هذا كذا كان ارسال الرسول امرا عجيبا ومنصبا جليلا عظيما في العقول الثاني
انه تعالى خلق الانسان على الاشتمال على العبودية كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وقال اما طعام الانسان من بطنه استاح بسلبه وقال قد افلح من تزكى
وذكر اسم ربه فصلى فهو انه تعالى اكمل عقولهم ومكنهم من الخير والشر فهم علم
انه تعالى ان عباده لا يستقلون بما كلفوا به اذا ارسل اليهم رسولا ومبشرا
فعند هذا يجب وجوبا لعقل والكرم والرحمة ان يرسل اليهم جلة الرسول لعباده
دلكم واجبا فكيف يعجب منه الكافر ان ارسال الرسل امرا اعلى الله تعالى
شانا من ان يمنع وجود ذلك كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
نوحي اليهم فكيف يعجب منه مع انه قد سبقه النظير وهو كقوله تعالى ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه وسائر قصص الانبياء عليهم السلام الرابع انه تعالى انما ارسل
الينا رسولا من انفسنا ليكون اعرف بحالهم واقدر على ايصال الخير اليهم وابعد عن
التهمة بحيث لا يعرفه بسنه وعرفوا كونه امينا بعيدا عن انواع الخيانة والكذب ملازما
للصدق والعفاف بعرفه تعالى حتى ان المسالم يخالط اهل الارض ان ما قرأ كتابا
قط ولا خط بيمينه بل كان امينا معروفا بينهم بالصدق والعفاف فلما ظهر عليهم
اصلا والتهم به مع ذلك تلوا عليهم اوصافه وحكموا بانه هو المراد من قوله تعالى هو الذي بعث
في الامين رسولا منهم وقال وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
الخامس ان مثل هذا التعجب كان موجودا عند بعثة كل رسول كما في قوله
وقال عاد اجاءهم هود وانذرهم اجاءهم صالحا الى قوله او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
السادس ان هذا التعجب انما ان يكون من ارسال الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
او سلموا انه لا تعجب له في ذلك وانما يتعجبوا من خصوص الله محمدا بالوحي والرسالة اما
الاول فمعلوم ان العقل شاهد مع حصول التكليف لا بد من منه ورسول
يعرفهم تمام ما يحتاجون اليه في ادياتهم كالعبادات وغيرها اذا ثبت هذا فنقول
الاولى ان يقال انهم ان كان من جملتهم ليكون تعجبهم اليه اكمل والتهم به اقوى

كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقال ان لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الثاني فبعيد لان نجما كان موجودا
لسعات الحجر والبقوي والامامة فقالوا لا يجوز ان يكونوا سماء معا وجوابه في عامة
البعد عن الاله تعالى عن ذلك علوا كبيرا لا يمكن ان يكون اقرب منه فلا يقال لما هذا
ولا ان يكون العني سماء لما كان الحال هذا قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى فيقال ان يعجب الكفار من خضوع الانبياء وتواضعهم وامر رسالته كلام فاسد
المسئلة الثالثة الحرية في قوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم
العجب وان اوحينا اسم كان وعجبا خبر مقدم وان مع صلته في تأويل مصدر مؤخر تقديره
اكان للناس عجبا ايحاؤنا الى رجل منهم وهو نحو قولك كان ضربك زيدا قائما
خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون
كان تامة قال ابو علي لا يجوز ان يكون عجبا المسئلة الثالثة انه تعالى لما كان للناس عجبا ولم
يقل اكان عجبا للناس عجبا والفرق ان قوله اكان للناس عجبا معناه ايهم جعلوا
لانفسهم العجب حتى تعجبوا منها وصيروه موضوعا لتوجه الفعل الا ترى ان العجب الذي لبس في
قوله اكان للناس عجبا هذا المعنى المسئلة الرابعة ان مع الفعل في قوله ان اوحينا اليه
في تقدير المصدر وهو اسم كان وخبره هو قوله عجبا وانما قدم الجار على المبتدا لما مر غير مرة
ان الاهم والمقصود بالانكار وهذه الآية انما هو تعجبهم واما ان في قوله ان انذر
الناس فمفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة واصله
انه ان انذر الناس على معنى ان الشأن قولنا انذر الناس المسئلة الخامسة قال تعالى
لما ان اوحى الى رسوله من بعد فيفصل ما اوحي اليه وهو الانذار والتبشير اما الانذار
فللكفار والعصاة ليرتدعوا واما التبشير فللاتقياء ليرتغبوا ثم الانذار عن فحوى الاسم واما التبشير فلاصل
الطاعة لتقوى رغبتهم فيها وانما قدم الانذار على التبشير لان التخلية مقدمة على التحلية
وازالة المانع مقدمة في الرتبة على فعل ما منع المسئلة السادسة قوله قدم صدق
قيل اقوال لاهل اللغة واقوال للمفسرين اما اقوال اهل اللغة فقد نقل الواحدي في البسيط
منها وجوها قال الليث وابو الهيثم القدم السابقة والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير
قال والقدمة
واما اقوال المفسرين فمنهم من قال اسند الله لهم قدم معروف ومآثر
وقال احمد يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري القدم كناية عن العمل الذي يتقدم فيه

ولا يقع فيه تأخير ولا ابطاء واعلم ان السبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لاحساسها بها والمراد من قدم صدق ما اعد الله لهم في الجنة من الثواب العظيم وقال بعضهم المراد مقام صدق واما المفسرون فمنهم من قال اضافة القدم الى الصدق اضافة الشيء الى ربه كقولك فضل ربك ومنهم من قال قدم صدق على الاعمال الصالحة وبعضهم حمله على الثواب ومنهم من حمله على شفاعة محمد عليه السلام واختار الزجاج هذا الثاني والله اعلم

قوله تعالى ثم استوى على العرش اتخذ قدما بنجك يوم العثار والزلل

المسئلة السابعة اعلم ان الكافرين لما جاءهم رسولهم فانذرهم وبشرهم وامرهم ونهاهم عن عبادة الله ما هو الا يق بحكمته وفضله قال بعضهم ان هذا الساحر مبين ايجاز قال الكافرون هذا الذي يدعي انه رسول ساحر والحبل القوة قال الكافرون هذا شيء عجيب قال العقلاء واصحاب هذا غير قليل في القرآن المسئلة الثامنة قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ان هذا لساحر والمراد منه محمد والباقون لسحر والمراد به القرآن واعلم ان وصف الكفار القرآن بكونه سحرا يدل على علم محل القرآن عندهم وكونه معجزا وانه يعجز عن معارضته فاحتاجوا الى هذا الكلام واعلم ان اقدامهم على وصف القرآن وكونه سحرا احتمال ان يكونوا ذكروه في معرض الذم ويحتمل انهم ذكروه في معرض المدح فلهذا السبب اختلف المفسرون فيه فقال بعضهم انه كلام مزخرف حسن الظاهر لكنه باطل في الحقيقة ولا حاصل له وقال آخرون انه سحر لانه يحصل بسببه صلاح بين المتخاصمين وتعطف قلب كل واحد منهما على صاحبه وهذا يجري مجرى السحر واعلم ان هذا العلم لما كان في غاية الغموض لم يذكر صاحبه واما قوله انه في نهاية الفساد فهو عليه السلام كان يعلم من نفسه ومن غيره وما خالط احدا سواهم وما كان بمكة من العلماء الا دون حتى يقال انه يعلم السحر منهم او يعلم العلوم الكسبية منهم تعذر على الانسان عمل هذا القرآن واذا كان الامر كذلك كان حمل القرآن على السحر جهلا ما في غاية الفساد فلهذا السبب تركوا جوابه قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام الى قوله افلا تذكرون اعلم ان الله تعالى لما حكى عن الكفار انهم يحملون امر الوحي والبعثة والرسالة على انه تعالى انما دل على صحة نبوة محمد

بعث

بعث عالى الخلق اليهم رسولا منهم على الاعمال الصالحة بالثواب وعلى الاعمال الباطلة الفاسدة
بالعقاب كان هذا الجواب اتم واكمل واثبات امرين احدهما اثبات ان هذا العالم الجسماني
ظاهرا وباطنا فاعلا للحكم والامر والنهي والتكليف والثاني اثبات الحشر والنشر والبعث
والقيامة حتى يحصل الثواب والعقاب الذان اوجبا الانبياء عليهم السلام عن حصولهما ولا جرم انه
سبحانه ذكر في هذا الموضع ما يدل على تحقيق هذا المطلوب اما الاول وهو اثبات
الاله فقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض واما الثاني وهو اثبات الحشر
والنشر فقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده في ايام الحشر
وبعد ذلك الاعمال الباقية الباقية قد ذكرنا في هذا الكتاب وفي سائر الكتب ان الدليل الدال على وجود الصانع تعالى اما الامكان واما الحدوث واما الدوران
واما في الصفات فمكون مجموع الطرق الدالة على وجود الصانع اربعة وجوه اما دوران الدوات
وحدوث الصفات فهذه الاربعة تصوراتها في العالم العلوي وهو عالم السموات والكواكب
ودورانها في العالم السفلي والاستدلال بهذه الدلائل المذكورة في الكتب الالهية التمسك بامكان
الصفات وحدوثها دون الذوات في احوال العالم العلوي ودوران في احوال العالم السفلي والمذكور
في هذا الموضع هو التمسك بامكان الاجرام العلوية ومقاديرها وصفاتها وتقويرها
بين وجوب الاول ان اجرام الافلاك لا تشكل اشكالا مركبة من الاجزاء التي لا تتجزأ وهي كالنقط
لان كل ذلك جائز لا محالة محتاج الى الخالق والمقدر واما بيان المقام الاول وهو ان
اجرام الافلاك لا تشكل اشكالا مركبة من الاجزاء التي لا تتجزأ وهي كالنقط فهو ان
كل ما كان قابلا للقسمة الوهمية فانه يكون في نفسه مركبا من اجزاء لا تتجزأ والمقدمة
الثانية وهي ان كل ما يقبل العلائق فهو من شأنه ان يقبل القسمة وانه يكون في نفسه
مركبا من اجزاء لا تتجزأ فهذا مبني على ان الجسم قابل للقسمة الوهمية وقد ذكرنا ان هذا
سببا واحدا كلام فاسد باطل وقد ذكرنا ان اجرام الافلاك مركبة من اجزاء لا تتجزأ
التي لا تتجزأ واذا ثبت هذا وجب افتقارها الى الخالق والمقدر والدليل على انها ما تركبت
الا وقد وقع بعض تلك الاجزاء في داخل وفي الجوهر وبعضها حصل على سطحها وذلك الاجزاء
متساوية في القسمة والماهية والحقيقة والعلائق فقررنا في الصفحة التي هي من المقدمة
حيث قالوا الجانب الواحد منها مساو لجانبها الآخر في تخالفه وذلك يقتضي حصول بعضها في الداخل وحصول بعضها في الخارج وهو ممكن الحصول لجواز التشوف

يجوز ان يعلم الظاهر باطنا والباطن ظاهرا واذا كان الامر كذلك جاز صغار هذه الاجرام
حالا بعد حال الى مقدر ظاهر مخصص بعضها الداخل وبعضها بالخارج وقد دل هذا على ان
الافلاك مصنوعة ومرتبة واشكالها واوضاعها الى مقدر قد يوجب الوجه
الثاني في الاستدلال بالصفات الافلاك على وجود الصانع تعالى ان يقول لو كان هذه
الافلاك لها مبدأ ومتى كان الامر كذلك لما امتنع ان تكون الافلاك لها مبدأ ابدا ومتى كان
الامر كذلك امتنع ان تكون الافلاك في حركاتها الى محرك قادر قاهر واما المقام
الاول فالدليل على صحته ان الحركة عبارة عن التغير من الحال الى حال وهذه الماهية
تقتضي السبوقية بالحالة المنتقل عنها والازلية تنافي المسبوقية بها والازلي شيئا اخر
فكان للبعض من الحركة والازل محالا بيان الحركات للافلاك اولا واخرا هذا
وجهان بعقل هذه الاجرام العلوية كانت مبدوءة في الازل وان كل موجودة
لكنها كانت واقفة ساكنة وما كانت متحركة فهو على التقدير يكون حركاتها
اولا وبداية واما المقام الثاني وهو انه لما كان الامر كذلك وجب افتقارها
الى مدبر قاهر فالدليل عليه ان ابتداء هذه الاجرام بالحركة في ذلك الوقت المعين دون
ما قبله وبعده من الاوقات لا بد وان يكون لتخصيص مخصص ورجح مرجح وذلك المرجح
ممتنع ان يكون موجبا والا لحصلت الحركة قبل ذلك الوقت لحصول الموجب لتلك
الحركة فاذا حاصلا قبل ذلك الوقت وقد بطل هذا فثبت ان المرجح قادر مختار وهو
المطلوب الوجه الثالث في الاستدلال بالصفات الافلاك على وجود الاله المختار
وهو ان اختصاص الفلك حاصله منه لا في العلل الاخر واخر العلل الاخر حاصله
فيه لا في العلل الاول فاختصاص كل واحد منها تلك الاخرى امر ممكن لجواز
ان يرجح وتعود التقدير الاول فهذا التقرير هذا الدليل الذي ذكره الله تعالى في
هذه الآية وفي الآية سؤالات السؤال الاول ان كلمة الذي كلمة
وضعت للاشارة الى شيء معين حتى يصح حمله تعريفه بعضه معلوما كما اذا قيل
لمن زيد معقولا لذهن مطلق فهذا التعريف انما يحسن لو كان لفظ الله مطلقا
امرا معلوما عند السامع فحينئذ يصح ما قال ان يقال الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام امرا معلوما عند السامع والعرب ما كانوا عالمين بالله وكيف

يحسن

بحسن هذا التعريف وجوابه ان يقال هذا الكلام مشهور عند اليهود والنصارى
لانه مذكور في اوائل ما يعلمون انه هو التوراة ولما كان ذلك مشهورا عندهم والعرب
كانوا احيانا يطلعونهم فاطلعوا انهم انما سمعوا فلهذا السبب حسن هذا التعريف السؤال
الثاني عشر الخارق في بيان الاحكام التي خلقها الله تعالى في سماء والحيوان
انه تعالى قادر على خلق جميع العالم في اوائل من لحظة المصرح الدليل على ان العالم
مركب من الاجزاء التي لا تتجزى لا يمكن ايجاده الا دفعة لما لو فرضنا ان ايجاده انما
يحصل في زمان فذلك الزمان منقسم لا محالة من اثنات متعاقبة فحصل جزء من ذلك
الايجاد في اول الاول لا محالة فان لم يحصل فيه شيء في الثاني الاول فهو خارج عن ذلك الايجاد
وان حصل في الثاني الاول شيء حصل في الثاني شيء اخر وهما ان يحصل ما حصل من ذلك الجزء
الذي لا يتجزى فحينئذ يكون الجزء الذي لا يتجزى منقسما وهو محال وان كان شيئا اخر
غير ما يكون الايجاد للم، الذي لا يتجزى لا يحصل الا في اول احد دفعة وعند القول
في جميع ايجاد الاجزاء فثبت ان الله تعالى قادر على ايجاد جميع العالم دفعة واحدة ولا نزاع
ان الله تعالى قادر على ايجاده وتكوينه على التدريج واذا ثبت هذا فنقول ههنا
مذهبان الاول قول اصحابنا وهو ان الله تعالى لم يخلق في سماء شيئا من
فعاله شيء من الحكمة والمصالح وعلى هذا القول يسقط قولهم من اين خلق
العالم في ستة ايام وما خلقه في لحظة واحدة لانا نقول كل شيء صنعه ولا علة لصنعه
ولا معلل شيء من احكامه ولا يسئل عما يفعله بعلة فسقط هذا السؤال والقول
الثاني قول المعتزلة وهو انهم يقولون يجب ان يكون افعاله تعالى مشتملة على المصالح
واحكمه وعند هذا قال العاصي ان
في هذه المدد المخصوصة ادخل في الاعتبار في حق بعض المكلفين ثم قال العاصي قال
فصل في ذكر المعتبر وما وجه الاعتبار فيهم اجاب وقال اما المعتبر فهو انه لا بد
من من يكلفنا وهو كلفنا بالحيوان خلقه الله تعالى فما خلقه السموات والارضين
او بعضها والا لكان خلقهما عبثا قال فصل فيما يدل على ان خلقهما داخل في حيوان
خلقه من بعد قال الله تعالى لا يحل الغوب ولا يجوز ان يعلم خلوا لا يصنع
فيه احد لان كل حيوان يحدث بعد ذلك فانما يصير مساويا لهذين الامرين لا محالة

الموت وخاف العجز والفتور قال واذا ثبت هذا فقد صح ما روى في الخبر ان خلق الملائكة
والحي كان سابقا على خلق السموات والارض فان قيل اولم تكن الملائكة لا تعلم ومكان
قبل خلق السموات والارض لا مكان فكيف يمكن وصفهم بالمكان قلنا
الذي يعقل من تكبير العرش والسموات والارض في امكنتها انما هو تعريف عن تمكن
اولئك الملائكة في اخبارها بقدرته وحكمته واما وجه الاعتبار في ذلك
هو انه لما حصل هذا العالم بمقدار لم يمتنع ان يكون اكبر مما شاهدنا جاز بعد حساب
اقوى والدليل عليه ان ما حدث على هذا الوجه فانه يدل على ان محدثه قادر عالم حكيم
واما المخلوق دفعة واحدة فانه لا يدل على ذلك السؤال الثالث ما هذه
الايام كايام الدنيا او كما روي عن عباس انه قال انها سنة من ايام الاخرة كل
يوم منها الف سنة مما تعدون والجواب قال القاضي الظاهر في ذلك انه تعريف
لعباده مبتدأ غير معطوف لهما ولا يجوز ان يكون ذلك تعريفا الا في الايام المذكورة
ولعاقل ان يقول انما وقع التعريف بالايام المذكورة في التوراة والانجيل وقال
المذكور هناك ايام الاخرة لا ايام الدنيا لكن ذلك لا يقدح في صحة التعريف السؤال
الرابع هذه الايام انما تعقل بحسب طلوع الشمس وغروبها وهذا المعنى
مفقود قبل خلقها وكيف يعقل هذا التعريف والجواب التعريف يحصل
بما انه لو وقع حدوث السموات والارض في قدر لو حصل هناك افلاك ادارت شمسا وقمرا
لكانت تلك مساوية لستة ايام ولعاقل ان يقول هذا المعنى حصول علم
قبل خلق العالم بحصول مقارنة حدوث العالم ودلالته على وجود الملك وحواله على ان
ذلك الملك عالم موجود فلي موصوف بهذه الصفة والدليل على ان ذلك الملك منزه عن
وجودها لا يحتاج الى فعل اخر والالزم اثبات اله ثالث وهلم جرا وذلك محال وقد عرفت ما
يقولونه في حدوث الملك فمن قوله في حدوث العالم السؤال الخامس ان اليوم عند
يراد به اليوم مع ليلته وقد يراد به النهار وحده فالمراد من هذه الآية هما والجواب
الثالث في الآية انه يراد باليوم اليوم بليلته المسألة الرابعة استوى على
العرش قد مضى مباحث الاول ان هذا ليس بحكم مستقر على العرش والكلام
المستقر فيه مذكور في اول سورة طه والكلام يختص بهما سلكا وحدا ومقولا

هذه

هذه الآية لا يمكن حملها على ظاهرها ويدل عليه وجوه الاول ان الاستواء على العرش معناه
كونه معتمدا عليه مستقرا عليه بحيث انه لولا العرش لسقط وانه تعالى ليس كذلك كما انا اذا قلنا
ان ولانا مستوى على سريره فانا نفهم منه هذا المعنى الحاضر الثاني ان هذا المعنى منتفي
كونه تعالى محتاجا الى العرش وانه لولا العرش لسقط ودليله ذلك محال الثالث ان المسلمين
اطبقوا على ان الله تعالى منزه عن المكان والحيز فحاصل قوله الشافعي ان قوله ثم استوى على
العرش يدل على انه قبل ايجاد العرش ما كان مستويا عليه وذلك يدل على انه تعالى معرى عن جميع
الجهات وكل من كان كذلك استحال ان يقال انه استوى على العرش الرابع ان ظاهر الآية يدل على انه
تعالى انما استوى على العرش بعد ان خلق السموات والارض ثم ان كل ما سوى الله تعالى
التراخي ودليله على انه تعالى كان قبل خلق العرش عريا عن العرش فاذا خلق العرش
امتنع ان يتعلق حقيقة وخالقه من الاستقرار الى الحاجة فوجب ان يبقى بعد خلق العرش
ومن كان كذلك امتنع ان يكون مستقرا على العرش فثبت بهذه الوجوه ان هذه الآية
لا يمكن حملها على ظاهرها بالاتفاق واذا كان كذلك امتنع الاستدلال بها على
اثبات المكان الذي هو الجهة لله تعالى المسألة الخامسة اتفق المسلمون على ان قوله
السموات جسما عظيما فهو العرش انما سمي بهذا السم لقوله الاول العرش المذكور في
هذه الآية هل المراد منه دليل العرش او عين ما قبله الاول وهو الذي اختاره
ابو مسلم الاصفهاني انه ليس المراد منه ما دل المراد من قوله ثم استوى على العرش انه ما خلق
السموات والارض وطحاها ورفع سمكها فان كل ذلك يسمى عرشا وبابه يسمى
عرشا قال تعالى وهي خاوية على عروشها اي بنوا ويقال في صفة القرية هي خاوية على
عروشها والمراد ان تلك القرية خلت منهم مع سلامة بنائها وقام سقوفها وخاب
وكان عريشه على الماء اي بناه وانما ذكر الله تعالى ذلك لانه اعجب في العقل فالباني
يبني البناء ساعدا من الماء على الارض لئلا يهدم والله سبحانه بنى السموات
والارض على الماء لعجز العقلاء قدرته وكمال جلاله والاستواء على العرش هو
الاستعلاء عليه بالقهر والدليل على صحة قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون

لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ثم قال ولو سلم فنقول ان اللفظ يحتمل
هذا الذي ذكرتموه فنقول وجب حمل اللفظ عليه ولا نحو حمله على العرش الذي في السماء والدليل
عليه وجوه الاستدلال على وجود الصانع تعالى وجب ان يحصل لنبي معلوم مشاهد والعرش
الذي في السماء ليس كذلك واما اجرام السموات والارض فهي مشاهدة محسوسة
وكان الاستدلال باحوالها على وجود الصانع الحكيم جائزا صوابا حسنا ثم قال
ومما يؤكد ذلك ان قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام انسان لا يخلو وهما
وهو انه ثم استوى على العرش يعقوب انسان لا تسطيحها وتسكينها بالاسكال الموافقة لها
الموافقة لصلاحها وعلى هذا الوجه تصير موافقة لقوله سبحانه انتم اشد خلقا ام السما
بناها رفع سمكها فسواها فذكر اولا انه بناها ورفع سمكها فسواها فكذلك
ههنا ذكر لقوله خلق السموات والارض انه خلقهن واتقانهن ذكر لقوله ثم استوى على العرش
انه تعالى يعرشها وتسطيحها وتسكينها بالاسكال الموافقة لها فالقول الثاني وهو القول
المشهور المعروف المغير بين المراد من العرش المذكور في هذه الآية الجسم العظيم الذي في السما
وهو لا قالوا ان قوله تعالى ثم استوى على العرش لا يمكن ان يكون معناه انه تعالى استولى العرش
بعد خلق السموات والارض بدليل انه تعالى قال في آية اخرى وكان عرشه على الماء وطلب
يدل على ان وجود العرش سابق على خلق السموات والارض فلم يجب تفسيرهن بانه
توجه امر وهو ان يكون المراد من يدبر الامر وهو مستوى على العرش والقول الثاني
ان المراد من العرش الملك يقال ثل عرشه اي ملكه فقوله ثم استوى على العرش المراد
انه تعالى لما خلق السموات والارض واستدارت الافلاك والكواكب وحصل بسبب دورانها
الفصول الاربعة والاحوال المختلفة من المعادن والنبات والحيوانات فعند الوقت
تحصل وجود هذه المحدثات والكائنات والحاصل ان العرش عبارة عن الملك وملك الله
تعالى عبارة عن وجود محدثاته وكائناته وهو اما حصل بعد خلق السموات والارض صح
ادخال حرف ثم الذي يدل على ان المراد ثم استوا على العرش والله اعلم بمراده المسئلة الرابعة
اما قوله يدبر الامر يعني انه يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وما تعلقه
المصلحة وافعاله الناظرة في دبار الامور وعواقبها الدالة جلية في الوجود ما يحصى والمراد من
الامر انسان يعني يدبر احوال الخلق واحوال ملكوتا السموات والارض فان قيل ما موقع هذه

الجملة

قال ... ولم يكونوا خالقا للسموات والارض وما بينهما ... اما موضع كونه خالقا فلانه قال في سنة
ايام ثم كونه مستويا على العرش على نهاية العظمة وعالما بكل المعلومات احاطته بجميع الجملة لدل على انه
لا يحدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي امر من الامور ولا حادثة من الحوادث الا
بتقدير وقضائه وحكمه مصداق لذلك لما على نهاية العدة والعلم والاحاطة والتدبير
فانه سبحانه مدبر جميع المكونات والله منهي سلسلة الحاجات واما قوله تعالى
ما من شفيع الا من بعد اذنه معناه قولان الاول هو المشهور ان المراد منه تدبير الامور
وصفه لها لا يكون لشفاعة شفيع وتدبير مدبر ولا سبيل لاحد ان يشفع الا في شيء
الا بعد اذنه لانه تعالى اعلم بموضع المصلحة والصواب فلا يجوز لهم ان يسألوه ما لا يعلمون
انه صواب وصلاح وان فعل كيف يتوهم ذكر الشفيع وصفه هذا الخلق وانما يليق ذكر جميع
باحوال العالم وهو الحق ... من وجهين الاول انه تعالى لما ذم الوثنية وهو ان الكفار كانوا
يقولون ان الاصنام تتولون شفعاؤنا عند الله تعالى فالمراد منه الرد عليهم في هذا القول
وهو حصرهم ان يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
الثاني وهو ان يمكن ان يقال انه تعالى لما بين كونه الها للعالم مستقلا بالتصرف فيه من غير
شريك ولا منازع بين ان المبدأ لهذا العالم مدبر الامر ومدبر الملائكة فلا يتولاه من شفيع الا بعد اذنه
والوجه الثالث هو ان يقال انه تعالى وصف مدبر الامور في اول خلق العالم على اكمل
الوجوه واقربها من رعاية المصالح مما يدل على انه العالم بالمعلومات على ما هي عليه
المخبر عن الاشياء على ما هي عليه في كونه سبحانه لذلك الا بحصول شفيع يشفع فيه والقول
الثاني في تفسير هذا الشفيع ما ذكره ابو مسلم الاصفهاني قال الشفيع هاهنا هو الثاني
وهو ما خود من الشفع الذي يخالف الوتر كما قال الزوج والفرد ومعنى الآية هو
السموات والارض ولا حي معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والجن والبشر وضع
المراد الا من بعد اذنه اي لم يحدث احد ولم يدخل في الوجود الا من بعد ان خلق وفصل
واعلم انه تعالى لما بين هذه الدلائل وشرح هذه الاحوال ختمها بما يدل على التوحيد بالعبودية
الله ربكم لا اله الا هو فاعبدوه ومنها ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ومنها على ان
هو المستحق لجميع العبادات لاجل انه هو المنعم بجميع النعم التي ذكرها ووصفها
ثم قال بعد هذا افلا تذكرون وهذا يدل على حصول التذكر في ذلك الدليل العاشر الباهر

الجملة

وذلك دليل على ان الفكر في مخلوقات الله تعالى والاستدلال بها على جلاله وقدرته وعظمته
اعلا المقامات واكمل الدرجات **قوله تعالى** اليه مرجعكم جميعا وعد الله حق قال مولانا المولى
اعلم انه سبحانه لما ذكر الدلائل الدالة على اثبات المبدا اراد ان يدل على صحة القول بالمعاد
وفيه مسائل المسئلة الاولى في بيان ان الكفار انكروا الحشر والنشر مع ان العلوم البديهية
تدل على خلافه وجوه الاول ان العقلاء اختلفوا في وقوعه وعدم وقوعه وقال بامكانه
عالم من الناس وهم جمهور ارباب الملل والاديان وما كان معلوم الامكان بالبديهة
امتنع وقوع الاختلاف فيه الثاني انا اذا رجعنا الى عقولنا السليمة وعرضنا عليها
الواحد نصف الاثنين وعرضنا عليها الامتناع عند العقل لم تجد هذه
العقلة في قوة الامتناع مثل العقلة الاولى الثالث انا اما ان نقول بثبوت
النفس الناطقة ولا نقول بها او نقول بها فان لم نقل بها فقد زال الاشكال بالكلية فانه كما
لا يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن في المرة الثانية
لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى وان قلنا بالقول بالنفس الناطقة فالاجسام
اما قابلة لاعادة ما عدمه او غير قابلة لذلك والله سبحانه مريد لكل ما امكن المعترف بكونه عالما بكل
الجزئيات فاذا حكمنا بامكان اعادة الانسان الاول مرة اخرى والله سبحانه حكيم لم يمتنع منه اعادته
الحشر والنشر ويحتمل ان يكون هذا هو الدليل الاول كما ترى الارض خاشعة وهو الجدب
ويرى البدن ميتا عليها استدل بالحرث في الصيف بانه تعالى يزيل المطر عليها وقت
الربيع فيصير بعد ذلك متحللا الى الارض والماء والهبوب والانوار العربية كما قال تعالى الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور
وبالثاني قوله تعالى وترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
الى قوله ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وبالثالث قوله تعالى الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب والمراد قوله منها خلقناكم اي المنى
وبالرابع قوله ثم اماته فاقبره وهو اذا شاء انشره هذا ما خطر ببالي فعرضته على الاسلام
الى طعامه وقال عليه السلام اذا انتم ذكرتم الربع فاكثروا ذكر النشور وهو اعظم
المشابهة بين الربع وبين المنشور الامر الوجه الذي ذكرناه المسالك الثاني فاعلم

ما تعلق كل واحد منا من بدء من الرأس والنمو بسبب السمن والهزال والدبول بسبب
الهزال عما يرد بعود الى حالته الاولى بالسمن واذا ثبت هذا نقول ما جاز ان يكون بعضه على
ممتنع الفناء يكون كله وما لم يمتنع الطريان الاعادة عن ممتنعه والانسان يعلم
سبحانه ونتكم معاد يعلمون يعني انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء العالم
لولا ثم انشاء احوالكم حال حياتكم بانا نشاء نسانا من غير ان كونوا عالما من بوقت حياته ويوقت
وجب القطع عليه انه يقدر على اعادتكم بعد الموت في الآخرة يوم القيامة المسألة
الثالثة انه لما كان قادرا على ان خلقنا ابتداء من غير مثال سبق
وكان يكون قادرا على ايجاد ما من اخرى مع سبق الايجاد الاول كان اولى وهذا الكلام
وهذا الكلام قرن تعالى في آيات كثيرة منها هذه الآية وهو قوله انه يبدئ الخلق ثم يعيده
وامثاله قوله تعالى في سورة يس ومن يحيي العظام وهي رميم وقوله تعالى
ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون وامثاله قوله تعالى اعيينا بالخلق الاول وامثاله
قوله تعالى احسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى الى قوله ان ذلك
لقادر على ان يحيي الموتى وامثاله قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب الى قوله وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان
الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فاستدل تعالى على صحة الحشر في هذه
الآية بامور الاول استدل بالخلق الاول على امكان الخلق الثاني وهو قوله ان كنتم
في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب كأنه تعالى لما خلق الخلق الاول باستحالة هذه الاجسام
من احوال الى احوال اخرى فعلم لا محالة ان حصول الخلق الثاني بعد تفرق اجزاء
متعاقبة والله تعالى سهلها يا حيا الارض الميتة قال الثالث ان تعالى صور الخلق
وانما يكون عند الله وكان عالما بدقائق العلم وانه يحكمه فيحيي الرجوع
المستعلم من هذه الآية على امكان صحة الحشر والنشر الآية السابعة
في هذا الباب قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة الثامن الذي يدل على ان الله تعالى لما
قدر على خلق ما هو اعظم من ابدان الانسان في تحقيق تعالى انه لا يعجز عن اعادتها فان
من كان الفعل الاصعب عليه سهلا فلان يكون الفعل السهل الحقير عليه سهلا

فلا يكون الفعل السهل للقدر عليه سهلا كان اولى وهذا المعنى مذكور في اية كثيرة
منها قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وبلى
قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي
الموتى وبالجملة فهذا استدلال خلق السماوات والارض الخامس الاستدلال
بحصول المقطعة بعد النوم على جواز الحشر والنشر فان النوم اخو الموت والمعطية
شبيهة بالحياة بعد الموت قال تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم
بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى فجعل النوم كالموت والبعث كالحياة وقال وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق وقال في اية اخرى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الى قوله
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون والمراد منه الاستدلال بحصول هذه الاحوال
على صحة البعث والنشور المثال السادس ان الاحياء بعد الموت لا
يستنكر الا لامر حتى انه يحصل الضد اذا ان ذلك عن مستنكر في قدرة الله تعالى
لانه لما جاز حصول الموت عقب الحياة فكيف يستبعد حصول الحياة من اخرى بعد
الموت فان جمعهما ضد واحد وقد قال تعالى معورا لهذا المعنى نحن قدرنا بينكم الموت
وما نحن بمسبوقين وقد ايضا بعد النار مع حرها وبسها متولدا من الشجر مع برده ورطوبته
فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون فعد ههنا هذا
جملة الدلائل في بيان القول بالمعاد وحصول الحشر والنشر عن مستبعدي العقول
المسئلة الثانية في اقامة الدلالة على ان المعاد جائز واعلم ان الامة
فريقان منهم من يقول بحسن عقلا ان يكون الله العالم اجسادا عاد لا مرها على الاجسام
والاضرار الا لمنافع اعظم منها ومنهم من يذهب الى ان العالم قديم وقول الاكثر
على الله شيء اصلا ان يعدم ما انشأ ويحدث ما يريد اما القول الاول فعلى هذا
على وجوب المعاد من وجوه الحجة الاولى انه تعالى خلق الخلق واعطاهم
عقولهم بها يميزون بين الحسن والقبيح واعطاهم قدرا بهم بها يقدرون على الخير والشر
اذا ثبت هذا نقول قد اوجب في الحكمة الله تعالى وعدله ان يمنع الخلق عن شتم الله
وذكر السوء وان يمنعهم من الجهل والكذب بعاد الدنيا بالله واوليائه والصالحين

طلقه ومن الواجب في حكمته ان يرغبهم في اطاعاته والخيرات والحسنات فانه لو منع عن
ذلك العاصي ولم يرغب في هذه الخيرات لم يمدح ذلك في كونه محسنا عادلا لاطائعا العباده ومن
المعلوم ان الترغيب في هذه الطاعات لا يحصل الا بربط الثواب بفعلها والزجر عن المعاصي
لا يمكن الا بربط العقاب بفعلها وذلك الثواب المرغب فيه والعقاب المهدد به غير حاصل
في دار الدنيا فلا بد من دار اخرى يحصل فيها هذا الثواب وهذا العقاب وهو المطلوب وهو
المطلوب والا لم يكن قوله تعالى كذا باطلا وهذا هو المراد من الآية التي نحن في تفسيرها
وهي قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط فان قيل لم لا يجوز ان
يقال انه يكفي في الترغيب في فعل الخيرات وفي الردع عن المنكرات ما اودع الله
في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات ولا حاجة مع هذا الى الوعد والوعيد
سلمنا انه لا بد من الوعد والوعيد فلم لا يجوز ان يقال الغرض منه مجرد الترغيب
والترهيب ليحصل به نظام العالم كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب
فاما ان يفعل تعالى جزاء الدلالة عليه فهو قوله لم يفعل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد
لصار كذابا كما يقوله المتسمون بعمومات القرآن لقيام الدلالة على
وجوب دلالة المخصص فان كان هذا كذبا سلمنا انه لا بد وان يفعل الله ذلك لكن
لم لا يجوز ان يقال انه لا يوصل الثواب والعقاب بما يوصل الى الانسان من انواع الراحات
واللذات ومن انواع الآلام والاسقام واقسام الغموم والهموم والاحزان
عن السؤال الاول لسان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر اذا الحمول
والنفس يدعوانه الى الاقدام على الشهوات للحتمانه واذا حصل هذا التعارض فلا
بد من مرجح قوي وهو عند كامل وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب
على الفعل والترك والجواب عن السؤال الثاني انه اذا جاز الانسان حصول العذاب
على الله تعالى بحيث لا يحصل من الوعد رعبه ولا من الوعيد رهبه لان المانع مجوز
كونه كذبا والجواب عن السؤال الثالث ان العبد مادام سعي حيا في الدنيا
فهو كالاجير المشتغل بالعمل والاجير حال اشتغاله بالعمل لا يجوز رفع
الاجرة اليه بكمالها فانه اذا اخذها فانه لا يجتهد في العمل اشد واكمل
والبصائر في هذه الدنيا ان زهد الناس واعلمهم مشتركون في انواع العموم والهموم والاحزان

واجعل همهم واشغلهم في اعظم اللذات والمسرات ودار الجزاء يمنع ان يكون هي هذه الدار بل هي دار اخرى ومن جهاته اخرى تحصل فيها الجزاء الحسن والمانع من صريح العقل في حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء وان يجعل من عصاه ومحاه بمنزلة من اطاعه ولما وجب اظهار هذه التفرقة فحصول هذه التفرقة اما ان يكون في دار الدنيا او في دار الاخرة والاول باطل لانا نرى الكافر والفاسق في اعظم اللذات والراحات ونرى العلماء الزهاد بالضد من ذلك وهذا المعنى قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون فثبت انه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى وهو المراد من الاية التي نحن فيها وفي نظيرها ومعنى قوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى اي اظهر ما قوله تعالى في سورة طه ان الساعة اتية اكاد اخفيها لنجزي كل نفس بما تسعى وقوله تعالى في سورة ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار فان قيل ما الحكمة ان تعالى لا يفصل بين المحسن والمسيء في الثواب والعقاب كما يفصل بينهما في حسن الصوت وفي كمال المال والجواب ان هذا الذي ذكرتموه مما يقوي دلالتنا فانه يدل على صريح العقل وجوب التفرقة ودل الحس على انه لم تحصل هذه التفرقة في الدنيا فكان الحس على الصدمة فانا نرى العالم الزاهد في اشد البلاء ونرى الفاسق الكافر في اعظم النعم فعلمنا انه لا بد من دار اخرى تظهر هذه التفاوت وايضا لو سعد الله تعالى بعلمه ان هذا العالم الزاهد لو اعطاه ما دفع الى الكافر الفاسق لطغى وبغا واثر الحياة الدنيا وان كان الكافر الفاسق لو زاد عليه في التفسق لزاد في الشر والبلاء الاسارع بقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض الحجة الثالثة انه تعالى حلف على عدم العود به تعالى وما حلف الحر والا لم يعد واما يحلم اذا امن عدم الشيء فلا بد من ان يحصله فارغ البال مستطيع الاحوال حتى يمكنه الاستعلاء باداء تلك الايمان والمانع حملوا على طلب اللذات تحصل الراحات لا تسهيم فلم يكن لهم زاجر من خوف المعاد لوقوع الفرح والمرح وعظمت الغفلة فحصل الاشتغال

المكلف الاشعار باداء العبد ان موجب الفعل يحصل دار الثواب والعقاب
لتستقيم احوال العالم حتى يعد المكلف على الاشعار باداء العبودية فان قيل
لم لا يجوز ان يقال انه يخفى في بعض نظام العالم مهما يملوك مصلحا لهم والصلاح قد يكون
يعلمون انهم لو علموا حسن الفرج والمرح لاعتلوا الامر عليهم ولتعذر عليهم صريح من
سلم واحد امرهم فلهذا المعنى يخترون عن ابان الغيب والحوادث ان يجود
مهابة السلطان لا يخفى في ذلك ودلك لان السلطان اما ان يكون قد بلغ في العدل
الى حيث لا يخاف من العبد واما ان يكون ظالما فان كان لا يخاف العبد مع انه لا جود له
من العقل يحمله بعدم على الظلم وابدا على اقبح الوجوه فان الداعية العاقلة قاضية
ولا وازع له في الدنيا ولا في الاخرى واما ان كان يخاف العبد لعلمه ان العبد لا يخاف منه
جوادا شديدا ولا يصعد للدعاء عليهم عن الصالح والظلم فلتان نظام العالم لا يتم
ولا يبقى كما اخبارنا عنه في المعاد فاذا لم يصد عنه الخوف فالبعد ان السلطان الجائر
اذا كان له جمع من العبد وكان بعضهم اقوياء وبعضهم ضعفاء وحمل كل السلطان
ان كان رحيما اطلع ضعفاء عليهم ان ينتصف المظلوم الضعيف من الظالم القوي فان لم يفعل
ذلك كان راضيا بالظلم وراضيا بالظلم لا يليق بالرحيم الناظر المحسن اذا تقرر هذا فنقول
ان سبحانه سلطان قاهر قادر حكيم منزه عن الظلم والعبث فوجب ان ينتصف لعبيده
المظلومين من عبيده الظالمين ولم ينتصف وهذا الانتصاف لم يحصل في هذه الدار فثبت
المظلوم قد سعى في نيابة الدنيا والمهانة والظالم سعى في نيابة العز والغلبة فلا بد من
دار اخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الانصاف وهذا المعنى بما يصلح حملا لقول
لهذه الادلة التي نحن في تفسيرها فان قالوا انه تعالى لما اقدر الظالم على الظلم في هذه
الدار وما اخبر عنه دل على كونه راضيا بذلك الظلم فلم لا يجوز ان يخبر عن الظلم
الاقدار على العدل والطاعة فلو لم تقدر على الظلم لكان قد اخبر على خلاف الخبر فكان كذبا
ودلك لا يليق بالحكيم فوجب في العقل اقتدار على الظلم والعدل لم انه تعالى اخبر عن المظلوم
ان الظالم الحسد الخامس انه تعالى خلق هذا العالم وخلق كل من فيه من الناس فاما
ان يقال انه تعالى خلقهم لا لمنفعة ولا لمصلحة او يقال انه تعالى خلقهم لمصلحة ومنفعة
والاول لا يليق بالرحيم الكريم والثاني انه خلقهم لمنفعة ومصلحة وجب ان ذلك الجنس

والمصلحة اما ان تحصل في هذه الدنيا او في دار اخرى والاول باطل بوجهين الاول ان
لذات هذا العالم جسمانية والالذات الجسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم وازالة الالم
امر عدمي وهذا العدم كان حاصلا حال كون كل واحد من الخلائق معدوما وحصول
امر عدمي وهذا العدم كان حاصلا حال كون كل واحد من الخلائق معدوما وحصول
لا سبق للعدم فالذي الباقي ان لذات هذا العالم ممزوجة بالآلام والمحن بل الدنيا طافحة
بالشرور والآفات والمحن والبليات واللذات فيها كالقطن في البحر فعلمنا ان الدار
التي يحصل فيها الخلق كل الراحات المقصودة دار اخرى سوى دار الدنيا فان قالوا اليس
الله تعالى يعلم اهل النار اشد العذاب لا لاجل مصلحة ودعه فلم لا يجوز انه تعالى
خلق الخلق في هذا العالم لا لمصلحة ولا لحكمة قلنا الفرق ان خلق الضرر مستحق
على اعلم الحقيقة واما الضرر الحاصل في الدنيا فغير مستحق بوجهين ان بعثه صوابا
وطيبه وسابقة باتت لذلك الضرر السابقة والثاني ان يكون الفاعل مشيرا مودبا
وذلك ما في تكوينه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين الحجة السادسة لو لم يحصل الانسان
معدوما لكان الانسان اخس من جميع الحيوانات في المعرفة والشرف واللازم باطل فالملزوم
مثله بيان الملازمة ان مضار الانسان في الدنيا اكثر من مضار جميع الحيوانات فان
سائر الحيوانات قل وقوعها في الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس
لانه ليس لها فكر وتأمل واما الانسان فبسبب ما حصل له من العقل يصير كثير الفكر في الاحوال
الماضية والاحوال المستقبلة فيحصل له بسبب اكثر الاحوال الماضية انواع من الحزن
والاسف ويحصل له بسبب اكثر الاحوال الآتية انواع من الخوف لانه لا بد وان له تلف
بعض الاحوال فثبت ان حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة في الدنيا والآلام
العظيمة الشديدة المفرطة واما اللذات الجسمانية فهي مشتركة بين الناس وبين سائر
الحيوانات لان السرقين في مذاق الجعل طيب كما ان اللوز في مذاق الانسان طيب
اذا ثبت هذا فنقول لو لم يحصل للانسان به تحمل الحالة ورطة يعلم انه لو جاز ان يكون
كمال العقل سببا لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يحسن ومصلوم
ان كل ما كان كذلك فحصوله سبب لمزيد الخسة والدناءة والشقاوة والبعد الكامل عن المنعم
متى انه لولا حصول السعادة الاخروية لكان الانسان اخس الحيوانات حتى الخنافس
والديدان ولما كان ذلك باطلا قطعنا بانه لا بد من الدار الاخرى وان الانسان
خلق للاخرى لا للدنيا والله اعلم بحقائق الامور

كان العقل شريفا الحجة السابعة انه تعالى قادر على ابقاء البعرة على حسنها وجمالها
احدهما ان يكون النعم مشوبة بالالام والاخر ان يكون خالصة عنها فلما انعم الله علينا
في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار الاخرة لاظهار الكمال
والرحمة ولان حكمته تعالى تقتضي في المطيعين ان يعفوا عن المذنبين وان ينزل الغموم والهموم
والاحزان والشهوات والاذى منزلة الالام التي تعقب اللذات وان يجعل الانسان حيوانا
حيا في طرفة عين في اضيق المواضع واشدها عقوبة وفسادا ثم اخرجه من بطن
امه كانت حالته الثانية اطيب واشرف من الحالة الاولى فهذا يدل على انه تعالى يجعل الميت
في القبر ويشد شدا وشعثا ثم بعد حين يخرجه من القبر شد مدا وشعثا ما ثم بعد حين يخرج
من القبر ويعيده اعيادا سالما ونقله من هذه الدار الى هذه الدار لاطلعه الغرض وهذه
الحالة الثالثة لاشك انها اطيب من الحالة الثانية ثم انه بعد حين يفنيكم على الكل
وعالما مترقبا على حقائق الاشياء ولاشك ان هذه الحالة الرابعة اطيب واشرف من الحالة
الثالثة واذا ثبت هذا وجب عليكم هذا الاستقراء ان يقال الحالة الحاصلة بعد الموت
يجب ان تكون اشرف واعلى واكمل من اللذات الجسمانية والخيرات الجسمانية الحجة الثامنة
طريقة الاحتياط فانا اذا اسنا المعاد وما هناك فان كان هذا المذهب حقا فقد
نجونا وهلك المنكرون وان كان باطلا لم نضر هذا الاعتقاد عاجلا ما في الناس ان يقال
ان نفوسنا اللذات الجسمانية الا انا نقول يجب على العاقل ان لا يسلك الا طريقا يؤمن احد امرين
اما في غاية الجسامة لانها مشتركة بين الحاضر والغائب والدنيا والاخرة والعالي
منقطعة سريعة الزوال فكان الاحتياط في الاعراض عنها

قال الشاعر

قال المنجم والطبيب كلاهما لا بعشر الاموات قلت لكما
ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما

الحجة التاسعة اعلم ان الحيوان ما دام يكون حيوانا فانه اذا قطع منه
شيء مثل ملفوا وظفر او شعر فانه يعود اليه وان جرح اندمل ويكون الدم جاريا
في عروقه واعصابه حيوانا الماء في عروق الشجر واغصانه ثم انه اذا مات اعلب هذه
الاحوال فان قطع منه شيء من شعر او ظفر لم ينبت ويجرح لم يندمل ولم يلتحم وذاب

الدم محمد في عروقه ثم الاخوة تؤول حاله الى الفساد والانحلال ثم ابا ما نظر ابا الى الارض
وجدنا هاشبيهة بهذه الصفة فانا راها في زمان الربيع تنور عيونها وتربو املاؤها وتحدر
الماء الى اعضان الاشجار وعروقها فالماء في الارض بمنزلة الدم الحار في البدن والحيوان
ثم تخرج ازهارها وانوارها وثمارها فاذا تعالى ارسل عليها الماء اهتزت وربت
وانبتت من كل زوج بهيج فانظر من اين اطعت ومن اين منحت انها اخذ مثله فان قطع
عنها من اعضان تحرم اطعت فان خرج الدم وهذه الاحوال شبيهة بالاحوال التي
ذكرناها للحيوان ثم اذا ابا الشتا واشتد البرد غابت وجفت رطوبتها وفسدت
بقولها ولو قطعنا عضوا من نحو ما اطعت وهكذا هذه الاحوال شبيهة بالموت
بعد الحياة ثم انا نرى الارض في الربيع الذي يعود الى ذلك الحياة فاذا تعقلنا هذه
المعاني في احد الصورتين فلم لا نعقل مثله في الصورة الثانية ليقول لنا السائل الانسان
اشرف من سائر الحيوانات والحيوان اشرف من النبات وهو اشرف من الجماد فاذا حصلت
هذه الاحوال في الارض فلم لا يجوز حصولها في الانسان فان قالوا لم كان الحساد
الحيوانات مفرق وتمزق بالموت واما الارض فليست كذلك والحيوان
ان الانسان عبارة عن النفس الناطقة وهي جوهر باق وان لم تعمل بهذا المذهب فنعلم
عن آخرا اصليه باقية من اول وقت وجود الجنين الى آخر العمر وهي سارية في البدن
وذلك لا جل ما قد مناه فزال هذا السؤال الحادي عشر لا شك ان بدن الحيوان
انما تولد من الحيوان المطعم وهذه المطعمة انما اجتمعت من جميع البدن بدليل ان عند العضال
النطفة تحصل الضعف والفتور في جميع البدن فعرفنا بهذا ان النطفة انما تولدت
من الاعذية التي كولد وتلك الاعذية انما تولدت من الاجزاء العنصرية وتلك الاجزاء متفرقة
في مشارق الارض ومغاربها وانواعها فاذا اجتمعت فتولد منها حيوان او نبات فاعلم ان
فتولد منه دم يوضع ذلك الدم على اعضائه فتولد منه دم موضع ذلك الدم على اعضائه
فتولد منها اجزاء المطعمة ثم عند استيلاء الشهوة سال من تلك الرطوبات مقدار معلوم
وهو النطفة فانفصل من الرحم فتولد منه هذا الانسان فثبت ان هذه الاجزاء التي منها
تولد بدن الانسان كانت مفرقة في البحار والجبال واوجز الكلام انها اجتمعت بالطريق
المذكور وتولد منها هذا البدن فاذا مات تفرقت تلك الاجزاء على مثال التفرق الاول

اخالت هذا القول وحيا انقطع ابيها ابده لا تسمع ان يجمع مرة اخرى على سبيل الاجتماع
الاول والبصاف ذلك المعنى لما وقع في رحم الام وقد كان قطرة صغيرة فتولد منه بدن
الانسان وتعلقت الروح بذلك البدن في غاية الصغر فهذا يدل على ان البدن
لا سبيل البته الى وقاية الرطوبة ولا شك انه يحلل منه اجزاء كثيرة بسبب عمل الحرارة
الغريزية فيها والضاف ذلك الاجزاء البدنية لا بد وان تبقى في طول العمر بكون في التحلل
ولو لا ذلك لما حصل الجوع ولما حصلت الحاجة الى الغذاء مع انا نقطع بان هذا الانسان
الشيخ هو ذلك الانسان الذي كان في بطن امه بل هو هو فثبت ان هذا الانسان
ان لا يجزأ البتة دائما فثبت ان الانسان هو هو بعينه موجب القطع بان الانسان
اما ان يكون جوهرا مفارقا مجردا او كان جسما نورانيا لطيفا باقيا مع كل هذا البدن
واذا كان الامر كذلك فعلى التقديرين لا يمكن عوده الى الحشر من جديد ويكون هذا
الانسان الحاصل بعد الانسان الاول مستانف القول بالمعاد حق الحق [illegible] الحاد عنه
ما ذكره الله تعالى في قوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
واعلم ان قوله سبحانه خلقناه من نطفة اشارة الى ما ذكرناه في الحجة العاشرة
من ان تلك الاجزاء كانت مفرقة في مشارق الارض ومغاربها فجمعها الله وخلق من
تركيبها هذا الحيوان العاقل الذي يقوله قوله سبحانه وتعالى خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فان تغير هذه الاسماء انما يقع بالوجه
الذي ذكرناه وهو ان السلالة من الطين يكون منها نبات ثم ان ذلك النبات يأكله
الانسان فيتولد منه الدم ثم الدم يتقلب نطفة ثم بهذا الطريق يظهر ان هذا الانسان
ثم انه سبحانه بعد ان ذكر هذا المعنى جلى كلام المذكور وهو قوله قال من يحيي
العظام وهي رميم ثم انه تعالى بين امكان هذا المدعى فعلم ان امكان الشيء
لا يعقل الا بطريقين احدهما ان يقال ان مثله ممكن فوجب ان يكون
هذا الشيء ممكنا واما انه تعالى ان ما هو اعظم منه واعلا حالا منه بمراتب فهو ايضا
ممكن ثم انه تعالى ذكر الطريق الاول ولا شك ان الحي الذي انشأها اول من قدر
منه وصفه وهو ان قوله يحيي انشأها الى يحيا العدم وقوله وهو بكل خلق عليم
انشأها الى كمال العلم وذكر الحشر والنشر لا يمكن ورد الاعتراض عليه بهذا الاصل

لانهم يأبون يقولون انه تعالى موجب بالذات والموجب بالذات لا يصح منه القصد الى التكرير
وتارة يقولون انه ممتنع كونه عالما بالجزئيات وممتنع منه ممتنع احوالا بدن زيد عن احوال بدن
عمرو ولما كانت شبه الفلاسفة مستخرجة من هذين الاصلين لا جرم كلما ذكر الله مسئلة
المعاد اردفها بتقرير هذين الاصلين فبين انه تعالى ذكر بعد الطريق الباقي وهو الاستدلال
بالاعلى على الادنى وتقرير من وجهين الاول ان الحياة لا تحصل الا بامتزاج واعتدال
والتراب بارد يابس فحصلت المضادة بينهما الا انا نقول الحرارة النارية اقوى من صفة
الحرارة من الحرارة العزيزية فلما لم يمتنع حصول الحرارة العزيزية مع جرم التراب الشديد
مانعيتها من المصاكة وكيف يمتنع حصول الحرارة العزيزية مع التراب الشديد
قوله او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم يعني لما سلمتم انه تعالى
هو الخالق لاجرام الاعلال والكواكب فكيف يمتنعكم الاعتراف من كونه قادرا على الحشر
ثم انه تعالى جسم بقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون والمراد ان خلقه وتكوينه لا يتوقف على حصول الآلات والادوات
وتقطعه الاب وزحم الام والدليل عليه انه خلق الابوين اولا ثم الاب يباشر قلبه
فدل ذلك على كونه سبحانه غنيا في الخلق والايجاد والتكوين عن الوسائط والآلات
ثم قال سبحانه فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون اي سبحانه
من ان لا يعجزه شئ ويسهل امر المطلوب منه ولا يستصعب المعاجز من الظالم وهو
المعنى المذكور في هذه الآية التي نحن في تفسيرها وهي قوله سبحانه لمحمد
الذي امنوا وعملوا الصالحات بالقسط الحمد لله الذي عشر ذلك الدليل
على ان العالم محدث فلا بد له من محدث قادر وبيان ان يكون عالما بالجزئيات
المتغيرة لا يصدر الا عن العالم وبيان ان يكون عالما بها والا لكان خلقها في
الازل وهو محال فثبت ان لهذا العالم الها قادرا عالما بما سيأتي فلما اهل
يجوز في حق هذا الحكيم العليم عن الكل ان يهمل عبيده ويتركهم سدى ويحول لهم
ان يعذبوا عليه ويجعلهم ان يشتموه ويجحدوا ربوبيته ويبالغوا العبيد ويعبدوا
الخشب والطاغوت ويجعلوا له اندادا ويشركون امره ونهيه وبرعك ووعيدك
فهذا حكم بداية العقول ان هذه المعاني لا تلتبس الا بشبهة الجاهل البعيد عن

الحكمة الفرق بين البعث فحكمنا لاجل هذه المقدمة ان له امرا ونهيا ثم ناملنا فقلنا هل
هل يجوز ان يكون له امر ونهي مع انه لا يكون له وعد ووعيد فحكم صريح العقل بان ذلك
ممتنع بالبداهة ان لم نقل الامر بالثواب ولم يقترن النهي بالوعيد بالعقاب لم نعلم الامر
والنهي فلم يحصل المقصود فقلنا له لا بد من وعد ووعيد بعد ما ملنا فعلنا هل يجوز ان يكون
له وعد ووعيد لا يفي بوعد لاهل الثواب ولا بوعيد لاهل العقاب فعلنا
ان ذلك لا يجوز لان ذلك يوجب ان كل ما حصل او توقع وعد ولا وعيد وهذا
يوجب ان لا يثق احد في الوعد والوعيد فعلمنا انه لا بد من تحقق الثواب والعقاب
ومعلوم ان ذلك لا يتم الا بالحشر والنشر وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب
فهذه مقدمات يتعلق بعضها بالبعض كالسلسلة متى حصل بعضها يتوصل بها
ومتى فسد بعضها فسدها فدل ابصارنا لهذه الصنعة على حدوث العالم
على وجود الصانع الحكيم العليم وذلك يدل على وجود الامر والنهي وذلك
على وجود الثواب والعقاب وذلك يدل على وجوب الحشر فان لم تثبت الحشر الذي دلت
يبطل جميع المقدمات المذكورة وان انكارنا العلوم النظرية القطعية فتشاركه
هذه الاحساسات المالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة المتمزقة من البعض بعد الموت
لتصل الحق الى مستحقه والمستحق بعقابه فان لم يحصل هذا كله لم يحصل الوعد والوعيد
وان لم يحصل لم يحصل الامر والنهي وان لم يحصل لم يحصل الالهية وان لم يحصل الالهية
لم يحصل هذه المتغيرات في العالم وهذا يحكم بان المراد من الآية التي نحن في تفسيرها
وهي قوله تعالى ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى هذا كله تقرير لمسائل المعاد
ثم اقول ان هذا العالم الهادي صانا لطرا لحسنا الى العباد واما الغربيون الماديون وهم الذين لا
يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح وطن يقولهم الى اثبات المعاد كان قالوا المعاد
امر جايز الوجود والا لكنا نشاهدهم السلام احسن واعدل فوجب القطع بصحته اما بيان الاول
فهو مبني على مقدمات بلاثنا وها التي عن حال العالم فنقول الانسان اما عالم او
النفس اعني البدن فان كان عالما عن النفس وهو القول الحق فنقول لما كان يعلم
النفس بالبدن في الدار الاولى جاز ان كان يعلمها بالبدن في الدار الاخرى وجاز ان يكون
جاهلا وهذا كلام لا يحصل منه سوى ان النفس عالمة عن حدوث بدن واحد فلنا ان جسم الملفت

مشاكلة لهذا البدن باقية في جميع احوال البدن مصونة عن التحلل والتبدل واما ان كان
الانسان عبارة عن هذا البدن وهذا القول بعد الاقاويل ممنوع ان الفعل الاخر
على الوجه المخصوص في الزمان الاول ممكنا فوجب ايضا ان يكون في الزمان الثاني ممكنا
لان قوى الحياة لهذا البدن اعني كما هو ممكن في نفسه واما المقدمة الثانية
وهي ان الاله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا جرم اعني هذا البدن بعينه واجزاءه
باجزاء التراب والبخار لانه لما كان عالما بالجزئيات امكنه تمييز بعضها عن
البعض ومتى بطلت هذه المقدمات لزم القطع بان الحشر والنشر امر ممكن
في نفسه واذا ثبت هذا الامكان بقي الدليل على صدقه لانه ما قام الدليل
على هذا الامكن فوجب القطع بوقوعه والا لزم اما تعطيل الله او تكذيبهم ودليل باطل بالدليل الدال
على صدقهم فهذا سلاسة ما وصل اليه عقولنا في تقرير امر المعاد المسئلة الثالثة
في الجواب عن شبهات المنكرين للحشر والنشر الشبهة الاولى قالوا لو اعدت
هذه الدار بدار اخرى لكانت تلك الدار اما ان تكون مثل هذه الدار او شرا منها
او خيرا منها فان كان الحال كان التبديل عبثا وان كان شرا منها كان
هذا التبديل سفها وان كان خيرا منها فنقول اول الامر هل كان قادرا على جعل
ذلك الخير دارا وما كان قادرا عليه فان قدر عليه ثم تركه وفعل الادنى كان
ذلك سفها وان قيل انه ما كان قادرا عليه ثم صار قادرا عليه فهذا يقتضي
العجز اولا ثم القدرة او من الجهل الى العلم وكل ذلك في حق الله تعالى محال والجواب
لم لا يجوز ان يقال يقدم هذه الدار على تلك الدار هو المصلحة لان الحالة الثانية
الموجبة للسعادة الاخروية لا يمكن تحصيلها الا في هذه الدار ثم ان عند حصول
هذه الكمالات تكاملت السعادة في هذه الدار سببا للعصمة والحرمان عن الخيرات ثم
الشبهة الثانية قالوا الاجزاء كانت اولا اجزاء لهذا البدن والمستدير لا صله وما لا
صلة له لا يعود الغائب والجواب انا ابطلنا هذه الشبهة في الكتب العلمية
ولاحالة الى الاعادة والاصل في ابطالها ما ان هذه الشبهات ان بعدم الدلالة
على انها ليست شبهات لان احزاء هذه الاجزاء محلوقة ومتى بقيت محلوقة كانت
قابلة للعدم والفوق والتمزق وهذا السر انه تعالى في هذه السنين مدايا الدليل
الدال على حدوث الاجزاء ثم اردفها بما يدل على صحة القول بالمعاد الشبهة الثالثة
الانسان

ان الانسان عبارة عن هذا البدن وهو لیس عبارة عن هذه الاجزاء الموجودة قبل
حدوث هذا الانسان فما کان موجودا او ایضا اذا احرق هذا الجسد فانه تبقی تلک الاجزاء
اللطیفة البسیطة ومعلوم ان مجموع تلک الاجزاء البسیطة من الارض والماء والهوا
والنار ما کان عبارة عن هذا الانسان المعاقل الباطن فثبت ان تلک الاجزاء البلون
هذا الانسان نشرا وهو باطل بالبدیهة محسوس ومزاج مخصوص وصور مخصوصة
فاذا مات وتفرق اجزاؤه فقد عدمت تلک الصور والاعراض وعود المعدوم محال
وعلی هذا التقدیر فانه یمتنع عود بعض تلک الاجزاء المعینة فی حصول هذا الانسان موجبا
یمتنع عوده لعینه من اجزاء والحواس لانسلم ان هذا الانسان عبارة عن هذا
الجسد المشاهد بل هو عبارة عن النفس سوی فسرنا النفس بانه جوهر مجرد
او جسم مخصوص لطیف مشابل لهذا الجسد مخصوص عن البعد المشهد
الرابعة اذا فعل انسان واعدی به انسان اخر مثلا بان تعالی الله اجزاء بدن
کل واحد من الفریقین محال والحواس عن هذه الشبهة انها مبنیة
علی ان الانسان المعبر عبارة عن مجموع هذا البدن وقد بینا ان هذا باطل بل الحق ان عبارة
عن النفس سوی وانا النفس جوهر مجرد لواحسام لطیفة بانها مشابکة للجسد
وهی التی یسمیها المتکلمون بالاجزاء الاصلیة وهذا اخر البحث العقلی فی
مسئلة المعاد المسئلة الرابعة قوله تعالی الله یرجعکم ثم الیه ترجعون
احتج المحقق الاول ان علة الی لابتها الغایة وظاهر ان لعضی ان یکون
الله سبحانه مختصا بجهة وحیز حتی یصح ان تعالی الیه مرجع الخلق والحواس
بنوع من الاول انا اذا فعلنا النفس جوهرا مجردا فالسوال بالحال باقی ان یکون
المراد الیه من جهتهم الحشر الحاکم سواه الثانی ان یکون المراد ان مرجعهم
الحشر الوعد به ما یجازاه البحث الثانی ظاهر الایات الحسیة تدل
علی ان الانسان عبارة عن النفس لا عن البدن وتدل ایضا علی ان النفس کانت موجودة
قبل البدن ایضا ان الانسان شیء غیر هذا البدن فلقوله تعالی ولا تحسبن الذین
قتلوا فی سبیل الله امواتا بل احیاء فالعلم الضروری حاصل بان هذا المقتول میت
والنص دل علی انه حی موجود ان یکون جمیعه شامعا بل هذا البدن المیت وایضا
قال تعالی فی صفة نزع روح الکفار اخرجوا انفسکم واما ان النفس کانت موجودة قبل

البدن ولان قوله تعالى في هذه الآية اليه مرجعكم يدل على ما قلناه لان الرجوع الى المرجع
انما يحصل لو كان ذلك الشيء قد كان هناك قبل ذلك ونظير قوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون
ارجعي الى ربك وقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق المسألة الثالثة المرجع معنى
الرجوع وجميعا نصب على الحال اي ذلك الرجوع يحصل حال الاجتماع وهذا يدل على انه
ليس المراد من هذا المرجع الموت وانما المراد منه القيامة المسألة الرابعة قوله
تعالى اليه مرجعكم بعيد لكم وانه لا رجوع الا الى الله تعالى ولا حكم الا حكمه ولا
نافذ الا امره فاما قوله وعد الله حقا فهذه مسألة المسألة الاولى قوله
منصوب على معنى وعدكم الله وعدا لان قوله اليه مرجعكم معناه انه يعدكم بالرجوع
فعلى هذا التقدير يكون قوله وعد الله مصدرا مؤكدا لقوله وعد الله ومعنى الكلمات
قد اجتمعت وهذا اعظم المسألة الثانية قوى وعد الله على اعطاء الفعل واعلم انه
تعالى لما اخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر بعده ما يدل على كونه في نفسه ممكن الوجود
ثم ذكر بعده ما يدل على وقوعه اما ما يدل على امكانه في نفسه فهو قوله تعالى ابتداء
الخلق ثم يعيده وفيه مسائل المسألة الاولى تقرير هذا الدليل انه تعالى بين بالدليل
كونه خالقا للافلاك والارض وبدخل فيه ايضا كونه خالقا لكل ما في هذا العالم
من الجمادات والمعادن والنبات والحيوان والانسان وقد ثبت في العقل ان كل من كان
قادرا على شيء وكانت قدرته باقية ممتنعة الزوال وكان عالما بجميع المعلومات فانه
يمكنه اعادته بعينها فهذا الدليل على ان الله قادر على اعادة الانسان بعد موته
المسألة الثانية اتفق المسلمون على ان الله قادر على اعدام اجسام العالم واختلفوا
في انه هل يعدمها ام لا فقال قوم انه يعدمها واحتجوا بهذه الآية وبالدليل العقلي
حكم على جميع الممكنات بانه يجب ان يعدمها فوجب ان يعدم الاجسام ايضا واعادتها لا
يمكن الا بعد اعدامها والا لزم اعادة الموجود وهو محال ونظم قوله تعالى
يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب بدأنا اول خلق نعيده بحكم ان الاعادة
تكون مثل الابتداء هو بيان الدليل انه تعالى يخلقها في الابتداء من العدم فوجب
ان يقال انه تعالى يعدمها ايضا من العدم المسألة الثالثة في هذه الآية اضمار
كانه قيل انه بدأ الخلق ثم يميتهم ثم يعيدهم كما قال في سورة

البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون
الامر بالعبادة ههنا لاجل انه تعالى قال قبل هذه الآية اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
هو قادر على ذلك وحذف ذكرا لاستانه لان ذكر الاعادة يدل على المسئلة الرابعة
قرا بعضهم انه سدا الخلق الكرخي وبعضهم بالعين قال الزجاج من كسر الخاء من انه فعل
الاستيناف وفي الصحيح وجهان الاول ان يكون التقدير انه هو جعلكم جميعا انه
سدا الخلق ثم يعيدكم والثاني ان يكون التقدير وعد الله وعد انداده اخلق ثم اعادة ثم
وقرئ بدا من ابدا وقرئ حتى انه سدا الخلق كقولك حتى ان زيدا منطلق وذا الاية
سوالان السوال الاول اما قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط فاعلم ان المقصود منه اقامة الدليل على انه لابد من حصول الحشر والنشر حتى يحصل
الفرق بين المحسن والمسي وحتى يصل الثواب الى المطيع والعقاب الى العاصي وقد
سبق الاستقصاء في تقرير هذا الدليل وفي مسائل المسئلة الاولى قال الكعبي
اللام في قوله ليجزي الذين امنوا تدل على انه تعالى خلق العبد للثواب فان رجحه وايضا
فانه ادخل لام الثواب وانا العقاب فما ادخل فيه لام التعليل فعال والذي يدل على ان
لهم شرابا من حميم وذلك يدل على انه خلق الرحمة للعذاب وقد يدل على انه تعالى
ما اراد منهم الكفر وما خلق فيهم الكفر والجواب ان لام التعليل في
افعال الله تعالى محال لانه تعالى لو فعل فعلا لعلة لكانت تلك العلة اما كانت قديمة
لزم قدم الفعل وان كانت حادثة لزم التسلسل وهو محال المسئلة الثانية
قال الكعبي ايضا هذه الاية تدل على ان الله تعالى انما خلقهم ليثيبهم والجنة
لانه لو حسن ايصال ذلك النعم اليهم من غير واسطة خلقهم في هذا العالم ومن غير واسطة
تكليفهم لما كان خلقهم وتكليفهم معللا بايصال ذلك النعم اليهم وظاهر الاية يدل
على ذلك والجواب هذا انما يصح لو علمنا ابدا الحق واعلمنا ان هذا المعنى وذلك الممنوع فلم يكن
الا ان كلامه انما يصح لو علمنا ابدا الحق واعلمنا انه هذا المعنى وذلك الممنوع فلم يكن
ان تعالى انه سدا الخلق لمحض التفضل حتى انه تعالى يعذبهم لغرض ايصال النعم اليهم وهل
هذا التقدير يسقط كلامه اما قوله تعالى بالقسط فعنه وجهان الاول
بالقسط بالعدل وهو متعلق بقوله ليجزي والمعنى ليجزيهم بالقسط وعنه سوالات

السؤال الاول ان القسط اذا كان معبرا بالعدل والعدل هو الذي يكون
زايدا ولا ناقصا وذلك يدل على انه تعالى لا يريد منهم على ما يستحقونه باعمالهم ولا يعطيهم
شيئا على سبيل التفضل ابتداء الجواب عند الثواب ايضا منهم التفضل والاحسان
فيقدر ان يساعد على حصول الاستحقاق لهذا لان لفظ القسط يدل على توفية الاجر وافيا
المنع من الزيادة فلفظ القسط لا يدل عليه السؤال الثاني لم خص المؤمنين
بالقسط مع انه تعالى يجازي الكافرين ايضا بالقسط والجواب ان الخصص
المؤمنين بذلك يدل على مزيد العناية في حقهم وعلى كونهم مخصوصين بمزيد هذا الاحتياط
الوجه الثاني في تفسير الآية ان يكون المعنى ليجزي الذين امنوا بقسطهم وعاملوا
وعدلوا ولم يظلموا انفسهم حين امنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال تعالى ان الشرك
لظلم عظيم والعصاة ايضا قد ظلموا انفسهم قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهذا الوجه
اقوى لانه في مقابلة قوله بما كانوا يكفرون واما قوله تعالى لهم شراب من
حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون وفيه مسائل المسئلة الاولى قال الواحدي
الحميم الحار الذي انتهى حره قال تعالى حتى اذا جاءها فتحت ابوابها اي ابواب جهنم فهو حميم ومنه
الحمام المسلة الثانية احتجوا بهذه الآية على انه لا واسطة بين ان يكون
مؤمنا وبين ان يكون كافرا لانه تعالى اقتصر في هذه الآية على ذكر هذين القسمين
واجاب القاضي عنه بان ذكر هذين القسمين لا يدل على نفي القسم الثالث والدليل
عليه قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي
على بطنه ومنهم من يمشي على اربع ولم يدل ذلك على نفي القسم الرابع بل
يقول الرجل مثل ذلك وعامل كل المقصود اولا كذا وثانيا كذا وثالثا كذا فانه لا يدل على نفي
ما عداه اذا ثبت هذا فنقول الله تعالى حال القسم الثالث في سائر الآيات والجواب
بوضع اخر وقد بين الله تعالى حال القسم الثالث في سائر الآيات والجواب
ان نقول انما ترك القسم الذي يجري مجرى الشاذ والمعلوم انه اكثر واصل الداعية
وكيف يجوز ترك ذكر هذا القسم وهذا الباب فانا نقول قوله تعالى والله خلق كل دابة
من ماء فانما ترك ذكر القسم الرابع والخامس لان اقسام ذوات الارض كثيرة فكان
ذكرها باسرها موجبا لاطناب يخل بهذه المسئلة فانه ليس ههنا الا القسم
الثالث وهو الفاسق الذي يدعي الخصم انه لا مؤمن ولا فاسق كافر فظهر الفرق

قوله تعالى

قوله تعالى هو الذي خلق الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الايات لقوم يعلمون في الآية مسائل المسئلة الاولى اعلم انه تعالى لما ذكر الدليل الدال على الالهية ثم فرع عليها صحة القول بصحة الحشر والنشر عاد من اخرى الى ذكر الدلايل الدالة على الالهية واعلم ان الدلائل المتقدمة في اثبات التوحيد والالهية هي التمسك بخلق السموات والارض وهذا النوع الاخير يمكن ان يكون اشارة الى التمسك باحوال الشمس والقمر وفي هذا الدليل اشارة الى ما يؤكد الدليل الدال على صحة الحشر والنشر وذلك لانه تعالى انما قال هذا القول لاجل صحة الحشر والنشر نبه على انه لا بد من ايصال الثواب الى اهل الطاعة وايصال العقاب الى اهل الكفر وانه يجب في الحكيم ان لا يعدم ما منه بد الا لغرض صحيح وهو تعالى انما ذكر هذه الآية لانه لما جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدر منازل ليتوصل المكلف به الى معرفة السنين والحساب ثم كلفه ربط مهمات معاشه من الزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف فعند ذلك يعلم ان هذا يقول بتعذر الحشر والنشر هو المطيع عن العاصي او حصل في الحكمة من يعلم احوال السنين والشهور فلما افضى الحكمة والرحمة خلق الشمس والقمر لهذا المهم الذي لا يتم له بيان يقتضي الحكمة والرحمة عدم الحشر ثم ان الحشر بعد الموت مع انه يقتضي النفع الابدي والسعادة الرهيبة كان دلك اولى فلما كان الاستدلال باحوال الشمس والقمر على الوجه المذكور في هذه الآية مما يدل على التوحيد من وجه على صحة القول بالمعاد من الوجه الذي ذكرناه لا جرم ذكر الله تعالى هذا الدليل عقيب ذكر الدليل على صحة المعاد المسئلة الثانية الاستدلال باحوال الشمس والقمر على وجود الصانع وللعلماء هنا قولان الاحسام متماثلة في حدودها وماهياتها فالدليل على ان الاحسام لا تنفك عما هو مساو لها في الحجمية والشكل والحركة فلو خالف بعضها بعضا لكانت تلك المخالفة في امور وراء الحجمية والشكل والحركة ضرورة ان مابه المخالفة غير مابه المشاركة واذا كان كذلك فنقول ان مابه حصلت المخالفة غير مابه صار الجسم اما ان يكون جسما لها الموصوف بها او لا جسما لها ولا موصوفا بها والكل باطل اما القسم الاول

ملازما قد حصلت الحالة لو كانت صفات قائمة تلك الذوات فكون تلك الذوات في
النفس مع قطع النظر عن تلك الصفات متساوية في تمام الماهية واذا كان الامر كذلك
وكل ما وصح على جسم وجب ان يصح على كل جسم وهو المطلوب واما القسم الثاني
وهو ان يقال الذي خالفه بعض الاجسام بعضها امور موصوفة بالجسمية والتحيز
والمقدار نقول هذا ايضا باطل لان الذي به المخالفة اما ان يكون متحيزا او لا يكون
فعلى هذا التقدير يكون المحل مثلا للحال فلم يكن كون احدهما محلا والاخر حالا
اولى من العكس ويلزم كون كل واحد منهما محلا لذلك الاخر وحالا فيه وذلك محال
واما ان لا يكون المحل عن متحيز ولا جسم نقول مثل هذا الشيء لا يكون له
اختصاص بحيز ولا تعلق بجهة والجسم مختص بالحيز وحاصل في الجهة والشيء الذي
لا يكون واجب الحصول في الحيز والجهة يمتنع ان يكون حالا في الشيء الذي يمتنع حصوله
في الحيز والجهة اما القسم الثالث وهو ان يقال انه حال في جسم جسما لا حال
في الجسم ولا محل له فهذا ايضا باطل لان على هذا التقدير يكون ذلك الشيء شيئا مباينا
عن الجسم لا تعلق له به فحينئذ يكون ذوات الاجسام من حيث انها هي متساوية
في تمام الماهية وذلك هو المطلوب فثبت ان الاجسام كلها متساوية في تمام الماهية
اذا ثبت هذا فنقول الاجسام المتساوية في تمام الماهية تكون متساوية في
جميع لوازم الماهية فكل ما صح على بعضها وجب ان يصح مثله على الباقي فلما صح على
جرم الشمس لصفاته بالضاهر الباهر وجب ان يصح مثله على الجرم القاهر
الباهر على جرم القمر انه ضاء والعكس اذا كان وجب ان يكون اختصاص جرم
الشمس بصفة الظاهر واختصاص القمر بكون الصفة بخصوصيتها بحصل واحد
موجد وتقدير مقدر وذلك هو المطلوب فثبت ان اختصاص الشمس بذلك الضوء جعل
جاعل واذا اختصاص القمر بذلك النوع جعل جاعل فثبت بالدليل القاطع صحة قوله
تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهو المطلوب المسئلة الثالثة
قال ابو علي الفارسي الضياء اعلى من الضوء اما ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط
وحوض وحياض او مصدرا ضاء يضوء ضياء كقولك قام يقوم قياما وصام يصوم
صياما وعلى الوجهين حذفت فالمضاف محذوف والمعنى جعل الشمس ذات ضياء
والقمر

والقمر ذا نور ويجوز ان يكون ذلك لانه جعل الضوء والنور منهما جعلا نفس الضياء
والنور كما قال للرجل الكريم انه كريم وجود المسئلة الرابعة قال الواحدي
روى عن ابن كثير من طريق قنبل ضيا بهمزة واكثر الناس على قلب الياء منه لان ياء
ضيا منقلبة من واو مثل اقام وصيام وهذا وجه للهمز فيهما قال
وعلى البعد يكون ان يقال قدم اللام التي هي الهمزة الى موضع العين واخر العين التي
هي واو الى موضع اللام فلما وقعت طرفا بعد الف زائدة انقلبت همزة كما انقلبت في
سعاوا به المسئلة الخامسة اعلم ان النور اضعف قابلة للاشد والاضعف
فان نور الصباح اضعف من النور الحاصل في اوائل النهار قبل طلوع الشمس وهو
اضعف من النور الحاصل بعد ان عند طلوع الشمس وهو اضعف من الضوء
الساطع من الشمس على الجدار وهو اضعف من الضوء الغامر بحرم الشمس وهل في
الامكان وجود مرتبة في الضوء اقوى من الكيفية الغامية بالشمس هل هو
جسم او عرض والحق انه عرض والحق ايضا عرض وهو كيفية مخصوصة واذا ثبت انه
عرض فهل يحل ذاته في هذا العالم ام في محل اخر الله تعالى اجرى
عادته بخلق هذه الكيفية في الاجرام المقابلة لقرص الشمس على سبيل العادة
فهي مباحث عميقة وانما نبهنا لاستقصائها بعلوم المعقول لان اذا عرف
هذا فنقول النور اسم لاصل هذه الكيفية واما الضوء فهو اسم لهذه الكيفية
اذا كانت كاملة تامة قوية والدليل على ان الله تعالى سمى الكيفية الغامية
بالشمس ضياء والكيفية الغامية بالقمر نورا انا لا نشك ان الكيفية الغامية
بالشمس اقوى واكمل من الكيفية الغامية بالقمر وقال في موضع اخر وجعل
فيها سراجا وقمرا منيرا وقال في اية اخرى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
وفي اية اخرى وجعلنا سراجا وهاجا المسئلة السادسة قوله وقدره منازل
تنظر لقوله تعالى في الشمس والقمر وقدرناه منازل اي جعلنا له منازل كالعروق العديم رضه وجهان
احدهما ان يكون المعنى وقدر مسيره منازل الثاني ان يكون المعنى وقدر ذا
منازل المسئلة السابعة الضمير في قوله وقدره فيه وجهان الاول انه انما وجد
الضمير لان الاجاز والاضمار في معنى البسط اكتفاء بالمعلوم لان عدد السنين انما تعرف
بسير الشمس وتظير قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه الثاني ان يكون

والقمر

الضمير راجعا الى القمر وحده لان اسم القمر يعرف الشهور وذلك لان الشهور
المعتبرة في الشريعة مستندة على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة في الشريعة
مستندة على رؤية الاهلة هي السنة القمرية كما قال تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا في كتاب الله المسئلة الثامنة عشرة اعلم ان صانع الخلق جعل الشمس والقمر
القمر عظيم والشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وحركة الشمس تفصل السنة الى الفصول
الاربعة والفصول الاربعة مصالح العالم وحركة القمر تحصل الشهور واختلاف
حاله في زيادة ضوءه ونقصانه تختلف احوال رطوبات هذا العالم وسبب حركة
الشمس يحصل النهار والليل والنهار يكون زمانا للكسب والليل يكون زمان
الراحة وقد استقصينا في شرح امر الشمس والقمر في الايات الدالة عليهما فيما سلف
وكل الدليل على كثرة رحمة الله تعالى على الخلق وعظم عنايته بهم فانا قد دللنا
على ان الاجسام متساوية ومتى كان كذلك اختصاص كل جسم بشكله المعين
ووضعه المعين وحيزه المعين وصفته المعينة ليس الا بتدبير مدبر حكيم رحيم قادر
قاهر ودليل على ان جميع المنافع الحاصلة وهذا العالم بسبب حركات الافلاك
ومسير الشمس والقمر والكواكب ما حصل الا بتدبير المدبر المقدر الرحيم الحكيم
سبحانه وتعالى لما قررنا هذه الدلائل حسنها بقوله ما خلق الله ذلك الا بالحق ومعناه
انه تعالى خلقه على وفق الحكمة ومطابقة المصلحة ونظير قوله سبحانه في آل عمران
ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وقال في سورة اخرى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
وقد مر المسئلة الاولى قال الغاية في هذه الآية دلالة على بطلان الجبر لانه تعالى
لو كان يريد الكل بالحق ويريد الاضلال من ضل لما صح ان يضاف
نفسه بانه ما خلق ذلك الا بالحق المسئلة الثانية قال اصحابنا الاسلام هذا يدل
على انه سبحانه اودع في اجرام الافلاك والكواكب خواصا معينة وقوى مخصوصة
باعتبارها مصالح هذا العالم السفلي اذ لو لم يكن لها آثار وفوائد في هذا
العالم لكان خلقها عبثا وباطلا وغير مفيد وهذه النصوص صارفة لذلك والله اعلم
ثم انه تعالى لما فصل الايات ومعنى التفصيل هو ذكر هذه الدلائل الباهرة واحدة
عقيب الاخرى فصلا فصلا قال الشرح والبيان وفي قوله نفصل قرأ ابن
كثير

كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم بفصل بالياء والباقون بفصل بالنون ثم قرأ لقوم يعلمون
وفيه قولان احدهما ان المراد منه من يعلم وعلم فوائد يعلمونه فاذا رأوا احسانه
وعجائب الآثار عموم اللفظ وهو الثاني انه لا يمنع ان يحمل الله تعالى
العلماء بهذا الذكر وبهم الدرس ليعرفوا بهذه الدلائل ما في قوله انما انت منذر من يخشاها
مع انه عليه السلام كان منذرا للكل **قوله تعالى** ان في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون اعلم انه تعالى استدل على التوحيد
والالهية اولا بتخليق السموات والارض واتبعها باحوال العرش والبحر والذي في هذه الآية هو السابع
الحاصل من اختلاف الليل والنهار وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة في تفسير قوله ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وذكرنا هناك ما خلق الله في السموات والارض
وهو اقسام الحوادث الحادثة في هذا العالم وهي محصورة في اربعة اقسام احدها
الاحوال الحادثة في العناصر الاربعة وندخل فيها احوال الرعد والبرق والسحاب والامطار
والملوح وندخل فيها ايضا احوال البحار واحوال المد والجزر واحوال الصواعق والزلازل
والخسف وبالجملة احوال المعدن وهي مخصوصة كلها وبالنبات اختلاف احوال النبات
ورابعها اختلاف احوال الحيوانات وجملة هذه الاحوال الاربعة داخلة في قوله تعالى
وما خلق الله في السموات والارض والاستقصاء في شرح هذه الاحوال مما لا يمكن في الف
مجلد بل كل ما دل العقلاء في احوال اقسام هذا العالم فهو حاصر تحت هذا الباب
ثم انه تعالى لما عدد هذه الدلائل لآيات لقوم يتقون خصها بالمتقين لانهم يخدرون
العاقبة وهذا يدعوهم الى الجد والى النظر فالعقلاء الذين يتدبرون في هذه الاحوال يعلمون ان
الدنيا محلوقة لفنائها الناس مسافرون وان حياتها وصالحهم ما اهلهم الى عملها لهم وادعى واذا
كان كذلك فلا بد من امر ونهي وثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذا الاحوال
في الحقيقة دالة على صحة القول باثبات المبدأ واثبات المعاد **قوله تعالى** ان الذين لا
يرجون لقاءنا الى قوله بما كانوا يكسبون اعلم انه تعالى لما اقام الدلائل العاصمة على صحة
القول باثبات الاله القادر العليم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع
تعالى في احوال من ينكرها وفي شرح احوال من يؤمن بها فاما شرح احوال
الكافرين فهو المذكور في هذه الآية واعلم انه تعالى وصفهم بصفات ع

الصفة الاولى قوله الذين لا يرجون لقاءنا وفيه مسائل المسئلة الاولى في تفسير هذا الرجاء ولان الاول وهو قول ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث والمعنى انهم لا يخافون ذلك لانهم لا يؤمنون بها والدليل على تفسير الرجاء ههنا بالخوف قوله اما ترى سحابا من يحتاها ويقول ويرجى من السحاب مشفقون ويفسر الرجاء بالخوف في بيت زهير كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال الهذلي

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وحالفها في بيت نوب عوامل

والقول الثاني في تفسير الرجاء الطمع فقوله لا يرجون لقاءنا اي لا يطمعون في ثوابنا ويكون هذا الرجاء هو الذي ضده اليأس كما قال عديسوا من الاخرة واعلم ان حمل الرجاء على الخوف بعيد لان تفسير الضد بالضد غير جائز ولا مانع هناك من حمل الرجاء على ظاهره البتة والدليل عليه ان لقاء الله تعالى اما ان يكون المراد منه تحلي جلال الله للعبد واشراقه وتجليه في روحه واما ان يكون المراد منه الوصول الى رؤية الله والى رحمته فان كان الاول وهو اعظم الدرجات وشرف السعادات واكمل الخيرات فالعاقل لم يعرض ولم يعف لا محالة وان كان الثاني فكذلك لان كل احد يرجو ان الله تعالى يوصله الى ثوابه ومقاماته رحمته واذا كان كذلك فكل من آمن بالله فهو يرجو ثوابه وكل من لم يؤمن بالله ولا بالمعاد فقد بطل على تقديره هذا الرجاء ولا حرم حسن جعل عدم هذا الرجاء كناية عن عدم الايمان بالله واليوم الآخر المسئلة الثانية اللقاء هو الوصول الى الشيء وهذا في حق الله تعالى محال لان كونه منزها عن الجهة والمكان يوجب ان يجعل مجازا عن الرؤية وهذا مجاز ظاهر فانه يقال للعبد اذا رأيته وحمله على لقاء ثواب الله تعالى يقتضي زيادة في الاضمار وهو خلاف الدليل واعلم انه ثبت بالدلائل القطعية ان سعادات الروح بعد الموت في ان يتجلى فيها معرفة الله تعالى وتكمل اشراقها وتقوى لمعانها وذلك هو الرؤية وهي من اعظم السعادات فمن كان عاريا عن طلبها معرضا عنها بعد الموت يوصل ان اللذات الحسية من الاكل والشرب والوقاع كان من الضالين الثانية الباءة من صفات هؤلاء الكفار قوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واعلم ان الصفة الاولى اشارة الى خلوه عن طلب اللذات الباقية والروحانية وبزلفه عن طلب السعادات الحاصلة بالمعارف الربانية واما هذه الصفة الثانية فهي اشارة الى استغراقه في طلب اللذات الجسمانية واكبابه عليها واستغراقه في طلبها

جملة

طلبها والصفة الثالثة قوله تعالى واطمأنوا بها وقد مثلنا المسألة الأولى
صفة السعداء تحصل لهم عند ذكر الله نوع من الوجل والخوف كما قال الذين إذا ذكر
الله وجلت قلوبهم وإذا قويت هذه الحالة حصلت الطمأنينة وذكر الله كما قال وتطمئن
قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وصفة الأشقياء أن يحصل لهم الطمأنينة
في حب الدنيا والإشتغال بطلبها كما قال في هذه الآية واطمأنوا بها فحقيقة
الطمأنينة أن يزول عن قلوبهم الوجل فإذا استغرقوا الليل والنهار في العلم بحيث لم يوجل قلوبهم وصارت
قلوبهم كالميتة عند ذكر الله تعالى المسألة الثالثة مقتضى اللغة أن يقال
واطمأنوا إليها إلا أن حروف الجر يجوز إقامة بعضها مقام البعض فلهذا السبب قال
واطمأنوا بها المسألة الرابعة قوله والذين هم عن آياتنا غافلون والمراد بهم صاروا
بحيث لو أمروا بأن يطلبوا الله بعقولهم لما قدروا على ذلك لأن الغافل عن الشيء الذي لا يخطر بباله طول عمره لو ذكر له
الشيء وأمر أن يطلبه لما قدر على طلبه فثبت بما ذكرنا أن هذه الصفات الأربعة دالة على بعد أهلها عن طلب الله تعالى
التي وبما تحلى بهذه الصفات الأربعة دالة على بعد أهلها عن طلب الله تعالى لأن السعداء
الموصوفين بالروحانية يتعلقون في طلب الله بالحواس الخمسة الباطنة والسعداء الموصوفين
بالجسمانية يتعلقون في طلب الله بالحواس الخمسة الظاهرة فثبت أن هذه الصفات الأربعة قادحة
في طلب الله تعالى لما وصفهم بهذه الصفات الأربعة قال وكذلك زين للمسرفين
المسألة الخامسة الهوى الميل على مسام النار التي هي جسم محسوس مضيء محرق
صاعد بالطبع والأقرار بهذه الجملة مبني بالدليل المذكور أن الجزء الذي لا يتجزأ من النار
حق والعلم الثاني النار الروحانية العقلية وتعرف من وجوه منها أنها شديدة النور
صلح عنه دليل الشيء بحيث لا يمكنه الوصول إليه فإنه يحرق بلمعه وباطنه وكذلك العاقل يعول
إذا علم أن العلم يحرق العلم من يستدل بآثار المحبوب على المحبوب فالنار أقوى وكتب
من علم النار المحسوسة إذا عرف هذا فنقول النار الروحانية التي كانت مستغرقة في
الجسمانيات وكانت غافلة عن جميع عالم الروحانيات فإذا ماتت ذلك الإنسان وقعت
الغرقة بين ذلك الروح وبين معشوقاته ومحبوباته وبين أحوال هذا العالم ولما كان
معرفة ذلك العالم ولا الميل معها أهل ذلك العالم فكون مثل هذا الروح
من يحاسبه معشوقه والغي في بحر ظلمانية لا الملائكة ولا معرفة له بأحوالهم
هذا الإنسان يكون في غاية الوحشة وبالم الروح وكذا هنا أما الوجه الثاني
نقول إن هذه الجسمانيات غالبة لمعاشها ومعادها وكان شديد الرغبة في

في اعلاق النفوس الوثقى عظيم لحبه الله تعالى كما ان مثال من كان محبوسا في سجن
سلم عن جميع ما من الخيرات الموجبة والاوقات المهلكة مع الفوق في فسيح باب السجن
واخرج منه واحضر في مجلس السلطان الاعظم مع الاصحاب الاسعد فاكرما
قال تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فهذا هو الانسان الى تعريف الباري الروحانية والجنة الروحانية
المسئلة الثالثة في قوله تعالى بما كانوا يكسبون مع ان الاعمال السالفة
هي المؤثرة في حصول هذا العذاب فكيف قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم في حصول النعيم لهم مع سالف الذهم وكيفهم فيها سلام
واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين واعلم انه تعالى لما شرح احوال المنكرين
والجاحدين في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية احوال المؤمنين المحقين واعلم انه تعالى
ذكر حسناتهم ولم يتعرض لذكر ما لهم من الاحوال السنية والدرجات الرفيعة اما اما
احوالهم وصفاتهم فهي قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وفي نفسه وجوه الاول
ان النفس الانسانية لها قوتان القوة النظرية وكمالها في معرفة الاشياء وليس المعارف
وسلطانها معرفة الله والقوى العملية وكمالها في فعل الخيرات والطاعات ورئيس
الاعمال الصالحة وسلطانها معرفة الله والقوى العملية خدمة الله فقوله ان الذين امنوا
اشارة الى كمال القوة النظرية بمعرفة الله وقوله وعملوا الصالحات اشارة
الى كمال القوة العملية بخدمة الله ولما كانت القوة النظرية مقدمة على القوة
العملية مالترتيب والرتبة لا جرم وجب تقديمها في الذكر الوجه الثاني في نفسير
هذه الآية قال العقلاء ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي عقدوا بالقلوب ثم
عضدوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاء به الانبياء والكتب عن عبد الله الخالص
الذين امنوا اي شغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة وعملوا الصالحات اي شغلوا
جوارحهم الظاهرة بمعنى مشغولة بالاعتبار كما قال تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار
واذانهم مشغولة بكلام الله مسموعا كما قال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ولسانهم مشغول بذكر الله كما قال ايها الذين امنوا اذكروا الله وجوارحهم مشغولة بطاعة
الله

الله كما قال الا بسبب الله الذي يخرج الخبأ في السموات واعلم انه تعالى لما وصفهم بالايمان
والعمل الصالح ذكر بعد ذلك درجات كرامتهم ومراتب سعادتهم وهي اربعة الاولى
الاولى قوله يهديهم بايمانهم يجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم وفيه مسائل
المسألة الاولى في تفسير قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم وجوه الاول انه
تعالى يهديهم الى الجنة بنور الايمان على ايمانهم واعمالهم الصالحة والذي يدل على صحة هذا
التاويل وجوه الاول قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
وبايمانهم اما روي انه عليه السلام قال ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة
فيقول له انا عملك فيطلق به حتى يدخله الجنة وبالعكس في الكافر الثاني ان يكون
له نور يمشي به الى الجنة والرابع وهو الوجه العقلي ان الايمان عبارة عن علوم اتصل
به من عالم القدس ونور الله النوراني الخط المتصل من قلب المؤمن ومنزل العالم المقدس
فاذا حصل هذا الخط النوراني فقد تعلق العبد على ان يعدي بذلك النور ويرجع الى عالم القدس
واما اذا لم يوجد هذا الحبل النوراني بأن في ظلمات عالم الضلال يعود بالله منه والتاويل
الثاني قال الانباري ايمانهم يهديهم الى خصائص المعرفة ومزايا وفي الالطاف
ولوامع نور تسير بها قلوبهم وسرورها التوكل والشهامات عنهم كقوله
تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى ومعنى الروائد والفوائد والمراد بالحور حصولها
في الدنيا قبل الموت وبحور حصولها في الاخرة بعد الموت قال العقال واذا علمنا الآية على
هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم باعمالهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم
الا انه حذف الواو وجعل قوله تجري حالا مستانفا منقطعا عما قبله والتاويل الثالث
ان يقول الكلام في تفسير هذه الآية يحتاج بلون مسبوق بالمعدم بالمعلوم الاولى ان
العلم بوجود الجهل طلبه وصريح العقل يشهد بان الامر كذلك وقد بينا في اول كتاب اذا
حليلة شريعة على تحصيل وانفع الوجوه اعلمها وما يهيها الا فاذا يحرك وجه العاقل
متحللا مسرعا ناهضا ووجه من لم تعلم عموما مظلما منقبضا ولهذا السبب عبر عن
القرآن بالنور عن العلم والايمان بالنور وعن الجهل والكفر بالظلمات والله اعلم
المقدمة الثانية ان الروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش المنقوشة
في ذلك اللوح ثم هاهنا دقيقة وهي ان اللوح الجسماني اذا انقش بنقوش جسمانية

في حصوله بعين النقوش فوجب ان اللوح مانع من حصول سائر النقوش فيه فاما الروح
فما استند على الصدر من الدماغ ان روح اذا كانت حالية عن نقوش المعارف والعلوم
فاذا اخذ في تحصيل شيء منها كان حصوله اما حصل منها معينا له على حصول الباقي
وهذا يدل على ان احوال العالم الروحاني الصدر من احوال العالم الجسماني المقدمة الثالثة
ان الاعمال الصالحة عبارة عن الاعمال التي تحمل النفس على ترك الدنيا وطلب الاخرى والاعمال
المذمومة ما يكون بالضد من ذلك اذا عرفت هذه المقدمات فنقول الانسان
اذا آمن بالله تعالى فقد اشرقت روحه بنور هذه المعرفة فاذا واظب على الاعمال الصالحة
حصلت له ملكة مستقرة في التوجه الى الاخرى وفي الاعراض عن الدنيا وكلما كانت هذه
الاحوال اكمل كان استعداد النفس لتحصيل سائر المعارف اشد وكلما كان الاستعداد
اقوى واكمل كانت معارج المعارف اكثر واشرف فيها ولما اقوى ولما
كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية لا جرم لا نهاية لمراتب هذه الهداية
المشار اليها بقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم المسئلة الثانية قوله تعالى
تجري من تحتهم الانهار المراد منه انهم يكونون جالسين على سرر من فوقه والانهار
والانهار تجري من بين ايديهم وتطهير قوله تعالى فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهي جنات
عاملين عليها والمعنى ما ذكرناه وكذا قوله وهذه الانهار تجري من تحتي المعنى
من بين يدي فكذا ههنا المسئلة الثالثة الايمان هو المعرفة والهداية المرتبة
عليها انما هي من جنس المعارف ثم ان تعالى لم يقل يهديهم ايمانهم بل قال يهديهم
ربهم بايمانهم وذلك يدل على ان العلم المعتبر لا يوجب العلم بالنتيجة بل العلم بالمقدمات
سبب لحصول الاستعداد التام لحصول النفس للنتيجة فاذا حصل هذا الاستعداد
كان التكوين من الحق سبحانه وتعالى وهذا هو معنى قول الحكماء الفاعل
المطلق والجواد الحق ليس الا الله المرتبة الثانية من مراتب سعادات هذه الدرجات
كما اخبر عنهم قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وفيه مسائل المسئلة
الاولى في دعواهم وجوها الاول ان الدعوى ههنا بمعنى الدعاء كما قال تعالى ادعوني يستجب
دعاءه ودعوا كما انتم تدعون اسكنوا وسكانه وسكوى قال بعض المعبرين
دعواهم اي دعاؤهم وقال تعالى في اهل الجنة لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون وقال

وقال في الدعوى هنا كل ما تحمد امتنا وما يدعون كذا المراد من الدعوى هنا
الدعاء هو ان تعالى انهم قالوا وهذا لله تعالى ومعنى قولهم اللهم انا نسبحك لهم العالمين
في دعاء التفويت اللهم انك تعبد العالمين ان يراد بالدعاء العبادة تطلع قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فدعوى هنا عبادة لا اصل الحمد
الا ان يسبحوا الله ويحمدوه ويكون استعمالهم بذكر الله على سبيل التكليف على
سبيل الاستهجاء بذكر الله الى آخره يحتمل ان يستهجنهم لاجعلهم ان يكون المراد من الدعوى
نفس الدعوى الذي يكون للحسم على الخصم ويكون معنى ان اصل الحمد يدعون
في الدنيا وفي الآخرة عن تمريد الله عن كل المعاصي والاقوال والافعال قال العلامة
اصل دلالة الفاء الى آخره قوله دعواهم اي فعلهم واقوالهم وعبادتهم وحاصل هو قولهم سبحانك اللهم الى آخره قال
دعواهم اي فعلهم واقوالهم وعبادتهم وحاصل هو قولهم سبحانك اللهم الى آخره قال
العلامة المراد من قوله دعواهم اي طريقهم في حمد الله وتقديسه وثنائهم وتسبيحهم والدليل
على ان المراد ان قولهم سبحانك اللهم ليس دعوى وكذا دعوى الا ان المدعي للشيء يحتاج عادة الى
مواطاة على هذا الذكر لا دائم اطلق لفظ الدعوى عليهم السلام قال العلامة قيل في
قوله فلهم ما يدعون اي ما يتمنونه والعرب تقول ادع ما شئت علي اي تمن وقال صريحا آخر
ان قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم هو انه اذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم
فاتاهم ملك بالمشتهى وتدخرج تاويل الآية من هذا الوجه على انهم اذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك
اللهم وكان المراد من دعواهم ما حصل من قولهم من المشتهى وفي هذا التفسير وجه آخر اصل
واشرف مما تعلم وهو ان يكون المعنى ان منتهى امنيتهم في الجنة ان يسبحوا الله ان منتهى امنيته السابع
ان يسبحوا الله اي منتهى ما يتمنونه نفس ان في تسبيح الله وتقديسه وثنائه في الدنيا في اوقات
قال العلامة الصواب ان يحمل ان يكون المعنى والدعوى ما كانوا يدعونه في الدنيا في اوقات
حضورهم من يكفون اليه ويستعينونه كقولهم يا فلان فاعنا فان الله تعالى اذا انعم عليهم واعطاهم
مرادهم وكفاهم بحمد الله تعالى المسئلة الثانية في قوله سبحانك اللهم وتحيتهم
الاول تواضعوا اصل الجنة جعلوا هذا الذكر علامة على طلب المشتهيات قال رحمه
اذا امر بهم طير اشتهوه قالوا سبحانك اللهم وتحيتهم فاذا قالوا سلام عليهم قالوا الحمد لله رب العالمين

ولدتهم

دلالة

قال البيضاوي قوله سبحانك اللهم علم من اهل الجنة والكلام فاذا سمعوا ذلك من مولاهم اوجم
عما يشتهون واعلم ان هذا القول ضعيف جدا وبيانه من وجوه احدها ان حاصل هذا الكلام
راجع الى ان اهل الجنة جعلوا هذا الذكر العالي المقدس علامة على طلب الماكول والمشروب
وهذا في غاية الخساسة وايضا انه تعالى لما نهى عنهم اهل الجنة ولهم ما يشتهون فاذا
اشتهوا الاكل ذلك الطعام ولاحاجة الى الطلب فقد سقط هذا الكلام وايضا ان
هذا التفسير خروج الكلام عن ظاهره الشريف العالي الى محل خسيس لا اشعار للعطية وهذا
باطل الوجه الثاني في بيان هذا القول ان المراد استعمال اهل الجنة بسبحانك اللهم
سبحانه وتعالى والشاعلة لاجل ان سعادتهم في هذا الذكر وغايتها هم وسرورهم
به وكمال بهائهم لا يحصل الا منه وهذا القول هو الصحيح الذي لا يحيد عنه نور على هذا
التقدير ففي الآية وجوه احدها قال القاضي ارتعالى وعد المتقين بالثواب العظيم كما
ذكر في اول هذه السورة من قوله وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاذا دخل اهل الجنة وجدوا
تلك النعم العظيمة عرفوا ان الله تعالى صادق في وعده اياهم بتلك النعم فعند هذا
قالوا سبحانك اللهم اي تنزيها لك عن الخلف في الوعد والكذب في القول وبيانه ان
نقول غاية سعادات السعداء ونهاية درجات الاصفياء الاولياء استغراقهم بمراتب
معارف الجلال واعلم ان معرفة ذات الله تعالى والاطلاع على كنه حقيقته مما لا سبيل
للخلق اليه بل الغاية القصوى معرفة صفاته السلبية وهي المسماة بصفات الجلال
واما الصفات الاضافية وهي المسماة بصفات الاكرام فلذلك كان محمودا بالذكر العالي
مقصورا عليه كما قال سبحانه ساذكر اسم ربك ذي الجلال والاكرام ولما كان السلوب
منعدما لا يتسلط على الاضافات لا جرم كان ذكر الجلال سببا لمزيد الاكرام في اللطف
واذا تسلسلت غاية سعادات السعداء النفس الانسانية في هذه المقامات العالية الاقدسية
مواظبين على هذا الذكر العالي المقدس ولما كان لذاته لذة عارضة حصلت لله تعالى ولا
غاية لمدارج العز والكرامة والاحسان فلذلك لذاته لذات درجات مرقى الارواح
المقدسة في هذه المقامات العالية الاقدسية وبالجملة فالملائكة المقربون كانوا
قبل ان يخلق آدم عليه السلام مشتغلين بهذا الذكر الاعلى لهم قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك فالحق سبحانه الهم السعداء من اولاد آدم حتى اتوا بهذا التسبيح والتحميد لذلك قال ان

الذي زينه الملائكة المقربون مثل طي العالم من الذكر العالي فهو يعني أن يجعلنا سعدا
من أولاد آدم بعد الفراغ من العالم ولما كان هذا الذكر مشتملا على هذا الشرف العالي
لا جرم جاء الرواية لقراءته فوائد الصلوات فان المصلي اذا ذكر قال سبحانك اللهم وبحمدك
تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك المسألة الثالثة من براءات سعداء أهل الجنة
قوله تعالى يحيونهم فيها سلام قال المفسرون تحية بعضهم لبعض تكون بالسلام وتحيته
الملائكة لهم بالسلام فان قيل الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وتحيته
إياهم ابتداء لهم بالسلام فما فائدة السلام قولا من رب رحيم قال الواحدي وعلى هذا التقدير
يكون هذا اضافة المصدر إلى المفعول وعندي فيه وجه آخر وهو أن يقال إنهم لما
ذكروا هذه الكلمة شعروا بأنهم كانوا في الدنيا في معرض الآفات ومعرض المخافات
فاذا خرجوا من الدنيا ووصلوا إلى الجوار الذي أكرمه الله فقد صاروا آمنين من الآفات
آمنين من المخافات والنقصانات وقد أخبر الله عنهم بأنهم يذكرون هذا المعنى في قولهم
وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة
من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والمرتبة الرابعة من
مراتب السعداء قولهم قوله سبحانه وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وفيه مسائل
المسألة الأولى قد ذكرنا أن جماعة من المفسرين قد حملوا هذه الكلمات العالية
المقدسة على أحوال أهل الجنة لست الأكل والشرب فقالوا أن أهل الجنة إذا اشتهوا
شيئا قالوا سبحانك اللهم وبحمدك فإذا أكلوا ورغوا قالوا الحمد لله رب العالمين
وهذا القائل ما نظر في علم الدنيا ولا في علم الآخرة أما الدنيا فلأن الأكول والمتردد حقير
لا ينسب إليه أن يعتد في أمر الدنيا بأمر وأما المحققون الحكماء فقد تركوا ذلك لهم
في ذلك أحوال روى الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة يلهمون
الحمد والتسبيح كما يلهمون أنفسكم وقال الزجاج اعلم الله أن أهل الجنة يفتحون بعظيم
الله وتنزيهه ويختمون بتحميده والثناء عليه والقول عندي في هذا الباب وجوه ظاهرة
فاحدها أن أهل الجنة لما استسعدوا بذكر سبحانك اللهم وبحمدك وعاينوا ما فيه من
السلامة عن الآفات والمخافات علموا أن كمال هذه الأحوال السنية والمعاني المقدسة

افاضته بحسان الخلق وافضاله وانعامه ولاجرم اشتغلوا بالحمد والثناء فقالوا
الحمد لله رب العالمين واما وقع لطمهم على هذا الكلام لان استغالهم بسبح الله وبحمده
من اعظم نعم الله عليهم والاشتغال بشكر النعمة متاخر عن رويته لكن النعمة
فالحمد السعيد وقع الختم على هذه الكلمة وانما ان لكل انسان بحسب روحه معراج
فان تنزل عن ذلك المعراج رجاء تصعد اليه ومعراج العارفين الصادقين معرفة الله
وتسبيح الله وتحميده فاذا قالوا سبحانك اللهم فهم وعن المعراج مرادا نزلوا
منه الى عالم المخلوقات كان الحاصل عند ذلك النزول افاضة الخير على جميع المحتاجين
والله الاحسان بقوله بحيتهم فيها سلام مراده من اخرى تصعدا الى معراجه
وعند الصعود تقول الحمد لله رب العالمين فهذه الكلمات العالية اسباب الى
اخلاق احوال العبد بسبب النزول والعروج واما ان تقول ان قولنا
الله اسم لذات الحق سبحانه فان نظر العبد الى صفات الجلال وهو المشار اليه
بقوله اللهم فاذا عجز عن ذلك المطلوب واخرق في اودية بلك الافوار رجع الى علم الارام
وهو المشار اليه بقوله الحمد لله رب العالمين فهذه كلمات خطرت بالبال وداب
في الخيال فان حصل التوفيق من الله فان لم يكن كذلك فالسكوت على حمد الله تعالى
المسئلة الثانية قال الواحدي في قوله ان الحمد لله المحققة من المشددة فلذلك
لم تعمل لخروجها المخففة عن مشددة الفعل كقوله ٥
على معنى انها لك وفي الصحاح الدهم
انها هنا زائدة والسعد بر واخر دعواهم الحمد لله رب العالمين وهذا القول ليس بشيء
وقال بعضهم ان الحمد بالتشديد وتصل بالحمد **قوله تعالى** ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فعند الدين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
فيه مسائل المسئلة الاولى الذي يحمل على طغياني واسداهن السوء في ذكر
شبهات المنكرين للنبوة مع الجواب عنها قال السدي الاولى ان القوم لتحمسهم
تخصيص الله محمدا بالنبوة فانه دلل النبي بقوله اه ان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل
منهم ثم ذكر لهم التوحيد والمعاد وحاصل الجواب ان تقول انا اصبكم
الا بالتوحيد والاقرار بالمعاد وقد دللنا على صحتهما فلم يبق للنبي من سوى معنى والشبهة

والشبهة ـ البائنة للقوم انهم كانوا يقولون لهذا القرآن كان محمد حقا فليدع
الرسالة فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم باجابة الله تعالى
عن هذه الشبهة ما ذكر في هذه الآية فهذا هو الكلام في لغة الآية ومن الناس من
ذكر فيه وجوها اخر الاول ـ قال القاضي لما بين تعالى فيما تقدم الوعد والوعيد
اتبعه بما يدل على ان من جملتهما ان تأخر عن هذه الحياة الدنيوية لان حصولهما في الدنيا
كما مايخ من بقاء التكليف والذي يدل على التعميم قوله تعالى في وصف الكفار
كانهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها وكانوا عن اياتنا الله
غافلين من ان من غفلتهم ان الرسول عليه السلام متى انذرهم استعجلوا العذاب
هذا هو الحق من غير دليل فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقال تعالى
سال سائل بعذاب واقع الآية ثم انهم لما توعدوا بعذاب الآخرة في هذه الآية وهو قوله
اولئك ما وأهم النار بما كانوا يكسبون استعجلوا بذلك العذاب بعينه فقالوا متى يحصل
ذلك فقال استعجل بها الذين لا يومنون بها وقال في هذه السورة بعد هذه الآية
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فهذا يدل على ان قوله الآن وقد كنتم به تستعجلون وقال
تعالى يخافون بالوعد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات فبين تعالى
انه لا مصلحة في تعجيل انصال الشر اليهم لانه تعالى انما وصف ذلك العقاب انه مما نزل وهلوا
لان تركهم في الدنيا لا يحتمل ذلك ولا صلاح في اتيانهم فربما امنوا بعد ذلك ودخلوا
في جملة من علم من حالهم من حالهم انهم مومنون وذلك يقتضي ان لا يعجل الله تعالى بانصال ذلك
الشر اليهم المسئلة الثالثة ـ في لفظ الآية اشكال وهو ان يقال كيف
قابل التعجيل بالاستعجال وكان الواجب ان يقابل التعجيل بالتعجيل والاستعجال
بالاستعجال والجواب ـ عنه من وجوه الاول انا قد بينا ان الكفار ما كانوا يعتقدون
الكلام ولو تعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير الا انه وضع استعجالهم بالخير موضع
تعجيل الله لهم الخير اسعادا لرغبته واجابته لهم واسعافه بطلبتهم وهذا كما يقال استعجالهم
بالطير تعجيل الله لهم الشقاء في اعتقادهم حيث قالوا اطيرنا بك وبمن معك

عجلنا لمراد الله عجلة كاملة عجل طلبه العجلة والاستعجال الاشهر والاظهر في هذا
المعنى وعلى هذا الوجه يصير معنى الاية ولو اراد الله عجلة الشر للناس كما اراد ان يعجله
الخير لهم لقضى اليهم اجلهم ولا يصاب هذا الوجه وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى العدول
عن ظاهر الاية الى ان قال ان من عجل شيئا قد طلب تعجيله فاذا ثبت ذلك
وكل من كان مستعجلا لشيء كان مستعجلا لنقيضه فثبت ان المقدور لو استعجل الله للناس الشر
وكل من كان مستعجلا لشيء فانما يستعجله بسبب العجلة ووصفهم بطلبها يدل على انهم
استعجلوا الخير الا انه تعالى منعهم عنه بسبب العجلة ووصفهم بطلبها يدل على انهم
به تعالى هو الخير من والملائم لهم هو المطلوب المسئلة الرابعة انه تعالى
سمى العذاب شرا في هذه الاية لانه ادى في حق المعاقب ومكروه وعند
كما انه سماه في قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وفي قوله وحاسنه سيئة سلطها
المسئلة الخامسة قرأ عاصم لقضى بفتح العين والباقون بضمها والمعنى واحد
قراءة عاصم لقضينا اليهم اجلهم والباقون بضم العين وكسر الضاد وفتح الياء اظهر بالرفع على
ما لم يسم فاعله المسئلة السادسة المراد من استعجال هؤلاء المشركين الخير هو ما
كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله تعالى بكشفها وقد حكى الله ذلك عنهم في
ايات كثيرة كقوله اذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون وقوله واذا مس الانسان ضر
دعانا المسئلة السابعة اشكل الامر على السائل فقال كيف اتصل قوله هذا بالذين لا يرجون
لقاءنا بما قبله وما معناه وجوابه ان نقول قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
يعني التعجيل كانه قيل ولا يعجل لهم الشر ولا يقضي اليهم اجلهم فندعهم في طغيانهم
فيعمهون في ضلالهم ثم ذكر لهذا نظيرا المسئلة الثامنة قال اصحابنا انه تعالى انما حكم
عليهم بالطغيان والعمه لانه منعهم ان لا يكونوا كذلك والا لزم ان يفعل خلاف ما علم الله تعالى
الصدق كذبا وعلمه جهلا وحكمه باطلا وكل ذلك محال ثم انه بعد هذا كله يوجد
ويكون ذلك جاريا مجرى التكليف بالجمع بين الضدين **قوله تعالى** واذا مس
الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم
يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون فيه مسائل
المسئلة الاولى قرئ كشفنا النظم وكشفنا الاول انه تعالى بين في الاية الاولى
انه لو انزل العذاب على العبد في الدنيا لهلك وقضي عليه فمن رحمته انه ما انزل
على قلبه صعقه ونحاه عن ان يكون ذلك وكذلك لما دلهم قوله لو انزل عليه العذاب

لمات الله تعالى حكى عنهم انهم يستعجلون بنزول العقاب ثم بين فى هذه الآية انهم
كانوا كاذبين فى ذلك الطلب والاستعجال لانه لو نزل بالانسان اذى فى نفسه
ونوع منه فانه يتضرع الى الله تعالى فى ازالته عنه وفى دفعه عنه وذلك يدل على انه
ليس مادقا فى هذا الطلب لمسئلة الله ـ المقصود من هذه الآية بيان ان الانسان
قليل الصبر عند نزول البلاء طويل الشكر عند وجدان النعماء والآلاء فلهذا
التضرع والدعاء مصطحبا وقاعدا وقائما يحتهد فى ازالة البلاء عنه ازاله الله المحنة
ويبدلها بالنعمة والمنحة فاذا كشف تعالى عنه ذلك البلاء اعرض عن الشكر
ولم يتذكر ذلك الضر ولا يعرف قدر الانعام وصار بمنزلة من لم يدع الله تعالى لكشف
ضر وذلك يدل على ضعف طبيعة الانسان وشدة استيلاء الغفلة والشهوة عليه وذلك
مستقبا على ان هذه الطريقة مذمومة بل الواجب على الانسان العاقل ان يكون صابرا
عند نزول البلاء شاكرا عند النعماء وان يتأنه ان يكون كثير الدعاء والتضرع
فى اوقات الراحة والرفاهة حتى يكون مجاب الدعوة وقد ثبت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يستجيب الله عند الكرب والشدائد فليكثر
الدعاء عند الرخاء واعلم ان المؤمن اذا ابتلى ببلية ومحنة وجب عليه رعايتها امورا فالحيا
ان يكون واصلا تعالى الله عز شعر من بالعلم بالسان عليه واما وجب عليه لانه
تعالى هو الذى على الاطلاق وملكا لا استحقاق فله ان يفعل فى ملكه وملكه ما شاء
كما شاء ولانه تعالى حكيم على الاطلاق وهو منزه عن فعل الباطل والعبث وكل
ما فعله فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك علم انه تعالى انما ابتلى عبده
بتلك المحنة فهو عدل وان ازالها عنه فهو فضل وجلد يجب عليه الصبر والشكر
وترك القلق والاضطراب وثانيها ـ انه فرد ذلك الوقت اشتغل بذكر الله تعالى
والثناء عليه لان الدعاء كان افضل ما اعطى السائل ولان الاشتغال بالذكر
اشتغال بالحق والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس ولا شك ان الاول
افضل فثبت ان اشتغل بالدعاء وجب ان يشترط فيه ان يكون ازالة سلاما فى الدين
وبالجملة فانه يجب ان يكون الانسان راضيا عبد على الدوام وبالله ـ امر صاحب هذا
الحال البلاء البلية فانه يجب عليه ان يبالغ فى الاستغفار وان لا يخلو عن ذكر الشكر والثناء

وانما ذكر الله

لمن يصل الى هذا الحال من الخلق فى اى وقت شاء

ولما

واحوال السلامة والرخاء فهو الطريق الصحيح عند نزول البلاء وههنا مقام اخر اعلى واجل مما
ذكرنا وافضل مما ادركاه وهو ان اهل العشق قالوا ان كان في وقت وجدان النعم مشغولا
بالنعمة كان عند البلية مشغولا بالبلية لانا المسلمين مثل هذا التحسن يكون ابدا في البلاء
واما في وقت حصول النعمة فان خوفه من زواله يكون اشد من انواع البلاء عليه
وان النعمة كلما كانت اجل والذ واقوى وافضل كان خوف زوالها اشد ابدا واقوى
احاشا فثبت ان من كان مشغولا بالنعمة كان ابدا في محنة البلية اما من كان في وقت
النعمة مشغولا بالمنعم لم ان يكون في وقت البلاء مشغولا بالمبتلى فاذا كان المنعم
والمبتلى واحدا كان نظره ابدا على مطلوب واحد فكان مطلوبه من هذا من النعمة
مغدرا على التدليل من كان كذلك كان في وقت البلاء قائما في بحار السعادات واصلا
الى افضل الكمالات فهذا هو النوع من لسان بحر لا ساحل له ومن اراد ان يصل الى
قليل منه فليكن من الواصلين الى الصبر دون الباقين لان المسئلة الثالثة احد عشر في
الانسان في قوله واذا مس الانسان ضر فمنهم من يعضهم انه الكافر ومنهم من يقول
كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد هو الكافر وهذا باطل لان
قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فاما من اوتي كتابه بيمينه
لا شبهة في ان المؤمن داخل فيه وكذا قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقوله
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه فالذي قالوا ابعد لان الحق ان لفظ
الانسان اسم لمجموع الروح والبدن وحينئذ فهو حقيقة ان حصل هناك معصوم وسالوك
الى الله المعرج المحكي بالالف واللام حقيقة ان حصل هناك معصوم وسالوك اليه
وان لم يحصل هناك معصوم وسالوك وجب حمله على الاستعراق صونا له عن الاجمال والتعطيل
ولفظ الانسان لا يليق بالكفار لان العامل المذكور لا يليق بالمسلم المسئلة
الثانية العبد في قوله دعانا لجنبه او قاعدا او قائما وجهان الاول ان المراد
منه ذكر احوال الدعاء وقوله لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحال عليه والتقدير دعانا
مضطجعا او قاعدا او قائما فان قالوا فائدة ذكر هذه الاحوال فلها معنيان
المضرور لامر اما مضرة اصابته لا يقدر عن الدعاء الى ان يزول عنه الضر سوى كان مضطجعا
او قاعدا او قائما الوجه الثاني ان يحمل هذه الاحوال الثلاثة على تعديد الاحوال

الضر

الضر والعقد وإذا مس الانسان الضر جلسا وقاعدا وقائما بدعانا وهو قول الزجاج الاول
اصح لان ذكر الشيء اقرب الى الصفة الاحوال منه ذكر الضر ولان القول بان هذه احوال
الدعاء تقتضي مبالغة الانسان في الدعاء لانه تعالى اذا ترك الدعاء بالكلية واعرض عنه كان
ذلك اعجب المسئلة الخامسة في قوله مس الضر وجوه الاول المراد منه معنى على طريقة
الاول مثل مس الضر نسي حال الجهد التقدير على موقف الاهوال والفزع وكيف حال
الجهد التقدير لا يرجع الله كانه لا عهد له به المسئلة الثالثة قوله كان لم
يدعنا الى ضر مسه تقديره كانه لم يدعنا فحذف الضمير كما يسقط الضمير في نعلم
قوله تعالى كان لم يلتقوا قال الحسن نسي ما دعا اليه به وما ضع الله به في ازالة
ذلك اللاحق عنه المسئلة السابعة قال صاحب النظم قوله واذا مس الانسان موضوعه
المستقبل ثم قال فعلما كشفنا وهذا الماضي معه هذا النظم يدل على معنى لابد منه وهو كذلك
كان ما مضى وهكذا يكون في المستقبل فاما في اللغة من الفعل المستقبل على ما
بينه من المعنى المستقبل وما فيه من الماضي على الماضي واعلم ان الرحمان العقلاء
على هذا المعنى ودل ذلك على ان الانسان جبل على الضعف والعجز وقلة الصبر وجبل انسا على
الغرور والبطر والطغيان والمرح والعتو فاذا نزل به اللاحق عجزه وضعفه
على كثرة الدعاء والتضرع واظهار الخضوع والخشية واذا زال البلاء وقع في الراحة
واستولى عليه النسيان على احسان الله تعالى ووقع في البغي والطغيان والجحود والكفران
فهذه الاحوال من نتائج طبيعته ولوازم جبلته وبالجملة فهو كما قال المساكين معذور
ولا عذر لهم المسئلة الثامنة في قوله تعالى يخذلان الشر فمن ما كان ابو البقاء وغيره
اجاز الجر والاول ان هذا الامر هو الله تعالى او النفس او الشيطان فرع
على وسئله الخير والقدر وهو معلوم البحث الثاني في بيان السئلة لاحظ
سمى الله تعالى سبحانه الكافر وجوه الاول قال ابو بكر الاصم الكافر مشرف في
لغته وفي اللغة موضع لها اما في اللغة فانه جعلها عند اللوس واما في الشرع فلانهم
كانوا يصعون اموالهم في الحرث الساسة والوصلة والحام الثاني قال
الثاني ان من كانت عادته ان يكون عند نزول البلاء معرضا عن ذكر الله تعالى
متعاملا عنه عن مستقلا بعد عن كان مشرفا في امر دينه مجاوزا الحد في الغفلة
عنه ولا شبهة في ان المرء كما يكون مشرفا في الانفاق فلذلك يكون مشرفا في ترك

من واحد واقدم عليه من قبح اذا تاوز للحد فرضه الوجه الثالث وهو الذي خطر بالبال
في هذا الوقت ان المسرف هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الصحيح الخسيس ومعلوم
ان لذات الدنيا وطيباتها خسيسة حقيرة في مقابلة سعادات الاخرة والله تعالى
اعطى الحواس والعقل والفهم والقدرة لاكتساب تلك السعادات العظيمة فمن
بذل هذه الالات الشريفة لاجل ان يفوز بهذه السعادات الخسيسة
كان قد انفق شيأ اعطيه كي لاجل ان يفوز باشياء حقيرة خسيسة فهو ان
يكون من المسرفين اولى الوجه الثالث الضعيف في قوله عدا كالمشبه
والمعنى مثل ما مر من هذا الكلام فهذا العمل القبيح المذكور من المسرفين ما كانوا
يعملون من الاعراض عن الذكر والمبالغة في الشهوات **قوله تعالى** ولقد اهلكنا
القرون من قبلكم الى قوله كيف تعملون في الايه مسائل المسئله الاولى في بيان
كيفية النظم اعلم ان الله تعالى لما حكى عنهم انهم كانوا يقولون ان هذا الا
هو الحق من عند الله وانطق علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم اجاب عنه
بان ذكر انه لا صلاح في اجابة دعائهم عن مثل هذا لانهم كانوا فاسدين فهذا الطلب لانه لو ترتب
عليه اجابة دعائهم لاستوجبوا به عذاب الاستيصال فلا جرم ما اجرى
الله تعالى هذه العادة في حق امة من الامم الا بعد ان عاينوا العذاب
وهذا هو المراد من قوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين فثبت بما ذكرنا ان المراد من قوله ما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هو ما ذكرناه المسئله الثانية قال صاحب الكشاف
قد جاءتهم رسلهم بالدلايل والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله ما كانوا
ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا والله اعلم هذا السبب
وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر وهذا يدل على ان الله تعالى انما اهلكهم
لاجل تكذيبهم الرسل وهذا يجري كل مجرم وهو عندنا اهل مكة على تكذيبهم
وقرئ يجزي بالياء جعلناكم الخطاب للذين بعثنا اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم اي

اى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناها لننظر اتعملون خيرا ام شرا
فنعاملكم على حسب عملكم يعنى سوالان السوال الاول كيف جاز النظر
على الله وفيه معنى المقابلة والجواب انا استعرنا لفظ النظر للعلم المتعلق
الذى لا تطرق اليه الشك وشبه هذا العلم بنظر الناظر وعبارة المعانى السوال
الثانى فى قوله ثم جعلناكم خلائف فى الارض لننظر كيف تعملون فسمعوا الله تعالى
بما كان عالما اخوا العلم بل وجودهم والجواب المراد منه انه تعالى يعامل
العباد معاملة من يطلب العلم بما يعلمون ليجازيهم بحسبه لقوله لنعلم ايكم
احسن عملا وقد مر نظائر بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة
خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء
حلفنا الا لننظر الا اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خير الليل والنهار المسئلة الثالثة
قال الزجاج موضع كيف نصب لقوله تعملون لانها حرف الاستفهام فالاستفهام لا
يعمل فيه ما قبله لو قلت لننظر حسن التعمل حسنا ام شرا كان العامل فى حسن وشر تعملون
قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا الى قوله عذاب يوم عظيم
فيه مسائل المسئلة الاولى اعلم ان هذا الكلام هو النوع الثالث من شبهاتهم
وعللهم التى ذكروها فى الطعن فى امر محمد صلى الله عليه وسلم واحداها الله تعالى
فى كتابه واجاب عنها واعلم ان من جملة هذا الترتيب الذى ذكرناه علم ان القرآن يرتب
على احسن الوجوه المسئلة الثانية روى عن ابن عباس ان جملة من الكفار كانوا
يسبون الرسول عليه السلام والقرآن الوليد بن المغيرة المخزومى والعاص وابا السهمى
والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن حنظلة فعل الله كل واحد من
اخنس فقال ابو سفيان بن حرب المشهور بن عبد الله تعالى انهم هلكى فما بالهم يطمعون
بزعمهم فى الجنة فانا اسمع القرآن يعد هذا الوعد له وهو مختار الاولى ان وصفهم بانهم لا يرجون
لقاء الله ليريد بهم كونهم منكرين للبعث والنشور ومنكرين للبعث والقيامة ثم فى تقرير حسن
هذه الاسعان وجوه الاول قال الاصم لا يرجون لقاءنا اى لا يرجون فى لقائنا ثوابا
خيرا على طاعته وهو من السبب ارادة بعد ارتكابها الثانى قال الاصم الخاص الرجاء
لا يستعمل الا فى المنافع لكنه قد دل على المضار فى بعض الوجوه لان من لا يرجو

لقاما وعلى به من الثواب وهو المقصد بالتكليف لا خافي انطاما وعلى به من العقاب
وهو المقصد بالتكليف لا خافي انطاما ووضع من العقاب وصار ذلك كناية عن جميع
للبعث والنشور واعلم ان كلام القاضي مرت من كلام الاصم لان اللسان التام
ان يقال كل من كان مؤمنا بالبعث والنشور فانه لا بد وان يكون محبا لوجه الله
تعالى وطالبا من عقابه وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلم من نفي الرجاء نفي الايمان
بالبعث فهذا هو الوجه في حسن هذا الاستعارة الجواب الثاني انهم طلبوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم احد امرين على البدل فقالا ولسان حالهم يقول ان غير هذا القرآن
والثاني ان يبدل هذا القرآن وفيه اشكال لانه اذا بدل هذا القرآن وفيه اشكال
لانهما اذا بدل هذا القرآن والا فما في ان يبدل هذا القرآن بعينه فقد اتى بقرآن غير هذا القرآن
واذا كان كذلك كان كل واحد منهما شيئا واحدا وايضا ما مدلول على ان كل
واحد منهما هو غير الاخر انه عليه السلام اقتصر في الجواب على نفي احدهما
وهو قوله قل ما يكون لي ان ابدله واذا امتنع هذا الامر هو نفس الاخر
كان القاء اللفظ الدال على الترديد والتحير فيه باطلا والجواب
ان احد الامرين غير الاخر فالاول ان يكتب اخر لا على ترتيب هذا القرآن ولا على نظمه
يكون اتيانا بقرآن اخر واما الثاني هذا القرآن لانه وضع مكان ذم تعظيم مدحها
ومكان انه رجعه اليه عذابا كان هذا تبديلا او نقول الاتيان بقرآن غير هذا هو
ان يأتيهم بكتاب اخر سوى هذا الكتاب مع كون هذا الكتاب باقيا بحاله والمدلول
هو ان لهم هذا الكتاب واما قوله انا نفي الجواب على نفي احد القسمين هو عين
قول الجواب المذكور عن احد القسمين هو عين الجواب عن القسم الثاني واذا كان
كذلك وقع الاكتفاء بذكر احدهما عن ذكر الثاني واما قولنا ان الجواب عن احد القسمين
غير الجواب عن الثاني لوجهين احدهما انه عليه السلام لما بين انه لا يجوز له ان يبدله
من تلقاء نفسه لانه وارد من الله تعالى ولا يقدر على مثله كما لا يقدر على مثله سائر
البشر كان ذلك دليلا مقررا في نفوسهم بسبب العلم من كل يعلم مثل هذا القرآن
فتقرر لهم بذلك على انه لا يمكن من قرآن غير هذا والثاني ان المدلول اما ان لا يمكن
من الاتي بقرآن اخر غير هذا القرآن فجوابه عن الاسهل يكون جوابا عن الاصعب ومن

الناس

وبين الناس من قال لا فرق بين الايتان بقرآن غير هذا القرآن وبين تبديل هذا القرآن وجعل
قوله ما يكون لي ان ابدله جوابا عن الامر بان انه ضعيف على ما بنا المسئلة ان
اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا الجلد
على سبيل السخرية والاستهزاء مثل ان يقولوا الملوحسنا بقرآن آخر غير هذا القرآن او بدلته
لاسالك في عرضهم السخرية والاستهزاء اللطرف الثاني ان يكون قالوه على
سبيل الجد ويدل يحتمل وجوها احدها ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء
حتى ابه ان معجزة دلت على انه كاذب في قوله ان هذا القرآن من عند الله
وثانيها ان يكون المقصود من هذا الالتماس ان هذا القرآن مشتمل على ذم الهتهم
وذا الطعن في طريقتهم وهم كانوا مصرين على التمسك باديانهم فلهذا السبب
وثالثها ان يتقدير ان يكون قد جوز ان يكون هذا القرآن من عند الله تعالى
التمسوا منه ان يلتمس من الله تعالى نسخ هذا القرآن وتبديله بقرآن آخر وهذا
ابعد الوجوه واعلم ان القوم لما ذكروا ذلك امر الله تعالى الرسول ان يجيبهم بالسديد
غير خارج عنى ان اتبع الا ما يوحى الي ثم بين تعالى انه مهما كان الامر على ما به منوعد بالعذاب
العظيم وعصى وشرع على هذا لانه فروع الفرع الاول ان قوله ان اتبع
الا ما يوحى الي معناه لا اتبع الا ما يوحى الي فهذا يدل على انه عليه السلام ما كان يحكم الا بالوحي
وهذا يدل على انهم لم يحكم قط بالاجتهاد والفرع الثاني يمسك بقاء القياس فهذه
الآية قالوا دل هذا النص على انه عليه السلام ما كان يحكم الا بالنص فوجب ان يجب على
جميع الامة ان لا يحكموا الا بمقتضى النص لقوله تعالى واتبع والفرع الثالث
تعلق ابن عباس بانه قال لبدل للمسوخ لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وهذا بعيد لان النسخ اعاد خل في الاحكام والتعبدات لا في تبديل العقاب على المعصية
الفرع الرابع قالت المعتزلة له ان قوله ان اعصى ربي ان عصيت الا عذاب يوم عظيم مشروط
بما يكون قادرا على تركه بتوبة ولا طاعة اعظم منها وقد تقول انه مخصوص بالذين ماتوا
وهو ان لا يعفو عنهم بعيد لان العفو بالغفران من الله تعالى ان يعفوا على اصحاب الكبائر
قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا
من قبله افلا تعقلون فيه مسائل المسئلة الاولى اعلم انا بينا فيما سلف ان العموم

الجلد

انما التمسوا منه دلالة لانه لما حمل انهم التمسوا ليتبين بانه هو الذي يأتي بهذا العلم
من عند نفسه على سبيل الاختلاق والافتعال لا على سبيل كونه وحيا من عند الله
تعالى فلهذا المعنى احتج النبي عليه السلام على فساد هذا الوهم بما دل تعالى
في هذه الآية وبين بان اولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اول عمره الى ذلك الوقت وكانوا عالمين باحواله وانه ما طالع كتابا
ولا تلمذ لاستاذ ولا تعلم من احد ثم بعد تقرر ان نبينا على هذا الوجه حاهم
بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس علم الاصول وقوانين علم الاحكام ولطائف
علم الاخلاق واسرار قصص الاولين وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء
وكل من له عقل سليم فانه يعرف ان مثل هذا لا يحصل الا بالوحي والالهام من الله تعالى
قوله لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به حكم منه بانه صلى الله عليه وسلم
قال هذا القرآن وحي من عند الله تعالى لا من اختلاقي ولا من افتعالي وقوله فقد لبثت
فيكم عمرا من قبله اشارة الى الدليل الذي قررناه وقوله افلا تعقلون يعني ان ظهور
مثل هذا الكتاب العظيم على من لا تعلم ولم يتلمذ ولم يطالع كتابا ولم يمارس محاولة
يعلم بالضرورة انه لا يكون على سبيل الوحي والتنزيل وان نكارة العلوم الضرورية
قادح في صحة العقل فلهذا السبب قال افلا تعقلون والمسئلة الثانية قوله ولا ادراكم به
من الدراية بمعنى العلم قال سيبويه يقال دريته ودريت به قال والاكثر هو الاستعمال
بالباء قال والدليل عليه قوله تعالى ولا ادراكم به ولو كان على اللغة الاخرى لقال
ولا ادراكموه اذا عرفت هذا فنقول قوله ولا ادراكم به ولا اعلمكم الله به ولا اصرعكم
قال اصحاب الكشاف قوله الحسن ولا ادراكم به على لغة من يقول اعطانيه وارضانيه
على معنى اعطيته وارضيته وبعضهم قال هو ابن عباس ولا انذركم به ورواه الفراء
ولا ادراكم به بالهمز والوجه فيه ان يكون من ادراته اذا دفعه وادراته اذا
خدعه وادراته اذا احتاله حارثا والمعنى ولا جعلكم بدراية حصامر ونبي
بالعذاب وتكذيبي وعن ابن كثير ولا ادراكم به بلام الابتداء الا انه لا دراء
واما قوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فالقراءة المشهورة بضم الميم
وقرأ عمر بسكون الميم قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب

بالله انه لا يفلح المجرمون ● اعلم ان تعلق هذا بما قبله ظاهر وذلك لانهم
التمسوا منه قرانا مذكرا من عند نفسه وسبقوا الى انه اما اتى بهذا القران من عند نفسه
ثم انه احكم البرهان القاهر الباطل على ان ذلك باطل وان هذا القران ليس الا وحي الله تعالى
وبين له بعد هذا قال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا والمراد ان هذا القران لو لم يكن
من عند الله فلا احد في الدنيا اظلم على نفسه مني حيث افترى على الله تعالى
ولما افتتح الدلالة على انه ليس لاحد ان يذكر ذلك الا هو بوحي من الله وجب ان يعلم انه ليس
في الدنيا احد اظلم على نفسه منهم لان انه لما ظهر بالبرهان المذكور كونه
من عند الله فاذا انكروه كذبوا بالله فوجب ان يكونوا اظلم الناس
واحاصل ان قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا المعنى منه نفي الكذب
عن نفسه وقوله او كذب بآياته المعنى منه احقاق الوعيد الشديد بهم
انكروا ذلك لان الله تعالى وكذبوا بآيات الله واما قوله انه لا يفلح المجرمون
فهو تاكيد لما سبق من هذين الحكمين ● قوله تعالى ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم الآية ● اعلم انا ذكرنا ان القوم اما التمسوا من الرسول قرانا غير
هذا القران او بدل هذا القران لان هذا القران مشتمل على شتم الاصنام والطعن فيها
كانوا يقولون هو لا يشفعا وباعتقاد الله اما الاول فقد بينه الله تعالى على فساده
بقوله لا يضرهم ولا ينفعهم وتقرير من وجوه الاول قال الزجاج لا يضرهم
ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه والثاني ان المعبود لا بد وان يكون اعلى
قدرا من العابد وهذه الاصنام لا تنفع البتة واما هؤلاء العباد فانهم قادرون
على الصرف وهذه الاصنام تارة بالاصلاح واخرى بالافساد واذا كان العابد اعلى
حالا من المعبود كانت العبادة باطلة الثالث ان العبادة اعظم انواع التعظيم
فهي لا تليق الا بمن صدر عنه اعظم انواع الانعام وهل ليس الا الحياة والعقل والقدرة اما
ومصالح المعاش والمعاد فاذا كانت المنافع والمضار كلها من الله سبحانه اما النوع الثاني
فما حكاه الله تعالى عنهم في هذه الآية فهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاعلم
ان من الناس من قال ان اولئك الكفار ما توهموا ان عبادة الاصنام او انها تكون
شفعاء لهم عند الله بل احدثوا في امرهم كيفما شاءوا وانها سموها بالله وذكروا

احد ٩

التي جعلوها الهة
السبب لاستحقاق
الشفاعة بل
الاصنام

كلمة سبقت من ركيكة تعتريهم فما فيه يختلفون اعلم ان تعالى الى اقام الدلالة العاصمة
على صحة القول الصائب الصحيح بين السبب في تعبده حدوث هذا المذهب الفاسد والمقالة
الباطلة قال تعالى وما كان الناس الا امة واحدة واعلم ان ظاهر قوله وما كان الناس الا امة
واحدة لا يدل على انهم امة واحدة فما ذا اوجب ذلك اما قول الاولين انهم كانوا
مجتمعين على الدين الحق وهو دين الاسلام واجب حملوا عليه ما مر من الاول ان المقصود من
هذا الاخبار بيان كون الكفر باطلا وتزييف طريقة عباده الاصنام وتقرير ان الاسلام
هو الدين الفاسد وهو حسن يكون المراد من قوله كان الناس امة واحدة وهو انهم كانوا
امة واحدة في الكفر يبقى انهم كانوا امة واحدة في الاسلام وانما قلنا انه لا يجوز ان يقال
انهم امة واحدة في الكفر لوجوه الاول قوله تعالى في تحقيق اخبار عن كلمة الله تشهد
وشهيد الله لا يجوز ان يكون مؤمنا عدلا فشهادته ما حملت امة من الامم الا وهم مؤمنون الثاني
ان الاحاديث وردت بان الارض لا تخلو عن يعبد الله وعن اقوام انهم ينظر اهل الارض وهم
يرزقون الثالث انه لما كانت الحكمة لاجله في خلق هو العبود به صعد حلوا اهل
الارض بالكلية عن هذا المقصود روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله نظر
الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وهذا يدل على ان
قوم بالايمان قبل مجيء الرسول مكفرين بتبديل الهم كانوا امة واحدة في الكفر اما ان
الناس كانوا امة واحدة اما في الكفر واما في الايمان ونحن بهم ما كانوا امة واحدة
في الكفر فهم كانوا امة واحدة في الايمان ثم اختلفوا القائلون بهذا القول منهم
كانوا عبد الله بن عباس ومجاهد كانوا على دين الاسلام من عهد ادم وفي عهد نوح
واختاروا عند مثل الحداد الابزاري قال لقوم انهم كانوا على دين الاسلام
على عهد ادم وفي عهد نوح الى ان مات عليه السلام وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا على
عهد نوح فبعث الله اليهم نوحا فآمن وكفر وكانوا على دين الاسلام في امر نوح بعد الغرق
الى ان ظهر الكفر منهم وقال اخرون كانوا على دين الاسلام من عهد ادم عليه السلام الى
ان غيروا وعمرو بن لحي وهذا القائل والمراد في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب
خاصة اذا عرفت تفصيل هذا القول معقولا نقول الله تعالى لما بين فساد القول الباطل
الصحيح بالدليل الذي قرره في هذه الآية ان هذا المذهب ليس مذهبا للعرب بل الاصح

التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله والاحسان بقوله تعالى قل تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وبالوالدين احسانا واعلم
ان هذه المسئلة قد استقصينا فيها في سورة النحل ولكنا نذكر هذا القدر ههنا
اما قوله تعالى ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم لما مر غير مرة
ليس في الآية ما يدل على ان الكلمة ما هي وذكروا فيها وجوها الاول ان تعالى
لو حد انه تعالى احسانا بانه ينفي العذاب عليه على عباده وان كانوا كافرين لقضي بينهم
بمعجل الحساب والعقاب لكفرهم ولكن لما كان ذلك مستلزما لزوال التكليف
وهو خلاف الحكمة كان ابقاء التكليف اصلح لاجرم انه تعالى اخر هذا العقاب
الى الآخرة ثم قال هذا القائل ويدل على ذلك تصريحه بالوعيد على احتمال المكان من قبل
الكافرين والظالمين الثاني ولولا كلمة سبقت من ربك في انه لا يعجل للعصاة
بالعقوبة انعاما عليهم لقضي اليهم بينهم واصلا فيهم بما يستحقونه للحق من المطل والمضت
من الحكم على الثالث ان يقال الكلمة قوله سبقت رحمتي غضبي فلما كان رحمته
غالبة افضت تلك الرحمة العالية اسبال الستر على الحاصل الحال والامهال الى وقت الجزاء

قوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية
من المقترحات اعلم ان هذا الكلام هو النوع الرابع من شبهات القوم في انكارهم
نبوته ودلائلهم قالوا القرآن الذي جئت به كتاب مشتمل على انواع من الكلمات
والكتاب لا يكون معجزا الا ترى ان كتاب عيسى وموسى ما كان معجزا فلما كان
لها انواع من المعجزات دل على نبوته سوى الكتاب وانما تحدى العرب بالقرآن
من حيث كان معجزا نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا لولا انزل عليه آيات من ربه
الامر كذلك لاجرم طلبوا منه شيئا آخر سوى القرآن ليكون معجزا فحكى الله تعالى
ذلك عنهم بقوله ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فامر الله رسوله ان يقول عند
هذا السؤال انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين واعلم ان الوجه
في تقرير هذا الجواب ان يقال اقام الدلالة القاهرة على ان ظهور القرآن عليه معجزة
قاهرة ظاهرة لانه عليه السلام مع انه نشأ بين اظهرهم وتربى بين اظهرهم وهم علموا انهم بطالع
كتابا ولم تلمذ لاستاذ بل كان مدة اربعين سنة معهم ومخالطا لهم وما كان مستعدا

بالمكر والمعلم فط فراند معجزة واسن ظهر هذا القرآن العظيم عليه وظهور مثل هذا
الكتاب الرفيع العالي على مثل ذلك الانسان الذي لم يتعلم شيئا من اسباب المعلم لا يكون
الا بالوحي فهذا برهان قاهر على ان القرآن معجز قاهر ظاهر واذا ثبت هذا فنقول طلب
الله اجرى سوى القرآن من الافتراحات التي لاجاحد اليها في اثبات نبوته وتقرير
رسالته ومثل هذا يكون موضوعا الى مشيئة الله تعالى فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها
وهكذا في سائر المعجزات العسفوصة على كل احد ان يتطوانه هل يفعله الله ام لا ولكن
سواء فعل او لم يفعل فقد ثبتت النبوة وظهر صدقه في ادعاء الرسالة ولا تحيلف هذا
المقصود بحصول تلك الزيادة وبعد هذا ظهر ان هذا الجواب جواب ظاهر في تقرير
هذا المطلوب **قوله تعالى** واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مسهم اذا لهم
مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ه في الآية
مسائل المسئلة الاولى اعلم ان القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية اخرى سوى القرآن واجابهم الجواب الذي ذكرناه وهو قوله انما الغيب
لله فذكروا جوابا اخر وهو المذكور في هذه الآية وتقرير من وجهين الاول
انه تعالى بين في هذه الآية ان عادة هؤلاء الاقوام المكر والنجاح والعصيان وعدم
الانصاف واذا كان كذلك فالمستعد ان يعطوا ما سألوا من انواع المعجزات اجرى
فانهم لا يؤمنون بل يستمرون على كفرهم وجهلهم فتقترحاتهم الى اي حد تزايد
ان عادة هؤلاء الاقوام المكر والنجاح والعصيان معها الى اتيانه متى كان
الامر كذلك لم يحسن في الحكمة اظهار سائر المعجزات فهذا هو المقام الاول
والمقام الثاني ان نقول ان الله تعالى سلط القحط على اهل مكة سبع سنين ثم رحمهم
وانزل الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانواء والكواكب
او الى الاصنام واعلم انه تعالى ذكر هذا المعنى بعينه فيما تقدم من هذه السورة
وهو قوله واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا
عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه الآية ثم ان الله تعالى زاد في هذه الآية التي نحن في تفسيرها
دقيقة ما ذكرها في تلك الآية وتلك الدقيقة هو انهم يمكرون عند
زوال المحنة ويطلبون الحوائل في المحنة المتقدمة ما كانت هذه الدقيقة

مذكورين فنقول عادتي ان اعادة هولاء الاقوام الملاحدة والعلماء والملوك وطلاب الفوائد
امّا المقام الثاني وهو بيان انه متى كان الامر كذلك فلا فائدة في اظهار سائر
الآيات لانه تعالى لو اظهر لهم جميع ما طلبوه من المعجزات الباهرة فانهم لا يقبلونها
لانه ليس عنادهم من هذه الاقتراحات السديدة في طلب الدين وانما عنادهم للدين والمنع
والممانعة في صون مناصبهم الدنيوية والاستغناء عن المتابعة للغير والذل
على انه تعالى لما شدد الامر عليهم وسلط اللاعلية عليهم ثم ازالها عنهم وابدل تلك الحالة
بالخيبة معهم مع ذلك اسرعوا الى التعنت والجحود وهذا يدل على انه تعالى لو انزل عليهم
الآيات التي طلبوها لم يلتفتوا اليها فظهر بما ذكرنا ان هذا الكلام جواب
قاطع عن السوال المتقدم الوجه الثاني في تقرير هذا الجواب ان اهل مكة
قد حصل لهم اسباب الرفاهية وطيب العيش ومن كان كذلك اشتد حرصه وعظم
فرحه بما حصل له من الاعراض الفاسدة وقد تعالى هذا المعنى بالمثال المذكور
فاذا تعالى الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقد تعالى هذا المعنى بالمثال المذكور
فاقدامهم على طلب الآيات الزائدة والاقتراحات الفاسدة انما كان لاجل ما هم فيه
من النعم الكثيرة والخيرات المتوالية وقوله قل الله اسرع مكرا
كالتنبيه على انه تعالى يزيل عنهم تلك النعم ويجعلهم مستأنسين للرسول مطمئنين
له تارة بعد تارة بالاعتراضات الفاسدة المشتملة الاستهزاء وقوله تعالى واذا اذقنا
الناس رحمة فرحوا بها الآية تقدم الكلام على سبيل الاستقصاء في تفسير هذه الآية
الناس رحمة فرحوا بها الآية تقدم الكلام على سبيل الاستقصاء في تفسير هذه الآية
ان رحمة الله لا تنافي بالنعم وانما تنافي بالعقل وذلك يدل على ان القول بوجود السعادات
الروحانية حق المسئلة الثالثة قال الزجاج اذا في قوله واذا اذقنا الناس
سارعة في المشروط واذا في قوله اذا لهم مكر وجواب الشرط وهو قوله وان بعضهم
سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون والمعنى اذا اذقنا الناس رحمة مكروا وان
يصبهم سيئة يقنطوا واعلم ان اذا في قوله اذا لهم مكر وان بعد المفاجاة ومعناه
انهم في الحال اقدموا على المكر وسارعوا اليه المسئلة الرابعة سمى كيدهم
اياتنا الله مكرا لان المكر عبارة عن ايصال الشر الى غير وجه الظاهر بطريق الخفية
وهو لا يحسن الا من الله وكل ما تعذرون عليه من القبائح شبهه او تخليط في
مساطن او غير ذلك من الصور الفاسدة فالمراد من هذا المكر ان هولاء الكفار

هذا رد لقولهم سنتيانوكذا ما قوله تعالى اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما
تمكرون فالمعنى ان هؤلاء الكفار لما قابلوا انعام الله بالمكر فالله سبحانه
قابل مكرهم بعذاب اشد منه لذلك وهو من وجهين الاول ما اعد لهم من
يوم القيامة من العذاب الشديد وفي الدنيا من الفضيحة والخزي والنكال والبلايا
ان رسل الله يكتبون مكرهم ويحفظونه ويعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيثة يوم
القيامة ويكون سببا للفضيحة التامة والخزي والنكال **قوله تعالى**
هو الذي يسيركم في البر والبحر الى قوله فتنكم عما كنتم تعملون اعلم انه تعالى
لما دل بما ذكر انه قد اذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا كان
هذا الكلام كلاما مجملا لا يكشف عما هو المراد الا بكشاف الاذى وهو
مثال كامل مذكور الله تعالى لنقل الانسان من الضر الشديد الى الرحمة سالما ولمكر
الانسان مثالا حتى يكون هذا الامر بحال المشاهدة لا بد قبلها ودلك ان
المعنى الكامل لا يصل الى افهام السامعين الا بمثال جلي واضح يكشف
عن حقيقته ذلك المعنى الخفي واعلم ان الانسان اذا ركب السفينة ووجد
الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل السعي التام والمشي للقوي ثم قد
يطرأ عليها امارات الهلاك دفعة واحدة فاولها ان يجيئهم الرياح العاصفة الشديدة
وثانيها ان يأتيهم الامواج العظيمة من كل جانب فيعلمون ان الهلاك
واقع وان النجاة ليست موقعة فلا تبقى الاشعال من تلك الاحوال الطيبة
المواتية الى هذه الاحوال العاصفة الشديدة توجب الخوف العظيم والرعب
الشديد وانما شابهت هذه الاحوال والاهوال في البحر مخصوصة بالنجاة مزيد
الرعب والخوف لان الانسان في هذه الحالة يقطع الامل فضل الله تعالى ورحمته
ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ويصير تعلقه وروحه وجميع احواله منصرفا
الى الله عند اذا اجاءه الله من هذه الشدة العظيمة ونقله من هذه الحالة الموتة الى
الخلاص والنجاة فحينئذ ينسى تلك النعمة ويرجع الى ما الفه واعتاد من الاعتقاد الباطل
والاخلاق الذميمة وظهر انه لا معنى لتقرير ذلك المعنى المذكور في الآية الا المقدمة
بمثال احسن واكمل من المثال المذكور المسلم الناس على ان حال الانسان

لجعفر الصادق وقد ذكر طلبا في اثبات الصانع وقال الجعفري من جعل صانعا فانه جعل البحر في البحر
فقال اصغر الجعفري جاهل يكلم المعتزلة فانكر الشفعة وتشغل الوجي واحدوث الاولها
وبانا الرابح العاصفة فقال جعفر فصل وجد شفعي قلت نصر عاد وعاد فقال نعم وقال جعفر
ما الملك هو الذي تصرعبة المعهود لك الوقت المسئلة الثالثة قرأ ابن عامر نشركم ما الشر
الذي هو خلاف الطي كانه اخذ من قوله تعالى فانتشروا في الارض والباقون
قرأوا نسيركم من التسيير المسئلة الرابعة احتج اصحابنا بهذه الآية على ان فعل
العبد يجب ان يكون خلقا لله بقوله تعالى والوادي هذا لا يتم على مذهب المعتزلة
ودل قوله تعالى قل سيروا في الارض على ان سيرهم منهم وهذا يدل على ان سيرهم منهم وبارادة
تعالى ومعلوم كسبا لهم وخلقا لله وتطرق قوله تعالى كنا ارجل لك من سبك بالحق وقال
في انه اجري اذا رجعه الذين كفروا وقال في انه اجري فلم يحكوا فلما امر قال
وانه هو اضحك وابكى وقال في انه رابعة وما رميت اذ رميت قال الجبائي اما كونه
تعالى مسيرا لهم في البحر على احتمله فلا مرتكب لك واما تسييرهم في البر فانما اضيف الى الله تعالى
على التوسع فما كان منه طاعة فامر وتسهيله وما كان معصية فلانه تعالى
هو الذي اقدر عليه واراد الماضي فيه يجوز ان يضاف الى الله تعالى من حيث انه تعالى
سخر لهم الراكب في البر وسخر لهم الارض التي سهلوا عليها بامساكه ايانا له تعالى
لو لم يفعل ذلك لتعذر عليهم السير قال المقال هو الذي يسيركم في البر والبحر ظلنا
لمعاش وهو المسير لكم لاجل انه هيأ لكم اسباب ذلك السير هذا جملة ما قيل في
الجواب عنه ويمكن ان يقول لا شك ان المسير في الحقيقة هو الله تعالى لانه تعالى هو المحدث
لتلك الحركات في تلك السفينة ولا شك ان اضافة الفعل الى الفاعل هو الحقيقة ويقول
وحينئذ ايضا ان يكون مسيرا لهم في البر بعد التسيير اذ لو كان مسير الجسم في البر يعني
اعطاء الآلات والادوات لكان مجازا ولزم كون اللفظ الواحد حقيقة ومجازا
دفعة واحدة وذلك باطل واعلم ان مذهب الجبائي انه لا امتناع في كون اللفظ الواحد
حقيقة ومجازا بالنسبة الى المعنى الواحد واما ابو هاشم فانه يقول ذلك ممتنع
الا انه يقول لا بعد ان يقال ان الله تعالى فعل بعض من واعلم ان ابو الجبائي
قد ابطله في اصول الفقه وقوله في هاشم لله تعالى ان يكلم بعض الصاعقة لان هذا

اي

منه ص
الى الله هو الذي
الا ان التسيير الله

قوله لم ينقل به احد من الامة ممن كان قبله فكان هذا على خلاف الاجماع فيكون باطلا
واعلم انه بقي في هذه الاية سؤالات السوال الاول لم جعل الكون في افلاك عامة للتسيير في البحر والجواب لم يجعل الكون في افلاك عامة للتسيير بل لتقدير العالم
كانه قيل هو الذي يسيركم حتى اذا وقع في جملة تلك التسيارات الحصول في الفلك كان
كذا وكذا السوال الثاني ما جواب اذا في قوله حتى اذا انتم للجواب
ان جوابها هو قوله جاءتها ريح عاصف ثم قال صاحب الكشاف واما قوله دعوا الله
فهو بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم وقال بعض الافاضل لو جعل قوله دعوا الله
على الاستيناف فكان اوضح كانه لما قيل جاءتها ريح عاصف وصارم الموج من كل مكان
وظنوا انهم احيط بهم قال قايل فما صنعوا فقيل دعوا الله السوال الثالث
ما الفائدة في صرف الكلام عن لفظ الغيبة الى الخطاب الغيبة للجواب فيه وجوه الاول قال
صاحب الكشاف المقصود هو المبالغة كانه تعالى يذكر حالهم لغيرهم ليعجبهم
منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح الثاني انه نوع من الجفاء لمخاطبته تعالى
لعباده بحكاية المسافرين المذكورة فهو ممنوع عن العتاب وكل من اقام العاتب مقام
المخاطب حسن منه ان يرده من اخرى الى العتاب الثالث وهو الذي خطر بالبال
في الحال ان الانتقال في الكلام من لفظ الغيبة الى لفظ الحضور يدل على مزيد الغضب
والانكار لما ذكرناه في اصل وهو الانتقال من لفظ الحضور الى لفظ الغيبة فانه يدل على اللعن
والتبعيد اما الاول فكما في سورة الفاتحة فان قوله الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم كله خطاب للعبد ثم انتقل من مقام الغيبة الى مقام الحضور وهو
يوجب علو الدرجة وكمال القرب من حضرة رب العالمين واما الثاني فكما في هذه الاية
لان قوله اذا كنتم في الفلك خطاب الحضور وقوله وجرين بهم خطاب الغيبة فهاهنا
انتقل من خطاب الحضور الى خطاب الغيبة وذلك يدل على اللعن والتبعيد والطرد وهو
اللائق بهؤلاء وحالهم لان من كان صفته انه يقابل احسان الله اليه بالكفران كان
اللائق به ما ذكر في هذه الاية السوال الرابع كم العقود المعتبرة في الشرط والعقود
المعتبرة في الجزاء الجواب اما العقود المعتبرة في الشرط فثلاثة اولها الكون
في الفلك وما جرى لهم بالريح الطيبة والبحر الهائج وهم فيها واما العقود

المذكور في الجواب فلا تعد ايضا اولها بقوله حاجتها ريح عاصف وفيه سؤالان السؤال الاول
الضمير في قوله حاجتها عائد الى الملك وهو صيغة الواحد والضمير في قوله وجنود عائد الى
الملك وهو صيغة الجمع فما السبب فيه للجواب عنه من وجهين الاول سلمنا ان
الضمير في قوله حاجتها عائد الى الملك لم لا يجوز ان يقال انه عائد الى الريح الذكورة في
قوله فجرين بهم بريح طيبة الثاني لو سلمنا ما ذكرتم من ان لفظ الملك يصلح للواحد والجمع
فلم خص الضمير السوال الثالث ما الفائدة في وصف الريح بكونها عاصفة الجواب قال الفراء الريح
تقال ريح عاصف وعاصفة وقد عصفت عصوفا واعصفت وهي معصفة وعصفت
قال الفراء الاعصاف في اللغة في اشد وفي معنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف هو
السرعة يقال ناقة عاصف وعصوف اذا كانت سريعة الحركة وانما قيل ريح عاصف
لانه يراد بها تعصف كما قيل لابن وتامر لاجل ان لفظ الريح مذكر واما التقييد بالغدو
وهو قوله وجاءهم الموج من كل مكان والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر واما
العدوان الثالث فهو قوله وظنوا انهم احيط بهم والمراد انهم ظنوا القرب
من الهلاك واصله ان العدو اذا احاط بقوم او بلد فقد فاتوا من الهلاك السوال الخامس
ما المراد من الاخلاص في قوله مخلصين له الدين في الجواب قال ابن عباس يريد ان
تركوا الشرك ولم يشركوا به من الصنم شيئا وقوله بالله وصفوا الوهيته قال الحسن
دعوا الله مخلصين له الدين لا لاحد من الناس لان اجل العلم بانه لا كاشف لهم من الله الا الله
فيكون ذلك جاريا مجرى الالجاء الاضطراري قال ابن زيد هو كقوله المشركون يدعون
مع الله ما يدعون فاذا احاط الضر بهم لم يدعوا الا الله وهذا يدل على ان الله امن ذلك
الدعاء قولهم لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين السوال السادس ما الشيء
المشار اليه بقوله هذه في قوله لئن انجيتنا من هذه الجواب الانجاء من هذه الريح
العاصفة وقيل المراد لئن انجيتنا من هذا الموج ومن هذه الشدائد وهذه
الالفاظ وان لم يسبق ذكرها الا انه سبق ذكر ما يدل عليها السوال السابع
هل يحتاج في هذه الآية الى اضمار الجواب نعم والتقدير دعوا الله مخلصين
له الدين مريدين لهم يقولوا ان انجيتنا وعلى ان يقال لا حاجة الى الاضمار لان قوله

او هو

دعوا الله لصبي معتل العقل لعل الحياء من هذا لكون من الشاكرين فهم في الحسنة
ما قالوا الا هذا القول واعلم ان تعالى لما حكى عنهم هذا التعرض الكامل من انهم بعد
الخلاص من آل الليلة والمحنة اقدموا في الحال على البغي في الارض بغير الحق قال
ابو عباس يريد الفساد والتكذيب والالحاد على الله ومعنى البغي قصد الاستعلاء
بالظلم قال الرجل البغي الذي في الفساد قال الاصمعي يقال بغى الجرح يبغي بغيا
اي برى الى الفساد وبغت الماء اذا اسدت وخرجت الواحدي واصل هذا اللفظ من الطلب
فان معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون الا كذلك فلم قيل البغي قد
يكون بالحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفر وصدهم دورهم واموالهم وعلم
اصحابهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة فانه تعالى بين ان هذا البغي امر
باطل يجب على العاقل ان يحترز منه فقال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا
فيه مسائل المسئلة الاولى قرأ ابو بكر وابن عامر برفع البغي وقرأ الباقون عن
عاصم متاع بنصب البغي اما الرفع فمنه وجهان الاول ان يكون قوله بغيكم على
انفسكم مبتدا وقوله متاع الحياة الدنيا خبره والمراد من قوله بغيكم على انفسكم
بغي بعضهم على بعض كما في قولنا قتلوا انفسكم ومعنى الكلام ان بغي بعضكم على
بعض منفعة الدنيا ولا بقاء لها والثاني ان قوله بغيكم مبتدا وقوله على انفسكم
خبره وقوله متاع الحياة الدنيا خبر مبتدا محذوف والمقدر هو متاع الحياة الدنيا
واما القراءة بالنصب فوجهان ان يقولان قوله بغيكم مبتدا وقوله على انفسكم خبره
وقوله متاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد والمقدر يتمتعون متاع الحياة الدنيا
المسئلة الثانية البغي من منكرات المعاصي قال عليه السلام اسرع الطاعة ثوابا
صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى عباد بن محمد الله في الدنيا
البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا
وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ... فارتع فخر تعالى المرء اعدله
لو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله

ومن محاسن كلام من كرمه الله عليه البغي والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم

المسئلة الثالثة حاصل الكلام في قوله يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اي لا سبيل الا بغي بعضكم على بعض لاجل اغراض قليلة دنيوية حاصلة مع قطعها وسرعة انقضائها فهو الناس الى الاقرار بوعد تام من المجازاة على افعالهم مرجعهم ومنقلبهم ماثم يعلمون في الدنيا والاخرة الاخبار وهو في هذا الموضع وعيد في العذاب لنزول الرجل لعن ساحتك ما فعلت لك **قوله تعالى** انما مثل الحياة الدنيا ابرادها من السماء الى قوله لقوم يتفكرون في هذه مسائل المسئلة الاولى اعلم انه تعالى لما قال انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل العجيب الذي ضربه لمن يغتر بالدنيا ويفتتن بها ويستدعيه بها وهو في غاية الصحة عن ابن عباس والضحاك قتادة انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض وهذا الكلام محتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى فاختلط بسببه نبات الارض والثاني ان يكون المعنى فاختلط نبات الارض بماء المطر ويشهد لهذا الثاني قوله اذا انزل المطر بها نبات كثير من النبات ويكون ذلك لانواع مختلفة وهذا انما يكون بانزال المطر والاول ان يكون المراد منه الذي يحكم الله به من غير نزول مطر ولم يذكروا ما هو على اول الوجهين من الخوض في احد وشد فاذا نزل المطر عليه واختلط بذلك المطر اي اشتبك بعضه ببعض احدهما لاجل هذا هو الدليل على ان المراد بالنبات ما يأكل الناس والانعام وحسن وكمل واكتسى كمال الزينة وهو المراد من قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس وفي هذا دليل على ان الزرع انما يحصد بعد ان يبلغ الغاية التي يكون عليها من كمال الزينة والحسن والبهجة والسرور وهذا يدل على ان ما ذكره الله تعالى من احسن الاشياء وابهجها وهو الزرع اذا اصابته آفة سماوية فهلك وذهب فانه يصير بحيث يغتم به المالك ويعظم حزنه وجزعه فيه وفي هذا تنبيه على ان الدنيا وان كانت بهذه الصفة فانها تزول سريعا وتفنى عاجلا وان الاغترار بها والركون اليها لا يليق بالعقلاء وفي هذا المثل تنبيه عظيم على ان الدنيا وان كانت بهذه الصفة فانها لا تنال الا بالاعمال الشاقة والمكاسب الصعبة فكيف يليق بالعاقل ان يترك الاعمال الشاقة في الآخرة التي يحصل بها الفوز بالجنة والخلاص من النار مع ان الآخرة خير وابقى ثم قال تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم والمقصود منه ان الله تعالى لما بين ان الدنيا سريعة الزوال قليلة المنافع بين ان الآخرة بخلافها في هذه الصفات فقال والله يدعو الى دار السلام وهي الجنة لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات ومن الموت والانتقال ومن الامراض والاسقام ومن الهرم والزمانة ومن الفقر والحاجة ومن كل ما يكره ويخاف ويحذر ثم قال ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفيه سؤالان الاول ان الهداية الى الجنة كيف تكون مختصة ببعض المكلفين دون البعض والجواب ان الهداية الى الجنة لا تحصل الا بالايمان والطاعة فلما كان الايمان والطاعة لا يحصلان الا لبعض المكلفين صح تخصيص الهداية بهم والسؤال الثاني ان الهداية الى الجنة كيف تكون مختصة بالمؤمنين والجواب ان الهداية الى الجنة لا تحصل الا بالايمان والطاعة فلما كان الايمان والطاعة لا يحصلان الا لبعض المكلفين صح تخصيص الهداية بهم

تعالى حتى اذا فرحوا ما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فوجههم الى الدنيا وقد انقضوا اعمارهم فيها وخاسروا من الاخرة معانهم توجهوا اليها والوجه الثاني والثلثون توجههم الى الدنيا في انه تعالى من اله كامل محصل لذلك فزرع عاقبه محمودة لعبده عند ذلك المعتبر بالدنيا المحصل لها وقد مثل الى ماعليه من عمل فجعلناه هباء منثورا فلما صار سعي هذا الزارع باطلا سبب حدوث الاسباب المهلكة فكذلك سعي المعتبر بالدنيا والوجه الرابع ان مالك ملك البستان لما عمرها بانعاب النفس وكد الروح وعلق قلبه على الاسباع مجاورا حدوث تلك الاسباب المهلكة صار العنا الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقاء له في المستقبل وهو ما يحصل في قلبه من الحسرات فكذلك حال من وضع قلبه على الدنيا واتعب نفسه في تحصيلها فاذا مات وفارق ما كان سعى العنا الذي تحمله في تحصيل الدنيا سببا لحصول الشقاء العظيم له في الاخرة والوجه الخامس لعله تعالى انما ضرب هذا المثل لمن يموت ومن المعاد وذلك لانا نرى الزرع الذي قد انتهى الى الغاية القصوى في الحسن يعرض للارض المرسلة فيه فيزول ذلك الحسن بالكلية ثم تصير تلك الارض موصوفة بتلك المرتبة من اجوى فذكر تعالى هذا المثال ليدل على ان من قدر على ذلك كان قادرا على اعادة الاحياء في الاخرة لمحاربهم على انهما لهما جبر لجبر وان يسترا مثل المسئلة الماضية المثل قول يشبه فيه حال الثاني بالاول ويجوز ان يكون المراد من المثل السعة والتقدير اما صفة الحياة الدنيا واما قوله وارتعاء الرجاج يعني يربت فاذا عمل فيها الماء في الزاوية وسكنا آفاخذ لها الى الوصل وهذا مثل ما ذكرنا في قوله اذا رأتهم اذا كانوا واما قوله وطن اصلها انهم قادرون عليها فعال من عباس يعني انا هل الارض قادرون على حصادها وحصل ثمراتها والتحقيق ان الضمير وان كان في الظاهر عائدا الى النبات الموجود في الارض واما قوله اتاها امرنا فعال عباس يريد عذابنا والتحقيق ان المعنى اتاها امرنا اهلاكها وقوله فجعلناها حصيدا قال عباس كالشئ منها وقال الضحاك يعني المحصود وعلى هذا المراد بالحصيد الارض التي حصد نبتها ويجوز ان يكون المراد بالحصيد النبات قال ابو عبيدة الحصيد المستأصل وقال غيره الحصيد المقطوع والمقلوع وقوله كان لم يغن بالامس قال الليث يقال للشئ

اذا فني كان له معنى بالامس اذ لم يكن من قولهم عفى القوم في ديارهم اذا اوطنوها وعلى هذا الوجه يكون هذا صفة الدنيا وقال الزجاج معناه كأن لم يعن بالامس وعلى هذا الوجه قال المراد انها تزول وقوله بعد ذلك يعني حصل الدنيا له الى ان يذكر لها من بعد الاخرة على التهديد ليكون حالها وكونها سببا لهوى النفس موجبا لزوال الشك في التهديد

قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفيه مسائل

المسألة الاولى في كيفية النظم اعلم انه تعالى لما ذم الغافلين عن الميل الى الدنيا بالميل الشديد رغبهم في الاخرة بعد الاجابة ووجه الترغيب في الاخرة ما روي عن النبي عليه السلام انه قال سيد كل دار اولها وضع بابه وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ورعى عسه فالسيد هو الله والدار الجنة والداعي محمد وعن علي عليه السلام انه قال ما يوم يطلع فيه الشمس وتغرب الا وبجنبتيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وقال عليه السلام لا شبهة ان المراد من دار السلام الجنة لانهم اجتلبوا الى السلام الذي لاجله حصل هذا الاسم على وجوه فالقول الاول السلام هو الله والجنة دار الله وعلى هذا يكون معنى السلام اسما من اسماء الله تعالى والسلام وفيه وجوه والجنة دار الله وتضاف اليه تشريفا لها كما يقال بيت الله وناقة الله والثاني ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه هو الذي سلم في ذاته وصفاته من الافتقار الى الغير وهذا الوصف ليست لاحد سواه كما قال الله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام والثالث ان السلام بمعنى المسالمة والله تعالى يوصف بالسلام لانه لا يحارب احدا بل كل ما سواه فهو ملكه ومملوكه والرابع ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والعاشر ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني عشر ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع عشر ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس عشر ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن عشر ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والعشرون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والعشرون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والعشرون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والعشرون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والعشرون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثلاثون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والثلاثون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والثلاثون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والثلاثون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والثلاثون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والاربعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والاربعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والاربعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والاربعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والاربعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخمسون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والخمسون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والخمسون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والخمسون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والخمسون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والستون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والستون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والستون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والستون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والستون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسبعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والسبعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والسبعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والسبعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والسبعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثمانون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والثمانون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والثمانون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والثمانون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والثمانون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتسعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والتسعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والتسعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والتسعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والتسعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والمائة ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والمائة ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والمائة ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والمائة ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والمائة ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والعشرة ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني عشر ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع عشر ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس عشر ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن عشر ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والعشرون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والعشرون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والعشرون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والعشرون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والعشرون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والعشرون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثلاثون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والثلاثون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والثلاثون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والثلاثون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والثلاثون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع والثلاثون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والاربعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والاربعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والاربعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والاربعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والاربعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والاربعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخمسون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والخمسون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والخمسون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والخمسون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والخمسون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع والخمسون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والستون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والستون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والستون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والستون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والستون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والستون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسبعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والسبعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والسبعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والسبعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والسبعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع والسبعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثمانون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والثمانون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والثمانون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والثمانون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والثمانون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والثمانون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتسعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والتسعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والتسعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والتسعون ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والتسعون ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع والتسعون ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والمائة ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والحادي والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني والمائة ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والثالث والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع والمائة ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والخامس والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس والمائة ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والسابع والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن والمائة ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والتاسع والمائة ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والعشرة ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والحادي عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثاني عشر ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثالث عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والرابع عشر ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والخامس عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسادس عشر ان السلام بمعنى التسليم والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والسابع عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والثامن عشر ان السلام بمعنى التحية والله تعالى يوصف بالسلام لانه يحيي اهل الجنة بالسلام قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تحيتهم فيها سلام والتاسع عشر ان السلام بمعنى السلامة والله تعالى يوصف بالسلام لانه يسلم اهل الجنة من الآفات والمخافات والعشرون ان السلام ب

سلم من كل الافات كالموت والمرض والالم والمصائب ونزغات الشيطان والكفر والبدعة والكذ
والتعيا مو[illegible] الثالث انه يسمى الجنة دار السلام لانه تعالى يسلم على اهلها قال تعالى
سلام قولا من رب رحيم والملائكة يسلمون عليهم ايضا كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب سلام عليكم بما صبرتم وهم ايضا يحيون بعضهم بعضا بالسلام قال تعالى تحيتهم فيها
سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فثبت بهذا ان اهل الدنيا اذا كانوا من اصحاب اليمين
فسلام الله عليهم في هذه المسئلة الثالثة اعلم ان كمال حد الله وكمال قدرته وكمال
رحمته لعباده معلوم فدعوته عبيده الى دار السلام يدل على انه دار السلام قد حصل فيها
ما لا رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم اذا استعظم شيأ وعبر عنه
وبالغ في وصفه لكان غيره كالدال على كمال حاله الشيء لا سيما وقد مدح الله تعالى هذا الكتاب
المقدس في وصف الجنة مثل قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبحسن وجه لعبيه فنحن نذكر ههنا كلاما على
في تقرير هذا المطلوب فنقول الانسان انما يسعى في تحصيل شيء لاجل انه يتوسل به الى شيء آخر
فالدنيا وما فيها من الاحوال فانما تطلب لاجل انها وسيلة الى شيء آخر وهو الجنة
اولها ان الانسان قد لا يجد كل ما يحتاج اليه في الدنيا فلعله لا يمكنه ان يتمتع بما يجمعه اما لانه
يضع عنه ظالم المال او لانه يحصل في يديه مرض يمنعه من الانتفاع به اما عذاب الاخرة
وكلما اكتسبه الانسان لاجل هذا اليوم فانه لا بد وان يتمتع به وبالجملة ان
تعذر ان يجد هذا الدنيا وتعذر عليه ان يتمتع بما له فان ذلك المانع محلوطه بالمضار والمتاعب
فان سعادات الدنيا غير خالصة عن الافات بل هي ممزوجة بالمضرات والاستعداد لها
ولذلك فان عليه السلام من طلب عالم خلو اعتقاده وليس طريق سبيل هو سهل ودوم تمامه
واما نافع هذا الاخرة وهي خالصة عن العيوب والهموم والاحزان سالمة عن كل المكدرات
ودوامها ان يعتقد ان يصل الانسان الى هذا الدنيا ويتمتع بها عمره وهذا الاستعداد
الاستمتاع حالها عن هذه الافات لانه لا يمكن ان يكون منقطعا ومانع الاخرة
دائم مبرأة عن الانقطاع فثبت ان سعادات الدنيا بالنسبة الى سعادات الاخرة كالعدم بالنسبة
الخمر سالمة عنها فهذا السبب الخامس الذي لاجله دار السلام المسئلة الرابعة احتج اصحابنا بهذه
الآية على ان الكفر والايمان بقضاء الله تعالى من وجوه الاول انه تعالى لما ادعى جميع الخلق
الى دار السلام ثم بين انه ما هدى الا بعضهم علمنا ان هذا الهدى ما كان حاصلا

لما كان الدعوة العامة ولما كان ايضا ان الانذار والتبكير ارسال الرسل وانزال الكتب امور محببة
موجبا ان يكون هذه الهداية الخاصة معانا لكل هذه الاشياء المحبوبة
بل انه تعالى خصه بالعلم والمعرفة دون غيره واعلم ان هذه الاية تدل على المعتزلة وعلى
قدرة العبد على ايجاد افعاله الكسبية وحاصل ما ذكره القاضي وجهان الاول
ان يكون المراد وهدى الله من شاء اجابته لكل الدعوة يعني ان من اجاب الدعاء واطاع
واتقى وان الله يهديه الجنة والثاني ان المراد من هذه الهداية الالطاف واجابة
اصحابنا عن هذين الوجهين بحرف واحد وهو ان نحمد كم صلى الله تعالى وعلى هذا
الهداية وما كان واجبا لا يجوز تعلقها بالمشيئة فامتنع حمله على ما ذكرتموه

قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون ○ اعلم ان تعالى لما دعا عباده الى دار السلام ذكر السعداء
التي تحصل لهم فيها فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة فيحتاج الى تفسير هذه الالفاظ
اللام اما اللفظ الاول وهو قوله للذين احسنوا الحسنى فعال عباس معناه للذين كانوا
كلمة لا اله الا الله وقال الاصم الدين في كل ما تعبدنا به ومعناه انهم اتوا بالمامور
به كما سمع واحسنوا المنهيات من الوجه التي صارت منهيا عنها والقول الثاني
اقرب الى الصواب لان الدرجات العالية لا تحصل الا لاهل الطاعات واما اللفظ الثاني
وهو الحسنى فعال عباس اراد بالحسنى الجنة وفي اللغة ما تناهى في الحسن والعرب توقع هذه
اللفظة على غاية الصورة والخصلة المرغوب فيها والكلام يوصف بها ولهذا سمي عيسى وقال صاحب
الكشاف المراد بالمثوبة الحسنى وتطيرها هنا لانه قوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان واما
اللفظ الثالث فهو الذي نقول هذه الكلمة مبهمة ولاجل هذا اختلف الناس
في تفسيرها وحاصل كلامهم يرجع الى قولين احدهما المراد منها رؤية الله تعالى والثاني
والدليل عليه النقل والعقل اما النقل فالخبر الصحيح الوارد فيه هو ان الحسنى
هي الجنة والزيادة هي النظر الى الله واما العقل فهو ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها
حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق المسلم في المقرر عند اهل الاسلام وهذه اللفظة
هو الجنة وما فيها من المنافع العظيمة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة
كل ما في الجنة من المنافع والتعظيم والدليل العقلي والدليل النقلي اما العقلي فهو ان

اعطك الى عشر وامنا من الخشية وزيادة فيها اعني ان يكون ذلك الزيادة من الاعطاء مثال الباقي

قوله اعطيك وزيادة فيها اعني ان يكون ذلك الزيادة غير الخشية والمذكور في هذه

الآية لفظ الخشية وهي الخوف وهي مطلقة عن معدر يتقدر بمعنى وجملة ان يكون

الزيادة عليها شيأ معادا الى الاعطاء لا الى الخشية اما قوله للمشار اليه المذكور في هذا الباب

اشتمل على لفظ الامر وعلى اسناد الوجه الله تعالى وعلى اسناد الخشية الى العبد

هذا الخبر افاد اثنا عشر وجها فاذا اثنان في الخشية فمن ترك العمل بما قام الدليل على ان الله تعالى امر بخشيته

ولم يعم الدليل على امتناع وجوبه فوجب ان يترك العمل بما قام الدليل على انه امر به

فهذا يدل على ان لفظ هذه الآية يدل على الامر وعلى الوجوب وعلى الفور وعلى المرة

واعلم انه تعالى لما امر بالخشية ذكر ما يحصل لاهل الخشية من السعادات فذكر اولا

التي سماهم الله بفضله عنها فعال ولا يرهقون وجوههم قتر ولا ذلة والمغفرة لا يرهقون

بعشاها قتر ولا غبرة منها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان او خشوع وذل لاحد

هي قوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة والاصل في الباب ان قوله

تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة والعرض من نفي هاتين الصفتين نفي اسباب

الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم ان نعيمهم الذي اكرمهم الله تعالى خالص عن شوب المخاوف

وانه لا يحزن عليهم ما اذا حصل فيه شيء من هذه الوجوه وبدل ما منها من المعاني والطلاوة

عم بين انهم سالمون في الجنة لا خائفون انقطاع واعلم ان على الاصول قالوا

النواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله والله يدعوا الى دار

السلام يدل على عالية المعظم وقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة يدل على حصول المنفعة

فقوله والذين هم وجوههم غير مرهقة ذلة يدل على كونها خالصة وقوله

اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اشارة الى كونها دائمة آمنة من الانقطاع

قوله تعالى والذين كسبوا السيئات الآية في الآية مسائل المسألة الاولى

انه تعالى لما شرح حال المحسنين في الآية المتقدمة شرح حال المسيئين وهاهنا

الآية وذكر تعالى من احوالهم امورا اربعة اولها قوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى

من هذا النسق على العرف في الجزاء لم يسم تعالى فاعله ذكر امرا لا يجازى الا بالمثل

ان المستعمل هنا النواب مع الجزاء واما في عمل السيئات فانه ذكر امرا لا يجازى الا بالمثل

والترغيب في الطاعة واما الاباحة فعلى قدر الاستحقاق فهو ظلم ولو فعله لبطل الوعد والوعيد
والترغيب والتحذير لان الكذب لما حصل اذا ابتدر حكمه ولو فعل الظلم لبطل
حكمته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله العاصي يغفر له على مذهبه وبالعكس
قوله تعالى ويرضهم خلافه وذلك كله عن المعتزلة والتحقيق واعلم ان الكمال
محبوب بذاته والنقصان مكروه لذاته فالانسان اذا عصى اذا مات بغير توبة
ناقصة خالية عن الكمالات فتكون معدومة بعدومة ناقصة استحق الخلود في الدرك
والجزي والنكال وبالعكس قوله مالهم من الله من عاصم واعلم انه لا عاصم والله
في الدنيا ولا في الآخرة فان قضاه محيط جميع الكائنات مقدر ما قدر في كل المحدثات
الا ان الغالب على الطباع العامية انهم في الحياة الدنيا الغافلة مشتغلون
باعمالهم ومرادهم اما بعد الموت ففي كل احد يقول به ليس له من الله عاصم
وبالعكس قوله كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما والمراد من
هذا الكلام والمراد اثبات ما نفاه عن السعداء حيث قال ولا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة واعلم ان حكما للاسلام قالوا المراد من هذا السواد المذكور
ههنا سواد الجهل وظلمة الضلالة فان العلم طبعه طبع النور والجهل طبعه طبع
الظلمة مقوله وجوه يومئذ ناضرة مسفرة المراد منه نور العلم ورونقه
وبشره وبشارته وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة المراد منه
ظلمة الجهل وكدورة الضلالة المسئلة الثانية قوله والذين كسبوا
السيئات منه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على قوله للذين احسنوا
الحسنى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها والثاني ان يكون التقدير وجزاء
الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها على معنى ان جزاء سيئة جزاء يساويه
لئلا تنتظم المجازاة عليها وهذا يدل ان حكم الله في حق المحسن وفي حق المسيء ليس
الحال العدل المسئلة الثالثة قال بعضهم المراد بقوله والذين كسبوا السيئات
الكفار واجمعوا على ان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله تعالى
واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وكذا قوله وجوه يومئذ عليها

عن ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ولانه تعالى بعد هذه الآية يقول يحشرهم
جميعا والضمير في قوله ثم عائد الى هؤلاء الذين نورد سلطان العلوم والمعارف
هو معرفة الله تعالى وكل علم حصل فيه معرفة الله تعالى لم يحصل فيه الظلمة اصلا هم
وقال السيلي رحمه الله عليه بمثل هذا السؤال

فصل بتنا نرى ساكنة عن محتاج الى الشرح

وجهل المأمول محتما نوم ما في الناس ناجح الاكام والعاشق الدانا
قال الفاضل قوله والذين كسبوا السيئات عام مخصوص بقوله ولا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة والمراد من السيئات الكفر والمعاصي الدالة على الكفر
قال الغزالي في قوله جزاء سيئة بمثلها وجهان الاول ان يكون المقدر فلهم جزاء السيئة
بمثلها كما قال فمن عفا واصلح فاجره على الله والثاني ولا يبعد من غاية الوصول فالمقدر
فجزاء سيئة منهم سيئة بمثلها واما قوله ولا يرهقهم ذلة وترهقهم ذلة بالتاء فلان قوله
جزاء سيئة بمثلها اسند ترهقهم ذلة بالتاء اما قوله تعالى
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما فقد مر مسائل المسئلة الاولى اغشيت
اي البست وجوههم قطعا وقرئ كسفا والكسف السقوط الطاوسي قال يقال للعبد القطاع
القوله لسقوط الطا المقطعة وهي المقرفصة وقوله تعالى فاسرى باهلك بقطع من الليل
اي قطعة واما قطع بفتح الطا وهو جمع قطعة ومعنى الآية وصف وجوههم بالسواد
حتى كانها البست سوادا من الليل كقوله تعالى في الذين كفروا على الله وجوههم
مسودة وكقوله واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله الغبرة
بعد ايمانكم بغبرة والظلمة والسواد لا يسمى بهما وذلك لعلاقة ما بين سواد الوجه وقترة الغبرة
المسئلة الثانية قوله مظلما قال الفراء والزجاج هو نعت لقوله قطعا وقال
ابو علي للفارسي ويجوز ان يكون حالا كانه قيل اغشيت وجوههم قطعا من الليل
في حال ظلمته قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا يقول للذين اشركوا الزموا
في الآية مسائل المسئلة الاولى اعلم ان هذا نوع آخر من شرح مصالح اولئك
الكفار والضمير في قوله ويوم نحشرهم عائد الى الذين كسبوا السيئات وذلك هو قوله
والذين كسبوا السيئات فلما وعد الله هؤلاء الذين شرح لهم النزل والكرامة على ان

على ان المراد من قوله والذين كسبوا السيئات الكفار وحاصل الكلام انه تعالى يحشر
العابد والمعبود فيراد المعبود بهم اعم العابد وبهما معا فعلا دل بعلمه واراده
والمقصود منه ان القوم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبين الله تعالى
انهم لا يشفعون لهؤلاء الكفار لانهم يتبرؤن منهم وذلك يدل على بطلانه بالجزء والكلال
في حق هؤلاء الكفار ونظير اثبات هذا قوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا وقوله تعالى ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
كانوا يعبدون فقالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واعلم
ان هذا الكلام يشير على سبيل الرمز الى دقيقة غفلت عنها وهي ان ما سوى الواحد
الاحد الفرد الصمد ممكن لذاته والممكن لذاته محتاج بحسب ماهيته والشيء الواحد
يمتنع ان يكون قابلا وفاعلا معا ما سوى الواحد الاحد الحق لا قابل له في
الاحاد والتكوين والممكن المحدث لا يمكن ان يكون معبودا الا على سبيل
الخيال ليس الا الموجود الذي هو الموجود الحق الذي هو واجب الوجود لذاته
فقوله المعبود من العابد يحتمل ان يكون المراد منه ما ذكرناه المسئلة الثانية
الحشر الجمع من كل جانب الى موقف واحد وجمعا على الحال اي يحشر الكل حال
اجتماعهم ومكانكم منصوب باضمار الزموا والتقدير الزموا مكانكم وانتم تأكيد
للضمير المرفوع المستكن في مكانكم وشركاؤكم عطف عليه واعلم ان قوله مكانكم كله محتمل لان يكون
للزجر والوعيد والمراد انه تعالى يقول للعابدين والمعبودين من مكانكم اي الزموا مكانكم
حتى تسألوا ونظير قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من
دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون واما قوله فزيلنا بينهم
فمعناه عزلنا المحدث الاول لان فعل اللفظة جاء على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول
وهو مطرد والسبب فيه ان الذي حكم الله فيه انه سيكون صار كالكائن الواقع
الآن ونظير قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فزيلنا بينهم وميزنا قال
الفراء قوله فزيلنا ليس من زلت انما هو من زلت اذا فرقت يقال للمتحول المتميز
المعتزل قد زال ومنه تحاز فلم يمتز يقال الواحدي قال الليث والزيل والزيال
والمزايلة مصدر قولك زايلت الشيء مزايلة وزيالا وحكى الواحدي عن ابن قتيبة في

في هذه الآية هو من قول الرسول وانه انام يكن عن الهوى كما قال هذا غلط لان سيبويه
قال يقول وقال الخليل ومنهما بون بعيد والقول ما قاله الفراء قال المعتزلة ويدل على ان
من المشركين شركاءهم من الاصنام والشياطين ما قطعوا به من التواصل في الدنيا
واما قوله وقالوا شركاؤهم ما كنا نعبدهم فسيجيء مباحث البحث الاول
انهم جعلوا الصنام او الهوى للاصنام فصح ان يقال لهم شركاء لانعامهم في بعض الاحوال
فلهذا قال وقالوا شركاؤهم الثاني انه يكفي في الاضافة ادنى تعلق فلا ان يحصل
بين الدين ادعوا هذه الشركة لاجرم حسنت اضافة الشركاء اليهم الثالث انه تعالى لما
حاسب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم انتم وشركاؤكم صار الشركاء في هذا الخطاب الثاني
اصنامهم فما المراد بقولهم الشركاء قال بعضهم هم الملائكة واستشهدوا بقوله تعالى
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وهم قالوا
هذا ضعيف لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد والوعيد ولا يليق
ذلك بالملائكة المعرض بعضهم ان هذه الاصنام لما ذكرت هذا الكلام معالا يعقلهم
ان الله تعالى خلق الحياة والعقل والنطق فيها فلاجرم قدروا على ذكر هذا الكلام وقال
اخرون انه تعالى خلق فيهم الكلام من غير ان خلق فيها الحياة حتى سمعوا منهم ذلك الكلام
وهو ضعيف لان ظاهر قوله وقال الشركاء يقتضي ان يكون ما قبل ذلك القول هم الشركاء
فان قيل اذا اضاهم الله فكيف يصح منهم قلنا الحل يحتمل ان يكون الامر اضيف الى الله
في شيء من افعاله واحوال القيامة ليس معلوما لاحد الا لعلم الذي لم يعلم الله عنها في القرآن والقول
الثالث المراد بهؤلاء الشركاء كل من عبد من دون الله من صنم وشمس وقمر او مسيح
وعزير وملك البحث الثالث هذا الخطاب لا شك انه تهديد فمن هو العابد حتى يكون
تهديدا في حق المعبود فلهذا المعتزلة فانهم قطعوا بان هذا لا يجوز فالوا لا شك ان
للمعبود في الجملة ذنب له فانه يصح من الله ان يوجه التخويف والتهديد والوعيد الله وانما
احتاجوا فانهم قالوا الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون البحث الرابع ان
الشركاء قالوا اما نحن فما كنا نعبد وانتم كانوا قد عبدتموهم وعلى هذا احد اولا ذكرنا
في سورة الانعام احتجاج الماتن في ان اهل القيامة هل يعلمون ام لا وقد بينا هناك
المسئلة على الاستقصاء والذي يذكر ههنا ان منهم من قال المراد من قولهم ما كنا نعبدون

هو انكم ما عبدتموها بامرنا وارادتنا فالوا والدليل على ان المراد ما ذكرناه وجهان الاول انهم
استشهدوا بالله في ذلك حيث قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فلو كان المراد ان
كفرهم اعني عبادتهم للغافلين فانبوا لهم عبادة الاصنام زعموا انهم كانوا غافلين عن ذلك
العمل وقد صدقوا في ذلك لان من اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا تتحرك ولا تسمع
البتة ومن الناس من اجرى الآية على ظاهرها وقالوا ان الشركاء انجروا ان الكفار
ما عبدوهم وهذا ضعيف من وجوه الاول ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة
فذلك الكذب يكون جاريا مجرى الكذب بالصبيان والمجانين والمدهوشين والثاني انهم
ما اقاموا الاعمال الصعبة وراء وجعلوها لبطلانها بالكلية فهذا المعنى قالوا انهم
قالوا ما عبدونا الا لشهواتهم الاصنام التي عبدوها صفاتها كحسن
وجمال صفة اما عبدوا ذواتها موصوفة بتلك الصفات ولما بطلت ذواتها خالية عن تلك الصفات
فهم عبدوها او اما عبدوا امورا يتخيلونها ولا وجود لها في الاعيان وتلك الصفات
التي يتخيلونها في اصنامهم انها تضر وتنفع وتشفع عند الله تعالى بمراده والله اعلم

قوله تعالى هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق
وضل عنهم ما كانوا يفترون اعلم ان هذه الآية كالتتمة لما قبلها وحاصله
ما ذكرناه في ذلك المقام وهنا الموقف اي يكون المراد في ذلك الوقت على استعارة
اسم المكان للزمان وفي قوله تبلوا ما اسلفت قراءة العامة
والكسائي تتلوا بتاءين وقراءة حمزة والكسائي فيها وجهان الاول
ان يكون
معنى قوله تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى الطريق الجنة او الى
طريق النار والثاني ان يكون المعنى ان كل نفس تقرأ ما في صحيفتها
من خير او شر ومنه قوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال
فاولئك يقرأون كتابهم واما قراءة عاصم معناه ان الله تعالى يقول في
ذلك الوقت يحدث كل نفس بسبب اخبار ما اسلفت من العمل والمعنى انا نعرفها
بمعرفة حال عملها ان كان خيرا فهي سعيدة وان كان شرا فهي شقية والمعنى
نجعل لها فعل المخبر بقوله لسلوم انكم احسنتم عملا اما العذاب المشهور

فمعناها ان كل نفس تحضر اعمالها وذلك الوقت يوم القيامة والمراد بالاعمال الاجتماعات عن الجبار
قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة والاحضار يصح ان يكون
فعل الناس ولعل الاقرب ان يقال ان في ذلك الوقت يتكشف ما يجري الاعمال ويظهر انها الافعال
وكيف يجوز تسمية حدوث العلم بالاعمال جزاء وجوابا وقد قال الاشاعرة حدوث
العلم واطلاق اسم الشيء على المسبب مجاز مشهور واما قوله ورد وا الى الله مولاهم
الحق فاعلم ان الردعبارة عن صيرورة الشيء الى الموضع الذي يليق به وهاهنا معنيان
الاول ان يكون المراد من قوله ورد وا الى الله ما ذكره المفسرون من قولهم
منتظرا بذلك على ان حكم الله في الثواب لا تتعداه الى العقاب يعني ان
ردوا الى الله اي جعلوا ملجئين الى الاقرار بالحق بعد ان كانوا في الدنيا يعبدون
غير الله وقال الذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فبين تعالى ان ذلك
يعلمون ان عمل ذلك باطلا واقرانوا احتلا قوله تعالى قل من يرزقكم
من السماء والارض الى قوله انهم لا يتقون اعلم ان تعالى لما بين فيما تقدم
اتبعها بذكر الدليل الدال على فساد هذا المذهب فالحجة الاولى ما ذكر في هذه الآية
وهي احوال الرزق واحوال الحواس واحوال الموت والحياة اما الرزق فانه اما
حاصل من السماء والارض اما من السماء فهو نزول المطر المغذي للموالي واما من الارض فلان
الغذاء اما ان يكون نباتا او حيوانا اما النبات فهو منبت في الارض واما الحيوان فهو
محتاج ايضا الى الغذاء ولا بد ان ينتهي غذاء كل حيوان اخيرا الى النبات وذلك
الى ما لا نهاية له وكل ما كان كذلك فمنتهاه عند الحيوانات بعينها فهو الى النبات وثبت
تولد النبات من الارض فلهم ان يقولوا ان الارض تولد النبات لا من نزول المطر من السماء والارض
ان يقدر السموات والارض ليس الا الله واما احوال الحواس وخلق الادن
انزلها السمع والمصدر كان على ربنا الله عنه بقوله سبحانه من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم
وارطوبة لحم واما احوال الموت والحياة فهو قوله ومن يخرج الحي من الميت

والعقاب

شفاعة

وفيه وجهان الاول انه يخرج الانسان والطائر من نطفه والسمكه من الماء والطائر
والباقون المراد من ان يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والاكثرون على
القول الاول وهو الاصح لقوله اقرب بوانه تعالى لما ذكر هذا التفصيل ذكر بعده
كلاما كليا وهو قوله ومن يدبر فسيقولون الله تعالى في العالم العلوي
والعالم السفلي وفي عالمي الارواح والاجسام امورا لا نهايه لها وذكرها
كالمتعذر وانما ذكر بعض تلك التفاصيل لاجرم عقبها بالكلام الكلي الدال
على الباقي بقوله تعالى الا تتقون يعني اذا سلمتم عني قدر هذه الامور
فسيقولون انه الله سبحانه وتعالى وهذا يدل على ان الملحد في هذا الكلام
كانوا يقرون لله تعالى وتقدس بكونه مدبر الدين فالوا في عاداتهم الاصنام انها
تقربنا الى الله زلفى فما بالهم شفعاء عند الله تعالى وكانوا يعلمون ان هذه الاصنام
لا تسمع ولا تضر فعند ذلك قال الله سبحانه مقل افلا تتقون يعني افلا تتقون ان تجعلوا
هذه الاصنام شركاء الله تعالى في المعبودية ثم اعترافكم بان كل الخيرات في الدنيا
والاخرة انما تحصل من عند الله واحسانه واعترافكم بان هذه الاوثان لا تنفع
ولا تضر البته ثم قال تعالى فذلكم الله ربكم ومعناه ان من هذه
قدرته ورحمته هو ربكم الحق الذي يستوجب بسببه ثباتا لا ريب فيه واذا ثبت ان هذا
هو الحق وجب ان يكون ما سواه باطلا ثم قال فاني تصرفون وكيف تسحرون
العدول عن الحق الظاهر واعلم ان الحجاج قد استدل بهذه الاية وقال هذا يدل
على بطلان الجبر وهو انه تعالى نصرف الكفار عن الايمان لانه لو كان كذلك
لما جاز ان يقول اني تصرفون كما لا يقول اذا اعمى بصر احدهم اني عميت واعلم ان الجواب
عنه سيأتي عن قريب اما قوله على الذين يستوابهم لا يؤمنون فيه مسائل
المسئله الاولى احتج اصحابنا بهذه الاية على ان الكفر بقضاء الله وارادته
وتقديره تعالى اخبر عنهم حيث اخبر ما قطعا انهم لا يؤمنون ولو امنوا لكان اما
ان يقع ذلك الخبر صدقا او لا يقع والاول باطل لان الخبر بانه لا يؤمن يمتنع ان يقع صدقا
حال ما يوجد الايمان والثاني ايضا باطل لان انقلاب خبر الله تعالى كذبا محال فثبت
ان صدور الايمان منهم محال والمحال لا يكون مرادا فثبت انه تعالى ما اراد الايمان من

من هذا الكافر وانه اراد الكفر منه ثم يقول ان كان مراده ان يقرر قوله تعالى على صحة
مذهبه القدري فهذه الآية الموضوعة لتحسين مذهبه على فساده وقد دار من الواجب الحال
مع قوم باطل حيث استدل بملك الآية على صحة قوله ان يذكر هذه الحجة ويجب عنها
حتى يحصل المقصود فالمسئلة الثالثة قرأ نافع وابن عامر كلمات ربك على الجمع وبعده
ان الذين حقت عليهم كلمات ربك على الجمع والباقون كلمة ربك في جميع ذلك
على التوحيد اما المسئلة الثالثة الكاف في قوله كذلك الاسم وهو مرفوع
الا ان الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون اي حق الضلال كذلك حقت كلمة ربك لا
يؤمنون الثاني كذلك حق صدور العصيان منهم كذلك حقت كلمة العذاب عليهم
المسئلة الرابعة انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان ثم
المسئلة الخامسة المراد من كلمة الله اما احباره عن الله وحكمه بعدم ايمانهم
التعدد والزوال وكلمة الله حق لا تقبل التغير في الحال وقال بعض المحققين
علم الله تعالى يتعلق بانه لا يؤمن وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيه لم يخلق الكفر
فيه وانتج الله في اللوح المحفوظ واشهد عليه ملائكته وانزل على انبيائه وانهم
عليه فلو حصل هذا الايمان لبطل هذا الاستدلال فعلم ان حصول الايمان
بخلاف ذلك كله ◎ **قوله تعالى** هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قال ابن عباس
الخلق هو يعيده قال الله بدأ الخلق ثم يعيده ثم هو يكون ◎ اعلم ان هذا هو الحجة
الثانية ويقررها ما بسوطه الله تعالى في سائر الآيات من كيفية ابداء الخلق
الله من المطفة الانسان والعلقة والمضغة ولحمه اعاده ومن كيفية
انشاء خلق السموات والارض فلما قصد هذا المقام تلا هذه الآية التي معنى ما ذكرناها
على سبيل الاجمال وههنا سؤالان السؤال الاول ما الفائدة في ذكر هذه الحجة
على سبيل السؤال والاستفهام والجواب ان الكلام ظاهر حتى يتردد على سبيل
الاستفهام وتهويض الجواب الى المسؤول كان ذلك ابلغ واوقع في القلب السؤال الثاني
العموم كانوا مسلمين الدعاء والحشر والنشر فلم احتج عليهم بدليل الجواب
انه تعالى قدم في هذا السورة ذكر ما يدل عليه وهو وجوب التمسك بالحس والمشي
وهذه الدلالة دلالة ظاهرة فوجه الحكمة في العاقل ان يرد نفسها ولا يحمل قلبها

وطهورها مسكع سوى ساعد الخصم عليه اولم ساعد السوال الثالث لما امر سبحانه
لان يعترف ذلك والالتزام انما يحصل لو اعترف الخصم به والجواب ان الدليل لما كان
ظاهرا جليا فاذا اورد على الخصم في معرض الاستفهام تولد بنفسه لقول الامر
كذلك فكان هذا اسهل على ان هذا الكلام ابلغ في الوضوح الذي لا يحتاج صاحبه فيه
الى اقرار الخصم به وانه سوى او انكر فالامر مع ظاهر اما قوله فاني يؤفكون
فالمراد المعنى منهم في الذهاب عن هذا الامر الواضح الذي دعاهم الهوى والتعليد
والشبهة الصعيفة الى مخالفته لان الاخبار عن كون الاوثان الهة كذب
وافك والاشتغال بعبادتها مع انها لا تستحق هذه العبادة نقيصة لا اقل منه

قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق الآية ❶ في الآية مسائل

المسألة الاولى اعلم ان هذا هو الحجة الثالثة واعلم ان الاستدلال على وجود
الصانع بالخلق والاتقان الهداية باسناده مطردة في القرآن فحكى تعالى عن الخليل
عليه السلام انه ذكر ذلك في معرض الاحتجاج على قومه حيث قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وامر محمدا
عليه السلام بذلك فقال سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وامر موسى
وهو في الحقيقة دليل شريف لان الانسان لجسده وله روح فالاستدلال على
وجود الصانع بأحوال الجسد هو الخلق والاستدلال بأحوال الروح هو الهداية
فبهذا انضاف لما ذكر دليل الخلق الى الآية الاولى وهو قوله ثم من يبدأ الخلق
ثم يعيده اشعر بدليل الهداية في هذه الآية واعلم ان المقصود من خلق الجسد
وصول الهداية للروح كما قال الله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وهذا كالتصريح بانه تعالى انما خلق
الجسد وانما اعطى الحواس ليكون آلة في اكتسابه المعارف والعلوم وانضاف
فالاحوال الجسدية سلسلة يرجع حاصلها الى الالتذاذ بالمذوقات والمطعوم
اولى من الكيفيات الملموسة اما الاحوال الروحانية والمعارف الالهية
فانها كما لا تزال باقية ابد الآباد بصونه عن الكون والفساد فعلمنا ان
الخلق تبع للهداية والمقصود الاشرف هو الوصول للهداية اذا عرفت هذا فنقول
المعقول مصطلح به والموضوع والانتفاع بمخالطة ولم يسلم من الغلط الا العلوم

نوجد ان الهداية وادراك الخلائق لا يكون الا باعانة الله تعالى وهدايته وارشاده ولصعوبة
هذا الامر قال الكليم عليه السلام بعد استماع الكلام العديم ربي اشرح لي صدري
وكل اعلق بالنون الهداية وحذروا عن العلة المانعة من الاهتداء وقعوا في الضلال
وكل ذلك يدل على ان حصول الهداية والعلم والمعرفة ليس الا من الله تعالى الداعي
عباده بقوله الهداية اما ان يكون عبارة عن الدعوة الى الحق واما ان يكون
عبارة عن حصول الكاشفة والمعرفة وعلى التقديرين فقد دل الدليل على انها اثر وفعل الله واعلم
ان السعداء اتباع شيعته ودل الدليل على انها ليست الا من الله واما الاصنام فانها جمادات
لا تأثير لها في الدعوة الى الحق ولا في الارشاد الى الصدق وقوله تعالى هو الموصل
جميع الخيرات في الدنيا والاخرة والهادي الى كل الكمالات في العقبى والمعبود
دون الاصنام لانه يلزم في من يريد الله ضلاله اذا كان عبد الله تعالى ان يعاد بها
حتى لا يحصل له شيء من الاهتداء الى الاسلام وهذا الاستدلال مسلم الا
قال الزجاج يقال هديت الطريق وهديت الى الطريق بمعنى واحد والله تعالى ذكرها في
اللغتين في قوله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق المسلة الثالثة في قوله ام من
لا يهدي يقرأ على وجهين احدهما لا يهتدي الا ان يهدى قرأ ابن كثير وعاصم ونافع يهدي بفتح
الياء والهاء وتشديد الدال وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لان اصله يهتدي ادغمت التاء
في الدال وقلبت فتحة الياء المدغمة الى الهاء ما قبلها وقرأ نافع وابن كثير وعاصم
الا ان عاصما ابقى الياء في الدال وركبها على حالها في الجمع وقرأ حمزة والكسائي
يخصمون قال علي عيسى وهو غلط على ما مر المسلة الرابعة قرأ العامة بالاشارة
الى فتحة الهاء من غير اشباع وهو من الغنج والخرم فخلسته على اصل مذهبه اختلاسا
للتخفيف ودل على عدم اشباع الفتحة من قراءته ما قرأ السوسي وقرأ عاصم بصلة الهاء وشبهها
وتشديد الدال فرارا من التقاء الساكنين والروم بحركة الى الكسائي بإسقاط الهاء وإجماعا
ويحيى وادوم عن أبي بكر عن عاصم بكسر الهاء واليا تبع الكسر الكسر وصل هو لغة من حوله
تستعير ويعبد الله وقرأ حمزة والكسائي يهدي بمعنى يهتدي يقال هديته فهدى اي اهتدى
الدال على معنى يهتدي والغير يقول يهدي بمعنى يهتدي يقال هديته فهدى اي اهتدى

المسئلة الرابعة في لفظ الآية اشكال وهو ان المراد من الشركاء في هذه الآية
الاصنام وانها جمادات لا تقبل الهداية تقول لهم ام من لا يهدي الا ان يهدى فما
الجواب من وجوه الاول لا يبعد ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يهدي
الحق هو بعد الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الضلال
والدعاة اليها والدليل عليه قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله الى قوله وتعالى الله عما يشركون فالمراد ان الله سبحانه يهدي الخلق الى
الدين بواسطة ما اظهر من الدلائل العقلية والنقلية واما هؤلاء الدعاة فالرؤساء
فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم لا هداية الله اولى من
من قبول قول هؤلاء الجهال والوجه الثاني في الجواب ان العوام اتخذوها
الهة فلا جرم عبر عنها كما يعبر عمن يعلم ويعقل لاعتقادهم انه تعالى قال ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم مع انها جمادات وقال ادعوهم فليستجيبوا لكم فاجرى اللفظ على الاوثان
الذي هو جار على من يعقل ويعلم فكذا ههنا وصفهم
الله بصفة من يعقل وان لم يكن الامر كذلك الثالث ان يحمل الهدى على التقدير يعني
انها بحيث يحكم ان تهدي فانها لا تهدي غيرها الا بعد ان تهدى غيرها فاذا
حملنا الكلام على هذا التقدير فقد زال السؤال السؤال الرابع البنية
عندنا ليست شرطا لصحة الحياة والعقل فلم لا يجوز ان يخلق الله تعالى الاصنام حال كونها حيوانا
قادرة عالمة والنطق والعقل ليس وعلى هذا التقدير فصم الله تعالى ان يجعلها
جمادا عاجزة ثم انها اشتغل بهداية العباد الخامس لم لا يهدي عيان عن العمل
والحركة بقال هديت المرأة الى زوجها هديا اذا نقلت اليه والهدى ما يهدى الى
الحرم من النعم وسمي الهدية هدية لانها من حيث الى غيره وحاصل ان يهدي من
انما يهدي اذا كان يمشي فيها معتمدا على رجليه من صحته وسلامته اذا ثبت هذا فنقول
قوله تعالى ام من لا يهدي الا ان يهدى يحتمل ان يكون معناه انه لا ينتقل من مكان
الا اذا حمل وعلى هذا التقدير فالمراد الاشارة الى كون هذه الاصنام جمادات حالية
عن الحياة والقدرة واعلم انه تعالى لما قرر على الكفار هذه الحجة الباهرة
قال فما لكم كيف تحكمون فعجب من عقولهم الفاسدة ومعاملتهم الباطلة ربما

اذا حم

المعقول حيث قال تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وما منع اكثر الناس ان يؤمنوا بالله الا ان قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك

تعالى الايمان عند كلمته الثالثة العرض منه هضم النفس وكسرها قوله تعالى
وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله الى قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
في الآية مسائل المسئلة الاولى اعلم ان حرف ما في نحو قوله ولقولون ولا تقول
عليه من بعد ذكروا ان القوم اما وكروا دلائل على ان القرآن ليس بمعجز وان محمدا انما اتى به
من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق بين الله تعالى ذكر الجوابات الكثيرة عن
هذا الكلام وامدته تلك الجوابات على الترتيب الذي شرحناه وفصلناه الى هذا الموضع بين انه
تعالى بين في هذا المقام ان اتيان محمد عليه السلام بهذا القرآن ليس على سبيل الافتراء
على الله تعالى ولكنه وحي نازل عليه من عند الله بين انه تعالى اخبر عن صحة هذا الكلام
بقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله ودلل على انه معجز نازل عليه من عند الله
تعالى وانه مبرا عن الافتراء والافتعال بهذا الترتيب الصحيح في نظم هذه الآيات
المسئلة الثانية قوله وما كان هذا القرآن ان يفترى فيه وجهان الاول
ان قوله ان يفترى في تقدير المصدر والمعنى ما كان هذا القرآن افتراء من دون الله
كما تقول ما كان هذا الكلام كذبا والثاني ان يقال ان كلمة ان جاءت ههنا
بمعنى اللام والتقدير ما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله كقوله وما كان
المؤمنون لينفروا كافة وما كان الله ليذر المؤمنين وما كان الله ليطلعكم على
الغيب اي لم يكن ينبغي ان يفعلوا ذلك فكذلك ما ينبغي لهذا القرآن ان يفترى
اي ليس وصفه ولا صفة من يجيء عن الله بتعالى ان يفترى عليه تعالى لان المفترى هو الذي يأتي به
البشر والافتراء افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع فما استعمل في الكذب
كما استعمل فيه لم اختلق ولان هذا الخرز في الكذب فصار حاصل الكلام
ان هذا القرآن لا يقدر عليه احد الا الله عز وجل فهو لا يصح على صحة هذه الدعوى
بامور المحسنة الاولى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه وتقرير هذه الحجة من وجوه
احدها ان محمدا عليه السلام كان اميا ما سافر الى بلد اهل العلم وما تلمذ لبعض
العلماء وما كان فيما بين قومه من اهل العلم ثم انه عليه السلام اتى بهذا القرآن وكان فيه
القرآن مشتملا على اقاصيص الاولين واقاويل القرون كانوا في غاية العداوة له فلو لم يكن
هذه الاقاصيص في الاولين والقرون كانوا في غاية العداوة لما في التوبيخ والاخجال لعدوه
فله

ليه ولما لغوا في اطلعني فسه ولعلوا الا يحسب بهذا لا قاسيس لا تاسيس فلما لم يفعل احد ذلك
مع شدة حرصهم على الطعن فيه وعلى قبح صورته علمنا انه انما سلك الا قاسيس مطابقة لما
في التوبية والانجيل مع انه ماطا العهدين ولا تلمذ لاحد منهما ودليل على انه عليه السلام
انما اجرى هذا الاسلوب من قبل الله تعالى الحجة الثانية ان الله انزله دليلا على
صدق محمد عليه السلام على ما بيناه قصيا من تعرضه في سورة القصص في تفسير قوله وادعوا
شهداءكم لو في لعهدكم وان كان الامي كذلك ان محمدا نصدقا لما في يديه من الكتب السماوية
محمد صلى الله عليه وسلم وكان هذا اعلما ان ما تصدق الذي بين يديه الحجة الثالثة ان الله عز
السلام اخبر في القرآن عن العيوب الكتمان في المستقبل ووقعت مطابقة لذلك
كقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وكقوله وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ودليل على ان الاخبار عن هذه الغيوب
المستقبلة انما حصل بالوحي من الله بين يديه فالوجهان الحولان اخبار عن العيوب
الماضية والوجه الثالث اخبار عن العيوب المستقبلة ومجموعها عبارة عن تصديق
الذي بين يديه النوع الثاني من الدلائل المذكورة وهذه الاية قوله تعالى
ونفصل كل شيء واعلم ان الناس اختلفوا في ان القرآن معجز من اي الوجوه فقال
بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة وهو المراد
بقوله تصديق الذي بين يديه ومنهم من قال انه معجز لاشتماله على العلوم الكثيرة
والى هذا اشار بقوله ونفصل كل شيء وتحقيق الكلام في هذا المقام ان العلوم اما ان تكون
دينية او ليست دينية ولا شك ان القسم الاول اشرف حالا واعظم شانا واجل درجة
من القسم الثاني واما العلوم الدنيوية فاما ان تكون علم العمائد والاديان واما
ان تكون علم الاعمال اما علم العقائد والاديان فهو عبارة عن معرفة الله ومعرفة
صفات جلاله ومعرفة صفات اكرامه ومعرفة صفات افعاله ومعرفة احكامه
ومعرفة احبابه والقرآن مشتمل على الدلائل على هذه المسائل وتفاصيلها
على وجه لا مزيد عليه شيء الكتب الالهية من المصنفات حاما علم الاعمال فهو
اما ان يكون عبارة عن علم الاخلاق المتعلقة بالطواهر وهو علم الفقه او بالبواطن
وهو علم التصوف اما استنطوا ما يتضمن عن القرآن واما ان يكون علم التصوف الباطن

شه الطاهر
قولون لولا انزل
عجزوا ان يجاء
ن الكتب عن
هذا الموضع فيرانه
على سبيل الافتراء
ما تعرفه هذا الوالي
زل اليه من ربه الله
ردون الاذان
وجهان الاول
افتراه من دون الله
كلمة ان جاءت هنا
له وما كان
ل الله ليطلعكم على
القرآن ان يفتري
ذي هو الذي بان به
اسعمل في الكذب
حاصل الكلام
على صحة هذه الدعوى
ين يديه انه من وجوه
ما كانت بمكة ولم
القرآن وكان هذا
العرب ما له قلوم يكن
والتوراة والانجيل لقد جاءوا
شه

ورياضة العلوم وقد حصل في القرآن من مباحث هذا العلم ما لا كذلك وجد في غيره لقوله
جل المعقول وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وهي جامع العجائب والمكرمة والنبي فيتناول القرآن مشتملا على تفاصيل جميع
العلوم الشرعية عقلها ونقلها اشارة بما يشتمل حصوله في سائر الكتب وكان ذلك
معجزا والهيا لاشتماله لقوله وتفصيل الكتاب اما قوله لا ريب فيه من رب العالمين
فتقرير ان الكتاب المطول المشتمل على هذه العلوم الكثيرة لا بد وان يشتمل
على انواع التناقض وحيث يمكن هذا الخالي عنه علمنا انه من عند الله يوحيه ويرسله
ونظير قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
واعلم انه تعالى لما ذكر في اول هذه الاية ان القرآن لا يليق بحاله وصفته ان يكون
كذبا مفترى على الله واقام عليه هذين الموعين من الدلايل المذكورين اعلى وجه
اخرى بلغط الاستفهام على سبيل الانكار فقال لم يقولون افتراه يعني ان الله تعالى
ذكر حجة اخرى على ابطال هذا القول فقال فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين وهذه الحجة بالعناد يقرب صادق سورة من القرآن في قوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون
الله ان كنتم صادقين وههنا سوالان السوال الاول لم قال في سورة من مثله
فاتوا بسورة مثله والجواب ان محمدا عليه السلام كان رجلا اميا لم
يتلمذ لاحد ولم يطالع كتابا فعلم ان سورة من القرآن فاتوا بسورة من مثله يعني
متلمذ لاحد ولم يطالع كتابا فعلم ان سورة من القرآن فاتوا بسورة من مثله يعني
فلما كان انسانا يساوي محمدا عليه السلام في عدم التلمذ وعدم المطالعة كان
وعدم الاشتغال بالعلوم سورة تساوي هذه السورة وحيث ظهر ان مثل هذه
السورة من انسان مثل محمد عليه السلام في عدم التلمذ والتعلم معلوم انه تعالى
هو الذي علمه هذه السورة ولما كان السورة في نفسها معجزة فان انتم وان تلمذوا وتعلموا
وطالعوا وتفكروا فانه لا يمكنهم الاتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه
السورة فلا جرم قال تعالى فاتوا بسورة من مثله ولا شك ان هذا اقرب مسلكا في باب
التحدي واظهار المعجز السوال الثاني قوله فاتوا بسورة مثله هذا يتناول
جميع السور الكبار والقصار او يختص بالسور الكبار والجواب

هذه الآية في سورة يونس وهي مكية فالمراد بمثل هذه السورة لا نها اقرب ما يمكن ان يشار
السوال الثالث ان المعتزلة تمسكوا بهذه الآية على ان القرآن مخلوق قالوا
الله عليها السلام يحدى الخصم بالقرآن والمراد بالتحدي انه يطلب منهم الاتيان بمثله فاذا
تحزوا عنه ظهر كونه محمد من عند الله تعالى على صدقه وهذا انما يمكن ان لو كان
الاتيان بمثله محل الوجود في الجملة ولو كان القرآن قديما لكان الاتيان بمثل القديم
محالا وفي نفس الامر موجبان لا صحة التحدي به والجواب ان القرآن اسم يقال
بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى وعلى هذه الحروف والاصوات
والكلام في ان الكلمات المركبة من هذه الحروف والاصوات محدثة مخلوقة والتحدي
انما وقع بها لا بالصفة القديمة اما قوله وادعوا من استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين فالمراد منه تعليم الله كيف يمكن الاتيان بهذه المعارضة لو كانوا
قادرين عليها وتعريف ان الجماعة اذا تعاونت وتعاضدت صارت بتلك المعونة
الكثيرين كالعقل الواحد فاذا توجهوا نحو شيء واحد قدر مجموعهم على
ما لا يقدر عليه واحد منهم فكانه تعالى يقول هب ان عقل الواحد والاثنين
منكم لا تفي باستخراج معارضة القرآن فاجتمعوا ولتعن بعضكم بعضا في
هذه المعارضة محمد وظهر ان بعد هذه المعارضة ما كان لاحد قدر البشر
عن ان يعارضه بمثله محمد وظهر ان فعل الله لا يفعله البشر واعلم انه قد ظهر بعد
الذي قررناه ان مراد من يحتج برسول الله بالقرآن بسنده قولهم انه تحداهم بكل
القرآن كما قال لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وبيانه ان الله عليه السلام تحداهم بعشر سور
مفتريات وبيانه ان تحداهم بسورة واحدة كما قال ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله وبالجملة
تحداهم بحديث مثله مما قالوا فليأتوا بحديث مثله وحاصله ان في طلب المرسل الاربع
كان يطلب منهم ان يأتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله في عدم التلمذ لغير المعلم
والمعلم هو الله سبحانه ويوشك ان يطلب منهم معارضة سورة واحدة من اي انسان كان
سوى تعلم العلوم او لم يتعلم بها وبالجملة ان في المرسل المتعبد به تحدي
كل واحد من الخلق وفي هذا المرسل تحدي مجموعهم وحسبان يسعى البعض في

فاذا عرفت هذا فاعلم ان الكلام في هذه المعارضة

في الاحسان بعد المعارضة كما قال ادعوا من استطعتم من دون الله وههنا احتمالات
هذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله تعالى في اثبات ان القرآن معجز نعم انه تعالى
ذكر السبب الذي لاجله كذبوا بالقرآن مع انه ما كذبوا بامر تحيطوا بعلمه ولما
ياتهم تاويله واعلم ان هذا الكلام يحتمل وجوها الاول انهم لما سمعوا شيئا
من القصص قالوا ليس في هذا الكتاب الا اساطير الاولين ولم يعرفوا ان المقصود
منها ليس هو نفس الحكاية بل امور اخرى معانيها وفوائدها واما الاساس فقد ذكره الله
على التعرف في هذا العالم ادنى تامل انها من العز الى الذل ومن الحزن الى الذل ودليل
على قدرته كاملة وباسباب انها تذل على العزيز حتى ان الاسباب يعرفها ان الدنيا لا
بقي فنهايته كل متحرك سكون وغاية كل متكون ان لا يكون ويرتفع عليه عن جميع ما
ويقوى رغبته في طلب الاخرة كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ثم
والثاني انه عليه السلام لما ذكر قصص الاولين من غير تحريف ولا نقص مع انه لم يتعلم
ولم يتلمذ دل ذلك على انه يوحى من عند الله كما قال تعالى في سورة الشعراء اولم يكن لهم
القصص وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين الوجه
الثالث ان انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوائل السور ولم يفهموا منها شيئا ساءلتهم
بالقرآن وقد اجاب الله تعالى عنهم بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه اياته محكمات
والوجه الثالث انهم رووا ان القرآن يظهر شيئا فشيئا فصار ذلك سببا للطعن
الردي فقالوا لو كان هذا الرجل عليه القرآن من عند واحد فلما اجاب الله عنه بقوله لذلك
لنثبت به فؤادك وقد شرحنا ذلك في سورة الفرقان الوجه الرابع ان القرآن
مملو من ايات الحشر والنشر والقوم كانوا قد الفوا المحسوسات فاستبعدوا
حصول الحياة بعد الموت ولم يقم دليل في قلوبهم فطلبوا ان محمدا عليه السلام اعاد ذكر
ذلك على سبيل الكذب والله تعالى بين صحة القول بالمعاد بالدليل القاهر اليقيني
الوجه الخامس ان القرآن مملو من الامر بالصلاة والزكاة وسائر العبادات
والقوم كانوا يقولون ان العالم عبث وعرضا عبثا والله تعالى احال من ان
يامر بالعبث فلهذا السبب قد طعنوا فاجاب الله عنه بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم
فلها وبالجملة فشبهات الكفار لما كانت مبنية فيهم لما ذكروا القليل مستدلا على امور كثيرة

عرفوا

ه وخواحقيقتها ولم يطلعوا على وجه الحكمة فيها لاحرم كذبوا بالقرآن والحاطلين
ان القوم لم يكونوا يعرفون اسرار الالهيات وكانوا يجوزون الامور على الاله
المالوفة في حال المحسوسات وما كانوا يطلبون حكمها ولا وجوه تاويلها فلاجرم
وخضوا في الحديث وظهر قولهم بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لما ساء الى عدم
علمهم بعلة الاشياء قوله ولما ابهم اوبله اسناد الى عدم جدهم وحسهم وطلب
ملك الاسرار تم قال فانظروا الفرق بين عاقبة الظالمين والمراد انهم ظلموا الدنيا
وتركوا الاخرى فلما ماتوا فاتتهم الدنيا والاخرى فخسروا في الخسار العظيم ومن الناس
من قال المراد منه عذاب الاستئصال وهو الذي نزل بالامم قال اهل التحقيق قوله
ولما ابهم ما وبله بدل على ان من كان غير عارف بالتاويلات وقع في الكفر والبدعة
لان ظواهر النصوص قد يوجد فيها ما يكون متعارضة فاذا لم يعرف الانسان وجه
التاويلات فيها وقع في قلبه ان هذا النص يحتمل اما اذا عرف وجه التاويل طبق التنزيل
على التاويل فيصير ذلك النور على نور نسال الله النور من يشاء **قوله تعالى**
ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الى قوله عاقبة الظالمين اه وكان المراد من ذلك
تسليط العذاب عليهم في الدنيا سعد لقوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به
مشهد لك على ان الصلاح عند الله تعالى كان في هذه الطائفة التعبير دون الاستئصال
من حسنات العلوم ان فيهم من يؤمن به والاقرب ان يكون الضمير في قوله به راجعا الى القرآن
لانه هو المذكور من قبل ثم يعلم انه متى حصل الايمان بالقرآن فقد حصل معه الايمان
بالرسول الصادق لتواطؤهما في قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به لان كلمة
من وهل يستعمل وهو يصلح للحال والاستقبال ومنهم من حمله على الحال وقال المراد
منهم من يؤمن بالقرآن ظاهرا لكنه سعد الجد واطلاع الله تعالى عليه ومنهم من يطلع ظاهرا
على الكفر ويدخل فيه اصحاب الشبهات وطوائف التقليد ومنهم من قال المراد هو المستقبل
يعني ان منهم من يؤمن به على المستقبل بان يتوب عن الكفر ويدله بالايمان ومنهم من يعلم
ويستمر على الكفر ثم قال وربك اعلم بالمفسدين اي هو العالم بخواتيمهم فيجازيهم
على الكفر او يرجع عنه ثم قال وان كذبوا فقل لي عملي ولكم عملكم قيل فقد
امر على عمل الطاعة والايمان ولكم عملكم وقيل امر بالجزاء على ولكم جزاء عملكم ثم قال انتم بريئون

مما اعملوا وانا رى مما تعملون قيل معنى الآيتين الزجر والردع وقيل ان معناها استمالة قلوبهم
فالمعقول الذى يدل عليه هذه الآية المنسوخ بها السيف وهذا بعيد لان شرط الناسخ ان
يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلولهما غير الآخر اختصاص كل واحد منهما بحال
وليس ان افعاله من الثواب والعقاب ودلائل لا تقتضى حرمة العمال فانه العمال
مازعته شيا من مدلولات هذه الآية وكان القول بالنسخ باطلا **قوله تعالى**
ومنهم من يستمعون الكلمات تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر
الكلمات تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم
كانوا يظلمون فى الآية مسائل المسئلة الاولى اعلم ان تعالى فى الآية الاولى
قسم الكفار قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وفى هذه الآية قسم
من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون فى نهاية البعد عن العقل والعداوة له وبهاية البعد
عن قبول الدين ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الاول فى هذه الآية
بقوله فمنهم من يستمع الكلام مع انه يكون كالاصم من حيث انه لا ينتفع بما يسمع
ذلك الكلام كان الانسان اذا قوى بعضه لانسان آخر وعظمه فيما يقوله عنه صارت
نفسه متوجهة الى الطعن فى فصاحة كلامه ومعرفته عن جميع جهات محاسن كلامه
فالصمم فى الاذن معنى يناسب فى حصول ادراك الصوت بعد الحصول الانتفاع الشديد
كالمانع فى الموقوف على محاسن دلائل الكلام والعمى فى العين معنى يمنع فى حصول
ادراك الصور فكذلك البغض الشديد يمنع فى الوقوف للانسان على محاسن ما يعاديه
والوقوف على ما اتاه الله تعالى من الفضائل فمن تعالى ان فى اولئك الكفار من بلغت
حالته فى البغض والعداوة الى هذا الحد فكما انه لا يمكن جعل الاصم سميعا ولا جعل
الاعمى بصيرا فكذلك لا يمكن جعل العدو البالغ فى العداوة الى هذا الحد صديقا
والمقصود من هذا الكلام اعلام الرسول عليه السلام بان هذه الطائفة قد بلغوا
فى مرض العمل الى حيث لا يقبلون العلاج والطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج
اعرض عنه ولم يستوحش من عدم قبوله للعلاج فكذلك وجب عليك ان لا تستوحش
حال من هو لا الكفار المسئلة الثانية احتج من فضله هذه الآية على ان السمع
افضل من البصر فقال ان الله تعالى قرن بذهاب السمع ذهاب العقل ولم يقرن

برهان النظر الاول على ان السمع افضل من البصر وذكر على ان الاساس في
هذا الدليل ما قال ان الذي سماه الله تعالى في السمع بمثله الذي سماه في البصر بمثله
تعالى اراد ابصار العلوية لم يرد ابصار العيون والذي يشرع العلم هو الذي يعقله
واحسن ما ينبه على هذا المطلوب بحجة اخرى من القرآن ما قال عند ما مدح الله السمع
فانه ولا شك يدل على السمع على البصر وذلك يدل على ان السمع افضل من البصر ومن الناس
من ذكر في هذا الباب دلائل اخرى فلنذكرها ان العمى قد وقع في حواسا عليهم السلام
اما الصمم فلم يجز عليهم لانه يخل باداء الرسالة من حيث انه اذا لم يسمع كلام السائل
تعذر عليه الجواب فعند يقع عن تبليغ شرائع الله تعالى الحجة الثانية ان القوة
السامعة تدرك المسموعات من جميع الحواس والقوة الباصرة لا تدرك المدركات من وجه
واحد وهو المقابل الحجة الثالثة ان الانسان انما يستفيد العلم من المعلم
من الاستاذ وذلك لا يمكن الا بتوسط السمع ولا سبيل له الى البصر وكان السمع
افضل من البصر الحجة الرابعة انه تعالى قال في الكلب الذي علم كان له قلت
او القى السمع وهو شهيد والمراد من العلم ههنا العمل فجعل السمع قرينا للعقل
وبيانه قوله تعالى وما الوا كما نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
جعلوا السمع سببا للنجاة من عذاب السعير الحجة الخامسة ان القوة التي
يمتاز بها الانسان من سائر الحيوانات هو النطق والكلام وانما ينتفع بالقوة السامعة
فيتعلق السمع للنطق الذي يحصل به الانسان ويتعلق البصر بادراك الالوان والاشكال
وذلك امر مشترك فيه بين الناس وسائر الحيوانات فوجب ان يكون السمع افضل من البصر
الحجة السادسة ان الحسا عليهم السلام بين الناس وليسموا كل ما فيهم
من سوء ما حصلت بسببه من الصفات المذمومة وانما حصلت بسبب ما سمعوه من
الاحوال المسموعة وهو الكلام وسليم الشرائع وسائر الاحكام فوجب ان يكون
المسموع افضل من المبصر هذا جملة ما تمسك به العاقلون بان السمع افضل من البصر ومن
الناس من قال البصر افضل من السمع ودل عليه وجوه الاول انهم قالوا في
المثل المشهور ليس الخبر كالعيان وذلك يدل على ان كمال حال الادراك هو البصر
الحجة الثانية ان القوة الباصرة هي النور حالة القوة السامعة هي الهواء والنور

لشرف من الهواء فالعين الباصرة اشرف من القوة السامعة الخ قوله الثالث عجائب
حكمة الله تعالى في تخليق العين التي هي محل الابصار اكثر من عجائب خلقته والادلة
الذي هو محل السماع فانه تعالى جعل امام روح ولم يجعل من الارواح افضل الشمعية
الدماغية من العصب له للابصار وركب العين من سبع طبقات وثلاث رطوبات
وخلق لحركات العين عضلات ليس في شيء من محله والادل لمس كذلك ولم
العناية في تخليق الشيء على كونه افضل من غيره الخ قوله الرابعة ان البصر
يدرك ما حصل فوق سبع سموات والسمع لا يدرك ما بعد منه عن ميل وبحال
البصر افضل واقوى لهذا السبب فدفع قولهم ان السمع يدرك من كل الحواس والبصر
لا يدرك الا من الجانب الواحد الخ قوله الخامسة ان كثيرا من الناس سمع كلام
الله في الدنيا واختلفوا في انه هل يراه احد في الدنيا ام لا والصحيح ان موسى سمعه
الله كلامه من غير سبق سؤال والتماس ولما سأل الرؤية قال لن تراني وذلك
يدل على ان حال الرؤية اعلى من حال السماع الخ قوله السادسة قال ابن السماري
كيفية تحول السمع افضل من البصر والبصر يحصل حال الوجه وبذهابه يذهب
عنه وذهاب السمع لا يبدو في الانسان عمى والعرب تسمي العين كالمس والصمم
السمع بمثل ذلك ومن هذا الحديث قول الله مزاد هذكر بمثله وصمم
واحتمل ان قوله تواباً دون الخ قوله المسئلة الثامنة اصح اصحابنا ان الله
على افعال العباد من الله تعالى قالوا الآية دالة على ان قلوبنا وكل الكفار بالنسبة
الى الايمان كالاصم بالنسبة الى اسماع الكلام وكالاعمى بالنسبة الى ابصار
الاشياء وكما ان هذا ممنوع وكذلك ما نحن فيه قالوا والذي يقوي ذلك ان حصول
العداوة القوية الشديدة وكذلك حصول المحبة في القلب لسبب يختياري الانسان
وعند حصول هذه العداوة الشديدة بحد وحدانا صرفنا ويقال ان القلب يصير كالاصم
والاعمى في استماع كلام العدو وفي مطالعة محاسنه واذا كان الامر
كذلك فقد حصل المطلوب والصارف الله تعالى عليها حكما جاريا بسبب الايمان
فحسن بلزم من حصول الايمان لتعالى ان يجعله حصيلا وحين الصدق كذبا وذلك محال
واما المعتزلة فقد احتجوا على صحة قولهم بقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا

ولكن

ولكن الناس انفسهم يظلمون وجه الاستدلال به انه يدل على انه تعالى ما اخبر احدا من
العقلاء والمكلفين ولكنهم باختيارهم يفعلون على ما شرحناه ما اخبر به الواحد
عنه تعالى انه تعالى نفى الظلم عن نفسه لانه تصرف في ملك نفسه ومن كان كذلك لم يكن
ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم نسب الكسب

قوله تعالى ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار الآية اعلم انه تعالى
لما وصف هول ذلك العذاب بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم يحشرهم
كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار وفيه مسائل المسئلة الاولى قوله كأن لم يلبثوا في موضع الحال
اي مشابهين من لم يلبث الا ساعة من النهار وقوله يتعارفون يجوز ان يكون
منقطعا يوم يحشرهم ويجوز ان يكون حالا بعد حال المسئلة الثانية كان
عند بعضهم بمعنى لم يكن المسئلة الثالثة كأن لم يلبثوا محذوف كقوله وكان قد
المسئلة الرابعة قيل كان لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من النهار وقيل في
قلوبهم قصورهم والقولان واردان بحسب الوجهين قال تعالى ما لبثتم في الارض عدد سنين
وقال لبثنا يوما او بعض يوم فالاول هو الوجه الاول او لوجهين احدهما ان حال
المؤمن في حال الكافرين في انهم لا يعرفون مقدار لبثهم بعد الموت الى وقت الحشر
فيحتمل ان يحمل الامر على ما يحسبونه الكفار وانهم ما انتفعوا بعمرهم استفلوا فلا من
لما انتفعوا بعمرهم استقله الباقي اذا زال فيقال يتعارفون بينهم لان التعارف انما يصح
في حال الحياة لا في حال الممات المسئلة الخامسة ذكروا في سبب هذا الاستقلال
وجوها الاول قال ابو مسلم انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على لذاتها
لم ينتفعوا بعمرهم البتة فكان وجود ذلك العمر كالعدم فلهذا السبب يستقلون قليله
قوله تعالى ما هو الا حجر حجر من الحجارة يعمر الثاني قال الاصم قال الرجل عند هم
لما شاهدوا من اهوال الآخرة والانسان اذا عظم خوفه من الامور الظاهرة البالغة
جدا قل عندهم معاصيهم في الدنيا وحسناتهم في الآخرة الرابع قل عندهم مقامهم
في الدنيا لطول وقوفهم في المحشر الخامس لذاتهم عند الخروج من القبور متعارفون
كما كانوا متعارفون في الدنيا وكانهم لم يتعارفوا لليأس للوقت الذي قلت انه يريد في

وقوله متعارفون يجوز ان يكون من تعارف القوم اذا عرف بعضهم بعضا ويجوز ان يكون من تعارف القوم اذا عرف بعضهم بعضا

ولكن

وعملوا بما اعتقدوه فصاروا كمن رأى رجلا جالسا فظنه جلوسه فوق شريعة فاشتراها بكل
ما ملكه فاذا هي على الماء فغرق في بحر سعيه وفات امله ووقع في حفرة الروح وعذاب
الغلبة واما قوله فما ارسلنا بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالمراد موعدهم فاعلم ان
قوله فالمراد من هذا جواب لو وقوله ونتوفينك جواب الشرط محذوف والتقدير فما ارسلناك بعض الذي
نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نرسلك فذاك المراد والموعود فانك سوف تراه
في الاخرى واعلم ان هذا يدل على انه تعالى يري رسوله من ذل الكافرين وخزيهم في الدنيا شيئا وسيزيده عليه بعد موته فائدة ولا شك ان الحاصل الاكثر منه في ايام حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصل الكثير الصالح بعده وفائدة والذي يحصل لهم الغيظ
اكثر وهو يسمى على ايامه المحققين محموده وعائده المذنبين مذمومة والله اعلم

قوله تعالى ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
واعلم انه تعالى لما بين حال محمد عليه السلام ثم ان حال كل الانبياء عليهم السلام مع اممهم
كذلك وفي الآية مسائل

المسألة الاولى هذه الآية تدل على ان لكل امة رسولا فمن
تقدم قد بعث الله اليهم رسولا فانه تعالى ما اهمل امة من الامم قطعا ويتأيد هذا بقوله
وان من امة الا خلا فيها نذير فان هذا مع عمومه يصح حمله على احوال الغفلة ومع قوله
صلى الله عليه وسلم ما اندرى ابا وهم قلت الذي ندري انه لا يوجب ان يكون كل رسول
حاضرا مع القوم لان عدم الرسول لا يمنع من كونه رسولا اليهم كما لا يمنع تقدم رسول
من كونه مبعوثا الينا الى آخر الابد ويحاج الغير على دعوة الاسلام وقوع وجوب العمل
وهي المسألة الثانية

المسألة الثالثة لما تم الكلام في اصل الرسالة والتقدير اذا جاء رسولهم وبلغ وكذبه قومه
وصدقه آخرون قضي بينهم بالحكم وهو المسألة الثالثة المراد من الآية اصل الامر
اما ان الرسول اذا بعث الى اهل الله قائما بالتبليغ واقامة الحجة برئ كل عالم ولا يعلى لهم
عذر في مخالفته وتكذيبه وهذا يدل على ان ما يجري عليهم من العذاب في الآخرة يكون عدلا
وقد يكون عليهم في الدنيا من مثل هذا العذاب او يكون المراد اذا جاء القوم فاصحوا
في الآخرة جمع الله بينهم وبين رسولهم في موقف المحاسبة وبيان الفصل بين المبلغ والعاصي
المستهزئ عليهم عاصد عليهم ولسان حالهم الاعتراف بانه رسالات ربه وصحون ذلك من
جملة ما تولى الله به الزجر في الدنيا كالمسألة وانطباق الجوارح والشهادة عليهم

وعملوا

ما عالهم والموازين وغيرها وقيام المقر عليه على هذا الوجه الثاني انه تعالى ذكر في الآية الاولى
ان الله شهيد لهم وكانه يقول انا اشهد عليهم وعلى اعمالهم يوم القيامة ومع ذلك
فاني احضرهم في موقف القيامة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم الرسل بالاعمال والمراد منه
المبالغة في اظهار العدل واعلم ان دليل القول الاول هو قوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
ودليل القول الثاني قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
الى قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
هذا القرآن ما يجوز ان يقول تعالى مقتضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون فالمذكور
لا يحصل الا عند المبالغة في نفي الظلم **قوله تعالى** ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين الآية ○ اعلم ان هذا هو الشبهة الخامسة من شبهات
منكري النبوة وقد عليه السلام كلما هددهم بمزول العذاب ومر زمان ولم
يظهر دلك العذاب قالوا له متى هذا الوعد واعلم ان هؤلاء الجهال طعنوا على المحق في نبوته
وفيه مسائل المسئلة الاولى ان قوله ويقولون هذا الوعد كالدليل على ان المراد
بما تقدم من قوله فقضي بينهم بالقسط القضاء بذلك في الدنيا لانه لا يجوز ان يقولوا متى
هذا الوعد عند حضورهم في الدار الآخرة لان الله تعالى في الآخرة يميز ومعرفة حصول
كل واحد وعيد والجهل هو الذي دلت الآيات على وجه البعد بالرسول عليه السلام
فيما اخبرهم به من نزول العذاب بالاعداء والنصر على الاولياء وعلى وجه الاستهزاء
لا يخفى ان هذا في دلالة الاخبار وبهذا القول على ان كل امة فانها قبل الرسول
مثل دلالة القول بدليل قوله ان كنتم صادقين في دلالة الخط جميع وهو موافق لقوله ولكل
امة رسول فاذا جاء رسولهم الآية ثم ان الله تعالى امر نبيه بان يجيب عن هذه الشبهة بجواب يحسم المادة وهو قوله
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله والمراد ان انزال العذاب على الاعداء
واظهار النصرة للاولياء لا يتعذر عليه الا لان الله سبحانه وتعالى هو الذي ما عين
لذلك الوعد والوعد وقته عينا حتى تعالى فاذا لم يحصل ذلك الموعود في ذلك الوقت
دل على حصول الخلف فكان تعيين الوقت معوضا الى الله سبحانه اما بحسب مشيته

والهيبة عند من لا يجوز ان يعاقبه او يعاتبه لرعاية المصالح فهذا اذا حصل الوقف الذي وقعه الله تعالى
لحدوث ذلك الحادث فانه لا يمتنع ان يحدث الله تعالى عنده ذلك الحادث مع علمه المتقدم والسابع المسئلة الثامنة
المعتزلة احتجوا بقوله تعالى لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله فهذا الاستثناء
يدل على ان العبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وما ذاك الا الطاعة والمعصية فهذا الاستثناء
يدل على كون العبد مستقلا بهما والجواب قال اصحابنا هذا الاستثناء منقطع والمعنى
ولكن ما شاء الله من ذلك كما في المسئلة الثالثة فاذا جاء اجلهم
المسئلة الرابعة قوله اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يدل
على ان احدا لا يموت الا بعصاء اجله وقد مر لا يقال لا نسلم هذا الوجه وهذه المسئلة
طويلة وقد ذكرناها في هذا الكتاب في مواضع شتى المسئلة الخامسة انه
تعالى قال هاهنا اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال في الحاقة
الحل فما حاله في الحرة وقال في هذه الآية فهذه الآية تدل على ان الحر اعتل مع حصول
الشرط لامتناع تاخره عنه وارجعوا لغة الحمل على الراجح واما الدليل على كونه مجازا اذا ثبت
هذا فنقول اذا قال الرجل لامراته اختيه ان حملت فانت طالق فحال ان قصد به
الله عنه اذا صح هذا التعليق قال ابو حنيفة رضي الله عنه يصح والدليل على انه يصح هذه
الآية دلت على ان الحر انما تحصل حال حصول هذا الشرط فلو صح هذا التعليق لوجب
تحصل الطلاق وقت النكاح لما ثبت ان الحر اعتل مع حصول الشرط وذلك يوجب
اجتماع من العدد فلما كان هذا اللازم باطلا وجب ان لا يصح التعليق قوله تعالى
قال الواحدي ان الايام عذابا وانها اذا استعملت في الشهور كقوله ما لبثتم يكسبون اعلم ان
هذا هو الجواب الثاني عن سؤالهم متى هذا الوعد وفيه مسائل المسئلة الاولى
حاصل جوابه ان يقال لا ولد العجل الذين يطلبون نزول العذاب سئلوا ان يحصل هذا
المطلوب وهو هذا العذاب ما العامل لكم قال فلم تؤمن عليه فذلك باطل لان الانسان في
كل الوقت اما ان يحصل له وقت الحاجة او لا يحصل له ذلك فان لم يحصل له ذلك
فطلبه لا يحصل البتة وان حصل له ذلك فعند حصوله لم يحصل هذا العذاب في الدنيا بل حصل عقيبه يوم القيامة عذاب اشد منه
وهو ان يقال للذين ظلموا وتواعدوا الخلد فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فثبت بهذا ان العذاب
الذي طلبوه لم يحصل البتة وهو ان يقال لهم يوم تحشرهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

ان هذا الذي يطلبونه هو محض الضرر العاري عن جهات النفع والعاقل لا يفعل ذلك المسئلة الثانية
قوله بياتا اي ليلا يقال بيتهم ليلتي اذا فعل بهم ذلك او اتاهم ليلا وانما خص الانسان في الليل بكونه ظاهرا
في الاكثر فجعل هذا اللفظ كناية عن الليل والبيات مصدر مثل التبييت والوداع والمراح
ويقال في النهار يعكسون ظاهرا في الطل والتشعيب ما على الطرفاي وقسمات وحكمه
ما دامتا كذلك وحسبان الحول ان يكون عاما واحدا ويكون منصوبا بالحال كما لو
قال ما اراد الله ويجوز ان يكون ما بمعنى الذي فيكون بحكمه ويحل ما الرفع على الابتداء
وخبره ذا وهو بمعنى الذي ويكون معنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فاعلم ان قوله
ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا شرط وجوابه قوله ماذا يستعجل منه المجرمون وهو
كقولك ان لبست ثيابك ماذا يطعمني معناه حصل هذا المعقود فاي معقود يستعجلونه
منه واما قوله ثم اذا ما وقع امنتم به فاعلم ان دخول حرف الاستفهام على ثم
لدخوله على الواو والفاء في نحو ابعادا امن اهل القرى فامن اهل القرى وهو بعيد التفريع
والتوبيخ مع نصر الله تعالى ان الالجاء عن فعل القبيح يمنع من التكليف والذين يوسوسون ويزعمون الاستماع بالايمان مع انكم تسمعون مثل دلائله يستحلون على سبيل
السخرية والاستهزاء وقرئ الان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقي حركتها على اللام واما
قوله ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد عطف على الفعل المضمر قبل الان والعذر
قبل الان وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا اذوقوا عذاب الخلد واما قوله
هل يجزون الا ما كانوا يكسبون معه مسائل المسئلة الاولى انه تعالى انما
ذكر العقاب والعذاب دون هذه الجملة كان سائلا يسئل ويقول ما وجه العرض اذ عنى
عن الفعل وكيف يليق برحمة هذا التهديد لمن وعد وهو تعالى يقول اما
عاملته هذه المعاملة انتقاما لهذا وصلة اليه حتى على عمله الباطل وذلك يدل على ان
حاسر الرحمة راجح غالب وحامل العذاب مرجوح مغلوب المسئلة الثانية
ظاهر الاية يدل على ان الجزاء موجب العمل اما عند المعتزلة فهو لنفس العمل لان العمل
الصالح موجب تنور القلب فاثر ذلك يجازى العلة معلولها واما عندنا المعتزلة
فلان العمل الصالح يوجب استحقاق الثواب على الله تعالى واما عند اهل السنة فلان
ذلك الجزاء واجب بحكم الوعد المحض المسئلة الثالثة الاية تدل على كون العبد مكتسبا

معناه ان يجوع الغدر مع الداعية انما تمنعه توجب الفعل والمسئلة طويلة معروفة بدلائلها

قوله تعالى ويستنبئونك احق هو قل اى وربى انه لحق واعلم انه سبحانه لما حكى عن الكفار بقوله ويقولون متى هذا الوعد واجاب عنه بما تقدم حكى عنهم انهم يرجعون الى الرسول عليه السلام ويقولون انحق هو وما علم ان هذا السؤال انما يحسن من وجه واحد وهو الرغبة في معرفة هذا الامر بان يحملهم بقوله قل اى وربى انه لحق والفائدة فيه امور احدها ان يستعلم منهم ويسألهم عن الامر الذى يعلمونه معجزا بالاعلام المعتادة من الظاهر ان من اخبر عن شئ واحكمه بالقسم فقد اراد ان يجعل ذلك دليلا على صدقه فلما اقسم الرسول عليه السلام بالله على ان ما اخبر به حق ثبت ان ذلك دليل على صدقه وثانيها ان الناس طبقات فمنهم من لا يقر بشئ الا بالبرهان القطعى ولا يسمع الخطابى ومنهم من لا يقنع الا بالقسم والله تعالى ادعى الخلق الى الله تعالى بالرسول وبالرسالة بعد ان ثبت صدقه في كل ما يخبر به فلما اقسم على صحة ما اخبر به ثبت ان القسم حق وصدق وثالثها ان الكفار لما قالوا ان هذا الوعد الذى تعدنا به لم نر له اثرا ولم نشاهد له خبرا فكيف نصدقك فيه فقال الله تعالى ان ربى اقسم على انه حق وصدق فكيف تكذبونه وما انتم بمعجزين اى ما انتم بفائتين من تقدير الله وقضائه وما انتم بمعجزين لله ان يعذبكم بالعذاب الذى توعدكم به والغرض من هذه الآية على اى وجه حملت ان تكون اخبارا او وعيدا بيان ان هذا الخبر من الاخبار التى لا يجوز ان يتابع عليهم ما داموا في الدنيا فاما اذا حضروا محفل القيامة وجاءتهم الساعة بغتة فحينئذ يتركون اخذ الدنيا ويشتغلون باشياء اخر وهم انه تعالى لما حكى عنهم انهم قالوا متى هذا الوعد ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به اخبر انه لا يقبل منهم الفداء في محفل القيامة لانه لا يملك مثاقيل ذر الا الله تعالى وحده ايته يوم القيامة فرد او بقدر ان يملك خزائن الارض الا الله لا يسمعه الى قوله تعالى ولا اوحد منها عدل ولا هم ينصرون وقال في صفة هذا اليوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة واعلم ان قوله واسروا الندامة صالح لان يكون الماضى والمستقبل اما الماضى فلان الامور المستقبلة اذا ابانها الله تعالى واحاط الوقوف عليها فكانها صارت كالماضى واما المستقبل فلان الله تعالى اخفى عن الخلق اوقات الموت ليكونوا على وجل منها فيكونوا على الطاعة اقرب واما الاسرار هو اخفاء الشئ واظهاره وهو من الاضداد اما ورود هذا اللفظ بمعنى الاخفاء فظاهر واما ورودها بمعنى الاظهار فهو من قولهم سر الشئ واسره اذا اظهره اذا عرفت هذا فنقول من الناس من قال المراد واسروا ندامتهم على ترك الايمان في الدنيا عند معاينة العذاب الشديد حتى لا يشمت بهم المؤمنون ومنهم من قال بل اظهروا الندامة ليتوسلوا بها الى الخلاص من العذاب ولم يقبل منهم ذلك

رجعوا عن

بكاولا صراخا يعني اسراء الندامة كحال من رحب به لصلف فانه يبقى مبهوتا لا يحسن كلمة
التقاي انهم اسروا الندامة من سفلتهم واساءهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم قال
قتل ان هذا دليل الموقف يمنع الانسان من حد التروي فلذلك اقدموا عليه
قلت ان هذا الكتمان انما يحصل مثل الاحراق فاما اصحاب جوارحهم فهذا
الاخفاء والستر من دليل قوله زياعلت علينا شهودنا الثالث اسروا الندامة
لانهم اخلصوا لله في تلك الندامة ومن اخلص في الدنيا اسمع وجهه بهكم بهم فباخلاصهم يعني
انهم اما توا هذا الاخلاص في صحوهم بل كان من الواجبات توابه في دار الدنيا وهو قوله
الله عليه وسلم اما من سر السرار ما لا يطلع عليه طاهر لانه انما اصغوا الندامة على
الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ الرياسة وفي القيامة قد بطل هذا الغرض فوجب
الاظهار قال الثالث اي مع بقية بهم بالقسط وهم لا يظلمون فصل من الموسر والكافر من
وصل من الرؤساء والاتباع وقتل من الكفار باسرار العقوبة عليهم وقتل
ان الكفار وان اشركوا في العذاب فانه لا بد وان يعطي الله بعضهم لانه لا يمنع ان
يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وحسابه فيكون في ذلك العضا تخفيف من عذاب
بعضهم وسهل العذاب بالعاقبة لان العذاب المستحق ان يستوفي المطلوب من الظالم
ولا يسقط الا ان يعفو من عذاب المطلوب من يستحق في عذاب الظالم والله الهادي

قوله تعالى (ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم
لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون) اعلم ان من الناس من قال ان يعلق هذه
الاية بما قبلها هو انه تعالى لما قبل هذه الاية ولوان لكل نفس ظلمت ما في الارض
لافتدت به فلا جرم قال في هذه الاية بطلبس للظالم شيء يعتد به فان كل الاشياء
ملك الله وملكه فاعلم ان هذا الوجه حسن اما الوجه الاخر ان يقال انه تعالى ذكر في
اول الباس على طعنات منهم من يحسن اسماعه فاذا عيات اعمى من اسماعه البرهانيا
واما المحققون فانهم لا يلتفتون الى الاضاعيات وانما يعولهم على الدليل النير
والبرهان القاطع فلما حكى الله تعالى عن الكفار انهم قالوا الحق هو امر الرسول
عليه السلام بان يقول اي نعم وهذا حاري مجرى الاضاعيات فلما ذكر ذلك اسعد بما هو

ترجعون ١

قدم

البرهان القاطع على صحته وتقريره ان القول بالنسوء والقول بصحة المعجزات متنافيان على
اصلنا لان الاله تعالى القادر الحليم وان اراد ما سواه فهو ملكه وملكه فمعنى هذا
المعنى بقوله الا ان لله ما في السموات والارض وما تذكر الدليل على صحة هذه القضية لانه
تعالى قد استقصى وبقرر هذا الدليل بما سبق من هذه السورة وهو قوله
ان في اختلاف الليل والنهار الخ وقوله وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وقدرنا سابقا على ما تقدم ذكرها الدليل القاطع الذي استغنى بذكرها وذكر دليل ما في العالم
من سماء وحيوان وحجر ونبات وجماد وبر وبحر وهو ملكه وملكه ومتى كان الامر كذلك
كان قادرا على كل الممكنات عالما بجملة المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها عن
النقائص والآفات فهو تعالى يكون قادرا على جميع الممكنات يكون قادرا على
ازالة الجدب عن الحيوان في الدنيا وفي الاخرة ويكون قادرا على ايصال الرحمة
الى الاولياء في الدنيا وفي الاخرة ويكون قادرا على تاييد رسوله بالدليل القاطع
والمعجز الباهر ويكون قادرا على اعلاء شان رسوله واظهار دينه ونصرته
فلما كان قادرا على كل هذه المقدورات علمنا ان الضرر والشر والمحن
والآفات كان منزها عن الخلف والكذب فيما وعد به لاجل ان يعلم هذا ادا
على ان الله تعالى اخر عن مصالح العباد اما اذا قال ابو تعالى مراعيها
فمعناه ان الكذب انما يصدر عن الفاعل اما للجهل او للحاجة فلما كان الحق
سبحانه منزها عن الكل كان ذلك دليلا على انه محال ان يخبر عن زوال الجدب
الكفار وحصول الخير والنصر وحد الوطع بوقوعه فثبت بهذا البيان ان قوله تعالى
الا ان لله ما في السموات والارض متقدمه توجب لهم صحة قوله الا ان وعد الله حق
ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون لان مرادهم عاقلون عن هذا الدليل معرفون
يعلمون ظواهر الامور ولا يحرم بقوا بحر ومنزعون عن هذه المعارف ثم انه اكد هذا الدليل
فقال هو يحيي ويميت واليه ترجعون فالمراد انه لما قدر على ازمانه والاحياء فادا
اماته وحياه بعني قادر على احيائه واعادته فظهر بهذا ذكر انه تعالى امر
رسوله ان يقول اني وربي بعزته تعالى اسع ذلك يكمل دليل هذا الدليل العاشر
واعلم ان في قوله الا ان لله ما في السموات والارض صفة اخرى وهي علمه الا

ود اكل من هذه الكلمة اما يذكر عند تسمه الغافلون والتقاط الناس واهل العلم مشغولون
بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيقولون الستان للامير والدار للوزير والغلام لولد
والجارية لعمرو ويضيفون كل شيء الى مالك اخر وخالق لكونهم مستغرقين في نوم الجهل
ورقدة الغفلة يظنون صحة تلك الاضافات فالحق ينادي هؤلاء الناس الغافلين
بقوله الا ان لله ما في السموات وما في الارض ودلالته لما ثبت بالعقل ان ما
سوى الواحد الاحد الحق ممكن لذاته ويثبت ان الممكن لذاته مستند الى الواجب
لذاته اما الله واما واسطة بينه وبين ما سواه ملكه وملكه واذا كان كذلك
فليس لعاقل في الحقيقة ملك فلما كان اكثر الخلق غافلين عن معرفة هذا المعنى
عبر عالما بين به لجرم امر رسوله ان يذكر هذا الدليل لعل واحدا منهم استيقظ عن
نوم الجهالة ورقدة الضلالة **قوله تعالى** يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من
ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون ○ في الآية مسائل **المسألة** الاولى اعلم ان
الطريق الى اثبات سور الانسان امران الاول ان يقول ان هذا القرآن ادعى السور
وظهرت المعجزات على يده وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقا
وصدقا وهذا الطريق مما تذكره الله تعالى في هذه السور وفي اكثر
احسن الوجوه في قوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله الآية فلا ندري
ما نعني بهذه الآية ما يقوى الدين ويورث اليقين ويزيل الشكوك والشبهات
ويبطل الضلالات والجهالات واما الطريق الثاني وهو ان يعلم بالعقول
ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو وكل من دعا الخلق اليه وحثهم عليه
وكان بعيدا عن قوله وفعله في نعل الناس من الكفر الى الايمان ومن الاعتقاد الباطل
الى الاعتقاد الحق ومن الاعمال الداعية الى الاعمال الداعية الى الاحسن
فهو الحق الصادق المصدق وتقرير ان بعوث الخلق واشتمل عليها انواع النقص والعجز
وجب الاحتراز عنها وعن كل ما يعلم بالعقول ان سعي الانسان لا يحصل الا ما لاعتقاد الحق والعمل
الصالح فحاصله يرجع الى امر واحد وهو ما يقوى نفرته عن الدنيا ورغبته في الدين
وهو العمل الصالح وكلما كان بالضد من ذلك وهو العمل الباطل والمعصية واذا كان

الامر كذلك كانوا محتاجين الى انسان كامل قوي النفس مشرق الروح علوي الطبيعة
ويكون بحيث تقوى على نقل هولاء الناقصين من مقام النقصان الى مقام الكمال
وهذا هو المعنى واما اصل ان الناس اقسام ثلاثة الفاضلون والعاملون الذين لا يعدلون
على بكمل الناقصين والقسم الثالث وهو الحامل الذي يقدر على تكميل الناقصين
فالقسم الاول هم عامة الخلق والقسم الثاني هم الاولياء والقسم الثالث هم الانبياء
ولما كانت العوارض على العقل الناقصين من وجوه النقصان الى درجة الكمال
مراتبها مختلفة ودرجاتها متفاوتة لم يكن كذلك روحان الا في قوة النوع
مختلفة ولهذا السر قال عليه السلام علما امتي كانبياء بني اسرائيل اذا
عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى لما بين صحة نبوة محمد عليه السلام بطريق المعجزة
فهو هذا الطريق من صحة نبوة محمد علم بالطريق الثاني وهذا الطريق طريق كان صحة
النبوة معروفا بها هيا فالاستدلال بالمعجز هو الطريق الذي تسميه المتكلمون برهان
الان وهذا الطريق طريق كانت معرفة حقيقة النبوة هو الذي يسميه برهان الحكم وهو
اشرف واعلا واعظم واجل المسلك الثاني اعلم انه تعالى وصف القرآن بصفات
اربع فاولها كونه موعظة وثانيها كونه شفاء لما في الصدور وثالثها كونه
هدى ورابعها كونه رحمة للمؤمنين ولابد لكل واحد من هذه الصفات من فوائد محصورة
فنقول انه الارواح لما تعلقت بالاجساد وكانت الجسد لكثرة تعلقه بالبدن
عرض للروح على الجسد من وهو الروح التي تسميها نحن هذا العالم الحسي وطبائعه
بواسطة الحواس الخمس وتمرن على الفعل الطبيعي واعتادها ومن المعلوم ان نور
العقل ما حصل في الدرجة حيث قويت العلائق الجسمية والحوادث الجسدانية فصار
ذلك الاستغراق سببا لحصول العقائد الباطلة والاخلاق الذميمة في جوهر الروح الذي
تسميه نحن هذا العالم الجسدي وطبائعه بواسطة الحواس الخمس وتمرن على الفعل الطبيعي
واعتادها ومن المعلوم ان نور العقل ما حصل في هذه الدرجة حتى قويت العلائق
الجسمية والحوادث الجسدانية فصار ذلك الاستغراق سببا لحصول العقائد الباطلة والاخلاق
الذميمة في هذا الروح وهذا الاحوال تجري مجرى الامراض التي تعرض جوهر الروح وكما
ان من وقع في المرض الشديد فانه لم يقبل طبيبا حاذقا ويعالجه بالعلاجات الصائبة فان لا محالة

فان لم تقو ان يدافعه مثل هذا الطبيب فكان البدن قابلا للعلاج فبما حصلت الصحة وزال
السقم اذا عرفت هذا فنقول ان محمدا عليه السلام كان كالطبيب الحاذق وهذا
القرآن عبارة عن مجموع الادوية التي هي شفاء لما يعالج العلو بالمريضة اذ الطبيب اذا وصل الى
المريض فله مقدمات اربع الاولى ان يبتدأ عن نباوا عما لا ينبغي وبامن بالاضرار عن اكل تلك
الاشياء التي يستضاوضع وذلك المرض وهذا هو الموعظة فانه لا معنى للموعظة الا الزجر عن عمل
ما يقبح عن سوء الله تعالى والمنع عن كل ما يشغل العلة عن الله وبالجملة السفاه وهو
ان يتشبه الانسان بالبهائم في الاخلاق الفاسدة الموجبة للمرض وعلل الاسقام اذا
منعوا الخلق عن فعل الخطوات صارت طواهرهم مطهرة عن فعل ما لا ينبغي فحينئذ امروا بتهم
بتطهير الباطن وذلك بالحياء هنا في ازالة الاخلاق الذميمة وتحصيل الاخلاق الحميدة وانواعها
وقد ذكر الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي وذلك اذا ذكر بالله العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة جاء بحرف
الامر فاذا زالت فقد حصل التهيأ للعلة وصار جوهر الروح مطهرا عن جميع النفوس
المانعة عن متابعة عالم الملكوت والمرتبة الثالثة حصول الهدى وهذه
المرتبة لا يمكن حصولها الا بعد المرتبة الثانية لان جوهر الروح الناطقة قابل للجلايا
القدسية والانوار الالهية وقبول الرحمة غير منقطع على ما قال عليه السلام ان لربكم
في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها فالمنع اما يكون للضعف او الخمول او الثقل والكل
في حق الله ممتنع فالمنع ممنوع في حقه فعلى هذا عدم حصول هذه الانوار الروحانية انما
كان لاصل الى العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة طبعها طبع الظلمة وبعد مدام
الظلمة يمنع حصول النور فاذا زالت تلك الاحوال تقدر السالك ولا بد ان يقع نور
عالم القدس في جوهر النفس القدسية ولا معنى لذلك الضوء الا الهدى وعند هذه الحالة تصير
هذه النفس بحيث قد اطلع منها على الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت واول هذه
المرتبة قوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك او سلطها قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واخرها
قوله تعالى الله نور السموات والارض
قوله تعالى الله عليم بذات الصدور ونحو هما قوله تعالى ولله غيب السموات والارض
واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون وبهذا القدر
هذه الايات في مواضعها وهذه المرتبة هي المراد بقوله تعالى وهدى وما لها

الرابعة

الرابعة فهي ان اصدر النفس البالغة الى عالم الارواح البشرية والمعارج الزاهية سحب
تقتبس انوارها من ارواح البالغين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم
وذلك لعلو المراد بقوله وصلى الله على سيدنا محمد في هذا المعنى ان ارواح المعاندين لا تستضيء بانوار
ارواح الانبياء عليهم السلام لان الجسم القابل للنور من قرص الشمس هو الذي يكون
وجهه مقابلا لوجه الشمس فاذا لم يحصل هذه المقابلة لم يقع نور الشمس عليه وكذلك
كل روح لم يتوجه الى عالم ارواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم ولم يتصل بها
اما لان الارواح المطهرة المقدسة كما ان الاجسام التي تكون بمقابلة لقرص الشمس
مختلفة الدرجات بالقرب والبعد عن جهة المقابلة ولا يزال درجات هذا البعد
حتى ينتهي الى الظلام المحض وكما يختلف عن مقابلة قرص الشمس فكذلك يختلف
قرب ارواح الناس من انوار النفوس القدسية وبعدها عنها ولا يزال تتزايد حتى
تنتهي الى النفس التي كملت ظلمته وغلظ شقاوته وانتهت في المعاندة للباطل والاطراق
الدامغة الى اقصى الغايات والبعد للسيئات فالحاصل ان الموعظة اشارت الى تطهير
ظواهر الخلق عما لا يسع وهو الشريعة واشفاء اشارت الى تطهير الارواح عن العقائد
الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى وهو اشارة الى طهور نور الحق
في بلور الصدر وهو الحكمة والرحمة واليه الاشارة الى كونها تابعة في الكمال
والارتقاء الى ان تصير من مكملة للناقصين وهي النوع الثاني من درجات عملية وبراءة
برهانية مدلولا عليها بهذه الالفاظ القرآنية لا يمكن ناصر ما تقدم ذكره
ولا تعديم ما ذكر وفقنا الله تعالى وجميع الخيرات على هذه الاسرار العالية
الالهية قال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والمقصود منه
الاشارة الى ما قرر في حكم الاسلام من ان السعادة انما الروحانية فضل من السعادات
المدنية الجسمانية وعدد شيء في مواضع كثيرة من هذا الكتاب البالغة في تقرير
هذا المعنى ولا فائدة في الاعادة المسئلة الثالثة قوله قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا انقدير بفضل الله وبرحمته فليفرحوا هو خير مما يجمعون من اجري فبذلك فليفرحوا
والتكرير للتاكيد وايضا قوله فبذلك فليفرحوا بتقييد الحصر يعني بحيث لا يفرح
الانسان الا بذلك لانه يفرح واعلم ان هذا الكلام مذكور في اربع احد هما انه

ان عارض يفرح الانسان شيء من الحواس الخمسة ويدل عليه وجوه الاول ان جماعة من المحققين قالوا لا معنى لهذه اللذات الخمسة الا دفع الالام والمعنى العدمي لا يستحق ان يفرح به والثاني ان يقدر ان يكون هذه اللذات صفات ثبوتية لكنها معدومة من وجوه الاول ان الضرير لا فهما اقوى من الصحاح لذاتها الصرى ان اقوى اللذات الخمسة له الوقاع ولا شك ان الالم الحاصل له بفقد البصر اعظم من الالم الحاصل بفقد سائر الآلام القوية والثالث ان مداخل اللذات الخمسة قليلة فانه لا سبيل الى حصول اللذة الخمسة الا بهذين الطريقين اعني البطن والفرج واما الالام فان كل جزء من اجزاء البدن معد لنوع اخر من الالم ولكل نوع منها خاصية لبست للنوع الاخر والرابع ان اللذات الخمسة لا تكون خالصة البتة بل يكون ممزوجة بانواع المكاره لا محالة فان الاكل والوقاع الى التعاب الناس في مقدماتها وفي لواحقها اللهو والسماع اللذات الخمسة لا تكون باقية فكل ما كان الاستمداد بها اكثر كان الحسرات الحاصلة من فوتها اكثر واشد والدليل على المدعى

ان حزننا في ساعة الموت اضعاف سرور في ساعة الميلاد

فمن المعلوم ان الفرح الحاصل عند حدوث الولد لا يعادل الحزن الحاصل عند موته الخامس اللذات الخمسة حاصل حال حصولها تكون ممنوعة البقاء لان الاكل لا بد وان يعقبه الجوع والالتذاذ بالاكل ولا يمكن استيفاء اللذة السادس ان اللذات الخمسة التذاذ باشياء حسية فيها الالتذاذ بكيفيات حاصلة في اجسام رخوة سريعة العفن مستعدة للتغير واما اللذة الروحانية فانها بالصدق في جميع هذه الجهات فثبت ان الفرح باللذة الخمسة فرح باطل واما الفرح الحاصل هو الفرح بالروحانيات والجواهر المقدسة وعلام الخلائق نور الانوار ﷺ

البحث الثاني من مباحث هذه المقدمة اذا حصلت اللذات الروحانية فانه يجب على العاقل ان لا يفرح بها من حيث هي هي بل يجب ان يفرح بها من حيث انها انعام الله تعالى وبفضل الله ورحمته فلهذا السبب قال الصادقون من فرح بنعمة الله من حيث انها نعمة الله فهو مشرك ومن فرح بنعمة الله من حيث انها

من الله

من الله تعالى كان يحمد الله ويذكر هو غايته الكمال ونهاية السعادة ومعوله سبحانه
قال بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا اسرار عالية استملت عليها هذه الالفاظ التي ظهرت من عالم
الوحي والتنزيل هذا ما لخص عندي في هذا الباب اما المعتزلة فانهم قالوا فضل الله
الاسلام ورحمته القرآن وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله
المسئلة الرابعة قرئ فلتفرحوا بالتاء قال الفراء وقد ذكر عن يزيد انه قرأ بالياء
وفي معناه قد كنا نقول لهم افرحوا والحسن في الامر للمخاطب والغائب باللام نحو لتقم
يا زيد وليقم زيد وذلك لان حكم الامر في الصورتين واحد الا ان الغرض حذف
اللام من فعل المأمور المخاطب لكثرة استعماله وحذفوا الفاء اتصالا وادخلوا
الفاء ليوصل بحرف ما قبل ليمنع الابتداء به وكان الكسائي يعيب قولهم فلتفرحوا
لانه وجد قليلا فجعله عما لا ينقاس والاصل هو الاصل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لبعض الشاهدين احلفا صاحبكما بالله الذي لا اله الا هو ما قتلناه وقرئ بالتاء
وقرئ بهما على ان الله تعالى عم المخاطبين والغائبين الخ اما على المخاطب على
الغائب كما تقدم لتذكر على الالتفات واما بإرادة القول من حذري قال اهل اللغة
وهذه فرحة اخرى عقلية وهو ان الانسان حصل فيه معنى يدعوه الى الجد من الله تعالى
وان الاتصال بعالم العقل ومعادن الروحانيات وفيه معنى اخر يدعوه الى عالم الجسم
والجسمانيات لان الجسد انه وما دام الروح متعلقا بهذا الجسد فانه لا يمكنه
عن حب الجسد وعن طلب اللذات الجسمانية وعلى هذا تعالى خاطب السعداء فقال اما ما ذكرتم
فقال حصلت الصوتية من الحوادث العقلية الالهية ومن التوابع النفسانية
الجسدانية والروحانية انما العقل لانه يدعوا الى فضل الله ورحمته حتى لم يجدوا من الدنيا
يدعوا الى جميع الدنيا وشهواتها وفضل الله ورحمته حتى لم يجدوا من الدنيا
كل الاحوال حصولها نعم وما كان كذلك فهو اولى بالطلب والتحصيل **قوله تعالى**
قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو اما الى قوله لا تفترون
وفي الآية مسائل **المسئلة الاولى** اعلم ان الله تعالى ذكر وفي تعلق هذه الآية
بما قبلها وجوها ولا استحسن واحدا منها والذي يخطر بالبال وجهان
الاول ان المقصود من هذه الآيات ذكر طريق يمكن في اثباته التوحيد ونفي

انه عليه السلام قال لقومه انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها فهذا الحكم بقولونه
على سبيل الافتراء على الله او تعلمون انه حكم حكم الله به والاول طريق مذموم وباطل بالاتفاق
فلم يبق الا الثاني ومن المعلوم انه تعالى ما خاطبكم به من غير واسطة فما بقي الا ان هذا
ان هذه الاحكام انما وصلت اليكم بقول رسول ارسله الله اليكم وحاصل الكلام
ان حكمكم على بعض الاشياء وحرمة بعضها مع اشتراك الكل في الصفات المحسوسة
والمنافع المحسوسة يدل على اعترافكم بصحة النبوة والرسالة واذا كان الامر كذلك
وعجز كلكم ان تاتوا بواحد من المعجزات العظيمة وان كان النبي الطريق الثاني
الذي يتعلق بهذا الاجمال فيها هو انه عليه السلام لما ذكر الدلائل الكثيرة
على صحة نبوته وعلى فساد سوالهم وشبههم في انكارها اتبع ذلك
ببيان فساد طريقهم في شرائعهم واحكامهم وذلك المهم من هذه الاحبار الحل والحرمة
مع انه لم تشهد بذلك لا عقل ولا نقل طريق باطل ومنهج فاسد والمقصود ابطال
مذاهب القوم في اديانهم وفي احكامهم وانهم ليسوا على شيء من الاديان والله اعلم
المسئلة الثانية المراد بالتي الذي حظوه حراما ما ذكروه من تحريم السائبة
والوصيلة والحامي والباقي قوله تعالى هذا العام وحرف تحرموا صلوله
بما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا والباقي قوله تعالى
سيجزيهم وصفهم ان الله حكيم عليم من الاعتراضات والدليل عليه ان قوله فجعلتم منه
حراما وحللا يفيد ان الامر بعدم جعلهم ولم يقل الله تعالى منهم الا هذا فوجه
هذا الكلام انه لما حكى الله عنهم قالوا لرسول الله قل الله اذن لكم ام على
الله تفترون وهذه القسمة صحيحة في هذه الاحكام اما ان يكون من الله
وهو المراد بقوله الله اذن لكم واما ان لا يكون من الله فان كان من الله فهو
المراد من على الله تفترون قوله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
وهو وان كان في صورة الاستفهام فالمراد منه تعظيم وعيد من يفتري على الله
وقرا عيسى ابو عمر وما ظن الذين يفترون على لفظ الفعل وهما اي ظن ظنوا يوم
القيامة وحمل على لفظ الماضي لما ذكرنا ان احوال القيامة وان كانت لا انها
لما كانت واجبة الوقوع فالحكم لاخبر عنها بصيغة الماضي قوله ان الله

لدوا فضل على الناس فاعطا العقل وارسال الرسل وحثها الكتب لكن اكثر الناس لا
يشكرون ولا يستعملون العقل في التامل في دلايل الله ولا يقبلون دعوة انبيا الله
ولا يستمعون الا سماع كذا لله المسئلة الثالثة ما في قوله ابراهيم ما انزل الله
منه وجهان الاول بمعنى الذي فنصب بايتم والاخوان يكون بمعنى اي كما تقدم
فنصب بانزل وهو قول الزجاج ومعنى انزالها خلقها وانشاء كقوله
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وجاز ان يعبر عن الخلق بالانزال لان كل ما
في الارض من درة وما انزل من السما من مطر ونبع وغير ها فلما كان اصله ما انزل
سمي انزالا **قوله تعالى** وما تكون في شان الاية ٥ في الاية مسائل الاولى
اعلم انه لما طال الكلام في امر الرسول اراد الله ان يعلي مساوي مذاهب الكفار
وفي امر ما اراد الجواب عن شبهاتهم وفي امن تحمل اذاهم وبالرفق معهم ذكر
هذا السلام فحصل به تمام السلوة والسرور للمطيعين وتمام الخوف والفزع
للمذنبين وهو كونه سبحانه عالما بجميع اعمالهم في جليله من الدواعي والصوارف
فان الانسان مهما اظهر من نفسه من طاعة وطاعة ونهدا او تقوى وتكون
باطنه مملوا من الخبث وما يكون الامر من ذلك فاذا كان الحق سبحانه عالما
بما في البواطن كان ذلك من اعظم انواع التهديد للمذنبين المسئلة الثانية
اعلم انه تعالى خص الرسول في اول هذه الاية بالخطاب في امر من امر اتبع
ذلك عمومه الخطاب مع كل المكلفين في شيء واحد ما الامران المخصوصان
بالرسول فالاول منهما قوله وما تكون في شان والثاني الخطاب في قوله
والثاني الخطاب راجع الشئون تقول العرب ما شان فلان اي ما حاله قال
الزجاج يقولون ما سانت سنانه اي ما عمل عمله وهذه وجهان قال ابن عباس ومالكون
ما محمد في شان يريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وطاعتك
فيها والثاني منهما قوله تعالى وما تتلوا منه من قران واختلفوا في ان
الضمير في قوله منه الى ماذا يعود وذكروا فيه بلسه الوجه الاول انه راجع
الى الشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو
اعظم شانه وعلى هذا التقدير فكان هذا اخلا تحت قوله وما تكون في شان

الا انه تعالى خصه بالذكر تنبيها على علو مرتبته كما في قوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال
وفي قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الشاني ان هذا العلم
عائد الى القرآن والمتلو وما تتلوا من القرآن من قرآن دليل لانه كما ان القرآن
اسم المجموع فكذلك هو اسم لكل جزء من اجزاء القرآن والاضمار قبل الذكر يدل على
التعظيم الثالث ان يكون المعنى وما تتلوا من قرآن من الله ما زال من عند الله
واصول قوله وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرآن الى ان يخص وسائر الرسول
لما قوله ولا تعملون من عمل وهذا خطاب مع النبي ومع جميع امته والمسئ
في ان خص محمد عليه السلام بالخطاب ثم عمم الخطاب مع انه كان هو ان قوله
وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرآن اذا كان بحسب الظاهر خطابا مختصا
بالرسول الا ان المتقدمين حاولوا فيه ومراد فوا منه لانه من المعلوم انه اذا خوطب
رئيس القوم كان القوم داخلون في ذلك الخطاب والدليل عليه قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ثم انه تعالى بعد ان خص الرسول بهذا الخطاب
عمم الكل بالخطاب الثالث فقال ولا تعملون من عمل الدليل على كونهم داخلين
في الخطاب الاول ثم قال تعالى الا كنا عليكم شهودا والدليل على ان الله تعالى
شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء على اصول اهل السنة والجماعة فالمراد منه
ظاهر لانه لا محدث ولا حالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من
حال العبد واعماله الظاهرة والباطنة فكلها حصلت باخبار الله تعالى وايجاده
والموجد الشيء لا بد وان يكون عالما به فوجب كونه تعالى عالما بكل المعلومات وهذا ما على
اصول المعتزلة فقد دللنا انه تعالى حي وكل من كان حيا فانه يصح ان يعلم كل واحد من المعلومات
والموصل لكل العالمة هو ذاته سبحانه فثبت ان صفة ذاته الى اقتضاء حصول العالمية بعض
المعلومات كانت ذاته الى اقتضاء حصول العالمية باسر المعلومات فلما اقتضت
ذاته حصول العالمية بعض المعلومات وجب ان يقتضي حصول العالمية بجميع المعلومات
فثبت بهذه الوجوه ان الله تعالى عالم بجميع المعلومات لما قوله تعالى اذ تفيضون فيه
اعلم ان الافاضة ههنا الدخول في العمل على وجه الانبساط اليه وهو الانبساط
في العمل يقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه وقد افاضوا من عرفة

اذا

اذا وقعوا منها بكثير ثم نهضوا فارتفعوا اذ هنا معنى حتى فيصير التقدير
الكلام الا كما علم شهودا حين يغضون فيه وشهادة الله تعالى له
بيان من علمه فلزم ان يقال انه تعالى انما علم الاشياء الا عند وجودها ودخولها
قلت هذا السؤال انما يلزم ان لو كانت شهادة الله تعالى لعباده عن علمه وهذا ممنوع
فان الشهادة لا يكون الا عند وجود المشهود عليه واما العلم فلا يمنع
تقدمه على الشيء والدليل عليه ان الرسول اخبر عن ابتداء خلق كل شيء
من قبل حصول ذلك الشيء عالما به وموصوفا بكونه شاهدا عليها واعلم
ان حاصل هذه الكلمات انه لا يخرج عن علم الله شيء بدليل انه تعالى اتبع هذا الكلام
زنة ذرة بما كبد فقال وما يعزب عن ربك من مثقال حبة في الارض ولا في السماء ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وفيه مسائل المسألة الاولى اصل العزوب
من البعد يقال عزب عني كذا اذا بعد المطلوب وعرب يعزب بالضم اذا ارسلها
الى موضع بعيد من المنزل والرجل سمي غربا لبعده عن الاهل وغربة الشيء عن علمي
اذا بعد المسألة الثانية قرأ الكسائي وما يعزب بكسر الزاي والباقون
بالضم وهما لغتان عزب يعزب وعزب يعزب المسألة الثالثة قوله من مثقال
ذرة اي وزن ذرة والذر صغار النمل ولعل هذا ذر في يكون صفته الا ترى هذا
قوله في الارض ولا في السماء فالمعنى ظاهر فان قيل لم قدم الله ذكر
الارض هنا على ذكر السماء مع انه تعالى قال في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلنا لما كان السماء اعظم على الارض الا انه
تعالى لما ذكر في وجيز الكلمة شهادته على احوال اهل الارض واعمالهم بين وصل
بذلك قوله لا يعزب عنه ناسبا ان يعدم الارض في هذا الموضع على السماء قوله
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وقد قرئ ولا اصغر ولا اكبر
بالرفع فيهما والباقون بالنصب واعلم ان قوله وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فالفعل
متعلق بعدم دخول حبة من عليه مجرور بحسب الظاهر لكنه مرفوع في المعنى
في المعطوف عليه ان عطف على الظاهر كان مجرورا واذا عطف على المحل كان
حيث كونه مرفوعا وتقدير قوله ما اتاني من احد عاقل وعاقل وكذا قوله

مالكم من اله غيره وغيره قال الشاعر ولست بالجبال ولا الحديد براهم

هذا ما ذكره النحويون واصاحب الكشاف لم يصح هذا العطف لصار تقدير الآية ولا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السما الا في كتاب وحينئذ يلزم ان يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب محترزا عن علم الله وانه باطل واجاب بعض المحققين عنه من وجهين الاول ما سبق ان العروض عبارة عن مطلق المعدات اذا عرفت هذا فنقول الاشياء المخلوقة على قسمين قسم وجد الله تعالى ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم اوجده الله بواسطة القسم الاول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثاني قد يساعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مربيه ومجده واجاد وجوده فقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السما الا في كتاب اي لا يبعد عن مربيه ومجده ذرة في الارض ولا في السما وهو في كتاب مبين وهو من كتاب كتبه الله تعالى وانتقش صور تلك المعلومات فيها ومتى كان الامر كذلك كان عالما بها محيطا باحوالها والغرض منه الرد على من يقول انه تعالى غير عالم بالجزئيات وهو المراد بقوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون والوجه الثاني في الجواب ان نحمل كلمة الا في قوله الا في كتاب مبين استثنائيا منقطعا بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجاجي صاحب النظم عنه جوابا اخر فقال قوله وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر هو عين قوله لا يعلم بها الا هو وهما بمعنى العلم والعطف يوجب المغايرة فلا بد من اضمار شيء اخر وهو قوله الا في كتاب مبين وهو الصاف في كتاب مبين قال والعرب تضع الموصوف والنسق بحيث يدل على معنى الاسناد كقوله تعالى الى الاحقاف لدى الذين ارسلوا اليهم من ظلم معنى ومن ظلم قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي لكن الذين ظلموا وهذا الوجه في غاية التعسف واحسن صاحب الكشاف فوجه رابع فقال الاشكال انما جاء اذا عطفنا قوله ولا اصغر من ذلك ولا اكبر على قوله من مثقال ذرة في الارض ولا في السما اما حسب الظاهر او حسب المحل لكنا لا نقول بذلك بل نقول الوجه في القراءة بالنصب في قوله ولا اصغر من ذلك ان نحمل على لفظ من في القراءة بالرفع ان نحمل

على الابتدا

على الاستدراك وعلى قوله الاولى تاب منه وهذا الوجه احسن الوجوه **قوله تعالى**
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة
الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله هو الفوز العظيم اعلم ها هنا فصول
وما تكون في شأن وما تلوا منه من قرآن نما يقوى قلوب المطيعين وبما يثبت قلوب
العاصين فاسعفه الله تعالى بشرح المخلصين الصادقين العارفين وهو الذي في هذه
الآية وفيه مسائل المسألة الاولى اعلم ان الخوف في لغة هذه الامة ان يكون
الولي من هو مبين على الخوف والحزن عنهم فعولا ان الولي من هو مبدل عليه القرآن والخبر
والاثر والمعقول اما القرآن فقوله تعالى في هذه الآية الذين امنوا وكانوا يتقون
اشارة الى حصول الحالين العلمية وفيه مقام اخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد
والعمل بوصف الولي بانه كان مستقيما في الحال اما التقوى في موضع العمل فلان جلال
الله تعالى اعظم من ان يحيط به عقل البشر فالصديق اذا وصف الله سبحانه بكمال
صفات الجلال فهو يقدس الله عن ان يكون ذلك الوصف الا موجبا لعجزه عن الاحاطة
الذي يعرفه ووصفه واذا عد الله وهو يقدس الله عن ان يكون الخاتمة الا معتقدا بكبريائه
معتقدا بذلك المعنى ابدا فثبت انه لا يخلو ابدا في مقام الخوف والتقوى اما الاخبار
وكثيرة روى عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليتم قوم يحاسبون الله على عمر
ارحام بينهم ولا اموالا يتعاطونها والله ان وجوههم النور وانهم لعلى منابر من نور
لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ هذه الآية وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ايهم الذين اذا رؤوا ذكر الله وروي انه قال اهل التحقيق السبب فيه ان مشاهدتهم
تذكرهم الآخرة لما يشاهد فيها من انواع الخضوع والخشوع ولما دل الله تعالى في قوله
سيماهم في وجوههم من اثر السجود اما الآن فقال لا خوف عليهم لانهم اولياء الله هم الذين
الله هداهم بالبرهان وتولوا العام بحق وجوده الله والدعوة اليه واما المعقول
فنقول نظر في علم الاشتقاق اذا ركبت الواو والالف واللام والنون على معنى العرب تولي
كل شيء هو الذي يحوطه برأسه والقرب من الله تعالى بالمكان والجهة محال فالقرب
منه اما ان يكون اذا كان العلم مستعرقا في معرفة الله فان رأى او رؤية الله
الله واما ان يسمع سمع ايمان الله وان ينطق بطوع لسانه على الله تعالى وان يحرك بحركة في

الظاهر

في حدوده قال المجتهد الجهد في طاعة الله فهنالك يكون في غاية القرب من الله فهذا الذي
يكون لله بالله واذا كان كذلك كان الله لله بالله ايضا كما قال الله في الذين
امنوا اخرجهم من النور ويجب ان يكون الامر كذلك لان القرب لا يحصل الا من الجانب
وقال المتكلمون ولي الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل
ويكون اتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما ورد به الشريعة فهذا كلام
مختصر في تفسير الولي واما قوله تعالى في وصفهم لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فعند لسان العرب الاول للخوف فيما يكون في المستقبل من
المكاره والحزن انما يكون على الماضي لاجل انه كان قد حصل في الماضي ما
كرهه اولانه فاتته اجله الثاني قال بعض المحققين ان لا يحصل الخوف
والحزن اما ان يحصل للاولياء لاجل كونهم في الدنيا او لاجل كونهم في الاخرة والاول
باطل لوجوه الاول ان هذا لا يحصل في حال الدنيا لانها دار خوف وحزن والاولياء
خصوصا لا يخلوا عن كل واحد من هذين ما قال الرسول عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر
وعلى ما قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وايضا ان المومن
وان اتسع عيشه في الدنيا فانه لا يخلوا من هم بامر الاخرة شديد وحزن على ما فوته من
القيام بطاعة الله واذا بطل هذا القسم وجعل قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
على امر الاخرة فهذا كلام محقق وقال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب
قال الله هو الذي يكون في غاية القرب من الله وهذا القرب قد قدر به ما يستحيل معه
في معرفة الله تعالى بحيث لا يخطر بباله في تلك اللحظة شيء ما سوى الله معنى هذه الساعة
يحصل الولاية التامة ومتى كانت هذه الحالة حاصلة فانها صاحبها لا يخاف
شيئا ولا يحزن لسبب شيء وكيف يعقل دلك والخوف من الشيء والحزن على الشيء انما يحصل
لاجل الشعور به والمستغرق في بحر جلال الله غافل عن كل ما سوى الله تعالى
فيمتنع ان يكون له خوف او حزن وهذه درجة عالية ومن لم يدرها لم يعرفها
ثم ان صاحب هذه الحالة قد يزول عنه هذه الحالة وحينئذ يحصل له الخوف والحزن
والرجاء والرغبة والرهبة بسبب الاحوال الطيبة التي تحصل بعد وسقار ابراهيم
الخواص كان في البادية ومعه قارورة فيها خمر فتغير في بعض الليالي ظهور خالة مزيد لمعة

نام المتحلس في موضعه وجاء السباع وتقوا بالقرب منه والهدد يسلق على راس
شجرة خوفا منها والشيخ كان عارفا فارغا من تلك السباع فلما اصبح ورات تلك
الحالة صفى المسئلة الباسة وقعت بعوصه على بن فاطمة الجرع من تلك العوصة فقال
المريد كيف يليق هذه الحالة بما صلها فقال الشيخ ايا اما علمنا الدارجة ما
تحملناه نسبة مع الوارد العمى فلما عابك الوارد فابا اضعف صلوا الله تعالى
المسئلة الباسة قال اعلم المحققان اهل الثواب لا يحصل لهم خوف في
محفل العامة واحتجوا على صحة قولهم بقوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وبقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة والخاصة
والعامة مدار الطرق لا يليق به انصال الخوف اليهم ومنهم من قال يحصل انواع
من الخوف وذكروا فيه اخبارا تدل على ذلك لان ظاهر القرآن اولى من خبر الواحد وابيا
قوله الذين امنوا وكانوا يتقون معنيه بلغة ارجح الاول لتصل كونه
صفة الله ولبا دالة السبب على المدح والثاني الرفع على الابتدا وخبرهم البشرى
واما قوله تعالى لهم البشرى فعنه اجوبة الاول المراد منه الرؤيا الصالحة
عن النبي عليه السلام ذهبتا لسوق ونعم البشارة نوع عليه السلام الرؤيا
الصالحة يراه الله او يراه الشيطان فاذا اعلم احدكم صلى حافه فليعوذ منه وليبصق
عن شماله ثلاث مرات فانه لا تضره وعنه عليه السلام الرؤيا الصالحة من الله جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة وعن ابن مسعود الرؤيا ثلثة احاديث يحدث بها الرجل نفسه
فراه في المنام وحديث التسويل فالرؤيا التي تسوء الصالحة وعن ابراهيم الرؤيا ثلثة
فالمبشرة من الله جزء من سبعين جزءا من النبوة والتي يهم بها احدهم بالنهار فلعله يراه
بالليل والحزين من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يحزنه فليقل اعوذ بما عاذت ملائكة
الله من شر رؤياي التي رأيتها ان يضرني ولا يأتي احدا وفي اخرى واعلم ايا اذا علمنا قوله
لهم البشرى على الرؤيا الصالحة فظاهر هذا النص يقتضي ان لا يحصل هذه الحالة
الا لهم والعقل الصائب يدل عليه ودليل الحق والله هو الذي يكون مستغرق العلم الروح
بدار الله تعالى ومن كان كذلك فانه عند الموت لا يبقى فيه روحه الا معرفة الله ومن
المعلوم ان معرفة الله ونور رحمته لا تعذب الا الحق والصدق اما من يكون متورع

الغرض على احوال هذا العالم الكبير المظلم فانه اذا نام بقي كذلك فلا جرم لا اعوذ
على دوامه هذا السبب القهري للبشري في الحياة الدنيا على سبيل الحصر والتخصيص
والقول الثاني في تفسير البشرى انها عبارة عن محبة الناس له وعن ابن عباس انه
يا بشارة الحسن من ربه وعن ابي ذر قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال
تلك عاجل بشرى المؤمن واعلم ان المباحث العقلية تقوي هذا المعنى وذلك
لان الكمال محبوب لذاته لا لغيره وكل من اتصف بصفة من صفات الكمال
صار محبوبا لكل احد ولا كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب
بمعرفة الله مستغرق اللسان بذكر الله مستغرق الجوارح والاعضاء بعبودية
الله فاذا ظهر عليه امر من هذا الباب صار ذلك الانسان حاريا بمدحه والعلوب
محبولة على حبه وكلما كان هذه الصفات اقوى كان شهد المحبة
اقوى واتم فثبت ان معرفة الله محمودة بالذات فثبت ان كل حصر صار دليلا للانسان
محمودا بالطبع البشري ان الظاهر والباطن قد يكون من الانسان ثم انها
اذا شاهدت الانسان هاشته وقربته ومادا كل الالهية النفس الباطنة
والقول الثالث في تفسير البشرى انها عبارة عن حصول البشرى لهم عند الموت قال
تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
واما البشرى في الاخرة فسلام الملائكة عليهم كما قال سلام قولا من رب رحيم
ويدرج في هذا الباب ما وعد الله تعالى في هذا الكتاب بالعفو عنهم من سالف ذنوبهم
واعطاء الصحائف باعمالهم وما يعاد ذلك من احوال الانسان قبل دخول الجنة
والقول الرابع انها عبارة عما بشر الله به عباده المتقين في كتابه على
السنة انبيائه من جنته وكرامته وذلك قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان واعلم ان لفظ البشارة مشتق من جرم بشار يظهر لين في البشرة
الوجه فكل ما كان يدل على هذه الحالة وهو عموم الامور المذكورة
مشتركة في هذه الصفة مشتقة من الكل اجلاله وكل ما يتعلق من هذه
الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله وفي الاخرة تم امه تعالى لما ذكر حال
اولياء الله وشرح احوالهم قال لا تبديل لكلمات الله والمراد انه لا خلف فيها

والكلمة والقول سواء ونظير قوله تعالى ما سدل القول الذي هذا آخر ما يتعلق المراد
بالبشرى وعد الله بالثواب والكرامة لمن اطاعه كقوله يبشرهم ربهم برحمة منه رضوان
منه انه من يعالى ان ذلك هو الفوز العظيم وهو كقوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت
نعيما وملكا كبيرا ثم قال القاضي قوله لا مبدل لكلماته يدل على انها قائمة
للسبب وكلما قبل العدم امتنع ان يكون قديما ونظير هذا الاستدلال
حصول العلم ان علم الله تعالى لا يكون قديما وقد سبق الكلام على امثال هذه
الوجوه ثم قوله تعالى ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا الله هو السميع
العليم اعلم ان قوله يحزنون اعلم انا لقوم لما اوردوا انواع الشبهات
التي حكاها الله تعالى عنهم فيما تقدم من هذه السورة واجاب الله عنها
بالاجوبة التي ذكرناها وذكرناها عدلوا الى طريق اخر وهو تهديدهم وخوفهم
وزعموا ان اصحابنا السبع والمال فسيعي في تحريك وفي اعطاء الامر كما انه سبحانه
اجاب عن هذا الطريق فقوله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا واعلم ان
الانسان اما ان يكون من شأنه الغدر والتهديد والمكر والخبث لو جوزنا ان يكون موليا
فحاله ما اذا علم من وجهه علام الغيوب انه لذلك هو بحيث خرج من ان يكون سببا
لان يذمه الله تعالى فحاله ان الحزن الذي سببه قوله اذا اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون منه لكن الحزن الذي سببه قوله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا فاذا
كان تعالى هو الذي ارسله الى الخلق وهو الذي امرهم بدعوتهم الى هذا الدين كان
لا محالة ناصرا له ومعينا ولما كان العزة والقهر والقدرة لله تعالى حصل
الامن من زوال الخوف فان حصل وكيف اسه من زوال الغم من لم يزل تعالى ناصرا له في الظهور
والهيبة من بعد ذلك محا وحالا بعد حال فلما ان الله وعد الطفر والنصرة
مطلقا في كل وقت ما كان معينا منصورا في كل وقت كان محالا ان لا يكون
هذا الوقت من ذلك الوقت فحصل الامن بكل الوجوه في هذا الوقت
واما قوله ان العزة لله جميعا فهذا انما يحسن الاول فلا التاسع فتنبه
ان العزة بالالف المكسورة وفي قوله تعالى الكفر لا يحزنه ذلك
كانوا يقولون ان العزة لله جميعا وان الرسول عليه السلام كان يحزنه ذلك

اما اذا كسرت الالف كان ذلك استئنافا وهذا يدل على ضعف من الاعراب قال صاحب الكشاف
وقرأ الوحوة ان العزة بالفتح معناه لان العزة على صريح التعليل الثاني
قاله قوله ان العزة لله في هذا المقام امور الاول المراد منه ان جميع العز والعزة
هي لله تعالى اما بالنسبة الى عباده والغرض منه انه لا تعطى الكفار قدرة عليه بل تعطيه
العزة عليهم حتى يذلهم هو يذلك هو اعز منهم فامنه الله تعالى هذا القول من اخزار الكفار
بالقتل والاسر ومثله قوله تعالى لنرسلن الله لا علبن انا ورسلي انا لنصرن رسلنا الثاني قال
الاصم المراد ان المشركين يعيرون بعضهم بعضا بالفقر وبموت اولادهم وبموتهم بها وبذلك الاشياء
كلها لله تعالى هو تعالى قادر على ان يسلب منهم كل تلك الاشياء وان يصرف ان
يعطيهم اموالهم وديارهم الملك قادر وقوله ان العزة لله جميعا كالمضاد
لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن لا مضاد لان عز الرسول والمؤمنين
كلها بالله وهي لله اما قوله انه هو السميع العليم اي يسمع ما يقولون في حقه
ما يعزمون وهو سبحانه يهدد لك واما قوله الا ان لله من في السموات ومن في
الارض ومن وجهان الاول انه تعالى ذكر في اول السورة انه لله ملك
في السموات والارض وهذا يدل على ان كل ما لا يعقل فهو ملك لله تعالى وملك
له واما ههنا فعلم من خصه من يعقل يدل على ان كل العقلاء طوعا وكرها
ملك لله وملكه فيكون مجموع الآيتين دالا على ان كل ملكه وملكه
الثاني ان المراد ممن في السموات العقلاء المميزون وهم الملائكة والثقلان
واما خصهم بالذكر لدلالة على ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكه فما دونهم اولى
بهذه العبودية فيكون ذلك تنبيها على جهل الاصنام سبحانه تعالى عما يشركون
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وفي كلمة ما قولان
الاول انها نفي وحجد والمعنى انهم ما اتبعوا شركاء الله اما اتبعوا الشياطين وهذا
شركاء الله تعالى ومثاله ان احدنا يقول ان زيدا في الدار وما كاذبا فيه
محاطبا انسانا في الدار ظنه زيدا فانه يحال انه خاطب زيدا مع ان خاطب من
ظنه زيدا الثاني ان ما استفهام كانه قيل اي شيء يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعني ليس لهم لسواء على اي كفروا تعالى

ان يتبعون الا الظن والمعنى انهم انما اتبعوا ظنونهم الباطلة واوهامهم الفاسدة ثم
بين ان هذا الظن لا حكم له وان لهم لا عرضون به ذكر انها معنى الخرص في سورة الانعام
في قوله ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون **قوله تعالى** هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ○ اعلم انه تعالى
لما ذكر قوله ان العزة لله جميعا حتى يعلم الانام والمعنى انه تعالى جعل الليل
لغرض الهرب والكلال والسكون فيه وجعل النهار مبصرا اي مضيئا لهتدوا به
في وجوه الحكم والانتفاعات والمبصر الذي يبصر والنهار فيه وانما جعله مبصرا على طريق الاسم
من المسبب الى السبب فان قيل ان قوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه يدل على انه
تعالى ما خلقه الا لهذا الوجه وقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يدل على انه
تعالى اراد تحليق الليل والنهار لانواع كثيرة من الدلائل قلنا ان قوله
تعالى لتسكنوا فيه لا يدل على انه لا حكمة فيه الا ذلك لان التعليل حصول
تلك الحكمة اما قوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون فالمراد يتدبرون ما يسمعون
ويعتبرون به في **قوله تعالى** قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه الاية ○ اعلم ان هذا نوع
اخر من الاباطيل التي حكاها الله تعالى عنهم وهي قولهم اتخذ الله ولدا ويحتمل
ان يكون المراد حكاية قول من يقول الملائكة بنات الله ويحتمل ان يكون المراد قول
من يقول لا وثانا ولد الله ويحتمل ان يكون قد حكي عنه قوم من النصارى قالوا
ذلك فهذا استكشاف هذا القول قال تعالى هو الغني له ما في السموات وما في الارض
واعلم ان الله تعالى عبر عما لا يعقل كل ما في السموات والارض يدل على ان سبحانه لتسحا
ان يكون له ولد وبيان ذلك من وجوه الاول انه سبحانه غني مطلقا على ما قال
في هذه الاية والعقل ايضا يدل عليه لانه لو كان محتاجا لا ستحال ان يكون صانعا لغيره
وهو محال وكل من كان غنيا عما سواه لا بد وان يكون موجدا لغيره عما عدا الاجزاء والابعاض
وكل من كان كذلك فانه يمتنع ان ينفصل عنه شيء من اجزائه والولد عندهم يمثل ينفصل
عنه شيء من اجزاء الانسان فثبت ان الولد يمتنع ان يكون مثله فاذا كان هذا محالا لاستحالة كونه
تعالى جسما ثبت ان الولد له محال الثاني انه تعالى وكل من كان قديما ان كان
تعالى جسما من جوز الولد له محال لما ثبت في الاصول ان كل جسم فانه يمتنع ان يكون قديما
ثابتا يبقى زمانا وكل من كان كذلك فانه يمتنع عليه ان يتزايد في ذاته بعضا او يولد له ما يحصل

الشيء الذي يقتضي ويقرر ويقوم ولده قائما مقامه فثبت ان كونه تعالى غنيا يدل على انه
يمتنع ان يكون له والد والجواب ان نقول انا نعلم ان كل من كان غنيا يدل على
انه يمتنع ان يكون موصوفا بالشهوة واللذة واذا امتنع ذلك امتنع ان يكون له صاحبة
وولد الجواب ان نقول الدليل انما دل على ان كل من كان غنيا امتنع ان يكون له ولد لان
اتحاد الولد انما يكون في حق من يكون محتاجا حتى يعينه ولده على المصالح الحاصلة
والمتوقعة فمن كان غنيا مطلقا امتنع في حقه اتخاذ الولد الجواب الخامس ولد
الحيوان انما يكون ولدا له بشرط ان كان مشابها والد في الطبيعة والحقيقة ويكون
ابتداء وجوده ونموه منه وهذا في حق الله تعالى محال لانه غني مطلقا وكل
من كان غنيا مطلقا كان واجب الوجود ولد لكان ولده مساويا له فيلزم ان يكون
ولد واجب الوجود لذاته واجب الوجود ويمتنع ان يوجد من غيره واجب لذاته
فثبت ان كل من كان غنيا امتنع ان يكون له ولد فان قيل هذا الدليل على انه تعالى
انه تعالى غني وكل من كان غنيا امتنع ان يكون له ولد فان قيل هذا الدليل على انه تعالى
لا يعلم ولده وهذه اللازمة مع البطلان الاول في غاية البعد الجواب السادس
انه تعالى غني وكل من كان غنيا امتنع ان يكون له ولد فان قيل هذا الدليل على انه تعالى
وجب ان يكون موجدا لكل الاولاد فان قيل هذا يشكل الوالد الاول لانه يمتنع
كونه ولدا لغيره لانه تعالى كان قادرا على ان يخلق الوالد الاول على الوالد الاول
من غير توسط الاب والام والجواب ان الاب والام كان غنيا مطلقا
الجواب السابع انه تعالى غني مطلقا وكل من كان غنيا مطلقا امتنع
ان يصدر عن احداث الاشياء الى غير هذا ثبت هذا فنقول هذا الولد اما ان يكون
قديما او حادثا فان كان قديما وهو واجب الوجود لذاته اذ لو كان ممكنا لصدر
الى المؤثر وافتقار العدم الى المؤثر يقتضي ايجاب الوجود وهذا محال واذا كان
واجب الوجود لذاته لم يكن ولدا البتة بل كان موجودا مستقلا بنفسه واما ان
كان هذا الولد حادثا اوجده الله سبحانه غنيا مطلقا وكان قادرا على احداثه استحال
ان يشتريك شيء اخر معه في هذا العدم مطلقا ولم يكن ولدا فهذا جملة الوجوه المستدل
بها على قوله هو النفي الوالد اما قوله انه يمتنع ان يكون له ولد اما قوله له ما في
السموات وما في الارض فقد علم انه تعالى انما قال ان كل من في السموات والارض

والاوصاف الباقية الراجعة عبدا وما تحته يرجع الى ما سوى الواحد الاحد الحق المعبود وكل
ممكن محتاج وكل محتاج محدث فكل ما سوى الواحد الاحد الحق محدث والله محدثه
وخالقه وموجده ودليل هذا على صحة المقدمة الاولى اما ان الصانعة والولد وما شابه تعالى
بالدليل الواضح امتنع ما اضافوه اليه عطف عليهم بالانكار والتوبيخ فقال ان عندكم
من سلطان بهذا منتهاه على انه لا يحتمل عندهم وفي ذلك البيان بالغ في ابطال الانكار
فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون وقد ذكرنا ان الآية يحتج بها في ابطال التقليد في اصول
الدين وبها احتج العباس واصحابه الاحاد وقد حجبون بها في ابطال احد من الاصلين وقد
سبق الكلام فيه ثم **قوله تعالى** قل ان الذين يفترون على الله الكذب
الآية ثم اعلم انه تعالى لما بين الدليل القاهر ان اثبات الولد لله قول باطل من
انه ليس لهذا القائل دليل على صحة قوله فقد ظهر ان ذلك القول هو افتراء على الله
تعالى ونسبة لما لا يليق به وذلك يدخل ان من هذا حاله فانه لا يفلح البتة
الا ترى انه قال في اول سورة المؤمنين قد افلح المؤمنون وقال في آخر هذه السورة
انه لا يفلح الكافرون واعلم ان قوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا
يفلحون يدخل فيه هذه الصورة لانه لا يعم بهذه الصورة بل كل من قال في
ذات الله وصفاته قولا لا علم له ولا على صحته وسببه كان داخلا وهذا الوعيد
ومعنى قوله لا يفلح قد ذكرناه في اول سورة البقرة في قوله واولئك هم المفلحون وبالجملة
فالفلاح عبارة عن الوصول الى المطلوب المقصود ومعنى انه لا يفلح هو انه لا يحصل
له جميعه ولا بعضه مطلوبه ولا حاجة وحسرة من اليأس من اذا فاز في بعض المطالب
العاجلة والفاسد الخسيسة ظن انه قد فاز بالمقصد الاعظم فالله سبحانه
انزل هذا الحال بمن قال قولا لا مقصود الخسيس متاع قليل في الدنيا ثم لهم في الموت
وبعد الموت لا بد من الرجوع الى الله وعند هذا الرجوع لا بد وان يذيقهم الله العذاب
الشديد بسبب ذلك الكفر المتقدم وهذا كلام في غاية الاستقامة وبهاية
الحسن والجلالة **قوله تعالى** واتل عليهم نبأ نوح الآية ولنذكر اولا ما يكون
من المهمات ثم اعلم انه سبحانه لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات وفي الجواب عن
الشبه والسؤالات شرع بعد ذلك في بيان بعض الاحوال التي حصلت لها

ان الاعلام اذا طالعوا نوعا من انواع العلوم فربما حصل بوع من انواع
الملاله فاذا اسعل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن اخر انشرح صدره وطاب
قلبه ووجد من نفسه وعبه حلاوة وقوة صافية وميلا وباعثا ليكون
للرسول ولاصحابه اسوة بمن سلف من الامم فان الرسول اذا سمع ان معاطم هولاء
الكفار مع الرسل ما كان الا على هذا الوجه حصل له على قلبه تاعال المصيبه
اذا عمت خفت وباعث ان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال
وان العوافي ابدا الاهبا المعدمن الله ان الله تعالى اعانهم بالحجة ونصرهم وابيهم
وقهر اعدائهم كان ذلك هولا الكفار لامثال هذه القصص سببا لانكسار
قلوبهم ووقوع الخوف والوجل في صدورهم وحصد تعلقون من انواع الابتداء
والسفاهة وترك العصبة انا قد دللنا على ان محمدا عليه السلام لما لم يتعلم علما
ولم يطالع كتابا ثم ذكر هذه القاصيص من غير نقصان وتقديم غير ترتيب ولا انفصال
دل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم انما عرفها بالوحي والتنزيل واعلم ان الله تعالى
ذكر في هذه السورة من قصص الانبياء القصة الاولى قصة نوح عليه السلام
وهي المذكورة في هذه الاية وفيها وجهان من الفائدة الاول ان قوم نوح لما اصروا
على الكفر والجحد بحل الله بهم الغرق فذكر الله تعالى قصتهم ليصبر بذلك القصة عن
هولا الكفار وداعيه الى معارضة الجحد بالتوحيد والسر الثاني ان الكفار
بمكة كانوا يستعجلون العذاب الذي كان يذكره الرسول عليه السلام لهم وكانوا
يقولون ان كان صادقا فانا ما هذا العذاب فالله تعالى ذكرهم قصة نوح عليه
السلام كان يحذرهم هذا العذاب وكانوا يجحدونه فنزل بهم ما انذرهم به كما
اخبر وعد اهذا المسلة الثانية ان نوحا عليه السلام قال لقومه ان كان
كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله وعلى الله توكلت فاجمعوا امركم
وشركاكم وهذا جملة من الشرط والجزاء اما الشرط فهو مركب من قيدين العدد
الاول قوله ان كان كبر عليكم قال الواحدي في البسيط تعال كبر
يكبر كبرا في الشر وكبر الامر والشيء اذا عظم يكبر كبرا وغيان
قال ابن عباس ثقل عليكم وشق عليكم وعظم امر عليكم والمقام بضم الميم مصدر

كالاقامة يقال اقام بمكان كذا مقاما واقامة والمقام بفتح الميم الموضع الذى يقوم فيه
واراد بالمقام ههنا سكنى والمراد فيه والجماعة فقوله كم تركوا من جنات
معرى قولهم وفلان يسيل الطل واعلم ان سبب هذا القول امران احدهما ان عليه
السلام لما كان فيهم الف سنة الا خمسين عاما واليائس اولى الكفار كانوا قد اصروا
على المذاهب الفاسدة والطرائق الباطلة والعالم من الفطرة فى الدين فانه سهل قلعه
الباطل عن الجاهل فما وذكره له وكلما طال زمان الدعاء كان
اليأس عن الجاهل فما وذكره له وكلما طال زمان الدعاء كان
اشد واشد كراهة فان اقترن بذلك ايراد الدلائل الظاهرة على فساد حال المذهب
كانت النفرة اشد بهذا هو السبب فى حصول ذلك الفعل والقول الثانى
هو قوله وقد كبرى بامان الله واعلم ان الطباع المشغوفة بالدنيا المرتفعة على
طلب اللذات العاجلة يكون استماع الوعظ عن الامور الاخروية عاقة والنهى عن المحاسن
والمنكرات موجبة لسماع ذكر الموت وتعسير امور الدنيا ومن كان كذلك فانه
يستثقل الانسان الذى يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ومن الاذية وجه اخر
وهو ان يكون قوله ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى معناه انهم
كانوا اذا وعظوا اجتمعوا قاموا على ارجلهم ويعظوهم ليكون ذلك ظاهرا
وكلامهم مسموعا فاحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما
وهم قعود واعلم ان هذا هو الشرط المذكور فى قوله فاجمعوا امركم
وقوله ان الذى هو قوله تعالى فعلى الله توكلوا يعنى ان سلك تحصيركم
يحملكم على الاقدام على ايذائى فاعلموا انى لا اتمايل لكم اشد الاتمايل بل توكل على الله
واعلم انه عليه السلام كان ايدا موكلا على الله وهذا اللفظ موهما انه
انما توكل على الله فى هذه الساعة لكن المعنى انه انما توكل على الله ودفع كيدهم
الشر فى هذه الساعة والمراد الباقى وهو قول الاكثرين ان احد
الشرطين هو قوله فاجمعوا امركم وقوله تعالى فعلى الله توكلوا عند عدم اعتبار الشرط
وجوابه كما تقول فى الاعلام ان كنت مسلما فالله حسبى واعمل ما تريد فاعلم
ان جواب الشرط مستحيل على ما مر مرارا مرة على التربص والانتظار فاجمعوا امركم
وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غما ثم اقضوا الى ولا تنظرون

هذا

هذا اشارة الى انه ما الحد منهم بالاعلى عوتهم الى دين الله ومنعهم الانسان فارغا عن الالتفات
قوله اموى لمراى العجب وعدى فيه وجه اخر وهو ان يقال انه عليه السلام من الله لا يخاف
منهم بوجه من الوجوه ودلالة الخوف على ما حصل احد شيئين اما باتصال الشر او بانقطاع
المنافع فلما علم بما تقدم انه لا يخاف سرجم وبين في هذه الاية انه لا يخاف منهم لتسبلد يعلموا
منه جواز ان منهم من سيامن فعلى ان يخاف ان يقطعوا منه خيرا فقال ان اجرى
الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين وفيه قولان الاول اسلموا كما اسلم دين الاسلام
ولم تعلموه واما مامورا ان اكون على دين الاسلام والباقي اني مامور بالاستسلام لكل
ما انزل الى ولا حمل هذا الوجه الا على هذا الموضع لانه لما قال فاجمعوا الى
امر الله مامورا بالاستسلام لكل ما انزل الله في هذا الباب **قوله تعالى** وجعلناهم
فجعلناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين اعلم ان الله تعالى لما حكى الكلمات التي جرت بين نوح
عليه السلام وبين قومه الكفار ذكر الله تعالى انه لما ذا وجعت عاقبة كل واحد
اما في حق نوح واصحابه فامران احدهما ان الله تعالى نجاهم من جملة الكفار
والثاني انه جعلهم خلائف في الارض بعد ان كانوا مهددين بالهلاك بالغرق واما في حق الكفار
وهو انه تعالى اغرقهم واهلكهم وهذه القصة اذا سمعها من صدق الرسول
ومن كذب به كان زجرا للمكلفين من جنسهم يخافون ان يحل بهم مثل ما نزل بقوم
نوح ويكون داعيه للمومن الى الثبات على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه
قوم نوح وهذه الطريقة في الترغيب والتحذير اذا جرت على سبيل الحكاية عمن تعلم
كانت ابلغ من اوعد المتقدمين وعلى هذا الوجه كرر تعالى هذا المعنى في سائر السور **قوله تعالى** ثم بعثنا
من بعده رسلا الآية اعلم ان المراد من قوله ثم بعثنا من بعد نوح رسلا ولم يسمهم
بعد كان منهم هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيبا بالاتفاق وبنى المعجزات
القاهرة فاخبر تعالى عنهم انهم جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم
ما جرى على قوم نوح من اهلاك الله تعالى المكذبين من قوم نوح فنزح الله فلهذا قال فما كانوا
ليومنوا بما كذبوا به من قبل والمراد من ما كذبوا به طبع الله على قلوبهم

المراد مثل ما كذبوا به لان كلهم حصل في زمانهم لا المراد مثل ما كذبوا به من المعجزات
السبات الطاهر على الاحياء اجمع كانها واحدة فمن ايد الله تعالى بطبع على قلوبهم
واحسن احتجاجا على انه تعالى قد منع المكلف من الايمان بد الى قوله تعالى فطبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ولو كان هذا الطبع ما نعا لما صح هذا الاستثناء والجواب
ان الكلام في هذه المسئلة قد سبق على الاستقصاء في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم فلا فائدة في الاعادة العصا الثانية قصة موسى عليه السلام
قوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه الآية وفرعون وملائه ايمانا فاسكروا وآمنوا
قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما
جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون اعلم ان هذا الكلام غني عن التفسير وفيه
سؤال واحد وهو ان القوم لما قالوا ان هذا لسحر مبين وجب على موسى عليه السلام ان يقول لهم
قالوا اسحر هذا على سبيل الاستفهام وجواب ان موسى عليه السلام ما حكى عنهم
انهم قالوا اسحر هذا بل قالوا تقولون للحق لما جاءكم ما تقولون ثم حذف عنه معجزة القول
لدلالة الحال عليه فقال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار اما السحر
على ما ليس بسحر وهو قوله ولا يفلح الساحرون يعني ان حاصل صنعهم تمويه
ولا يفلح الساحر واما قلب العصا حية وقلب الحية معلوم بالضرورة انه ليس من باب التمويه
والتخيل فثبت انه ليس بسحر قوله تعالى قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا
الى قوله المجرمون اعلم ان مسائل المسئلة اعلم ان الله تعالى حكى عن فرعون وقومه
انهم لما عجزوا عن موسى وعلموا انه محق في دعواه لا جرم قوله اجئتنا لتلفتنا
عما وجدنا عليه آباءنا قال الواحدي اللفت في اصل اللغة الصرف عن امر واصله اللي ومنه قيل
لفتت عنقه اذا لويتها ومن هذا يقال التفت اليه اي اماله وحصه اليه قال الازهري
لفتت فلانا اذا لويته وهذا من المقلوب واعلم ان حاصل هذا الكلام انهم قالوا الدليل
الذي يحق علينا قبوله لا بد وان يكون امرا يلفينا عن طريقتنا التي وجدنا آباءنا عليها
ليحدث الحاصل والسبب الذي في علم القبول قوله وتكون لكم الكبرياء في الارض
قال المفسرون المعنى وتكون لكم الملك والعز في ارض مصر واخطاب لموسى وهارون
قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وانصافي اذا اعتز في القوم

لصدقه صارت عصا الدليل امامه فضاقت بالقوم واعلم ان السبب الاول اشارة الى المسبب
بالمعلة والمسبب الثاني اشارة الى الطريق على طلب الدنيا والحذق في تعاطي الرياسة فلما ذكر القوم
هذين السببين صرحوا بالحكم وقالوا وما نحن لكما بمؤمنين واعلم ان القوم لما ذكروا
هذا المعنى حاولوا العود الى ما يعارضوا معجزة موسى عليه السلام بانواع من السحر ليظهر عند
الناس ان ما اتى به موسى من باب السحر فجمع فرعون السحرة ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى
من باب السحر فجمع فرعون السحرة واحضرهم فعالهم موسى القوا ما انتم ملقون قال فصل
كيف امرهم بالكفر والسحر والامر بالكفر كفر قلت انه عليه السلام
امرهم بالفعل الحال والعصي ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد وسعي باطل لا يصل
طريقه عليه السلام امرهم بالسحر فلما القوا حبالهم وعصيهم قال لهم موسى ما جئتم
به السحر الباطل والعرض منه ان القوم قالوا لموسى ما جئت بسحر فقال موسى عليه
السلام ان ما ذكرتموه باطل بل الحق الذي جئتم به هو السحر والتمويه الذي يظهر
بطلانه ثم اخبر عنهم بان الله يحق الحق ويبطل الباطل وقد اجرى الله تعالى في سائر السور
انه كيف ابطل السحر ودلل بسببان ذلك التعيين قد يقع على الحال والمعنى
المستقبل قال ساصرفه قوله تعالى ما جئتم به السحر ما ههنا موصولة بمعنى الذي
وهي مرتفعة بالابتداء وجئتم بها السحر وقرأ الباقون آلسحر على الاستفهام
لان المعنى اذا صارت معرفة لقول الرجل لغيره لعنت رجلا مفعول له من الرجل
فتعدى بالالف واللام ولو قال لرجل سبني وجهه ان نسبه عن الرجل الذي
ذكر له وقرأ ابو عمرو آلسحر بالاستفهام وعلى هذه القراءة اما ان يستفهم
برفع الابتداء وجئتم به في موضع الخبر كانه قيل اي شيء جئتم به ثم قال على
وجه التوبيخ والتقرير السحر كقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
ولزم ان يلحقه الاستفهام للساوي المبتدا منه في انه استفهام كما تقول
كم مالك اعشرون ام ثلاثون فجعل العشرون بدلا من كم ولا علم ان يصلح السحر خبرا
عن المبتدا دون ما قبله ثم قال تعالى ان الله سيبطله اي سيهلكه ويظهر
فساد صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي لا يقويه ولا يعمله ثم قال
ويحق الله الحق بكلماته ومعنى احقاق الحق اظهاره وتقويته وقوله فما آمن

اي

اى يوقف موسى وقبل ما سبق من قصاصه وقدره وفى كلمات الله الحاث عامضه عميقه
قد ذكرنا ما فى بعض مواضع هذا الكتاب **قوله تعالى** مما امن لموسى الا ذرية
من قومه الاية ○ اعلم انه تعالى بين عقيب ما عدد من موسى عليه السلام
من المعجزات القاهره وما ظهر من بلغ العصا كل ما احضروه من السحر امر
من امنوا مع مشاهدة هذه المعجزات انما امن به منهم طائفة من ذريته من قومه واعاد ذكر هذا
دلالة على تعجب محمد عليه السلام لانه كان يعلم بسبب اصرار القوم عليه واستمرارهم
على الكفر فيما انزله فى هذا الباب سائر الانبياء اسوة لان الذى ظهر من موسى كان
فى الاعجاز فى مرأى العين اعظم ومع ذلك ما امن به منهم الا ذرية واختلفوا فى
المراد بالذرية على وجوه الاول ان الذرية ههنا هم اولاد العدد
قال ابو عبيدة يقع لفظ العدد تارة على القوم على وجه التحقير والتصغير ولا شك ان
حمله على التحقير على وجه الاهانة فى هذا الموضع فوجب حمله على الصغر ومعنى قلة العدد
الثانى قال بعضهم المراد اولاد من هاجر لان لما استمروا على الكفر اماتوا قلوب الاولاد
الروح واعمهم على الباقين على الكفر اضافوا الى الذرية اقوام كانوا
اباءهم من قوم فرعون وامهاتهم من بنى اسرائيل الرابع الذرية هو من الذرء
وهو ازنه وامراة خازنه وماشطته واما الضمير فى قوله من قومه فقد اختلفوا
ان المراد من قوم موسى او من قوم فرعون لان كل واحد منهما قد تقدم والاظهر ان عائد الى
موسى لان قرائن الكلام تدل ان الذين امنوا به كانوا من بنى اسرائيل
اما قوله على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم فيعود الى الذرية الاول
ان اولئك الذين امنوا كانوا خائفين من فرعون جدا لانه كان شديد البأس وكان
قد اظهر العداوة مع موسى وقد اعلم من قبل القوم انه كان بالغ فى ايذائهم فلهذا السبب
كانوا خائفين الثانى انها قال وملائهم مع ان فرعون واحد وهو من الاول
انه قد يعبر عن الواحد بلفظ الجمع والمراد التعظيم قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر
الثانى ان المراد بفرعون الرجل اللسان هذا من باب حذف المضاف كانه
اريد بفرعون ال فرعون حتى لان بعضهم ان نصرهم عرف بهم سلطنة انواع البلاء
عليهم قال ان فرعون لعال فى الارض لغالب قهارا ظالما مسرفا قتل

المراد انه كان ذكر القتل كثير التعذيب لمن يخالفه في امر من الامور والغرض من هذا السبب
في كون اولاد المؤمن خائفين وقيل انما كان هذا فرعونا لانه كان من احسن العبيد فادعى
الالهية **قوله تعالى** وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله الى قوله من القوم الظالمين هم
اعلم ان في هذه الاية **مسائل** المسئلة الاولى ان قوله ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين جزاء معلق على شرطين احدهما متقدم والاخر متاخر والعقها قالوا
المتاخر يجب ان يكون متاخرا وماله ان يقول الرجل لامراته ان دخلت الدار فانت طالق
ان كلمت زيدا وان كان الامر للكلام مجموع قوله ان دخلت الدار فانت طالق وصار
مشروطا فقوله ان كلمت زيدا والمشروط متاخر عن الشرط ودلالة العقل على ان يكون
المتاخر في اللفظ متقدما في المعنى ان يكون المتقدم في اللفظ متقدما في المعنى
والتقدير كانه يقول لامراته حال ما كلمت زيدا ان دخلت الدار فانت طالق فلو حصل
هذا التعليق قبل ان كلمت زيدا لم يقع الطلاق اذا عرفت هذا نقول قوله
ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يقتضي ان يكون كونهم مسلمين
شرطا لكون التوكل واجبا فنقول قوله ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا فمعناه يقول
للمسلم حال اسلامه ان كنت مؤمنا بالله فعلى الله توكل والامر للدوام الاسلام
عبارة عن الاستسلام وهو اتيان المرء بما امر به والكف عما نهي عنه والايمان عبارة عن
الطمأنينة والخضوع وترك التمرد واما الايمان فهو عبارة عن ضروب من العلوم عارفا فان
واجب الوجود لذاته واحد وان ما سواه محدث مخلوق ومحتاج في وجوده اليه وفي بقائه
واذا حصلت هاتان الحالتان حصل لا محالة للعبد جميع امور الى الله وتحصل في القلب
نور التوكل على الله فهذا هو الذي من لطائف الاسرار والتوكل على الله عبارة عن
تفويض الامور بالكلية الى الله والاعتماد في كل الاحوال على الله واعلم ان من
توكل على الله تعالى في كل المهمات كفاه الله كل المهمات لقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه
المهمات لقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه **المسئلة الثانية** ان هذا الذي امر موسى قومه
وهو التوكل على الله هو الذي حكاه الله عن نوح عليه السلام قال تعالى فعليه توكلت
وعند هذا يظهر ان المعاونة من الله تحصل لمن يوحد الله كما حكاه الله عن نوح عليه السلام ووصف نفسه بالتوكل
على الله وموسى امر قومه بذلك فكان نوح عليه السلام اماما وكان موسى مؤتما تم

المسئلة الثالثة

المسئلة الثالثة قوله تعالى انما قال فعليه توكلوا ولم يقل توكلوا عليه لان الاول يفيد الحصر كانه عليه السلام امرهم بالتوكل عليه وبناهم عن التوكل على الغير والامر للدال لانه لما ثبت ان كل ما سواه فهو ملكه وملكه وتحت قهره وقبضته وجب ان يتوكل عليه وبين ما امتنع في العقل ان يتوكل الانسان على غيره فهذا السبب حاتم هذه الكلمة هذا العنوان ثم بين تعالى ان موسى لما امرهم بذلك قبلوا قوله وقالوا على الله توكلنا عليه ولا التفت الى احد سواه ثم لما فعلوا ذلك استعانوا بالدعاء وطلبوا من الله شيئين احدهما ان قالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وبخاصة جملك من القوم الكافرين اما الاول وهو قولهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيحتمل وجوها الاول ان المراد لا تعذبنا بايدي فرعون وقومه كما لو سلطهم علينا لوقع في قلوبهم انا لو كنا على الحق لما سلطهم الله علينا فيصير ذلك شبهة قوية في اصرارهم على كفرهم فيصير تسليطهم علينا فتنة لهم كما ان لو سلطهم علينا لاستوجبنا العقاب الشديد في الاخرة وذلك يكون فتنة لهم الثاني لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة لهم اي موضع عذاب لهم الخ ان يقول المراد من الفتنة المفعول الذي هو المصدر على المفعول كالخلق بمعنى المخلوق والكون بمعنى المكون والتقدير لا تجعلنا معذبين اي لا تمكنهم ان يعذبونا بالظلم والقهر على ان نصر وعن هذا الدين الحق الذي ملناه وهذا الوجه الثاني مروي ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه وهو قولهم انا امن موسى لا ندري من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يعذبهم اما المطلوب الثاني في هذا الدعاء وهو قوله ونجنا برحمتك من القوم الظالمين الكافرين فاعلم ان هذا الترتيب يدل على ان كمال اهتمام هؤلاء بامر دينهم فوق اهتمامهم بامر دنياهم وذلك لانا لو حملنا قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين على انهم ان سلطوا علينا المسلمين عذبونا بشبهة لهم في ان هذا الدين باطل فصرفوا الى الله تعالى ان يصون هؤلاء الكفار عن هذه الشبهة وقدموا هذا الدعاء على طلب النجاة لانفسهم وذلك يدل على ان عناية هؤلاء بمصالح دين اعدائهم فوق عنايتهم بمصالح انفسهم واوجبناه على ان لا يمكن تعالى او لئك الكفار من ان يحملوهم على ترك هذا الدين كان ذلك ايضا دليلا على هذا المعنى

المسئلة الثالثة

لمصالح ادیانهم فوفی لهما مهم بمصالح ابدانهم علی جمیع التقدیرات فعله لطیفة شریفة

قوله تعالی واوحینا الی موسی واخیه ان تبوءا لقومکما بمصر بیوتا واجعلوا بیوتکم قبلة واقیموا الصلاة وبشر المؤمنین ۵ اعلم انه لما شرح خوف فرعون من الکافرین ومناظرته معهم من الوجه الذی اشعر به قال امر موسی وهارون المؤمنین من الکافرین ومناظرتهم من الوجه الذی اشعر به قال امر موسی وهارون ان یتبوءا لقومهما بیوتا ای یتخذا لهم مساجد والامر بالصلوة یدل علی ان المراد بالبیوت المساجد والامر بالصلوة یدل علی ان المراد بالبیوت المساجد والامر بالصلوة یدل علی ان المراد بالبیوت الم

بالخطاب فقال لنشر الوصف وذلك لان المرسول الاصلي من جميع العباد تحصيل هذه البيانات
فخص الله تعالى موسى بهذا ليدل ذلك على ان الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام
وان هارون تبع له البحث الثالث ذكر المفسرون في نصبه هذه الواقعة
وجوها الاول ان موسى وهرون كانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا الى موضع
من الكعبة لئلا يطهروا علمهم فتوديهم وتعشوهم عن دينهم كما كان الموسول على
هذه الحالة في اول الاسلام بمكة الثاني قيل انه تعالى لما ارسل موسى عليه السلام
الهم امر فرعون بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من الصلوة فامرهم الله تعالى ان
يجعلوا مساجدهم بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون الثالث انه تعالى لما ارسل
موسى الهم والطم فرعون بذل العداوة والشدة امر الله تعالى موسى وهرون وقومهما
بالمحاربة والمجاهدة على رغم الاعداء وكمل تعالى بان نصرهم على الاعداء والله اعلم

قوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا
الى قوله لا يعلمون اعلم ان موسى لما بالغ في اظهار المعجزات لفرعون ورأى ان
القوم مصرون على الجحود والعناد والانكار اخذ يدعو عليهم وفي قوله يدعو اصلى
للعداء يذكر اولا سببا قادمه على ذلك الكرام وهو ان رأى فيهم هو ايهم لاجل حبهم الدنيا
تركوا الدين فلهذا استشفع عليه السلام ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا
في الحياة الدنيا والزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب والاثاث والمال
ما يريد على هذه الاشياء من الصامت والناطق وقوله ليضلوا عن سبيلك وفيه
مسئلتان المسئلة الاولى قراءة عاصم وحمزة والكسائي ليضلوا بضم الياء
والباقون بفتحها اما المسئلة الثانية فهي احد احتمالات هذه الآية على اربعة اوجه
يضل الناس ويريد اضلالهم ويعرضهم من وجه الاول ان اللام في قوله ليضلوا
لام التعليل والمعنى لان موسى قال ربنا اطمس على اموالهم اذا اعطيتهم هذه الزينة والاموال
لاجل ان يضلوا فدل هذا على انه تعالى قد يريد اضلال الكافر لهذا السبب الثاني انه
قال واشدد على قلوبهم فقال الله قد اجبت دعوتكما ودل الكلام على ان المقصود
قال العاصي لا يجوز ان يكون المراد من هذه الآية ما ذكرتم وقد دل عليه وجوه الاول
انه سبحانه وتعالى منع عن فعل القبيح وارادة الكفر منه تعالى الله لو اراد

ذلك لان الايمان مطبوع عليه تعالى بسبب كفرهم لانه لا معنى للطاعة الا الاتيان بما
يوافق الارادة ولو كانوا كذلك لما استحقوا الدعاء عليهم بطمس الاموال وشد
القلوب وذلك ظاهر ثانيا ان سلمنا ان جوزنا ان يريد اصلا للعباد لجوزنا ان يبعث الانبياء
بالدعاء الى الاصلاح ويحاول ان يقوى الكفار بان اضاف المصلحين الى اظهار المعجزات
عليهم وفيه هدم الدين وابطال الثقة بالقرآن والخبر العاشر انه لا يجوز ان يقول
لموسى وهارون يقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وان يقوله لواحد منا
آل فرعون بالسين وبعض من التمرد لعلهم يذكرون مراده تعالى اراد الصلاح
منهم واعطاهم النعم لكي يصلوا الا ان ذلك مناقضه فلا بد من حمل احدهما
على ما وافقه الاخر والحادي عشر انه لا يجوز ان يقال ان موسى عليه السلام
دعى ربه بان يطمس على اموالهم لاجل ان لا يرجعوا ويتوبوا مع تسديده تعالى
اراده الايمان واعلم انا بالغنا في تكثير هذه الوجوه في مواضع كثيرة
من هذا الكتاب واذا تقرر هذا نقول وجب ان يدل هذه الكلمة وذلك
من وجوه الاول ان اللام في قوله ليضلوا لام العاقبة كقوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ولما كانت عاقبة قوم موسى هو الضلال
وقد اعلمه الله تعالى ذلك لا جرم عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ الثاني
ان قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم ليضلوا عن سبيلك اي لا تطمس
المعقول عليه كقوله سأل الله لكم ان تضلوا والمراد ان تضلوا ولقوله
تعالى قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم منكم فالمراد الا تقولوا ومثله
هذا الحذف كثير في الكلام الثالث ان يكون موسى عليه السلام ذكر
ذلك على سبيل التعجب المعروف لانكار والتقدير كأنك ايهم يملك لهذا
الغرض فانهم لا يفعلون هذه الاموال لاجله وكما يقال ايهم رسمه
واموالا لاجل ان يضلوا عن سبيلك ثم حذف حرف الاستفهام كما في قوله تحدث
عسى ام رائد يوسطه عكر الظلام من الرمان حتى الا وارادا حدبك وعدا
هها الرابع قال بعضهم هذه اللام لام الدعاء وهي لام مكسورة
تجزم المستقبل وتنصبها الخامس فعال لمعنى الله الموسم ولمعنى الله الخاذل

والمعنى

والمعنى انا لم نعلم الضلال عن سبيل الجاهلين الا هذا القدر لان التعليل لا يحسن
بحسب ظاهر الامر الا في هذا القدر فيحتمله ويقرر انه تعالى لما اعطاهم هذه
الاموال وصارت تلك الاموال سببا لمزيد البغي والكفر اشتهت هذه الحالة
من اعطاه الله اياها لاجل الاضلال فورد هذا الكلام بلفظ التعليل لاجل هذا
المعنى السادس انا بينا في تفسير قوله تعالى يضل به كثيرا وفي اول سورة البقرة
ان الضلال قد جاء في القرآن بمعنى الهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا هلك فيه اذا ثبت
هذا فنقول قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك معناه ليهلكوا ويموتوا او نظير
قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا
هذا احتمله ما قيل في هذا الباب واعلم انا قد اجبنا عن هذا السؤال
مرارا كثيرة في هذا الكتاب ولا باس ان نعيد بعضها في هذا المقام فنقول
الذي يدل على ان الاضلال من الله تعالى هو الاول ان العبد لا يقصد
الا حصول الهداية فلما لم يحصل الهداية بل حصل الضلال الذي لا يريده علمنا
ان حصوله ليس من العبد بل من الله تعالى عاقبوا انه طرد هذا الضلال
انه هدى ولا حرم اوجده وادخله في الوجود فنقول على هذا التقدير
اقدامه على تحصيل هذا الجهل لشبهة الجهل السابق ولو كان حصول كل الجهالات
بسبب جهل آخر لزم التسلسل وهو محال فثبت ان هذه الجهالات والضلالات
لابد من انتهائها الى جهل سابق اول وضلال اول وذلك الا يمكن ان يكون بخلق
العبد وتكوينه لما مر تقريره فثبت انه لا بد من الاقرار بكون الجهالات
السابقة الاولى بخلق الله تعالى ولما ثبت بالبرهان القاطع ان الكل بخلق الله
ثبت ان هذا الجهل بخلق الله تعالى وايجاده فثبت ان الكل من الله تعالى
فاصل هذا الكفر هو الذي جرى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم اللهم
وهو الحجة الكبرى ان العبد لا ينسبه الى الصدر على السوية ولا يرجح احد
الطرفين على الآخر الا المرجح ولا المرجح ليس من العبد والا لتعلق الطلب به فلا بد

والمعنى

وان يكون من الله تعالى واذا كان كذلك كانت الهداية من الله والضلال من الله الوجه الرابع
انه اعطى فرعون وقومه رئيسه واموالا وقوى حب المال والجاه في قلوبهم واودع في
طباعهم نفورا شديدا عن خدمة موسى عليه السلام والانقياد له لاسيما وكان فرعون
كالمنعم في حقه والمربي له والمنعم من هذا شانه راسخة في العقول وكل ذلك
يوجب اعراضهم عن قبول دعوى موسى واصرارهم على انكاره وصدقه فثبت بالدليل
العقلي ان اعطاء الله فرعون وقومه رئيسا واموال الدنيا لابد وان يكون موصلا
لهم الى الضلال وهذا ان استعرته ظاهر اللفظ فقد بقيت صحته بالعقل الصريح فليف يمكن
ترك الظاهر اللفظ في مثل هذا المقام وليس يحسن حمل الكلام على الوجوه المتكلفة
فيقول لما الوجه الواحد هو حمل اللام على لام العاقبة ضعف لان موسى
عليه السلام ما كان عالما بالعواقب فان قالوا ان الله اخبره بذلك قلنا
فلما اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون كان صدقا لا محالة فيلزم ان يكون ذلك
ليستلزم انقلاب خبر الله كذبا وهو محال والمفضي الى المحال محال واما الوجه
الثاني وهو تاويلهم على قوله ليضلوا عن سبيلك على ان المراد لئلا يضلوا عن سبيلك
فيقول ان هذا التاويل دعوى الوحي الجاني في لسانهم واما قوله انه لما شرع
في تفسير قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
بين بقوله بعض الاصحاب انهم قرنوا من نفسك على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار
ثم استدل هذا القائل على قراءته وقال انها تقتضي تخليف القرآن لمعنى ومعنى ثاب
ما دل الدليل على بطلانه وبالجملة فالذي ذكره بالقراءة وهذا الوجه الذي ذكرناه هاهنا
شيء من الله لانه على القراءة الاولى يكون تقسيما بان الاشياء كلها
على القراءة الثانية في بعضه ولا في اثنانه وحينئذ يبطل القرآن بالكلية وهذا
بعينه هو الجواب عن قوله المراد منه الاستفهام بمعنى الانكار فان تجويز
تجويز مثله في سائر المواضع فلعله تعالى قال لنا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
على سبيل الانكار والتهكم واما قوله اجوبة ثالث فلا يخفى ضعفها فانه تعالى
حكى عن موسى عليه السلام انه قال ربنا اطمس على اموالهم وتقدم ذكر ما معنى الطمس عند قوله

تعالى من قبل ان يطمس وجوهها والطمس هو المحو قال ابن عباس لعنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة هكذا صحاحا واقعا فادبارها وجعل سكرهم حجارة قال واشدد على قلوبهم ومعنى الشد على القلوب الاسناق بها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل على ان الله تعالى فعل ذلك لمن شاء ولو لا ذلك لما حض موسى عليه السلام هذا السؤال قال فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وفيه وجهان احدهما يحتمل ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا اي ليضلوا ولئلا يؤمنوا فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ويكون احد الامرين واقعا والثاني ان يكون امرا ودعوة والمعنى اطبع على قلوبهم واقسها حتى لا يؤمنوا فانها لا تستحق ذلك قال تعالى قد اجيبت دعوتكما يعني دعوتكما عليهما وهذا يدل على ان قول موسى ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء لا على وجه الدعاء بل على وجه الامر لان موسى لا يدعو الا بما يعلم من الله انه يجيبه فيه ولا يجوز ان يقول عند دعاء الداعي امين فعلنا ما سألت لان قوله امين استجب وهو سائل فعلما ان الداعي سائل اقصاه الى المسألة لا بعد ان يكون كل واحد منهما دعا بهذا الدعاء فيما ذكرنا في الباب ان يقال انه تعالى حكى هذا الدعاء عن موسى بقوله وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا الآية ان هذا لا ينافي ان يكون هرون قد كرر ذلك الدعاء ايضا واما قوله فاستقيما فالمراد استقيما على الدعوة والرسالة والمقام في الامر بالحجة فقد لبث نوح على قومه الف سنة الا خمسين عاما فما استجيب له الا في اربعة او خمسة وما استجاب له الا قليل ولا يستجاب لهارون حيث قال ان قومي استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين وقوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فيه تحذير لهما عن مثل ما سئل الجاهلون الذين يظنون انه متى ما ان الدعاء مجابا كان المقصود حاصلا في الحال فربما اجاب الله تعالى دعاء انسان في مطلوب لا لانه انما وصله اليه في وقت المقدر والاستعجال لا يصدر الا عن الجهال وهو انما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين واعلم ان هذا انهى يدل على ان الله قد سدد موسى عليه السلام كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك يدل على صدور الشرك منه ليحبطن العمل قال الزجاج قوله ولا تتبعان وضعه جزم والمعنى ولا تتبعا لان النون الشديدة وحذفت على النهي موكدة ولزمت لسكونها او سكون النون التي قبلها فاختير لها الكسر لانها تعدل الالف لشبهها بها في الشدة وقرأ ابن عامر ولا تتبعان بتخفيف النون

قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الى قوله عن اياتنا لغافلون ☜

اعلم ان تفسير اللغط في قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر مذكور في سورة الاعراف والمعنى انه لما اجاب دعاءهما امر بني اسرائيل بالخروج من مصر في الوقت المعلوم وبشر لهم اسباب وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع انهم خرجوا وعزموا على مفارقته لم يمكنه ان يخرج على اثرهم وقوله فاتبعهم اي لحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقوله بغيا وعدوا البغي طلب الاستعلاء بالحق والعدو الظلم روي ان موسى عليه السلام لما خرج مع قومه ووصلوا طرف البحر الى طلب فرعون مع عساكره منهم موقعوا في خوف شديد لانهم صاروا بين بحر مغرق وعدو مهلك فانعم الله عليهم بان اظهر لهم طريقا في البحر على ما ذكر الله تعالى هذه القصة بتمامها في سائر السور ثم ان موسى عليه السلام مع اصحابه دخلوا وخرجوا وبقي الله تعالى ذلك الطريق اليبس ليطمع فرعون وجنوده في الممكن من العبور فلما دخل جميعهم عرفهم الله تعالى ذلك فوصل اجزاء البعض منها ببعض فزال الفلق وهو معنى قوله فاتبعهم فرعون وجنوده وبغيا وعدوا من ما كان في قلوبهم من البغي وهو محبة الافراط في ظلمهم والعدوان هو تجاوز الحد ثم ذكر تعالى انه لما ادركه الغرق اظهر كلمة الاخلاص طلبا لنفسه انه يخلصه من تلك الافة وههنا سؤالات السؤال الاول ان الانسان اذا وقع في الغرق لم يمكنه ان يتلفظ بهذا اللفظ فكيف حكى الله عنه انه ذكر هذا الجواب من وجهين الاول ان المراد ههنا ان الكلام بالقلب لا بكلام اللسان ومعنى ان يستدل بهذه الحالة على ايمان قلبه النفس به تعالى حكى عنه انه قال وهذا الكلام وشبه بالدليل انه ما قاله باللسان بوجب الاعراف بسوء تكلم عن كلام اللسان وهو المطلوب السؤال الثاني انه امن بثلاث مراتب اولها قوله امنت وثانيها قوله انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وانا من المسلمين فما السبب في عدم القبول والله تعالى متعال عن ان يلحقه غيض او حقد حتى يعامله معاملة الحاقد المنتقم بمثل هذا الاقرار والجواب العلماء ذكروا في وجوهها

المبحث انه انما امن عند نزول العذاب لانه لم يبق في هذا الوقت عنه معقول لان عند
نزول العذاب صار الحال وقت الالجاء وفي هذه الحال لا يكون التوبة معتولة
وهذا السبب قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا الوجه الثاني
وهو انه انما دخل هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع تلك البلية الحاضرة والمحنة
الباهرة فما كان مقصوده من هذه الكلمة الاقرار بوحدانية الله تعالى
والاعتراف بعجز الربوبية وذله العبودية وعلى هذا التقدير فما كان ذكر هذه
الكلمة منجيا ولا لاخلاص فلهذا السبب كان مبنيا على محض التقليد الا ترى انه
قال لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وكأنه اعترف بانه لا يعرف الله الا بما
سمع من بني اسرائيل انهم اقروا بوجوده وكان هذا محض التقليد فلهذا السبب
لم تصر الكلمة مقبولة منه ومزيد التحقيق فيه ان فرعون على ما حكاه في سورة طه
كان من الدهرية وكان من المنكرين لوجود الصانع تعالى ومثل هذا الانسان
الغاطس لا تزول ظلمة الانكار بالحجة القطعية والدلائل اليقينية واما التقليد
المحض فهو لا يفيد لانه يكون ضم الظلمة التقليد الى ظلمة الجهل السابق الوجه
الرابع روات في بعض الكتب ان بعض اقوام بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا
بعبادة العجل فلما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل انصرف
ذلك الى العجل الذي كانوا مشتغلين بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة في حقه
سببا لزيادة الكفر الوجه الخامس ان اغتر اليهود بكلمة قلوبهم مائلة
الى التشبيه والتجسيم فلهذا السبب اشتغلوا بعبادة العجل لظنهم انه تعالى
لما تعالى في حق ذلك العجل وبرأه فلما كان الامر كذلك فلما قال فرعون امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فكأنه امن بالاله الموصوف بالجسمية والحلول
والنزول وهذا اعتقاد كلهم كفر فلهذا السبب لم يصح ايمان فرعون الوجه السادس
لعل الايمان انما كان يتم بالاقرار بنبوة موسى فلهذا السبب لما اقر فرعون بالوحدانية
وما اقر بالنبوة لا جرم لم يصح ايمانه ونظير هذا ان الواحد من الكفار لو قال في وقت
اشهد ان لا اله الا الله لم يصح ايمانه الا اذا قال مع هذه الشهادة اشهد ان محمدا رسول الله
وهذا هو الوجه السابع روي انها حين قال امنت برب اسرائيل عليه السلام

الى فرعون بعينا ما قول القمر في عبد نشأ في مال مولاه ونعمه فكفر نعمته وجحد
جحده وادعى السيادة دونه وعتت فرعون عنه فقول ابو العباس المولد
اين يصعب حتى العبد الخارج عن سبيل الكافر بنعمته ان الغرق في البحر بمان
فرعون لما غرق في فم جبريل عليه السلام اما قوله تعالى الآن وقد عصيت
قبل ولست من المفسدين فيه سؤالان السؤال الاول ما الحامل من القائل له الآن
وقد عصيت قبل والجواب الاخبار دالة على ان قائل هذا القول هو
جبريل وايماد ان قوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين ومن
الناس من قال ان قائل هذا القول هو الله تعالى لكنه ذكر بعده واليوم
ننجيك ببدنك الى قوله وان كثيرا من الناس عن ايانا لغافلون وهذا الكلام
ليس الا كلام الله تعالى السؤال الثاني ظاهر اللفظ انه انما لم
يقبل لمعصيته المتقدمة والقياس السابق وصحة هذا التعليل يمنع من قول
التوبة الحواب مذهب اصحابنا ان قبول التوبة عمر واجب عقلا واحد
دلائلهم على صحة ذلك المذهب هذه الآية وانضافا التعليل ما وقع لمجرد المعصية
السابقة بل بسبب المعصية مع لوث من المفسدين السؤال الثاني ان فعل يجب ان
يكون حسنا عليه السلام اختلافه بالطبع لا يتوب غضبا عليه الحواب
الاقرب انه لا يصح لان في تلك الحالة اما ان يعلم الله تعالى انه كان يأتي بالتوبة
ان لم يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة لقوله
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وان لم يعلم
ما منعه عن التوبة بمنعه لان الاخبار قد سوت بين الندم بقلبه وبعزم
على ترك معاودة الذنب وحينئذ لا يبقى لما فعله جبريل عليه السلام قائل والله اعلم
لو منعه لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر والله اعلم
قوله تعالى ان يقول الموسى وهرون عليهما السلام بقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى سر امر جبريل عليه السلام بان يمنعه من الايمان ولو وصل الى جبريل
اما فعل لكن عند نفسه لا بامر الله فهذا يطابق قول جبريل وما نتنزل الا بامر
ربك قوله تعالى في صفتهم وهم من خشيته مشفقون وقوله لا يسبقونه

القول واما ان قتل الكليم كان بالاغرقون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا
الفعل الذي يستحيل البقاء اصلا معنى لقوله تعالى فاليوم نجيك ببدنك
وفيه وجوه الاول نحيك اي نلقيك بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع الثاني
نحرجك من البحر ونخلصك منها وقع فيه تومل من قعر البحر ولكن بعد ان يعرف وقوعه
ببدنك في موضع الحال اي في الحالة التي ان حصل لا روح فيه الثالث ننجيك بهذا وعدله
بالتجاء على سبيل التهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم كانه قيل له نجعل لكن هذه
النجاة انما تحصل لبدنك كالروح ومثل هذا الكلام قد جاء على طريق الاستهزاء
كما يقال للعثرة لا كنت بعدان يموت ونخلصك من البحي ولكن بعد ان يموت
الرابع قرأ بعضهم ننجيك ببدنك اي بالجاي يلفظ ساحله مما البحر وذلك انه
طرح بعد ما غرق بجانب من جوانب البحر وذلك انه طرح فاكعب دما وماء الى
الساحل كانه ثور واما قوله ببدنك بعد موت وهو المراد من قوله ما ذكرنا
انه في موضع الحال اي في الحالة التي كنت بدنا محضا من غير روح الثاني نجعلك
ببدنك اي نحرجك من البحر الخامس نجعلك ببدنك اي بدرعك قال المسلمون
هو الدرع الذي يكون قصيرا قصير الكمين فقوله ببدنك اي بدرعك
وهذا منقول عن ابن عباس قال كان على فرعون درع من ذهب يعرف بها فاخرجه
الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرفوه اقول ان صح هذا فقد كان
ذلك معجزا لموسى عليه السلام واما قوله لتكون لمن خلفك اية وهو الاول
ان قوما ممن اعتقدوا في الهيته لما لم يشاهدوا غرقه عند ذلك اعتقدوا
انه لا يموت فاظهر الله تعالى امره بان اخرجه من الماء بصورته حتى يزول
ذلك الشبهة عن قلوبهم وقيل كان يطرحه على ممر بني اسرائيل
الثاني لتعدهم انه تعالى اراد ان يشاهد الخلق على ذلك الذل والمهانة
بعد ما سمعوا منه قوله انا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للخلق عن
مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس في نهاية الجلالة والعظمة ثم
آل امره الى ما يرون الثالث قرأ بعضهم لمن خلفك اية اي ويكون
لخالقك اية كما قال ابراهيم الرابع انه تعالى انما عرفه مع جمع قومه

ثم انه تعالى مالوح احد امنهم من قعر البحر اخصه بالاخراج كان تخصيصه بهذه
الحاله عجيبه دالة على قدرة الله تعالى وعلى صدق موسى عليه السلام فى دعوى النبوة
واما قوله وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون فالاظهر انه تعالى لما ذكر
قصة موسى وفرعون وذكر عاقبة امر فرعون وختم ذلك بالام العظام وخاطب به
محمدا عليه السلام صح ورود ذلك راجعا لامته عن الاعراض عن الدلائل ونعمائهم
عن التامل فيها والاعتبار بها فان المقصود من ذكر هذه القصص حصول
الاعتبار كما قال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب **قوله تعالى**
ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا صدق الى قوله يختلفون ○ اعلم انه تعالى لما ذكر
ما وقع عليه الختم فى امر بنى اسرائيل وههنا كان الحق الاول الرجوع
بعد ما بنى اسرائيل مبوا صدق اى اسكناهم مكانا صدق اى مكانا محمودا
وقول مبوا صدق فيه وجهان الاول يجوز ان يكون مبوا مصدرا
اى بوانا هم مبوا صدق الثانى ان يكون المعنى من اضافة الخاص ضربا وانما
وصف المبوا بهذه لان عادتها العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق
يقول رجل صدق وقدم صدق والله تعالى ادخلنى مدخل صدق واخرجنى
مخرج صدق والسبب فى ذلك ان كل الذى كان كاملا فى فنه صالحا
لكونه الغرض المطلوب منه وكل ما يطلق منه من الخير فانه لابد وان
يصدق الى الطرف الحق الثانى اختلفوا فى المراد من بنى اسرائيل
فى هذه الآية فقصة موسى كان حمل هذه الآية على احوالهم اولى وعلى
هذا التقدير كان المراد بقوله ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا صدق والشام
والمصر وتلك البلاد وانها بلاد كثيرة الخصب الله تعالى سخرها للذى اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله والمراد من
قوله ورزقناهم من الطيبات تلك المراد وانما المراد منه ان الله تعالى اورث
جميع ما كان لبنى اسرائيل بحتادى قوم فرعون من الناطق والصامت والحرث
والنسل كما قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها ثم قال بما اصلحوا حتى تمام العلم والمراد منه موسى

المتابع

يقولوا على ملة واحدة ومقالة واحدة من غير اختلاف حتى يراد التوبيخ حينئذ
منهم على المسائل والمطالب ووقع الاختلاف بينهم ومن تعالى ان هذا النوع من
الاختلاف لا يريد سعي في خراب الدنيا والله تعالى يعصمهم بعصم العامة واما
العول الثاني وهو المراد بني اسرائيل في هذه الامة اليهود الذين كانوا
في زمان محمد عليه السلام فعلا قال قوم عظيم من المعتزلة عالم عباس وهم قريبة
من الصين وبينهم وبين اليمن مسيرة عدة ومائتي فرسخ والشام وما بينهم من
الاقطار والمراد ما في هذه البلاد من الرطب والتمر التجانس مطعما في البلاد
طباعهم يقوا على دينهم ولم يظهر منهم الاختلاف حتى جاءهم العلم والمواد
من العلم القرآن الذي على محمد عليه السلام واما سماه علما لانه سبب العلم
وسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث
الاختلاف فيما بينهم قولان الاول ان اليهود كانوا منكرين لبعثة محمد عليه السلام
ويطعنون فيه على سائر الناس فلما بعثه الله تعالى كذبوه حسدا
وبغيا واختاروا لنفسهم الرياسة وامر به طائفة منهم فهذا الطريق صار سببا
لحدوث الاختلاف فيما بينهم الثاني ان الله تعالى انما انزل هذا
القرآن سببا لحدوث الاختلاف فيما بينهم لان بني اسرائيل كانوا قبل نزول القرآن كفارا فصارا بالكلية
الطائفة من بني اسرائيل كانوا قبل نزول القرآن كفارا فصارا بالكلية
ويقوا على هذه الحالة حتى جاءهم العلم فعند ذلك اختلفوا فامن قوم وبقي
على كفرهم اقوام اخرون واما قوله ان ربك يقضي بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فالمراد منه ان هذا النوع من الاختلاف
لا يزيله في الله في دار الدنيا والله تعالى في الاخرة يعصي بينهم فيثيب
المحق المبطل والصدق من الزنديق

قوله تعالى فان كنت
في شك مما انزلنا اليك الى قوله حتى يروا العذاب الاليم اعلم انه تعالى
لما ذكر من قبل اختلافهم من بعد ما جاءهم العلم اورد على الرسول عليه السلام
في هذه الاية ما يقوي قلبه في صحة القرآن والنبوة فقال فان كنت
في شك مما انزلنا اليك في الاية مسائل المسئلة الاولى قال الواحدي
الشك في موضوع اللغة ضم نقيض الى نقيض تعالى وشك الصيد اذا رميته

فطمئنت الى يد ورجله الى رجله والشكائك من الهوادج ما ضم بعضها الى بعض
والشكال بعض والشكال السوط المضطغم والشكائك الاذعبا لانهم تشكون
العشيهم الى القوم لسوامهم اى يضمون وسلك الحلق السلاح اذا دخل فيه ووصله
الى نفسه عالجها ناها فاذا قالوا شك فلان في الامر اذا دوابه وقف لمسه
المسئلة الثامنة اختلف المفسرون في ان المخاطب بهذا الخطاب من هو
فقيل هو النبي عليه السلام وقيل عن عاصم من قال الاول فاختلفوا
على وجوه الاول ان الخطاب مع النبي عليه السلام في الظاهر والمراد غيره
كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعلك تريد ان
تقول للناس ومن هذه المسئلة المشهورة انا اصغي واسمعي ياجارة والذي يدل
على صحة ما ذكرنا وجوه الاول قوله تعالى في آخر السورة يا ايها
الناس ان كنتم في ريب من البعث في شك من ان الله يحيي الموتى فانا خلقناكم
على بسيل التصريح والثاني ان الرسول لو كان شاكا في نبوة نفسه كان
ممسكا عن نبوته اولى وهذا لا يوجب سقوط الشريعة بالكلية والثالث
ان يعتقد ان يكون شاكا في نبوة نفسه فيخبر عن ذلك اشكا حار اهل
الكتاب عن نبوته مع انهم في الآخر عنادا وان يحصل منهم من كان
يوما ما الدال قوله لئن يحمه لا سيما وقد تقرر ان ما في ايديهم من التوراة
والانجيل والكل يحرفون صحفا فثبتان الحق هو ان هذا الخطاب وان كان
مع الرسول الا ان المراد هو لامته هذا معتاد فان السلطان الكبير
اذا كان له امير وكان يحبه ربما دل الامير فاراد ان يامر الرعية بامر
مخصوص فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه دلال الخطاب الى دلال الامير
الذي جعله امرا عليهم ليكون ذلك اقوى في قلوبهم الوجه الثالث
انه تعالى علم ان الرسول عليه السلام لم يشك في ذلك الا ان المقصود انه متى
سمع هذا الكلام فانه يصرح ويقول انا رسول لا شك ولا اطلب الحجة من غير

اهل الكتاب

أهل الكتاب بل يحكي ما ابرأنه من الدخل الطاهر ويطرح قوله تعالى اللائم
اعبدوا ما كانوا يعبدون والمقصود ان يرجعوا بالجواب الحق ويقولوا سبحانك انت ولينا من دونهم
كانوا يعبدون الجن وكما قال لعيسى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين والمقصود و
منه ان يصرح عيسى بالجواب عن ذلك وكذا هنا والوجه الثالث وهو ان يحمدا
عليه السلام كان من الشروط حصول الخواطر المشوشة والافكار المضطربة في
قلبه من الخيرات وطلب الخواطر لاجل دفع الاضرار الدلائل وتقرير الاثبات وهو تعالى
امر بهذا النوع من التقريرات حتى ان الرسول لم يخل من خاطر ذلك الوساوس ويطرح قوله
تعالى فلعلك بارك بعض ما يوحى اليك وامثاله تمام التقرير في هذا المقام ان قوله
ان كنت في شك فافعل كذا وكذا قضية شرطية والقضية الشرطية لا اشعار
فيها البتة بان الشرط ومع اولم يقع ولا بان الجزاء وقع اولم يقع بل ليس فيها الا بيان ان
ماهية هذا الشرط مستلزمة لماهية ذاك الجزاء فقط والدليل عليه انك اذا قلت
ان كانت الخمسة زوجا فانها منقسمة بمتساويين ومن البين ان هذا الكلام على ان الخمسة
زوج ولا على انها منقسمة بمتساويين وعدم هذا هو الا يدل على ان لو حصل هذا
الشك لكان الواجب فيه فعل كذا وكذا فاما ان هذا الشك وقع اولم يقع فليس في
الآية دلالة عليه والعاقل في انزال هذه الآية على الرسول ان يكسر الدلائل ويبوبها
كما يريد في فنون البيان وطائفة النفس وسكون الصدر ولهذا السبب اكثر الله تعالى
في كتابه من تقرير دلائل التوحيد والنبوة والوجه الرابع في تقرير هذا المعنى
ان نقول المقصود من ذكر هذا الكلام استمالة قلوب الكفار وتقريرهم على قبول
الايمان وزوال اديانهم طالبوه مرة بعد اخرى بما دل على صحة نبوته وكانهم استكملوا من تلك
المعاجز والمطالبات وحمل الاستحياء صارفا لهم عن قبول الايمان فقال تعالى
فان كنت في شك من ينزل عليك بتمسكك بالدليل العقلي يعني ان اولى الناس بالاشتراك في نبوته
هو نفسه ثم مع هذا ان طلب هو من نفسه دليلا على نفي نفسه بعد ما سبق من الدلائل
الباهرة والبراهين القاهرة فانه ليس فيه عيب ولا يحصل بسببه نقصان فاذا لم يستنكف منه
ذلك في حق نفسه فلان لا يستنكف من عين طلب الدليل كان اولى وعلى هذا المقصود
هذا الكلام استمالة القوم وازالة الحياء عنهم في ترك المناظرات والوجه الخامس

لو كون التعدد آلة لاستشكل البتة ولو كان كذلك لكان الكلام فيه كالكلام في إرادة ذلك السبب لقوله
تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا والمعنى انه لو وجد في الدار من يمنع ويدافع لحال
العلاج فكذا ههنا لو وجد صانع وتنوع السبب فإنه يرجع إلى التمويه والتلبيس ليعرف بهما ان
هذا السبب زائل وهذا شبهة باطلة الوجه السادس قال الراجحي ان الله خاطب
الرسول في قوله فإن كنت في شك وهو شامل للمؤمن والكافر وهو كقوله يا أيها النبي العظيم إذا طلقتم
النساء وقال وهذا أحسن الأقاويل قال الخاتمي وهذا العبد لا ندري قبل للرسول
داخل تحت هذا الخطاب فدعاك السؤال إلى أن معه عن أو لم يرد وإن جاز أن يراد به
مع من فالذي يمنع أن يراد بالفرد ما يعصمه الظاهر وقال في قبل هذا التأويل
يدل على نفي التحصيل الوجه السابع هو أن العطاف في قوله فإن كنت في شك
للسعي أي فإن كنت في شك وقبل بعيني فإن مرك بالسؤال لا يحمل شاكا لكن ليزداد يقينا
كما أراد إبراهيم بمعاينة إحياء الموتى يقينا وأما الوجه الثامن وهو أن يقال
هذا الخطاب ليس مع النبي وتقرير أن الناس في زمانه كانوا فريقين المصدقون
والمكذبون له والمتوقفون في أمر الساكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب
فقال إن كنتم أيها الإنسان في شك مما أنزلنا الكلام على لسان محمد فسلوا هذا الحال
يدل على صحة نبوته وإنما وحد الله تعالى وهو يريد الجمع كما في قوله يا أيها الإنسان ما غرك
بربك الكريم ويا أيها الإنسان إنك كادح وقوله ما دام من الإنسان صوت ولم يرد في جميع
هذه الآيات إنسانا بعينه الوجه التاسع هو أن يقال إن الله تعالى لما ذكر
الشك عنهم جاز منهم أن يحققوا القسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من
الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين المسألة الثالثة اختلفوا في الرسول
عنه في قوله فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من هم فقال المحققون هم الذين آمنوا من أهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري ونظائرهم وقال آخرون هم الذين يقرؤون
وهم من حال الجهل سواء كانوا من المسلمين أو من الكفار لأنهم إذا تتبعوا عدد التواتر
تمرقوا وأنه من المتواتر بعينه لا يحصل ولكن الجملة دالة على البيان بمعلوم الذي عليه
السلام بعد حصول العرض فإن قيل أرأيتم إن عدهم أنكتم عدد فيها التحريف
والتغيير فلم يمكن التعويل عليها قلنا لأنهم إنما حرفوها لأنها تشتمل على الآيات

الدالة

صحة
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان ثبت فيها آيات دالة على نبوته كان دليل
الدليل على صحة نبوة محمد لا بها لما تضمنه من توفر دواعيهم على نقل القرآن الدال على انها كانت
في نفسها الطف وعلما ان المقصود من هذا السؤال معرفة ذلك الاستناد فقول الاول
انه القرآن ومعرفته من الرسول عليه السلام والثاني انه رجع ذلك الى قوله تعالى ما اجعلوا
منتهى علمهم العلم والحول اولى لانه هو الذي هم واحاسبه للمعرفة انهم وانتم واعلم ان تعالى
لما بين هذا الطريق في ان لا يعلم احد حال احق من نبي ولا يكون من المهتدين في المعنى
ليست عبدك الا ما تولاه الله فانه الطاعن فيما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للريب ولا يكون من
المهتدين ولا تكونن من الذين عدلوا ما ما تالله اي عاندت ودم على ما انت عليه من اشقاء
الممتنع ولا تكونن من الذين عدلوا ما ما تالله ويحتمل ان يكون دليلا على الطريق الصحيح واظهار
الحجة عليه واما الكلام في هذه الآية غير مروية لا لسك ولا اسائل بل اشهد انه الحق ومروية
الشد دوله لكن اعلم ان السلام غير مروية لا لسك ولا اسائل بل اشهد انه الحق ومروية
ولا تكونن من الذين عدلوا ما ما تالله فتكون من الخاسرين واعلم ان فرقا مختلفا
الشد اما ان يكون مصدقا للرسول او من الموقنين في صدقه او من المكذبين
ولا شك ان المتوقف بقوله ولا تكونن من الممترين مع اسعة بدل المكذبين
وبين ان من الكاسرين بعد ان تعالى لما فصل هذا التفصيل بين ان له عدا امضى عليهم اسعا
ولا سعير وعدا اخرين مضى لهم الكرامة ولا سعادة مع تعالى ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك لا يؤمنون وهي مسائل المسئلة الاولى قرا نافع وابن عامر كلمات
على الجمع والباقون كلمة على لفظ الواحد وكلمة واحد تحتمل الوحدة الجنسية
المسئلة الثانية المراد من هذه الكلمة حكم الله بذلك واحسان عنه وعلمه في
العبد مجموع القدرة والداعية الذي هو موجب لحصول الكفر اما الكفر والايمان
وظاهر ولما مجموع القدرة وظاهر الصالان القدرة لما كانت صالحة للكفر والايمان لم يترجح احد
الجانبين على الاخر الا المرجح وحصل المرجح من الله تعالى وطبعا للسلسل وعند حصول هذا
المجموع يجب الفعل وهذا هو الحق الذي اعتقد صحته قولهم في اليمان العصا اللازم
والعدل الواجب وهو حق وصدق والمحسن عندهم قال ولو جاءتهم كل اية حتى يروا
العذاب الاليم ولذا ما هم امنون المسئلة ولو جاءتهم الدلائل التي لا حصر لها والعصر ودلك
بيان الدليل الاول الاشاعرة الله فاذا لم يحصل الله الاشاعرة صاعقة لله الدلائل العصر المسئلة الثالثة

من القصص المذكورة في هذه السورة قصة يونس عليه السلام **قوله تعالى** فلولا
كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في
الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين مع اعلم انه تعالى لما بين من قبل بقوله ان الذين
حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم اية حتى يروا العذاب الاليم اتبعه هذه الاية
لازاحة الشك على ان قوم يونس امنوا بعد كفرهم واستحقوا بذلك الايمان ورد للدلالة على
ان الكفار منهم من حق عليهم بخاتمة الكفر ومنهم من حكم الله عليهم
بخاتمة الايمان وهل ما قصه الله به هو واقع وفي هذه الاية مسائل المسئلة الاولى
في كلمة لولا في هذه الاية طريقان الاول ان معناها النفي وهو الواحدي في
الوسيط قال قال الوما اكن صاحب عباس كلما في كتاب الله من لولا فمعناه هلا
الا في حرفين فلولا كانت قرية امنت نفعها ايمانها معناها فما كانت قرية امنت
فنفعها ايمانها وكذلك فلولا كان من القرون من قبلكم معناه فما كان من القرون
على هذا التقدير الا قوم يونس فما كانت قرية نفعها ايمانها الا قوم يونس وانتصب قوم
يونس على الاستثناء منقطع عن الاول لان اول الكلام جرى على القرية فان كان
المراد اهلها وقع استثناء القوم من القرية وكان كقولهم وما بالربع من احد
الا اواري لم وقوي ايضا الرفع على البدل الطريق الثاني لولا بمعناه
هلا والمعنى هلا كانت قرية واحدة امنت قبل نزول العذاب بها قبل حلوله كما امنوا
واخلصت في الايمان قبل معاينة العذاب الا قوم يونس وطاهر اللفظ يقتضي استثناء
قوم يونس من القرى اذ المعنى استثناء قوم يونس من اهل القرى وهو استثناء منقطع
بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا فعلنا بهم كذا وكذا المسئلة الثانية روى
ان يونس عليه السلام بعثه الله الى نينوى من ارض الموصل وكانوا قد هدرهم معاصيهم
فلما فعلوا ما فعلوا من الاغترار للعذاب فلبسوا المسوح وعجلوا اربعين ليلة وكان يونس قال لهم
ان احلكم اربعون ليلة فقال ارداسا اسباك اهلك امبالك فلما مضت خمس وثلاثون
ظهر في السماء عليهم سواد شديد السواد وظهر منه دخان شديد وهبط حتى الدخان
حتى وقع في المدينة وسود سطوحهم ومر فوق البيوت والصوامع فدخل في الدور
فجاوزاد هاجي بعضها الى بعض فعلت الاصوات وكثرت الصرخات واظهروا الايمان والتوبة
فتضرعوا

وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك اليوم يسمى عاشورا ويوافق يوم عمر
سعود بلغ من توبتهم ان اردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر بعد ان وضع عليه شيء
اساسه ورده الى مالكه ويقال خرجوا الى السوق من بعد عما بهم فقالوا قد نزل بنا
العذاب فما تزى فقالوا لهم قولوا لا اله الا الله يحيى الموتى ويحيى الموتى ما في لا اله الا الله
فقالوها فكشف الله العذاب عنهم ۞ وعن الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان يونس
قد علمت وحلمت وانت اعلم منها واحلم فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله
المسئلة الثالثة قال قائل انه تعالى حكى عن يونس انه ظن في احد الامرين ولم تقبل
توبته وحكى عن قوم يونس انهم تابوا وقبل منهم فما الفرق والجواب ان
يونس انما ظن بعد ان شاهد العذاب واما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانه لما ظهر
لهم امارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل ان شاهدوا العذاب وظهر الفرق
قوله تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا
مومنين وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ۞
اعلم ان هذه الشروط متى اوجبها الله في هذا الموضع في بيان حكاية سمات الكفار التي
اذا كانوا عليها مع الجواب عنها وذلك احدى شبههم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يحدثهم بنزول العذاب على الكفار وبعدا ياعدهم ان الله ينصرهم ويعلي شانهم ويرى
حالهم بخلافه فان الكفار ما زادوا الا طغيانا فجعلوا ذلك قادحا في الطعن في نبوته وكانوا يقولون
في استعجالهم لنا العذاب على سبيل التهزء فبين الله سبحانه ان ما يصير الموعود به لا
يقدح في صحة الوعد فضرب لهذا مثلا بنبي واقعة نوح وواقعة موسى عليهما السلام
واشتد غضب السامات الى هذا المقام فرفع في هذه الاية عن الرسول في حقهم
قول الايمان لا ينفع وما لجه في تقرير الدلائل وفي الجواب عن الشبهات تم بعد ان الايمان
لا يحصل الا بخلق الله ومشيته وارادته وهداه فاذا لم يحصل هذا المعنى لم يحصل
الايمان وفي الاية مسائل المسئلة الاولى احتج اصحابنا على جهم فقولهم بان جميع
الكائنات بمشية الله تعالى فقالوا كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله
ولو شاء ربك لامن من في الارض جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وهذا
يقتضي انه ما حصلت تلك المشية وما حصل ايمان اهل الارض بالكلية فقد دل هذا على انه

على الله تعالى بالإرادة ما ان الكل اجاب الجبائي والقاضي وعن هما بان المراد نفسه
الاجبار اي ان شاء الله ان يجبرهم الى الايمان لقدر عليه ولصح ذلك منه ولكنه ما فعل
ذلك لان الايمان الصادر عن العبد على سبيل الاجبار لا نفع ولا ثواب فلذلك تركه
الجبائي ومعنى اجبار الله تعالى اياهم الى ذلك ان يعرفهم اضطرارا نهم لو جاولوا تركه
حال الله بينهم وبين ذلك وعند ذلك ان يفعلوا ما الجواب البتة كما ان من علم منا انه حاول
قتل ملك فانه يمنعه منه قهرا لم يكن تاركا لذلك الفعل سالما مستحقا للمدح
والثواب وبعد اهما واعلم ان هذا الكلام ضعيف وبيانه من وجوه الاول
ان الكافر كان قادرا على الكفر مستلزما منه الكفر فاذا اراد منه الكفر
لزم ان يقال الله تعالى خلق فيه قدرة مستلزمة منه وحينئذ يقال اراد منه الكفر وانما
ان كانت القدرة صالحة للضدين اما هو هنا القوم فرجحان احد الطرفين على الاخر
ان لم يتوقف على المرجح فقد حصل الرجحان لا لمرجح وهذا باطل وان توقف على مرجح
فذلك المرجح اما ان كان من العبد او من الله عاد التقسيم فيه ولزم التسلسل
وهو محال وان كان من الله فحينئذ يكون مجموع ذلك المقدور مع ذلك الداعي
موجبا لذلك الكفر فاذا حاول الكفر القدرة والداعي هو الله تعالى
فحينئذ عاد الالزام الثاني ان قوله ولو شاء ربك لا يحوز حمله على مشيئة الاجبار
لان النبي عليه السلام ما كان يطلب ان يحصل لهم ايمان يمتنع وقوعه في الوجود
من الله تعالى انه لا قدرة للرسول على تحصيل هذا الايمان ثم قال ولو شاء ربك
لآمن من في الارض كلهم جميعا فوجب ان يكون المراد من الايمان المذكور
في هذه الآية هو هذا الايمان النافع حتى يكون الكلام منتظما فاما
حمل اللفظ على مشيئة القهر والالجاء اما ان يكون هو ان يظهر لهم آيات تضطرهم
بعقولهم الى الايمان عندها وامّا ان يكون المراد
من الايمان منهم والاول باطل لانه تعالى بين في ما قبل هذه الآية ان ايراد
هذه الآيات لا تفيد وهو قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو
جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقال الصافون لنا سائر لنا النهم
الذين حكم الله وعلمهم المولى وحتم عليهم كل حتى يروا ما توعدوا الذي

لشاء الله

لشا الله وان كان المراد هو الذي لم يكن هذا الحال الى الايمان لم يكن عباده عن حصول الايمان
منهم منتفي المعنى ولو شاء ربك حصول الايمان لهم على الايمان منهم تعالى لكنه
ما حصول الايمان منهم منتفي المعنى ولو شاء ربك لهم تعالى لكنه ما حصل الايمان منهم
دل على انه ما اراد حصول الايمان وهذا عين ما ذهبنا واعلم انه تعالى لما ذكر هذا
الكلام قال افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين والمعنى انه لا قدرة لك على التصرف في احد
والمقصود منه ان القدرة القاهرة والمشيئة الباهرة لله سبحانه المسئلة الثانية
احتج اصحابنا على صحة قولهم انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع بقوله وما كان
لنفس ان تؤمن الا باذن الله وجه الاستدلال به ان الاذن الايمان عبارة عن الاطلاق
في العقل ورفع الحجر ومعرفة هذا انه يدل على ان قبل حصول هذا المعنى فانه ليس له
ان يقدم على هذا الايمان ثم قال والذي يدل عليه من جهة العقل وجوه الاول
ان معرفة الله تعالى واستحقاقه الشكر والثناء عليه لا تدل على العقل بل ان العقل
ان دل فانما ان يكون عائدا الى المشكور او الى الشاكر والاول باطل لان في
الناس من هذا المشكور بسبب الشكر وبسبب الشكر وبسوء الكفران فلا جرم
كان الشكر حسنا والكفران قبيحا بل الله سبحانه فانه لا يسوء الشكر
ولا يسوء الكفران ولا يسمع بهذا الشكر اصلا والثاني ايضا باطل لان الشاكر
ينتفع في الحال بفعل الشكر وبفعل الخدمة مع ان المشكور لا ينتفع به البتة
ولا يمكن ان يقال ان ذلك الشكر علة الثواب لان الاستحقاق على الله تعالى
محال فان الاستحقاق على الغير انما يعقل اذا كان ذلك الغير بحيث لو لم يعطه لفوت
اشياء عن ذلك الحق حصول نقصان في حقه ولما كان الحق سبحانه منزها عن
النقصان والآفات لم يعقل ذلك في حقه فثبت ان الاستحقاق بالايمان والشكر لا
يعقل نفعا بسبب العقل المحض وما كان كذلك امتنع ان يكون العقل موجبا له
فثبت بهذا البرهان القاطع صحة قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
قال الفاضي المراد ان الايمان لا يصدر عنها الا بعلم الله لو يكلفه او ما قدر الله
علينا وحولنا ان حال الاذن على ما ظهر منهم بترك النظر هو ذلك لا يحول سعادة
بينا ان الدليل القاطع يسوي معنا المسئلة الثالثة قرأ ابو بكر

عن عاصم بضم الياء والنون والباقون بالتاء وكذا يه عن اسم الله تعالى المسئلة الرابعة
اختلفوا في صحة قولهم بان خالق الكفر والايمان هو الله تعالى يعلم تعالى
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ونقرره ان الرجس قد يراد به العمل العيني قال الله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا والمراد من
الرجس ها هنا العمل القبيح سوى كان كفرا او معصية وبالتطهير فعل العبد
رجس الكفر والمعصية الى طهارة الايمان والطاعة فلما ذكر الله تعالى فيما قبل
هذه الاية ان الايمان لا يحصل الا بمشيته وبخلقه ذكر بعده ان الرجس لا يحصل
الا بخلقه وتكوينه والرجس الذي يقابل الايمان ليس الا الكفر فثبت
دلالة هذه الاية ان الكفر والايمان من الله اجاب الجبائي عنه على العادة
النحوي عنه فقال الرجس يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من العذاب
بقوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون العذاب بهم كما قال ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات والمعنى انه تعالى يحكم عليهم بانهم رجس
كما قال انما المشركون نجس والمعنى ان الطهارة لما بينه للمسلمين لم يحصل لهم وانواع
اما قدمنا بالدليل القطعي الجبائي ان يكون فعلا للعبد لانه لا يريد ولا
يقصد الى تكوينه وانما يريد صلاحه فلو كان منه لما حصل الا ما يصلح واورد ما
السؤال على هذا الوجه واجاب عنها بما سلف من هذا الكتاب واما حمل
الرجس على العذاب فهو باطل لان الرجس عبارة عن الفاسد المستقذر المستكره
فحمل هذا اللفظ على بعضهم وجعلهم اولى من حمله على عذاب الله مع كونه
حقا صدقا واما حمل الرجس على حكم الله بنجاستهم فهو دعاوى
البعد لان حكم الله تعالى بذلك صفة فيحتاج ان يقال ان صفة الله تعالى
رجس مثال الجهة التي ذكرناها فلا تطرد واما ذا في
السموات والارض وما بعدها الايات والبحث عن قوم لا يؤمنون وفي هذه مسائل
المسئلة الاولى قراءاصم وحمزة قل انظروا بكسر اللام لالتقاء الساكنين
والاصل فيه الكسر والباقون ضمها تبعوا اصله حركة لهمزة الى اللام واعلم
انه تعالى لما بين في الايات السالفة ان الايمان لا يحصل الا بخلق الله
تعالى

آخره

كون

الله تعالى ومنه امر النظر والاستدلال على الدخول حتى لا توهم ان الحق هو الحس
المحض فعال قل انظروا ماذا في السموات والارض واعلم ان هذا امر على مطلوب
الحواس لانه لا سبيل الى معرفة الله تعالى الا بالنظر في الدلائل قال عليه السلام
تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فما الذي هو ان الدلائل اما ان يكون
من عالم السموات او من عالم الارض اما الدلائل السماوية وهي حركات
الافلاك ومقاديرها واوضاعها والكواكب وما خص به كل واحد منها
من الدلائل مع والدلائل واما الدلائل الارضية وهي النظر في احوال العناصر
المعدنية وفي احوال المعادن واحوال النبات واحوال الانسان خاصة ثم هو منقسم
كل واحد من هذه الاحاد الى انواع لا نهاية لها وهو ان الانسان اذا تفكر في كيفية
خلقه الله تعالى في تخليق جناح بعوضة لا يقطع عقله قبل ان يصل الى اول مرتبة من مراتب
ملكوت الحكم والفوائد ولا يشك ان الله سبحانه اكثر من ذكر هذه الدلائل في القرآن المجيد
فهذا السبيل هو مواد ما في السموات والارض ولم يذكر التفصيل وكانه تعالى به
على العاقل الكلية حتى ان العاقل يستدل بها وصدر شرع في التفصيل
حركة كل واحد منها بعد ان وضع العقلاء البشرية ثم انه تعالى لما امر
بهذا التفكر والتامل بين بعد ذلك ان هذا التفكر والتدبر في هذه الايات لا
ينفع في حق من حكم الله تعالى عليه في الازل بالشقاوة والضلال فقال وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يؤمنون وفيه مسائل المسئلة الاولى قال النحويون ما في هذا
الموضع يحتمل وجهين الاول ان يكون نفيا بمعنى ان هذه الايات والنذر كانه قيل
الغالب في حق من حكم عليه بانه لا يؤمن كفوات ما يمنعه عنه الحال اذا لم ينفع المال
ان يكون استفهاما بمعنى التوبيخ اي شيء يغني عنهم وهو استفهام بمعنى الانكار والله اعلم
المسئلة الثانية الايات هي الدلائل والنذر الرسل المنذرون والانذارات المسئلة
الثالثة قرئ وما تغني بالتاء لقوله تعالى فهل ينظرون الا مثل ايام الذين خلوا من
قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين واعلم ان المعنى هل ينتظرون الا ايامنا
مثل ايام الامم الماضية والمراد الانباء المقدرون كانوا يتوعدون بحلول نحو ما نزل
بهم ايام مشتملة على انواع العذاب بهم كانوا يعذبون بها ولم يتحملون انها على سبيل

الحرية والكفار الذين في زمان الرسول عليه السلام هكذا كانوا يفعلون قوله تعالى
ثم نحي رسلنا والذين امنوا وفيه مسائل المسئلة الاولى قرأ الكسائي في
رواية نصر بحي خفيفة والباقون مشددة وهما لغتان وكذا في قوله بحي المومنين ٥
المسئلة الثانية ثم حرف عطف وتقدير الكلام كانت عادتنا مضى ان
يهلك كلهم فبعثنا معاهم بحي رسلنا المسئلة الثالثة لما امر الرسول عليه السلام
في الآية الاولى ان يوانوا الكفار في اسناد العذاب بذكر الفصل فقال العذاب
لا يزال الا على الكفار واما الرسول واتباعه فهم اهل النجاة ثم قال كذلك
حقا علينا نصر المومنين وفيه مسائل المسئلة الاولى اصل الحق الثبات
اي يثبت ذلك لا محالة نصر المومنين ويهلك المشركين وحقا علينا اعتراض نعتي حق ذلك
علينا فيها المسئلة الثانية قال القاضي قوله حقا علينا المراد به الوجوب
لان تخليص الرسول والمومنين من العذاب الى الثواب واجب ولولا ما جنس من
الله تعالى ان يكرمهم الا فعال لشاقه واذا شقه وجب هذا الشيء حري
بجري قضاء الدين المستحق المتقدم واقول انا نقول انه حق يحسن الوعد والعلم
ولا نقول انه حق يسمى استحقاقا ولما بينا ان العبد لا يستحق على ربه شيئا ٥

قوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المومنين ٥ واعلم انه تعالى
لما ذكر الدلائل على اقصى الغايات وابلغ النهايات امر رسوله باظهار دينه واظهاره
المباينة عن المشركين لكي يزول الشكوك والشبهات عن امره وبحر جعلها الله عن طريق
السر الى الاظهار وقال يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني واعلم ان ظاهر هذا الامر
يدل على ان هولاء الكفار ما كانوا يعرفون دين رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الجملة انهم كانوا يقولون قد صبا وهو صابي وامن الله تعالى انبيه ليعلم انه
على دين قيم حنفا مسلما فقوله ان كنتم في شك من ديني اي ان كنتم
وقوله لا اعبد ما تعبدون والمعنى ان كنتم ان تحسبوا ما انتم عليه ديني اسه لكم
على سبيل التعضل ثم ذكر بعده امورا فالاول قوله فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله واما وجب عليهم هذا النفي فلما ذكرنا ان الله تعالى امر الرسول عليه السلام على اللسان

لابد

لابد وان يكون بعد متقدما على اتيانه بالعبودية الصحيحة في حال النوح وانما وصف هذا النبي
بانه العبد غايته التعظيم وبه لا يحصل ولا يليق الا بمن حصلت له غاية الجلال
والاكرام واما الاوثان فانها لا يجاز والانسان اشرف حالا منها فكيف
يليق بالاشرف الاشرف ان يشتغل بعبادة الاخس الاخس العبد الثاني قوله
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والمقصود انه لما امر بالحسن عبادة الله من اجل
الاشياء عاد الى الله فاذكر اولا ما الحامل وهو ذكر المعبود الحق وهذا المقام
هذا الصعقه وهي قوله الذي يتوفاكم فلما امره وجوه الاول يحتمل ان يكون
المراد اعبدوا الله الذي خلقكم لولا ثم يتوفاكم يا ساير بعد كم بالتاء وهذه الدلالة
اللائقة قد قررناها في القرآن مرارا واطوارا فهنا اكتفي بذكر الوجه
منها على البواقي الثاني ان الموت اشد الاشياء مهابة فخص هذا الوصف
بالذكر في هذا المقام ليكون اقوى في الزجر والردع الثالث انهم لما استحقوا
نزول العذاب قال يعاني محل يطرق الاستيصال امر الذين حلوا من قبلهم فلما سطروا
اي معكم من المسطرين بسر يحيى بسلنا والذين استوا معه فهذه الآية تدل على انه
تعالى اهلك اولا الكفار وبقي المؤمنون يقوى قولهم فلما كان قريب العهد
بذكر هذا الكلام لا جرم قال ههنا ولكن اعبدوا الله الذي يتوفاكم وهو ايمان
الى ما قبل ونسبه في تلك الآية كانه يقول لا عبد الذي وعدنا فعلا كم والبقاء
والعبد الثالث ان الاصوب المذكور في هذه الآية قوله حاموتان اكون من
المؤمنين واعلم ان الله تعالى لما ذكر العبادة وهي جنس من اعمال الجوارح انتقل
منها الى الايمان والمعرفة وهذا يدل على ان العالم اشرف من العامل الاعمال الصالحة
لا تحصل الا بالقلب بعد الايمان والمعرفة والعبد الرابع قوله وان اقم وجهك
للدين حنيفا وفيه مسائل المسئلة الاولى اللواو في قوله وان اقم وجهك عطف
جملة على جملة الاولى قال وامرت ان اكون قائم مقام قوله وجعل الذي يتوفاكم
ثم عطف عليه قوله وان اقم وجهك الثاني الى قوله ولا تدع وجعل قائم مقام قوله
وامرت بها قائما الوجه حصار التقدير ولقد قال ان اكون من المؤمنين وبان اقامة الوجه
للدين حنيفا المسئلة الثانية لفظ الوجه كناية عن توجه الفعل بالكلية

الى طلب الدين لان من يريد من سطر الى شئ يطوا بالاستقصاء به يتم وجهه في معاملته بحث
لا يصرفه عنه لا بالقليل ولا بالكثير لانه لو صرفه عنه ولو بالقليل فقد بطل ذلك المعامله
واذا بطلت تلك المعامله فقد احتل الانصاف فلهذا السبب حسن حمل اقامه الوجه للدين
كنايه عن صرف العقل بالكليه الى طلب الدين وقوله حقا الى ما لا ملا كلمتا
معرفها عما سواه اعراضا كليا وحاصل هذا الكلام هو الاخلاص التام وبرك
الالتفات الى عن نفوسها ولوامرتها ان تكون من الموسرين اشاره الى الاستعداد
في بدو الامر بالكليه عما سواه والغيث الطامس قوله ولتكونن
من المبشرين واعلم انه لا يمكن ان يكون هذا مصاحبا عن عباد الاوثان لان طلب
صار مذكورا بقوله تعالى في هذه الايه لا اعبد الذين تعبدون من دون الله فوجب
حمل هذا الكلام على عباد ربانيين وهم الذين عرفوا مولاه فلما التفت بعد ذلك
الى عبد ذلك الشريك وهذا هو الذي يسمى بالتعلق بالشرك الجلي والخفي
السادس قوله ولا يدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وهذا المقام
احد درجات العارفين لان ماسوى الواحد الحق ممكن لذاته موجود
بايجاده واذا كان كذلك فماسوى الحق ولا وجود له الا بايجاد الحق وعلى هذا
التقدير ولا مانع الا الحق ولا ضار الا الحق وكل شئ هالك الا وجهه واذا كان
كذلك فلا حكم الا لله ولا رجوع في الدارين الا الى الله تعالى قال في احد الآيه فان فعلت
فانك اذا من الظالمين يعني لو اشتغلت بطلب المنفعه والمضره من غير الله فانك من
الظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشئ في غير موضعه فاذا كان ماسوى الحق
معزولا عن التصرف كان اضافه التصرف الى ماسوى الحق وضعا للشئ في غير
موضعه فيكون ظلما فان قيل وظل التسع من الاهل والرحى من التراب هل يصح في
هذا الاخلاص جليا لان وجود الحر واخلاقه وصفاته كله بايجاد الله
وتكوين الله وطلب الانتفاع بشئ خلقه الله لانتفاع به لا يكون منافيا للرجوع
بالكليه الى الله الا ان شرط هذا الاخلاص ان لا يقع نصب عقله على شئ من هذه
الموجودات الا وشاهد بعين عقله انها بعد ومنه بدؤها وموجوده بايجاد
الحق وهلاكها بانفسها وباقيه باقيا الحق فحينئذ ماسوى الحق عند ما يحصل بحسب

النفس بها وبرى نور وجوده وفضل احسانه عالما على الكل **قوله تعالى** وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء
من عباده وهو الغفور الرحيم ۞ فيه مسائل المسئلة الاولى اعلم انه سبحانه
قرر في اخر هذه السورة ان جميع الممكنات مستندة اليه وجميع الكائنات محتاجة
اليه والعقول والهمة فيه والرجوع والجود والوجود فانه منه واعلم ان الشيء
اما ان يكون ضارا واما ان يكون نافعا وهذا الانسان مشترك في اسم الخير
ولما كان الظاهر وجودا وقد يكون عدما لا جرم لم يذكر لفظ الامساس فيه وان
يرد بخير والا بد دالة على ان الضر والخير واقعان بقدرة الله وتخصيصه فيدخل
فيه الكفر والايمان والطاعة والعصيان والسرور والاوقات والاعراض
والالام واللذات والراحات والجراحات ثم ان الله سبحانه ان قضى لاحد شيئا
فلا كاشف له الا هو وان قضى لاحد خيرا فلا راد لفضله البتة ثم في الاية دقيقة
اخرى وهي انه تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر من ثلاثة اوجه الاول
انه تعالى لما ذكر امساس الضر به لا كاشف له الا هو دل ذلك على انه تعالى
يزيل الضار لان الاشتغال بالمعدم اثبات ولما ذكر الخير لم يقل انه مدفوع فان
انه لا راد لفضله وذلك يدل على ان الخير مطلوب بالذات وان الشر مطلوب
بالعرض كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم رواه عمر للبغوي فان سبقت رحمتي
غضبي الثاني انه تعالى وصف الخير بصيب من يشاء من عباده وذلك
يدل على ان جانب الخير والرحمة اقوى واعلى والثالث انه قال وهو الغفور
الرحيم وهذا الصيغ يدل على فوق جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الاية انه
لما سبحانه من اول السورة الى هذا الموضع في الحث على التوحيد والتكوين والابداع وانه لا موجد
سواه ولا معبود الا اياه شرع ان الخير مرادا بالذات والشر مرادا بالعرض
وتحت هذا الباب اسرار عظيمة عميقة فهذا ما نقوله في هذه الاية المسئلة الثانية
قال المفسرون انه تعالى لما بين في الاية الاولى وصفها لاصنام انها لا تضر ولا تنفع
بين في هذه الاية انها لا تقدر على دفع الضر بالكلية واصل المس العلم وعلى هذا الخبر
الواصل من العلم قال ابن عباس في قوله ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو

بويل

يعني ضرر وضعف ولا دافع له الا هو واما قوله وان يردك بخير فالواحد
هو من المفلوب معناه وان يردك الخير فلا كاشف له لما تعلق على احدهما الاخر
حار كل واحد منهما واما قوله المقدم في الخط بدل على باقي العبارة
وقوله وان يردك بخير يدل على ان المقصود هو الانسان وسائر المخلوقات
مخلوقة لاجله فهذه الدقيقة لاستعداد الامر هذا التركيب

قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر
حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ولا شك انه تعالى لما قرر الدلائل المذكورة
في التوحيد والنبوة والمعاد وزيف مذاهب السوفسطائية بهذه البيانات الدالة على
كونه تعالى مستقلا بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها
بهذه الخاتمة الشريفة وفي تفسيرها وجهان الاول انه تعالى حكم له في الازل بالاهتداء
فسيقع ذلك لان حكمه بالضلال يمتنع ذلك ولاجيله في دفعه الثاني وهو
الكلام اللائق بالمعتزلة قال القاضي انه تعالى بين انه اكمل الشريعة
وازاح العلة وقطع المعذرة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل على نفسه وما انا عليكم بوكيل على معنى السعي في ايصال الكم
الى الثواب العظيم بحيث يسقط عني من العهدة انا لا لم ازد هما فعلت قال ابن عباس
هذه الآية منسوخة بآية القتال يعني انه تعالى حكم هذه الخاتمة بحكم اخر
لطيف اخر يقال واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير
الحاكمين والمعنى ان الله تعالى امر نبيه باتباع الوحي والتزيل فان وصل اليه بسبب
ذلك الاتباع مكروه فليصبر عليه الى ان يحكم الله فيه وهو خير الحاكمين

والشاعر في بعضهم في الصبر

ستاصبر حتى يعلم الصبر انني ... واصبر حتى يحكم الله في امري
ستاصبر حتى يعلم الصبر انني ... اصبر من حي على شيء امر من الصبر

سورة هود مكية بقيل الا آية واحدة وهي قوله

اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية

بسم الله الرحمن الرحيم الركاب احكمت اياته ثم فصلت
من لدن حكيم خبير في الاتية مسائل المسئلة الاولى العلم ان قوله الر اسم للسورة
وهو مبتدا وقوله كتاب خبره وقوله احكمت اياته ثم فصلت صفة الكتاب فالرجاج
لا يجوز ان يقال الر مبتدا وكتاب احكمت اياته ثم فصلت خبر مبتدا الر هو الموصوف بهذه
الصفة وهذا الاعتراض فاسد لانه ليس من شرط طالوني الشيء مبتدا ان يكون خبره محمولا
فيه فلا ادري ليم وقع الرجاج هذا السهو ثم ان الرجاج اختار قولا اخر وهو ان يقول
التقدير الر هذا كتاب احكمت وعندي ان هذا القول ضعيف لوجهين الاول على
هذا التقدير يقع قوله الر كلاما ناطقا لا فائدة فيه والثاني بكاف افلا هذا كتاب
يقول ان هذا اشارة الى الحروف المذكورات ودالة هو فالر فيصير عند الرجاج
عنه فانه كتاب احكمت اياته فيلزمه على هذا القول ما لم يرض به في القول الاول
ان الصواب ما ذكرناه المسئلة الثانية في قوله احكمت اياته وجوه الاول
احكمت اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كما ان المحكم
المرصص الشاي ان الاحكام عبارة عن منع الفساد من الشيء ومنه احكمت
الدابة اي لم تمنع كتاب كما نسخ الكتب والشرائع بعضها بعضا واعلم ان هذا الوجه لا يكون
كذلك الحادث كما لا نه حصل فيه اناة ومسوخة الا ابد ولما كان القرآن عند ذلك
صح اطلاق هذا الوصف عليه اصل الكتاب في الغالب مجرى الكم الباب في الكل
الثالث قال بعضهم الكتاب لما كان جوابا يكون بعضه اطول من بعض
بسبب الكلمات فاخبر انه احكمت جملته كقوله اياته الكتاب المحكم
الرابع جعلت اياته محكمة وامورا احكمها ان معنى هذا الكتاب هي الوعد
والعدل والسنن والمعاني وهذه المعاني لا تقبل النسخ وهي في غاية الاحكام وما يكون
ان الايات الواردة فيها غير متناقضة والنقض عند الاحكام فاذا حصلت امارات عن
الناقض فقد حصل الاحكام والخامس ان الغالب على هذه الايات ملحت في الفصاحة
والجزالة لا تقبل المعارضة وهذا ايضا مشعر بالقوة والاحكام والرابع ان
العلوم الدينية اما نظرية واما عملية اما النظرية فهي معرفة الله تعالى ومعرفة
الملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر وهذا الكتاب مشتمل على شرائع هذه العلوم

ولطائفها واما العمليه فهي اما ان تكون عبارة عن تهذيب الاعمال الظاهرة وضبط
الصحة او عن تهذيب الاحوال الباطنة وهو علم الصفوة ورياضة النفوس ولا محل كانا
في العالم سواى هذا الكتاب في هذه المطالب مثبت ان هذا الكتاب مشتمل على اشرف
المطالب الروحانية واعلى المباحث الالهية فكان كتابا محكما غير قابل للنقض والهدم
وتمام الكلام في تفسير العلم ذكرناه في تفسير قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب
منه ايات محكمات المسئلة الثالثة في قوله فصلت وهو احد ما ان هذا
الكتاب فصل الفضائل بالفوائد الروحانية وهي دلائل التوحيد والنبوة والاحكام
والمواعظ والقصص والثاني انها جعلت فصولا سورا سورا وايه ايه والثالث
فصلت بمعنى انها فرقت في النزول وما نزلت جملة واحدة ونظير قوله تعالى
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل الضفادع والدماء ايات مفصلات والمعنى محي هذه
الايات مفرقة متعاقبة الرابع فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اى جعلت مبينة
ملخصة لهم امن جعلت فصولا حلالا وحراما وامرا ونهيا وترهيبا ومواعظ
وامرا ونهيا للعلم يعني منها فصل قد ورد به غير مختلط بغيره حتى يحصل تدبر كل واحد منها
ويحصل الوقوف على كل باب منها على الوجه الاكمل المسئلة الرابعة معنى
قوله ثم فصلت اتى بثم التراخي في الوقت لان في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام مفصلة
احسن التفصيل وفلان كوعظ الاصل ثم درس الفعل المسئلة الخامسة قال صاحب
الكشاف قوله احكمت اياته ثم فصلت اى احكمها اباغ فصلتها او عن عكرمة والضحاك ثم
فصلت اى فرقت من الخير والباطل المسئلة السادسة احتج الجبائي بهذه الاية على ان
القرآن محدث مخلوق من ثلثة اوجه الاول المحكم هو الذي اتقنه فاعله ولولا ان الله
تعالى محدث هذا القرآن والا لما صح ذلك لان الاحكام لم يزل الا في الافعال ولا يجوز
ان يقال كلام موجود اغير محكم ثم جعله الله محكما لان هذا يقتضي في بعضه الذي
حدث ولم يقل اجد ما ان القرآن بعضه قديم وبعضه محدث الثاني قوله ثم فصلت
فانه يدل على انه حصل فيه انفصال وافتراق ويدل على ان ذلك لا ينفصل والا فبم افترق
اما الحصل بجعل جاعل وتكوين مكون وذلك يدل على ان المطلوب الثالث
قوله من لدن حكيم خبير والمراد من علمه والعلم لا يجوز ان يقال انه حصل عند قد سمع

احد لانهما لو كانا واحدا لم يكن القولان اصلين حاصلين من عبد الاخر اولى من العكس اجاب
اصحابنا بان هذه العلوم عائدة الى هذه الحروف والاصوات فهي معروفة بانها محدثة
مخلوقة اما الذي يدعى قدمه امر اخر سوى هذه الحروف والاصوات المسماة السابعة
قال صاحب الكشاف في قوله من لدن حكيم خبير ونحوها الاول انا نقول بان قوله
كتاب حكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير صفة بانه قديم
الركتاب من لدن حكيم خبير احكمها الله والثالث ان يكون الجملة لقوله احكمت
وفصلت الحكم فصلت من لدن حكيم خبير وعلى هذا التقدير يعد حصل ثلاثة اوجه
الاولة وآخرها مناسبة لطيفة كانه يقول اعلمت انه من لدن حكيم وفصلت من لدن
خبير عالم بكيفيات الامور ثم قوله تعالى الا تعبدوا الا الله اني لكم
منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الاية
اعلم ان في الاية مسائل المسئلة الاولى ان في قوله الا تعبدوا الا الله وجوها
الاول ان يكون معمولا لفعل محذوف والتقدير كتاب احكمت آياته ثم فصلت اصل الا
تعبدوا الا الله وقوله هذا الوجه ايد اصلي انه لا معمول من هذا الكتاب
الرابع ان هذا الحرف الواحد محل من صرف همته الى سائر المطالب بعد حاله حصر الثالث
لم يكن ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول واحمل على هذا اولى لان قوله
وان استغفروا معطوف على قوله ان لا تعبدوا فصحان يكون معناه ان لا تعبدوا الله وان
الامر معطوف على النهي فان كونه منهيا عن ان يعبد واسع عطف الامر عليه الثالث
ان يكون التقدير الركتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير لئلا يأمر الناس
الا تعبدوا الا الله ويقول لهم اني لكم منه نذير وبشير المسئلة الثانية اعلم
ان هذه الاية مشتملة على التكليف باسماء مترتبة فالاول امر تعالى امر بان لا يعبد
الا الله واذا فسرنا الحسنى من المعنى اثبات كان معنى هذا الكلام النهي عن عبادة غير
الله والامر بعبادة الله ودلائله هو الحق لا ما يقال ان ما سوى الله فهو بخلاف مخلوق من ذوب
وانما يحصل بتدبر الله وايجاده والعبادة عبارة عن اظهار الخضوع والخشوع وذلك
لا يليق الا بالمدبر الذي يقدر على ايصال الخير الجسيم ودفع الضرر العظيم
ومن كفر بالله فقد كفر بالله ومن عصى الله فقد عصى الله تعالى ومن وعظه

تحصيل معرفة الله تعالى قبل العبادة لان من لا يعرف فانه يمتنع عليه ذلك وكان
الامر بالعبادة امرا بتحصيل المعرفة اولا وتطبيق قوله تعالى في اول سورة البقرة
قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم انه استدل بالدلائل الدالة على وجود الصانع وهو الذي خلقكم
والذين من قبلكم وانما حسن في البيان الامر بالعبادة بعض الامر بتحصيل المعرفة فلاجل
ذلك ما ابدل على تحصيل المعرفة بقوله اني لكم منه نذير وبشير وفيه مباحث البحث
الاول ان الضمير في قوله منه عائد الى الله تعالى والمعنى اني لكم نذير وبشير من
جهته البحث الثاني ان قوله لا تعبدوا الا الله مشتمل على المنع عن عصيان الله تعالى
وعلى الترغيب في عبادة الله وهو رد على الاول لاستحقاق العذاب لانه لم يأتي به وبشير
على الثاني باستحقاق الثواب العظيم لمن اتى به واعلم انه عليه السلام ما بعث الا لهذين الامرين
وهو الحث على فعل ما ينبغي والبيان على فعل ما ينبغي لهذه الامة
الامور المذكورة في هذه الآية قوله وان استغفروا ربكم الى قوله الى الله قوله
ثم توبوا اليه واختلفوا في ان الواو في هذا الموضع على ما وضع فالاول
معنى قوله وان استغفروا ربكم اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ابتغوا الذي يطلب
به ذلك وهو التوبة فقالوا ثم توبوا اليه لان الداعي الى التوبة والحامل عليه هو الاستغفار
الذي هو عبارة عن طلب المغفرة وهذا يدل على انه لا سبيل الى طلب المغفرة من عند الله
الا باظهار التوبة والانس في الحقيقة الى الله لان المذنب معرض عن طريق الحق والمعرض
المتمادي في الباطل ما لم يرجع عن ذلك الاعراض لا يمكنه التوجه الى المقصود
والمقصود بالذات هو التوجه الى المطلوب الا ان ذلك لا يمكن الا بالاعراض عما
يضاده فطلب قبل الاستغفار مطلوب بالذات وان التوبة مطلوبة لكونها
من مقدمات الاستغفار وما كان اصليا في الحصول كان اولى في الطلب فلهذا
السبب قدم الاستغفار على التوبة الوجه الثاني في قائل هذا الرسالة اراد
استغفروا ما سلف الذنوب ثم توبوا من انف الذنوب الى الله وان استغفروا
من الشرك والمعاصي ثم توبوا من الاعمال الباطلة السوابق الاستغفار طلب المغفرة من الله
تعالى لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي في ازالة ما لا ينبغي فعدم الاستغفار
يدل على ان المرء مصر لا طالب التي الامر مولاه فانه هو الذي يقدر على حصول ثم بعد

الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يتوبه الانسان ويتوسل به الى دفع المكاره والاستعانة
بفضل الله تعالى مقدم على الاستعانة بسعي البشر واعلم انه تعالى لما دلهما على المراقبة لله به
ذكر بعدها ما يتزين عليها من الامور النافعة في اثناء المطلوبة ومن المعلوم ان المطلوب
في كل عمل مخصوص في نوعه لانه اما ان يكون حصولها في الدنيا او في الاخرى اما المنافع
الدنيوية فالمراد من قوله متعتهم متاعا حسنا الى اجل مسمى وهذا دليل على ان المسئول
على ما يجب الله والمستفاد بما سبق في الدنيا منتظم الحال مرتفع المال وفي الاية سؤال
السؤال الاول ليس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر وقال ايضا خير لهذه الامة بالاحياء بالاموال بالاسلام والجواب
تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
فهذه النصوص دالة على ان نصب المستعمل بالطاعات في الدنيا هو الشاق والله
ومعنى هذه الاية ان نصب المستعمل بالطاعات الواجبة في الدنيا فكلف الجمع بينهما
للجواب وجوه الاول المراد منه انه تعالى لما علمهم بعد الاستغفار
كما استأصل القرن الذي كفروا الثاني انه تعالى يوصل اليه الرزق بطيب كان والية
الاشارة بقوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة
وهو الاقوى عبدي اعمل اكفك المشتغل بعبادة الله ويمجيد الله مشتغل بحمدي يسمع
بغتة من وزر اله وفناه وحمل ما كان لمعانه وهو دليل الطريق اكثر وتوفيقا ام كان
انقطاعه عن الخلق اتم واكمل وعلما كان الحال في هذا الباب اكثر كان الابتهاج
والسرور اكمل لان امر بشيء مطلوبه وامر من وزر المحبوب به فاما من كان مشتغلا
بحمد الله كان ابدا في الخوف من فوات المحبوب ووزر الانكار عليه معينا وعليه
معطيا ولذلك قال تعالى في حق المشتغل فلنحيينه حياة طيبة السؤال
الثاني هل يدل قوله على ان العبد اطلق وانه نفع ودل التقييد والتخيير الجواب
لو معنى لانه انه تعالى خصص بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة تعالى اجله في الوقت
العالي ولو امر من عمها لكان اصلح في وقاحه لكنه تعالى علم انه هل يشتغل
بالعبادة ام لا فلا جرم كان عالما بان اجله ليس الا ان دلك الوقت المعين فثبت ان
لكل انسان اجلا واحدا فقط السؤال الثالث لم سمى متاع الدنيا بالمتاع

ثم انه لابد من الرجوع الى الله تعالى الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير واعلم ان قوله
الى الله مرجعكم فيه دقيقة وهو ان هذا الوعد انما يفيد الحصر يعني ان مرجعنا الى الله لا
الى غيره فيدل هذا على انه لا مدبر ولا متصرف في هذا الكل الا هو والحكم كذلك الصافي من الشائبة
الدنيوية الا ان اقواما اشتغلوا بالوسائط فحجبوا عن الوصول الى المسبب الاسباب
وظنوا انهم في دار الدنيا قادرون على شئ واما في الدار الاخرة فهذا الخيال الاخر زايل
ايضا فلهذا المعنى من هذا وقال الى الله مرجعكم ثم قال وهو على كل شئ قدير وانور
ان هذا الوعد وعيد عظيم من بعض الوجوه وبشارة عظيمة من بعض الوجوه اما انه وعيد
عظيم فلان قوله تعالى الى الله مرجعكم يدل على انه ليس مرجعنا الا الله وقوله
وهو على كل شئ قدير يدل على انه قادر على كل المقدورات لا مانع لنفاذه ولا
مانع لمشيته والرجوع الى الحكم الموصوف بهذه الصفة مع العيوب الكثيرة
والذنوب العظيمة مشكل واما انه بشارة عظيمة فلان الرجل اذا قدر على قدر عالية
وحيلة عظيمة لهذا المقام وعلى صعوبة مرام وعجز عظيم لهذا العدو والمثل الغالب
العالي اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور
ملك فاسخ يقول مصنف هذا الكتاب رحمه الله قد افنيت عمري في العلم ومطالعة
الكتب ولا ارجو لشئ في الدنيا والعقبى والمعبود والمعبود الا الله تعالى فاغفر
لي وارحمني انك انت الغفور الرحيم وارحم الراحمين وسائر عيوب المعيبين وتجاوز عن المصطرين
ان يعفو عن مثالي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور اعلم انه تعالى لما قال
وان تولوا يعني عن عبادة الله ومخالفته فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير من بعده ان الرسول
عرف الباطنيين حالتين ظاهرا فقال الا انهم يعني الكفار من قوم محمد عليه السلام
يثنون صدورهم ليستخفوا منه واعلم انه تعالى حكى عن هؤلاء الكفار شيئين احدهما
انهم يثنون صدورهم فيقال ثنيت الشئ اذا عطفته وطويته وفي الآية وجهان الاول
روى ابن عباس رضي الله عنهما ان الكفار كانوا اذا علموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم
ينشأ صدورهم ليعلم عدوهم محمد كيف يعلم ما في هذا المستودع فقوله يثنون صدورهم

كنايه عن النفاق فكانه قيل يضمرون خلاف ما يظهرون ولا يستخفون من الله ثم بين ذلك بقوله
الا حين يستغشون ثيابهم على انهم يستخفون منه حين يستغشون ثيابهم والوجه
الثاني روى ان بعض الكفار كان اذا مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره
وولاه ظهره وغاسه غشي ثيابه والتقدير كانه قيل انهم يصرون عنه ليستخفوا منه
حين يستغشون ثيابهم ليتجنبوا سماع كلام رسول الله وما سلموا من القرآن ليقولوا
في انفسهم ما شرهون من الطعن والثلب وقوله الا حين يستغشون ثيابهم اولا على انهم
يصرون عنه ليستخفوا ثم كرر كلمة التنبيه عقيب ذكر استخفائه على
وقد يستخفاهم وهو حين يستغشون ثيابهم كانه قيل الا انهم يصرون عنه
ليستخفوا من الله انهم يستخفون حين يستغشون ثيابهم مذكرا به لا فائدة
لهم في استخفائهم بقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون **قوله تعالى** وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين
اعلم انه تعالى لما ذكر في الجملة الاولى انه يعلم ما يسرون وما يعلنون اردفه بما يدل
على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فذكر ان رزق كل حيوان فالله تعالى هو الذي
تولى ايصاله اليه ولم يخل عالما بجميع المعلومات لما حصلت هذه الجملة في الامة **مسائل**
المسألة الاولى قال الزجاج الدابة اسم لكل حيوان لان الدابة اسم ما دب
من الحيوان وانث هذا اللفظ على هذا الاسم وطلق على كل حيوان ذي روح ذكر
كان او انثى الا انه بحسب عرف العرب اخص بالفرس والمراد ههنا اللفظ في هذه
الآية الموضوع الاصلي اللغوي فيدخل فيه جميع الحيوانات وهذا ممنوع عليه من
المفسرين ولا شك ان اسماء الحيوانات وانواعها كثيرة وهي لا تحاط الا بما
تكون في البر والبحر والجبال والله تعالى عالم بكيفية
احيائها واعضائها واحوالها واغذيتها وسمومها ومتى كيفها وما توافقها
وما تخالفها فالاله المدبر لهذه الحيوانات لا بد وان يكون عالما بجميع المعلومات
كيف لا يكون عالما بأحوال الحيات وقد روي ان موسى عليه السلام لما بعد نزول الوحي عليه
تعلق قلبه بأحوال الحية فامره الله تعالى بضرب عصاه على صخرة فانشقت وخرجت
حية بائية ثم ضرب عصاه عليها ثانية حتى اكثر ضربها بالعصا فانسدت وخرجت منها

دودة كالذرة وفي معانى يحيى بن معاذ الجلد الباد رفع الحجاب عن سمع موسى عليه السلام
سمع ان الذرة كانت تقول سبحان من يرانى ويسمعنى وسمع كلامى ويعرف مكانى
ويذكرنى ولا ينسانى المسئلة الثامنة تعلق بعضهم بهذه الآية على ان الله تعالى يعلم الاشياء
قبل الامر وقال ان علمه على الوجوب وهذا يدل على ان اتصال الرزق بالدابة واجب على
الله وجوابه انه واجب بحسب الوعد والفضل والاحسان المسئلة التاسعة
تعلق اصحابنا بهذه الآية في اثبات ان الرزق قد يكون حراما قالوا لانه تعالى
اثبت اتصال الرزق بكل حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد وبحسب الاحسان والله
تعالى لا يحل بالواجب ثم قد نرى انسانا لا يأكل من الحلال طول عمره فلو لم يأكل من الحرام رزقا
لما اوصل الله تعالى رزقه اليه فيكون تعالى قد اخل بالواجب وذلك محال فعلمنا
ان الحرام قد يكون رزقا واما قوله ويعلم مستقرها ومستودعها فالمستقر هو مكانه
من الارض والمستودع حيثما يودع اما قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة وقال
الفراء مستقرها حيث تأوى الليل او نهارا ومستودعها موضعها الذى تموت فيه
وقد مضى تفسير استقصاء المستقر والمستودع في سورة الانعام ثم قال تعالى في
كتاب مبين قال الزجاج المعنى ان ذلك ثابت في علم الله ومنهم من قال اللوح المحفوظ
وقد ذكرنا فائدة ذلك في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قوله تعالى
هو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء الآية اعلم
انه لما استدل بالدليل المعلوم على كونه عالما بالمعلومات استدل بالدليل على كونه تعالى قادرا على
كل المقدورات وهو ايجاد هذه الجملة من هذين الدليلين على كمال علم الله
وعلى كمال قدرته واعلم ان قوله وهو الذى خلق السموات والارض
في ستة ايام قد مضى تفسيره على سبيل الاستقصاء في هذه السورة ان نذكر لفظ
قوله وكان عرشه على الماء لم يجب حمله على ان الله تعالى يأوى به حضر او نظر
اليها بالهيبة فصارت ما لم تعدم حمل الماء على منتهاه ووضع العرش
على الماء لان الوزن الاصم ومعنى قوله وكان عرشه على الماء كقولهم السماء
على الارض وليس ذلك كون احدهما مستعليا على الآخر وليس كذلك الواقعة لملك
يدل على ان العرش والماء كان قبل السموات والارض وهاتان الآيتان في الاله

في لابد دلالة على وجود الملائكة قبل خلقهما لانه لا يجوز ان يخلق الله تعالى احدا سمع بالعرش
والملائكة تعالى لم خلقهما فاما ان يكون خلقهما لمنفعتها او لا لمنفعتها والثاني عبث
فتعين الاول وهو انه خلقهما لمنفعته وذلك المنفعة اما ان يكون عائدة الى الله تعالى
وهو محال لكونه متعاليا عن النفع والضرر او الى الغير وحينئذ يكون ذلك الغير
حيا لان غير الحي لا ينتفع وكل من كان حيا فانه اما ان يكون من جنس الملائكة وامّا
ابو مسلم الاصفهاني فمعنى قوله وكان عرشه على الماء اي بارزا للسموات
كان على الماء وقد مضى تفسير ذلك في سورة يونس وبقي انه تعالى اذا كان السموات
على الماء كانت اعظم وابدع فما الذي الضعيف اذا لم يوسس على ارض صلبة لم تثبت
وكيف هذا الامر العظيم اذا بسط على الماء وههنا سؤالات السؤال
الاول انما الفائدة في كون عرشه كان على الماء قبل خلق السموات والارض والجواب
فيه دلالة على كمال القدرة من وجهين الاول ان العرش مع كونه اعظم من
السموات والارض كان على الماء فلولا ان الله تعالى قادر على امساك الثقيل فيجعل
عمد لما صح ذلك والثاني انه تعالى امسك الماء على مركز والا لزم ان يكون
احسام العالم غير متشابهة وذلك يدل على ما ذكرناه والثاني ان العرش الذي هو
اعظم المخلوقات قد امسكه الله فوق سبع سموات من غير دعامة تحته والطبقة
فوقه ودلائل الصانع على ما ذكرنا السؤال الثاني هل يصح ما روي انه
قيل يا رسول الله اين كان ربنا قبل خلق السموات والارض يعني في اي موضع هو وبحيث
هو والجواب هذه الرواية ضعيفة والاولى ان يكون الخبر المسؤول عنه
بالعقول وهو قوله عليه السلام كان الله ولا شيء معه ثم كان عرشه على الماء
السؤال الثالث اللام في قوله ليبلوكم احسن عملا لم تدخل على الفعل
والارض لم تملأ المكلفين فكيف الجواب ظاهر الكلام يعني انه تعالى
خلق هذا العالم الكبير لمصلحة المكلفين وقد قال بعد هذا القول طوائف من العقلاء
طاعنة فيه وجها اخر سوى الوجه الذي قاله الاخرون فشرح تلك المقالات لا يليق بهذا
الكتاب والذين قالوا ان افعاله تعالى واحكامه غير معللة بالمصالح قالوا الاجل
التعليل ورد على ظاهر الامر ومعناه انه تعالى يفعل فعلا لو كان يفعله من يحور عليه

رعاية المصلح لما فعلت الحمد العزيز السوال الرابع الابتلاء انما يصح على العالم
بعواقب الامور وذلك عليه محال فكيف يعقل حصول معنى الابتلاء في حقه والجواب
ان هذا الكلام على سبيل الاستفهام كما ذكرناه في نظيره قوله تعالى في اول سورة البقرة
لعلكم تتقون واعلم انه تعالى لما بين انه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين
وامتحانهم فهذا يوجب القطع بوجوب الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان لا يحصل
المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسيء بالعقاب وذلك لا يتم الا مع الايمان
بالمعاد والعاقبة فعند هذا خاطب محمدا عليه السلام لان قلتنا انكم مبعوثون من بعد
الموت لقول الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ومعناه انهم لسفههم وجهلهم
وبحكمون بغساد القول بالبعث فهو الذي يصفه بانه سحر وذلك يحثهم
ما يكون فعلا محظورا فكيف يصح وصف هذا القول بانه سحر وفي الجواب
عنه سؤالان الاول تعالى المعنى انه هذا القول الذي يدعيه محمد وصفوها
لمنع الناس عن لذات الدنيا واختيارهم الى الانتهاء لكم والدخول في طاعتكم
الثاني ان معنى قولهم ان هذا الا سحر مبين هو ان السحر باطل قال تعالى
حاكيا عن موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله فقوله ان هذا الا سحر مبين اي باطل مبين
الثالث ان القرآن هو الكلام المحصل البعث وطعنوا في القرآن يكونه سحرا
لان الطعن في الاصل يعد البلغاء في المرتبة الرابع قرأهم والبكاء
ان هذا الا سحر يريد الرسول السحر كاذب ثم قوله تعالى
ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا تكوينهم لس مصروفا
عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اعلم انه تعالى حكى عن الكفار انهم يقولون
الرسول لعولهم ان هذا الا سحر مبين فحكى عنهم في هذه الآية نوعا اخر من اباطيلهم وهو
انه متى يلحق بهم العذاب الذي توعدهم الرسول به اصلا في الاسهزاء يقولون
ما السبب الذي يحبسه عنا فاجاب الله تعالى بانه اذا جاء الوقت الذي حدده الله لنزول
ذلك العذاب الذي كانوا يستهزؤن به لم يصرف ذلك العذاب عنهم واحاط بهم ذلك
العذاب بعينها صار السوال الاول المراد من هذا العذاب هو عذاب
الدنيا او عذاب الاخرة واحتج المفسرون في صحة الاول بقول الحسن رضي الله

رعاية المصلح

في هذه الاشياء لا يعذب احدا منهم بعذاب الاستئصال واخره الى العذاب العامه
فلما اخبر عنهم ذلك العذاب قالوا على سبيل الاستهزاء اما الذي جئتنا به فانا لا نراه
الامر الجهل وما يدل عليهم يوم بدر وعلى هذا الوجه تاولوا وحاق بهم اي نزل بهم هذا العذاب
يوم بدر السؤال الثاني ما المراد بقوله الى امة معدودة الجواب من
وجهين الاول ان الاصل في الامة هم الناس والفرقة فاذا قلت جاءني امة من الناس فالمراد
طائفة مجتمعة قال تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون وقوله واذكر
بعد امة اي بعد انقضاء امته وساعتها وبعدها هو قوله ولئن اخرنا عنهم العذاب
الى امة معدودة اي الى حين تنقضي امة من الناس الذين وعدوا بعد الوعيد بالقتل لقالوا
ما اذا حبسه عنا وقد انقرض من الناس الذين كانوا هم وعدوا بعد الوعيد وتمسه
الحبس اسمها يحصل فيه كقوله كنت عندك فلان صلاة العصر اي في ذلك الحين الثاني
ان الامة مشتقة من الام وهو القصد كانه يعني الوقت المقصود بانقاع الموعود
فيه السؤال الثالث قال وحاق على لفظ الماضي مع ان لام لم يقع الجواب
قدر في هذا الباب باب كذا من هذا الجنس والضابط فيها انه تعالى يعبر
عن احوال القيامة بلفظ الماضي مبالغة في التاكيد والتقرير والله اعلم

قوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس
كفور الى قوله واجر كبير ● اعلم انه تعالى لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار وان
تاخر الا انه لا بد واقع بهم ذكر بعده ما يدل على كونهم مستحقين لذلك
العذاب فقال ولئن اذقنا الانسان وفيه مسائل المسئلة الاولى لفظ الانسان
في هذه الاية فيه قولان الاول ان المراد منه مطلق الانسان ويدل عليه وجوه الاول
ان الله تعالى استثنى منه قوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات والاستثناء يخرج من
الكلام ما لولاه لدخل فيه الثاني ان الانسان المذكور في هذه الاية دخل فيه المؤمن والكافر
وهذا يدل على ما قلناه الثالث ان هذه الاية موافقة على هذا التقدير لقوله تعالى في العصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وموافقتها لقوله تعالى
ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين
ان مجاز الانسان محمول على العجز والضعف قال جرير في هذا المعنى هذه الاية بان آدم اذا ما ابتت

بك نعمة من الله فانك كفور فاذا ترعت عنك نعمتي قنطت والقول الثاني ان المراد منه الكافر
ويدل عليه وجوه الاول ان الاصل في المعهود الحمل على المعهود السابق لولا المانع وههنا لا مانع فوجب حمله عليه فالمعهود السابق هو
الكافر المذكور في الآية المتقدمة الثاني ان الصفات المذكورة للانسان
في هذه الآية لم يقع الا على الكافر لانه تعالى وصفه بكونه يؤسا وذلك من صفات الكافر
لقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ووصفه بكونه
كفورا وهو نص في الكفر ووصفه بانه عند وجدان الراحة يقول
ذهب السيئات عني وذلك جزاء على الله تعالى ووصفه بكونه فرحا وانه لا
يحب الفرحين ووصفه بكونه فخورا وذلك يناسب من وصف بالدين والعلم ثم
قال الآخرون لهذا القول وجهان يحمل الاستثناء المذكور في هذه الآية على الاستثناء
المنقطع حتى يكون ما هذه المحذورات المشتملة الباقية فقط الا ذاقة والذواق
يفيد اقل ما يوجد به الطعم فكان المراد ان الانسان يوجد منه اقل القليل من الخيرات
العاجلة يقع في البطر والطغيان وبادر الى اقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس
والقنوط والكفران فالدنيا في نفسها قليلة وانما حصل منها للانسان الواحد
قليل والاذاقة من ذلك القليل اقل القليل وهو في سرعة الزوال يشبه احلام النائمين
وخيالات الموسوسين فهذا مع ادائه الى قليل من قليل ومع ذلك فالانسان لا طاقة
له بتحملها ولا صبر له على الاتيان بالطريق الحسن معها واما النعماء الواحدة
انها انعام يحصل من على صاحبه والفرح بها فرح يظهر اثره على صاحبها لانها
حين تخرج الاحوال الباطنة تخرجها سرورا وفرحا وهذا هو الفرق بين النعمة
والنعماء والمضرة والفضل المسألة الثالثة اعلم ان احوال الدنيا غير باقية بل هي
ابدا في التغير والزوال والتحول والانتقال اذ ان الضابط فيه اما ان يتحول من
النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الآفات واما ان يكون بالعكس من ذلك وهو ان
ينتقل من الكروب الى المحبوب ومن المخوفات الى الطيبات اما القسم الاول
وهو المراد من قوله واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها فانه لو لم يكن كفورا
وحاصل الكلام انه تعالى حكم على هذا الانسان بانه لو فرح كفور ونعمة

انه حال زوال تلك النعمة نوسا وحالة لان الكافر يعتقد ان السبب في حصول تلك النعمة
سبب نعافي تراه استعد حصول حدوث ذلك الانفاق من اجري فلا جرم يستبعد
عود تلك النعمة بسبب واما السبب الذي يعتقد ان تلك النعمة انما حصلت من
جود الله وفضله واحسانه فانه لا يحصل له اليأس بل يقول لعله تعالى يرد عليّ ما ذهب الى
بعد ذلك احسن واكمل وافضل مما فات واما حال تلك النعمة حاصلة فانه يكون فخورا
لانه لما اعتقد ان حصولها انما كان على سبيل الاتفاق او بسبب الانسان حصلها
يستحق وجهد فحينئذ لا يشتغل بشكر الله على تلك النعمة فالحاصل ان الكافر
يكون عند زوال تلك النعمة يوسا وعند حصولها يكون كفورا واما المسلم
المالي وهو ان يسهل الانسان من المكروه الى المحبوب ومن المحبة الى النعمة فيها
الكافر يكون فرحا فخورا اما وقوع المدح فلان منهى طبع الكافر هو الفخر فهذه
السعادات المذمومة وهو منكر للسعادات الاخروية تكاثر وحاسبه فافاد هذا ان فاقد
فاز بغاية السعادات فلا جرم يعظم فرحه بها واما كونه فخورا فلانه لما كان
الفوز بكل المطلوب حاصلا له في السعادات والفائز بأكمل درجات السعادات يكون
في غاية السعادة فلا جرم يفخر به فحاصل الكلام انه تعالى بين ان الكافر عند البلاء
لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالنعماء لا يكون من الشاكرين ثم لما قرر ذلك
قال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات والمراد منه ما تقدم في قوله الا الذين
صبروا والمراد منه ان يكون عند البلاء من الصابرين وفي قوله وعملوا الصالحات
المراد منه ان يكون عند الراحة والخير من الشاكرين ثم بين حالهم فقال اولئك لهم
مغفرة واجر كبير فهم لهم من هذين المطلوبين احدهما زوال العقاب والثاني
الفوز بالثواب وهو المراد بقوله واجر كبير ومن وقوفه على هذا الفصل الذي
ذكرناه علم ان هذا الكتاب الكريم معجز كما انه معجز بحسب الفاظه فهو ايضا
معجز بحسب معانيه **قوله تعالى** فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك
الآية هم اعلم ان هذا نوع اخر من كلمات الكفار وذلك ان الله تعالى بين ان قلب الرسول
ضاق بسببهم ثم ان الله تعالى قواه وامده بالذكر الحكيم والمعجز القاهر ودفع مساءل المسئلة
الاولى وذلك من وجهين الاول ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت

رسولا

وقال الحسن وهو المراد
قوله لعلك تارك بعض

رسولا وقالوا لهم انا بالملائكة لنشهد والسول تعالى اذا قدر على ذلك فنزلت
هذه الاية واختلفوا في المراد بقوله لعلك بعض ما يوحى اليك قال ابن عباس وقتادة
المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نتبعك ويؤمن
بكتابك وقال الحسن طلبوا منه قوله تعالى ان الساعة اتية وقال بعضهم المراد
تسليتهم الى الجهال والتعليل الاصل على الباطل المسلة الثانية اجمع المسلمون
على انه لا يجوز على الرسول عليه السلام ان يكون في الوحي والتنزيل وان يترك
بعض ما يوحى اليه لان كونه يؤدي الى السلف في كل الشرايع والتكاليف وذلك
يقدح في المقصود بالمقصود من ارساله تبليغ تكاليف الله واحكامه فاذا
لم يحصل هذه الفائدة فقد خرج ارساله ان يعتد فائدتها المطلوبة منها واذا ثبت
هذا وجب ان يكون المراد من قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيء اخر سوى انه
صلى الله عليه وسلم فعل ذلك والناس فيه وجوه الاول لا يمتنع ان يكون معلوم
الله تعالى انه اما ينزل لتعصمه فحاد الوحي لسبب يرد عليه من الله تعالى اما بان
هذه الصفات لتبلغها انهم كانوا لا يعتدون بالقرآن وسبها ويقولون به فكان
يضيق صدر الرسول عليه السلام ان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزئون منه فيصير
الله تعالى لاداء الرسالة وطرح المبالاة بكلامهم الوجه الثاني ان يترك الالتفات
الى استهزائهم والعرض منه التنبيه على انه ان ادى ذلك الى [illegible] وفي ترك الحماية منه واداه ان يخدش من تحمل اجل الصبر [illegible] من تحمل تبليغ الحماية في وحي الله تعالى والعرض من ذكر السلام التنبيه على
هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من نظر في العقل والنقل يشتمل على
سر عظيم ثم علم ان الصبر الماني في جانب النقل اعظم واقوى حصل له العلم
وحف ما المقصود من ذكر هذا الكلام ما ذكرناه قال وقوله فلعلك كلمة
تنبئ عما العالم فيها فلك المراد منها الزجر والعرب تقول للرجل اذا اراد
الشيء عن امر يعلم انك تفعل كذا مع انه لا يسئل منه ويقول لولده لعلك
تقصر فيما امرتك به وتريد بذلك الامر فمعناه ولا تبرح اما قوله وضائق
به صدرك فالضائق بمعنى الضيق قال الواحدي الفرق بينهما ان الضائق يكون بمعنى

عن الرفع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح لما بين صدره ومثله قولك
ان زيدا جواد يريد السيادة والجود الباسة المستقرين فاذا اردت الحدوث
قلت ساجد وجالد والمعنى ما بين صدرك لاجل ان يقولوا لولا ان عليه مالا فان
فعل الكسر لغير الفاعل المراد ما تكثر وجوت العادة انه يسمى المال
الكثير بهذا الاسم فكان القوم قالوا ان كنت صادقا فانى لك رسولا الذى يصفه
بالقدرة على كل شئ وانك عزيز عنده مهما ارى عليك ما يستغنى به ويغنى حالك
عن الكد والعناء ويستعين به على مهماتك ويعين انصارك وان كنت صادقا فهلا
انزل الله عليك ملكا يشهد للدليل على صدق قولك ويعينك على تحصيل مقصودك فنزول
الشبهة فى امرك فلما لم تفعل الهدى الذى هو ضد الضلال فانت غير صادق فى ان
الله تعالى ارسلك رسولا يدرر بالعقاب ويبشر بالثواب ولا قدرة له على ايجاد هذه الاجسام والذى
ارسله هو العالم على الكل فان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولذا فانه اعراض لا يحصل عليه فى فعله
وفى حكمه ومعنى وكيل حفيظ اى يحفظ عليهم اعمالهم اى يجازيهم بها وتظير
هذه الاية قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا يحوى من
تحتها الانهار ويجعل لكم قصورا وقوله وقالوا لولا انزل اليه ملك قل سبحان
الى هل كنت الا بشرا رسولا قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر
سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
اعلم ان القوم لما طلبوا منه المعجز قال معجزى هذا القرآن ولما حصل المعجز الواحد
كان طلب المزيد تعنتا وعنادا فلهذا السبب قرر كونه معجزا بان تحداهم بالمعارضة وتقرير
هذا الكلام بالاستقصاء قد تقدم فى سورة النمل وفى سورة يونس وفى الاية مسائل
المسئلة الاولى الضمير فى قوله افتراه عائد الى قوله فما سئلوه يوحى اليك اى
انهم قالوا هذا الذى يوحى اليك مفترى فقل لهم حتى يأتوا بعشر سور مثله مفتريات
وقوله مثله معناه اسالة حملا على كل واحد من هذه السور ولا معنى لقول من قال
يعود الى المراد وهو المجموع لان مجموع السور العشر شئ واحد المسئلة الثالثة قال
ابن عباس هذه السور التى وقع التحدى معه وهى سورة النمل والعنكبوت والسجدة
والسجدة المائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ويونس وهود وقوله

تعالى

تعالى فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اشارة الى السور المتقدمة على هذه السورة وهذا
فيما اذا كان الاتيان بهذه السورة مع بعض السور المتقدمة على هذه السورة مغايرا
فكيف يمكن ان يكون المراد من هذه العشر السور التي ما نزلت عند هذا الكلام
فالاولى ان يقال التحدي وقع بمطلق السور التي يظهر فيما فوق ترتيب الكلام وتاليفه
واعلم ان التحدي بعشر سور لا بد وان يكون بينها تفاوت على التحدي بسورة واحدة
وهو مثل ان يقول الرجل لغيره ان عشر اسطر مثلها اكتب واذا اظهر عجزه عنه
قال فقد اقصرت منك على سطر واحد مثله اذا عرفت هذا نقول التحدي بالسورة
الواحدة ورد في سورة يونس اما بعدم هذه السورة على سورة
يونس وظاهر ان هذه السورة مكية وسورة يونس مدنية واما في سورة يونس
فلانه تعالى قال انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وهذا السورة من مكية والذي
ذكرناه يقتضي ان يكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة يونس حتى يستقيم
الكلام الذي ذكرناه المسلة المالكية اجابوا عن هذا السؤال بوجه الذي لاجله
كان القرآن معجزا فقال بعضهم هو الفصاحة وقال بعضهم هو الاسلوب
وقال اخرون هو عدم التناقض وقال بعضهم هو اشتماله على الاخبار عن الغيوب والمختار
عندنا ان كل هذه الوجوه معجزة لشتمال القرآن على فصاحة واسلوب
وعدم التناقض واحتجوا على صحة قولهم هذا بالآية لانه لو كان
وجه الاعجاز هو كونه مشتملا على العلوم والاخبار عن الغيوب
لقوله مفتريات معناه اذا كان وجه الاعجاز هو
فصاحة العصيح يظهر بالكلام سوى كلام الله
الوجه في كونه معجزا هو الصرفة لكان دلالة الكلام الرابع
على هذا المطلوب اوكد من دلالة الكلام العالي في الفصاحة
وجه الحصر وقوله ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين والمراد ان كنتم
صادقين في ادعائكم مفتريات فما قال لم تقولوا اعمراه واعلم ان هذا الكلام يدل
على انه لا حد واحد من الذين من تفسير الدلائل والبراهين ورد للام تعالى اورد في
اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هذا الدليل وهذه الحجة لورد ان الذين لا تتم الا
بالدليل اذا لم يكن في وسعهم فانك **قوله تعالى** فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا

تعالى

امّا انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فصل انتم مسلمون ۞ اعلم ان الآية المتقدمة اشتملت
على خطابين احدهما خطاب الرسول وهو قوله قل فاتوا بعشر سور والثاني وهو خطاب
الكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم من دون الله فلما اتبعه بقوله
فان لم يستجيبوا الا احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة
لتعذرها عليهم والاحتمال ان من يدعونه من دون الله لم يستجيبوا فهذا السبب احلف
المفسرون على قولين فبعضهم قال هذا خطاب للرسول والمؤمنين والمراد ان الكفار
لم يستجيبوا لكم في الاتيان بالمعارضة فاعلموا انما انزل بعلم الله والمعنى فاسوا
على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا قدم على انه من امن من عند الله تعالى
ومعنى قوله فهل انتم مسلمون اي فهل انتم مخلصون ومنهم من قال فيه اضمار والتقدير
فقولوا ايها المسلمون للكفار اعلموا انما انزل بعلم الله والقول الثاني
ان هذا خطاب مع الكفار والمعنى ان الذين يدعونهم من دون الله اذا لم يستجيبوا
لكم في الاتيان بمعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن انما انزل
بعلم الله فهل انتم مسلمون بعد رفع الحجة عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا
اولى من القول الاول لانه لم يحتج الى ان يضمر قوله فاعلموا على الامر
بالثبات او على ازدياد العلم وعلى هذا الاحتمال لا حاجة فيه الى الاضمار وقال
هذا اولى والضمير في قوله فان لم يستجيبوا راجع الى اقرب المذكورين
في هذه الآية [illegible] والثاني الخطاب الاول كان مع
جماعة الكفار [illegible] وادعوا من استطعتم من دون الله وقوله فان لم
يستجيبوا لكم خطاب مع الجماعة وكان حمله على هذا الذي قلنا اولى لان في
الآية سؤالان السؤال الاول انها لم يستجيبوا فيه الجواب
المعنى انهم لم يستجيبوا لهم في حمله الاتيان وهو بعد السؤال الثاني من
المراد من الانسان في قوله لكم الجواب ان حملنا قوله فان لم يستجيبوا لكم على
المؤمنين فالظاهر وان حملناه على الرسول معه جوابان الاول فان لم يستجيبوا
لكم والمعنى فان لم يستجب رسول الله والمؤمنون كانوا يحدثونهم ويأتون في موضع الحرف فان لم يستجيبوا
لك فاعلم فانما يحوزان يكون الجمع لتعظيم رسول الله السؤال الثالث

ان يعلم من الشرط المذكور في هذه الآية ومن مثالها من الخبر الجواب ان القوم ادعوا
كون القرآن معجزا على الله فعال لو كان معجزا على الله لوجب ان يعذر الخلق على مثله
ولما لم يعذروا عليه علمنا انه من عند الله ومن فعله كما نقول الحاكم هذا اعلم حتى يعلمي
السوال الرابع اي يعلم لقوله وما الاله الا اله واحد يعجزهم عن المعارضة
الجواب فيه وجوه الاول انه تعالى لما امر محمدا عليه السلام حتى يطلب من الكفار ان
يستعينوا بالاصنام في تحقيق المعارضة ثم طلبوا عجزهم عنها فحينئذ ظهر انها لا تنفع ولا
تضر فمن هنا من ابطال الشبه ومتى كان كذلك بطل القول باثبات كونها الهة فعاد
عجز القوم عن المعارضة بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا الهية الاصنام ودليلا على
ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان قوله وما الاله الا هو اثباتا لما ظهر
من بطلان القول بالهية الاصنام ودليلا على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان
قوله وما الاله الا الله اثباتا لما ظهر من بطلان القول بالهية الاصنام الثاني انه
ثبت في علم الاصول ان القول في الرب عن الله تعالى من المسائل التي يمكن اثباتها بقول
الرسول وعلى هذا فكانه قيل لما ثبت عجز الخصوم عن المعارضة بعد ما ادعوا القرآن حجة
كون محمد عليه السلام صادقا في دعوى النبوة بما انه كان يخبر عن انه لا اله الا الله
فلما ثبت كونه محقا في دعوى النبوة بسبب قوله انه لا اله الا الله ان ذكر
قوله وما الاله الا هو كان يجري مجرى التصديق كانه قيل لما ثبت بالدليل كون محمد عليه السلام
صادقا في دعوى الرسالة وعلمتم ان لا اله الا الله فكونوا على ما علمتم من [illegible] وعدا به وابوا
الا صرارا على الكفر وقابلوا الاسلام وقطع قوله تعالى [illegible] عند ذكر انه
المتحدي فانهم لم يفعلوا ولن يفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت
للكافرين واما قوله لعلكم تصيرون مسلمون فاعلم انه خطاب مع المؤمنين كان معناه
البرغبة في زيادة الاخلاص وان فيه خطابا مع الكفار كان معناه البرغبة في اصل
الاسلام قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفي اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل
ما كانوا يعملون اعلم ان الكفار كانوا يدعون محمدا صلى الله عليه وسلم
في اكثر الاحوال وكانوا يظهرون لهم انهم ان تحدا ممثل ويحتالون واما سائر

في مبارعته لتحقيق الحق وابطال الباطل مكانوا كاذبين في ادائهم عن ضميرهم بحسب الجسد والاسكاف
من المتابعة فانزل الله تعالى هذه الاية ونظير هذه الاية قوله تعالى من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقوله مكان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب المسئلة الاولى اعلم ان في
الاية قولين الاول انها مختصة بالكفار لان قوله من كان يريد الحياة الدنيا
الاية تقابل الاولى انها مختصة بالكفار لان قوله من كان يريد الحياة الدنيا
يندرج فيه المؤمن والكافر والصديق والزنديق لان كل احد يريد التمتع بدار الدنيا
وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها الا ان اهل الدين يريدون بذلك المراد
من هذا العالم العاجل وهو الكافر لان قوله تعالى ولكل الدين ليس لهم في الاخرة
الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون لا يليق الا بالكفار
فصار تقدير الاية من كان يريد الحياة الدنيا فقط اي يكون اراده مقصورة
على حب الدنيا وزينتها ولم يطلب السعادات الاخروية كان حكمه كذا وكذا
ثم العالمون بهذا القول اختلفوا فمنهم من قال المراد منهم منكرو البعث فانهم
منكرون الاخرة ولا يعبئون الا في سعادات الدنيا وهذا اقبح الاصناف وكلام
ظاهر والقول الثاني ان الاية نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول
الغنائم مردودون ان يوصفوا بالاخرة وثوابها والقول الثالث ان المراد اليهود
والنصارى وهو ضعيف لان ليس والقول الثالث ان المراد اليهود والنصارى
الرابع وهو الذي يحتمله ظاهر الاية ان المراد من كان يريد بعمله الخير الحياة في الدنيا وزينتها
وعمل الخير مثل الصلاة والصدقة وصنائع المعروف وايصال المنفعة الى الحيوان ويدخل في هذا القسم البالغ
البر وصلة الرحم والصدقة وسائر العاطف وسوء الطرق والسعي في دفع الشدائد
واجراء الانهار وعمارة المساجد الا ساءة اذا اتى بها الكافر لاجل اثبات الدنيا فان بسببها
يصل الخيرات والمنافع الى المحاصيل وعلى هذا تكون من اعمال الخير ولا شك ان هذا القسم
اكثر اعمال الكفار تكون طاعات سوى صدرت من المسلم او الكافر اما الصادرات فهي انما
تكون طاعات عبادات مخصوصة فاذا لم يقصد بها الا الدنيا وتحصيل الرياء والسمعة فيها صارت وجودها كعدمها فلا تكون من باب الطاعات
واذا عرفت هذا فقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها المراد منها الطاعات التي تصح

بل الكافر والقول الثاني وهو ان يجري الآية على ظاهرها في العموم ونقول انه يندرج
فيه المؤمن الذي يأتي بالطاعات على سبيل الرياء والسمعة ويندرج فيه الكافر الذي
هذا صفته وهذا القول مشكل لان قوله اولئك ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بالمؤمن
الا اذا قلنا المراد اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بالمؤمن الا اذا قلنا
المراد اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار بسبب هذه الاعمال الفاسدة والافعال
الباطلة المقرونة بالرياء ان العامل بهذا القول ذكروا اخبارا كثيرة في هذا الباب
روي عن الرسول عليه السلام انه قال التعوذ بالله من جب الحزن قيل وما جب الحزن
قال عليه السلام واد في جهنم يلقى فيه القراء المرائون وقال عليه السلام وقال عليه السلام
اشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس انه خير واتقى منه وعن ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة يدعى برجل جمع القرآن
فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت به آناء الليل واطراف النهار فيقول الله كذبت
اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك
حتى لا احتاج اليك فيقول بلى يا رب فيقول الله كذبت قال اردت
ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى من قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى
قتلت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جري فقال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة
روي انا ابا هريرة اولئك الثلاثة روى ذكر هذا الحديث عند معوية الذي صلى حتى قتل
انه هالك ثم اغمي عليه فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف
لهم اعمالهم المسئلة الثانية المراد من توفيه اجور تلك الاعمال هو ان كل ما يستحقون
بها من الثواب فانه يصل اليهم حال كونهم في دار الدنيا فاذا خرجوا من الدنيا لم يبق معهم
من تلك الاعمال ثمرة ولا اثر الخبر ات ليس لهم منها الا النار واعلم ان العقل يدل عليه وطعا
وذلك لان من اتى بالاعمال لاجل طلب الثناء في الدنيا ولاجل الرياء فذلك لاجل انه علم على قلة حب
الدنيا ولم يحصل في قلبه حب الآخرة اذا عرفت هذه الاصول فنقول الآيات والاخبار
لا شك ان كل ما ياتي بالطاعات لاجل الدنيا وبسبب امور الآخرة فسبيل الا في اعمال البر لاجل الدنيا
لا بد وان يكون عظيم الرغبة في الدنيا عليه ثمرة الطيبة لا محالة ومن كان كذلك فاذا مات

فانه يفوته جميع منافع الدنيا ويقع عاجزا عن وجدانها غير قادر على تحصيلها ومن احب
شيأ جعل يذكره ومن المطلوب فانه لا بد وان يشتعل في قلبه نار الحرمان فثبت بهذا
البرهان العقلي ان كل من اتى بعمل من اعمال الطلب لاجل الدنيا فانه يحدث المنفعة الدنيوية
الا بعد ذلك العمل ثم ادامات فانه لا يحصل له منه الا الخسار وتصير تلك العمل في الدار الاخرة
محبطا والا علم الاثر فقوله تعالى ام كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه
الآية اعلم ان تعلق هذه الآية بما قبلها ظاهر والتقدير افمن كان على بينة من ربه
كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار وتصير تلك العمل في الدار الاخرة
ومثله في القرآن كثير كقوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من
يشاء وقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون واعلم ان اولئك الذين حملوا على الالفاظ الاربعة وكل
واحد منها محملا فالاول ان هذا الذي وصفه الله بانه على بينة من ربه من هو والثاني انه
ما المراد بهذه البينة والثالث ان المراد بقوله يتلوه تلاوة حاصلة بعضها عقيب بعض
والرابع ان هذا الشاهد ما هو فهذه الالفاظ الاربعة محملة فلهذا اختلف
المفسرون في هذه الآية اما الاول وهو ان هذا الذي وصفه الله بانه على بينة من ربه
من هو فقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد به من آمن به من اليهود
كعبد الله بن سلام وغيره وهو الاظهر لقوله تعالى في آخر الآية اولئك يؤمنون به
وهذا صيغة جمع فلا يجوز رجوعه الى محمد عليه السلام والمراد بالبينة البرهان الذي عرف
صحة الدين الحق به والتلاوة في يتلوه ترجع الى معنى البينة وهو لسان والبرهان
والمراد بالشاهد القرآن ومنه اي من الله ومن قبله كتاب موسى يعني القرآن
ليس في الوجود دليل يدل على هذا المطلوب سوى ما نصب على الحال فالحاصل
انه لا بد من اجماع في حق تقرير صحة هذا الدين امور بلغت في الظهور والجلاء الى الحالة
على صحته وما يشهد شهادة القرآن على صحته وانما شهادة التوراة على صحته
بعد اجماع هذه الملائكة لا تقوى على صحته بل ولا ارتياب فهذا القول احسن الاقاويل
في هذه الآية واقربها الى مطابقة اللفظ ومنها اقوال اخر فالقول الاول ان
الذي وصفه الله بانه على بينة من ربه هو محمد عليه السلام والبينة هو القرآن والمراد بقوله

يتلوه التلاوة بمعنى القراءة وعلى هذا التقدير فذكروا في تفسير الشاهد وجوها احدها
انه جبريل عليه السلام وما يتلوه انه الدال الشاهد هو لسان محمد عليه السلام وهو
قول الحسن عن علي رضي الله عنهما قال قلت لابي لسان الميزان وما معنى الميزان فقال قوله
ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما
كان الانسان انما يقرأ القرآن ويتلوه بلسانه لا جرم جعل اللسان بالنسبة على سبيل
المجاز كما يقال عين باصرة واذن سامعة ولسان ناطق والمعنى ان المراد هو ابي
طالب والمعنى انه يتلوه كما يتلو لسانه وقوله منه اي هذا الشاهد من محمد ومن منه
والمراد منه من اشرف هذا الشاهد انه بعض من محمد وانما ان لا يكون المراد
بقوله ويتلوه القراءة ما حصول هذا الشاهد عقيب لسانه وعلى هذا الوجه قالوا
المراد ان موت النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه ومحاسنه والذي يشهد لصدقه
لان من يظن الله بعقله علم انه ليس بمجنون ولا ساحر ولا كذاب والمراد بكون
هذا الشاهد منه كونه على احوال متعلقة بذات النبي صلى الله عليه وسلم
القول الثاني الذي وصفه الله بانه على بينة من ربه هو محمد صلى الله عليه وسلم
والمراد بالبينة القرآن ويتلوه اي يتلو الكتاب الذي هو الحجة بمعنى
ويتبعه شاهد من الله وعلى هذا القول احتجوا في ان الشاهد هو الله بقول بعضهم انه
محمد عليه السلام وقال الآخرون بل يكون ذلك الشاهد هو كون القرآن واقعا على وجه
يعرف كل من يطلع فيه انه معجز وذلك الوجه هو اشتماله على الفصاحة الى هذا وقع الدلالة
الكاملة وكونه بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثله وقوله ويتلوه شاهد منه اي من ذلك
البينة لان احوال القرآن وصفاته من القرآن ومتعلقة به وقيل وقال الفراء
ويتلوه شاهد منه يعني الانجيل يتلوا القرآن وان كان قبله لصدقه والمعنى انه يتلوه في
المصدق والمقرر انه تعالى ذكر محمدا في الاخبار والامر بالاتيان به واعلم ان هذين القولين وان كانا
محتملين الا ان القول الاول اقوى واتم واعلم انه تعالى وصف كتاب موسى بكونه
اماما ورحمة ومعنى كونه اماما انه كان يعتدي العالمون واما بهم يرجعون اليه
في معرفة الدين والشرائع واما كونه رحمة فانه يهدي الى الحق في الدين والدنيا وذلك
امر حصول الرحمة والثواب فلما كان سببا للرحمة اطلق اسم الرحمة عليه اطلاقا لاسم المسبب
على السبب قال تعالى اولئك يؤمنون به والمعنى ان الذين وصفهم الله بانهم على بينة

من به في صحة هذا الدين يعتنى به واعلم ان الدلائل على قسمين منها ما يعلم صحتها
بالبديهة ومنها ما يحتاج في تحصيل العلم بها الى طلب واصطياد وهذا القسم الثاني
على قسمين لان طريق تحصيل المعارف اما الحس والبرهان المستنبط بالعقل واما
الاستفادة من الوحي والالهام فهذان الطريقان هما الطريقان اللذان يكن الرجوع
اليهما في تعرف المجهولات فاذا اجتمع واعتضد كل واحد منهما بالآخر بلغ الغاية
في القوة والوثوق بان في اثبات الله كذا فاذا توافقت كلمات الانبياء على حكم
وكان البرهان العقلي قائما على صحته فهذه المرتبة قد بلغت في القوة الى حيث
لا يمكن الارتياب فيها فقوله اذا كان على ما يجب ان يراد به الدلائل
العقلية القطعية وقوله وتلوح شواهد منه اشارة الى الوحي الذي حصل
لمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله ومن قبله كتاب موسى اشارة الى الوحي الذي
حصل لموسى وعند اجتماع هذه الامارات قد بلغ هذا المعنى في القوة والظهور
والجلاء الى حيث لا يمكن الارتياب عليه ثم قال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده والمراد من النار اصناف الكفار فدخل فيهم اليهود والنصارى
والمجوس وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل
هذا الامر في القرآن فوجدنا الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار
موعده فقال بعضهم لما دلت الآية على ان من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده
دلت على ان من لم يكفر به لم تكن النار موعده فقال تعالى ملائكته ومن
منه انه اخبر عن كفرهم به وكان الاولى ان يقال وملائكته ومن صحة هذا الدين ومن
كفر القرآن بارئه من عند الله وكانه متعلق بما تقدم من قوله تعالى ام يقولون
افتراه والمراد بالملائكة من اعتقد فيه انه من عند الله كالكاهن الذي يزعم ان
يأتيه ذكي من الجن والمقدر ما ظهر الحق عليه وقوله الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات استثناء منقطع لان الكفار لا يقال لهم سوى امنوا اولم يؤمنوا او ان يكون
المراد ولا يؤمنون بما تقدم ذكره من وصف القرآن **فقوله تعالى** ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم الى قوله وما كانوا يفترون
اعلم ان الكفار لا تظهر عليهم كفرهم وطرق يختلفة منها شك حرمهم على

الدنيا ورضيتم بها من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا
ورضيتها الى آخر الآية ومنها انهم كانوا يحرفون كلام الرسول ويتصرفون في معانيه
وقد قال الله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه والدليل على هذا امر الله تعالى ونهيه
فقد دخل فيه هذا الكلام واعلم ان قوله ومن اظلم ممن افترى على الله اعظم انواع الظلم انه تعالى من وعيد
المبالغة ومعه دلالة على ان الافتراء على الله اعظم انواع الظلم انه تعالى من وعيد
هؤلاء قوله اولئك يعرضون على ربهم ما وصفهم بذلك كلهم يحصون يوم العرض
عام في كل العباد كما قال وعرضوا على ربك صفا وانما اراد انهم يعرضون ليقتضوا
بان يقول الاشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فحصل لهم من الخبر
والانكال ما لا امر بعده ومنه سؤالات السؤال الاول ما الحكمة
في كون الله تعالى في مكان ثم يضيف اليه العرض على ربهم والجواب
انهم يعرضون على الامكنة المعدة للحساب والسؤال وكونها فصلا ان يكون ذلك
عرضا على من تعرض وبكتب بامر الله من الانبياء والمؤمنين السؤال الثالث
من الاشهاد الذين اسند لهم هذا القول الجواب قال مجاهد هم الملائكة
الذين كانوا يحفظون اعمالهم عليهم في الدنيا وقال قتادة ومعالي الاشهاد الناس كما
تقال على وجه الاشهاد معهم على الناس وقال اخرون هم الانبياء كما قال تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واعتبار قول الاشهاد المبالغة
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واعتبار قول الاشهاد المبالغة
فكيف الذين ارسل اليهم والمرسلين والعامل في اعتبار قول الاشهاد المبالغة
في اظهار الفضيحة السؤال الثالث الاشهاد جمع ما واحد الجواب
يجوز ان يكون جمع شاهد مثل صاحب واصحاب وتاجر وتجار ويجوز ان يكون جمع
شاهد مثل صاحب شهد مثل شريف واشراف قال ابو علي الفارسي وهذا كانه
ارجح لان ما في التنزيل حمل على حمله ويكون للرسول عليكم شهيدا وحا
بك شهيدا لما اخبر عن حالهم وعقابا لعامتها خبر عن حالهم في المآل فقال الا لعنة الله
على الظالمين وبين ايمانهم وبين الحال الملعونون من عند الله ثم ذكر من معنى ايمانهم انهم يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا اي يصفونها كما انهم طلبوا اليهم بالمرام الجعفر والصلاة فعلا صافوا الى
المنع من الدين الحق فالقا الشبهات وتموج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال
في المعاجلة انه سعى عوجا وانما يقال ذلك فيمن يعرف كيفية الاستقامة وكيفية
العوج بسبب القا الشبهات وتقرير الصلالات ثم قال وهم بالاخرة هم كافرون

قوله تعالى

قال الزجاج ذكرت كلمهم كرر على جهة التأكيد لشتاتهم في الكفر
اولكلم كونوا معجزين في الارض الى قوله ثم الاخبر ولم اعلم انه تعالى وصف
هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات ثلث في معرض الذم فالصفة الاولى
كونهم مفترين على الله وهي قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا والصفة الثانية
انهم يعرضون على الله في مواقف الذل والهوان والحزن والخسار وهي قوله اولئك
يعرضون على ربهم والصفة الثالثة حصول الخزي والنكال والعقاب العظيم
وهي قوله ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والصفة الرابعة
كونهم ملعونين من عند الله وهي قوله الا لعنة الله على الظالمين والصفة
الخامسة كونهم صادين عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق وهي قوله
الذين يصدون عن سبيل الله الصفة السادسة سعيهم في اثناء الشبهات
وتعويج الدلائل وهي قوله ويبغونها عوجا الصفة السابعة كونهم كافرين
وهي قوله وهم بالاخرة هم كافرون الصفة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار
من عذاب الله وهي قوله اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وكل الواحدي معنى
الاعجاز المنع من تحصيل المراد تقال اعجزني فلان اي منعني مرادي ومعنى
معجزين في الارض اي لا تمكنكم ان تهربوا من عذابنا فان هربتم العدم عذاب
الله محال لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا يعاونه قدرته بالبعد
والقرب والقوة والضعف الصفة التاسعة انه ليس لهم اولياء يدفعون
عذاب الله عنهم والمراد منه الرد عليهم في صنعهم لاصنامهم انها شفعاؤنا عند الله
والمقصود ان قوله اولئك لم يكونوا معجزين في الارض دل على انه لا قدرة
لهم على الفرار وقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء هو انه لا قدرة
لهم على الدفع ثم قال تعالى يضاعف لهم العذاب جمع تعالى بين ما رجع اليهم وبين ما رجع الى غيرهم وبين
ان كلا منهم يطلق حسابهم في الحشر من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة ثم احتلفوا
فقال قوم المراد انه تعالى عدم زوال العذاب ليس لاحد انهم قدروا على منع الله من ايصال
العذاب ولا احد لهم ناصرا يمنع ذلك العذاب منهم بل اما احد ذلك الامهال
لانه تعالى امهلهم كي يتوبوا فيفوزوا بالثواب عن عنهم فاذا ابوا الا الثبات عليه فلا بد من
مضاعفة العذاب في الاخرة وقال بعضهم بل المراد لم يكونوا معجزين الله عما

يريد ان يفعله

بولا انزاله عليهم من العذاب في الاخرة وفي الدنيا ولا يخفون ولياسصرهم ويدفع ذلك
عنهم الضعف العاشر قوله تعالى يضاعف لهم العذاب في [illegible] يضعف
العذاب في حقهم انهم كفروا بالله وكفروا بالبعث والنشور وكفروهم
بالمبدأ والمعاد فصار ذلك سببا لتضعيف العذاب والاصوب ان يقال انهم
مع صلالهم الشديد سعوا في الاضلال ومنع الناس عن الدين الحق فلهذا المعنى حصل هذا
التضعيف الضعف الحادي عشر انهم كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
والمراد انهم عاندوا في الدنيا من جهة العلم وعمي القلب واصروا اصرارا شديدا على انه
تعالى لم يخلق في المكلف الا الايمان روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال انه
تعالى لم يخلق في الكافر الا الايمان في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فهو قوله ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون واما في الاخرة فهو قوله وقد دعوا الى السجود وهم سالمون وحاصل
الكلام في هذا الاستدلال لانه تعالى انهم لا يستطيعون السمع فاما ان يكون
المراد انهم ما كانوا يستطيعون سمع الاصوات والحروف واما ان يكون المراد
منه عاجزين عن الوقوف على دلائل الله والاول باطل لان الله تعالى البسهم ولي على
انهم كانوا يسمعون الاصوات والحروف وجعل اللفظ على الباقي احالة
للحياي عند ان السمع اما ان يكون عبارة عن الحاسة المخصوصة او عن معنى يخلقه الله تعالى
في صماخ الاذن وطلما لا قدرة للعبد عليه لانه لو اجتهد في ان يسمع الملموس لم يقدر
عليه واذا بطل هذا كان اثبات الاستطاعة عليه محالا واذا كان اثباتها محالا كان نفي الاستطاعة
عنهم هو الحق فثبت ان ظاهر الآية لا يقدح في قولنا ثم قال المراد بقوله ما كانوا
يستطيعون استثقالهم له ونفورهم عنه كما يقول القائل لهذا كلام لا استطيع
ان اسمعه وهذا ما يجيء سمعي حكي عن الحباي عذرا اخر فقال الله تعالى نفي ان يكون
لهم وليا والمراد الاصنام ثم بين كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون وهم يعلمون الوجه به والجواب [illegible] ما حاصل الا بعد
على انه لا قدرة لهم على خلق الطاعة وعلى حمل المعنى عليه فاطل لان هذه الاية وردت
في معرض الوعيد فلا بد وان يكون محصلها هو والمعنى الذي قالوه حاصل في الملائكة
والانبياء فكيف يحمل اللفظ عليه واما قوله ان دليلنا يحمل على انهم كانوا

بولا انزاله

لستطيعون سماع كلام الرسول وابصار صورته فاجاب الله تعالى بنى الاستطاعه
فحمله على معنى اخر خلاف الظاهر وانما ارتضوا له ذلك لان استثقال هل يمنع من الفهم والوجوب
الى العرض او لم منع فان منع فهو المقصود وان لم منع منه فحينئذ ان كان لمانعا اجنبيا
عن المعانى المعنى فى الفهم والادراك ولا يخلف احوال القلب فى العلم والمعرفه
فسيكلف بمكن جعله وما لهم فى هذا المعرض ايضا فعديتا مرارا كثيرة
فى هذا الكتاب ان حصول الفعل مع قيام الصارف محال فلما مر تعالى كون
هذا المعنى مما رغب عن قبول الدين الحق و ان حصل حصولا على سبيل اللزوم
بحيث لا يقبل فى ذلك الوقت كان ذلك الوقت ممنوعا عن الايمان وحينئذ
يحصل المطلوب واما قوله فانما يحصل هذه الصفه من صفات الاذان فبعد
لانه تعالى قال بصاعف لهم العذاب يوم القيامة بما كانوا يستطيعون السمع فوجب
ان يكون الصمم فى هذه الاية المراد به عبارة عن ما عاد الله الصمم فى الاية
الاولى واما قوله وما كانوا يبصرون فمعلل الاراد منه الصمم وحمل
المراد منهما عدلوا عن ابصارهما كونهم الصفه الثامنه عشر قوله
اولئك الذين خسروا انفسهم ومعناه انهم اشتروا عبادة الاصنام بعبادة الله فذا هذا الخسران
اعظم وجوه الخسران الصفه التاسعه عشر قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون فى المعنى
انه لما باع الدين بالدنيا فقد خسر لانه اعطى الشريف الرفيع وهو الدين بالخسيس وهذا غاية الخسران
ثم فى العاقبه فهذا الخسيس يضيع ويتلاشى فلا يبقى منه اثر وهو المراد بقوله وضل عنهم ما كانوا
يفترون الصفه الرابعه عشر قوله لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون وقد مر
ما يتعلق انه لما اعطى الشريف الرفيع وهو الدين الخسيس فقد خسر فى التجارة ثم لما كان
هذا الخسيس يحصل اجل يزول ويفنى ويتلاشى لكل التجارة الى النهاية فى صفة الخسران
فلهذا قال لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون قوله لا جرم قال اهل اللغة انها مركبة
من لا ومن جرم ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا تقول العرب لا جرم انك محسن
على معنى حقا انك محسن اما النحويون فلهم فيه وجوه الاول لا جرف بمعنى وجرم
اى وطئ وقاف لما لا جرم معناه لا وطئ كاطئ عنهم انهم فى الاخرة هم الاخسرون الثانى
قال الزجاج ان كلمة لا نفى لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب ذلك الفعل

والمعنى

والمعنى لا تفعلوا ذلك وكذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة ودليل أن خسرهم معنى كتب
ويعضد قوله لا جرم أنكم في الآخرة هم الأخسرون وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب
الثالث قال سيبويه والأخفش لا دخل لأهل الكفر كما دل لا وجرم معناه أحق وصح
والتأويل إنه أحق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم وأحق سيبويه بقول الشاعر

ولقد طعنتك يا عيينة طعنة حرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون ۞ اعلم أنه تعالى لما ذكر عقوبة الكافرين وخسرانهم
أتبعه بذكر أحوال المؤمنين والإخبات هو الخشوع والخضوع وهو مأخوذ من الخبت
وهو الأرض المطمئنة وخبت فلان أي خفي وقوله أخبت إلى ربه فعل في الجنة كما تعالى
فيمن يمارى إلى الخد والى الهامة أتم ومنه المخبت من الناس الخاشع لربه أي اطمأن لله
ولفظ الإخبات يتعدى بإلى وباللام فإذا قلت أخبت فلان إلى كذا فمعناه
اطمأن إليه وإذا قلت أخبت له فمعناه خشع له إذا عرفت هذا فقوله تعالى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات إشارة إلى جميع الأعمال الصالحة وقوله وأخبتوا
إشارة إلى هذه الطريقة والأعمال التي لا تسمو إلى درجة الأحوال العلية ثم
فسرنا الإخبات بالمطمئنة كان المراد أنهم يعتقدون لله ويأتمرون بأوامره
العبادات مطمئنة بذكر الله فارغة عن الالتفات إلى ما سوى الله وتعالى فلو بهم
صارت مطمئنة إلى الله تعالى وفي كل ما وعدهم من الثواب والعفو وأما إذا
فسرنا الإخبات بالخشوع كان معناه أنهم بأول الأعمال الصالحة طابعين
وحلين من أن تكونوا أدنى نصيب من وصمة أقل والتقصير ثم من أن حصل له
هذه الصفات الليلة فهم أصحاب الجنة وحصل لهم فيها الخلود والله أعلم

قوله تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ۞ واعلم أنه تعالى لما ذكر الفريقين ذكر لهما مثالا
مطابقا لحالهما فلهذا قيل إنه راجع إلى ذكر الفريقين والكافرين من مثل وقال
آخرون بل رجع قوله إلى ما كان على شبهه من أمرهم ذكر من بعد الكافرين وصفهم بأنهم لا
يستطيعون السمع ولا يبصرون فالأعمى والأصم هم الذين حال الله بينهم وبين أن يستطيعوا السمع

ولا يبصرون والبصر والسمع والبصر هم الذين وصفهم الله بانهم على بصر من امرهم واعلم
ان وجه الشبه هو ايجاد الله تعالى خلق الانسان مركبا من الجسد ومن النفس وكان الجسد
مع وجه الشبه هو ايجاد الله تعالى خلق الانسان مركبا من الجسد ومن النفس وكان الجسد
بصرا وسمعا فلما ادرك حصل الجوهر الروح بصر وسمع وكان الجسد اذا كان اعمى اصم نفى
متحيرا لا يهتدي الى من المصالح بل يكون كالتائه في بحر الظلمات لا يهتدي
ولا يسمع صوتا ينتفع به وكذلك الجاهل الضال المضل يكون اعمى القلب اصم القلب يبقى
في ظلمات الضلالات حائرا ايها ما قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وهذا الصمم وحصل العاقل السعيد في ذلك العلاج بقدر الامكان واعلم
انه قد جرت العادة بانه تعالى اذا اورد على الكفار انواع الدلائل اتبعها بالقصص
ليصير ذكرها موكدا لذلك الدليل على ما قررنا هذا المعنى في مواضع كثيرة وفي هذه
السورة ذكر انواع من القصص اعني قصة نوح عليه السلام بقوله تعالى
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم اعلم انه تعالى ابتدا هذه القصة في سورة يونس وبداعاها هنا في هذه
السورة ايضا لما فيها من زوائد فوائد وبدايع الحكم وفيه مسائل المسئلة الاولى
قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي اني لكم بفتح الالف والمعنى ارسلنا نوحا الى قومه
بانه لكم نذير مبين وقرا الباقون باني لكم بكسر الالف والمعنى ارسلنا نوحا الى قومه
بان قال لهم اني لكم نذير مبين فلما حذف حرف الجر وهو الباء صار محلها نصبا
على معنى قال اني لكم نذير مبين المسئلة الثانية قال بعضهم المراد من النذير
كونه مصدرا للعصاة بالعقاب ومن البشير كونه مبشرا للمطيعين
من الثواب والمعنى ان يكون المعنى انه نذير للعصاة من العقاب بدا من يعني
الله من ذلك العذاب على الطريق الاكمل والبيان الاتوى الاظهر ثم من بعد
ان ذكر ذلك الانذار ما حصل فيه النهي عن عبادة غير الله وفي الامر بعبادة الله لان قوله
ان لا تعبدوا الا الله لان قوله لا تعبدوا الا الله استثناء من النفي وهو موجب يفيد عين
المستثنى وانتفاء المستثنى واعلم ان تقدير الآية كانه تعالى قال ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين ثم قال لا تعبدوا الا الله بعد
ان لا تعبدوا بدل من قوله اني لكم نذير مبين ثم اكد ذلك بقوله اني اخاف عليكم
عذاب

عذاب يوم اليم والمعنى انه ما حصل الالم العظيم في ذلك اليوم الا بسبب ذلك الالم الى اليوم كقولهم
نهارك صائم وليلك قائم **قوله تعالى** حكاية عن الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا
مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم
كاذبين **اعلم** انه تعالى لما حكى عن نوح انه دعى قومه الى عبادة الله تعالى حكى عنهم
انهم طعنوا في نبوته بثلاثة انواع من الشبهات والشبهة **الاولى** لم لا يجوز ان يكون
بشرا مثلكم والمفاوتة الحاصلة بين احاد البشر بمنع اتباعه الى حد يصير الواحد منهم
واحد الطاغين على جميع العالمين والشبهة **الثانية** لعله ما اتبعه الا ارذال القوم
كالحاكة واهل الصناعات الخسيسة قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس
من الناس والاشراف منهم وتطعن في قوله **في** سورة الشعراء أنؤمن لك واتبعك
الارذلون والشبهة **الثالثة** قوله تعالى وما نرى لكم علينا من فضل والمعنى
لا نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة وهي من الجدب
فاذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نعرف فضلك
علينا في اشرف الدرجات واعلى المقامات فهذا خلاصة الكلام في تقرير الشبهات
واعلم ان الشبهة الاولى لا يليق ايرادها بابراهيم الذين يعترف بسمو الشرف على
الاطلاق واما الشبهتان الباقيتان فيمكن ان يمسك بهما من اقر بسمو سائر الانبياء في
الجملة الا انه مسائل المسألة الاولى الملأ الاشراف وفي اشتقاقه وجوه الاول
انه ماخوذ من قولهم على بكرة اذا كان مطيعا له وقد ملوا بالكسر طاعة السيد واطلاق هذا
اللفظ عليهم انهم ملوا ان يسلموا لهما تواجسوا في بدو امرها الشر الثاني انهم وصفوا بذلك
لانهم تملأوا اي ببطاهروا على الباطل وصفوا بالملأ لانهم ملأوا العلوب هيبة
والمجالس اتهة الشر الثالث وصفوا به لانهم ملأوا العيون اذا حضروا الا ترى الصبي اذا
حكى يعالي عنهم الشبهة الاولى وهي قوله ما نراك الا بشرا مثلنا وهو سؤال ما على الله تعالى
عن بعض العرب انهم قالوا لولا انزل علينا ملك وهذا اصل الشبهة من حيث ان ما ليس
الامة بالدليل والمعجز لا يجوز الا ان يقول ان الله تعالى لو بعث الى البشر ملكا لجاز
للشبهة ان تقوى في الطعن في رسالته لانه يخطر بالبال ان هذه المعجزات التي ظهرت لعل
هذا الملك هو الذي اتى بها من عند نفسه بسبب قوته الكاملة وقدرته القوية فلهذه

فصل ٩

فلهذا حكم ما بعث الله الى البشر رسولا الا من البشر ثم حكى الشبهة الثانية وهي قوله وما
نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي والمراد قولهم مالهم وقلة جاههم ودناءة حرفهم
وصناعاتهم وهذا ايضا جهل لان الرفعة في الدين لا يكون بالخسة في المال والمناصب
العالية بل للفقراء حظ في الدين من الغنى لم يقل الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال
على الاخرة فكيف يجعل قلة الحال في الدنيا طعنا في النبوة والرسالة ثم حكى تعالى
الشبهة الثالثة وهي قوله وما نرى لكم علينا من فضل وهذا ايضا جهل لان الفضيلة
المعتبرة عند الله ليست الا بالعلم والعمل فكيف اطلعوا على بواطن الخلق حتى عرفوا
نوحا هذه الفضيلة ثم قال بعد ذلك الشبهات لنوح ولن اسعه بل نظنكم كاذبين
وجهان الاول ان يكون هذا خطابا مع نوح ومع قومه والمراد منه كذبتم
نوحا في دعوى الرسالة والثاني ان يكون هذا خطابا مع الاراذل فنسبوهم الى انهم
كذبوا في ايمانهم بنوابه واتعوه قال الواحدي ارذل الدون من كل شيء وفي منظوم
جلالته ورجل رذل الثياب والفعل فالاراذل جمع الارذل كقوله اكابر
مجرميها وقوله عليه السلام احاسنكم اخلاقا والارذال جمع الرذل
تعلم هذا الارذال جمع الجمع وقال بعضهم الاصل فيه ان يقال هو رذل من
كذا ثم كثر حتى قالوا ارذل وصارت الالف واللام عوضا من الاضافة
وقوله بادي الرأي الرأي هو الظاهر من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه
يقال للبرية بادية لظهورها وبروزها للناظرين واختلفوا في بادي الرأي
واختلفوا في الرأي وذكروا فيه وجهين الاول ان يكون في الظاهر وباطنهم
خلافه والثاني يحتمل ان يكون المراد انهم في ابتداء حدوث الرأي وما احاطوا
في ذلك الرأي وما اعطوه حقه من الفكر الصائب والنظر الوافي الى الشبهة
الرابعة وصفوا القوم بالرذالة قالوا لانهم كذلك في الرأي اي امر ظاهر
لكل من يراهم والرأي على هذا المعنى من رأى العين لا من رأى العلم وشاهد
هذا التأويل ما نقل عن مجاهد انه كان يقرأ الا الذين هم اراذلنا اراذل في العين
المسألة الثالثة قرأ ابو عمرو ويعقوب عن الكسائي بادي بالهمز والباقون بالف
غير مهموز قرأ بادي بالهمز فالمعنى ولا ترى ابتداء من قرأ بالياء غير مهموز

كان

كان بين يديه والى طهره وهادى منصوب على المصدر كقولك ضربته والكسر

قوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده الاولى

فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ٥ في الاية مسائل المسئلة

اعلم انه تعالى لما حكى شبهات منكري نبوة نوح عليه السلام حكى بعدها ما يكون

جوابا عن تلك الشبهات والشبهة الاولى قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا فعال

نوح حصول المساواة في البشرية لا يمنع من حصول المعارف في حصول صفة النبوة

والرسالة ثم ذكروا الطريق الذي امكنه تعالى ان يعلم ان نوحا على بينة من معرفة

ذات الله تعالى وصفاته وما يجب ويمتنع ويجوز عليه ثم انه تعالى اتى برحمة

من عنده والمراد بهذه الرحمة اما النبوة واما المعجزة الدالة على النبوة فعميت عليكم

اي صارت مظلمة مشبهة ملتبسة وعمي لكم فعل القادر على ان يجعلكم بحيث

تصلون الى معرفتها شئتم ام ابيتم فالمراد انه لا اقدر على الدلالة البتة وعن عبادة

والله لو استطاع نوح عليه السلام لالهمها ولكنه لم يقدر عليه وحاصل الكلام انهم لما قالوا

ولا نرى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام ان ادراك البينة عميت عليكم

واشتبهت فاما انلزمكموها العناد والجاح وتركتم الدليل حتى يأملوا لظهر

المفقود ولعرفتم ان الله تعالى اياه اتاكم فضلا عظيما المسئلة الثانية قرا عمر

والكسائي وحفص عن عاصم وعميت عليكم بضم العين واشدد الميم على ما لم يسم فاعله

معنى ابهمت وشبهت والباقون بفتح العين مخففة الميم اي التبست واشتبهت

واعلم ان الشيء اذا بقي مجهولا صعبا اشبه الاعمى لان العلم بوجود الشيء الباطنة والابصار

بغير البصائر الظاهرة فحسن جعل كل واحد منهما مجازا عن الاخر ويحتمل ان الشبهة توصف

بالابصار قال تعالى فلما جاءهم اياتنا مبصرة وجعلها الوصف بالعمى قال تعالى فعميت

عليهم الانباء وقال في هذه الاية فعميت عليكم المسئلة الثالثة الذي يحكوها في

الالات ضمائر صير المتكلم وصير المخاطب وصير الغائب والجار الواو اسكان

الميم الاولى وروى ابو عمر عن عمر وعال وذلك ان الحركات تتوالى وسكن الميم وهي الصامرة

وهذا كحسن والكسر التي بعدها ضمة نقلته قال الزجاج جمع الحوي المصري

لا عرو ولا سكان عمر حرف الاعراب الا في بيت الشعر فاما ما روى عن ابي عمر وعلم نضطه

عنه الغزالي وروي عن سيبويه انه كان يخفف الحركة ويختلسها وهذا هو الحق واما يحبون
الاسكان في الشعر كقول امرء القيس ٥ فاليوم اشرب غير مستحقب ٥

قوله تعالى وما انا بطارد الذين
امنوا اتم ملاقوا ربهم الى قوله ابى اظنكم قوما تجهلون ٥ وفيه مسائل المسئلة الاولى
اعلم ان هذا هو الجواب عن الشبهة الثامنة وهي قولهم ما اتبعك الا اراذل من الناس
وتقرير هذا الجواب من وجوه الاول انه عليه السلام قال انا لا اطلب على تبليغ
جميع الرسالة ما لا حتى يعاونني الحاكم بسبب المسجد بعد الوعظ واما اذا دعى
على جهة الطاعة الشاقة على رب العالمين فاذا كان الامر كذلك فسواء كان فقيرا
او غنيا لما عاونت الحاكم في حبس الناس كما انه عليه السلام قال لهم انكم لما تطردوا
الى طوائف الامور وحدوني فقيرا انطلقتم الى اما اشتغلت عنه لطرفة لا توسل بها
الى احد اموالكم وهذا الطرد منكم خطأ فاني لا اسالكم على تبليغ الرسالة اجرا
ان اجري الا على رب العالمين فلا تحرموا انفسكم عن سعادة هذا الدين بسبب هذا الظن
الفاسد والوجه الثالث في تقرير هذا الجواب انهم قالوا ما نرى لك اتبعك الا
الى قوله وما نرى لكم علينا من فضل فهو عليه السلام بين ان الله تعالى اعطاه
انواعا كثيرة يوجب فضله علينا وذلك انه لا يسعى في طلب الدنيا وانما يسعى في
طلب الدين والاعراض عن الدنيا من امهات الفضائل بالاتفاق فكل فعل اراد به اثبات
تقرير حصول الفضيلة من هذا الوجه فاما قوله وما انا بطارد الذين امنوا
فهذا كالدليل على ان القوم سالوا طردهم دفعا لانفسهم عن منازعة اولئك
الفقراء روي عن جماعة انهم قالوا ان اصحاب نوح ان سعك فاطردهم فانا لا نرضى
مشاركتهم فقال عليه السلام ما انا بطارد الذين امنوا وانصافهم وقوله تعالى
حكاية عنهم انهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا كالدليل على انهم طلبوا منه
طردهم لانه كالدليل على انهم كانوا يقولون لو اتبعك لفقراء القوم كوامقامهم
ثم انه تعالى حكى عنه انه ما طردهم وذكر في بيان ما هو حد الاستماع من هذا الطرد
لصورتين الاولى انهم ملاقوا ربهم في الاخرة وفيه انه جعله علة قوية الاستماع من الطرد
واراد انهم ملاقوا ما وعدهم ربهم فان طردهم استوجبوا في الاخرة وفيه انه سبحانه

على

على ان يجتمع في الحرب طائفة على طريقهم ولا احد من نصرائهم من ولايهم يتولون امرهم على الطهل
بالعوائد والاغترار بالظواهر وقالوا ولا يخفى ان كثيرا مما يحاولونه قد يعلم وانهم
من نصرة دين الله ان يطردهم فلا يذكرون والمعنى ان العمل والسرع تطابقا على ارادة
من يعلم المؤمن البر التقي ومن اهانة الكافر الفاجر فلو علنا العصمة وعكسنا العصمة
وبرر الكافر الفاجر على سبيل الاهانة كنت عاندا دين الله تعالى وطاعنا عكس حكمه
وكنت وضعت الحكم على غير ما امر الله تعالى من ايصال الثواب الى المحسن والعقاب
الى المبطل وحسبك بهذا موجبا للعقاب العظيم ممن اردى بصيرة الله ومن الدين
محاصيص من هذا الباب فلا يذكرون ومعلوم ان الله لا يعجزهم ان يجدهذا اللسان توجه
ان يقال ولا تتولوا لكم عليه حجة ان الله اي كما لا اسالكم فضلا لا ادعي
اي املك مالا ولا اريد ان تعرضوا لي المال لا لحاجة ولا دعاء ولا اعلم العبد حتى اسأله لا ما
اريد النفع ولا اتباع ولا اقول اي ملك حتى اتعظم بدان لكم بل طريق الخضوع
والتواضع ومن كان شانه وطريقه كذلك فانه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء
والمساكين ولا يطلب مجالسة الامراء السلاطين وانما شانه طلب الدين وسيرته
مخالطة الخاضعين والخاشعين فلما كانت طريقتي توجب مخالطة الفقراء
وصفة جعلتم ذلك عيبا علي مع ان احدا هذا اللسان بطريق ما يعقل ولا يقول
الذين يزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خير الله اعلم بما في انفسهم وهذا كالدلالة
على انهم كانوا يستنون اتباعه مع الفقراء والله تعالى الى التوفيق والاصول
دلالة على ان مرباب الغنى والعز لا يعلمه الا الله وبما كان في ظنهم انهم ظاهرهم موتهم
الله ملكا لاجرم فاكون كاذبا فيما اخبرت به فاني ان فعلت ذلك كنت من الظالمين
لنفسي ومن الظالمين لهم في وصفهم بانه لا خير لهم مع ان الله اتاهم الخير في الاخرة
المسئلة الثانية اجمع قوم هذه الاية على ان العصمة للانبياء عليهم السلام على الاطلاق
وقالوا ان الانسان اذا قال انا ادعي كذا وكذا هذا مما يجس اذا كان
دليلا على انه مرتكب من انواع الكفر فما كان قائل هذا القول هو نوح عليه السلام
وجب ان يكون درجة الملائكة اعلا وارفع من درجات الحكام فالواجب
ان يكون امر الله والملائكة داعيا على عباد الله تعالى طول الدنيا مدة خلقوا

الى ان تقوم الساعة وتمام المفسرون ان الصابئين لم يعتقدوا بروحانية الاصنام اشيا
او لها الاستغفار المطلق وجرت العاده في الدنيا ان من ملك المال الكثير فانه لو وصف
بكونه غنيا فقوله لا اقول للاعمى عندي خزائن الله اشارة الى انى لا ادعى الاستغنا
المطلق وانى لا اعلم الغيب والى العلم التام والى الاشارة بقوله ولا اعلم الغيب والى العلم
التامة الكاملة وقد يعتبر في الخواطر ان اكمل المخلوقات في القدرة والقوة هم الملائكة
والى الاشارة بقوله لا اقول لكم اني ملك فالمقصود من ذكر هذه الامور الثلاثة الاشارة
الى البشرية والطاقة الانسانية فاما الكمال المطلق فليس الا لله وحده فثبت ان القوة الت
فقد ظهر ان قوله ولا اقول لكم اني ملك يدل على انهم اكمل من البشر وانما عدل عن هذا
الكلام جوابا عما ذكروه من الشبه فانهم طعنوا في اتباعه بالفقر وقال ولا اقول لكم
عندي خزائن الله حتى اعرفكم اغنيا وطعنوا فيهم ايضا بانهم منافقون فقال ولا اعلم
الغيب حتى اعرفكم باطنهم واما تكليفنا الاخوان على الظواهر وطعنوا
فيهم بانهم قد يكونون منافقين فقال لا اقول اني ملك حتى اكون
منزها عن جميع الدواعي الشهوانية والبواعث النفسانية المسلة المالشة
احتج قوم بهذه الاية على صدور الذنب من الانبياء فقالوا ان هذه الاية دلت
على صدور الذنب من الانبياء فقالوا هذه الاية دلت على ان طرد المؤمنين لطلب
مرضاة الكفار من اصول المعاصي فلما نهى محمدا صلى الله عليه وسلم طرد
المؤمنين لطلب مرضاة الكفار حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وذلك يدل على اقدام محمد عليه السلام
على الذنب والجواب نحمل الطرد المذكور في هذه الاية على الطرد المطلق
على سبيل التاديب والطرد المذكور في قصة محمد صلى الله عليه وسلم المتعمد
في اوقات معينة لغير المصلحة المسلمة الراجحة على الجناية على ان لا نجوز
الشفاعة عند الله في دفع العقاب لقوله ومن ينصرني من الله اي من الذي يخلصني من

عقابه

عقابه ولو كانت الشفاعة جائزة لكانت في حق نوح عليه السلام ايضا جائزة وحينئذ بطل
قوله فمن ينصرني من الله واعلم ان هذا الاستدلال لا شبهة له لاستدلالهم وهذه المسئلة بقوله
تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الى قوله ولا هم ينصرون والجواب
المذكور هناك هو هو واعلم هذا الكلام **قوله تعالى** قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا الى قوله فالله يرجعون هم في الاية سألوا المسئلة الاولى
اعلم ان الكفار لما اوردوا تلك الشبهة واجاب نوح عليه السلام عنها بالقول بالنبوة
الموافقة للصحة اورد الكفار على نوح كلاما من اولها الى اخرها وصفوه بكونه مجادلا له
فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وهذا يدل على انه عليه السلام كان قد اكثر
في الجدال معهم ودل الجدال ما كان الا في اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وهذا يدل
على ان الجدال في تقرير الدلائل وفي ازالة الشبهات **حرفه** الانبياء وعلى المقلدة والجهال
والاصرار حرفة الكفار انهم لما استعجلوا العذاب الذي كان توعدهم به فقالوا
فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين امره الله عليه السلام باجابتهم عنه بجواب صحيح فقال انما
يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين والمعنى ان نزول العذاب ليس الي وانما هو خلق الله تعالى
فيفعله ان شاء اذا اراد ان يزال العذاب فان احدا لا يعجزه اي لا يمنعه منه والمعجز
هو الذي يفعل ما فعل يتعذر مثله مراد العجز موصوف بانه معجز فعوجز وما انتم معجزين
اي لستم لكم ان تفعلوا ما فعل ما يصح معه على الله تعالى ما شاءه من العذاب ان اراد ان اله
يكم وقد فعل معناه وما انتم بما تعجزون وقد ال وما انتم معجزين وما انتم بسابقين
الى الخلاص وهذه الاقوال واعلم ان نوحا عليه السلام لما اجاب عن شبهتهم حتم
الكلام بخاتمة فاضلة فقال ان كان الله يريد ان يغويكم فانه لا ينفعكم نصحي اذا اردت ان انصح لكم
اصحابا على الامر على ان الله تعالى قد يريد الكفر من العبد وانه اذا اراد منه ذلك فانه يمنع
عبده الايمان منه قالوا ان نوحا عليه السلام ولا ينفعكم نصحي اذا اردت ان انصح لكم
ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحي وهو اصريح مذهبنا اما المعتزلة فانهم
قالوا ظاهر الاية يدل على ان الله تعالى اذا اراد اغواء القوم لم ينفعهم نصح الرسول
وهذا مسلم فانا نعترف بان الله تعالى لو اراد اغواء عبد فانه لا ينفعه نصح الناصحين
لكن لم قلتم ان الله تعالى اراد هذا الاغواء فان الذي ما وقع الا فعله على قولنا

نوحا عليه السلام انما ذكر هذا الكلام ليدل على انه تعالى انما اغواهم بسبب ما منهم من الاصرار
انهم كما به من حصين الدول الله عليه السلام بين انه انما اراد اغواءهم لما يعلم في النصح
فائدة ولم يكن فيه فائدة لما امره بان ينصح الكفار بحيث اجمع المسلمون على ان عليه
السلام مامور بدعوة الكفار ونصحهم علمنا ان هذا النصح عرض عن العائدة لما
لم يصح الا عن العائدة وجب القطع بانه تعالى انما اغواهم فهذا صار رجحانا من
هذا الوجه الثاني ان عليه السلام لو حكم بان الله اغواهم لصار هذا عذرا لهم
في عدم اسلامهم بالايمان ولصار نوح منقطعا في مناظرتهم لانهم يقولون له انك
مسلم ان الله اذا اغوانا فانه لا سعي في تصحيحك له في حقنا واصطادنا فائدة فاذا الاسف
بان الله تعالى قد اغوانا فقد حصلنا معذورين فلم يبق منا قبول هذه الدعوة
فثبت ان الامر ان كان كما قاله الخصم لصار هذا حجة للكفار على نوح عليه
السلام ومعلوم ان عليا السلام لا يجوز ان يذكر كلاما يستسقه مجادلوه
عاجزا عن تقريره فثبت ان الله تعالى انما سلك هذا الطريق لانه هذا هو الجواب على قول المحصن فانهم
ذكروا وجوها من الثاني والثالث الاول ان الله تعالى انما اغواهم لكفرهم
وكانوا يقولون انه تعالى انما اراد اغواءهم لكفرهم فقال نوح ان نصحه
لا ينفعهم ان كان الامر كما تقولون وشرطه ان يعاقبهم الرجل وذلك على
وجه يقول لو اراد الله ان يعاقبني لم يكن لنصحي ولا دعوتي وليس المراد انه يصدقه
على ما ذكروه بل على وجه الانكار الثاني قال الحسن معنى يغويكم اي يعذبكم
والمعنى لا ينفعكم نصحي اليوم اذا اراد الله عذابكم فامتنع في ذلك الوقت لان
الايمان عند نزول العذاب لا ينفع واما ينفعكم نصحي اذا امنتم قبل مشاهدة
العذاب الثالث قال الحباي الغواية هي الخيبة فلما طلبه بدليل قوله
تعالى فسوف يلقون غيا اي خيبة من خير الاخرة قال الشاعر

ومن يجعل المعروف في غير اهله ... يلاقي الذي يلقى المجير على الغي

على الكفر وعلى ذمه منعه الله الالطاف وتوصله الى ايمانهم هذا السنة ما
اذا اراد اغواءه فهذا السنة حسن ان يقال ان الله اغواه هذا احد كلام المعتزلة
في هذا الباب والجواب عن امثال هذه الكلمات قد ذكرناه مرارا واطوارا

فلا فائدة في الاعادة المسئلة الثانية قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
ان كان الله يريد ان يغويكم جزاء معلق على شرط لعدم شرط آخر وهو هذا العصيان ان
يكون الشرط الموخر في اللفظ مقدما في الوجود وقد يدل الرجل لامرأته ان طالق طالق
فحكمنا لها بركان المفهوم كوزع لكل الطلاق من لوازم ذلك الدخول فاذا دخل بعده
شرعا آخر مثل ان يقول ان اكلت لخمر كان المعنى ان يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط
الحصول مشروط بحصول هذا الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى
هذا ان حصل الشرط الثاني يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول اما اذا لم يوجد الشرط الثاني
فانما لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول لعدم اهو المحقق في هذا التركيب
فهذا المعنى فكان المقصود ان الشرط الموخر في اللفظ في المعنى والمعدوم في اللفظ موجود
في المعنى واعلم ان يوجد عليه السلام لما قرر هذا المعاني قال هو ربكم واليه
ترجعون وهذا نهاية الوعيد اي هو الهكم الذي خلقكم ورباكم وعلى التصرف
في دنياكم وفي عقباكم قبل الموت وبعد الموت وعند الموت واليه مرجعكم
وهذا الفصل نهاية التحذير قوله تعالى ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون في اعلم ان معنى افتراه اختلقه واقتعله وجاء
من عند نفسه والضمير رجع الى الوحي الذي بلغه اليهم وقوله فعلي اجرامي الاجرام
اقتراف المحظورات واكتسابها وهذا من باب حذف المضاف فان المعنى فعلي عقاب
اجرامي وفي الاية محذوف آخر وهو ان المعنى ان كنت افتريته فعلي عقاب اجرامي وان
كنت صادقا فانتم تعذبوني فعلمكم عقاب ذلك التعذيب الا انه حذف هذا القسم ايضا
لدلالة الكلام عليه كقولهم من هو فاتك اتا الذل ولم يذكر المشبه به وقوله وانا بريء
مما تجرمون اي انا بريء من عقاب جرمكم واكثر المعتزلة على ان هذا من تمام كلام
نوح قال بعضهم وهذه الجملة وقعت من قصة محمد في اثناء قصة نوح وقوله
تعجبون حكاية ايضا ان قوله ان افتريته فعلي اجرامي لا يدل على انه تعالى كان يشاء كما
الله قول تعالى على وجه الانكار عند الناس من القبول قوله تعالى واوحي الى نوح
انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون وفيه مسائل المسئلة الاولى
قال ابن عباس لما اجابه هذا من عبد الله دعا على قومه فقال الله تعالى لا تدع على احد من الكافرين الا به

وقوله ولا يئس اي لا يحزن قال ابو زيد انباس الرجل اذا لقي منه شيئا يكرهه من ذلك
وانشد ابو عبيد في ذلك

ما تقسم الله اقل عير مبئس منه واقعد كلها امام الباس

اي عير حمار لانه كان له اتن واجتج اصحابنا على صحة القضاء العدل لهذه الآية
وقالوا لما اخبر عن قومه انهم لا يؤمنون بعد ذلك فلو حصل ايمانهم لكان اما معه تقا
هذا الخبر صدقا ومع تقاهذا العلم علما ومع التقابل بهذا الخبر كذبا ومع التقابل
هذا العلم جهلا والاول باطل فالثاني كذلك لان وجود الايمان مع ان يكون الاخبار عن
عدم الايمان صدقا ومع كون العلم بعدم الايمان حاصلا حال وجود الايمان جمع بين
النقيضين وانه باطل لان تعلق العلم بعدم الايمان حاصلا حال وجود الايمان جمع بين
النقيضين وانه باطل لان تعلق العلم بعدم الايمان حاصلا حال وجود الايمان جمع بين
كان صدور الايمان منهم لا بد وان يكون مما احد هذين القسمين وبتقدير كل
واحد منهما محال كان صدور الايمان منهم محالا فثبت بما ذكرنا ان علم الله جهلا محال ولما
كان صدور الايمان منهم لا بد وان يكون مما احد هذين القسمين وبتقدير كل
واحد منهما محال كان صدور الايمان منهم محالا فثبت بما ذكرنا ان علم الله جهلا محال ولما
كان صدور الايمان منهم لا بد وان يكون مما احد هذين القسمين وبتقدير كل
واحد منهما محال كان صدور الايمان منهم محالا فثبت بما ذكرنا ان علم الله جهلا محال ولما
القوم كانوا مامورين بالايمان ومن الايمان ان يصدقوا الله في كل ما اخبر عنه ومما
اخبر عنه قوله لن يؤمن من قومك الا من قد امن فيلزم ان يقال انهم كانوا مامورين
بان يؤمنوا بانهم لا يؤمنون البتة وذلك يكلف بالجمع بين النقيضين وتقرير هذا الكلام
قد مر في هذا الكتاب مرارا واطوارا المسئلة الثالثة اختلفت المعتزلة
في انه هل يجوز ان ينزل الله عذابا لاستئصال على قوم كان في المعلوم ان منهم
من يؤمن او كان من اولادهم من يؤمن فقال قوم انه لا يجوز واحتجوا على انه
تعالى عن نبيهم نوح عليه السلام انه قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
الآية وهذا يدل على انه تعالى علم انه ليس فيهم من يؤمن لا هو ولا احد من اولادهم
قال القاضي وكثير من علمائنا انه لا يجوز من الله تعالى وان كان فيهم ويؤمن
واما قول نوح لا تذر على الارض فهذا لا يدل على انه تعالى انما سأل ذلك لعرفه
كان في المعلوم انهم يضلوا عباده ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وذلك يدل
على ان الله انما حكم بذلك لمجموع هاتين الجملتين وانضافهما لا لاحدهما
لو لم يحصلا لما جاز ان يرى الا اهلاك والاقرب ان يقال ان نوحا عليه السلام لشدة
محنته لاجلهم كان يسأل ربه معهم فاعلمه انه لا يؤمن منهم احد فنزول عن

قبله ما كان قد حصل فيه من آل المحنة وان الله تعالى من بعد ذلك لم يمسسهم بما كانوا يفعلون
ان لا يكون نوح لله ولا تفخم ولا تفخيم ان وح لله كثيره عدد ومن يقول به والله اعلم

قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون

واعلم ان قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فيه تعريض لنوح عليه السلام انه سعيهم ومهلكهم فكان يحتمل ان يعذبهم بنحو من العذاب فعرفه الله تعالى انه يعذبهم بهذا الجنس الذي هو الغرق ولما كان السبيل الذي يحصل النجاة من الغرق ركوب السفينة لا جرم امره الله تعالى باصلاح السفينة واعدادها فافق الله له ان صنعها على ما اشتهاه وجوده والله اعلم فان قيل قوله واصنع الفلك امر اخبار او امر اباحة فلم لا يجوز ان يقول نوح لا اصنع الفلك لان الله تعالى ما امرني بصنعه او امر اباحة لانه لا سبيل له الى الوحي فكيف يجب عليه او راجح عليه الاشتغال بهذا الطريق وكيف لا يجوز له ان يترك الفلك واجب او راجح عليه ما لا يتم الواجب الا به مقدور واجب ويحتمل ان لا يكون ذلك الامر امر ايجاب بل كان امر اباحة وهو منزله ان يقال لانسان ليبنيه دارا ليسكنها وينزلها فاما قوله باعيننا فهذا لا يمكن اجراؤه على ظاهره من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون الله تعالى اعرض عنهم وهذا ناقض قوله تعالى ولتصنع على عيني والثاني ان يقتضي ان يصنع نوح دلالة العلم بذلك لا العين كما يقال قطعت السكين وكتبت بالقلم ومعلوم ان ذلك باطل وبالثاني انه تمسك بالدليل القاطع على كونه تعالى منزها عن الاعضاء والجوارح والابعاض فوجب المصير فيه الى التاويل وهو من وجهين الاول ان معنى باعيننا اي بعين الملك الذي كان يحفظه ويحفظ السفينة والثاني ان يحمل على ان يصنع على الشيء الذي يليق بالله تعالى ان يصنعه على حسب ما يعلمه الله تعالى من مصالح العباد بالشيء الذي لا يحتاج فيه الى الالة والاداة فانه يصنعه على ما يجب ولا يحول عنه عنيه فلما كان وضع العين على الشيء سببا لمزيد الاحتياط جعل العين كناية عن الاحتياط فهذا قول المعتزلة ومعنى يحفظنا اي يحفظ من يراك ويملكه دفع السوء عنك وحاصل الكلام ان الله تعالى امره على عمل السفينة مشروطا بامرين احدهما ان لا يسمح اعداء معنى ذلك العمل والثاني ان يكون عالما بانه تعالى سيحفظه بالبقاء السفينة وبركبها ودفع الشر عنه بقوله ووحينا اشارة الى انه تعالى يوحي اليه انه كيف يسعى عمل السفينة حتى يحصل منه المطلوب واما قوله

ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فقيه وجوه الاول يعني لا تطلبني باخير
العذاب عنهم فاني قد حكمت عليهم بهذا الحكم فلما علم نوح ذلك دعا عليهم بعد ذلك وقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فهذا يدل على ان ما قضى ابدا الا بالعذاب
العذاب في وقته معين كان يعجله بمشيته ان شاء والمراد بالذين ظلموا الغرابة وابنه
كنعان **قوله تعالى** ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه
الى قوله عذاب مقيم اما قوله ويصنع الفلك فيه مسائل المسئلة الاولى
في قوله ويصنع الفلك قولان الاول انه حكاية حال ماضية اي وكان يصنع الفلك
يصدق عليه ان يصنع الفلك الثاني انه تقدير وقبل يصنع الفلك فاقصر على قوله
ويصنع المسئلة الثانية ذكروا في صفة السفينة اقوالا الاكثرون قالوا ان
نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في ستين وقيل في اربعمائة سنة وكان
طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا
وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي الاعلا صلى هو ومن
كان معه معه احتاجوا اليه من الزاد وجعل باب السفينة في عرضها وامر ان يدخل
طولها الفا وماتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع واعلم ان امثال هذه المباحث
لا يحتاج لها امور لاحاجة الى معرفتها البتة ولا يعلق بمعرفتها فائدة اصلا
فكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بانه ليس لها هنا ما يدل على
الكتاب الصحيح والذي يعلمه الكل من السور بحسب علم المؤمنين من قومه وما كان
اليه وصول زوجين من كل صوان لان هذا العدد مذكور في القرآن فاما تعيين
ذلك العدد فغير معلوم اما قوله تعالى وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه
يعني لصغر الملا وجهالتهم وقلة طبعهم من اثر افهامهم وكمالهم واختلفوا
فيما لاجله كانوا يسخرون منه وجوها احدها انهم كانوا يقولون يا نوح
لست تدعي رسالة الله تعالى صرت بعد ذلك نجارا وثانيها انهم كانوا
يقولون لو شئت ان تكون ملكا فاي داع لك الى هذا العمل الشاق وثالثها
انهم ما رأوا السفينة قبل ذلك ما عرفوا انتفاعهم بالسفن فكانوا يسخرون منه

منه وسخروا منه ورا العرش ان تلك السفينة كانت كبيرة وهو كان يصنعها في موضع عاليه
عن الماء فكانوا يقولون ليس ها هنا ماء ولا يمكن حملها الى الماء فاذا اعظمه
والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب الجنون وحاصله انه لما طال مدته
مع القوم وكان يمنعهم عن الغرق ما شاهدوا من دلائل المعجز لاصراره ابدا
على طلبهم عونه كاد بانه في ذلك فلما اشتغل بعمل السفينة لاجرم سخروا
منه فكل هذه الوجوه يحتمله هذا ... تعالى على منه كان يقول ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون وهذا وجه الاول ... التقدير ان تسخروا منا في هذه
الساعة فانا نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق
في الاخرى الثاني ان يحكم علينا بالجهل فنحن نحكم عليه بالجهل من الطمع والتعرض
لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالسخرية منا الثالث ... ان نستهزئ منكم فانا نستخفكم
واستهانتكم لا نعلم لا نستهزئ الا لاجل الجهل بحقيقة الامر والاغترار بظاهر
الحال كما هو عادة الاغمار والجهال فان قيل السخرية من افعال المعاصي وكيف
نسبوا الى الانبياء عليهم السلام قلنا ... الله تعالى سمى الباقي سخرية كما في قوله تعالى
فاتخذتموهم سخريا مثل اما قوله ... سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه اي
تسوف تعلمون من هو احق بالسخرية منه من هو احد عاصيه وفي قوله من يأتيه وجهان
احدهما ان يكون اسنادها مجازا اي يحل به قتل وسوف تعلمون ايانا الله عذاب
وعلى هذا الوجه فمحل من رفع بالابتداء والثاني ان يكون بمعنى الذي وتكون في
محل النصب وقوله ... ويحل عليه عذاب مقيم اي يجب عليه ويدل عليه والله اعلم

قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وفي الآية مسائل
المسألة الاولى قال اصحاب الكتاب حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام الا انه
على الجملة من الشرط والجزاء وقد وقعت عاطفة لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى
ان جاء وقت الموعد المسألة الثانية الامر في قوله حتى اذا جاء امرنا
يحمل وجوها الاول ... ان تعالى بين له الاعلامات شيئا فشيئا الا ما امر الله تعالى كما
قال اما امر ابني اذا اردناه ان يقول له كن فيكون وكان المراد هذا والله اعلم

انه فتح اما الاول وهو انه التنور الذي يخبز فيه وهو قول جماعة عظيمة من المفسرين
كابن عباس والحسن ومجاهد وهؤلاء اختلفوا اسمهم من قال انه تنور لنوح وقيل
كان لآدم قال الحسن كان تنورا من حجارة وكان لحواء حتى صار لنوح واختلفوا
في موضعه فقال مجاهد والشعبي انه بناحية الكوفة وعن علي انه في مسجد الكوفة
قال وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام موضع يقال له عين وردة وهو قول
مقاتل وقيل وفار التنور الهند وقيل ان المراد انه كلما تجبر في بلد التنور
فاستعمل مرادا لموضع لكل الاشياء في السفينة القول الثاني ان المراد من التنور ليس
تنور الخبز وعلى هذا التقدير فعنه اقوال الاول انه البحر المأمور وجه الارض كما
قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالمعنى ان الماء علا من قعر
الارض اعلى وجهها ثم سمي وجه الارض تنورا لما ان التنور اشرف موضع في الارض واعلاه
فكان ضعها وخروج الماء من ذلك الموضع له وانما المعجب ان الماء
الماء اعلى الارض ومن ان بكنة المرتفعة فسبحان الارتفاع الماء
الثالث فار التنور اي طلع الصبح وفار التنور وهو منقول عن علي رضي
طالب رضي الله عنه الرابع فار التنور يحتمل ان يكون معناه اشتد الامر
كما يقال حمي الوطيس ومعناه اذا اشتد الامر اشتد والماء يحمر فانجح
بنفسك ومن معك الى السفينة فار حمل على الاصح من هذه الاقوال قلت
الاصل حمل الكلام على حقيقته ولغط التنور حقيقة في الموضع الذي يخبز فيه
فوجب حمل اللفظ عليه ولا اصلح في العقل فان يقال ان الماء لما امر موضع
معين وكان ذلك الموضع تنورا فان ذكر التنور بالالف واللام وهذا
انما يكون لمعهود سابق معين معلوم عند السامع وليس في الارض تنورا هذا
شأنه فوجب ان يحمل على ان المراد اذا رأيت الماء قد اشتد بوعدك والامر بتوى
فانج نفسك ومن معك فلما سمعا ان يقال ان ذلك التنور كان معلوما
لنوح عليه السلام فان كان تنور آدم لحواء او كان تنورا عينه الله تعالى
لنوح وعرفه اكمل اذا رأيت تنوره فاعلم ان الامر قد دنا وقرب وعلى هذا التقدير
فلا حاجة الى صرف الكلام عن ظاهره المسألة الثالثة معنى فار نبع

على قول

تشبيها بغليان القدر عند فوح النار واستهلاكه في نفس التنور والتنور المراد وجار الماء
بئر التنور والذي روى ان فور التنور كان علامة لهلاك القوم ولا يمتنع ان يجعل
واحد علامة وقد وعد الله المؤمنين بالنجاة فلا بد وان يجعل لهم علامة يعرفون الوقت
المعين ولا بعد في جعل هذه الحالة علامة لحدوث هذه الواقعة المسئلة الخامسة
قال الليث التنور عجمة وقال غيره التنور بلسان ونبط وقال الازهري وهذا يدل على ان الاسم
قد يكون اعجميا وعربيا وصار عربيا بالدليل على ان اصل ما جاء من ولد نوح
في كلام العرب نحو جبل وبابل ونظير ما دخل من كلام العجم الدماح والدمار والسدر
والاستبرق قال العرب سماه علماؤهم الالفاظ صارت عربية واصل ابليس
فعلول التنور وعند اكثر اهل الله تعالى ان يحمل في السفينة من كل انواع ما الانسان
قال ولي قوله فلما احمل فيها من كل زوجين اثنين قال الاخفش يعني ذكرا
وانثى وقال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وقال والارض وزوج
والسماء روح والصيف روح والشتاء روح والليل زوج والنهار زوج ويقول للمرأة هي زوج
وهي زوجها قال تعالى وخلق منها زوجها يعني المرأة وقال والله خلق لكم من
انفسكم ازواجا الذكور والاناث فهذا الواحد قد يقال له زوج وهذا يدل على قول
تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين
ام الانثيين وقد عرفت هذا فنقول قال الزجاج معنى من كل شيء يقول احملها ذكرا
وانثى والاخفش والمقدر من كل شيء هما عدلان فاحمل منها في السفينة اثنين زوجين
ذكرا وانثى وقال ابو عبيدة من كل انا التنور واراد واحمل من كل شيء زوجين اثنين
الذكر زوج والانثى زوج لا يقال على ان الزوج لا يكون الا اثنين وهو
في قوله زوجين اثنين لانا نقول هذا احمال سؤال قوله لا تحملوا الا اثنين وهو
نفحة واحدة واما على العراء المشهور فهذا السؤال غير وارد واختلفوا
في انه هل دخل في قوله زوجين اثنين غير الحيوان ام لا فقيل اما الحيوان فدخل
لان قوله من كل زوجين اثنين يدخل فيه كل الحيوانات واما النبات فالظاهر انه لا يدخل عليه
الا انه يحتمل ان يقال لا بعد ان يسئل الناس محتاجون الى النبات بحيث لو فقد لهلكوا وحيا
الا انه يحتمل ان يقال لا بعد ان يسئل الناس محتاجون الى النبات بحيث لو فقد لهلكوا وحيا
في الرواية عن ابن مسعود انه قال لم يستطع نوح عليه السلام ان يحمل الاسد حتى القى

سفينة نوح

عليه المحي ودليل ان نوحا عليه السلام قال يارب فمن اين لطعم الاسد اذا حملته قال
تعالى فسوف اشغله عن الطعام فسلط الله عليه الحمى وامسا هذه الكلمات
المعنى تركها فان حاجة العقل الى الطعام اكثر وليس بحامي النوع للمائي
من الاشياء التي امر الله نوحا بحملها في السفينة قوله تعالى واهلك الا من سبق عليه
القول فالوا كانوا لمنه ابناله وهم سام وحام ويافث ولحل واحد منهم زوجه
وقيل الصاكانوا ولما سنه هو ولد وزوجه نوح واما قوله الا من سبق
عليه القول فالمراد انه وامرانه وكانا كافرين حكم الله عليهما بالهلاك
فان قيل الانسان اشرف من سائر الحيوانات فما السبب لدخوله مع الاسد الذكر
الحيوانات قلنا الانسان عاقل وهو لغفلته كالمضطر الى دخول مع اسباب
الهلاك عن نفسه ولاحاجة به الى السعي في الخلاص بخلاف السعي في تخليص
سائر الحيوانات فلهذا السبب دخل مع الاسد به ولعلم ان الحيوانات
لقوله الا من سبق عليه القول في اسان لغصا اللزوم ولا لغذا لواحد فالوا
لان قوله سبق عليه القول سعر بان من سبق عليه القول فانه لا ينفك عن حاله
وهو كقوله عليه السلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي من شقي في
بطن امه النوع الى الشخص بل كل الشيا مولد ومن امن فالوا كانوا
ثمانين فان قيل فما الحكمة في ان الله تعالى اهلك جميع الحيوانات
هو كذلك لما حرم من السفينة سموها فسميت بهذا الاسم فذكروا ما هو اريد منه
وما هو انقص منه وذلك مما لا يسئل لان معرفته ارادة الله تعالى وعلمهم بالعلة
وهو قوله وما امن معه الا قليل فان قيل لما كانا الذين امنوا معه وصفها
في السفينة كانوا جماعة فلم لم يقل وسلوا فما قوله ان هو الا رجل به جنة فسلوا
قلنا اكتفى للعطف جائز وا لتقدير هاهنا وما امن معه الا نفر قليل فاما
الذي يدعى ان الملائكة دخل السفينة بعد ما خرج منها حين راى او هوا
فكيف يعرف العرف منه وانصاحا بالله لم يدل عليه ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى
ان لا يخوض فيه مع قوله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها
ان ربي لغفور رحيم اما قوله وقال يعني قال نوح لقوله اركبوا والركوب

العلو

والركوب العلو على ظهر الشيء ومنه ركوب الدابة وركوب السفينة وركوب البحر وكل شيء
علا شيئا فقد ركبه وتعالى ركبة الدين فعالى الفلك وسمى العرب من يركب السفينة
راكب السفينة واما الرفاق والرك فراكبون للدواب والابل وقوله الواحد
ولفظه في قوله اركبوا فيها لا يجوز ان يكون من صلة الركوب لانه تعالى
ركبا السفينة ولا تعالى ركبة السفينة بل الوجه ان يتعالى مفعول اركبوا
محذوف والتقدير اركبوا انفسكم في السفينة واما ان يكون قائلا هذا الكلام
انما منعهم ان يكونوا في جوف الفلك على ظهرها فلو قال اركبوها لتوهموا
انه امرهم ان يكونوا على ظهر السفينة اما قوله بسم الله مجراها
ومرساها ففيه مسائل المسئلة الاولى قرأ حمزة وحفص عن عاصم مجراها
بفتح الميم والباقون بضم الميم والعقوا ومرساها انها بضم الميم وقال
صاحب الكشاف قرأ مجاهد مجراها ومرساها بلفظ اسم الفاعل مجرورى
الحل صفتين لله تعالى لانه الواحد الذي يجري ويصدر كالاجراء ومثله قوله
من لا مباركا وادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وامامن قرأ مجراها بفتح
الميم فهو ايضا مصدر مثل الجرى واجيز صاحب هذه القراءة لقوله وهي تجري بهم
ولو كان مجراها لكان هي مجريهم وحجة من ضم الميم اجريتهم واجريهم تعاد
في المعنى فاذا قال تجري بهم وكانه قال يجرهم وقال اما المرسى فهو ايضا مصدر
كالارساء تقول رسى السفينة رسوا اذا ثبت وارساها هو تعالى والجبال ارساها
قال ابن عباس يريد تجري بسم الله وقدرته وبذكر بسم الله وقدرته وقيل كان
اذا اراد ان تجري قال بسم الله مجراها تجري واذا اراد ان يرسوا قال بسم الله مرساها
مرستا المسئلة الثانية ذكروا في علل الاعراب في بسم الله وجوها الاول
اركبوا بسم الله والثاني ابدأوا بسم الله والثالث بسم الله اجراها وارساها
وقيل انها سارت اول يوم من رجب وقيل العشر من رجب سارت
ستة اشهر واستوت يوم العاشر من المحرم على الجودي المسئلة الثالثة في الله
احتمالان الاول ان يكون مجموع قوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها
يعني جعلا واحدا والمقدر وقال اركبوا فيها قائلين بسم الله مجراها ومرساها

يعني ينبغي ان يكون الركوب مقرونا بهذا الذكر والاحتمال الثاني ان يكون كلاما مستأنفا
والمعنى ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها
ليس الا باسم الله وامره وقدرته فالمعنى الاول فسر الى ان الانسان لا ينبغي ان
يشرع في امر من الامور الا ويكون في وقت الشروع فيه ذاكرا لاسم الله تعالى
بالاذكار المقدمة حتى يكون تركه ذلك الذكر سببا لتمام ذلك المقصود
والثاني يدل على انه لما ركب السفينة اخبر القوم بان السفينة ليست سببا للنجاة
بل الواجب ربط الهمة وتعلق القلب بفضل الله فاخبرهم انه تعالى هو المجري والمرسي
للسفينة فاياكم ان تعولوا على السفينة بل يجب ان يكون تعويلكم على فضل الله
فانه هو المجري والمرسي لها فعلى التقدير الاول كان نوح وقت ركوبه السفينة
في مقام الذكر وعلى التقدير الثاني كان في مقام الشكر والثناء الجميل والعزوف
وقطع النظر عن الاسباب واستغراق القلب في بوادي مسبب الاسباب واعلم
ان الانسان اذا تفكر في معرفة الله تعالى بالدلائل والحجج فكأنه تحلص في سفينة العلم
والتدبر وامواج الظلمات والضلالات قد علت الى اعمال وارتفعت الى مصاعد الاهلاك
فاذا اسلم سفينة الفكر والروية بحركة وجدان يكون هاك اعتمادي على الله
وتضرعه الى الله وان يكون بلسان القلب ونطق العقل يقول بسم الله مجراها ومرساها
حتى يصل سفينته فكره الى ساحل النجاة ويتخلص عن امواج الضلالات اما قوله
اما قوله ان ربي لغفور رحيم فهو سؤال لانه في ذلك الوقت كان وقت
الاهلاك واظهار القهر وكيف يليق به هذا الذكر وجوابه لعل القوم
الذين ركبوا السفينة اعتقدوا في نفسهم انا بما نحن فيه من الطاعة والعبادة
نستحق النجاة فاخبرهم ان الامر ليس كما تظنون بل النجاة انما هي بفضل الله تعالى
ورحمته وانه هو الذي يخلص عباده المؤمنين من الغرق والهلاك في بحار الظلمات
والضلالات التي هي اشد واقوى من الغرق في بحار الاجسام وهو محتاج الى اعانة الله وعصمته
واحسانه وان يكون غفورا لذنوبه رحيما لديونه ٥ قوله تعالى
وهي تجري بهم في موج كالجبال الى قوله وكان من المغرقين ٥ اعلم ان في قوله وهي
تجري بهم في موج كالجبال مسائل المسئلة الاولى قوله وهي تجري بهم متعلق بمحذوف
والتقدير وقال اركبوا فيها تقولون بسم الله مجراها ومرساها وهي تجري بهم في موج كالجبال المسئلة الثانية

الامواج

الامواج العظيمة انما حدثت عند حصول الرياح القوية الشديدة العاصفة فهذا
يدل على انه حصل في ذلك الوقت رياح عاصفة شديدة والمقصود منه بيان شدة الهول
والفزع المسلط الباء الحرمان في الموج هو ان يجري السفينة داخل الموج وذلك
يوجب الغرق والمراد ان الامواج لما احاطت بالسفينة من الجوانب شبهت بالجبل
عما اذا حوقت في اصل الامواج ثم صلى الله تعالى عنه انه نادى ابنه وفيه مسائل
المسئلة الاولى اختلفوا في انه هل كان امانه وفيه قولان الاول
انه ابنه في الحقيقة والدليل عليه انه تعالى نص عليه فقال ونادى نوح ابنه
ونوح انما نص عليه فقال يا بني وصرف هذا اللفظ الى انه ربيبه فاطلق عليه اسم الابن
لهذا السبب بعيد جدا الثاني ان من عمر نوح وابنه لا يكون والد بل خالفوا هذا الظاهر
اما خالفوه لانهم استبعدوا ان يكون ولد الرسول المعصوم كافرا وهذا بعيد
فانه ثبت ان والد الرسول صلى الله عليه وسلم كان كافرا ووالد ابراهيم عليه السلام
كان كافرا نص القرآن وقد كفر بعض العلماء القائلون بهذا القول احتجوا في انه علم
انه كافر بانه لا يجوز على الارض من الكافر ديار فيجيبها داره مع كفره فاجابوا عنه
بوحي الاول انه كان منافقا باطنا ونوح انما دعى مؤمن ولد الزنا ولو لا ذلك لما احب
نوح والثاني انه عليه السلام كان يعلم انه كان كافرا لكن لما شاهد
الغرق والامواج العظيمة فانه يحمل الايمان فقال لك مضاف قوله ما ليس لك
معنا حال لا له على ان طلبه منه الايمان وما كذا هذا القول بقوله ولا تكن مع الكافرين
اي في الحكم وارد حسابا فان ان يشفقه الابن لعلها تحمله على ذلك
النداء والذي من قوله الذي يشق عليه القول كان كالجبل فلصلة عليه السلام
جوز ان يكون هود لما قاله القول الثاني انه كان ابن امرأته وهو قول
مجد على الباقر وقول الحسن البصري روى ان علقمة رضي الله عنه قرأ ونادى نوح ابنها
ابنها والصحيح لامرأته وقد احتج على هذا بان الزوجة تضاف الى الزوج دون الابن
ابنها الا نقل ما نقله عن الاصمعي فقال لقيني سألت الخليل عنه فقال والله ما كان
ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال انه من اهلي وانت تقول ما كان ابنه فقال
لم تعقل انه مني ولكن قال من اهلي وهذا يدل على ان القول الثالث انه والد

انه دليل على فساد قول الرافضة والقائلون بهذا القول احتجوا بقوله تعالى في امرأة نوح
وامرأة لوط خانتا هما وهذا قول احمد يجب حمل الآية عنه وعن هذا العصمة لا سيما
وهو على خلاف نص القرآن اما قوله تعالى فخانتاهما فليس فيه ان ذلك الخيانة اما
حصلت بالمباشرة التي في محرم قتل لابن عباس ما كانت تلك الخيانة فقال كانت
امرأة نوح تقول ان نوحا مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزلوا فلم الدليل
القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
والخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وايضا قوله تعالى الزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين وما يحله فعلا للناس على الحق هو القول
الاول واما قوله وكان في معزل لذلك على انه في معزل من اي شيء فهذا السبب
ذكروا وجوها الاول انه كان في معزل من السعيد لانه كان يطن
ان الكل يمنعه من الغرق والثاني انه كان في معزل عن ايمانه واجوبته وقومه
الثالث انه كان في معزل عن زوجته واجوبته وقومه قال الشيخ انه كان في معزل من
الكفار وكانه انزوى عنهم حتى نوح عليه السلام امر الله اياه كان لا يصح
اجتماعه بهم اما قوله ما يجب ان لا يكون معناه ولا تكن مع الكافرين فمعلوم ان
خصوص عن عاصم ما ينبغي يعني انبيا في جميع القرآن واما قول الكسر فالاولى الوصل
بالكسر ودليله ان اللام من ابن او واو وفاذا احقر نحذف بالضمة فلم ان يرد
اللام المحذوفة والاولى ان يحرك بالكسر بحركات الاعراب لكنها لا تحرك لانها
لو كانت لم ان يعلها كما يعل سائر حروف المد اذا كانت حرف اعراب نحو عصا وقفا ولو
انقلبت حركة لها على الحقير فاذا اضيف الى نفسك احتمل ثلاثة اوجه
الاول منها للتحقير والثاني لازم الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذا ابني
فاذا اكرته حال منه وحسان اثنان ثالثا وحذفتها والاحسن رد ما حذف لها الى الاضافة
واتفاق الكسر دليله عليه نحو يا غلام ومن قرأ يا بني بفتح الياء فانه اراد
الاضافة الصحيحة اراد هامن ورايا الكسر لكنه ابدل من الكسرة الفتحة ولكنا
الالف فصار يا بنيا كما قال ﴿ يا ابنة عما لا تلومي واهجعي ﴾
ثم حذف الالف للتخفيف واعلم انه تعالى لما حكى عن نوح دعاءه الى ان ركب السفينة حكى عن
ابنه

عز اسمه انه قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء وهذا يدل على ان الابن كان متمما في
الكفر مصرا عليه مكذبا لابيه فيما اخبر عنه بعد هذا قال نوح لا عاصم اليوم من امر الله
الا من رحم وهذا استثناء وهو ان الذي رحمه الله معصوم ولم يصح ويحسن استثنا المعصوم
عن العاصم وهو قوله لا عاصم اليوم من امر الله وقد ذكرنا في الجواب طرفا كثيرا من
الاول انه تعالى قال مثل هذا عاد وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها
ان ربي لغفور رحيم فبين انه تعالى رحيم وانه رحمته على هؤلاء الذين ركبوا السفينة
من امر الغرق اذا غرقت هذا فنقول ان ابن نوح لما قال سآوي الى جبل يعصمني من
الماء قال نوح احطات لا عاصم من عذاب الله الا من رحم والمعنى الا الذي رحمته
رحمته بخلص هؤلاء عن الغرق فصار تقدير الاية لا عاصم اليوم من عذاب الله الا الله
الرحيم ولقائل ان يقول من الله الا الى الله وهو نظير قوله عليه السلام في دعائه واعوذ
بك منك وهذا ما قيل في دعاء الحسين الوجه الثاني في الجواب وهو الذي ذكره
صاحب حل العقد ان هذا الاستثنا وقع من مضمر هو في حكم الملفوظ لظهوره ودلالة
اللفظ عليه والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا من رحم وهو كقولك
لا تضرب اليوم الا زيدا فان التقدير لا تضرب احدا الا زيدا الا انه حذف المصرح
به لدلالة اللفظ عليه فحذفه ههنا الوجه الثالث في التاويل ان قوله
لا عاصم اليوم من امر الله اي لا اعصمه كما قالوا رامح وتامر ولابن ومعناه ما ذكرنا
وحذفه ههنا وعلى هذا التقدير العاصم هو ذو العصمة فدخل فيه المعصوم
وحسن تصحيح استثنا قوله الا من رحم منه الوجه الرابع ان قوله لا عاصم اليوم
من امر الله الا من رحم عنى بقوله الا من رحم ابنه لان نوحا وطئ انه من اهله الذين
خصهم الله برحمته والمراد لا عاصم لك الا ان يعفى ان يسميه فصل رحم الله
كما اضيف الوحي الى عيسى عليه السلام في قوله وحين الموتى باذن الله فصل
بدعائه الوجه الخامس ان قوله الا من رحم استثنا منقطع والمعنى لكن من
رحم الله معصوم ونظيره قوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا
بل رفعه الله اليه وحال بينهما الموج اي بسبب هذه الحالة وهي حيلولة الموج حرج من ان
يخاطبه نوح فكان من المغرقين قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء

ابنه

وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ۞ اعلم ان المقصود من
هذا الكلام وصف واقعة الطوفان وكان التقدير انه لما انتهى امر الطوفان
قيل يا ارض ابلعي ماءك يقال بلع الماء يبلعه بلعا اذا شربه وابتلع الطعام ابتلاعا
اذا لم يمضغه وقال اهل اللغة الفصيح بلع بكسر اللام يبلع بفتحها ۞ وياسماء اقلعي
يقال اقلع المطر عن عمله اذا كف عنه واقلعت السماء بعد ما مطرت اذا امسكت
وغيض الماء يقال غاض الماء يغيض غيضا ومغاضا اذا نقص وغضته انا وهذا من
باب فعل الشيء وفعلته انا ومثله حر العظم وحررته ومعز العم ومعزته ودلع
اللسان ودلعته ونقص الشيء وغضته فقوله وغيض الماء اي نقص وبالغي
منه شيء واعلم ان هذه الاية مشتملة على الفاظ كثيرة كل واحد منها
دال على عظمة الله تعالى وعلو كبريائه فاولها قوله وقيل لان هذه يدل على انه
سبحانه هو الجلالة والعلو والعظمة بحيث انه متى قيل قيل لم يصرف العقل في
الا اليه ولم يتوجه الفكر الى ان ذلك القائل ومن الامر هو هو وهذا اشد من هذا
الوجه على ان يقرر في العقول انه لا حاكم في العالمين ولا متصرف في العالم العلوي والعالم
السفلي الا هو وبيانه قوله يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فان الحس يدل على عظمة
هذه الاجسام وشدتها وقوتها فاذا اسعر العقل بوجود موجود ما هو هذه
الاجسام مستولي عليها متصرف فيها كيف شاء واراد حصلت تلك السماوية القوية
القوية العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو قدره وبهره ومشيته وبالجملة
ان السماء والارض من الجماد ان فقوله يا ارض وياسماء مستعمل بحسب الظاهر على ان امر
وقع عليه ناقد في الجمادات فعند هذا يحكم الوهم بانه لما كان الامر كذلك فانه يكون
امره نافذا على العقلاء اولى وليس مراده تعالى بامر الجماد فان ذلك باطل
بل المراد ان وجه صيغة الامر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية المستديمة
تعدو في الوهم بوقوع عظمته وجلاله تصورا كاملا واما قوله وقضي الامر فالمراد
ان الامر الذي قضي به وقدر في الازل حاصل حاضر مما تعدد وقوع بسببها على ان كل ما فعله الله
تعالى فهو واقع في وقته وانه لا دافع لفعاله ولا مانع من تعلق حكمه
في ارضه وسمائه فان قيل لفظ قيل يفيد بحكمة الله تعالى ان يغرق الاطفال بسبب جرم الكفار

قلنا

قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان كفار المعتبرة قالوا ان الله تعالى اغرقهم
ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ سنه الى الاربعين ولعاقل ان
يقول لو كان الامر على ما ذكرتم لكان دار ابن محبة قاهون وسعد مع طهورها اسلم اهلها
على الكفر وانما فعلت ان حكم ذلك ما ذكرتم فاقول لكم في اهلاك الطير والوحش
مع انه لا تكليف عليها البتة والجواب الثاني وهو الجواب لا اعتراض
على الله في افعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والمعتزلة فانهم يقولون انه
تعالى يعوض الاطفال والحيوانات وذلك يجري مجرى ايذائه تعالى في ذبح ابنائهم
وفي استعمالها في الاعمال الشاقة الشديدة واما قوله تعالى واستوت على
الجودي فالمعنى واستوت السفينة على جبل الجزيرة يقال لها الجودي فكان
ذلك الجبل مرتفعا فكان استواء السفينة عليه يوم عاشوراء واما قوله
تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين فمعناه وحصل الاول انه من كلام الله
فالهم دلالة على سبيل اللعن والطرد والثاني ان يكون ذلك القول من كلام
نوح عليه السلام واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامم الماضية بسبب اجتماع
قوم من الضالة فلذا اهلكوا وحاصلهم فالمثل هذا البلاء فهم ولانه جاز ان يجري
الدعاء عليهم فجعله من كلام السر الذي **قوله تعالى** ونادى نوح ربه
الى قوله والا تغفر لي وترحمني اكثر الحاسبين لك وعده مسلمان المسئلة الاولى
اعلم ان قوله ان ابني من اهلي وقد ذكرنا الخلاف في انه هل كان ابنا له ام لا فلا
نعيد هو انه تعالى ذكر انه قال يا نوح انه ليس من اهلك وانما علم انه لما تبين له الدليل الركاب
انه وحيا ان يكون المراد انه ليس من اهل دينك والذي يدل على ان المراد انه ليس من اهل الدين وعدم
ان لهم معك والقول ان متغاران المسئلة الثانية هذه الآية تدل على ان العبد
تغرانه الدين لا تغرانه النسب فان هذه الصورة كانت من اجل النسب حاصلة من اجل الوحي تلك
لما اسقط قرابة الدين لا حرم نعاه الله تعالى بابلغ الالفاظ وهو قوله انه ليس من اهلك
م ى تعالى انه عمل غير صالح قرأ الكسائي عمل على صيغة فعل الماضي غير بالنصب
والمعنى انك عملت عملا غير صالح يعني للشرك والكذب وكلمة غير نصب لانها
نعت لمصدر محذوف واما قوله عمل بالرفع والتنوين وقعه وحصان للاولى ان الضمير

في قوله عائد الى السوال يعني ان هذا السوال عمل وهو قوله اني من اهلي وان
وعدك الحق عز وجل لان طلب نجاة الكافر بعد ان سبق الحكم بانه لا يجيء
احد منهم سوال باطل الثاني ان يكون هذا الضمير عائدا الى الابن وعلى هذا
التقدير معنى وصفه بكونه عملا غير صالح وجوه الاول ان الرجل اذا كثر
عمله واحسابه يقال له عمل وكرم وجود وقد اريد هنا لما كثر انعام الله روح
على الاعمال الباطلة حكم عليه بانه في نفسه عمل باطل الثاني ان يكون المراد
انه ذو عمل باطل محذوف المضاف عند دلالة السلام عليه الثالث قال بعضهم معنى
قولهم له انه عمل غير صالح اي انه ولد زنا وهذا القول باطل قطعا لانه تعالى
قال لنوح عليه السلام فلا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
وبه سلمان المسالة الاولى اجمع اهل الاديان على من قدح في عصمة الانبياء
من وجوه الاول ان قراءة عمل بالرفع والتنوين قراءة متواترة وهي حجة وهذا
يقتضي عود الضمير في قوله انه عمل غير صالح اما الى ابن نوح واما الى السوال
وهذا القول مرجوح لانه لا يتم الا باضمار وهو خلاف الظاهر ولانه يجوز الضمير
الى الاعم الاغلب الصرف ولا صرف هاهنا فاذا حكمنا بعود الضمير الى السوال
المتقدم فقد استغنينا عن هذا الاضمار فثبت ان هذا الضمير عائد الى هذا السوال
فكان التقدير ان هذا السوال عمل غير صالح اي هو لك ان اني من اهلي وظاهر انه عمل
غير صالح وذلك يدل على ان هذا السوال كان ذنبا الثاني ان قوله فلا تسالني
نهي عن السوال والمذكور السابق هو قوله ان اني من اهلي يدل هذا على ان هذا
عين ذلك السوال فكان ذلك السوال ذنبا ومعصية الثالث ان قوله فلا تسالني
ما ليس لك به علم يدل على ان ذلك السوال كان قد صدر لا عن العلم والقول بغير العلم
كبيرة لقوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون الرابع ان قوله تعالى اني
اعظك ان تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السوال كان محض الجهل وهذا يدل على
غاية التمرد وغاية الزجر وايضا جعل الجهل وهذا يدل على غاية التمرد ونهاية
الزجر وايضا جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور في القرآن قال
تعالى يعملون السوء بجهالة وقال حكاية عن موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين

الوجه الخامس

الوجه الخامس ان نوحا عليه السلام اعترف بالذنب وبالاقدام على الذنب والمعصية
في هذا المقام فانه قال الى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين واعترافه بذلك يدل على انه كان مذنبا الوجه السادس
في المسك بهذه الآية ان هذا انما يدل على ان نوحا ظن ذلك ولم يظن ذلك
الغرق والآية المتقدمة وبين قوله وناى نوح ابنه وقال يا بني اركب معنا ولا تكن
انه طلب منه الموافقة فنقول اما ان نقول ان طلب هذا المعنى من الله تعالى
كان حاصلا قبل طلبه من الولد لو كان ذلك العلم والاول باطل لان يتعذر ان يكون
طلب هذا المعنى من الله سابقا على طلبه من الابن لكان قد سمع من الله تعالى انه تعالى
لا يخلص ذلك الابن من الغرق والله تعالى لا يخلصه ثم ذلك الابن من الغرق فانه تعالى يساوي
عند ذلك بعد هذا الكفر فان يقال يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين واما ان
يقال ان هذا الطلب من الابن كان متقدما وكان قد سمع من الابن قوله ساوي
الى جبل يعصمني من الماء وطهر بذلك كفره فكيف يطلب من الله تخليصه والصابر تعالى
اخبر ان نوحا طلب ذلك منه واسمع هو صار من المغرقين وكيف يطلب من الله تخليصه
من الغرق بعد ان صار من المغرقين فهذه الآية من هذه الوجوه الستة تدل على صدور
المعصية من نوح عليه السلام ولما ثبت بالدلائل القاطعة على وجوب
نبوته لا جرم حملنا السلام على ترك المعاصي وجعلنا هذه الوجوه المذكورة على بدل
الافضل والاكمل وحسنات الابرار سيئات المقربين فلهذا السبب حصل هذا
العتاب والامر بالاستغفار لكن على سائقه الدسكاوي اذا جاء نصر الله والفتح
ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ع
ومعلوم ان مجيء نصر الله والفتح ودخول الناس في الدين افواجا امر عظيم جدا يوجب
الاستغفار وقال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين وليس جميعهم مذنبين فدل
ذلك على ان الاستغفار قد يكون لترك الافضل المسألة الثانية
قرأ نافع برواية ورش واسمعيل بتشديد النون والباقون بالتخفيف وهما لغتان
يقال عتا يعتو وعتى يعتي وقرئ من عتيا بالياء والواو وعمرو بن عبيد العتل
وكلها وحدها لغات اما التشديد والحذف فللمبالغة من عتا يعتو واعلم ان

الوجه الخامس

واعلم انه تعالى لما نهاه عن ذلك السؤال حكى عنه انه قال رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس
لي به علم واذا نعمل ومن حملني على من الخاسرين في المعنى انه لما قال ولا تسئلن ما ليس لك به
علم فقال عند ذلك فلعله تارك هذا التكليف ولا اعود البتة الى ما اقدر على
الاحتراز منه الا باعانتك وهدايتك فلهذا البتة اولا بقوله اني اعوذ بك واعلم
ان قوله اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم اختيار في المستقبل لا عود الى هذا
العلم استغفل بالاعتذار عما مضى بقوله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
وحقيقة التوبة تتضمن هذين الجزءين في المستقبل وهو العزم على الترك
والبقية الاتيان بقوله اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم وبالنسبة الى الماضي
مضى وطلب المغفرة والبقية الاتيان بقوله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
وعند هذا الكلام نازله الى صدر تنفس نوح عليه السلام وهذا المقام
نقول ان الله نوح كانوا على بلده اقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يعلم
ايمانه وجمع من المنافقين وقد كان حكم المؤمن هو النجاة وحكم الكافر
هو الغرق وكان ذلك معلوما اما اهل النفاق مع حكمهم بحسب ما كان
الروح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الفطرة الموطدة التي يكون
للانسان بحكم جبلته على حمل ايمانه وافعاله لا على الجحود كافرا بل على الوجه الصحيح
فلما راه معرضا عن القوم طلب منه ان يدخل السفينة فقال سآوي الى اصل يعصمني
من الماء وذلك لاعتقاده على عوم نحوا ان يكون قد ظن ان الصعود على الجبال يجري
مجرى ركوب السفينة في انه يصونه عن الغرق وقول نوح لا عاصم اليوم من امر الله
الا من رحم لا يدل الا انه عليه السلام كان يقرر عند ابنه ان السعادة لا تنال الا بالايمان
والعمل الصالح وهذا ايضا لا يدل على انه علم من ابنه انه كافر اصلا هذه
احواله كان مدة حياته فلعله طرأ له بعد ذلك ان صار مؤمنا وطلب من الله تعالى خلاصه بطريق
من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في السفينة واما بان يحفظه على قلة جبل بعد
ذلك اخبر الله تعالى انه ما آمن به الا من اهل بيته بالذات الصادرة عن نوح هو انه
لم يستفض في تعريف ما يدل على عصمته وعوض الى الشهادة في ذلك وكان يظن ان مؤمن
مع انه احاط في دلال الاحوال بحيث كان كافرا علم بصدور هذا الاحباط في هذا الاحباط
كما

كما قدر زيادة ذلك في آدم عليه السلام لم يصدر عنه ذلك لزله الا انه اخطأ في الاجتهاد
نسبهما الى ان الصور عن نوح ما كان من باب الكبائر وانما هو من باب الخطأ في الاجتهاد
قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم
ثم يمسهم منا عذاب اليم ● وفي الآية مسائل المسئلة الاولى انه تعالى اخبر عن
السفينة انها استوت على الجودي فهذا اقتضى خروج نوح وقومه من السفينة واحتالهم
بما امروا به من ذلك الحمل الى الارض فقوله اهبط يحتمل ان يكون امرا بالخروج من
السفينة الى الارض الجبل وان يكون امرا بالهبوط من الجبل الى الارض المستوية ●
المسئلة الثانية انه تعالى وعده عند الخروج بالسلامة او لا ثم بالبركة ثانيا امتا
الوعد بالسلام فمحتمل وجهين الاول انه تعالى امره في الآية المتقدمة ان يدعوا
عليه السلام تاب عن زلته وتضرع الى الله تعالى بقوله والا تغفر لي وترحمني اكن
من الخاسرين وهذا التضرع هو عين التضرع الذي حكاه الله تعالى عن آدم عليه السلام بعد
توبته عن زلته وهو قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين فكان نوح عليه السلام محتاجا الى ان يسمع الله تعالى يا نوح السلام منا
والوعد فلما قيل له يا نوح اهبط بسلام منا حصل له الامن من جميع المكاره
المتعلقة بالدين والثاني ان ذلك الغرق ما كان عاما في جميع الارض بعد ما خرج نوح
من السفينة علم انه ليس في الارض ما يتبع من النبات والحيوان فكان كالخائف
في ان لعله يعيش ويحتمل معه حيوان الخاصة عن نسله من المأكول والمشروب فلما
قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة
من الآفات وان يكون كذلك لمع الامن وسعة الرزق فهو انه تعالى لما وعده
بالسلامة اردفه بان وعده بالبركة وهي عبارة عن الدوام في النماء والنبات ومنه
بروك الابل ومنه البركة لثبوت الماء فيها ومنه بارك الله في عطيتك فاختلف
المفسرون في تفسير هذا النماء والنماء فقول الجبائي قوله تعالى في صبي نوحا انه كان
لان جميع من بقي كانوا من نسله وعند هذا القائل انه لما خرج نوح من السفينة
مات كل من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الا من ذريته فالحلو حلم
نسله وذريته وعلى التقدير فالحلي كلهم انما تولدوا منه ومن اولاده والدليل

على قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فهمت ان نوحا عليه السلام كان آدم الاصغر
فهذا هو المراد من البركات التي وعد الله تعالى بها والقول الثاني انه تعالى لما
وعده بالسلامة عن الآفات وعده بان موجبات السلامة والراحة والفراغة تكون
في الولد والبنات والاستقراء يدل انه تعالى لما شرفه بالسلامة والبركة سرح بعلة
حال اولاد الذين كانوا معه فعال وعلى امم ممن معك واختلفوا في المراد من على
ثلثة اقوال منهم من حمله على اولاد الاقوام الذين كانوا معه وجعلهم امما وجعلهم
لانه ما كان في ذلك الوقت في جميع الارض احد من البشر الا هم فهذا السبب جعلهم
امما ومنهم من قال بل المراد اسلافهم وقد حكم الله تعالى عليهم بالقلة في قوله وما امن
معه الا قليل ومنهم من قال المراد مجموع الحاضرين مع الذين سيولدون بعد ذلك
والمختار هو القول الثاني ومن في قوله ممن معك لابتداء الغاية والمعنى وعلى امم
ناسبة من الذين معك واعلم ان الله تعالى جعل بلا لام لناسبة من الذين معه على
قسمين احدهما الذين عطفهم على نوح في وصول سلام الله وبركاته اليهم
وهم اهل الايمان والثاني امم وصفهم بانه تعالى سيمتعهم مدة في الدنيا ثم في الاخرة
يمسهم عذاب اليم فحكم تعالى بان الامم الناسبة من الذين كانوا مع نوح لا بد وان
يقسموا الى المؤمن والى كافر والمعترفون دخل في ذلك السلام كل مؤمن وموصفه
الى يوم القيامة ودخل في ذلك الملك وفي ذلك العذاب كل كافر وكافرة الى يوم القيامة
ثم قال اهل التحقيق انه تعالى انما عظم شان نوح بابصال السلام والاكرام منه
اليه لانه قال بسلام منا وهذا يدل على ان الصديقين لا يرجون بالنعمة من حيث انها
نعمة ولكنهم انما يرجون بالنعمة من حيث انها نعمة وليس هم انما يرجون بالنعمة
من حيث انها من الحق وفي المحققون يكون همهم الحق وطلبهم الحق ونوحهم الى الحق
وهذا المقام شريف لا يعرفه الا خواص الله فان الفرح بالسلامة والبركة
من حيث هو سلامة وبركة عمى والفرح بالسلامة والبركة من حيث
انها من الحق عين الحجاب عامة الخلق فالثاني يصير سببا للمعرفة وهذا السبب
قال بعضهم من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ومن اثر العرفان لا للعرفان
بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول واما اهل العقاب فقد قال في شرح احوالهم

والولد للذين امنوا معه

سنمتعهم بمتعهم منا عذاب اليم فحكم بانه تعالى انعم عليهم نصيبا من منافع الدنيا فدل ذلك
على خساسة الدنيا فانه تعالى لما ذكر احوال المؤمنين لم يذكر البتة انه انعم عليهم الدنيا وهذا
يدل على خساسة السعادات الجسمانية والمرغوبات والمعاملات الروحانية

قوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من
قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين واعلم انه لما شرح قصة نوح عليه السلام
على التفصيل قال ذلك اي ذلك الانباء التي ذكرناها وهي التفاصيل التي ترجمناها من انباء
الغيب التي من الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق قوله ذلك في محل الرفع على الابتداء
ومن انباء الغيب الخبر ونوحيها اليك جملة من المبتدا والخبر وما بعده انتم تعلمونه قال تعالى اي
تعلمها انت ولا قومك والمعنى انك ما كنت تعرف هذه القصة بل وقومك ما كانوا
يعرفونها اصلا وبطريق ان العقول الانسانية لا تعرف هذه المسألة لانك ولا اهل
بلدك فان اهل البلد قد كانت قصة طوفان نوح مشهورة عند اهل العلم فلما
كانت القصة بحسب الاحتمال العقلي مشهورة اما التفاصيل المذكورة فما كانت
معلومة ثم قال تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين والمعنى يا محمد اصبر انت وقومك على اذى
هؤلاء الكفار كما صبر نوح وقومه على اذى اولئك الكفار وفيه تسلية على ان
الصبر عاقبته النصر والظفر والفوز والسرور والفرح والسرور كما كان لنوح
ولقومه فان قال قائل انه تعالى ذكر هذه القصة في سورة يونس ثم اعادها هاهنا
مرة اخرى فما الفائدة في هذا التكرير قلنا ان القصة الواحدة قد يسوق الله
وجوه معنى السورة الاولى كان الكفار يستعجلون نزول العذاب فذكر تعالى
قصة نوح في بيان ان قومه كانوا يكذبونه فسبب لهم العذاب ما كان يظهر
منهم في العاقبة ظهر يوم بدر فكذا في واقعة محمد عليه السلام وفي هذه السورة لما ذكر هذه
القصة لسان ان اقدام الكفار على الايذاء والايحاش كان حاصلا في زمان نوح
الى انه عليه السلام لما صبر نال الفتح والظفر فكذا يا محمد عند نزول العقود
ولما كان وجه الانتفاع بهذه القصة في كل سورة من وجه آخر لم يكن
تكريرها خاليا عن الفائدة **قوله تعالى** والى عاد اخاهم هودا الآية
اعلم ان هذا هو القصة الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى وهذه

في هذه السورة واعلم ان هذا معطوف على قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ولقد ارسلنا هودا
الى عاد اخاهم وقوله هودا عطف بيان واعلم انه تعالى وصف هودا بانه اخاهم
ومعلوم ان ذلك لا حق ما كانت في الدين وانما كانت في النسب لان هودا كان رجلا من
قبيلة عاد وهذه القبيلة كانت قبيلة من العرب وكانوا يناصبونه العداوة ونظيره
ما يقال للرجل يا اخا تميم ويا اخا بكر والمراد رجل منهم فان قيل انه تعالى
قال في ابن نوح انه ليس من اهلك فكيف ان قرابة النسب تفيد اذا لم تحصل قرابة الدين وههنا
انذر هذه الاحقاف مع الاحلاف في الدين مع العمل قلنا المراد من هذا
الكلام استمالة قوم محمد عليه السلام لان قومه كانوا يستعظمون في محمد مع
انه واحد من قبيلتهم ان يكون رسولا اليهم من عند الله فذكر الله تعالى ان هودا
كان واحدا من عاد وان صالحا كان واحدا من ثمود لان اله هذا الاستعظام
واعلم انه تعالى لما بين ان هودا عليه السلام انه دعا قومه الى انواع من المكالمة
فالنوع الاول انه دعاهم الى التوحيد فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ان انتم الا مفترون وفيه سؤالات السؤال الاول كيف دعاهم الى
عبادة الله تعالى بعد ان اقاموا الدلالة على ثبوته لانه تعالى قد
دلهم بل وجود الله تعالى ظاهر وبديهي لجريل الخلق والافتقار وقد علموا وجود الدنيا
طائفة ينكرون وجود الاله والملك تعالى وصفه الكفار ولم يسالهم من
خلق السموات والارض ليقولوا الله بل وصف الكتاب محمد عبده
الرازي خنم الله له بالحسنى وختلت بلاد الهند فراينا ولبك الكفار معترفين
ومطبقين على وجود الاله واكثر بلاد التركستان كذلك انما الشان في عباد
الاوثان فانها فيه عمت اكثر اطراف الارض وهكذا كان الامر في الزمان
القديم على زمان نوح وهود وصالح فعلوم ان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه
كانوا يمنعونهم من عبادة الاصنام وكانت دعوتهم اعبدوا الله معناه
لا تعبدوا غير الله والدليل على ذلك قال عقيبه ما لكم من اله غيره
وذلك يدل على المقصود من هذا الكلام منعهم عن الاشتغال بعبادة الاصنام
واما قوله ما لكم من اله غيره فقرئ بالرفع صفة على محل الجار والمجرور

وقوى الخبر وصفه على اللفظ ثم قال ان انتم الا مفترون يعني انكم كاذبون في قولكم
ان هذه الاصنام تحسن عبادتها او في قولكم انها تستحق عبادتها او في قولكم
انها تستحق العبادة وكيف كان يجوز هذا كله ما عبدناها وافترا فيما ادعيتم
لاحس لها ولا ادراك والانسان هو الذي يدرك بها وصورها فكيف يليق بالانسان
الذي صورها وصنعها ان يعبدها وان يضع الجبهة على التراب بعظيم الهانة له
عليه السلام لما ارسلهم الى التوحيد ومنعهم عن عبادة الاوثان قال يا قوم لا
اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني وهو عين ما قاله نوح عليه السلام
وذلك لان الدعوة الى الله تعالى اذا كانت مطهرة عن لوث الطمع قوي تاثيرها
في القلوب ثم قال افلا تعقلون يعني افلا تعقلون اني معذور في المنع
من عبادة الاصنام وهذا يدل على ان العلم بصحة هذا المنع كان مركوزا في بداية
العقول ثم قوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ارسل
السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين اعلم ان
هذا هو النوع الثاني من الاعمال التي ذكرها هود عليه السلام لقومه وذلك
لانه في المقام الاول حاثهم الى التوحيد وفي هذا المقام دعاهم الى الاستغفار
ثم الى التوبة والفرق بينهما قد تقدم في هذه السورة في قول ابي بكر
الاصم استغفروا اي سلوا ان يغفر لكم ما تقدم من شرككم ثم توبوا
من بعد بالندم على ما مضى والعزم على ان لا تعودوا مثله ثم انه عليه السلام
ابهم متى فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعم عندكم ويقويكم على
الاشياء بسلك النعم وهذا غاية ما يراد من اسعاد الناس بحيث لا يبقى بعده
بعد الاسعاد وان كانت حاصلة اذ ان الحيوان قام به ما منعه من الاسعاد
بها لم يحصل المقصود اصلا اما اذا كثرت النعم وحصلت لهم الحياة
على الاسعاد بها فهنا تحصل غاية السعادة والى هذا يشير قوله
يرسل السماء عليكم مدرارا اشارة الى تكثير النعم لان مادة حصول النعم
هي الامطار النافعة وقوله ويزدكم قوة الى قوتكم اشارة الى كمال حال القوى
التي بها تقوى الاشياء بسلك النعم وحصل من هذه الكلمة ما يعني الانسان

العلم ان

تحصيل السعادات وان الاد معلها ممتعة في صريح العقل ويحث على العاقل ان
يتامل وهذه اللطائف لتعرف ما في هذا الكتاب الكريم من الاسرار المخفية واما
المفسرون فانهم قالوا القوم كانوا محسوسين في الدنيا موعين من الكمال
احدهما ان مساكنهم ومزارعهم كانت في غاية الطيب والنعمة والدليل عليه قوله
ارمدات العاد التي لم يخلق مثلها في البلاد والثاني انهم كانوا في غاية القوة
والبطش والدليل قالوا من اشد منا قوة ولما كان القوم ممتعين على سائر الخلق
بهذين الامرين دعاهم هود عليه السلام انهم لو تركوا عبادة الاصنام واستغلوا
بالاستغفار والتوبة وان الله تعالى يقوي حالهم في هذين المطلوبين ويزيدهم فيهما
درجات كثيرة وتقل الصان الله تعالى لما بعث هودا اليهم وعدهم حبس الله
عنهم المطر سنين واعقم ارحام نسائهم فعال لهم هود ان امنتم بالله واحدا الله لكم
وزرعكم المال والولد فذلك قوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم
الكثير الدر وهو من ابنية المبالغة وقوله ويزدكم قوة الى قوتكم
فسر هذه القوة بالمال والولد والشدة في الاعضاء لان كل احد مما سوى به
الانسان فان قيل حاصل الكلام هو هود عليه السلام قالوا استغلم
بعبادة الله تعالى لا يفتح ابواب الخيرات الدنيوية وليس الامر كذلك لانه
عليه السلام قاسى اصعب البلايا المحسوسة التي لا مثل فالا مثل عليه فالجمع بينهما
وانصافه قد جرت عادة القرآن الترغيب في الطاعات بتيسير الخيرات الدنيوية
عليها واما الترغيب في الطاعات لاجل ترتب الخيرات الدنيوية عليها فذلك لا يليق
بالقرآن بل هو طريق مذكور في التوراة لليهود انه لما كثر الترغيب
في سعادات الاخرة لم يبعد الترغيب ايضا في خيرات الدنيا نقدر الكفاية واما قوله
ولا تتولوا مجرمين فمعناه لا تعرضوا عني فيما ادعوكم الله وادعكم فيه مجرمين
على اجرامكم وايامكم قوله تعالى قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن
بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لقول الاعراك بعض الهتنا بسوء
قال اني اشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون من دونه وكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم

اعلم انه تعالى لما حكى عن هود ما ذكره للقوم حكى ايضا ما ذكره القوم له وهو اشياء
اولها قولهم ما جئتنا ببينة اى بحجة قالوا سمعت هذه الكلمة مرارا بين الحق من الباطل ومن المعلوم
انه عليه السلام كان قد اظهر المعجزات الدالة على ان القوم لجهلهم انكروها وعدوها من جنس
المعجزات وما سموها باسمها فقولهم وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وهذا انصاف لان لا بد منهم
حتى كانوا يعترفون بان الباطل والضار هو الله وان الاصنام لا سمع ولا ابصار ولا هدى
وكان الامر كذلك فقد ظهر في بديهة العقل انه لا يجوز عاقل ان يجعل هذه الاصنام الجمادات
عرضة لخدمته لاجل قوله تعالى عن حكمه فطرة العقل وبديهة النفس وبالجملة قولهم وما نحن لك
بمؤمنين يدل على ان الاصرار قد تكون لاجل الحسد والتعصب قولهم ان نقول
الا اعتراك بعض الهتنا بسوء يقال اعتراه كذا اذا غشيه واصابه والمعنى
انك استمت الهتنا فجعلك مجنونا واصل عقل يدل على ما ذكرناه قالوا ذلك
قال هود عليه السلام اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه وهو ظاهر
ثم قال وكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وهذا ظاهر مما قاله نوح لقومه فاجمعوا
امركم وشركاءكم الى قوله ولا تنظرون واعلم ان هذا معجزة ظاهرة ودليل قاطع على ان الرجل
الواحد اذا اقبل على القوم العظيم وقال لهم بالغوا في عدلي وفي ضرري ابدا اي
ولا توخرون فانه لا يقول هذا الا اذا كان واثقا من عند الله بانه يحفظه
ويصونه عن كيد الاعداء قال ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها قال الازهري
الناصية عند العرب شعر الرأس وتسمى الشعر النابت هناك ناصية
باسم منبته واعلم ان العرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع قالوا ما ناصيته
الا بيد فلان او ان ناصيته في يد فلان اي انه مطيع له لان كل من اخذ بناصيته فقد قهره وكانوا
اذا اسروا الاسير فاراد واطلاقه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة
لقهره محوطا في العرف المعروف وقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها
استعارة لذلة اعدائه وقهره عظيم فاسعة تقول ان ربي على صراط مستقيم
اي انه وان كان قادرا على ايلامي لكنه لا يظلمني والعدل هو الذي هو الحق
والصواب قال المعبر قوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها يدل على التوحيد
وقوله ان ربي على صراط مستقيم يدل على العدل فسبحان الذي لا يليق به الا التوحيد والعدل

الثاني انه تعالى لما ذكر ان سلطانه قهر جميع الخلق اتبعه بقوله ان ربي على
صراط مستقيم يعني انه لا يخفى عليه مسدد والتنوين هاهنا يفيد الصراط المستقيم
وهو يعني به الطريق الذي لا يكون لاحد مسلك الا عليه كما قال ان ربك لبالمرصاد
الثالث ان يكون المراد ان ربي يدل على الصراط المستقيم لوحشا وحملكم بالدعاء عليه
الى قوله تعالى فان تولوا فقد ابلغكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما
غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ اعلم ان قوله فان تولوا الى قوله فان تولوا يعني فان
تتولوا فقد وجد مني ما يجب من الدعاء الى الله وحصل الانذار الاول بعد ذكر الكلام فان تتولوا الم اعاقبكم على العصيان
من قبل حتى تصروا لا بعلم مني بل لان الله اصر بكم على العكس الثاني فان تولوا
فقد ابلغكم ما ارسلت به اليكم وقد يستخلف الى قوما غيركم يعني يخلق
بعدكم من هو اطوع لله منكم وهذا اشارة الى زوال عذاب الاستئصال ولا تضرونه شيئا
يعني ان هلاككم لا ينقص من ملكه شيئا فان ربي على كل شيء حفيظ لا يهمل
العباد حتى يحاربهم عليها الذي يحفظني عنكم ويحفظكم الثالث حفيظ على كل اي يحفظه
من الهلاك اذا شاء ويهلكه اذا شاء

قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا
والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ الى قوله الا بعدا لعاد قوم هود
اعلم ان قوله فلما جاء امرنا اي عذابنا ودليله هو ما ارسلهم من الريح العقيم
عليهم الله بها سبع ليال وثمانية ايام مدخل في مناخرهم ويخرج من ادبارهم ونصرهم
على الارض على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل جاوية فان قيل فهلا الريح
كيف يؤثر في اهلاكهم قلنا الحق ان يكون ذلك لتسخير الله اولى من قولها
فتخطف الطير اي الارض بل نصره على الارض وكل ذلك محتمل واما قوله ونجيناهم
هودا فاعلم انه يجوز ان تكون النجاة للمؤمن وعلى الكافر معا وحينئذ يكون ذلك النجاة
رحمة على المؤمن وعذابا على الكافر فاما العذاب للكافر من يكذب الانسان فانه
يحسن وصفه الله بان يجعل المؤمن منه وليوه دليلا على ما عرفته من كونه عذابا على كفرهم
فلهذا السبب قال تعالى هاهنا نجيناهم واما الذين امنوا معه واما قوله
برحمة منا فمعه وجوه الاول انه اذا اتى بالاسم الواحد وارادهما جميعا فالاسم الدال على العمل
الصالح الاخر عمل الله والذي يدل على الرحمة ما هو اسم الله والاحسان بالله فالعمل الصالح

الثالث انه رحمهم في تلك الوقت تخفيفا عن الكافرين في العقاب واما قوله
وبحسابهم من عذاب غليظ فالمراد النجاة الاولى من النجاة من عذاب الدنيا والنجاة
الثانية من عذاب الآخرة واما وصفه بكونه غليظا بينها على ان العذاب الذي
حصل لهم بعد مولدهم السنة الى العذاب الذي وقعوا فيه كان عذابا غليظا والمراد
من قوله وبحسابهم اي حلمنا بهم لانهم يستحقون ان العذاب الغليظ ولا تعجلوا بعد واعلم
ان تعالى لما ذكر قصة عاد حذا حذو قوم محمد عليه السلام فقال وامّا عاد فهو لسان الى
موريهم وابائهم كانه تعالى قال اسكنوا في الارض فانظروا الهها واعتبروا بما نزل
تعالى ذكر اوصافهم ثم ذكر عاقبة احوالهم في الدنيا والآخرة اما اوصافهم فلانه
الصفة الاولى قوله وجحدوا بايات ربهم والمراد بجحودها دلالة المعجزات على الصدق
او بجحود دلالة النحو دافع على وجود الصانع الحليم ان تنتبهم بارسالهم والصفة
الثانية قوله وعصوا رسله والسبب فيه انهم اذا عصوا رسوله واحدا فقد عصوا جميع
الرسل لقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود الصفة
الثالثة قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد والمعنى ان المتبعة كانوا يعلمون الرؤساء
في قولهم ما هذا الا بشر مثلكم والمراد من الجبار المتمرد والعنيد والعنود
والمعاند هو المبارز المعارض واعلم انه تعالى لما ذكر اوصافهم ذكر بعد ذلك
احوالهم فقال واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعل اللعن ردفا لهم
وتابعا ومصاحبا في الدنيا وفي الآخرة ومعنى اللعنة الابعاد من رحمة الله ومن
كل خير فان الله تعالى هو السبب الاصلي في وصول هذه الاحوال المكروهة اليهم فقال
الا ان عادا كفروا ربهم قال ابو مسلم اراد انهم جحدوا الله وقال الحسن هو
الجحد والتقدير الا ان عادا جحدوا ربهم قال الاصم لعاد الاولى قوم هود وهم
هو الاب السوالث الاولى اللعن هو البعد فلما قال واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيامة فما الفائدة في قوله لا بعدا لعاد والجواب التكرير لتصاريف
مختلفة يدل على غاية الذم لهذا السوالث الثاني ما الفائدة في قوله لعاد قوم هود
والجواب قيل ان عادا عادين والاولى هم قوم هود وهم الذين ارسل اليهم
العذاب فلا يرد لكن لا زالة الاشتباه قال الشتاي ان المبالغة في التخصيص يدل على مزيد التاكيد

قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا الى قوله واما الغى سنك مما تدعونا
الى موجب اعلم ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة فى هذه
السورة وهى قصة صالح مع ثمود ونظمها مثل النظم المذكور فى قصة هود الا
انها هنا امر بهم بالتوحيد ذكر فى تعريف دلائل الدلالة الاول قوله هو
انشاكم من الارض فيه وجهان الاول ان الكل مخلوق من صلب ادم وهو كالا
مخلوقا من الارض والقول هذا صحيح لكن فيه وجه اخر وهو اقرب منه وذلك ان
الانسان مخلوق من المنى ومن دم الطمث والمنى انما تولد من الدم والدم انما تولد
من الاغذية وهى الاعذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانات تعالجها حال الانسان
موجبا تهيا الكل الى النبات وظاهر ان تولد الانسان من الارض صيرورته تعالى
انشاكم من الارض والوجه الثانى ان يكون كلمة من معناها فى والتقدير
انشاكم فى الارض وهذا اصعب لانه متى امكن حمل الكلام على ظاهره فلا حاجة
الى صرفه واما تقرير ان تولد الانسان من الارض كيف يدل على وجود الصانع
فقد سرحناه مرارا كثيرة فى الدلائل الثانى قوله واستعمركم فيها وفيه
بحثان الاول وجه الاول جعلكم عمارها فالواحد اهل مملوك عامر من قولهم
اهل الدار وعمر الانجار لهم فصلة ثم الاعمار الطويل مسالة من اسار ما بهم
به سمى الله الاعمار فاوحى الله اليه انى عمرو الذى يعاش فيها عاصيا واخذ معبادته
واجتنابه ارض واحرامن فضل الله تعالى ما حملنى عليه الا قول العامل
ليس العجب ممن لا يستحيى ان يكون له فى الارض اثار
الثانى معناه انه اطال اعماركم فيها واشتقا واستعمركم من العمر مثل
استنقاكم من السقا والثالث المراد من العمر اى اصحها لكم طول اعماركم
فاذا اسم اسعلب الى عمركم واعلم ان فى الارض دلائل للعمار الدالة
للانسان وكون الانسان عالما دل عليها دلالة عظيمة على وجود الصانع ورجحانه
الى ما ذكره الله تعالى من الاسرار وهى قوله الذى قدر فهدى ودلالة رهدوب
الانسان مع انه حصل فى داره الفعل الهادى والعدد على الصراط الموافقة
تدل على وجود الصانع الحكيم وكون الارض موصوفة بصفات مطابقة للمصالح

موافقة

موافقه المنافع بدل الضار على وجود الصانع العالم اما قوله فاستغفروه ثم توبوا
اليه فقد تقدم تفسيره واما قوله ان ربي قريب مجيب يعني انه قريب بالعلم والسمع مجيب دعا
المحتاجين لفضله ورحمته ثم بين تعالى ان صالحا عليه السلام لما قرر هذه الدلائل قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا وفيه وجوه الاول انه لما كان رجلا قويا لخاطر
وكان من قبلهم يرجو اصلاحهم في ان ينصرهم ويقوي قلوبهم لانه من جذب رجلا صالحا
في قوم طمعوا فيه من هذا الوجه الثاني قال بعضهم المراد انك كنت تعطف على فقيرنا
وتعين ضعيفنا وتعود مريضنا فقوي رجاؤنا فيك امثالك من الانصار والاحباب فليت
شعري لم عدلت عنا وتعصبت علينا ثم انهم اضافوا الى هذا الكلام البعيد الشديد فسادا
انهم قالوا ان عبدنا ما عبدنا اوثانا والمقصود من هذا الكلام التمسك بطريق العلم ووجوب
متابعة الآباء والاسلاف ونظير هذا المعنى ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة
حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ثم قالوا وانا لفي شك مما تدعونا اليه
مريب والشك هو ان يعتري الانسان توقف بين النفي والاثبات والمريب هو الذي يريبه الشيء
فيقوله وانا لفي شك يعني به انه لم يترجح في اعتقادي صحة قوله وقوله مريب يعني انه يرجح
في اعتقادي فساد قوله وهذا مما يعد في تزييف كلامه **قوله تعالى** قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي الآية ● اعلم ان قوله ارايتم على بينة من ربي وريحوا الشك
وكان على لغة بني امية ان خطاب الجمع على هذا رجعه اقرب الى القبول وكانه
قال قدروا اني على بينة من ربي واني مبني على الحقيقة وانظروا ارايتكم وعصيت ربي
وامن من سخطه من عذاب الله فما يزيدونني على هذا التقدير غير تخسير وفي تعسير هذه
الكلمة وجهان الاول ان على هذا التقدير تخسرون اعمالي فتطلبونها الثاني ان يكون
التقدير فما يزيدونني بما تقولون لي وتحاولون علي غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران
وامثال هذا كثيرة في القرآن والقول الاول اولى بدليل قوله فمن ينصرني من الله ان عصيته
فان الدلالة على انه اراد ان اسعكم فيما انتم عليه من الكفر الذي دعوتموني اليه
لم ازدد الا خسرانا في الدين فاصير مثلكم في الخاسرين ● **قوله تعالى** ويا قوم
هذه ناقة الله لكم الآية الى قوله مكذوب ● اعلم ان العادة جرت في السوم بهذا الباب
بطلبوا منه المعجز وامر صالح عليه السلام هكذا كان يروى ان قومه خرجوا في عيد لهم

فسألوه ان يأتيهم بآية وان يخرج لهم من صخرة معينة اشاروا اليها ناقة قد عاصالح ربه فخرجت
كما سألوا واعلم ان لتلك الناقة قد كانت معجزة من وجوه احدها انه تعالى خلقها
من الصخرة وبالجملة انه خلقها في جوف الجبل من غير سوسها الجبل وبالجملة انه تعالى
خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة وكان العجب ما روي انه كان
لها شرب يوم ولكل القوم شرب يوم اخر وخامسها انه كان يحصل منها
لبن كثير يكفي الخلق العظيم وكل واحد من هذه الوجوه معجز قوي وليس في القرآن
الا ان تلك الناقة كانت آية ومعجزة واما بيان انها كانت معجزة من اي الوجوه فليس في
الآية ما يدل عليه فذروها تأكل في ارض الله والمراد انه عليه السلام رفع عن
القوم مؤنتها فصارت مع كونها آية لهم منفعة لهم ولا يضرهم لانهم كانوا يسقون
من لبنها على ما روي انه عليه السلام رفع عن القوم مؤنتها فصارت حافلا على
ما شاهد من اصرارهم على الكفر قال الاصم لا يحتمل ظهور هذه الحالة في زمن
قليل بل لا بد من مدة طويلة حتى يمكن ان يقال ان السبب لذلك هو ان
اخطأها وابطالها بالقتل لا سيما بعد هذا السبب كان مجانبا من اقدامهم على قتلها فلهذا
احتاط وقال ولا تمسوها بسوء وتوعدهم ان مسوها بسوء بعذاب قريب وذلك
تحديد شديد لهم من الاقدام على قتلها ثم من بعد ذلك انهم قتلوها ونحروها وبحمل
انهم عقروها لانطباق ذلك الخبر وان لكون الخبر صحيحا لكن على القوم واربابهم
لانهم رضوا بفعلها وهو قوله فعقروها فعند ذلك قال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
وهو قوله تمتعوا في داركم طاهر من ان الله تعالى بين ان القوم عقروها فعند ذلك قال
لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة ايام معنى التمتع بالمنافع والملاذ التي تدرك
بالحواس فلما كان التمتع لا يحصل الا للحي عبر به عن الحياة وقوله في داركم فيه وجهان
الاول ان المراد البلد وسمي البلد دارا لانه يدار فيها اي يتصرف يقال دار بكر
لبكر ويعم الثاني ان المراد في الدار الدنيا خلق وعد غير ممكذوب وبلى عن عدد
والمصدر قد يرد ويلحظ المفعول كالجلود والمعقول وبالجملة المقصود من ذكر
ممكذوب فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما انما امهلهم بتلك الايام الثلاثة ليتقدر عليهم في الايمان
وذلك لانهم لما عقروا الناقة انذرهم صالح نزول العذاب فقال وما علامة ذلك قالوا
تغير وجوهكم في اليوم الاول مصفرة وفي الثاني محمرة وفي الثالث مسودة فلما رأوا ذلك
علموا ان العذاب

اليوم الرابع

الرابع فلما رأوا وجوههم قد اسودت ايقنوا بالعذاب فخطوا واستعدوا للعذاب
فصبحهم اليوم الرابع وهي الصيحة والصاعقة والعذاب فان قيل كيف يعقل
ان يطهر منهم هذه العلامات مطابقة لقول صالح ثم يقول مضرين على الكفر
قلنا لما دامت الامارات غير بالغة الى حد الجزم والبقين لم يمنع بقاؤهم على
الكفر واذا صارت بالغة وطمع فقد انتهى الامر الى حد الجزم والبقين الاجاء
والالجاء فهو دليل الوقت عن مقبول **قوله تعالى** فلما جاء امرنا نجينا صالحا
والذين امنوا معه برحمة منا الى اخر القصة اعلم ان مثل هذا قد مضى في قصة
عاد وقوله ومن خزي يومئذ فيه مسائل المسئلة الاولى الواو في قوله ومن
خزي واو العطف وفيه وجهان الاول ان يكون التقدير نجيناه صالحا والذين
امنوا برحمة منا ونجيناهم من خزي يومئذ ومن الخزي الذي لحقهم وفي العار
فيه ما ثورا لهم ومنسوبا اليهم لان معنى الخزي العار الذي يظهر فيحتشم بسببها
من مثله فحذف واضمر اعتمادا على دلالة ما بقي عليه الثاني ان يكون التقدير نجيناه
صالحا والذين امنوا برحمة منا ونجيناهم من خزي يومئذ المسئلة الثانية قرأ الكسائي
ونافع في رواية ورش وقالون احدى الروايتين عنه يومئذ بفتح الميم وفي المعارج
عذاب يومئذ والباقون بكسر الميم فهما اما القراءة بالفتح ان يوم مضاف الى
اذ واذ مبني والمضاف الى المبني يجوز جعله مبنيا لان المضاف يكتسي من
المضاف اليه التعريف والتنكير فكذا هيهنا واما الكسر فلان اذ نصاف
الى الجملة من المبتدا والخبر نحو اجلس اذا الشمس طالعة فلما قطع عن المضاف اليه
نون لدل التنوين على ذلك المحذوف بالكسر وهي حركة لا تشبه حركاتها وسكون التنوين واما القراءة
بالكسر فعلى اضافة الخزي الى اليوم ولزمه من اضافته الى المبني ان يكون مبنيا لان
هذه الاضافة غير لازمة المسئلة الثالثة الخزي الذل العظيم حتى يبلغ حد الفضيحة
وهذا قال تعالى في المحاربين ذلك لهم خزي في الدنيا واما سمي الله ذلك العذاب خزيا لانه يفضح بافضه
تعذيبها اعداءهم وقال ان ربك هو القوي العزيز واما خص الا لانه تعالى انه يفعل
او صلاح للعباد الى الكافر فصار لهذا الامان عنه وهذا النوع لا يصح الا من القادر الذي
يقدر على جميع طبايع الانسان فيحملها التي الواحد بالسهل الى الانسان بكلا وعلانا وبالسهل

الى انسان اخر راحة وريحانا ثم ان الله تعالى بين ما دل لاجله وفعل واصل الدين طلوا وفيه
مسئلتان المسئلة الاولى العاقل اذا دخل نعلا احدث لان الصحة ماحو دمن الصلاح
والصاد فصل بين المعلول الاسم المؤنث بعاصل وكان للفاصل العوض من تا التانيث
وقد سبق لها نظائر المسئلة الثانية ذكر واهل الصحة وصف الاول قال
ابن عباس المراد الصاعقة التي الصحة صيحة عظيمة هائلة سمعوها فماتوا جميعا
منها فاصبحوا وهم موتى جاثمين في ديارهم وسكنهم لان كل احد مات هم وجوههم
هو سقوط هم على وجوههم ويعالى الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان يصيح بهم فهلك
الصحة التي ماتوا بها ويجوز ان يكون الله تعالى خلقها والصياح لا يكون الا الصوت
الحادي من حلق وفم وكذلك الصراخ فان كان من فعل الله فقد خلقه في حلق حيوان
وان كان فعل جبريل فقد حصل في فمه وحلقه والدليل عليه ان صوت الله اعظم من
كل صيحة ولا يسمى مدلا وكتابه صراخ قال وصل الى السبب في كون الصحة موجبة
للموت فلنا اما وجه احتراقها ان الصحة العظيمة اما ان تحدث سببا قوي
يوجب تموج الهواء وذلك التموج الشديد بالمماسة الى صماخ الانسان فيمزق غشاء الدماغ
فيورث الموت والثاني انه شيء يحدث الهيئة العظيمة عند حدوثها والاعراض
النفسانية اذا قويت ورثت الموت الثالث ان الصيحة العظيمة اذا حدثت من
السحاب فلا بد وان يصحبها برق شديد يحرق وذلك هو الصاعقة التي ذكرها ابن عباس
ثم قال تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين والجثوم هو السكون يقال للطير اذا بات
في اوكارها انها جثمت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الحيوان وقوله
الله هؤلاء الهالكين بانهم سكنوا عند الهلاك حتى كأنهم ما كانوا احياء وقوله
كأن لم يغنوا فيها اي كأنهم لم يوجدوا والمغنى المقام الذي يقيم به يقال
غنى بالمكان كعدا يغنى قال تعالى الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود
وقراءة من قرأ على علم الا ان ثمود عبر منون في كل القرآن والباقون بمنع الصرف
والثمود كالهما بالصرف والصرف ذهاب الى الحي او الى الاب الاكبر ومنع للتعريف
والتانيث لمعنى القبيلة **قوله تعالى** ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
قالوا سلاما قال سلام الى قوله ومن وراء اسحق يعقوب ❶ اعلم ان هذا هو القصة

الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة وهاهنا مسائل المسألة الأولى
قال النحويون دخلت كلمة قد ها هنا لان السامع لقصص الانبياء عليهم السلام متوقع
قصة بعد قصة وقد التوقع ودخلت اللام في لقد لتأكيد الخبر جمع وأعله ثلثة هذا
بعد القطع لحصوا بالله وأما الزيد على هذا العدد فلا سبيل إلى إثباته بالعدد لقيل
آخر واجمعوا على أن المرسل منهم كان جبريل عليه السلام بل أخذوا ذلك برواية فضل الله جبريل
ومعه اثنى عشر ملكا على صور الغلمان الذين لا يتوانون في غاية الحسن وقال الضحاك
كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وهم الذين
ذكرهم الله في سورة والذاريات هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين وفي الحجر ونبئهم
عن ضيف إبراهيم المسألة الثانية اختلفوا في المراد بالبشرى على وجهين الأول
أن المراد ما ذكر بعد القول بقوله فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب والثاني أن المراد
منه أنه بشر إبراهيم بسلامة لوط وأهلك قومه بما قولهم قالوا سلاما قال سلام
ففيه مسائل المسألة الأولى قرأ حمزة والكسائي قالوا سلما قال سلم
بكسر السين وسكون اللام بغير ألف وفي الذاريات مثله قال الفراء العرب
كثيرا ما تواجل وحلال وحرم وحرام لأن في المعنى أنهم لما جاؤا وأسلموا الأمر إليه
أنهم لما جاؤا وسلموا عليه قال أبو علي الفارسي يحتمل أن يكون سلم خلاف العدو
والحرب كقولك لما استسلموا عني بأول ما قدمه إليهم فبكيهم وأوجس منهم خيفة
قال لما سلم ولست بحرب ولا عدو فلا تستسلموا مني بأول ما قدمته إليهم فبكيهم
ولو حين منهم خيفة قال لما سلم طعامي فلا تستسلموا مني بأول طعام العدو وهذا الوجه
عندي بعيد لأن على هذا التقدير ينبغي أن يكون تعليل إبراهيم عليه السلام هذا
اللفظ بعد احضار الطعام لأن العرف يدل على أن هذا الكلام إنما يحسن
إحضار الطعام لأنه تعالى قال فما لبث أن جاء بعجل حنيذ
وأيضا التعقيب يدل على أن محمد ذلك العجل الحنيذ كان بعد ذكر السلامة
المسألة الثالثة قالوا سلاما بعد من سلم عليك سلاما قال سلام تقديره أمري
سلام أي لست مريدا غير السلام والصلح قال الواحدي ويحتمل أن يكون المراد
سلام عليكم فحذف به من ويرتفع على حكاية لقوله قال وحذف عنه الخبر كما حذف من قوله

فصار جملة ما تحسن هذا الحذف واذا كان المقصود معلوما بعد الحذف وهاهنا
المقصود معلوم فلا حرم حسن الحذف فنظير قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام حذف
للعلم واعلم انا ما سلمنا بعضهم على بعض دعاء الا ما سلم المذكور في قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها هذا هو المسئلة الثالثة اكثر ما يستعمل
سلام عليكم بغير الف ولام وذلك لانه في معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك
فان قيل كيف جاز جعل النكرة مبتدأ قلنا النكرة اذا كانت موصوفة
جاز جعلها مبتدأ فاذا قلت سلام عليكم فالتنكير في هذا الموضع يدل على الكمال
والتمام وكانه قيل سلام كامل تام عليك وظهر قولنا سلام عليك قوله تعالى
سلام عليك سأستغفر لك ربي وقوله سلام قولا من رب رحيم سلام على نوح في
العالمين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب فاما قوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى فهذا ايضا جائز والمراد منه انا ما هبنا والحقناه واحوجنا قوله سلام
عليكم بعد الكمال والمبالغة والتمام واما لفظ السلامة فانه لا يفيد المبالغة
قال الاخفش من العرب من يقول سلام عليكم من الغرب ومعنى قوله سلام عن الالف
واللام والتنوين والسبتان عند الاستعمال اباح هذا الحذف والله اعلم
ثم قال تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ معناه مكث ان جاء بهم بعجل حنيذ
لحاجته حنيذ فلما قدم لذلك جاء الملائكة فراى ايديهم لا تصل اليه فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
بعجل حنيذ بقوله فما لبث ان جاء بعجل حنيذ معناه فما لبث في المجيء به بل عجل فيه
والتقدير فما لبث بعجله والعجل ولد البقر اما الحنيذ فهو الذي يسوى في حفرة
من الارض بالجمار وهو من فعل اهل البادية معروف وهو محنوذ في
الاصل ثم قيل طبخ وانضج وقيل الحنذ الذي يقطر دهنه تعالى
جذر العرق اذا اعتصر عليها الحال حتى يقطر عرقا ثم قال تعالى فلما راى
ايديهم لا تصل اليه اي الى العجل وقال انكرهم الى الطعام وهو دليل العجل يعني هم
اي انكرهم بما انكر واستدل واعلم ان الاضياف اما ان يكونوا طعام الطعام
لانهم ملائكة والملائكة لا ياكلون ولا يشربون وانما اتوا في صورة الاضياف
ليكونوا على صفة يحبها فكان مسعوفا واما انكرهم عليه السلام
فقول

فقول اما ان يقال ان ابراهيم عليه السلام كان يعلم انهم ملائكة لكان يعتقد انهم من
البشر او يقال انه كان عالما بانهم من الملائكة اما الاحتمال الاول فيسقط خوفه امران
احدهما انه كان يرى في طرفي من الارض بعد من الناس علما ممتنعا من الاكل خائف
ان يريد واذا رأى مكروها وثانيهما ان من اعتاد اذا حضر وقدم اليه طعام فاكل
حصل الامن وان ما يأكله حصل الخوف واما الاحتمال الثاني وهو انه عرف
انهم ملائكة الله تعالى ليسقط خوفه على هذا التقدير ايضا لان احد هذين الامرين خائف
ان يكون نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه والثاني انه خائف ان يكون نزولهم لتعذيب
قومه فان قيل فاي هذين الاحتمالين اقرب الى الظاهر قلنا اما الذي يقول انه ما عرف
انهم ملائكة الله فانه ان يحتج بامور احدها انه سارع الى احضار الطعام ولو عرف
كونهم من الملائكة لما فعل ذلك وثانيها انه لما رأيهم ممتنعين من الاكل خافهم ولو
عرف كونهم من الملائكة لما استدل بترك الاكل على حصول الشر وثالثها انه
راهم في اول الامر في صورة البشر وذلك يدل على كونهم من الملائكة واما الذي يقول
انه عرف ذلك فالاصح بقوله لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط واما تعالهذا المعروفهم
ولم يعرفوا في سبب ارسلوا من تعالى ان الملائكة اذا قالوا لا تخف خوفوه فقالوا
لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط ومعناه ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط الا انه اضمر
لعلم المدلول عليه وسؤال اخرى وهو قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين ليرسل عليهم
حجارة ثم قال تعالى وامرأته قائمة يعني سارة من وراء الستر تسمع ما يقول ابراهيم
وقوله قائمة فعل كان قائمة من وراء الستر تستمع الى الرسل وهما لا يعلمان خائفة
وقيل كانت قائمة تخدم الاضياف وابراهيم جالس معهم وتؤكد هذا قول قال ابن مسعود
وامرأته قائمة وهو قاعد يعني تخدمهم قال تعالى فضحكت فسرها ناس من اهل اللغة
قولين منهم من حمله على الضحك ومنهم من حمل هذا اللفظ على معنى آخر سوى الضحك اما الذين
حملوه على نفس الضحك فاختلفوا في انها لم ضحكت وذكروا وجوها الاول قال العاصي
ان دلالة الرسل عليه السلام على ان قوم لوط سيأتيهم ما يأتيهم وعادتهم الا يأمن
دلالة الخوف عن ابراهيم عليه السلام حيث قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وعلم
سرورها بسبب زوال الخوف فعلى هذا الحال قد تضحك للانسان والمحبة

فكان ضحكها لسبب قول الملائكة لا نهم لا تحفل كانه كالنسيان تفعل ما تفعل
هذه النساء تشاهد من فعلها حصلت النساء بزوال هذا الخوف فقد حصلت النساء
ايضا بحصول الولد الذي كنتم تطلبونه من اول العمر الى هذا الوقت وهذا اولى في
غاية الحسن الذي يحتمل انها لما كانت عظيمة الانكار على قوم لوط لما كانوا عليه
من الكفر والعمل الخبيث فلما ظهر لها انهم جاؤا لاهلاكهم لحقها السرور
فضحكت لذلك قال السدي قال ابرهيم لهم الا تاكلون فالوا لا اكل
طعاما الا بالثمن فقال ان لكم ان تذكروا اسم الله عليه في اوله وتحمدوه في اخره
فقال جبريل لميكائيل حق لهذا الرجل وامثاله ان يتخذ خليلا فضحكت امرأته
فرحا منها بهذا الكلام الرابع ان ساره قالت لابرهيم عليه السلام
ارسل الى ابن اخيك وضيفه الى نفسك فان الله تعالى لا يترك قومه حتى يعذبهم
فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابرهيم فلما اخبروه بانهم انما جاؤا
لاهلاك قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكت لشدة سرورها بحصول
الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة الخامس ان الملائكة لما اخبروا ابرهيم
عليه السلام بانهم من الملائكة لا من البشر وانهم جاؤا لاهلاك قوم لوط طلب ابرهيم
عليه السلام منهم معجزة دالة على انهم من الملائكة فدعوا لهم ياجبا العجل المشوي
فطفر ذلك العجل المشوي من الموضع الذي كان موضوعا فيه الى مرعاه وكانت
امراة ابرهيم قائمة فضحكت لما رات ذلك العجل المشوي طفر من موضعه السادس
انها ضحكت تعجبا من ان قوما امامهم العذاب وهم في غفلة السابع لاستعلان بحال
السرور بها بحصول المطلوب الولد فضحكت اما على سبيل التعجب فانه تعالى انما كانت في ذلك الوقت
تسعا وتسعين سنة وابرهيم ابن مائة سنة واما على سبيل السرور بما ضحكت بشرها
الله تعالى بالولد هو اسحق وسرورا اسحق بيعقوب الثامن انها ضحكت لسبب
تعجبت من خوف ابرهيم من ملائكة الله حال ما كان معه حشمه وخدمه التاسع
ان هذا على التصدير والتاخير والتقدير وامراته قائمة فبشرناها باسحق فضحكت سرورا
لتسبب ذلك البشارة تقدم الضحك ومعناه الباقي للعاشر ان يكون معنى ضحكت
حاضت وهو منقول عن مجاهد وعكرمة فالضحك اذا حاضت عند رجها بالسلعة

من الخوف فلما ظهر حبلها تيقن بحصول الولد وانكر الفراء وابو عبيدة وابو عبيد ان يكون
صحك بمعنى حاضت قال ابو بكر الانباري هذه اللغة ان لم نعرفها هو الا فقد عرفها
صريم حتى الليث في هذه الآية فصحكت طمثت وحكى الازهري عن بعضهم ان اصله
من صحاك الطلعة اذا انشقت واعلم ان هذه الوجوه كلها جائزة واما الوجه الصحيح
هو الاول ثم قال تعالى ومن وراء اسحق يعقوب وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع اما وجه النصب فهو ان
يكون التقدير بشرناها باسحق ومن وراء اسحق هذا لها بيعقوب واما وجه الرفع فهو
ان يكون التقدير ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود المسئلة الثانية
في لغاته وراء قولان الاول وهو قول الاكثرين ان معناه بعد اي ومن بعد اسحق
يعقوب وهذا هو الوجه الظاهر والثاني ان الوراء الولد الولد وهذا الوجه عندي
شديد التعسف واللغة كابية عن هذا قوله تعالى قالت ياويلتى الف واما عجوز
الاصل ابو له احد يحيد في ادبه مسائل المسئلة الاولى قال الفراء اصل الويل ويح
وهو الحزن يقال ويلا لفلان اي حزنا له بقوله ويلا لك حزنا لك ويقال لسيبويه ويلك
وحزنا لمن اشرف على الهلاك وويل لمن وقع فيما قال الخليل ولم اسمع على بنائه الا
ويح وويس وويك ووبه وويل وهذه كلمات متقاربة في المعنى واما قوله ياويلتى
فمنهم من زعم ان هذه الالف الف الندبة وقال الصاحب الكشاف الالف في ياويلتا بدل
من ياء ويلتي ويحكذلك في يا اسفا وياغلامي ابدل من الياء والكسرة الا تعد الفتحة لان الفتح
والالف اخف من الياء والكسرة اما قوله الد واما عجوز وهذا بعلي شيخا وبعلها
مسائل المسئلة الاولى قرأ ابن كثير وابو عمرو الدهمي ومدي والباقون
الد بالمد بين بكسر المسئلة الثانية لقائل ان يقول لما البحث عن قدرة الله تعالى في توجه
الكفر بالمعجزة الاولى من بلغه اوجه اولها قوله تعالى حكاية عنها في معرض
التعجب الد واما عجوز وباسقاطها ان هذا الذي يتعجب منه هو الذي اخبر الملائكة بحصوله لها التعجب
من امر الله واما سائر ان التعجب من قدرة الله يوجب الكفر فلان هذا التعجب يدل على جهلها
بقدرة الله تعالى وذلك لا يوجب الكفر والجواب انها لما تعجبت بحسب
العرف والعادة لا بحسب القدرة قال الرجل المسلم لولد من محمد صادق بان الله تعالى

يغلب هذا الحمل ذهبا ابرز افلا يشكل انه تعجب نظرا الى العوائد لا لاصل انه استكى
قدرة الله تعالى على ذلك المسئلة الثالثة قوله وهذا بعلي شيخا فاعلم ان شيخا منصوب
على الحال قال الواحدي وهذا من اغلاط النحو وغامضه فان كلمة هذا للاشارة
وكان قوله وهذا بعلي شيخا قام مقام ان يقال اشير الى بعلي حال كونه شيخا والمقصود
تعريف هذه الحالة المقصودة وهي التي توجه المسئلة الرابعة قرأ بعضهم وهذا
بعلي شيخ على انه خبر مبتدا محذوف فاي هذا بعلي وهو شيخ او بعلي بدل من المبتدا
وشيخ خبرا ويكون معلوم من حكى تعالى ان الملائكة قالوا التعجبين من امر الله
والمعنى انهم تعجبوا من تعجبها مما قالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت المقصود
من هذا الكلام كل ما يزيل التعجب وتقدير ان رحمة الله عليكم متكاثرة
وبركاته عندكم متوالية وبركاته عندكم متوالية متعاقبة وهي السنة وهي
النبوة والمعجزات القاهرة والتوفيق للخيرات العظيمة فاذا ثبت ان الله خرق العادات
في تخصيص هذه الاكرامات لكم العالية الرفيعة وفي اظهار خوارق العادات
واجداث الايات والمعجزات وكيف يليق بكم التعجب واما قوله انه حميد اهل البيت مجيد
لهم ثم اكد ذلك بقولهم انه حميد يحمد والمجيد هو المحمود وهو الذي يحمد افعاله
والمحمد الماجد وهو الشرف والكرم ومن حامد الا فعال نال الحمد المطيع
مراده ومطلوبه ومن انواع الفضل والكرم ان لا يمنع الطالب عن مطلوبه
فاذا كان من المعلوم ان تعالى قادر على الكل وانه حميد مجيد فتعجب سعي هذا
التعجب فيتبين ان المقصود من ذكر هذه الكلمات ازالة التعجب **قوله تعالى**
فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه
منيب ○ اعلم ان هذا هو القصة الخامسة وهي قصة لوط عليه السلام لما الروع
هو الخوف وهو ما اوجس من الخيفة حين ابصر اضيافه والمعنى انه لما زال الخوف
وحصل البشرى بحصول الولد اخذ يجادلنا في قوم لوط وجواب
لما هو قوله اخذ انه حذف هذا اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل بعد
لما ذهب عن ابرهيم الروع جادلنا واعلم ان قوله يجادلنا اي يجادل رسلنا قال مقاتل
هذه المجادلة ان كان مع الله تعالى وهي جراءة على الله والجراءة على الله من اعظم الذنوب

ولان

ولان المقصود من هذه المجادلة ازالة ذلك الحكم وذلك يدل على انه ما كان باطلا
بقضاء الله وانه كفر وان كانت هذه المحاورة مع الملائكة فهي ايضا عجيبة
لان المقصود من هذه المجادلة ان يتركوا اهلاك قوم لوط فان كان قد اعتقد
منهم انهم من لقاء العسكر يحاولون هذا الاهلاك فهذا سوء ظن بهم ومن اعتقد
فيهم انهم ما امروا الا جادلوا فهذه المجادلة تقتضي ان يكابروا ربهم في امر الله تعالى
وهذا اقصى ما يذكر في الجواب — من وجهين الاول وهو الجواب الاجمالي
انه تعالى مدحه عقيب هذه الآية فقال ان ابراهيم لحليم اواه منيب ولو كان هذا
الجدال من المذموم لما ذكر عقيبه ما يدل على المدح العظيم الوجه الثاني وهو
الجواب التفصيلي ان المراد من هذه المحاورة سعي ابراهيم في تاخير العذاب عنهم
وتقدير هذا الوجه ان الملائكة قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية
فقال ابراهيم ارايتم لو كان هذا الهلاك مشروطا بحلول الموعد ايهلكونها قالوا
لا قال فان كان باربعين قالوا لا قال فبثلاثين قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم
ان كان فيها خمسة مسلمون اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا وقد ذكر الله
تعالى هذا في سورة العنكبوت فقال ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا
مهلكو اهل القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين ثم قال ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك فان هذا ان
حاورته ابراهيم انما كانت في قوم لوط لسبب علم لوط فما سبهم الثاني يحتمل ان يقال
انه عليه السلام كان يميل الى ان يلحقهم رحمة الله تعالى فاجابوه بان العذاب عليهم حتما لا بد
اقدموا على الايمان والتوبة عن المعاصي واما وقعت تلك المحاورة لسبب ان ابراهيم كان
يقول ان امر الله ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب العموم فلعل المراد
فاصبر وامهلهم والملائكة كانوا يقولون مطلق الامر لا يفيد التكرار فوقعوا
حصلت هناك قرائن دالة على العزم اخذ كل واحد منهم يقرر مذهبه الوجه
المعلوم فحصلت المحاورة لهذا السبب فهذا الوجه عندي هو المعتمد في
الجواب الوجه الثالث لعل ابراهيم عليه السلام سأل عن لفظ دال على التعدد

فكان ذلك الأمر مشروطا بشرط فاختلفوا في أن ذلك الشرط هل حصل في ذلك القوم أم لا
فحصلت المجادلة بسببه والجملة فترى العلماء في زماننا يجادل بعضهم بعضا عند
التمسك بالنصوص ودلالة لا توجب القدح في واحد منهما فكذا هاهنا ثم قال
تعالى إن إبراهيم لحليم أواه منيب وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم بالحلم
وهو الذي لا يفعل مكافأة عن بل ثاني فيه فتوخوا واتقوا ومن هذا حاله
فإنه يجب من عن هذه الطريقة وهذا كما أن الله تعالى في أمر
يتعلق بالحكم وفاخيرا العقاب ثم ضم إليه ما يتعلق بالحلم وهو قوله
أواه منيب لأن من يستعمل الحلم في غير فإنه يتأوه إذا شاهد وصول الشدائد
إلى الغير فلما رأى يحيى الملائكة لإهلاك قوم لوط عظم حزنه بسبب
ذلك واحتد تأوه عليه فلذلك وصفه الله تعالى بهذه الصفة ووصفه
أيضا بأنه منيب لأن من عظمت منه هذه الشفقة العظيمة على العصاة فإنه
يتوب ويتوب ويرجع إلى الله في أن إله ذلك العذاب عنهم أو يعالج أن من كان
لا يمكن وقوع غير في السداد فإن لا تقصير لوقوع نفسه فيها كان أولى
وأطوق إلى صون النفس عن الوقوع في عذاب الله بالتوبة والإنابة
فوجب فهم هذا شأنه أن يكون مشفقا **قوله تعالى** يا إبراهيم أعرض عن
هذا إنه قد جاء أمر ربك إلى قوله غير مردود واعلم أن قوله يا إبراهيم أعرض عن هذا
معناه أن الملائكة قالوا له اترك هذه المجادلة لأنه قد جاء أمر ربك بانصباب
هذا العذاب الهائل وإذا لاح وجه دلالة النص على هذا الحكم ولا سبيل إلى دفعه
فلذا أمر من مرك المجادلة ولما ذكروا أنه قد جاء أمر ربك لم يكن في هذا الأمر دلالة
على أن ذلك الأمر مما جاء لا يجتمع من الله تعالى فقال إنهم آتيهم عذاب غير مردود
أي عذاب لا سبيل إلى دفعه ورده ثم قال **ولما** جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
الرسل الذين بشروا إبراهيم بالولد قال ابن عباس انطلقوا من عند إبراهيم
إلى لوط وبين القريتين أربع فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني آدم
وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط أنهم ملائكة فساءه سوء محبتهم وذلك
في سنة وجوهها الأول أنه ظن أنهم من الإنس فخاف عليهم خبث قومه وقال ابن جبر

الاولى ساء محلهم لانه ما كان يجدي ما سنعه عليهم وما كان قادرا على العذاب يحق ضيافتهم
الثالث ساء دال لان قومه منعوه من اداء الصيغة ان الرابع ساء
محلهم لانه عرفا ايهم ملائكة وايهم انما جاؤا لاهلاك قومه والوجه الاول وهو
الصحيح بدلالة قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون اليه ① يعني في الامة الغاط بلائه
لابد من تيسيرها الغط الاول قوله سيء بهم ومعناه ساء محلهم وساء
بسوء فعل لازم يجاور بمعنى سوءه مسيء مثل سعله فشغل وسرره فسر
② الرجاج اصله سوى بهم الا ان الواو اسكنت وفتح ركبها الى الالف
والغط الثاني قوله وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع توضع موضع
الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع في سيره ذراعا فاذا اسرع قد يسعه حطوه فاذا عمل
عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن الضعف وقد يضعف فعل ضيق الذرع
عبارة عن قدر الوسع والطاقة فعال ما اليه ذرع ولا ما ذراع اي ما اليه طاقة
والدليل على صحة ما حكيناه انهم يحملون الذراع في موضع الذرع يقولون ضعف
بالهمز ذرعا والغط الثالث قوله تعالى هذا يوم عصيب اي يوم شديد وانما
قيل للشديد عصيب لانه يحصل الانسان بالشدة **قوله تعالى** وجاءه قومه يهرعون
اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات الى قوله اوى الى ركن شديد ① في الاية
مسائل روي انه لما دخلت الملائكة دار لوط عليه السلام مضت امرأته عجوز السوء
فقالت لقومه دخل داري قوم لم ار احسن وجوها ولا ارطف ثيابا ولا اطيب رائحة
منهم فجاء قومه يهرعون اي يسرعون ومن تعالى ان اسراءهم اياه ان لاجل العمل الخبيث
بقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات فقال ان القوم دخلوا دار لوط واراد وا
ان يدخلوا البيت الذي فيه جبريل عليه السلام وضع يده على الباب ولم يطيقوا فتحه
حتى عصروه ففتح اعينهم سد معموا فقالوا لوط قد دخلت علينا السحرة وطمس العين
ولاهل اللغة في يهرعون قولان الاول ان هذا من باب ما جاء صيغة الفاعل على الغط
المفعول ولا يعرف له فاعل نحو اولع فلان بالامر وارعد زيد وهم عمرو من الزهو والقول
الثاني انه لا يجوز ورود الفاعل على الغط المفعول وهذه الافعال حذف فاعلوها
فاويل اولع زيد انه اولعه طمعه وارعد الرجل ارعده غضبه وزهي عمرو معناه جعله

ماله راعيا واهرع معناه اسرعه خوفه او حرصه واختلفوا الصافات فقال بعضهم
الاهراع هو الاسراع مع الرعدة وقال اخرون هو العدو والتدبير اما قوله
تعالى قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم ففيه قولان قال قتادة المراد بناته لصلبه
وقال مجاهد وسعيد جميع المراد بنساء امته لانهن في العهدة بنات ولهن اضافة الى المتبوع
وتقبل الدعوة وقال اهل النحو يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب وانه كان بينهم
وكان كالاب لهم قال تعالى وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وهذا القول عندي
هو المختار ويدل عليه وجوه الاول ان قدام الانسان على كل من سواه على الاوباش
والفجار امر مستقر لا يليق باهل المروة وتحقيقه في كاير الاسباء والثاني وهو انه
قال هؤلاء بناتي هن اطهر لكم وبنات اللوائي من صلبه لا يكفي للجمع العظيم اما
نساء امته فعددهن كما به للعدل الثالث انه محتمل لوجه انه كان له بنات احد هما
رشيدا والاخرى غويا واطلاق لفظ البنات على البنات لا يجوز فاما بنات اقل الجمع فلانه
اما الغاملون بالقول الاول فقد اتفقوا على انه عليه السلام ما دعا القوم الى الزنا
بالبنات بل المراد انه دعاهم الى الزوج بهن بشرط ان يعدموا الايمان والثاني انه كان يجوز
تزويج المومنة من الكافر في شريعته وهذا كان في اول الاسلام بدليل انه عليه السلام
زوج ابنته زينب من ابي العاص ابن الربيع وكان مشركا وزوج ابنته من ابي لهب عتبة
وعتيبة ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر حتى يومن والاصح المترجح
واختلفوا الصافات فقال الاكثرون كانوا نساء ورعوا وعلى هذا التقدير
فسمي الفرج بالفرط اتم كما في قوله فان كان له اخوة وفي قوله فقد صغت قلوبكما وقيل
انهن كن اعز من بنات اما قوله تعالى هؤلاء بناتي هن اطهر لكم وفيه مسئلتان المسئلة
الاولى طاهر قوله هن اطهر يقتضي كون الفعل الذي يطلبونه طاهرا ومعلوم انه
فاسد لانه لا طهارة في نكاح الرجال فهذا اخباري يجري قولنا الله اكبر والمراد انه
كبير وقوله تعالى ان الله حرام يحرم اليوم والاخر فيها ولما قال ابو سعيد يوم اجد
اعلى هبل قال الله تعالى اعلا واجل منه المسئلة الثانية روى
عن عبد الملك مروان انه قرأ هن اطهر بالنصب على الحال كما في قوله
وهذا بعلي شيخا الا ان اكثر النحويين اتفقوا على انه غلط قالوا لو قرأ هؤلاء بناتي

اطهركان هذا اطهر لقوله وهذا يعلى شفا الذان كلمه من قد وقعت في اليس ودلك يمنع من
جعل اطهر حالا وطولوا فيه ثم قال يا قوما الله ولا تخزوني في ضيفي ومنه مسائل المسئلة الاولى
قرا ابو عمرو وناقع لا تخزوني بإثبات الياء الاضافة على الاصل والباقون بحذفها للتخفيف
ودلالة الخبر عليه المسئلة الثانية في لفظ لا تخزوني وجهان الاول قال ابن عباس
لا تفضحوني في اضيافي يريد انهم اذا تحموا على اضيافه بالمكروه لحقه الفضيحة
والثاني لا تخزوني في ضيفي لا تحملوني هم لان مصير الضيف يلزمه المحال من قبل ان منع
يوصل الى الضيف فعال اخبر الرجل جزاه اذا استجلبه المسئلة الثالثة الضيف هاهنا
قائم مقام الاضياف كما قام الطفل مقام الاطفال في قوله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا
ويجوز ان يكون الضيف مصدرا فاستغنى عن جمعه كما يقال رجال صوم وقوم عدل
ورجل رشد وفيه قولان الاول رشيد بمعنى مرشد اي يقول الحق ويرد هاوية الاوباش
عن اضيافي والثاني رشيد بمعنى مرشد والمعنى ليس فيكم رجل ارشده الله تعالى الى
الصلاح واسعده بالسداد والرشاد حتى يمنع من هذا الفعل القبيح الاول او لم يرفال
تعالى قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد الثاني ما لنا في بناتك من
حاجة ولا شهوة والمقدر ان من اصاح التي وكانه حصل له منه نوع حق فلهذا
السبب جعل نفي الحق كناية عن نفي الحاجة الثالث ان يجري اللفظ على ظاهره
فنقول معناه انه ليس لها ارواح ولا حق لها منهن البتة ولا تميل طبعا اليهن فكيف
فانهن بقيام العمل الحسن الذي انت الثاني بانك من حق فلا تدعوننا الى ما هو من اسرار الاثام
ونحن لا نحسك الى ذلك ولا يكون لها منهن حق بوجه تعالى حكى عن لوط انه قال لقوم
سمعوا هذا الكلام لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد وهذه مسائل المسئلة الاولى
جواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير لمنعتكم ولما تعذر في معلوم وذكر في معلوم قوله
تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال وقوله ولو يرى الذين ظلموا على العذاب قال الواحدي
وهذه الاقوال هاهنا افضل واولى لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من المنع والدفع ◉
المسئلة الثانية لو ان لي بكم قوة اي ان لي ما اتقوى به عليكم وبسببه موجب القوة من
جنود وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رابطة الخيل والمراد استعداد
وقال الحربي الركن العز في قومه وقوله او اوي الى ركن شديد والمراد منه الموضع

لحصن المنيع بشبهاله بالركن الشديد من الجبل فان قيل ما الوجه هاهنا في عطف
الاسم على الفعل قلنا قال صاحب الكشاف قرئ واوى بالنصب باضمار كانه قيل لوان لي
بكم قوة اوأوى واعلم ان قوله لوان لي بكم قوة والى ركن شديد لابد من حمل كل واحد من
هذين الكلامين على فائدة مستقلة وفيه وجوه الاول المراد بقوله لوان لي بكم قوة
كونه بنفسه قادرا على الدفع وبقوله اوأوى الى ركن شديد حصوله بمن يعينه على
الدفع والثاني المراد بقوله لوان لي بكم قوة تمكنه اما بنفسه واما بمعاونة غيره
على مقاومتهم ومحاربتهم والمراد بقوله اوأوى الى ركن شديد هو ان لا يكون له قدرة على الدفع
بل كفه تقدر على التحصن بحصن يأمن من شرهم بواسطته الثالث انه لما شاهد منهم
سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب بمعنى حصول قوة قوية على الدفع بل سدرك
على بغتة فقال بل الاولى ان اوى الى ركن شديد وهو الاعتصام بعاصمه الله تعالى
وعلى هذا التقدير نقول اوأوى الى ركن شديد كلام منفصل عما قبله ولا تعلق له
به وهذا الطريق لا يلزم عطف الفعل على الاسم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي لوط كان يأوي الى ركن شديد ثم **قوله تعالى** قالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك الى قوله الصبح بقرب ○ اعلم ان قوله تعالى مخبرا عن لوط عليه
السلام انه قال لوان لي بكم قوة اوأوى الى ركن شديد يدل على انه كان في غاية الغلو
والحزن بسبب اقدام اولئك الخبثاء على ما هو احد الفضيحة في حواصافه فلما رأت
الملائكة ذلك الحالة شرعوا بايصال من البشارات احدها انهم رسل الله وبانهم
ان الكفار لا يصلون الى ما هو اراده وثالثها ان الله تعالى يهلكهم ورابعها ان الله تعالى
يحبه مع اهله من ذلك العذاب وخامسها ان ركنه شديد وناصره هو الله تعالى
لما حصلت له هذه البشارات روى ان جبريل عليه السلام قال له انا رسل ربك
لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم فعند ذلك فتح الباب فدخلوا فضرب جبريل عليه السلام
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا الهدى ولا سوى ذلك
ودل قوله تعالى فقدرا وذلك على صفته فطمسنا اعينهم ومعنى قوله لن
يصلوا اليك بسوء ومكروه فانا نحول بينهم وبين ذلك فاسر بأهلك فسر انا مع
واسر كنه فاسر موصوله والباقون بقطع الالف وهما لغتان يقال اسريت واسريت

وأسريت وأسرى والحسان ﴿ أسرى ليلك ولم تكن تسري ﴾

بجا باللغتين فمن قرأ بقطع الالف فحجته قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من
ومن وصل فحجته قوله والليل اذا يسر والسرى سير الليل والنهار يقال اسرى يسري
اذا سار بالليل واسرى لغتان اذا سرنا بالليل والقطع من الليل بعضه وهو صل القطع
يريد ارحوا اليه لتتبعوا اوائل العذاب الذي موعده الصبح قال نافع بن الازرق
لعبد الله بن عباس اخبرني عن قول الله تقطع من الليل وقال الاخرون نصف الليل ما هو في ذلك
الوقت قطع بعضهم عن بعض قال ولا يلتفت منكم احد هي من معه عن الالتفات ومنه وسحان
قال اللغات نظر الانسان الى ما وراءه والمراد ان الظاهر انه ما كان لهم في الليل اموال
والمشي عاصدقا فالملائكة امروهم بان يخرجوا ويتركوا الليل لا شيئا وله يلتفتوا اليها
وكان المراد منه قطع تعلق القلب عن ذلك الاشياء وقد يراد منه الانصراف الصالح وله
تعالى قالوا احبسنا لنلتفت اي لنصرفها وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله ولا يلتفت منكم
احد النهي عن التخلف قال امرأتك ﴿ ان ابن كثير وابو عمرو وابو امرأتك بالرفع والباقون
بالنصب قال ﴿ لو احدى من نصبه وهو الاختيار فقد جعلها مستثناة من الاهل على معنى فاسر
باهلك الا امرأتك الذي يصحح نصبه هذه القراءة ان في قراءة عبد الله فاسر باهلك الا امرأتك
واسقط قوله ولا يلتفت منكم احد من هذا الموضع واما الذين رفعوا فالتقدير ولا يلتفت
منكم احد الا امرأتك فان قيل لم خص هذه المرأة بوصايا امرت بالتعجيل في العمل
اذا قال لا يقم منكم احد لا زيد فان ذلك امر لزيد بالقيام واحاد ﴿ لو يكن
الانباري عنه فعال معنى هاهنا الاستثناء المنقطع على معنى لا يلتفت منكم احد لكن
امرأتك يلتفت منكم احد منصبها ما اصابهم اذا كان هذا الاستثناء منقطعا كان
التفاتها معصية وساكد عذابا ذكر بما روي عن ابن عباس انه قال انها كانت مع لوط حتى خرج
من القرية فلما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت يا قوماه فاصابها حجر فاهلكها
واعلم ان القراءة بالرفع اقوى لان القراءة بالنصب تسمح من خرج منهم من اهله الا على
هذا التقدير الاستثناء يكون من الاهل كانه امر لوط بان يخرج باهله ويدل هذه القراءة
فانها هالكة مع الهالكين واما القراءة بالنصب فانها اقوى من وجه اخر وذلك ان مع
القراءة بالنصب يبقى الاستثناء متصلا ومع القراءة بالرفع يصير الاستثناء منقطعا ثم من

الله تعالى انهم قالوا انه نصيبها ما اصابهم والمراد انه نصيبها ذلك العذاب الذي اصابهم
ثم قالوا ان موعدهم الصبح وروي انهم لما قالوا للوط ان موعدهم الصبح قال اريد اعجل
من ذلك لسرعة مفاقلوا اليس الصبح بقريب قال المفسرون ان لوطا عليه السلام لما
لما سمع هذا الكلام خرج باهله في الليل **قوله تعالى** فلما جاء امرنا جعلنا
عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من
الظالمين ببعيد هو في الامر مسائل المسئلة الاولى في الامر وجهان الاول
ان يعطف الامر جعلنا في هذا المعنى مجازي عن دفعا لاسراك الثاني الامر لا يمكن
حمله ههنا على العذاب وذلك لانه تعالى قال فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وهذا الجعل هو العذاب فقد دل الاول على ان هذا الامر مشروط والجزاء هو العذاب
والشرط غير الجزاء فهذا الامر غير العذاب وكل من قال لغيره افعل كذا فانه هو الامر الذي هو
ضد النهي والمتكلم تعالى قال لهذه الآلهة انا ارسلنا الى قوم لوط فدل هذا على انهم
كانوا مامورين من عند الله تعالى بالذهاب الى قوم لوط وبايصال هذا العذاب اليهم
اذا عرفت هذا نقول انه تعالى امر جمعا من الملائكة بان يحملوا تلك
المدائن في وقت معين فلما جاء ذلك الوقت قاموا على ذلك العمل فكان قوله فلما جاء
امرنا اشارة الى ذلك التكليف فان قيل لو كان الامر لوجبان يقال فلما جاء امرنا
جعلوا عاليها سافلها قلنا ذلك العمل صدر عن الملائكة بامر الله تعالى فلهذا السبب
هذهنا ذكر العمل من العبد بفعل الله تعالى عبدا وايصال الذي وقع صنعهم فيه
بامر الله وبامر قدرته لم يسند افعاله الى الله لان العمل كما يحسن اضافته الى المباشر
فقد يحسن ايضا اضافته الى المتسبب القول الثاني ان يكون المراد ههنا هو
المذكور في قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقد تقدم تفسير
هذا الامر القول الثالث ان يكون المراد من الامر العذاب وعلى هذا التقدير
يحتاج الى الاضمار والمعنى فلما وقت عذابنا جعلنا عاليها سافلها المسئلة
الثانية اعلم ان ذلك العذاب بدوصفه الله تعالى في هذه الآية بوصفين الاول
قوله تعالى جعلنا عاليها سافلها روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه الواحد
تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب

الكلاب وصياح الديوك لم يسكن لهم حس ولم يسمعوا لهم أنيناً فقلبها دفعة واحدة وضربها
على الارض واعلم ان هذا العمل كان معجزة قاهرة من وجهين احدهما ان بلع الارض
واصعادها الى قرار السما بعلما ما ذن للعادة والثاني ضربها مرة الى البعد البعيد
على الارض بحيث لم يحرك بانوا القرى المحيطة بها البتة ولم تصل الاية الى لوط واهله مع
قربهم منها مرة اخرى معجزة قاهرة اما الثاني فلقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
واختلفوا في السجيل على وجوه الاول انه فارسي معرب واصله سنك وكيد
وكانه شيء مركب من الحجر والطين بشرط ان يكون في غاية الصلابة قال الازهري لما عربته
العرب صار تعريبه دقيقاً عربتهم وفاكهتهم كالدساح والديوان والاستبرق والسجيل
والثاني سجيل اي مسل السجيل وهو الدلو العظيمة والثالث سجيل اي شديد من الحجارة
والرابع مرسلة عليهم من سجلته اذا ارسلته وهو فعيل منه كالخاسر والسجلة
اي اعطيته كقوله مثل العطية في الاداء وقد ذكر عليها اسامي المعدين هو
السفاذين هو مسل السجيل وهو الكتاب معدين من مكتوب في السجيل اي كتب الله ان
يعذبهم فعال والسجيل لسدين من السجيل وهو الدلو العظيمة لانه يصمن احجاماً كثيرة وقيل
ماخوذ من السجلة لانه يصمن وهو الماخوذ الثالث من سجن اي من جهنم بدليل الوزن
لانها والنار من السما الدنيا وسمي سجيلاً على ان يرد الرابع السجيل الطين لقوله تعالى حجارة
من طين وهو قول عكرمة وعطاء قال الحسن كان اصل الحجر هو الطين الا انه صلب بمرور الزمان
والعاشر سجيل موضع الجبال وهو حبال مخصوصة ومنه قوله تعالى من جبال فيها
من برد واعلم انه تعالى وصف الله الحجارة بصفات فالصفة الاولى قوله منضود قال الواحدي هو مفعول من النضد وهو وضع الشيء
بعضه على بعض ومنه وجوه الاول ان الله الحجارة كان بعضها فوق بعض حتى
اهوى بها على سبيل المتابعة والثاني ان كل حجر كان مدخراً لاجرام منضود بعضها بعض
ومنضود بعضها مع بعض والثالث انه تعالى كان قد جعلها في معادها ومصدر بعضها
فوق البعض واعلم انا هلاك الظلمة واعلم ان قوله منضود صفة للسجيل
الصفة الثالثة مسومة وهذه الصفة صفة الاحجار ومعناها المعلمة وقد
مضى الكلام فيه في تفسير قوله والخيل المسومة واختلفوا في انه هل كان العلامة

على وجوه الاول قال الحسن والسدى كان عليها امثال الحواسم المائى قال وصالح وانه منها
عليه السلام وهى حجارة فيها خطوط احمر على هيئة الجزع الثانى قال ابن جريج كان عليها
سيما لا تشاكل حجارة الارض وهذا على انه تعالى انما خلقها للعذاب الرابع قال الربيع
مكتوب على كل حجر اسم من رمى به ثم قال تعالى عند ربك اى فى خزانته التى لا يقدر على منعها
الا هو ثم قال تعالى وما هى من الظالمين ببعيد اى بعيدة عن كل ظالم كما انها بعيدة عن
رحمتهم ثم انه قال سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن هذا فقال
يعنى عن ظالمى امتك ما من ظالم منهم الا وهو يعرض حجر يسقط عليه من سلعه الى سابعه
وقتل الصعب فى قوله وما هى للقرى الذى ورد انها لكل القرى التى وقعت فيها هذه الواقعة
من كفار مكة بعدك وذلك لان بكل القرى كفارات فى الشام وهى قريبة من مكة
قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا الى قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
ولا تنقصوا المكيال والميزان الى قوله وما انا عليكم بحفيظ اعلم ان هذا هو القصة السادسة
من القصص المذكورة فى هذه السورة واعلم ان مدين اسم لابن ابراهيم صار اسما للقبيلة
وكثير من المفسرين يذهبون الى ان مدين اسم مدينة سماها مدين ابن ابراهيم والمعنى على هذا
التقدير وارسلنا الى اهل مدين اخاهم محمدا فى الاهل واعلم انا بينا ان الانبياء عليهم السلام شرعوا
فى اول الامر بالدعوة الى التوحيد ولهذا قال شعيب عليه السلام ما لكم من اله غيره ثم انهم بعد
الدعوة الى التوحيد شرعوا فى الامر بالاحكام وكان المعصى من اهل مدين التطفيف فى المكيال
والميزان فدعاهم الى ترك هذه العادة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص منه
على وجهين احدهما ان يكون الانقاص من كيلهم ينقصون من قدرهم والاخر ان يكون لهم
الاستيفاء فيكونون قاصدين الزيادة من الواجب وذلك يوجب نقصان الغير فهو العصيان
حصل النقصان فى حق الحرم فقال انى اراكم بخير وفيه وجهان الاول
انه حذرهم عن غلاء السعر وزوال النعمة ان لم يتوبوا فكأنه قال اتركوا هذا التطفيف
ولا ازال انعم عليكم ما حصل عندكم من الخير والراحة والثانى ان يكون التقدير انه تعالى انما كثر
بالخير الكثير والمال والرخص والسعة فلا صاحبه الى هذا التطفيف ثم قال انى اخاف
عليكم عذاب يوم محيط وفيه الحاب الاول قال الزجاج انما خاف على اهله
حصول عذاب يوم محيط وقال اخرون بل المراد هو الخوف لانه يجوز ان يريد الله العمل بمثله

حصل

يحصل ذلك العذاب فلما كان هذا التحذير قائما فالحاصل هو القطع لا العلم الخامس الثاني
انه تعالى لو علم بعذاب يحيط بهم بحيث لا يخرج منه واحد من صنفه العذاب لدل على محال
مشهور لقوله هذا يوم عصيب الخامس السابع احتجوا في المراد بهذا العذاب بقال
بعضهم عذاب يوم القيامة لانه اليوم الذي يحصل باحاطة العذاب بالمعذبين وقال
بعضهم بل يدخل فيه الدنيا والاخرة وقال بعضهم بل المراد عذاب الاستيصال في الدنيا
كما في حق سائر الامم والاقرب دخول كل عذاب فيه واحاطة العذاب بهم كاحاطة
النار بمن في داخلها فسالهم من كل وجه وذلك مبالغة في الوعيد كقوله واحيط
بثمره ثم قال ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط فان قيل وقع التكرير
في هذه الامة من ثلاثة اوجه لانه قال اولا ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال اوفوا
المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا غير ما تقدم
فما الفائدة في هذا التكرير قلنا ان فيه وجوه الاول ان القوم كانوا مصرين على
ذلك العمل اجمع فنهوا في المنع منه الى المبالغة والتاكيد والتكرير يفيد التكرير
التاكيد وسئل العتابي عن الاهتمام والباقي ان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان هي
عن التنقيص وقوله واوفوا المكيال امر بانتفاء العدل والنهي عن ضد الشيء معاير
للامر به وليس لقائل ان يقول النهي ضد الشيء وكان التكرير لازما من هذا الوجه
لانا نقول الجواب من وجهين الاول انه تعالى جمع بين الامر بالشيء وبين النهي عن ضد المنافي
كما تقول صل فرائضك ولا تقطعها فقد لهذا الجمع على غاية التاكيد الثاني ان نقول
لا نسلم ان الامر كما ذكرتم لانه يجوز ان يكون نهيا عن التنقيص ونهيا ايضا عن اصل المعاملة
فهو ايضا منع من التنقيص وامرا بانتفاء الحق ليدل ذلك على انه تعالى لم يمنع من المعاملات
ولم يمنع عن المبايعات وانما منع عن التطفيف ومنع الحقوق فجعلت المبايعات
محرمة بالكلية فلاجل ابطال هذا المحال انه تعالى في الاية الاولى منع من التنقيص
وفي الثانية امر بالانتفاء واما قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بمكرر
لانه تعالى خص المنع في الاية السابقة بالتنقيص في المكيال والميزان فلو انه تعالى
عمم الحكم في جميع الاشياء فظهر بهذا البيان انه غير مكرر بل في كل واحد منهما
فائدة زائدة والوجه الثالث انه تعالى في الاية الاولى قال ولا تنقصوا المكيال

والميزان وفي اللغة قالوا وفوا المكيال والميزان والانتفاء عبارة عن الاتيان به على سبل
الكمال والتمام لا يحصل ذلك الا اذا اعطى قدرا زائدا على الحق ولهذا المعنى
قال بعضهم انه تعالى امر بغسل الوجه وقد دل لا يحصل الا بعد غسل جزء من
احوا الراس فالحاصل انه تعالى في الاية الاولى نهى عن النقصان وفي الاخرى نهى
امرا عطا قدر من الزيادة وكانه تعالى نهى اولا عن سعي الانسان في ان يحصل مالا عن
ناقصا ليحصل له ذلك الزيادة وفي اللغة امران يسعى في بعض ما لا يسعه ليخرج بالبعض
عن العهدة وقوله بالقسط يعني بالعدل ومعناه الامر بانا الحق بحيث يحصل
معه القين بالخروج عن العهدة فالامر بانا الزاي على ذلك معنى حاصل ثم قال
ولا تبخسوا الناس اشياءهم والبخس هو النقص وقد ذكرنا ان الاية الاولى دلت على المنع من النقص في كل الاشياء فكذلك
في المكيال والميزان وهذه الاية دلت على المنع من النقص في كل الاشياء فكذلك
ولا تعثوا في الارض مفسدين فان قيل العيث الفساد التام بقوله ولا تعثوا في
الارض مفسدين جاز ان يجري ان يقال ولا تعثوا في الارض مفسدين قلنا فيه وجهان
الاول ان من سعى في ايصال الضرر الى الغير فقد جاء ذلك الغير على السعي في ايصال
الضرر اليه فقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين معناه ولا تسعوا في فساد
مصالح الغير فان ذلك في الحقيقة سعي منكم في فساد مصالح انفسكم والثاني ان
يكون المعنى ولا تعثوا في الارض مفسدين بسبب مصالح دينكم وامركم والثالث
ولا تعثوا في الارض مفسدين بعد مصالح الاديان والشرايع ثم قال بقية الله
خير لكم قرى بقية الله بمعنى طاعة الله بمعنى ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف
بمعنى المال الحلال الذي يبقى عليكم خير لكم من المال الحاصل بطريق البخس والتطفيف
وقال الحسن بقية الله اي طاعة الله خير لكم من كل المال القليل الا ان ثواب الطاعة يبقى
ابدا وقال عطاء حظكم من ربكم خير لكم وامول المراد من هذه البقية اما المال الحلال
الذي يبقى عليه في الدنيا واما ثواب الله واما كونه تعالى واصيا منه والكل خير من
قشر التطفيف اما المال الباقي فلان الناس اذا عرفوا انسانا بالصدق والامانة
والبعد عن الخيانة اعتمدوا عليه فيرجعوا في كل المعاملات الله فيفتح عليه باب

الرزق

الزور وشهادة الزور والمكاسب وغيرها ولم يحالطوا البتة فضيق الواو الراوي عليه
واما ان جعلناها للعقبة على الثواب فالامر ظاهر لان اهل الدنيا نعمى وستعرض
وثواب الله باقي واما ان جعلناه على رضى الله فالامر فيه ظاهر وقد ثبت بهذا البرهان ان
بعده الله خير لهم قال ان كنتم مومنين واما شرط الايمان في كونه خيرا لهم
لانهم ان كانوا مومنين مقرين بالثواب والعقاب عرفوا ان السعي في تحصيل الثواب
وفي تحذير من العقاب خير لهم من السعي في تحصيل تلك العلل واعلم ان الحكم بالشرط
عدم عند عدم الشرط فهذه الاية قد تبطاهر بها على ان من لم يحذر عن هذا التطفيف
فانه لا يكون مومنا ثم قال وما انا عليكم بحفيظ وفيه وجهان الاول ان
يكون المعنى اني لست محتكم وارشدكم الى الخير وما انا عليكم بحفيظ اي لا قدرة لي على منعكم
عن هذا العمل القبيح الثاني انه قد اشار فيما تقدم الى الاستعانة بالنحس والتطفيف
يوجب زوال النعم الله عنكم وانا لا اقدر على حفظ النعم عليكم في مثل الحالة والله اعلم

قوله تعالى قالوا اشعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا
ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد وفي الاية مسائل المسئلة الاولى في امره والكلام
عن عاصم اصلاتك بغير واو واما قوله اصلواتك على الجمع المسئلة الثانية اعلم ان شعيبا
صلوات الله عليه امرهم بشيئين بالتوحيد وبترك النحس فالقوم اذكروا عليه امرين
بحدين التوعين من الطاعة وقولهم ان نترك ما يعبد اباؤنا اشارة الى انه امرهم بالتوحيد
وقولهم او ان نفعل في اموالنا ما نشاء اشارة الى انه امرهم بترك النحس لما الاول
فقد اشاروا فيه الى التمسك بطريقة التقليد لانهم استبعدوا منه ان يامرهم بترك عمل ما
كان يعبدها اباهم يعني الطريقة التي احداها من اباء واسلافهم فلتف بتركها واما ترك
مسك النحس التقليد المسئلة الثالثة في اعط الصلاة ها هنا قولان الاول المراد منه
الدين والايمان لان الصلاة اظهر شعائر الدين فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين والقول
اصل الصلوة من الاتباع ومنه احد المصلي من الخيل لان راسه تكون على صلوي الثاني
وهنا ناجيتك المحذرين والمراد ذلك امرك واما الذي اراد منه هذه الاعمال المحمودة
روي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوة وكان قومه اذا راوه يصلي
تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك امرك السخرية والهزؤ كما

وكما انك اذا رأيت معتوها يطالع كتابا فقال له هذا من مطالعة الكتب
على سبيل الهزء فكذا ههنا فان قيل تقدير الآية اصلوا لك يامركل ان يفعل في اموالنا
ما يشاء وهم انما ذكروا هذا الكلام على سبيل الاستخفاف وهم ما كانوا يعترفون
بكونهم ماعلى في اموالهم ما يشاؤن فكيف وجه اتيانهم بقل فالجواب هذا وجه الاول
التقدير اصلوا لك يامركل ان يأمرنا ان نفعل ما يشاء وعلى هذا القول قوله اموالنا
نفعل معطوف على ما في قوله ما نشاء وما والمعنى ان يجعل الصلاة امرا بهذه والتقدير
اصلوا لك يامركل ان يأمرنا ان نفعل في اموالنا ما يشاء وقرأ ابن كثير
عليه اموالنا نفعل في اموالنا ما نشاء التفاتا من الخطاب فيهما وما هو ما كان يأمرهم من
ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير قال
تعالى حكاية عنهم انك لانت الحليم الرشيد وجه الاول ان يكون المعنى
انك لانت السفيه الجاهل لانهم عكسوا ذلك على سبيل الاستهزاء كما يقال
للبخيل الخسيس لو اراك حاتم لسجد لك وانما ان يكون الرجل موصوفا عند نفسك وعند
قومك بالحلم والرشد والوجه الثالث انه عليه السلام كان مشهورا عندهم
بانه حليم رشيد فلما امرهم بمفارقة طريقتهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد المعروف
الطريقة فكيف تنهانا عما عرفت من آبائنا واسلافنا والمقصود
استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفا بالحلم والرشد وهذا الوجه اسوء
الوجوه **قوله تعالى** قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا
الى قوله رحيم ودود وفي الآية مسائل **المسألة** الاولى اعلم ان الله تعالى حكى عن شعيب
عليه السلام ما ذكره في الجواب عن كلماتهم فالاول قوله ارأيتم ان كنت على بينة من ربي
ورزقني منه رزقا حسنا وجه الاول ان قوله ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما
اتاه الله من العلم والهداية والدين والنبوة وقوله ورزقني منه رزقا حسنا اشارة
الى ما اتاه الله من المال الحلال فانه روي ان شعيبا عليه السلام كان كثير المال واعلم
ان جواب هذا الشرط محذوف والتقدير انه تعالى لما اتاني جميع السعادات الروحانية
وهي النبوة والسعادات الجسمانية وهي المال الواسع الحسن فهل يسعني مع هذا
الانعام العظيم ان اخون في وحيه وان اضله في امره ونهيه وهذا الجواب

سديدا المطابقة لما تقدم وذلك لانهم قالوا انك لا تأمر الا بالحلم والرشد فكيف يليق بك مع حلمك
ورشدك ان تعاقبنا عن ذنب لم نأته وكانه قال انما اقدمت على هذا العمل لان نعم الله تعالى
عندي كثيرة وهو امرني بهذا التبليغ والرسالة فكيف يليق بي مع كثرة نعم الله تعالى علي
ان اخالف امره وتكليفه الى ان يكون التقدير كانه تعالى لما امتنع الاشتغال
بالمخالفة امره ونهيه والاشتغال بالبحر والتطفيف على سبيل التهكم انا رجل لا احتاج الى اموالكم
لغناي عن الله والاشتغال بالبحر والتطفيف على سبيل التهكم انا رجل لا احتاج الى اموالكم
لاحظ ان الله اتاني رزقا حسنا فجعل يسعى في هذه الاحوال ان احسن في دين الله تعالى
وحكمه الثالث ان قوله اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها من المعجز وقوله
واتانا من عنده رزقا حسنا المراد انه لا يسألهم اجرا ولا جعالة وهو الذي ذكره سائر
الانبياء من قولهم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على رب العالمين المسئلة الثانية
قوله ورزقني منه رزقا حسنا يدل على ان الرزق قد يحصل من عند الله وقد لا يكون
وانه لا مدخل للكسب فيه وفيه رد على المعتزلة في قولهم الرزق ما يصح ان يملكه الانسان
كان الكل من الله واما الذي يحالفكم ولا اخرج سوادكم واما اكون
على تقرير دين الله تعالى وايصاح شرائع الله واما الوجه الثاني من الاجوبة
التي ذكرها شعيب قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال اصحاب المعاني
يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصدني وانت مول عنه وخالفني عنه اذا وليته
وتلك الرذيلة صادرة عن المأمور به اذا ولى عنه وتلك الرذيلة صادرة عن المأمور به
مسألة عن صاحبه يقول خالفني الى المأمور به فقد ذهبت اليه وارد واذا ذهبت
عنه صادرا عنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني لا استعمل
الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم فهذا بيان للنفي
الكلام فصار المعنى عند هذا بيان الجواب على الوجه الثاني وهو ان
العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام قال
لهم لما اعرفتم بكمال عقلي ما علمتم انه الذي احسان لنفسي لا بد وان يكون اصوب
الطرق واصلحها وانا ادعوكم الى توحيد الله وترك البخس والنقصان وهو حاصل لها
الى حد من التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وانا مواظب عليهما غير تارك
لهما فاي شيء من الاحوال التي بكم لي ان اتحلم والرشد تروني اذا تركت هذه الطريقة

اعترفتم به

فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق واشرف الاديان والشرايع واما الوجه الثالث
من الوجوه التي ذكرها شعيب هو قوله ان اريد الا الاصلاح ما استطعت والمعنى ما
ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصحي وقوله ما استطعت فيه وجوه الاول انه ظرف
والمقدر مدة استطاعتي للاصلاح ومادمت متمكنا منه لا الوقت حصدا والثاني
انه بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعت منه والثالث ان يكون مفعولا
له اي ما اريد الا ان اريد ما استطعت اصلاحه اعلم ان المقصود من هذا الكلام
ان القوم كانوا قد اقروا له بانه حليم رشيد وانما اقروا له بذلك لان كان
مشهورا فيما بين الخلق بهذه الصفة وكانه عليه السلام قال لهم انكم تعرفون من
حالي اني لا اسعى الا في الاصلاح وازالة الفساد والخصومة فلما امرتكم بالتوحيد
وترك ايذاء الناس فاعلموا انه ذنب حرمانه ليس عرضي منه ايقاع الخصومة وانما
انفسه فانكم تعرفون اني بعض ذلك الطريق ولا ادعو الا على ما يوجب السلم والصلاح
بعد بطاقتي وذلك هو الايلاغ والانذار واما الاجبار على الطاعة فلا اقدر عليه
ثم انه عليه السلام اكد ذلك الكلام بقوله وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه
انيب وبين بهذا ان توكله على الله واعتماده في جميع الاعمال الصالحة على توفيق الله
وهداه لان قوله عليه توكلت بعد الجر وهو انه لا سبيل الا لسان ان يتوكل
على احد الا على الله وكيف وكل ما سوى الحق سبحانه ممكن لذاته فاني بذاته ولا حصول
الا باعاده وبحوسه واذا كان كذلك لم يجز التوكل الا عليه واعظم مراتب
معرفة المبدء هو الذي ذكرناه واما قوله واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد
وهو ايضا بعيد للحصر لان قوله والله اشهد على انه لا ماب للخلق الا الله ومن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر شعيبا عليه السلام قال ذاك خطيب الانبياء
لحسن مراجعته قومه واما الوجه الرابع من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلم
فهو قوله يا قوم لا يجرمنكم شقاقي قال صاحب الكشاف جرم مثل كسب
في تعديه بان الى مفعول واحد وحري الى مفعولين يقال جرم ذنبا وكسبه
اياه ومنه قوله لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبكم شقاقي اصابة العذاب
وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرم منه ذنبا اذا جعله جارما له اي كاسبا وهو منقول

من جرم

من حرم المتعدى لمفعول واحد وعلى هذا فلا فرق بين هذه وبين ما قبلها والفرقان
مستويان في المعنى لا تفاوت بينهما الا في ان المستعمل افصح لفظا كما ان نسبة مالا
افصح من استبقاه اعرفت هذا فقوله المراد من لا يمكنكم معادا تكم
اياي ان يصيبكم عذاب الاستيصال في الدنيا مثل ما حصل لقوم نوح من الغرق
ولقوم هود من الريح ولقوم صالح من الرجفة ولقوم لوط من الخسف واما قوله
وما قوم لوط منكم ببعيد وقوله وجعلنا اولا ان المراد بنفي البعد في المكان
اذ بلاد قوم لوط قريبة من مدين والثاني نفي البعد في الزمان اذ اهلاك قوم لوط
اقرب الاهلاك الى عهدها الناس في زمان شعيب وعلى التقديرين فان القرب في المكان
وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الاحوال فكانه يقول اعتبروا
باحوالهم واحذروا من مخالفة الله وما ذا عند حتى لا يصيبكم مثل ما اصاب اولئك الاقوام
وما قوم لوط منكم ببعيد فكان الواجب ان يقال ببعيد بل احاد صاحب الكشاف
من وجهين الاول ان يكون المقدر ما اهلاكهم شيء ببعيد الثاني يجوز ان يقول
يستوي في قرب وبعيد وكثير وقليل بل المذكر والمؤنث لورودهما على زنة المصادر
التي هي كالصهيل والنهيق ونحوهما واما الوجه الخامس من الوجوه التي ذكرها
شعيب عليه السلام فهو قوله واستغفروا ربكم عن عبادة الاوثان ثم توبوا اليه
عن التخلف والعصيان ان ربي رحيم اوليا به ودود قال ابو بكر الانباري الودود
فاسما الله تعالى المحب لعباده من قولهم وددت الرجل اوده وداد وقال الازهري
في كتاب شرح اسماء الله ويجوز ان يكون ودود بمعنى مفعول كقولهم
حلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه
على الخلق واعلم ان هذا الترتيب الذي راعاه شعيب عليه السلام في ذكر هذه الوجوه
الخمسة ترتيب طبيعي دلالة من اول الامر ان طهور لبيبه له وكثرة انعام الله عليه
في الظاهر والباطن يمنعه من الخيانة في وحي الله وتصلح من المساهلة في طاعته
ثم من يأس انه مواظب على العمل يصلح الدعوة ولو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع
اعترافكم بعقوبته طمعا وشيدا ثم من يحبه يطرق اجره وهو انه ان معروفا
يتحصل من موجبات الصلح والصلاح واحتمالا موجبات الغفر فلو كانت هذه الدعوة

بطلانه لما استدل بها ثم لما بين صحة طريقته اشار الى نفي المعارض وقال لا يسعني ان
يحملكم عداوتي على مذهب ودين يتعون بسببه في العذاب الشديد من الله كما وقع
فيه اقوام الانبياء المتقدمين ثم لما صحح مذهبه نفسه بهذه الدلائل عاد الى تقرير
ما ذكره اولا وهو التوحيد والمنع من الكفر واشار الى التوحيد بقوله واستغفروا
والى المنع من الكفر بقولهم توبوا اليه ثم بين لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم
لا يسعهم من الايمان والطاعة لانه تعالى رحيم ودود يقبل الايمان والتوبة
من الكافر والعاصي لان رحمته لعباده وحبه لهم كوجوب الله وهذا التقرير في
غاية الكمال **قوله تعالى** قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا
لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز اعلم انه عليه السلام
لما بالغ في التقرير والبيان اجابوه بكلمات فاسدة فالاول قولهم ياشعيب ما نفقه
كثيرا مما تقول وفيه مسائل المسألة الاولى يقال ان نقول انه عليه السلام
كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه والعلماء ذكروا عنها نوعا من الجوابات
فالاول ان المراد ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يفقهون الله افهامهم
لشدة نفورهم عن كلامه وهو كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا الثاني انهم وهبوا قلبا كمنهم مالغا موالة وزنا فدحروا هذا
الكلام على وجه الاستهانة كما تقول للرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه
ما ادري ما تقول الثالث ان هذه الدلائل التي بها افحمهم في صحة التوحيد
والنبوة والبعث ملجمة من تمكن الطلم والمروءة **قوله** لانهمه الى لم نعرف صحة
الدلائل التي ذكرتها على صحة هذه المطالب المسألة الثامنة من الناس من قال
الفقه اسم لعلم مخصوص وهو معرفة غرض المتكلم من كلامه واحتجوا
على انه وضع قوله ما نفقه كثيرا مما تقول فاصاروا الفقه الى القول ثم صار اسما
لنوع معين من علوم الدين ومنهم من قال انه اسم لمطلق العلم تعالى او في فلانا فقيها
في الدين اي فهما وقال عليه السلام وفقهه في الدين اي افهمه تاويله والنوع
الثاني من الانبياء التي ذكرها قولهم وانا لنراك فينا ضعيفا وفيه وجهان
الاول انه الضعيف الذي يعذر عليه منع القوم من نفسه والثاني الضعيف

هو الاعمى

الاعمى بلغه حمدوا علم ان هذا القول ضعيف لوجوه الاول انه ترك الظاهر
من غير دليل والثاني ان قوله فساسطل هذا الوجه الاخير كما انه قال انا لنراك اعمى نبا
كان فاسدا لان الاعمى فيهم وفي عدهم اليالتهم قالوا انعدد لك ولو لا
هطل لرحمال ممنوعين العود التي انتهائي رهطه ولما كان المراد بالعود
الى اشوها الرهط عن النصر وجاز ان يكون العود التي نفوها عن النصر والدين
حملوا الهبوط على ضعف النصر لعلمهم بما حملوه عليه لانه سبب الضعف واعلم ان
اصحابنا يجوزون العمى على الانبياء ان هذا الهبوط لا يمنع الاستدلال به في ايمان
هذا المعنى لما بيناه واما المعتزلة فقد اختلفوا فمنهم من قال لا يجوز ان يكون بهم عمى
فانه لا يمكنه الاحتراز عن النجاسات فانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من
النبوة كان اولى والكلام فيه لا يليق بهذه الآية لما بينا ان الآية لا دلالة فيها على هذا
المعنى النوع الثالث من الاشياء التي ذكروها قولهم ولا رهطك يحنا كل وفيه مسائل
المسألة الاولى اصل الكشاف الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة
وقد كان رهطه على ملتهم فقالوا لولا رهطك عندنا لسبب كونهم على ملتنا لرحمال
والمقصود انهم سووا انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه لاجل
اجوامر هبطه المسألة الثانية الرجم في اللغة عبارة عن الرمي وذلك قد يكون بالحجارة
عند فصل العقل ولما كان الرجم سببا للقتل لا جرم سموا القتل رجما وقد يكون
بالقول الذي هو القذف كقوله وحيا بالغيب ومقوله ولعد منون بالعشر يكان
بعيد وقد يكون بالشتم واللعن ومنه قوله الشيطان الرجيم وقد يكون بالطرد
كقوله رجوما للشياطين اذا قرفت هذا معنى الآية وحيان الحول لرحمال
لعلماك والاي لشتمناك ولطعنا على النوع الرابع من الاشياء التي ذكروها
قولهم وما انت علينا بعزيز ومعناه انك لما لم تكن عزيزا سهل علينا الاقدام على
ايذائك واعلم ان كل هذه الوجوه التي ذكروها للطعن فيما قرر به شعيب عليه السلام من
الدلائل والبينات كلها هي جارية مجرى معارضة الدليل والحجة بالشتم والسفاهة

قوله تعالى قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله الى قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا
اعلم ان الكفار لما خوفوا شعيبا بالقتل والايذاء على الله تعالى ما ذكره في

هذا المقام وهو نوعان من الكلام فالنوع الاول قوله يا قوم ارهطي اعز عليكم
من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط والمعنى ان القوم رعموا انهم
تركوا ايذاءه رعاية لحانب قومه فقال انتم ترعون انكم تتركون ذلك اكراما لرهطي
والله تعالى اولى ان يتبع امره من كانه يقول حفظكم اياي رعايه لكم من الله اولى من
حفظكم اياي رعايه لقومي رهطي واما قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا فالمعنى
انكم نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعباء به قال صاحب
الكشاف والظهري منسوب الى الظهر والكسر من لغوات النسب وتظن قولهم
في النسبة الى الامس امسي بكسر الهمزة وقوله ان ربي بما تعملون محيط يعني
انه عالم بجميع اعمالكم فلا يخفى عليه شيء منها والنوع الثاني قوله ويا قوم اعملوا
على مكانتكم اني عامل والمكانة الحالة التي يتمكن صاحبها من عمله والمعنى
اعملوا ما دمتم على حالتكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة وكل ما في وسعكم
وطاقتكم من اصابة الرشد الى فاني اصابر على عملي بعد ما اتاني الله من العلم ثم قال
سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وهذا يحتمل مسائل المسئلة الاولى
لقائل ان يقول لم لم يقل فسوف تعلمون فالجواب اذا دخل الفاء وسط ظاهر يحرف
موضوع للوصل واما حذف الفاء فانه يحعله جوابا عن سؤال مقدر والتقدير انه
لما قال ويا قوم اعملوا على مكانتكم لقائل ان يقول فماذا يكون بعد
ذلك وقال سوف تعلمون وظهر ان حذف حرف الفاء ها هنا اكمل في باب الفصاحة
والبلاغة المسئلة الثانية قال اعملوا على مكانتكم وقيل اعملوا على تمكنكم
ان جعلتم مكانا بمعنى مستطر وان جعلتم بمعنى الرافعة من رفعته كالصرم والصرمة بمعنى
القطع والصارم والصارم او بمعنى الرافعة كالعشر والبدن بمعنى العاشر والمناحر
او بمعنى الرفعة كالعمر والرفع بمعنى المعقر والمربع قوله تعالى
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا الآية قصة روى الكلبي عن ابن عباس قال لم يعذب
الله تعالى امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاحذتهم
الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم وقوله ولما جاء امرنا نجينا
ان يكون المراد منه ولما جاء وقت امرنا بالعذاب ملائما لما عليه الصيحة ويحتمل ان يكون
المراد

المراد من الامر العذاب وعلى التقدير فاجرا الله تعالى نجى شعيبا ومن معه من المؤمنين برحمة
منه ولطف وحسان الاول انه تعالى انما خلصه من ذلك العذاب بمحض رحمته فيهما
على ان كل ما يصل الى العبد فليس الا بفضل الله ورحمته والثاني يكون المراد من الرحمة
الايمان والطاعة وسائر الاعمال الصالحة وهي انما حصلت لا بموهبة الله تعالى ووصف
شعيب ذلك العذاب بصفات احدها انه الذين ظلموا الصيحة والثاني انه الذي
السابق وهي صيحة جبريل عليه السلام فاصبحوا في ديارهم جاثمين والجاثم اللازم لمكانه
الذي لا يحول عنه يعني ان جبريل عليه السلام لما صاح بهم هلك الصيحة وزهقت روح كل
واحد منهم وهي في مكانه مستكان لم يتحولوا عنها اي كانوا لم يعمروا في ديارهم
احياء مصرين مهددين قال تعالى الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وقد تقدم تفسير
هذه اللفظة وانما قال في حالهم على ثمود لما ذكرنا انه تعالى عذبهم بمثل عذاب ثمود

قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى قوله ونبس الرشيد بفؤاده

اعلم ان هذا هو القصة السابعة من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة
وهي آخر قصص هذه السورة اما قوله بآياتنا وسلطان مبين فيحتمل وجوها الاول
ان المراد من الآيات التوراة مع ما فيها من الشرائع والاحكام ومن السلطان المبين
المعجزات القاهرة الباهرة والتقدير ولقد ارسلنا موسى بشرائع واحكام وكلفناه
واعطيناه معجزات قاهرة وبينات باهرة والثاني ان الآيات هي المعجزات والبينات وهو كقوله
ان عندكم من سلطان بهذا وقوله ما انزل الله بها من سلطان وعلى هذا التقدير فهي الاية
وحسان الاول ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدقه وبينة والثاني يراد
بالسلطان المبين العصا لانها تبهرها ودلك لقوله تعالى اعملي موسى تسع آيات هي
العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين
ومنهم من ابدل نقص الثمرات والسنين بطلاق الحلل وقالوا البحر واحتجوا في ان العصا لم تسم
بالسلطان فقال بعض المحققين لان صاحب العصا تنهزم من لاقاه فعند عند الطرق كالقهر
السلطان على ما فهذا وصف العصا بانها سلطان وقال الزجاج السلطان هو الحجة
والسلطان سمي سلطانا لانه حجة الله في ارضه واشتقاقه من السليط والسليط ما تسمعه
ومن هذا قيل للزيت السليط وقد قيل بانه هو من السلطان مشتق من التسليط فالحجة

سلاطين لسبب ما معهم من القدرة والمكنة الا ان سلطنة العلما اكمل واقوى من سلطنة
الملوك لان سلطنة العلما لا تقبل النسخ والعزل وسلطنة الملوك من جنس سلطنة
الانبيا وسلطنة الملوك من جنس سلطنة الزراعة قال قيل اذا جعلهم الاباب
المذكورين في تواليه ايايا على المعجزات والسلطان ايضا على الدلائل ايضا معناه كونه
سببا للظهور فما الفرق بين هذه المراتب للامة قلت الاباب اسم المشترك من العلامات
التي بعد المعنى واما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع والمنع الا انه اسم للمعنى المشترك
بين الدليل الذي يكد الحس من الدليل الذي لم يكد الحس واما الدليل الذي يكد الحس
فهو السلطان المبين وما كانت معجزات موسى عليه السلام هكذا كانت لاحرم وصفها الله
بانها سلطان مبين ثم قال الى فرعون وملائه يعني وارسلنا موسى بمثل هذه الاباب
الى فرعون وملائه اى جماعتهم ثم قال فاتبعوا امر فرعون ويحتمل ان يكون المراد
امر اباهم بالكفر بموسى ومعجزاته ويحتمل ان يكون المراد امر اباهم بالكفر بموسى
ومعجزاته ويحتمل ان يكون المراد من الامر الطريق والشان ثم قال تعالى
وما امر فرعون برشيد اى بمرشد الى حق وقال رشيد اى هو رشد ولعلم ان غير طريق
فرعون عن الرشد كان ظاهرا لانه كان دهريا نافيا للصانع وللمعاد وكان
يقول له الله للعالم وانما يجب على اهل كل بلد ان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته
تعالى لمصالح العالم وبعد الرشد في عباده الله ومعرفته فلما كان هو نافيا لهذين
الامرين كان قائلا بالغي الرشد بالكلية فبين الله تعالى ذكر في صفته وصف قومه تعالى
يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود وبئسه كان المحل
المدخل للنعمة تعالى قدم فلان فلانا كما تعالى قدم منعني بعدهم ومنعوهم الحس
والتعقل اما من حيث المعنى وهو ان فرعون كان قدوة لقومه في الضلال
حال ما كانوا في الدنيا فكذلك سيقدمهم الى النار ويسم سعوتها وتعالى كما تقدم قومه في
الدنيا فاوردهم حلهم في البحر واغرقهم فكذلك يقدمهم في القيامة فيدخلهم النار ويحرقهم
ويجوز ايضا ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد اى وما امر فرعون لصالح رشد اى عمد
العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا للرشد وايضاحا اى كيف يكون امره رشدا مع ان عاقبته هكذا فان قيل لم لم يقل يقدم قومه فاوردهم النار قلت

التقدم

يقدم قومه فاورد بهم النار بلفظ الماضي قلت لان الماضي قد وقع ودخل في الوجود
فلا سبيل البتة الى دفعه فاذا عبر عن المستقبل بلفظ الماضي دل على غاية المبالغة
ثم قال وبئس الورد المورود وفيه بحثان الاول لفظ النار مؤنث فكان يجب ان
يقال وبئست الورد المورود الا ان لفظ الورد مذكر فكان المذكر والمانث جائزين فيما
يقول نعم المنزل فلان ونعم المرأة فلانة من ذكر غلب المذكر ومن انث نظر الى بانث الدار وعلى
قاله الواحدي البحث الثاني الورد قد يكون بمعنى الورود فيكون مصدرا وقد
يكون بمعنى الوارد قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقد يكون بمعنى المورود
عليه كالماء الذي يورد عليه وهي لصاحب الكشاف الورد المورود والمورود الذي يرد
فشبه الله وهو من يتقدم الواردة وتشبه اتباعه بالوارد ثم قال
بئس المورد الذي يرد به النار لان المورد انما يراد لتسكين العطش وطرد الاكباد
والنار ضده ثم قال واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة والمعنى لعنهم
اتبعوا في هذه الدنيا لعنة وفي يوم القيامة ايضا ومعناه ان اللعن من الله ومن الملائكة
والانبياء ملتصق بهم في الدنيا وفي الاخرة لا يزول عنهم ونظير قوله في سورة القصص
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ثم قال بئس الرفد
المرفود والرفد هو العطية واصله الذي يعين على المطلوب سأل بعض الادباء
عباس عن قوله بئس الرفد المرفود قال هو اللعنة بعد اللعنة قال نعم اي شر اكثر عليهم
لعنان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة وكل شيء جعلته عونا لشيء فقد رفدته به

قوله تعالى ذلك من انباء القرى نقصه عليك الى قوله وما زادوهم غير تتبيب اعلم
انه تعالى لما ذكر تفصيل الاولين قال ذلك من انباء القرى نقصه عليك والغاية في ذكرها
امورا اولها ان لاستماع بالدليل العقلي المحض اما حصل الانسان الكامل على
وذلك انما يكون في غاية الندرة فاما اذا ذكرت الدلائل تعلقت بالفاضل والناقص
صار ذكرها الفاضل والناقص كالموصل لذلك الدليل العقلي الى العقول الوحشية الثاني
انه تعالى خلط هذه الفاضل انواع الدلائل التي كان الانبياء عليهم السلام يتمسكون
بها وبذكر مدافعات الكفار لتلك الدلائل وشبهاتهم في دفعها ثم ذكر عقيبها
اخوتهم الانبياء عليهم السلام ذكر عقيبها انهم لما امروا واستكبروا ودعوا في عذاب الدنيا

ويقع عليهم اللعن والعقاب في الدنيا وفي الآخرة فكان ذكر هذه القصص سببا لايصال الداخل
والجواب عن الشبهات التي قلوب المنكرين وسببا لازالة القسوة والغلظة عن
قلوبهم فثبت بما ذكرنا ان هذه القصص من اعظم المقاصد التي لاجلها دعا الله
عليه السلام الى الله تعالى وان ذكر هذه القصص من اعظم المعجزات ولاجل هذا
كما قوله تعالى الثاني ان الذين يسمعون القصص يعرفون عند سماعها ان غاية الصدق
والرشد والموافق والمنافق الى ترك الدنيا والخروج عنها الا ان المؤمن يخرج من الدنيا مع الثناء الجميل
في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة والكافر يخرج من الدنيا مع اللعن في الدنيا والعقاب في
الآخرة فاذا تكررت هذه المقاصد على السمع فلا بد وان يلين القلب ويخضع للنصح ويزول
العناد ويحصل في الجملة جوز يحمله على البحث والاستدلال فهذا كلام مجمل في فوائد ذكر
هذه القصص اما قوله تعالى دال من اسما القرى منه اجابا الاول ان قوله ذلك
اشارة الى الغائب والمراد منه هاهنا الاشارة الى هذه القصص التي تقدمت وهي
حاضرة الا ان الحواس عنها تنقطع فجاز لكل احد ان يقول في كل الغائب لا ريب فيه الثاني ان يقال ذلك اشارة
الى الواحد والاثنين والجماعة كقوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك والضمير
يحتمل ان يكون راجعا الى الذي ذكرناه هو كذا وكذا والبحث الثالث
قال صاحب الكشاف من مبتدأ ومن انبا القرى بيانه على خبر بعد خبر اي ذلك
المذكور بعض انبا القرى مقصوص عليك منها قائم وحصيد والضمير
في قوله منها عائد الى القرى شبيه ما بقي من اثار القرى وخبرانها بالزرع القائم على
ساقه وما عفا منها وبطل الحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقي منها شيء وبعضها
هلك صار منه اثرا كالشبه ثم قال وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وفيه وجوه
الاول وما ظلمناهم بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية
الثاني ان الذي نزل بالقوم ليس بظلم من الله بل هو عدل وحكم لاجل ان القوم اولا
ظلموا انفسهم بسبب اقدامهم على الكفر والمعاصي فاستوجبوا بذلك الاعمال ان الله
دلل الحواس الثالث قال عباس يريد وما نقصناهم في الدنيا من النعيم والرزق
ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استحقوا بكفرهم ان الله قال وما اغنت عنهم الهتهم
التي يدعون من دون الله من شيء اي ما نفعتهم مثل الالهة في حق انفسهم قال وما زادوهم

غير تنبيه قال عباس عن خسر يقال نشأ خسر وتنبيه عن اذا اوقعه والخسران
والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون في الاصنام انها تعين على تحصيل المنافع ودفع المضار
ثم انهم عند الحاجة الى المعزم ما وجدوا منها لا جلب نفع ولا دفع ضر فصار امرهم كما لم يحدوا ذلك
قد وجد واصلا وهو اوان دل الا على ان ذلك عليهم مانع الدنيا والاخرة فان ذلك من
اعظم موجبات الخسران **قوله تعالى** وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
الى قوله اخذ اليم شديد وفي الاية مسائل **المسألة** الاولى قرأ عاصم الجحدري اذا
اخذ القرى بالف واخذ والباقون بالقاف **المسألة** الثانية اعلم انه تعالى لما امر رسوله
صلى الله عليه وسلم في كثير مما فعلوه بامم من تقدم من الامم لما خالفوا الرسل وردوا عليهم
عذاب الاستئصال وبين انهم ظلموا انفسهم بما حل عليهم العذاب في الدنيا والبعد عن الله
اخذ بذلك اذا اخذ القرى يعني ظالمة ثبت ان عذابه غير مقصور على من تقدم بل الحال في احد
كل الظالمين بكونه كذلك وهي ظالمة الضمير فيه عائد الى القرى وهو
في الحقيقة عائد الى اهلها ونظيره قوله تعالى ولم نقصصهم من قبل كما قصصنا عليك وقوله
وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها واعلم انه تعالى لما بين كيفية اخذ الامم
المتقدمة بين انه اخذ جميع الظالمين على ذلك الوجه اشعر ما نزيد تاكيدا
وتقويته فقال ان اخذه اليم شديد فوصفه بالعذاب بالالام وبالشدة وذلك يقتضي
في الدنيا الالم ولا تشديد في الدنيا وفي الاخرة وفي الوهم والعقل اشد تشديد الالم واعلم
ان هذه الاية تدل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب عليه ان يتدارك ذلك بالتوبة والا فانه
لا بد وان يصل الى الاخذ الذي وصفه الله تعالى بانه اليم شديد ولا يمكن ان يقال ان هذه
الاية محكمة بل لكل المتقدمين لانه تعالى لما حكى احوال المتقدمين في
ذلك الحكم علمنا ان اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة وعيد لكل من شاركهم ولكل المتقدمين
ولكل احد من ربك في عمل ما السعي فلا بد وان يشاركهم في ذلك الحكم الالم الشديد
ان قيل لم لا يجوز ان يخاف عذاب الاخرة قال المعقل لغير هذا الكلام ان تعالى ان هو
اما عذبوا في الدنيا لاجل تمكذبهم الانبياء انذارهم بالله فاذا عذبوا في الدنيا على ذلك
وهي دار العمل فلان يعذبوا عليه في الاخرة هي دار الجزاء كان اولى واعلم ان اشتراك
من بعد هذا الوعيد من المعتزلة عولوا على دلائل هذا الوجه ودلالة على هذا الوجه

الذى ذكره العقال كون ظهور عذاب الاستيصال فى الدنيا دليلا على ان القول بالقيامة
والبعث والنشر حق وصدق وظاهر لانه يقتضى ان العلم بان القيامة هو كالشرط
فى حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستيصال وهذا المعنى كما لا يخفى
لان العقال انما جعل العلم بعذاب الاستيصال دليلا للعلم بان القيامة هو والامر يدل
على ان العلم بان القيامة حق اصل الاسماع والاعتبار بظهور عذاب الاستيصال
فظهر بما ذكرنا ان العقال والاصوب عندى ان يقال العلم بان القيامة حق موقوف
على العلم بان الموتى يوجدون هذا السموات والارض فاعل مختار لا موجب بالذات
وما لم يعرف الانسان ان اله العالم فاعل مختار وقادر على كل الممكنات فجميع
الحوادث الواقعة فى السموات والارض لا تحصل الا بقدرته وقضائه لا يمكنه
ان يعتبر بعذاب الاستيصال ودلائل الدين من ان الموتى يوجدون هذا العالم
موجب بالذات لا فاعل مختار يزعمون ان هذه الاحوال التى ظهرت فى ايام الانبياء مثل
الغرق والحرق والخسف والمسخ والصيحة كلها امور حدثت بسبب قوانين الكواكب
واتصالاتها بعضها بالبعض واذا كان الامر كذلك فحينئذ لا يكون حصولها دليلا على
حدوث القيامة فاما الذى يومن بالقيامة فلا يتم ذلك الا اذا اعتقد ان اله العالم
فاعل مختار وانه ظالم بجميع الخربات ومتى كان الامر كذلك لم يكن العلم بالحوادث
هذه المرادة مثالها بالزلزلة والوقايع العظيمة انما كان بسبب ان اله العالم خلقها
ولو خلق هذه الاسباب بسبب طبائع الكواكب وقرانها لما وجد بينهم سماع هذه
القصة واستدلالها على صدق الانبياء فثبت بما ذكرنا صحة قوله ان فى ذلك لاية لمن خاف
عذاب الاخرة ثم قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود واعلم
انه تعالى لما ذكر الاخر وصف ذلك اليوم بوصفين احدهما انه يوم مجموع له الناس
فالمعنى ان حال الاولين والاخرين كلهم يحشرون فى ذلك اليوم ويحضرون والثانى انه يوم مشهود
قال ابن عباس يشهده البر والفاجر وقال اخرون يشهده اهل السماء واهل الارض والمراد
من الشهود الحضور والمقصود من ذكره انه ربما وقع فى قلب انسان انهم لما جمعوا
فى ذلك الوقت لم يعرفهم واحد الا فعله نفسه من تعالى ان ذلك الوقايع تصير
معلومة للكل بسبب المحاسبة والمسائلة من الله تعالى وما نؤخره الا لاجل

معدود

والمعنى ان ياخر الاخر وافنا الرسامو قوف على اجل معدود وكل ما لم يوجد وهو
ستاهي وحل ما كان مناهيا فانه لابد ان يفنا فلزم ان يعالى ان ياخر الاخر ستناهي
الى وقت لابد ان يعدم الله العالمه فيه وان يحرك الرسامه وحل ما هو اب قرب هم
قوله تعالى يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه الى قوله عطاء غير مجذوذ ف في
الايه مسائل المسئله الاولى قرا ابن عامر وعاصم ويوم ياتي بحذف الياء والباقون
باثبات الياء في الحالين وصلا للكشاف وحذف الياء والاجراء عليها بالكسر اكثر
في لغه هذيل ونحو قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه المسئله الثانيه
قال صاحب الكشاف فاعل ياتي هو الله كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله و
قوله ان ياتي بعض ايات ربك وبعضهم قراوا ما يوحى بالبا واما قوله تعالى
يعني هذا الباول لان قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله حكاها الله عن اقوام والظاهر
انهم اليهود ولم يسمع محمد وكذا قوله هذا او ياتي بعض ايات ربك اما هنا فهو صريح
كلام الله واسند فعل الاتيان الله مشكل فان قالوا فما قولكم في قوله تعالى
وجاء ربك قلنا هناك باولان واضافه هو صريح فلا يمكن دعوى
المصير الى الباول اما هنا فليس للغط صريحا في اسناد الاتيان الى الله فوجب الاصغاء
منه بل الواجب ان يعالى المراد منه يوم ياتي الشيء المهيب الهائل المستعلم بحذف الله
تعالى ذكر بعضه ليكون اقوى في التخويف المسئله الثالثه قال صاحب الكشاف
العامل في ابصار الظرف قوله لا تكلم او اضمار اذكر اما قوله لا تكلم نفس الا
باذنه معناه حذف والتقدير لا تكلم نفس منهم الا باذن الله فان قيل لم نكر النفس الا
الا بعد نفي سائر الاشياء التي يوهم عمومها مناقضة لهذه الآيه قلنا يوم ياتي
كل نفس تجادل عن نفسها ومنهم من يجدون ويحلفون بالله على ذلك وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ومنهم من قوله وقوفهم انهم مسئولون ومنهم من قوله عذرا
يوم لا يستطيعون ولا يؤذن لهم فيعتذرون والحواس من وجهين الاول
حمل ورد السمع من الكلام وهو محمول على ذكر الاعذار التي كانوا يذكرونها الباطله
ورد الحد في الكلام وهو محمول على الجوابات الكثيره الصحيحه ان ذلك الفعل من اهوال
وله مواقف ففي بعضها يحاولون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام وفي بعضها

يكفون عن الكلام وفي بعضها مجادلون عن انفسهم وفي بعضها مكفون عن الكلام
وفي بعضها تودن لهم تكلمون وفي بعضها ختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
اما قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد ففيه مسائل المسئله الاولى قال
صاحب الكشاف فمنهم في قوله فمنهم لاصل الموقف ولم يذكر لانه معلوم ولان قوله
ولا تكلم نفس الا باذنه يدل عليه ولانه مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس
المسئله الثانية قوله فمنهم شقي وسعيد يدل ظاهره على ان اهل الموقف
لا يخرجون عن هذين القسمين فان قيل اليس في الناس مجانين واطفال وهم
خارجون عن هذين القسمين قلنا لم نرجح العاصي بهذه على مساواة
قولنا ان اصحاب الاعراف لا في الجنة ولا في النار وما قولكم فيه قلنا المسلم
ان اطفال والمجانين خارجون عن هذا التقسيم لانهم لا يحاسبون فلم لا يجوز ايضا
ان يقال اصحاب الاعراف خارجون عنه لانهم ايضا لا يحاسبون لان الله تعالى
علم من حالهم ان ثوابهم يساوي عذابهم فلا فائدة في حسابهم فان قيل العاصي
استدل بظاهر الاية ايضا على ان كل من حصر عرصة القيامة فانه لا بد وان
يكون له ثواب دائما او يكون عقابه دائما فاما ان يكون ثوابه مساويا
لعقابه فانه وان كان جائزا في العقل الا ان هذا النص دال على انه غير
موجود قلنا الكلام فيه ما سبق من ان السعيد هو الذي يكون من
اهل الثواب والشقي يكون من اهل العقاب وتخصيص هذين القسمين بالذكر
لا يدل على نفي القسم الثالث والدليل عليه ان اكثر الايات مشتملة على ذكر
الكافر فقط وليس فيه ذكر بانه لا يكون مؤمنا ولا كافرا
العاصي بسبه فاذا لم يلزم من عدم ذكر الثالث عدم الثالث فكذلك لا يلزم
من ذكر هذا الثالث عدمه المسئلة الثالثة اعلم ان الله تعالى حكم
على بعض اهل القيامة بانه سعيد وعلى بعضهم بانه شقي سعيد ومن حكم الله
عليه بذلك علم منه ذلك الامر امتنع كونه بخلافه والا لزم ان يصير خبر الله كذبا
وهذا يدل على ان الشقاوة لا تنقلب سعادة وان السعيد لا ينقلب شقيا
ويعضد هذا الدليل ما روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن قوله تعالى

لما نزل قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد فعلت يا رسول الله تعالى ما نعمل على شيء قد فرغ
منه له على شيء لم نفرغ منه وقال على شيء قد فرغ منه يا عمر وجفت به الاقلام ويجري
كل ميسر لما خلق له قالت المعتزلة نعمل حتى لا يتكل أنه قال فمنهم سعيد لعمله وسيهم
سعيد بعمله فلنا الدليل قاطع لا يدفع بهذه الروايات والصافات فزاع
انه انما يشقى بعمله وانما سعد بعمله ولكن لما كان دليل العمل حاصلا بعصمة الله
وقدرته كان الدليل الذي ذكرناه ساقطا واعلم انه تعالى لما قسم اهل القيامة
الى اهل النعيم وهم حال كل واحد منهما معلوم فاما الذين سيقوا الى النار فهم
صنفان فرد وشهيق وهذه مسائل المسئلة الاولى الفرق بين الزفير والشهيق
والشهيق وجوهها الاول قال الليث الزفير ان يملأ الرجل صدره حال كونه
في الغم الشديد من النفس ويخرجه والشهيق ان يخرج ذلك النفس بعد الزفير
عظيم للزفير اي عظيم النطق واقول لان الانسان اذا عظم غمه احتاج
روحه فلبه في احالة القلب فاذا احتاج الروح فقد يتباطأ في الخروج وعظمت وعند ذلك يحتاج
الانسان الى النفس القوي لاجل ان يستدخل الهواء كثيرا باردا على روح ذلك الحيوان فلهذا
الشبب يعظم في ذلك الوقت استدخال الهواء في داخل القلب وحينئذ يرتفع صدره وينفخ حشاه
ولما كانت الحرارة الغريزية والروح الحيواني يعني محصورا في داخل القلب استولت الروح على
الاعضاء الخارجة فوقعا عجزا تاما النفس عن دفع ذلك الهواء الكثير المستولي فعند ذلك
الهواء الكثير محصورا في الصدر وتقريبا يحرق الانسان فيه وحينئذ يجتهد القلب في
اخراج ذلك الهواء فعلى قول الاكثرين الزفير هو استدخال الهواء الكثير لروح الحيوان
الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه والشهيق هو اخراج ذلك الهواء عند
الطبعة واخراجه وكل واحد من هذين الحالين يدل على كرب شديد وغم شديد
الوجه الثاني في الفرق بين الزفير والشهيق قال بعضهم الزفير اول
ابتداء الصوت عند نهيق الحمار واما الشهيق فهو آخره آخر صوت الحمار الوجه
قال الحسن وذكر ابن عباس عن الاربعة فقول الزفير لهب جهنم يرفعهم
حتى اذا وصلوا الى اعلاها رفعتهم وطرحوا فيها ثم يحوجون منها عند ذلك
حديد ويردون الى الدرك الاسفل من جهنم وهو قوله تعالى كلما اراد وا ان يخرجوا منها

فارتفاعهم في النار هو الزفير والحطاطهم من اخرى هو الشهيق الوجه الرابع قال
ابو مسلم ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد يقطع النفس والشهيق هو
الصوت الذي يظهر عند اشتداد الامر والحزن فزفيرها تنفسها العشه وربما حصل
معه الموت الوجه الخامس قال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في
الصدر الوجه السادس قال قوم الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف
والسابع قال ابن عباس يطرح منهم صوت شبيه بريد به نفسا عاليا وبكاء لا يستطيع ورجوع
لا يسمع الناس الزفير مشتركا بالصوت والشهيق بالضعف على ما حدده بحسب اللغة
اذا عرفت هذا لم يبعد ان يكون المراد من الزفير قوتهم مسلمهم الى عالم الدنيا والى
اللذات الحسدانية والمراد من الشهيق ضعفهم عن الانتفاع بعالم الروحانيات
والاستكمال بالانوار الالهية والمدارج القدسية ثم قال تعالى
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وفيه مسائل المسئلة الاولى
قال قوم ان عذاب الكفار منقطع وله تمسكوا بهذه الاية واجيبوا بالقرآن والمعقول
اما القرآن فآيات منها هذه الآية والاستدلال بها من وجهين الاول انه تعالى قال
ما دامت السموات والارض وهذا النص على ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء
السموات والارض ثم توافقنا على ان مدة بقاء السموات والارض متناهية فلزم
ان يكون مدة عقاب الكفار منقطعة الثاني ان قوله الا ما شاء ربك استثناء
من عقابهم ودل ذلك على زوال ذلك العذاب وفي وقت هذا الاستثناء وما يستثنى به
اقوال قوله تعالى وسوف يعلم من كنتم فيها احقابا من يعلم ان لبثهم في دار العذاب
كذا وكذا احقابا معدودة واما العقل فمن وجهين الاول ان معصية الكافر
متناهية ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم وانه لا يجوز الثاني
ان دلائل الكفار صريحة على ان المنع ان دل المنع لم يرجع الى الله تعالى لكونه متعاليا
عن المنع والضر ولا الى دلائل الكفار لانه في جملة ضرر يحض ولا الى من لا ان اهل الجنة
منعوا من ملاذهم ولا مال لهم في الحال بل المراد بالعقاب الدائم في حق من يموت منهم فثبت ان دلائل
العقاب صريحة على جميع حالات المنع فوجب ان لا يجوز واما الجمهور الاعظم من الامة
فقالوا القطع على ان عذاب الكافر دائم وقد هذا احتجوا الى الجواب عن التمسك بهذه الآية

لما قوله خالدين ما دامت السموات والارض فقد ذكروا عنه جوابين الاول قالوا المراد سماوات
الاخرة وارضها قالوا والدليل على ان في الاخرة سماوات وارض قوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وانها لا تبدل الا هذه
الاخرة عما نعلمه ونظنهم وذلك هو الارض والسموات ولعائل ان يقول التشبيه
انما يحسن ويجوز اذا كان حال المشبه به معلوما مقررا فلتشبه به وهنا تاكيد الثبوت
الحكم في المشبه ووجود السموات والارض في الاخرة غير معلوم وبتقدير ان يكون
وجوده معلوما الا انهما على وجه لا تنتهي السنة عن معلوم فاذا كان اصل وجودهما
مجهولا لا كثرة الخلق ودوامهما ايضا مجهول الاكثر عاد السنة عقاب الاشقياء
به في الدوام كلاما عديم الفائدة اقصى ما في الباب ان يقال لما شاء الله ان في وجود سماوات
وارض في الاخرة وتبدلها وجب الاعتراف بوجود بحسن التشبيه الا انا نقول
لما كان الطريق في اثبات دوام سماوات وارض في الاخرة ودوام ارضهم هو السمع
السمع دل على دوام عقاب الكافر فحينئذ الدليل الذي دل على ثبوت الحكم في الاصل
حاصل يعتبر في الشرع وفي هذه الصور اجمعوا على ان العاصي صاحب والتشبيه باطل
وعند ههنا الوجه الثاني في الجواب قالوا ان العرب يعبرون عن الدوام والابد
بقولهم ما دامت السموات والارض ويعلمون قولهم ما اختلف الليل والنهار وما كل البحر
وما اقام الجمل وانه تعالى خاطب العرب على عرفهم في كلامهم فلما ذكر واهذه الالفاظ
بناء على اعتقادهم انها باقية ابدا الاباد علمنا ان هذه الالفاظ محمولة عن عرفهم لفظ الابد والدوام
الجلاء عن الانقطاع ولعائل ان يقول هذا مسلم فان نقول القائل حال الدوام ما دامت سموات
سمع من نعاصوجوده تعدد السموات ونقول انه لا يدل على هذا المعنى فان يكون
الاول فلانه كان الارم لان النص لما دل على ان يكون من حكمهم في الدار
لله تعالى السموات وسمع من حولنا بهم عن الماء بعد فنا السموات بعد هذا لم يعلم
القول بانقطاع ذلك العقاب واما ان نعلم ان هذا الكلام لا منع من بقاء كونهم في الماء
بعد فنا السموات فلا حاجة بكم الى هذا الجواب المشبه فمثل هذا الجواب على كل التقدير
ساقط واعلم ان هذا الجواب الخروج في هذا الباب عن اخر وهو ان
المفهوم من لفظ السموات والارض كان لهم في النار ما دامت

فهذا يقتضي انه كلما حصل الشرط حصل المشروط ولا يقتضي اذا عدم الشرط ان يعدم المشروط
الا بدليل انا نقول ان كان هذا انسانا فهو حيوان قال فلنا لكنه انسان فانه ينتج
انه حيوان اما اذا قلنا لكنه ليس انسانا لم ينتج انه ليس بحيوان لانه ثبت في علم المنطق
ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا سوى هذا هنا اذا قلنا متى دامت السموات قائمة
فهم ان يكون عقابهم خالدا اما اذا قلنا لكنه ما تعدمت السموات فلم يلزم دوام عقابهم
فان قالوا فاذا كان العقاب خالدا سواء تعدمت السموات او لم تتعدم فما فائدة هذا التعليق
قلنا فيه اعظم الفوائد وهو انه يدل على تأبد ذلك العذاب وعدم انقراضه
وربما لا يحيط العقل بطوله وامتداده فاما انه هل يحصل له اخر ام لا فهذا لا يستفاد
من هذا بل لا بد من الجواب الذي قرنه جواب حق لكن اما نفهمه انسانا للعرب شيئا
من المعقولات واما السهو عن الشبه وهي التمسك بقوله تعالى الا ما شاء ربك
فقد ذكروا فيه انواعا من الاجوبة الوجه الاول في الجواب وهو الذي ذكره
ابن عباس وابن الانباري والفراء قالوا هذا استثناء الله تعالى ولا نعلمه البتة
كقوله والله لاضربنك الا ان اراك عز وجل معناه لاضربنك على كل حال وكذا
هنا وطولوا في تقرير هذا الجواب وفي ضرب الامثلة فيه وحاصله ما ذكرناه ولقائل ان
يقول هذا ضعيف لانا قائل لا اضربك الا ان اراك فانه يفيد ان غير ذلك معناه لا اضربك الا اذا رأيتك
ان لا اضربك البتة وهذا لا يدل البتة على ان هذه الرؤية قد حصلت ام لا بخلاف
قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك معناه لنحكم بخلودهم فيها
لان المدة التي شاء ربك فيها هذا اللفظ يدل على هذه المشيئة قد حصلت فكلف
بحسب هذا ظاهر هذا الكلام على ذلك الحكم الوجه الثاني في الجواب ان تقول
ان كلمة الا فيها قد وردت لمعنى سوى ما ذكرتم والمعنى انه تعالى انما حكم بكونهم خالدين فيها ما دامت
السموات والارض وهم منذ انهم يكونون في النار في جميع مدة بقاء السموات والارض
في الدنيا فلا سوى ما حكاه الله من الخلود الدائم فذكروا انه في حقهم ما للبتة عند العرب
اطلق منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له بقوله الا ما شاء ربك والمعنى ما شاء
ربك من الزمان الذي لا آخر لها الوجه الثالث في الجواب وهو ان المراد من هذا
الاستثناء زمان وقوفهم في الموقف كما قال تعالى قياما الذين يشهدون في الدنيا الوقت

وقوفهم

وقوفهم في الموقف وكانه تعالى قال اما الذين شقوا للحاسبة فانهم في ذلك الوقت
لا يكونون في النار وقال ابو بكر الاصم المراد الا ما شاء ربك وهو حال كونهم في
الغرق او المراد الا ما شاء ربك حال عمرهم في الدنيا او في البرزخ او مقدار وقوفهم للحساب
ثم يصيرون الى النار الوجه الرابع في الجواب قالوا الاستثناء رجع الى قولهم
فيها زفير وشهيق تقرير ان يقول قولهم فيها زفير وشهيق الذين فيها عند حصول
الزفير والشهيق مع الخلود فاذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحصل وقد لا يحصل
منه هذا المجموع لكنه قد يحصل في المعقول لانه كما يصح المجموع باسقاط جميع اجزائه
فكذلك يصح باسقاط واحد من اجزائه فاذا انتهوا احد الامرين اي ان يصروا ساكتين
هامدين خامدين فحينئذ لم يبق فيهم زفير وشهيق فاسقط احد اجزاء ذلك المجموع فحينئذ
يصح دخول الاستثناء عليه الى الحكم بانقطاع نعيمهم في النار الوجه الخامس
في الجواب ان محل هذا السؤال اذا اهل العذاب لا يكونون ابدا في النار بل قد يقال
الى الزمهرير ولسائر انواع العذاب لا يكونون كذلك وقد يحتج في صحة
هذا الاستثناء الوجه السادس في الجواب قال يقوم هذا الاستثناء مقام اخراج
اهل التوحيد من النار لان قوله اما الذين شقوا مع النار يفيد ان حكم الخلود يحكم
عليهم بهذا الحكم مع قوله الا ما شاء ربك يوجب ان لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع وينتفي عن
رقاب جميعهم الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم فوجب ان لا يبقى حكم الخلود كما يعرض
الاشتباه والمشكل ان الخلود في اصل الكفار وجب ان يقال للذين ثبت حكم الخلود فيهم
هم الفساق من اهل الصلاة وهذا كلام قوي في هذا الباب فان قيل على هذا الوجه
اما يصح اذا فسرت سائر الوجوه التي ذكرتموها بما الدليل على صحتها وانتفاء
ممانعة هذا الاستثناء مذكور في حال السعداء فانه تعالى قال اما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ والكلام في هذا
الوجه سؤالان على هذه الآية الدليل على انقطاع وعيد الكفار مراد انا نريد الاستدلال
بهذه الآية على صحة قولنا في ان يعذب بعض الفساق من اهل الصلاة في النار فلم
اما حمل كلمة الا على سوى وهو عدول عن الظاهر واما حمل الاستثناء على حال عدم
والبرزخ والموقف فهذه الصلاة الاستثناء وقع عن الخلود في النار ومن المعلوم ان

ان الخلود في النار كفعة من كيفيات الحصول في النار فقبل الحصول في النار امتنع حصول الخلود
في النار واذا لم يحصل المستثنى منه امتنع حصول الاستثناء واما قوله للاستثناء عائد الى
الزفير والشهيق فهذا انكار للظاهر ولم يقل به احد محتجا بهذه الآية الذي ذكرناه
واما قوله المراد من الاستثناء نقله من النار الى الزمهرير فضعيف لو كان الامر
كذلك لوجب ان لا يحصل العذاب في الزمهرير ابدا لقضاء السموات والارض الا ان
الصحيحة دلت على ان النقل من النار الى الزمهرير وبالعكس يحصل في كل يوم مرارا فبطل هذا
الوجه واما قوله ان مثل هذا الاستثناء حاصل في حال السعداء فنقول اجمعت
الامة على انه ممتنع ان يقال ان احدا يدخل الجنة ثم يخرج منه الى النار فلاجل هذا الاجماع
افتقرنا فيه الى حمل ذلك الاستثناء على ظاهره فهذا تمام الكلام في هذه الآية واعلم
انه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء قال ان ربك فعال لما يريد وهذا احسن انطباقه على هذه
الآية اذا حملنا الاستثناء على اخراج العصاة من النار كأنه قال نقول اطهرت القهر والعذاب
ثم اطهرت المغفرة والرحمة لان فعال لما اريد وليس لاحد على حكمه سبيل ثم قال
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
وفيه مسائل المسألة الاولى قرأ عمر والكسائي وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين
والباقون بفتحها واما اجار ضم السين لانه على حد قولهم زيادة من اسعد والذي سعد
لا ينعدم وسعدوا اسعد بمعنى ومنه المسعود من اسمائه الرجال المسألة الثانية
الاستثناء في باب السعداء يحمل على احد الوجوه المذكورة فيما تقدم وهي ستة وحملها احد
وهو انه ربما انفق لبعضهم ان يدخل من الجنة الى العرش وال النار المرتفعة التي لا
يعلمها الا الله تعالى قال تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر وقوله عطاء
غير مجذوذ اي غير مقطوع ونظيره قوله تعالى في صفة نعيم الجنة لا مقطوعة
ولا ممنوعة واعلم انه تعالى صرح في هذه الآية انه ليس المراد من هذا الاستثناء
كون هذه الحالة منقطعة ولما خص هذا الموضع بهذا البيان ولم يذكره في باب
الاشقياء دل ذلك على ان المراد من ذلك الاستثناء هو الا يعطي فهذا تمام الكلام
في هذه الآية **قوله تعالى** فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء الا كما

بعد اباءهم من قبل وابائهم الموقوفهم نصيبهم غير منقوص ﴿اعلم انه تعالى لما شرح احوال
الاولياء ثم اتبعه باحوال الاشقياء واحوال السعداء سرح للرسول عليه السلام احوال الكفار
من قومه فقال فلا تك في مرية والمعنى فلا تكن ابدا حرف النون للكثرة الاستغراق
وان النون اذا وقع على طرف الكلام لم يسمع عند التلفظ به الا مجرد المد فلا جرم استطرق
والمعنى فلا تك في شك من حال ما يعبدون في انها لا تضر ولا تنفع فاما العبدون الا كما
يعبد اباءهم من قبل واما الموفوهم نصيبهم فقال واما الموفوهم
نصيبهم غير منقوص ويحتمل ان يكون المراد انه وسع العذاب بان يكون المراد انهم وان
كفروا واعرضوا عن الحق فانا موفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية ويحتمل ان
يكون المراد انا موفوهم نصيبهم من انواع العذاب وان اصحاب العلل والطحال اذا زال
الرسل وانزال الكتب ويحتمل ان يكون المراد قوله تعالى ولقد اتينا موسى
الكتاب واختلف فيه الى قوله انه بما تعملون خبير ﴿اعلم انه تعالى انه لما بين في الآية الاولى
اصرار كفار مكة على انكار التوحيد بين انهم اصروا على انكار نبوته عليه وعلى
بعثته وبين تعالى ان هؤلاء الكفار ليسوا على هذه السيرة الفاسدة مع كل الانبياء
عليهم السلام وضرب لذلك مثلا وهو انا اتينا التوراة على موسى فاختلفوا فيه فعلمه
بعضهم وانكره آخرون وذلك يدل على ان على الخلق كلهم قال تعالى ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضي بينهم وفيه وجوه الاول ان المراد ولولا ما تقدم من حكم الله تعالى
بتاخير عذاب هذه الامة الى يوم القيامة لكان الذي يستحقه هؤلاء الكفار من عظم ما
اتوا به من انواع الاستئصال عليهم الا ان المتقدم من قضاء الله تعالى في امتهم ان لا يهلكهم
بعذاب الاستئصال عليهم الا ان المتقدم من قضاء الله تعالى في امتهم ان لا يهلكهم
بعذاب الاستئصال كما فعل بالامم الماضية والا لكان من الواجب
ان يعجل لهم العذاب الثاني ان المراد ولولا كلمة سبقت من ربك وهي ان الله تعالى انما يعلم من المكلفين يوم القيامة والا لكان من الواجب
ان يعجل لهم العذاب في الدنيا الثالث ولولا كلمة سبقت من ربك وهي ان يعذب
بعذاب الاستئصال في الدنيا الرابع ولولا كلمة سبقت من ربك وهي ان يعذب
قال احسانه راجح على ذنوبهم والا لقضي بينهم ولما قرر تعالى هذا المعنى قال وانهم لفي شك منه مريب
يعني ان كفار مكة لفي شك من هذا القرآن مريب قال ابن عباس كل ما في القرآن من انهم
وفيه مسائل المسألة الاولى المعنى ان من عجلت عقوبته ومن اخرت ومن صدق الرسل
ومن كذب كلهم سواء في ان الله تعالى يوفيهم جزاء اعمالهم في الآخرة فجعل الله الوعد والوعيد
قال يوفيه جزاء الطائعات وعد عظيم ويوفيه جزاء المعاصي وعيد عظيم وقوله
انه بما تعملون خبير يؤكد الوعد والوعيد فانه لما كان عالما بجميع المعلومات كان

عالما بما في الطاعات والمعاصي وكان عالما بالغدر الآتي بعمل عمل من الجزاء محمد لا يضيع
شيء من الحقوق والاجر ودلالها على اللسان المسلمة الباسمة قرأ ابو عمرو والكسائي
وان مشددة النون لما جمعته وقال ابو علي اللام في لما هي التي تعتصبه وداخلة على حرف النفي
وان مشددة النون لما جمعته وقال ابو علي اللام في لما هي التي تعتصبه وداخلة على حرف النفي
ان يدخل على خبرها او اسمها لام كقولها ان الله لغفور وقوله ان في ذلك لآية واللام
الداخلة هي التي بعد القسم كقولك والله لتفعلن ولما اجتمع هنا دخلت ما للفصل
بينهما وكملة ما على هذا المقدر زائدة وقال الفراء ما موصولة معنى من وتقدير
كما تقدم وصلة وان منكم لمن ليبطئن والغراء المائة في هذه الآية قرأ ابن كثير
وابو عمرو وان كلا لما مخففتان والسبب فيه انهم اعملوا ان مخففة كما تعمل مشددة لان كلمة
ان لشبهها الفعل وكما حولوا عمال الفعل تاما ومحذوفا في قولك لم يكن زيد قائما ولم يك
زيد قائما وكذلك ان وان فالغراء المائة قرأ عاصم وابو عامر وحمزة وان كلا لما
مشددة وان فالواو احسن ما قيل فيه ان اصل لما لمّا ما للموت كقوله لكلا ما والمعنى
لكل ملوم منزاي مجموعين كأنه قيل وان كلا جمعا المسلمة المائة سمعت بعض
الافاضل قال الله تعالى اخبر عن توبة الاصر على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها
سبعة انواع من التوكيدات اولها كلمة ان وهي للتأكيد وثانيها لفظ الكل
ثم الباب في التأكيد الصادر الجمعاء حرفها اذا جعلتها دعلى قول الفراء موصولا وحاسيها
القسم المضمر فان تقدير الكلام وان جميعهم والله ليوفينهم وسادسها اللام
المائة الداخلة على جواب القسم وسابعها النون الموكدة في قوله ليوفينهم
مجموع هذه الالفاظ السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة يدل
على ان امر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالبعث والقيامة وامر الحشر والنشر
ثم اردفه بقوله انه علم جبر وهو من اعظم التوكيدات **قوله تعالى** فاستقم كما
امرت ومن تاب معك الى قوله بما تعملون فيه مسائل المسئلة الاولى اعلم انه
تعالى لما اطنب في شرح الوعد والوعيد قال لرسوله فاستقم كما امرت وهذه الكلمة
كلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعقائد والاعمال سوى كمال اختصاصها وكان معلما لجميع
الاوامر في سائر الشرائع ولا شك ان المقام على الاستقامة لكونه مشتملا على سداد ابواب
الخير ولما كان المأمور به هذا المعنى الجمع والخطاب للمستقيم الذي لا يجوز ان يطلب
منه الصوم

ومن الصور حروه واحد لا يعد لا تسمه في العرض الا ان يعبر الخط مما لا تتم في الحس
طرفه فانه اذا قدر طرف الخط هو طرف الصوا شبه المعض في الحس فلم يعوى الحس
على ادراك الخط بعينه بحيث يميز من كل ما سواه اذا عرفت هذا في المثال فالحرو ماله
وجميع ابواب العبودية فاولها معرفة الله وحصول هذه المعرفة على وجه سعي العبد
مشكورا وطرق الاثبات عن التشبيه وفي طرق النفي عن التعطيل وغايته الصعوبة واعسر
سائر مقامات المعرفة من نفسك واصافا لقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل
لكل واحد منهما طرفا افراطا وتفريطا وهما مذمومان والفاضل هو المتوسط بينهما
محبتا لا يميل الى احد الجانبين والوقوف عليه صعب لكن العمل به اصعب فمثال معرفته
الصراط المستقيم وغايته الصعوبة ومقدار معرفته قائما عليه ذا العمل به اصعب
ولما كان هذا المقام في غاية الصعوبة لا جرم قال ابن عباس ما نزل على رسول الله في جميع
القرآن اية اشد ولا اشق من هذه الاية ولهذا قال عليه السلام شيبتني هود واخواتها
وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له لقد عجلت لك الشيب
شيبتني هود واخواتها فقال لم فعلت وبماذا فقال بقوله فاستقم كما امرت
المسئلة الثانية اعلم ان هذه الآية اصل عظيم في الشريعة وفي المدلول القرآن
لما ورد بالامر باعمال الوصول مرسومه في الخط وحساب عشار المرسوم فيما بعد
فاستقم كما امرت ولما ورد الامر في الركاة بادا الابل من الابل والبقر من البقر
وحساب عشارها وهذا القول في كل ما ورد امر الله به وعبدنا به لا يجوز تخصيص
النص بالقياس لانه لما دل عموم النص على حكم وحساكم بمقتضاه بقوله فاستقم
كما امرت والعمل بالقياس ترك امره بقوله ومن تاب معك وفيه مسائل
قال الواحدي من في محل الرفع من وجهين الاول ان يكون عطفا على الضمير في امرت والثاني
ان يكون ابتداء على تقدير ومن تاب معك فليستقم المسئلة الثانية قال العلماء
والعاصي يجب عليهما الرجوع عن الكفر والفسق وفي تلك الحالة لا يصح استغفارهما لانه
اما الباقي عن الكفر والفسق فانه يصح منه الاستغفار لا الاستقامة على صراط دين الله والمعنى
على طريق معبود به الله تم قال ولا تطغوا ومعنى الطغيان الجاوز والمعنى
قال ابن عباس لا تعصوا الله ولا تشكروا على احد وقيل لا تطغوا في القرآن فتحلوا

وتحرموا حلاله تعبيا لا تحاوروا بما امرتم به وحدكم وقيل لا تعدلوا عن طريق سكنه والتواضع
له ولا ركنوا الى الذين ظلموا والركون هو السكون الى الشئ والميل اليه بالمحبة وبعضهم الغوى
واغة اخرى كوبلا قال الازهرى وسيبويه لغة قال الازهرى المحققون الركون المنهى عنه
هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الظلم تقديرها عليهم وعدهم بهم ومشاركتهم
فى شئ من ذلك الا بجواب فاما مداراتهم لدفع ضرر واجلال منعه عاجلة فغير داخل فى الركون
ومعنى قوله فتمسكم النار اى انكم ان ركنتم اليهم وهدوا عاقبته مرقالوا ما لكم من دون الله من
اولياء اى لبس لكم اولياء يخلصونكم من عذاب الله ثم قال ولا تنصرون والمراد لا تحدون من ينصركم
من ذلك الواقع واعلم الله تعالى حكم بان من مال الى الظلم لابد وان يمسه النار واحاله ان
كذلك فكيف يكون حال الظالم فى نفسه **قوله تعالى** واقم الصلاة طرفى
النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله
لا يضيع اجر المحسنين ◎ اعلم انه تعالى لما امر بالاستعانة اردفه بالامر بالصلاة
ودل الدليل على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلوة فى الاية مسائل
المسئلة الاولى ذكر فى بعض كتب العاصى اى بكر الباقلانى ان الخوارج سئلوا هذه
الاية فى اثبات ان الواجب ليس الا الفجر والعشاء من وجهين الاول انهما واقعان على طرفى
النهار والله تعالى اوجب اقامة الصلاة طرفى النهار فوجب ان يكون هذا القدر كافيا
فان قيل ورد فى الليل ايجاب صلوات اخرى قلنا لا نسلم فان طرفى النهار
موصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون لليل عليه ما فى
الباب ان هذا العطف صفة على الموصوف فانه يدل كثير امن القراء والسعد
الوجه الثانى انه تعالى قال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يقتضى ان من صلى طرفى النهار
حسنات فانها تذهب السيئات لكن سواها مستقر بان تعالى ان سائر الصلوات واجبة
اذا ثبت انها يجب ان تكون كفارات لكل ما سواها واعلم ان هذا القول باطل
باجماع الامة ولالتفات اليه المسئلة الثانية اختلفت المذاهب فى تعيين طرفى النهار
والاقرب ان الصلاة التى يعلم فى طرفى النهار هما الفجر والعصر ودليله ان احد طرفى النهار
طلوع الشمس والطرف الثانى لا يجوز ان يكون صلاة الحرب لان ما قبله داخله تحت قوله وزلفا
من الليل فوجب حمل الطرف الثانى على صلاة العصر اذا عرفت هذا فنقول الاية دليل على
وجوب الصلوات الخمس وان التكرير بالفجر افضل وفى ان اختيار العصر افضل وذلك من الوجوه الذى

وجوب اقامه الصلاه فى طرفى النهار وبنا الطرفى النهار وهما الزمان الاول لطلوع الشمس والزمان
الاول الاخر وهما واجبتا الاداء على ان اقامه الصلوة فى ذلك الوقت عن مشروعه فعند يتعدد
العمل بظاهر هذه الايه فوجب حمله على المجاز وهو ان يكون المراد اقام الصلوة فى الوقت
الذى يقرب من طرفى النهار لان ما يقرب من الشئ يجوز ان يطلق عليه اسمه ولما كان ذلك
فجعل وقت كان اقرب الى طلوع الشمس والى غروبها كان اقرب الى ظاهر اللفظ واقامه صلاة
الفجر عند البياض اقرب الى وقت الطلوع من اقامتها عند الغلس وبذلك اقامه صلاة
العصر عند ما يصير ظل كل شئ مثله اقرب الى وقت الغروب من اقامتها عند ما يصير ظل كل
شئ مثليه والمجاز كلما كان اقرب الى الحقيقه كان حمل اللفظ عليه اولى مسئله ظاهر
هذه الايه يقتضى وجوب اى جميعه فى جميع اجزاء الليل واما قوله ولزلفا من الليل
وهو يقتضى الامر باقامه الصلاه فى بعض زلف من الليل لان اقل الجمع ثلاثه والمغرب
والعشاء وان تعلق الحكم بوجوب الوتر حتى يحصل امتثاله بحث ايقاع الصلاه فيها
واذا ثبت وجوب الوتر فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وجب فى حق غيره لقوله تعالى
فاتبعوه وبظاهر هذه الايه يعنيها قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها هو صلاه العصر ثم قال ومن الليل فسبحه وهو يظهر قوله ولزلفا من الليل
المسئله الثانيه قال المفسرون نزلت هذه الايه فى رجل اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال ما تقول فى رجل اصاب من امراته بحرمه كلما قبلها الرجل من امراته فى الحاج فعاد
عليه السلام لسويد وصهيب احبسا لهم وتصل فانزل الله هذه الايه فعلم النبى صلى الله عليه وسلم هذا
لهذا خاصه فقال بل للناس عامه وقوله وزلفا من الليل قال الليث زلفه من اول الليل
طائفه والجمع الزلف قال ابو اسحق واصل الكلمه من الزلفه القربى هى القربى يعنى الى الله
فاردلفا اى قربه فاما تفسير المسئله الثالثه قال صاحب الكشاف قرئ زلفا بضمتين وزلفا
ماسكان اللام وزلفى على وزن قربى والزلف جمع زلفه كظلم فى جمع ظلمه والزلف والسلوف كجوس
وبسر والزلف بضمتين كبسر وبسر والزلفى بمعنى الزلفه كما ان القربى بمعنى القربه وهو ما قرب
من اول النهار من الليل وقيل فى تفسير وزلفا من الليل قربا من الليل يعنى ان الحسنات يذهبن السيئات
وفيه مسئلتان المسئله الاولى فى تفسير الحسنات قوله ان الاول قال عباس المعنى ان الصلاه
الخمس كفارات لما بينهن بشرط الاجتناب عن الكبائر والثانى روى مجاهد ان الحسنات
هى قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر المسئله الثالثه

احتج من قال ان المعصية لا تضر مع الايمان بهذه الآية وذلك لان الايمان اشرف الحسنات
واجلها وافضلها دلت الآية على ان الحسنات مذهبة السيئات فالايمان الذي هو اعلى الحسنات
ذرة هلا اقوى على المعصية التي هي اقل السيئات درجة كان اولى فان لم تفد ازالة
العقاب بالكلية فلا اقل من ان يفيد ازالة العذاب الدائم المؤبد قال تعالى انا لا نضيع اجر المحسنين
للذاكرين غطة المتعطين وارشاد المسترشدين ثم قال واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
قيل على الصلاة وهو كقوله وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها **قوله تعالى** فلولا كان من
القرون من قبلكم الآية ❶ اعلم انه تعالى لما بين ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال
بمثل السبب الذي امر ان السائلين الاولين انه ملكان بهم فقوم هم عن الفساد في الارض
فقال تعالى فلولا كان من القرون والمعنى فهلا كان وحلى عن الخليل انه قال كل ما في
القرآن من كلمة لولا فمعناه هلا الا التي في الصافات قال صاحب الكشاف وما ضمن هذه
الرواية عنه دليل قوله تعالى في غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء
ولولا رجال مؤمنون ولولا ان يشاء الله لجعلهم سلطهم عليكم فلولا وقولها ولولا بعثنا
لان الرجل يستغني بمجرد اجوده وافضله فصار هذا اللفظ مثلا في الجود فيقال فلان
من بقية القوم اي من خيارهم وسبب قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون
البقية بمعنى البقوى فهلا كان منهم ذو بقايا على العقل وصيانة لها من سخط الله وقوي
الوبقية بجوز البقية من بقاه يبقيه اذا اتبعه واسطر والبقية المرة من مصدر والمعنى
فلولا كان منهم اولو امر اتقيه وحسبه من اتقام الله لم قال الا قليلا ولا يمكن جعله استثنا
متصلا لان على هذا التقدير يكون ذلك عاما لان البقية في النهي عن الفساد الا القليل
من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحا منهم بريد استثنا الصلحا
من الذين في قراءة القرآن واذا ثبت هذا فلم لا يجوز ان يكون هذا استثنا منقطع والتقدير ولكن قليلا
ممن انجيا من القرون نهوا عن الفساد وساعدهم بار يكون للذهبي والسبب المالي ليرون
عذاب الاستئصال قوله واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه والترفه النعمة وضني مبني فاذا كان
منعما والمترف الذي اطغاه النعمة وسعة العيش واراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن
المنكر اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واتبعوا اطلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات وقوله اجرمين وصف بالظاهر
الجمعي واتبع الذين ظلموا اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ثم قال وكانوا مجرمين وصف بالظاهر

قوله تعالى

قوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون الى قوله من الحسنات
والناس اجمعين اعلم انه تعالى بين انه ما اهلك القرى الا بظلم وعند وجود الاول ان
المراد من الظلم ها هنا الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمعنى انه تعالى لم يهلك اهل
القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والحاصل ان عذاب
الاستئصال لا ينزل لاجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل انما ينزل اذا تعدوا
اذا اساءوا في المعاملات وسعوا في الايذاء والظلم وهذا قال ابو مسلم ان عفو الله متناهيا
والشيء وتعالى في الاثر الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم فعفو الله ومما كان ربك
ليهلك القرى بظلم اي لاجل كفرهم اذا كانوا مصلحين يعامل بعضهم بعضا على الصلاح
والسداد وهذا يدل على ان اهل السنة هذه الاية فالواو الدليل على ان قوم هود
وصالح ولوط وشعيب انما نزل عليهم عذاب الاستئصال لما حكى الله تعالى عنهم من ايذاء
الناس وظلم الخلق والوجه الثاني في التاويل وهو الذي يحسن ان المعنى انه تعالى لو
اهلكهم حال كونهم مصلحين لما كان ذلك ظلما عن الظلم لانه لم يفعل ذلك لانهم
يفعلون لاجل سوء افعالهم ثم قال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة والمعنى انه
يحملهم على مشيئة الالجاء والاضطرار وقد سبق الكلام عليه ثم قال الا من رحم ربك
مختلفين الا من رحم ربك والمراد افتراق الناس في الاديان والاطلاق والافعال واعلم
انه لا سبيل الى استقصاء مذاهب العالم بالرأي الموثقة الا انا نذكرها ها هنا نعتمدا
جامعا لمذاهب فنقول الناس فريقان منهم من اقر بالعلوم الخمسة كعلمنا بان الاجتماع
والتفرقة والعلوم البديهية كعلمنا بان النفي والاثبات لا يجتمعان ومنهم من انكر هما
والمنكرون هم السوفسطائية والمقرون هم الجمهور الاعظم من اهل العالم وهم فريقان
منهم من يسلم انه يمكن ترتيب تلك العلوم البديهية بحيث يستنتج منها نتائج علمية نظرية وهم
من لم يمكن وهم الذين سكروا ايضا النظر الى العلم وهم قليلون والكثيرون هم الجمهور الاعظم
اهل العالم وهم فريقان منهم من يثبت له مبدأ وهو فريقان منهم من يقول بالمبدأ موجب
بالذات وهم جمهور الفلاسفة في هذا الزمان ومنهم من يقول انه فاعل مختار وهم الذين هم اهل العالم
هو الفريقان منهم من يقول انه ما ارسل رسولا الى العباد ومنهم من يقول انه ارسل الرسول
فالاولون هم البراهمة والعسكر الباقي ارباب الشرائع والاديان وهم المسلمون واليهود والنصارى
والمجوس وفي كل واحد من هذه الطوائف اختلافات لا حاجة لنا الى ذكرها ولا حصر للعقول

قوله تعالى

العلم ان يعرف ان ذلك المعتقد في نفسه كيف يكون وهذا لو جاز لا يصح من العبد القصد الى تحصيل العلم بالنظر الا بعد ان كان عالما وذلك يفضي بكون الكاسب محصلا الحاصل وهو محال فصار زوال الاختلاف في الدين وحصول العلم والهداية لا يحصل الا بخلق الله تعالى وهو المطلوب ثم قال تعالى ولذلك خلقهم وفيه ثلاثة اقوال قال ابن عباس والرحمة خلقهم وهذا اختيار جمهور المعتزلة قالوا ولا يجوز ان يعود الى الاختلاف خلقهم وذلك باطل وحمل الاول على ان يعود الضمير الى اقرب المذكورين ولولا ان يعود الى ابعدهما واقرب المذكورين هاهنا هو الرحمة والا لعاد الى ابعدهما والثاني انه تعالى لو خلقهم للاختلاف واراد منهم ذلك الايمان لجاز ان يعذبهم عليه ولو كانوا مطيعين لاستحال الاختلاف الثالث اذا فسرنا الآية بهذا الوجه كان مطابقا لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال قتادة لو كان المراد وللرحمة خلقهم لقال ولذلك خلقهم ولم يقل ولذلك قلنا ان تاء الرحمة ليس تاء تانيث حقيقة فكان محمولا على الفضل والغفران كقوله هذا من رحمة ربي وقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين والقول الثاني ان المراد ولذلك خلقهم والقول الثالث وهو المختار انه خلق اهل الرحمة واهل الاختلاف لذلك روى ابو صالح عن ابن عباس انه قال خلق الله اهل الرحمة ليرحموا واهل العذاب ليعذبوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وخلقهما اهلا والذي يدل على صحة هذا التاويل وجوه الاول الدلائل الدالة على ان العلم والجهل لا يمكن حصولهما في العبد الا بخلق الله تعالى الثاني ان علم الله تعالى بالعلم على التعيين يكونهم مختلفين وعلى الاخرين بانهم من اهل الرحمة وعلم الله استحال انقلابه والا لزم انقلاب العلم جهلا وهو محال الثالث انه تعالى قال تعالى ان كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك يصرح بانه تعالى خلق اكثرهم للجهالة والخيبة واما اخبر للصلاة والسلام بذلك يدل على هذا التاويل

قوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين واعلم انه تعالى لما ذكر في القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين من الفوائد احدهما تثبيت الفؤاد على اداء الرسالة وعلى الصبر والاحتمال الاذى وذلك لان الانسان اذا انتهى لمحنة صلبة فاذا رأى له صبر

العلم

مشاركا لخلق لك على قلبه كما يقال للمصيبة اذا عمت خفت فاذا سمع الرسول هذه
القصص علم ان حال جميع الانبياء صلوات الله عليهم مع اممهم هكذا سهل عليه
تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه والعمل بما امر به فقوله
وحاك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين في قوله في هذه وجوه احدها
في هذه السورة وباسمائها في هذه الامة وبالتي فيها في هذه الدنيا وهذا اعدل
في هذه الوجوه واعلم انه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجيء الحق فيها ان
لا يبقى بعد الموت واعلم انه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجيء الحق فيها ان
يكون حال سائر السور بخلاف هذا لاحتمال ان يكون الحق المذكور في هذه
السورة امورا ثلاثة الحق والموعظة والذكرى اما الحق وهو اسم الى البراهين
الدالة على التوحيد والعدل والنبوة واما الذكرى فهي اسم الى الارشاد
الى الاعمال الدائمة الصالحة في الدار الاخرى والمدة لما لها من السعادة
والاسعاد وذلك لان الروح اما حاصل في الدار العالم الا انه لاستغراقه في محبة
الجسد لبقي احوال الدار العالم فالكلام الالهي يذكرها احوال الدار العالم فلهذا
السبب صح اطلاق لفظ الذكر عليه ثم هاهنا دقيقة اخرى محمدية وهي
ان المعارف الالهية لها اسباب وعلل ومراتب وقالها هو العلة والعلة ما لم يكن
حاصل الاستعداد لقبول تلك المعارف الالهية والجلال العظيم سبب لحصول الاسماع
لسماع الدلائل فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر اصلاح العلة وهو تنقية
العوادم فلما ذكر اصلاح حال القابل اردفه بذكر الموعظة والذكرى وهو الذي هذه
السورة المشتملة على الموعظة والذكرى وهو الزيت في غاية الزرق والحلاله

قوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون
وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ۝ واعلم انه تعالى لما بالغ في
في الانذار والانذار والترغيب والترهيب بعد الايمان بالرسول وقل للذين لا يؤمنون
ولم يؤثر فيهم هذه البيانات البالغة اعملوا على مكانتكم انا عاملون وهذا عين ما حكاه
الله تعالى عن شعيب عليه السلام انه قال لقومه والمعنى افعلوا كما تعلمون عليه في حقي من
التمرد فانا ايضا عاملون وقوله اعملوا وان كانت صيغة صيغة الامر للحال المراد

مبها التهديد كقوله تعالى لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك
ورجلك وكقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر واستطر واما بعد كم المستطر لمراد الله
فاما مستطرون ما وعدنا الرحمن من انواع الغفران والاحسان فاله عباس واستطر وا اي
الهلاك فاما مستطرون لكم العذاب بعراته تعالى ذكر خاتمه شريعة عالية جامعة
لكل المطالب الشريعة المقدسة فعال وله عبيا لسموات والارض واعلم
ان مجموع ما تحتاج الانسان الى معرفته امور ثلثه وهي الماضي والحاضر والمستقبل
اما الماضي وهو ان يعرف الموجود الذي كان موجودا قبله ودل الموجود المتقدم
عليه هو الذي نقله من العدم الى الوجود وذلك هو الاله تعالى وتقدس واعلم ان جميع
ذات الاله وكنه هويته غير معلومة للبشر البته واما المعلوم للبشر صفاته
سواء صفاته قسمان صفات الجلال وصفات الاكرام اما صفات الجلال
وهي سلوب كقولنا انه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا كذا وهذه السلوب
كما يحتجبه لست صفات الكمال لان السلوب عدم والعدم المحض والنفي الصرف
لا كمال فيه فقولنا لا تاخذه سنة ولا نوم انما افاد الكمال لانه
على العلم المحيط الدائم المبرا عن التغير ولولا ذلك والا لكان عدم النوم
ليس بدال على كمال اصلا الا ترى ان الميت والجماد لا تاخذه سنة ولا نوم وقوله
وهو يطعم ولا يطعم انما افاد الجلال والكبرياء لان قوله ولا يطعم بعد كونه
واجب الوجود لذاته غني عن الطعام والشراب بل عن كل ما سواه فيكون صفات الجلال
والعز والعلو هي الصفات المتوسطة دائرة والصفات المتوسطة الدالة على الجلال
والجلال صفتان العلم والقدرة فهذا السبب وصف الله تعالى ذاته في هذه الاية بهما
اما معرفة التعظيم والثناء والمدح اما صفة العلم فقوله ولله عبيا لسموات والارض
والمراد ان علمه نافذ في جميع الكليات والجزئيات والمعدومات والموجودات والحاضرات
والغائبات وما في الجنان والسر والشرح في دلالة هذا اللفظ على نهاية الكمال ما ذكرناه في تفسير
قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو واما صفة القدرة فقوله
والبه يرجع الامر كله والمراد ان مرجع الكل اليه وانما يكون كذلك لو كان
مبدا الكل ومبدا الكل هو هو والذي يكون مبدا لجميع الممكنات والبه يكون
مرجع كل المحدثات والكائنات هو عظم القدرة نافذ المشية قهار العدم

بالوجود والتحصيل حيا رشدا بالقوة بالفعل والتكميل فهذان الوصفان هما
المذكوران في سرح خلال المبدا ونعت كبريائه والمرسله الناسبه من الرابب
التي تحصل للانسان كونه عالما بما ينبغي ان يعرفه وما هو مهم في زمان حياته في الدنيا وما
وكل الانسان تكميل النفس بالمعارف الروحانيه والاخلاق العلميه وهذه المرتبه لها بدايه
ونهايه اما بدايتها فالاشتغال بالعبادات الجسدانيه والروحانيه
اما العباده الجسدانيه فافضل الحركات الصلوه واكمل الاشكال الصيام
وانفع البر الصدقه واما العباده الروحانيه فهي الفكر والذكر
في عجائب صنع الله تعالى في ملكوت السموات والارض كما قال وتفكرون في
خلق السموات والارض واما نهايه هذه المرسله والانتهاء من
الاسباب الى مسبباتها وقطع النظر عن كل الممكنات والمبدعات والتوجه
بالعقل الى بحر عالم الجلال والاستغراق الروح في اضواء عالم الكبرياء
ومن وصل الى هذه الدرجه راى كل ما سواه معزولا في ساحه كبريائه
هالكا فانيا في فناء اسمائه وحاصل الكلام انا اولا درجات
السير الى الله تعالى هو عبوديه الله وآخرها التوكل على الله فلهذا
قال فاعبده وتوكل عليه والمرتبه الثالثه من المراتب
المهمه لكل عاقل معرفه المستقبل وهو انه لعرف كيفيه حاله بعد الموت
عن الحياه الجسمانيه وهل الاعمال الخير في السعاده والشقاوه والنجاه
الانسان بقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون والمقصود انه لا يضيع
طاعات المطيعين ولا يهمل احوال المجرمين بل يحاسبهم ويجازيهم
العامه ويحاسبهم في الصغير والكبير والعظيم والحقير وذلك ان يحضر في موقف
عامه الامر فريق في الجنه وفريق في السعير وظهر ان هذه الاديان واقفه الارشاد
الى جميع المطالب العلويه والمعارف العلميه وانه ليس وراءها للعقول مرتقى
ولا للجواهر منتهى والله الهادي للصواب

قدس الله روحه

كان في النسخه المنقوله كان بخط المصنف

ما هذا [illegible] تفسير هذه السورة بتاريخ طلوع الصبح طلبه الحسن من شهر [illegible]
ختم بالخير والبركة سنة احدى وستمائة بعد كان لي ولد صالح حسن
السمت فقير في الحرفة في عشرين سنة وكان قلبي ما يحبو ولد لك السبب
فانا اسأل الله اخواني في الدين وشركاي في طلب العلم
وكل من يطالع في هذا الكتاب ان يدعو
ذلك الشاب بالرحمة والمغفرة ويذكروا هذا المسكين
بالدعاء وهو قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ
هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
تجزء الجزء السابع من العشر الكبير بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وكلاءته وعونه
سلوه في الثامن من سورة يوسف
غفر الله لمولفه ولخاتمه ولمن حسن اليه ولوالديهم ولجميع المومنين والمومنات
الاحياء منهم والاموات انه مجيب الدعوات
عواد الخيرات وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

٨٧٤٥

297.207
R27
v.7 only
(MS)
American University of Beirut
Library

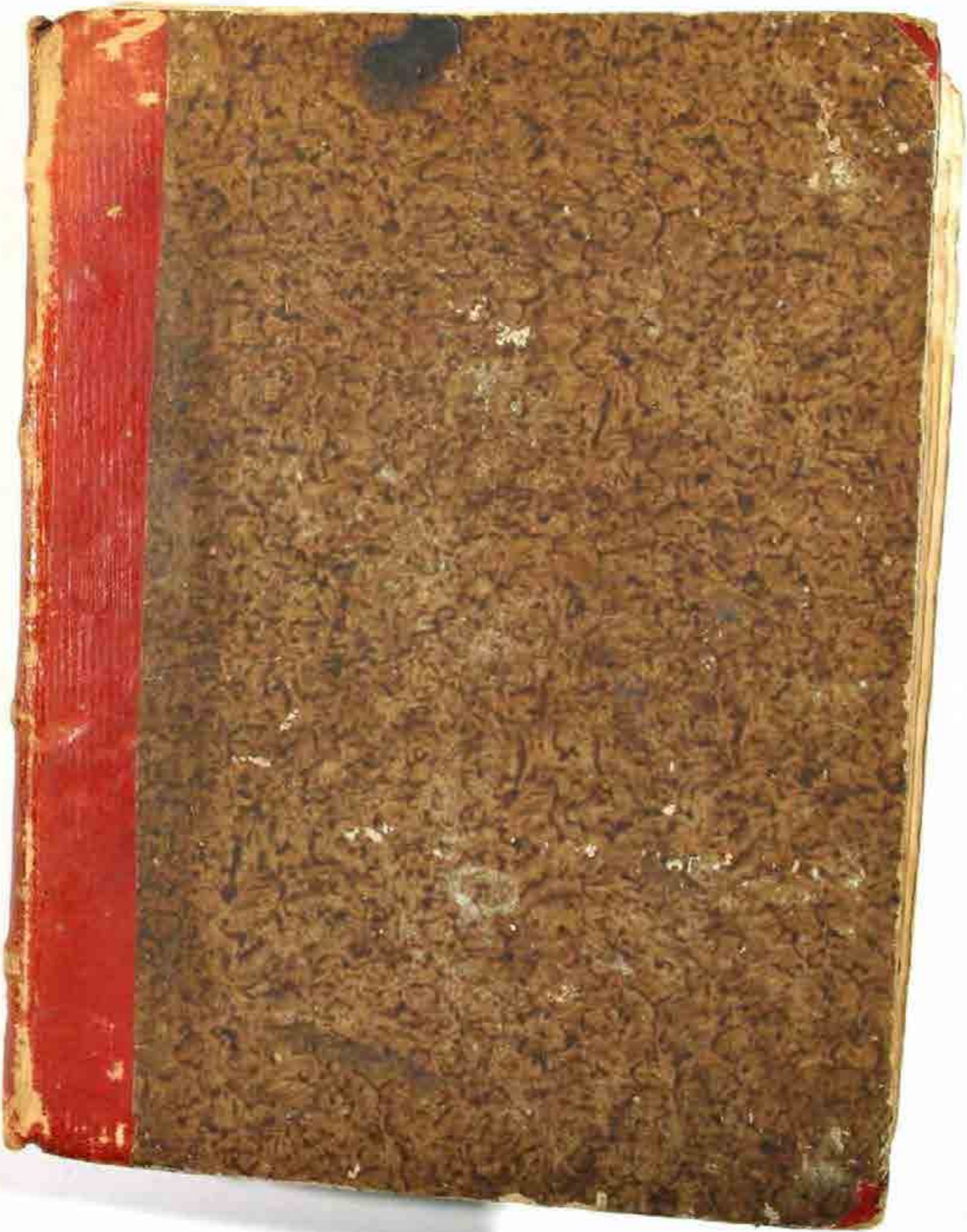

تأسست ١٨٦٦
المدرسة الكلية السورية الإنجيلية
كل علم ليس في القرطاس ضاع

231.207
R27
v.7 pt.2
NLS

الجزء السابع
من تفسير الرازي

LIBRARY